

روايه

لا أبتك قدسي

واليا سالم



لأنكِ قَدْرِي

لأنكِ قَدْرِي

رواية

دالة عالم

شخيط ورسية

جروب

شخايط وردية

إبداع الحرف وعشق اللبجيرة

للدخول للجروب على الفيس بوك

[/www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia](http://www.facebook.com/groups/shakhabeit.wardia)

بقلم

داليا سالم

تصميم غلاف وداخلي

صابرين الديب

فريق عمل "شخايط وردية"

المقدمة

هل جربت أن تحيا مجبرًا؟
حياة بها الصراخ محال والأنين ممنوع..
تغدو الأنفاس ثقيلة والعدر غير مسموع..
حين تسلم قلبك للهلاك فيصبغ الندم المقل..
تصبو لأنين مذبوح عسير المنال..
"لا للوجع.. لا للألم.. لا للدموع"
شعار يرفعه غيرك وأنت مجبر على الانصياع..
مستسلم لأقدار تكتب بيد الأحياء..
ربما تتلمس الهروب في الاضطناع..
أحيانا تتخذ من الصلاة رداء..
وتنتهي غريب بين جنبات روحك..

وحيد في تيه عتمة الآلام..
مهلهل الروح من وطئ الجراح..
لتجد البصيص، الهمس، الوضاء..
يتسلل من حولك..
ينتشلك من دجى تيهك..
مهما حاولت الفكاك لاعنًا الأيام..
يقودك نحوي مرغماً باختيارك..
نلعن الأقدار وهي بنا رءوم..
فما طابت الروح إلا بلكياك..
فارفلي باليقين يا نبت قلبي..
مأواكِ رُوحِي لأنكِ قَدْرِي..

الفصل الأول

وقع أقدام يتعالى، ظلمة تزداد قتامة كلما حاولت فتح أعينها، شعور داهم برهبة، بخوفٍ مبهم يكتنفها، جعل أقدامها تتحرك بلا إرادة منها؛ تجري، تلهث، أنفاسها تتسابق بحدة، لا تعلم الاتجاه ولا تدري مطاردها، بعد بضعة عشرات تجد لظمة على رأسها، تتلفت عسى أن ترى مصدرها؛ فلا تجد سوى العتمة، لتنهار أرضاً في مكانها..

صمت.. سكون إلا من لهاث خوف جنوني يسيطر عليها، مكان لا يبدو له أبعاد..

لكن لمَ كانت تجري؟!..

لا يبدو أن هناك متعقب لها!

حيرة.. تخبط وقلق.. يداها تبحثان عن شيء ما، فالآن فقط هاجمها شعور أنها بجريها الحثيث قد فقدت شيئاً.. شيئاً عزيزاً..

تبحث وتبحث ولا تجده..

كيف تجد ما لا تعلم أنه فُقد!!.. ربما لم تفقده بسبب جريها
الهلع، لعل ركضها كان بحثاً عنه، إذًا هي تبحث عن شيء
ما!!..

بصيص ضوء وهمسة منيرة من بعيد..

هل للصوت نور؟!.. لا يهم فالمفقود هام، يعنى لها الحياة، إن
وجدته سينير ظلمتها، به سر نجاتها، لكن ما هو وأين هو؟.. لا
تعلم..

أخذت تبحث بشكل محموم، تحبو بيديها مسترشدة ببصيص
الهمسات، ترتجف وتدور حول نفسها، أصابها الغثيان والدوار
الشديد..

لا.. نفذ وقتها، همستها المنيرة تاهت عنها .. إن الظلمة تطبق
عليها.. تقترب منها، تبتلعها غير عابئة بتوسلاتها.. ببيكائها.
تبحث وتبحث بسرعة رهيبة علّها تجد المفقود، سر النجاة..

تقترب الظلمة مكشرة عن أنيابها بقسوة وتوحش، صرخت طلباً
لوجه مألوف يحمل في طياته الأمان، صرخت وصرخت
وصرخت..

تفتح عينيها فيغشيها ضوءٌ مبهر، وتجد نفسها في حضن أمها
الحاني وهي تتمتم بهمساتها:

- بسم الله الرحمن الرحيم.. اصحي يا بنتي.. اصحي يا حبيبي،
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. ده كابوس يا روح قلبي ما
تخافيش.

أسرعت تتشبث بها بيديها بقوة مرتعبة مرتعشة الأوصال..
دخلت خالتها آمال مسرعة:

- مالها يارا يا روكا؟!.. مالك يا حبيبة قلبي؟

وهي تنظر لوجه ابنة أختها المتعرق الغائب منه اللون بشكل
مفزع والتي تتسارع نبضاتها مع أنفاسها في سباق محموم..

ردت أختها أحلام بصوت قلق ووجه متوتر:

- ولا حاجة.. كابوس وراح لحاله، الحمد لله.

أما يارا فريقيها جاف، مستكينة في حضن أمها، مغمضة العينين،
منهكة لا تقدر على الكلام سمعت خالتها:

- حاروح أجيب لها مايه تشربها.

توجهت لخارج الغرفة وعند الباب استدارت بعيون مشفقة ونبرة
حانية تردف:

- ارقى بنتك يا روكا شكلها محسودة.

هزت أحلام رأسها وبدأت من فورها بترتيل آيات القرآن على
رأسها المتعرق...

تنهدت آمال وحين التفتت مغادرة اصطدمت بجسد عريض يسد
طريقها، تساءل صاحبه بجزع وقلق:

- في إيه؟.. إيه اللي حصل؟.. يارا مالها؟

ربت على صدر ابنها برفق وتصاحب نبراتها المطمئنة ابتسامة
حنون:

- مالهاش يا حبيبي.. كابوس وراح الحمد لله.

قاطعهما صوت من الخلف صادر من شخص، يحارب ليجد منفذ
لرأسه:

- ييييييييييي كل ده علشان كابوس!!.. ما قولتها بلاش
طفاسة وتسبب آخر حته كنافه في حالها.. آدي آخره الطفاسة.

تنهدت آمال وهي تدفع الاثنان جانباً خارجة من الغرفة:

- وسع من وشي يا ولد.. مش وقتك خالص يا عصام.. خليني
أجيب للبنت مايه.

فأردف عصام بعد مغادرة أمه بلهجة ممازحة للمرتعبة:

- ها بقيت كويسة دلوقتِ يا طفسة ولا لسه؟

نظرت له بعيون محمرة وما زالت تحاول تنظيم تنفسها، تمتمت:

- الحمد لله.. الحمد لله.

وتعود بنظراتها لهشام بامتنان منذ سمعت صوته فتحت عينيها،
صوته بالنسبة لها مرفأ أمان دافئ.. نبراته دفعة اطمئنان فورية
المفعول، تسري في عروقها ما إن تعيه أذنيها..

وهو يراقبها بعيون قلقة، يحاول سبر أغوار قلقها دومًا، فكابوسها مؤشر لا يخطئ أبدًا، فهل ستحمل الأيام القادمة ما تخشاه ويخشاه هو عليها؟.. أخرجته تربيته أمه على كتفه من طنين أفكاره:

- أنتوا لسه هنا!!.. يلا كله على أوضته سيوها ترتاح.. خدي يا حبيبتى.

ناولت ابنة أختها كوب الماء، ساعدتها على ارتشافه، أختها مازالت تتلو الأدعية والتحصينات على ابنتها؛ لتتمتم هي:

- شكرًا يا خالتو.

أردف هشام:

- ها أحسن دلوقتٍ؟

رفعت عيونها تطمئننه وهي تهز رأسها هامسة:

- أحسن.

هز رأسه داخلاً يجلس بالغرفة على أقرب مقعد، يراقبها بنظرة قلقة لتردف أمه:

- خلاص يا هشام، يارا بقيت كويسة، قوم نام يا حبيبي و...

قاطعها بحزم قلق تحمله نبراته وملامحه:

- لما خالتو تخلص الرقية، ويارا تنام حابقي أقوم.

بضعة دقائق مطمئنة هي بدفء رفقتهم؛ انتهت أحلام من الرقية ودثرتها؛ فمد هشام يده لأمه مشيراً لها ليخرجها معاً..

انتهت أحلام من تدشير أبنيتها، قبلت جبينها.. ووجنتيها وجفونها المغلقة كما كانت تفعل لها منذ الصغر.

مما جعل ابتسامة ترتسم على شفيتها، استكانت وانتظرت، شعرت بإغلاق الباب.. ثوانٍ أخرى أتبعها صوت إغلاق باب آخر، قامت مسرعة توقد النور، لا قبل لها بمواجهة ظلمة أخرى، تنهد فهي كعادتها حين تتنابها تلك الكوابيس، لا تنام حتى انبلاج الفجر..

رنين رسالة على هاتفها جذب انتباهها ففتحتها متعجبة:

"نامي ما تخافيش"

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

تتناوب الأختان بتجهيز المائدة العامرة للإفطار، الخاصة بيوم الإجازة..

فمع لذة اللقمة يمتزج دفء العائلة؛ فيجعل لإفطارهم دومًا مذاقًا خاصًا، منعش بدعابات عصام الصاخبة، مريح بهدوء يارا الخجل، لذيد بشقاوة ميرا المعهودة، عميق بتعليقات زيد الثاقبة، ممتع بدندنة أمه آمال، مستبشر بدعوات خالته أحلام.

يظنونه الصامت صباحًا لتعكر مزاجه، لكنه فقط ممتن وبشدة يتشبع بهم، يكفيه وجودهم في صباحه ليصبح يومه.

بعد الانتهاء، توجه هشام بعدما أشار ليارا لتتبعه للشرفة، أسرع تحمل قدها شايفها الصباحي لاحقة به..

ما إن دخلت ورائه نظر إليها هشام نظرة مبتسمة حنونة:

- نمتِ كويس؟

ابتسمت مجيبة بهزة رأس، مرتشفة من كوب الشاي بالحليب خاصتها؛ فأردف بصوت قلق:

- هو هو نفس الكابوس بتاع كل مرة، مش كده؟

رائع عالم

شغيف وريح

تنهدت تنهيدة قوية، وابتلعت ريقها، مغمضة عيونها في ضعف:
- آه هو.

فزفر هو بحنق جعلها ترفع عيونها إليه.. عيونهما الزرقاء متشابهة،
فقط عيونه هو تحمل شذرات رمادية تغيم فتسيطر على لونها،
تنبئ بمزاجه وقت غضبه..

همست بضعف وعيونها تمتلئ بالعبرات:

- غضب عني.. كل أما افكر إني نسيت الكابوس يرجع تاني..
وأقوى من الأول.

شعر بضعفها وضاق صدره؛ يرى قلة حيلتها فتثور براكين غضبه،
دموعها المحتشدة خلف رموشها دوماً تطفئ نيرانه وتلجم لسانه،
فينتهي كاتماً ضيقه وحممه عنها، مصطنعاً ضحكة ونبرة هادئة
يداعبها:

-نفسى أفهم.. حد عايش في بيت فيه ثلاث رجالة طوال
عراض، ده بدون ذكر روكا وأمولة، يخاف!!.. طب بس احنا
نطلق على اللي مخوفك ده ميرا وهو حيقول حقي براقبتي.

نجح في اقتناص ضحكة مشرقة منها أظهرت غمازتي ابتسامتها،
 بضع عبرات منفلتة من قوة ضحكها أطلق لها هو تنهيدة ارتياح؛
 فنزول دموعها بضحكة عوضاً عن خوف أو قلق أرحم بكثير..
 عبث بخصلاتها البنية المشرقة يبعثرهم حتى هربت من أمامه
 مسرعة وضاحكة.

تلقفها عصام:

- ايه يا بنتي بتجري ليه!!.. حاسبي.. يا سبحان مغير الأحوال!!،
 بالليل تقلقي منا وما والصبح بتجري زي القطر!!.. توب عليا يا
 رب بقى وارزقني بمزة كده تفتح النفس على الـ آآآآآآه.....

لم يكد ينتهي من جملته حتى قابلته صفعة على رأسه:

- بقى كده مش عاجبك يارا!!.. بس أما نشوف مجايك.

نطقها آمال وهي ترفع أحد حاجبيها مستنكرة ليمسد عصام
 مكان صفعة أمه على رأسه ممثلاً للأمر ورد بلهجة مشاكسة:

- آه.. ليه كده بس يا أمولة!!.. ده أنا ابنك حبيبك..

- سيبك منه يا آمال وتعالى نشرب القهوة، هو أنتِ مش عارفة
عصص ابنك.

أنهت أحلام جملتها بغمزة وضحكة مكتومة يهتز لها جسدها
فشاركتها آمال في ضحكتها المكتومة وعيونها تخبر ابنها
"تستحق"...

فيغمغم عصام بحنق مضيقاً عينونه:

- عصص يا روكا برضه!!.. ماشي.. ماشي، حااعديها لكِ المرة
دي بس علشان أنتِ خالتي حبيتي..

انطلقت ضحكت أحلام عالية فالأولاد لا يطلقون عليها إلا اسم
روكا كما تعودت توأمتها وجدهم رحمه الله أن يناديها..

تحرك عصام وهشام ليتجهزا للذهاب لأداء الصلاة..

وتعالى دعاء أحلام لهما ولزيد الغائب علّه يعود بالسلامة من
سفره؛ تأخر هذه المرة كثيراً واشتاق إلى.. تدعو له، تنظر لباب
غرفته، تتقدم بخطواتها تفتحها، تفتح نوافذها وتبخرها كما تفعل
كل يوم، تشتاق لطفلها، لا تعلم كيف وافقته على رغبته وعمله

بالطيران المدني، لكن رغبته بالتحليق ألجمت خوفها، تركته ينطلق ليحقق حلمه فنالت هي القلق، تنهدت وهي تواصل ترتيب غرفة لم تمس منذ أكثر من شهرين ، تهمس بدعوات مرتجفة ترجوه الرجوع.

مفترشة بأوراقها المبعثرة و أقلامها الملونة وحاسوبها زاويتها المفضلة بالمنزل، لا تعلم لما أو كيف أو متى بدأ عشقها لتلك المائدة!.. لكنها لا يداعبها الإبداع إلا على مائدة المطبخ!.. تلك المائدة القديمة المصنوعة بيد جدها، هدية لجدتها؛ قطعة قديمة أصرت هي أن تكون جزء من مطبخهم الحديث _ رغم أنف الجميع _ بكنبة صغيرة ووسائد منقوشة عصرية..

كادت التوأمتان أن تجنا لما علما برغبتها بركن خاص بها داخل مطبخهم، وأرضاها هشام بإغلاق شرفة جانبية بإحدى زواياه لتكون لها ملاذاً، ليس تدلل ولكنها صدقاً لا تجيد التركيز إلا وهي هنا، تحديق بأواني الطبخ المرصوفة باعتناء، بأوعية

رأيتك

شغيفتي وارتاح

المربات المحفوظة والمخللات الشهية المتراصة، بأصص الزرع الصغيرة المتناثرة.

ويوم يجافئها الإلهام تلجأ لسرها الخفي؛ درج توابل خالتها الخاص، تستنشقها تغمض عيونها فينهمر الإبداع، تخرج تصميمات إعلاناتها دافئة حميمة، غريبة هي تعترف وسعيدة بغرابتها حد الغرور..

واليوم هو أفضل أوقات أسبوعها فالمطبخ صباح جمعتهم يحمل دائماً عبق ماضي لا يُنسى؛ يبدأ بصوت الست مع قطعة الزيت ممتزجة برائحة الفلفل بالسّمسم الحارة جداً وتحببشة فول أمها مع بخور خالتها ذو الرائحة العنبرية، مزيج لا يقاوم تحتاجه هي للمشروع المهم المقبلة عليه، منزوية في ركنها جانباً تعمل بتركيز، ليتناهي لها صوت التوأمتين بحديث هامس، شحذت حواسها متلصصة على فحواه؛

دخلت أحلام المطبخ لتقترب أختها منها مسرعة وكأنها على وشك البوح بسر خطير:

رأيتك دائماً

شغيف ووردة

-بقولك يا روكا.. ركزي بقى معايا مش عايزين حاجة تبوظ
الموضوع زي كل مرة!..

تساءلت أحلام بتعجب:

-خير يا آمال في ايه؟؟؟

فزفرت آمال بحنق ونفاذ صبر مردفة بصوت خافت وتضغط على
حروفها كي لا تعلق نبراته:

-أنتِ نسيتِ! مش النهاردة ميعادنا مع شريفة تيجي هي وابنها.

وضعت أحلام يدها على فمها مستنكرة نسيانها:

-يووووووووووه.. هو النهاردة!.. ده أنا كنت ناسية خالص.

فتدمرت آمال من أختها ورفعت لها عيون مليئة بالحنق:

-أنتِ حتجيني!.. ألاقها منك ولا من بنتك أم دماغ ناشفة
دي.

تنهدت أحلام وهي تتذكر حال ابنتها يارا، الراضة للزواج.. بعد
تجربتها المريرة لم تعد يارا كما كانت، لم يستطع أن يخرجها من

وحدثها إلا أبناء خالتها فمنذ اليوم المغبور وهي قابضة بالمتزل
ترفض الخروج أو حتى العمل..

أيقظها من تفكيرها هزة يد من أختها:

- يا روكا.. روحِ فين؟!.. ركزي معايا.. عايزين المقابلة
النهاردة تعدي على خير.

زفرت أحلام بقوة وهي تهز رأسها موافقة:

-طيب ماشي.. حنجهز كل اللي محتاجينه.. بس على الله ما
حدش ياخذ باله منهم.

ردت آمال بصوت يصطنع اليقين:

- ما تقلقيش كله حيمشي زي ما احنا عايزين.

اتفقتا على أن تخرج أحلام لتنبه على ابنتها أن ترتاح فوجهها
مرهق وهي ستهم بأشغال الأولاد حتى لا يلاحظوا شيئاً حتى
وقت الزيارة، وحين توجهت آمال للزاوية البعيدة جفلت:

-بسم الله الرحمن الرحيم!!.. أنتِ هنا من امتي؟؟؟

حركت ميرا حاجبيها وعلى وجهها ابتسامة ساخرة:

- من ساعة عريس الغفلة.. ولحد ما حدش ياخذ باله!

رفعت لها أمها سبابتها محذرة وعيون ينطلق منها الوعيد:

- بقولك ايه طلعي نفسك من الحوار ده.. أنا بحذرك اهو!

تبدلت النظرة الشقية المتلعبة على وجه ميرا بأخرى جادة
مردفة:

- ماما.. أنت مش شايقة أن أحسن يارا تعرف، وكمان لازم هشام
يعرف من الأول.

ازداد اتساع عين أمها بتحذير ولهجة لا تقبل النقاش مكتفة
يديها على صدرها هاتفة:

- لا مش لازم.. واياك تجيبي سيرة.. أنتِ فاهمة؟.. خلي
اليوم يعدي على خير.. يمكن ربنا يجعلها فيه النصيب وتتفك
العقدة.

رفعت ميرا يداها أمام وجهها باستسلام:

- خلاص من غير ما تتنرفزي، ولا تزعلي.. أنا آسفة يا ستي أنتوا أحرار. وأشارت على فمها بحركة تهكمية مغلقة اياه ومطوحة بالمفتاح بعيداً،

وتحركت مبتعدة تلملم أغراضها وآمال تدعو في سرها أن تتم مقابلة اليوم بسلاسة ويسر لعل وعسى.

انقضى النهار بشكل محموم في تجهيزات وترتيبات حتى وجدتا عصام يقتحم المطبخ مردداً بتعجب ساخط:

- هو ايه ما فيش غدا النهاردة!!.. أنا جوعت.

تبادلت الأختان النظرات قبل أن تردد آمال بنبرة حازمة:

- احنا حنتعشى كلنا سوا، بس متأخر شوية.

عشاء ومتأخر!!.. كلمتان لا وجود لهما في قاموس التوأمتان هناك شيئاً خاطئاً، عقد حاجبيه مضيقاً عيونه يدقق النظر فيما حوله؛ مقبلات وضيافة طعام يكفي وليمة لقبيلة صغيرة!!.. آآآخ

رأيتك

شغيفط وورح

طاقم الصيني المذهب خرج من مكمته، يخشى أن يكون ظنه في محله..

رفع لهما عيون متسائلة متنقلة بين الاثنتين يشوبها القلق:

- أنتوا بتدبروا لايه؟؟.. ما تفهموني..

تهربت أحلام من الرد متشاغلة بعصير ما تجهزه أما أمه فأجابته بشكل حاد ولهجة قاطعة:

- ايه بندبر دي!.. اتفضل شوف اللي وراك.. لما يجهز الغدا حنبقى نندهلك.

اتكأ عصام على إطار الباب وفرك ذقنه بسبابته وإبهامه راسماً نظرة هولمزية ساخرة:

- اممم.. ما دام فيها وش خشب مع ابنك يا أمولة وطقم صيني، يبقى ناوية على كارثة، ربنا يستر من إتش أما يعرف فحذرتة أمه بوعيد:

- عصااااام!!..

رأيتك صام

شغيط ورنج

هز كتفيه خارجاً من المطبخ بهدوء يصطنع اللامبالاة، فنظرت
الأختان لبعضهما بنظرات قلقة متوترة وتردد أحلام:

- تفكري حيقولهم حاجة؟؟

رفعت آمال أحد حاجبيها وهي تفكر بسرعة تنظر للساعة
وعقاربها حسمت الأمر:

- خلاص.. هما فاضلهم ساعة تقريباً يبقى لازم أقوله.

-ربنا يستر

نطقتها أحلام بخوف وترقب مبتلعة ريقها بصعوبة....

انطلقت آمال في خطوات وثيدة لغرفة هشام، دخلت برفق بعد
طريقة هادئة وجدته نائماً بعمق، ارتسمت بعيونها نظرة حنونة
وأيقظته برفق أم، فتح عيونه لها يتشاءب ويمط يديه وغمغم بلهجة
تقطرانهاك:

-ايه!.. أنا نمت كثير ولا ايه؟؟

تنهد واعتدل بنصف جذعه على ظهر الفراش لينظر لأمه بابتسامة
معتدرة:

رأيتك

شغيب وريح

- مساء الخير يا أمولة.. آسف شكلي فوت ميعاد الغدا.. بس أنا فعلاً كنت محتاج أنام.

غمغمت أمه بحنان مفرط وعيون مترقبة:

-ولا يهملك نوم العافية يا حبيبي.

عقد حاجبيه يتأكد، أمه لا تكون بكل هذا الرفق والسماحة عند مخالفة قواعدها إلا عند وجود خطبٍ ما..

قلقه السابق ونبرة أمه مثلاً فورة ايقاظ قوية لعقله، فدخل في صلب الموضوع مباشرة بعد أن أعتدل جالساً ومنزلاً إحدى قدميه من على حافة الفراش مردداً بصوت واضح مترقب:

-خير يا ماما في ايه؟؟؟

كشفها وانتهى الأمر، إذاً فهو الهجوم، أخذت نفساً عالياً وأخبرته بوضوح:

-في عريس جاي النهاردة ليارا، ولازم تبقى موجود.

مقولة "الهدوء الذي يسبق العاصفة" مقولة أحياناً صحيحة، لكن في الأغلب هي محض عبث فقبل العواصف تهل النذر ولنكن

- يعني ايه؟

وقفت أمامه بقوة مواجهة ترد عليه بحزم:

- يعني يارا حتتجوز يعني حتتجوز.. البنت داخلة على الـ ٣٠

مش حنسيب البنت قاعدة جنبنا كده وحياتها بتضيع.

عقد حاجبيه ناظراً لها بتعجب غاضب مستنكر:

- حتى لو هي مش عايزة!.. حتجوزيها غصب؟

ردت بحسم ورفعة حاجب وهي تعقد يديها فوق صدرها:

- آه غصب! هي مش عارفة مصلحتها واحنا أدري، عمرنا ما

حنأذيها.

مع آخر حروفها تطايرت نظرات نارية بينهما، فإن كان هو بركان

في غضبه فهي من تمخضت البركان للحياة، صحيح هو رجل

البيت منذ الثانية عشر من عمره، صحيح هو من يعتبر رفيق

دريها، المسؤول عنهم جميعاً بلا استثناء، لكنها تبقى أمه وعندها

هي تتجمد حممه..

مد يده جاذبًا مفاتيحه وهاتفه ومحفظته يعترزم الخروج، يمقت
الهروب ولكن مع أمه لا بديل آخر

تحرك بعنف وهي تتابعه بعيونها، تتبعه بخطواتها لتجد أن ميرا
وعصام وأحلام جالسين بالخارج ..

انتظرت حتى أصبح قرب باب المنزل فهتفت بصوت عالي لفت
انتباه الجميع وبنبرة أمرة:

-هشام.. في ضيوف جاينين في خلال ساعة، أعتقد ما ينفعش
يجوا ويلاقوا راجل البيت مش موجود ولا ايه؟

تتحداه، ترمي له بتحدٍ معنٍ أمام الجميع؛ أخيه.. أخته.. خالته..

تجبره على التواجد

ضغط على أسنانه وأغمض عيونه وتوجه للشرفة بدون حرف،
فقط صوت خطواته وأنفاسه اللاهثة هي ما ينبئ عن حالته
الموقوتة..

نظرت أحلام لأختها مشفقة عليه تعاتبها وهي تغمغم:

- له كده يا آمال؟.. له استفزتيه كده؟!!

عقدت آمال حاجبيها في قوة وبنبرة حازمة :

- هو كبير البيت آه.. لكن الكلمة الأخيرة حتفضل ليا أنا!

نطقتها والتفت للباقيين بنبرة حازمة:

- سمعتوني.. يا ريت تجهزوا عندنا ضيوف على العشاء..

وأحلام.. سيبي بنتك نايمة لحد ما يجوا..

واختفت من أمامهم تبعتها أحلام لغرفتهما المشتركة..

وتبادلت ميرا وعصام النظرات فالعواصف لا تحدث بين هشام

وآمال إلا في حالة واحدة؛ عريس ليارا!

ومع صمتها بادرها هو:

- كنتِ عارفة؟؟

هربت بعيونها منه فأكمل:

- طب حنسيب يارا تتفاجئ كده واحنا ساكتين؟

عضت ميرا على شفيتها وهي تغمغم:

- أنا رأيي نسيبها تتفاجئ يمكن تفوق.

أهداها أخوها نظرة مستنكرة:

- حرام عليك يا شيخة!!.. ايه القسوة دي! أنا ما تهونش عليا..
كفاية اللي فيها..

تركها معقودة الحاجبين تتشبث بمسندي مقعدها تهرب من تقريع
عيونه، وتحرك هو لغرفة يارا يطرق بابها بهدوء وصوت خفيض:

- يارا.. يا يارا... أنتِ يا خم النوم.. قوومي.

لحظات معدودة وفتحت يارا الباب تفرك عيونها بكفيها:

- ايه يا عصام عايز ايه؟؟

مد شفثيه ورفع أحد حاجبيه مجعداً أنفه راسماً الإستنكار:

- عايز ايه!.. ايه المعاملة دي؟؟.. أنا اللي غلطان جاي أنبهك.

ينبهنى!!..

كلمة أطارت آثار النوم من عيونها بسرعة صاروخية، لتهتف به:

- تنبهنى لايه؟.. في ايه؟

وضع كفه على فمها وأدخلها غرفتها وهو يتلفت حوله:

رأيتك
رأيتك

شخيط ورنج

- هشششش... وطي صوتك أنتِ عايزاهم يفترسوني!

- في ايه يا عصام؟.. قلقتني..

- من الآخر كده.. أمك وخالتك جايبين لك عريس النهاردة.

ورفع ساعته مقلداً أمه وصوتها:

- قدامه أقل من ساعة ويشرف.

فزعت يارا وثقل تنفسها وصمتت فأستطرد:

- وشكلهم ناويين المرة دي بجد.. خالتك تقريباً حبست هشام في البيت واتخانقت معاه علشان يقابلهم.

ابتلعت ريقها تفكر حتى هشام!، درعها الأخير، اتسعت عيونها ورددت بفرع وكأنها أدركت لتوها حجم أزمته:

- عريس!!.. اعمل ايه؟!..!!... اروح فين؟؟؟

أشفق عليها من فرعها، يعلم سره.. فزعة كطفلة صغيرة ستجبر على أخذ حقنة مؤلمة.. لا بل حقنة قاتلة

وبدأت في ذرف العبرات مرددة وهي تدور بغرفتها:

- عريس!.. مش عايزة اتجوز.. والله ما عايزة.. ليه مش عايزين
يسيبوني في حالي؟... لسييه؟؟؟

ربت على كتفها بإشفاق مردداً:

- ما تخافيش بس اهدي وحنلاقي حل.

قاطعهما صوت ميرا الغاضب وهي تدخل الغرفة بقوة:

- صبرني يا رب.. يا بنتي بيقولك زفت عريس، وفي أقل من
ساعة وقاعدة تولولي!.. اتحركي

جذبتها من يدها وبدأت تتحرك في اتجاه الباب من أمام أخيها،
فرفع عصام حاجبيه مندهشاً:

- رايحة بيها على فين؟!.. مش تفهميني!!?

ردت ميرا بصوت خفيض حازم:

- طالعين الرووف.. واقفل باب الأوضة وراك، ولو سألوك قولهم
ما تعرفش احنا فين.

هز رأسه مستوعباً لفكرتها مستحسناً لها مبتسماً:

رأيتك حالم

شغيف وورح

- صح.. وطبعاً آمال لو فيها قتل استحالة تخليها تقابل عريس
بمنظر الخدامين بتاعها ده!

- عليك نور

وهتفت يارا:

- وأنتِ بقي بطلي عياط.. خلاص حليناها.

تحركتا ببطء وخفة وصولاً لباب المنزل، مدت ميرا يديها تفتح
مزلاقه ببطء تخشى الافتضاح، بنفس اللحظة تقابلت نظراتهما
مع هشام العائد من الشرفة، ليقابلهما في أول وهلة بنظرة تعجب
متسائل ثم فهم موافقاً بابتسامة، لتشير له ميرا بيدها مقلدة تحية
عسكرية وخرجتا تاركين هشام مع ابتسامة...

دخلتا الرووف الخاص بمنزلهما وبمجرد ما أن أغلقت ميرا الباب
شعرت يارا بالإسترخاء، تنفست الصعداء وهرعت إلى ركنها
المفضل نباتاتها وأرجوحاتها راقبتها ميرا بصمت، فالرووف
يحمل لها لحظة فارقة في عمرها
ببساطة ما قبل وما بعد..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

بدأت تساعدنا بهدوء في الاهتمام بالنباتات، لا تعلمنا أن كلاهما تفكران بنفس الشخص؛ خالد..

الحلم الذي تحول للكابوس.. سر عقدها..

بسمة ساخرة على وجه ميرا وأخرى مرتعشة على وجه يارا..

والمسبب أسم واحد

خالد شخص عندما تراه لا يمكن أن تجد به عيباً؛ لطيف..

وسيم.. ابن عائلة.. أنيق، شخصية لا غبار عليها، يعمل مع والده في شركته الخاصة، مستوى مادي متميز..

مما يعني وعلى حد قول خالتها الكبيرة حورية "عريس لقطعة لا يعوض"

هجوم شن عليها لإقناعها؛ خالتها الكبيرة وأمها وخالتها آمال..

رفضت بدون سبب سوى "لا ترتاح له" حتى استخدمت خالتها آمال ورقتها الراححة هو؛ هشام.. ما أن تحدث معها لدقائق حتى

وافقت، بغضون أسبوع أصبحت حرم خالد الملاح، وتبدلت

الأحوال، بدأت أحلامها المقبضة تسيطر على منامها رويداً

رويداً، حتى صارت كابوسها الدائم، ترنحت قليلاً لثقل الذكرى
فأسرعت لها ميرا تسندها.. ترفع عيونها للسماء تتوسل النسيان..

انطلق جرس الباب مؤذناً بقدوم العريس فهرعت آمال مرددة
لأختها:

-روحي أنتِ لبنتكِ صحتها وخليها تجهز.

استقبل عصام الضيوف موجهاً أيامهم تجاه غرفة الاستقبال
وهتفت هي مرحبة بابتسامة مشرقة:

-اهلاً شريفة ازيك.. وحشتيني

والتفت للشباب المرافق لها:

-مش معقول أنتِ أكيد معتر!!.. بسم الله ما شاء الله، حمد لله
على سلامتك.

وبدخول هشام بدأت التعارف بينهم بابتسامة واسعة وكأن شيئاً
لم يكن حتى ظهرت أحلام بوجه ممتقع وجلست بجوار أختها،
مالت عليها أختها هامسة:

- في ايه؟.. فين يارا؟؟

ابتسمت أحلام تهمس من بين أسنانها مدارية كلماتها قدر
الإمكان:

- مش في اوزتها ومش لاقياها لا هي ولا ميرا.

أغمضت آمال عيونها بغضب وحاولت تدارك الموقف
بمجاملات لضيفها، لكن مع جمود هشام كانت مهمتها صعبة
حتى هتف عصام:

- أنا اعرفك صح؟.. أنت كنت بتلعب في فريق الكورة جامعة
القاهرة، صح؟

التفت له معتر مبتسماً:

- أيوه فعلاً.. أنا كمان كنت بشبه عليك.

اندمجا معاً في حديث عن الكرة وذكريات الجامعة، في حين
كانت شريفة تتساءل بعيونها عن مكان العروس ومع تجاهل
التوأمتين لنظراتها سألتها صريحة معربة عن اشتياقها لرؤية
الفتيات :

-آمال فين البنات يا أحلام؟. وحشوني مش حيسلموا عليا ولا
ايه؟؟

ومع ابتسامة ساخرة على وجه عصام وهدوء هشام علمت أنها قد
حوصرت

-لا ازاي جاين حال.....

ليقاطعها صوت فتح باب المنزل بقوة وصوت صراخ نسائي:
"الحقوا.. الحقوا.. يا ماما يا روكا".

الفصل الثاني

ملح وماء تحكى مكنون الصدور ..
دموع تتلو حكايا القلوب ..
فالدمع شيمة الإحساس ..
ولكل عبرة إحساس مذاق ..
فلدموع اللقاء حلاوة ..
ولدموع الخوف لذوعة ..
أما دموع الفرحة فلذة ..
ولدموع الغضب حرارة ..
ولعبرات الاشتياق حماوة ..
والانكسار دموعه مرارة ..
أما دمع الألم فعلقم معقود ..

دائم حالم

شغيف وورث

وقليل هم من يفقهون مذاق حكايا الدموع !..

دخول ميرا العاصف بصراخها لفت انتباه الجميع، أثار استنكار أمها وفزع خالتها ودهشة الضيفان وانعقاد حاجبا الأخوان ..

ثم يتبدل الاستنكار في لحظة بلهفة اللقاء، فخلفها ظهر زيد بعد غياب أكثر من شهرين بعمله، أخيراً عاد الغائب يطوق أخته يارا بيد وليده الأخرى اندفعت أمه تعانقه، تلثمه أينما أستطاعت، تبعتها خالته وانهمرت الدموع من المقل مع صيحة عصام الفرحة:

- حمدا لله على السلامة.. إيه المفاجأة الحلوة دي..! ما

قولتليش ليه كنت ستقبلتك فى المطار؟ !

رد بابتسامة مشرقة وعيون مشتاقة:

- حبيت أعملها لكم مفاجأة.

ردت خالته آمال بابتسامة مشرقة وهى تبعد يارا لتحتضنه:

- أحلى مفاجأة يا حبيبي نورت بيتك.

التقطت عيناه هشام المقبل عليه بابتسامته الدافئة فاتسعت
ابتسامته هاتفاً:

- إتش واحشني ..

عانقه بصعوبة وأمه وأحلام مازالتا متمسكات بحضنه، أمه
شهقاتها تلجم لسانها، دموعها تروى اشتياقها، تستنشق رائحته
خشية الاستيقاظ على سراب أوهام شوق طال، شدد من احتضانه
لها، يربت على كتفها:

- خلاص يا روكا كفاية كده .

لاحظ لأول مرة وجود وجوه غريبة فنظر حوله متسائلاً:

- هو إحنا عندنا ضيوف ولا إيه؟

أجابته خالته آمال بابتسامته:

- دي مدام شريفة وابنها دكتور معتر

وتعاود التعارف :

- ده زيد أخو يارا.

غمغم زيد بابتسامة هادئة:

- أهلا وسهلا شرفتونا .

تقدم معتر مرحباً به بيد ممدودة:

- حمدا لله على سلامتك .

وحين قدمت شريفة التهئة على سلامته، انتهر معتر الفرصة ليتطلع للفتاتين بنظرة متمهلة مدققة، فيفاجئه ظهر هشام كالطود العازل يسد مجال الرؤية..

بدون كلمة انسحبت الفتاتان للداخل مسرعتان، لا يحتاج لاستنفار ذكائه فوجهيهما المخضبين خير دليل على تلقيهما نظرة تقريع غاضبة من المدعو هشام ..

أكد ظنونه اعتذار أمه الحرج، فلم يفلت من حنكتها نظراته معلنة رغبتها في الرحيل، دعم قرارها، ومع محاولات آمال الهزيمة لإبقائهم، وإصرار أحلام على العشاء سوياً، قابلهم هو بقرار حاسم، فودعتهما آمال مضطرة، ولم تتركهما إلا بعد وعد بزيارة أخرى .

عادت آمال للداخل عابسة:

- يعني ما كانش ينفع حد فيكم يعزم على الناس تقعد!! ينفع كده؟! !

- هما مين دول يا أمولة؟ ومهتمة بيهم كده ليه؟

سؤال ألقاه زيد في هدوء مترقب، نظرت لأختها بتوتر قبل أن تجيب:

- أبداً يا حبيبي ده عريس متقدم ليارا أختك و..

رفع حاجبيه مندهشاً وابتسم نصف ابتسامة مقاطعاً:

- عريس وأنا مش موجود؟ أنتوا إيه!! قولتوا مش راجع وإلا إيه..؟

شهقت أمه بنزع، جسدها اختض برعشة مرتعبة مردفة:

- بعد الشر عليك.. لا يا بني ما تقولش كده، بس هي الظروف جت كده .

ابتسم ابتسامة لم تصل لعينيه، يربت على يدها مماًزحاً:

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

- أنتِ صدقتِ وإلا إيه يا روكا..! أنا بهزر معاكِ .

التفت لعصام يسأله بعتاب:

- وأنت ما قولتليش ليه يعنى قارفنى ليل نهار واتس مش عارف
تقولى؟

مسح عصام على وجهه بكلتا يديه وهو يغمغم:

- الله يخرب عقلك، فضحتنا يا فالح.. استلقى وعدك بقى .

نظرت له آمال وروكا متعجبتين هاتفتين بنفس واحد:

- أنت كنت بتكلمه كل يوم وما قولتش يا عصام؟

خبط عصام على جبينه بكف يده:

- يا خبر أبيض ده أنا نسيت ميعاد مهم جداااااا.. عارف أنت يا

هشام الميعاد ده؟

نظر له هشام ببراءة وابتسامة مستمتعة تتراقص على وجهه:

- لا ما أعرفوش.

-أهو شوفتوا.. قالك عندي ميعاد أهو، يلا سلام عليكم مش عايزين حاجة صح!! حمدا لله على السلامة يا فضحي أشوفك بالليل.

وفى ثوانٍ كان قد اختفى من أمام الجميع ليغرقوا في ضحك متواصل ..

جالساً محتضناً أخته يارا، هاله ما رآه بعيونها فرحة ممتزجة بشجن، عبرات تتسلل لمقلتيها تلمع بفرع مكتوم، ضعف يبغضه، شجن يقتله وكلاهما رفيق لأخته، لا يملك أمامها إلا كفكفة روحها من حلم مغدور، ربت على شعرها في حنو يهمس لها في أذنها:

- ما تقلقيش ما حدش حي جوزك الواد ده.

اتسعت عيناها بابتسامة ممتنة قاطعته ميرا وهى تجلس على يد الصوفا المجاورة له تربت على كتفه:

- جبت اللي قولتك عليه وإلا نسيتنى؟

غمزها بشقاوة:

- عيب عليكِ.. وأنا اقدر أنسى..! حتلاقيه في الشنطة الرمادي
الكبيرة .

أسرعت للحقيبة تتقافز فرحاً كطفلة صغيرة متلهفة لكيس حلوى
فاخر، زجرتها آمال:

- ده وقته!!.. مش لما يرتاح يا بنتي؟! !

وقبل أن ترد عليها ميرا بتعليق لاذع كعادتها قاطعها رنين هاتف
المنزل، غيرت اتجاهها متأففة للرد عليه:

- ألو.. أهلا، الحمد لله أخبارك إيه؟ آه الحمد لله..

نظرت تجاههم ترفع أحد حاجبيها مستنكرة، وأكملت:

- لا والله طووول اليوم!! لا طبعا ثانية واحدة هو هنا أهو .

مدت يدها بسماعة الهاتف بحاجبين مرفوعين وشففتين
مطوطتين:

- خد يا إتش.. تليفون علشانك .

عقد حاجبيه متعجباً وهو ينهض:

-ليّ أنا!!.. مين؟

ضغطت زر كتم الصوت بالهاتف لتغمغم متهكمة:

-واحدة بتقول خطيبتك واسمها سارة .

أخذ منها السماعه، ينظر لها بحنق وأمها تهتف باسمها بسخط،
وهي تزيد مط شفيتها باستنكار،ألغى كتم الصوت يرد بهدوء

قارص:

-أهلا يا سارة إزيك؟

-كده يا هشام!.. أسبوع كامل ما تكلمنيش!؟!

-معلش كنت مشغول..

-طيب والنهاردة مش يوم أجازتك!..

تأفف هشام وهو يغمض عينيه يحاول استلهام الصبر، تململ في
وقفته:

-أنتِ عارفة النهاردة باقضييه مع عيلتى ومش بافتح التليفون
أصلا .

قابلة الصمت في الجهة الأخرى، يكاد يرى فرك أطراف أناملها
لحواجبها المنمقة، سمع صوت ابتلاعها لريقها المتوتر، ردت
بصوت مخنوق بعبرات:

- وهو أنا مش من العيلة علشان تديني خمس دقائق بس تطمئن
عليّ فيهم؟! !

شعور بتأنيب الضمير اكتنفه، حاول تخفيف الأمر وربما اختلاق
عذر:

- آسف يا سارة بس...

صمت لبرهة، شعر بعبراتها تنهمر فألجمت لسانه، أنقذه صوت
زيد العالي مردداً:

- معلى يا سارة سامحيه لسه واصل النهاردة مفاجأة وربكتهم .

غمغمت لهشام بصوت متهدج ترجوه تأكيد:

- بجد يا هشام ده اللي منعك عنى!!

عقد حاجبيه، أصابعه تشد على سماعة الهاتف، يضغط شفثيه
سويًا بين نارين.. أيراضي بكذبة أو يجرح بحقيقة!.. أكثر ما

يكره هو دموع أنثى، صوت أنفاسها الدامعة حسم الموقف فزفر
راداً:

-أيوه طول الاسبوع ضغط شغل والنهاردة زيد وضيوف
...الوقت سرقني .

تنهيدة ارتياح صاحبت همسها الناعم :

-مصدقك .. وحشتنى .

نطقها ممطوطة بغنج لا يستسيغه هو فتنحنح:

-طيب أنا شوية وحافتح موبايلي وأكلمك أوك!؟

تنهدت ببطء:

-أوك.

-سلميلي على طنط وعمى مع السلامة .

ردت بهدوء:

-وأنت سلملى على اللي عندك.. وحمدا لله على سلامة زيد .

أغلق الهاتف، عاد لمكانه، صاحبه صمت الجميع ونظراتهم
المتعجبة، علق زيد كاسراً ذلك الصمت:

-إيه يا بنى!!.. أنت كنت بتكلم خطيبتك وإلا ديليفرى السوبر
ماركت!؟!

عقد هشام حاجبيه محذراً ورد باقتصاب:

-خليك في حالك...

ثم أردف مغيراً الموضوع:

-قولي اتاخرت المرة دي ليه!؟!

فاستجاب له زيد عن طيب خاطر..

انقضى اليوم في صحبة العائد وأقاصيص سفرته الطويلة، وبعد
تعليق أمومي معتاد عن اصفرار وجه ووزن منكمش ووجوب
تناول تلال من الطعام ليطمئن قلبها على تمام صحته، فارقت
أخيراً على مضض وعيونها مازالت تزخر بدموع فرحة اللقاء .

وكما هي عاداتهم عشية عودته يقضيها مع عصام في غرفة هشام،
بيتون سوياً، لا يكون النوم رابعهم بل السهر وحديث بلا انقطاع

حتى انبلاج فجر يوم جديد، مع عودة عصام المتأخرة اجتمع
الثلاثة أخيراً في غرفة هشام.

تبادل عصام مع زيد نظرة جعلت عصام يقلب عيونه لاعلى ويزفر
بنزق مستسلم:

-طيب أنا حاقوم أجيب حاجة نشربها ولا ناكلها وإحنا
سهرانين.. حد عايز حاجة؟

رد زيد متهكماً بابتسامة:

-لا روح وخذ راحتك .

زم شفتيه مغمغماً:

-ماشى رايح أهو.

بعد أن خرج من الغرفة وبدون أن يلتفت هشام عن النافذة التي
استأثرت باهتمامه:

-سربته ليه عايز إيه يا زيد؟

- عايز أعرف مالك يا هشام!.. شكلك مش طبيعي!.. وبلاش كلام الستريو إياه أنت عارف مش حاقتنع..

زفر هشام بقوة، التفت للداخل يجلس على أقرب مقعد:

- عايز إيه بالظبط يا زيد أنا مش مستحمل.

تأهب زيد في جلسته يضيق عينيه:

- ليه بقى في إيه؟!.. ليه مش على طبيعتك وبتضحك بالعافية!!.. وبعدين بدمتك دي مكالمة واحد مع خطيبته اللي حتبقى شريكة حياته؟

رفع له رأسه بنظرة محذرة:

- زيد خليك بره الحوار ده..

وصمت لثوانٍ كأن الحمل قد فاض، ولم يعد في الإمكان كتمان:

- وبعدين مين قالك شريكة حياتي؟

رفع زيد حاجبيه مستفسراً بعجب:

- نعم أو مال إيه؟.. خطبتها ليه؟

أرخی ظهره على مقعده، ينظر له:

- علشان أرتاح .. أرتاح من الإلحاح مش أكثر .

اتسعت عينا زيد مستنكراً وهو يرد:

- إيه اللي أنت بتقوله ده إلحاح ايه؟ .. من إمتي؟ .. طب

البت ..! البنت ذنبها ايه؟

فرك هشام وجهه بيديه بتعب، صاحب كلماته زفير قاسى:

- سنة يا زيد، كل يوم زن، حجج أشكال وألوان، كله لازم يختم

بمقابلة عروسة جديدة، لحد ما في يوم انهارت عيطت ..

رفع عيون متألمة لابن خالته، فقابلته نظرات زيد المندهشة،

أكمل ساخراً:

- تخيل بقى خالتك آمال تعيط بجد!! .. بدموع؟! أنت كبرت،

نفسى أشوف ولادك، طب دي آخر عروسة، تعبت ووافقت...

وتنهد تنهدة قوية قبل أن يكمل :

- قابلت سارة علشان أريحها وخطبتها علشان أريحها، و في الآخر ماحدث فينا مرتاح.

رد عليه زيد وبعينه حيرة وتحذير:

- بس بنات الناس مش مسكن لخالتي ولا لعبة ليك يا هشام..
إحنا عندنا بنات.

هب هشام من مجلسه حانقاً ونبرة صوته تعلو بسخط:

- أنت فاكرني بالعب بيها؟ صدقني أنا حاولت في الأول أتقبلها، أحسها، بس ما ارتحتش، ما حركتنيش، إصرار خالتك خلاني ألتزم بخطوبة، بحافظ عليها على أد ما أقدر، خطوبة في أضييق الحدود، ما فيش خروج ولا مقابلات، ولا تليفونات، أعمل إيه تاني؟

صمت للحظات فغمغم زيد وهو يهز رأسه برفض:

- وآخرتها إيه؟

- أنا مقدر إن عندنا بنات وخايف عليها زيهم لا باوعدها ولا باقرب منها، قولتها إحنا في فترة اختبار يا نرتاح ونكمل يا لأ...
شغيط ورتاح

-ليه؟

نظر له هشام بتعجب:

- هو إيه اللي ليه؟

- ليه مش بتحاول؟ وإزاي فترة اختبار وأنت بعيد اصلاً؟ أنا مش فاهمك.

زفر هشام بضيق وهو يتحرك غاضباً:

- ما أعرفش بقى.. أنا نفسى...

صمت هاجم لسانه وفراغ هاجم عقله، ماذا يخبره؟! هو نفسه لا يفهم ما يدور بداخله قبل أن يردف:

- المهم إن هي فترة كام أسبوع وإلا شهر والموضوع السخيف ده ينتهي.

- وليه مش دلوقت؟

نظر له هشام نظرة طويلة وصمت، أتاه الرد المتهكم الساخر من جهة الباب، عصام العائد بصينية تتراص عليها أكواب عصير:

- ببساطة صاحبك عايزها هي اللي تسيبه، علشان منظرها، كرامتها
 قدام نفسها وقدام الناس طبعاً، الحجة جاهزة واضحة للكل
 جلنّف وسمح، بارد ودمه ثقيل.

هتف هشام بتذمر:

- قفلوا بقى على الموضوع ده، المهم أنت إيه اللي أخرك قوى
 كده السفرية دي؟

رد زيد بتركيز متفادياً عيونهم المتفحصة شاغلاً نفسه بكوب
 العصير:

- لا أبدا شوية مشاكل في الشغل ولخبطة مواعيد مع زمايلي مش
 أكثر.

ضيق هشام عينيه يتأمله، رد عصام وهو يطم شفتيه:

- مش عارف ليه حاسه رد ستيريو.. إوعى تكون عامل مصيبة
 ومكتم؟!..!

ابتسم زيد متهكماً:

-المصايب دي تعملها أنت مش أنا.. صحيح إيه حوار العريس؟!.. مش ده معتر بتاع فريق كورة القاهرة وإلا أنا بيتهألى؟

رد عصام بتفكه وهو يرشف من عصيره بتلذذ:

-أيوووة.. عليك نور.. هو بغلاسته ما أعرفش إنه ابن طنطك شريفة صاحبة التوأمان من النادي إلا النهاردة.

نظرة تجاه الصامت ليجد ملامح وجهه تنبئ بغضبه المستعر المستر فأردف زيد:

-واضح إنكم ما كنتوش عارفين إنه جاي!.. ده تدبير أمولة ده.. مش حركات أمي دي.

رد عصام مقهقهاً:

-طبعاً يا ابني أمك روكا دي غلبانة تتفقس في ثانية، لكن خالتك آمال دي جبارة.

ضحك الثلاثة فعاود زيد الحديث:

-طب رأى يارا إيه؟.. موافقة على الخطوبة؟.. عجبها؟

زمجر هشام بغضب مكتوم:

-خطوبة إيه؟.. ما فيش خطوبة، هي رافضة أصلاً والموضوع منتهي، بس بنريح أمك وخالتك وقفلوا بقى على السيرة دي.

هتف به عصام بحنق وهو يضع كوبه على المنضدة:

-إيه كل ما نتكلم قفلوا قفلوا..! إيه الفصلان ده؟!.. طب أنا حانام أحسن، مش يبقى فزعة يارا إمبراح وغلاسة هشام النهاردة.

-مالها يارا؟! !

سأل زيد هشام بقلق، فرد هشام وهو يرمق عصام بوعيد:

-لا ما فيش جالها الكابوس إمبراح.. قلقها .

سأله بتوتر:

-لا حول ولا قوة إلا بالله تاني؟

هز هشام رأسه بتأكيد فقابله زيد بهزة رأس متفهمة وهو يتنهد، قاطعهما عصام هاتفاً:

- ناموا بقى عندنا شغل والمدير غلس ما بيرحمش ..
لتطوله إحدى الوسائد المقدوفة من يد هشام .

مع أشعة الصباح بدأ نهار منزل عائلة الإدريسي ..
داعبت الشمس وجه زيد، ففتح عيونه الزرقاء باستمتاع، تتسلل
إلى أذنيه أنغام أثيرية مغمسة بدفء يعشقه..

يا حلو صبح يا حلو طل

يا حلو صبح نهارنا فل

عد بضع ثواني في سره، يعد أذنه بدفء مفتقد، ٥..٦ لتف
الذكرى بوعدھا طرقات خفيفة حازمة على باب الغرفة، محملة
بصوت خالته آمال، تدندن مع الأغنية بصوتها الرقيق توقظ
الجميع .

ابتسامة واسعة ارتسمت على وجهه.. فمهما سافر ولف الأقطار،
مستيقظاً على أجمل وأشهر المناظر والألحان، يبقى الاستيقاظ

يا حلو صبح

شغيف وورح

في البيت ذو مذاق خاص، يهدد قلبه، يلون يومه ببريق لا مثيل له ..

ضج المنزل بالحياة، أغاني الراديو القديمة مع شدو خالته بالأجواء، وآه لو اندمجت أمه معها في الغناء، يتبعها الإفطار والبخور.. طقس روكا اليومي؛ تبخير أطفال العائلة فرداً فرداً، تخشى عيون الحاسدين، لذا كانت تلجأ للبخور، ويبدو أن طريقته ناجحة، فهم لم يتفرقوا تقريباً منذ ولادتهم ينظر حوله على المائدة جالساً بينهم بجسده، وعقله يحلق بعيداً لذكريات بعمر سنينهم ..

من قال أننا نكبر ونتبدل هو واهم..! فأمامه أكبر مثال على أننا نظل نحمل سمات طفولتنا معنا حتى نشيخ، ربما تشحذها الأيام، تصقلها الخبرات.. لكننا كما بدأنا دوماً ننتهي..

فها هي الرقة والطيبة مازالت سمة أخته يارا، ذات الوجه الجميل والعيون الزرقاء الصافية، البشرة البيضاء والشعر البني المشرق بخصلات تداعب كتفيها برقة، ذات الثمانية والعشرون ربيعاً،

والجسد الصغير الذي لا يعطيها عمراً أكبر من فتاة في سن الثامنة عشر .

أما الشقاوة والذكاء.. فمن الواضح أن ميرا استأثرت بهما وحدها، فلا يمكن لك أن تنجو من مقابلها ومكرها، لذوعة لسانها أقسى من حد السكين، بعيون كنا نترهن لتحديد لونها وكنا نخسر جميعاً، فلونها يتقلب حسب حالتها المزاجية، برونزية اللون تحمل جسداً مكتنزاً لطالما كان نقطة ضعفها وزنها الممتلئ وهي صغيرة، لكنها حينما نضجت أفادها ذلك حقاً، مع أنها أخرجت عنقود الإدريسى إلا أنها أكثر فتيات العائلة طموحاً، وإلا فكيف استطاعت إقناع هشام بأن تعمل معه في شركته بعدما أنهت الثانوية؟ !..

وبعمر الثانية والعشرين؛ أصبحت المسؤولة عن العلاقات العامة ولها تصميماتها الخاصة، وحسب ما يسمع من عصام فهي ماهرة بعملها..

عصام روح العائلة ذا العيون العسلية التي ورثها من أبيه، المرح منذ صغره، عاشق الضحك، خفة دمه معدية، الناصح الأمين عند

الحاجة، لا يتذكر أنه رآه باكيًا أو حزينًا إلا يوم وفاة والده لسويغات، ثم تولى أخته ميرا بالعناية..

وانشغل من لبس ثوب كبير العائلة هشام بأمور الكبار، مع أنه لم يكن أكبر من عصام إلا بسنتان ..

زم زيد شفتيه يتأمله كبر قبل أوانه بالفعل، فهو لا يتذكره إلا كهشام الناضج العاقل الذي يقدر كلماته، لا عبث.. لا مرح، إلا.. إذا كان بصحبتهم، وحين تعلقت المسؤولية بكتفيه صار خشناً معهم ..

هي فقط من تستطيع التسلل إليه.. يارا، صحيح أننا كلنا نستطيع أن نفهم بعضنا بسهولة، لكن رابطة هشام بيارا مختلفة فمنذ صغرهما وهشام عين نفسه حارسها الخاص، كانت لا خروج ولا لعب إلا برفقته، حتى لو أرادت شراء حلوى فهشام من سيصطحبها ..

لا ترى يارا بدون هشام، لطالما ظن زيد أنه لولا انهم أخوة بالرضاعة لانتهى الاثنان سوياً حتماً لا جدال ..

تنهد زيد تنهيدة عميقة وهو ينظر لأخته يارا، لا يعلم ما الذي كان سيحصل لها لو لم يظهر هشام بالوقت المناسب!!.. تذكر بأن عليه مخاطبة يارا فكفى إهداراً لعمرها وشبابها.

أفاق من شروده على وكزة من مرفق عصام ينبهه لتحية هشام المغادر:

- قدامكم خمس دقائق، انجزوا ورانا يوم طويل ومهم.

فاجئه منظر ميرا وهي تحاول وضع أكبر عدد من اللقيمات في فمها منهيّة إفطارها على عجلة، تحاول الإسراع لتلحق بهشام، ضحك حتى أدمعت عيناه على منظرها:

- إيه اللي أنتِ بتعمليه في نفسك ده!!.. نفسى أفهم أنتِ إزاي مش معدية الـ ١٠٠ كيلو يا بنتى على كل الأكل ده؟! !

نظرت له ميرا بغیظ وهي تحاول أن تبتلع ما بفمها لترد عليه رداً لاذعاً يستحقه:

- مالکش دعوة.. باشتغل وباتعب وبعدين إيه؟!.. هو أنت جاي أجازة مخصوص علشان تحسب عليا الاكل !!

رأيتك عالم

شغيب وورينه

أثار غيظها وهو مستمر في ضحكه، فرمقته بنظرة يعلمها جيداً،
نظرة يجتنبها الجميع، فتوقف عن الضحك فوراً :

-حتملى إيه؟!.. أنا كنت باهزر معاك.. وبعدين أنا خايف
عليك.

رفعت منديلها تمسح فمها، ثم رفعت حاجبها الأنيق لأعلى وهي
تنادي:

-ماما.. روكا، أنا ماشية عايزين حاجة مني!!

ردت روكا من خلف مبخرتها وهي تقبلها:

-لا يا حبيبتى.. خلى بالك من نفسك.

وهتفت بها آمال:

-آه.. جيبى أخوكِ معاكِ ما تسبيهوش ينسى نفسه في الشغل.

هي مازالت ناظرة لزيد تعده وهي لا تخلف وعداً قط، هو
متوجس شراً فتلك النظرة من ميرا لا تنبئ بخير أبداً ..

-أنا لو منك أهرب بسرعة الصاروخ.. سلام

قالها عصام وهو يخرج من المنزل ..

دقائق وحضر انتقامها اللاذع، مجسداً في لبني وهايدي بنات
الجارة الأرملة القاطنة أسفلهم، يضعونه تحت أعينهم منذ
انتقالهم هنا وهو يعلم..

"آه الماكرة!!.. لم يكديهنأ بيضع ساعات من راحة حتى أرسلت
له سرب الطنانات"

حاول الهروب سريعاً ولكنهما تحلقتا حوله وبدأ الطنين.

استيقظ معتر على رائحة فطور شهى، يعلم أن أمه شريفة هانم
تجهزه له بشكل خاص، فها هي الفطائر والقهوة والعصائر منمقة
بعناية خمس نجوم على مائدة التراس، تنتظره بأناقته المعتادة
..

تناول إفطاره ووجدها صامته بشكل مشير للدهشة :

- مالك يا ماما ساكتة كده ليه خير؟

- لا أبداً يا حبيبي مش ساكتة ولا حاجة.

ابتسم معتر وصارحها:

- أنتِ لسه متضايقه من موقف إمبراح !!

توتر وجهها وبدأ اللون الأحمر يغزوه، فعلم أنه أصاب كبد الحقيقة :

- أنا آسفة يا حبيبي على اللي حصل.. بس أنا ليّ كلام تاني مع آمال .

ضحك معتر بملء فمه.. نظرت له أمه متعجبة :

- أنت بتضحك على إيه؟

- أبدأ.. بس أصله كان موقف لطيف .

- أنت بتهزري يا معتر؟! .. إزاي يعنى؟

ارتشف قليلاً من قهوته قبل أن يحثها بنبرة مبتسمة:

- يا ماما بصي للنص المليون.. أنا قدرت أشوف البنتين على طبيعتهم، بدون مكياج ولا رتوش ..

ثم اعتدل وأكمل بجدية :

- بس مش ملاحظة واخدين على بعض بزيادة شوية، فرى حبتين على تربية مقفلة زي ما بتقولي !!..

تنهدت شريفة وهي ترتشف فنجان قهوتها :

- لا يا حبيبي مش فرى ولا حاجة.. هما أخوات في الرضاعة، الظروف حكمت إنهم يعيشوا سوا فتلاقيهم واخدين على بعض.

عقد شريف حاجبيه:

- إزاي يعنى يبقى كلهم إخوات في الرضاعة لبعض؟!!

أشاحت أمه بيدها:

- ما أعرفش بالضبط بس لو مهتم أسالك !!..

- امممممممم.. لا ما تسألش ..

نظر لها بنصف عين، مبتسماً بمداعبة ومكماً:

- وأنتِ كنتِ حاطة عينك على مين بقى فيهم ليّ .

ترددت قليلاً ثم قالت:

- الصراحة يارا البيضاء اللي شعرها بنى ..

نظرت له تحاول سبر أغواره، ولم تنجح باكتشاف موافقته أو رفضه لاختيارها.. سألتها:

-اشمعي يارا؟

أردفت بابتسامة حذرة:

- هادئة ومطبعة.. من يوم ما اتخرجت تقريباً ما بتشوفش الشارع إلا مع حد من إخواتها أو مامتها، طول وقتها في البيت، ست بيت ممتازة، جميلة.. سنها مناسب ومش باين عليها و...

صمت متلعثمة، انتظرها معتر لتكمل عبارتها حائثاً إياها بهزة من يده.. فأردفت بخفوت:

- ومطلقة زيك .

صمت يفكر بموضوعية، فهو رأى الاثنتان والحق يقال جميلتان فعلاً، لكن قلبه لم ينجذب لأي واحدة فيهما، مازال قلبه غر ولم تدر عقله إحداهما ..

مرت ذكرى تلك السمرء بعقله فهز رأسه بحدة، ينفي ذكراها من خلاياه، كما قالت أمه هو يحتاج لأن يستقر، يكون حياة لا وهم

وخيالات، مواصفات يارا تبدو مناسبة، ولن يضره ان يحاول رؤيتها مرة اخرى.

حدثته أمه بصوت متخوف:

-مالك سكت ليه؟.. رأيك إيه؟

ربت على كتفها وهو ينهض مستعداً للمغادرة، قبل يدها وهو يغمغم:

-حددي ميعاد تاني أقابلها فيه.. بس المرة دي عايز أضمن أقعد وأتكلم معاها.. يا إما تنسى الموضوع ده خالص، اتفقنا!!
ابتسمت أمه بفرح:

-اتفقنا

انتظرت خروجه لتسرع للهاتف تحادث آمال ممثلة بعزيمة لا يفلها الحديد .

اجتماع بداية الاسبوع المعتاد بشركة الإدريسي للدعاية والاعلان ..

اليوم كان مختلفاً، تكثيف أوامر العمل لكل رؤساء الأقسام، مطالبة جميع المصممين بالانتهاء من الحملات بأقصى سرعة، هشام كان عبارة عن جرعة نشاط مركزة يوجه هذا وذاك، تجاربه ميرا في حين يبدو للناظر أن عصام فاقد للتركيز، لكن عند سؤاله والأخذ برايه يظهر في كامل تركيزه ..

لذا انتهى الاجتماع بفعالية، وبتنهيدة راحة كبيرة من هشام نظر لإخوته:

- دلوقتِ نأخذ بريك ونجهز لاجتماع مجموعة الحديدى..
الساعة ١١ حنتحرك وعصام!...

التفت له عصام رافعاً حاجبيه باستفسار فأكمل:

- بطل سمرمحة في الشركة ونام لك شوية لحد ما نتحرك، مش حتروح تتأوب لهم في الاجتماع، الحملة دي لو خدناها حتبقى نقلة من نوع مختلف، عايز إبهار ..

التفت لميرا سائلاً:

- جاهزة بأفكارك

غمزت له مبتسمة :

- عيب يا إتش كله تحت السيطرة.

تفرق كلا منهم لمكتبه، رفع هشام هاتفه يقوم باتصاله الصباحي المعتاد، قطب جبينه فالهاتف مشغول، اتصل بهاتفها المحمول مغلق، اضطر للاهتمام بالعمل والتزاماته بمزاج متعكر تعلمه سكرتيرته جيداً وتتحاشاه كالطاعون.

وصلوا مجموعة شركات الحديدي، صرح عملاق قلباً وقالباً.. نجاحهم في نيل عقدهم سيعد قفزة نوعية، يختصر من مشوار شركتهم الكثير.

لكزت ميرا عصام ليقفل فاهه المفتوح انبهاراً بالشركة وضخامتها، أما هشام فوجهه جاد صارم مصمت بلا تعبير، وهي لا تهمها المظاهر فهي عن تجربة دوماً خادعة..

وصلوا طابق الإدارة مبكرين بضع دقائق، استغلتها ميرا مسرعة
 لحمام السيدات، تقف أمام المرأة تتنفس بعمق، تنثر الماء على
 وجهها، متوترة.. الخطوة كبيرة إن لم تكن عملاقة، وهي من
 ستحدث ..

ترغب في الهرب لركنها الخاص بالمتزل، تتلمس كوبها الدافئ،
 صنعة يديها.. ترشف ما به في اطمئنان، لكن ثقة أخيها فيها
 تقيدها، ستفعلها من أجله.. وكم من مرة أبدعت!.. ضغطت على
 نفسها!.. فقط لتلمح نظرة افتخاره بها.

عدلت هندامها ومكياجها، أسرع بالخروج كي لا تتأخر،
 اضطرت أن تحد من سرعتها فأمامها اثنان شاب وفتاة يتحادثان،
 الفتاة مأسورة هائمة بسحره، وهو يأخذ كل وقته في اللعب
 بأنوثتها مستخدماً عتاده، نبراته ولمساته وكلماته ..

يسدان الممر الضيق يتهاديان كأنهما على شاطئ البحر وليس في
 شركة محترمة!!.. تعد للعشرة عليها تكبح لسانها، لكن ضحكة
 الفتاة الأخيرة مع رفرقة رموشها؛ أفلتت عقال لسانها، هي ستصنع

رأيتك عالم

شغيف وورث

بها معروفاً لوجه الله لا أكثر، دست يديها بينهما تزيحهما من طريقها، تفرعهما بلسانها:

-اللى أنتوا بتعملوه ده مكانه مش هنا.. شوفولكم حته ضلمة على الكورنيش أو اطلعوا المقطم وإلا خدولكم أوضة في أوتيل!.. مش ناقصة نحنحة وسهوكه أصلها.. في ناس هنا جاية تشتغل .

ألقت ما في جعبتها من ردم واختفت غير واعية لأثر ركام ردمها..

وصلت في اللحظة التي بدأ أخويها فيها الدخول من باب غرفة الاجتماعات، ظل هشام واقفاً بفتحة الباب منتظراً أن تدخل قبله وهو يناولها ملفاتها هامساً:

-اهدي واسترخي..

دخلت مبتسمة.. من غير أخيها الاكبر يقرأها من نظرة!!.. وجدوا رجلين في استقبالهم، وقف الأول.. شاباً مهنماً وسيماً معروفاً بنفسه:

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتحت

- أهلا أنا باسل الشافعي المدير التنفيذي للمجموعة ..

وأشار للرجل الآخر.. وقور في خمسيناته، بالأستاذ شوقي مسؤول الشؤون القانونية.. رد هشام بلهجة واثقة:

- هشام الإدريسي.. ميرا منصور مسؤولة العلاقات العامة.. عصام الإدريسي المسؤول التنفيذي.

جلسوا وبابتسامة اعتذر باسل:

- آسف بس ثوانى وإياد الحديدي سيكون موجود بنفسه لحضور الاجتماع ..

توتر تصاعد بمعدتها.. إذاً فرئيس المجموعة شخصياً سيتواجد!!.. لا يهم طالما عيونها على هشام ستبدع وتتألق وتبهر الجميع، هو بوصلة نجاحها التي لا تخطئ.

ثوانى امتدت لدقائق قضاها عصام في تجاذب أطراف الحديث مع المدعو باسل، ميرا ممتنة لتلك الدقائق قضتها تراجع أوراقها كالمقبل على اختبار مصيري، وهشام يشارك بالقليل في الحديث والأكثر يتأمل برصانة وجوه المتحدثين ..

رائحة عالم

شغيف ووردة

الرجلان ينظران لبعضهما بقلق، فالدقائق أتمت نصف ساعة ولم يظهر، محاولات من باسل للوصول لرئيس المجموعة على هاتف مكتبه وهاتفه الخاص باءت بالفشل، حتى فتح الباب بآخر القاعة خلف الجالسين ليظهر شخصاً يرتدى بنطالاً من الدنيم الأزرق وقميصاً رياضياً أسود اللون، يتقدم لرأس القاعة تتبعه شقراء، التفتت يواجههم مقدماً نفسه وهو يستدير لرؤية الحضور:

- آسف على التأخير.. إياد الحديدي .

صاحب كلماته شهقة أنثوية بل اثنتان؛ وجه مندهش وآخر في قمة الغليان !..

الفصل الثالث

الغضب فن يتقنه القليل..

فميقات النفث والكتمان يتطلب حذاقة..

إن أردت أن توصم بعار؛ فانفثه وأنت ناثر..

وإن أردت الثأر والقصاص؛ فاطوه لميعاده..

قيل في الأثر: العاقل غضبه في فعله..

والجاهل غضبه في قوله..

وإن هي تملك القول..!!

فإتقان الفعل فنه الخاص..

اجتماع على صفيح ساخن، وجه رئيس المجموعة برمتها مكفهر
كسماء تنذر بعاصفة هوجاء، السكرتيرة الشقراء محمرة العينين
والأنف والوجنتين.. تبدو على وشك الإجهاش بالبكاء، باسل
متعجب من منظر رئيسه وهشام لا يقل عنه عجباً.. لكن شهقة
ميرا الخافتة وقضمها لشفتيها بذنب يجهله؛ هو ما يشغل باله.

الصمت ساد لدقائق غريبة، قطعها باسل بتقديم الجلوس لإياد
كشركة الإدريسي للدعاية.. جلس بشموخ مضيقاً عينيه رافعاً أحد
حاجبيه:

-اتفضلوا متشوق جداً أسمع عرضكم.

ثانيتان.. شد هشام على يد ميرا بعرض خفي أن يتولى عنها
المسؤولية، هي مرتبكة وهو قلق، عرض بلمسة على يدها أن يقوم
بدلاً منها وردها كان فعل..

قامت تقدم لكل منهم نسخة مطبوعة عن الأفكار، بدأت في
الشرح تنظر للجميع إلا هو، بوصلة تركيزها عين هشام ومؤشر
نجاحها ابتسامة عصام..

رأيتك دائماً

تخفيف وزنه

نصف ساعة تتحدث بتركيز ولباقة، تدعو بسرها ألا يكلفهم لسانها فرصة العمر..!

هو ممتعض ينوى الإطاحة بهم جميعاً، سيلهو قليلاً، يرفع آمالهم للسحاب ليغلق أبواب النجاح في وجههم ولن يبالي ..

نحنحة ضميره: "ما ذنب صاحب الشركة الطموح؟" ..!

فيكم ضميره بأن جرمه في اختيار سليطة اللسان ممثلاً له، هو اختار فليتجرع مر اختياره.

الحمقاء لم تكن هوجاءً بالقول فقط بل بالفعل أيضاً، بحركتها الخرقاء سكبت القهوة على ملابسه، مما اضطره لاستبدالها بملابس عادة يرتديها بعد تريضه الصباحي بالنادي..

هو إياد الحديدي يذهب لاجتماع عمل بجينز وقميص بولو رياضي، لو رآه أباه الآن لثارت زوابعه ..!!

يسمع صوتها فيتوهج غضبه أكثر، الامتناع عن النظر إليها يساعده في السيطرة على غضبه، وكلما مرت الدقائق تراجع عن قراره بالإطاحة بهم، تتسلل لخلايا عقله كلمات وأفكار تجبره

رأه أباه

تخفيف وزنه

على إعادة التفكير، الروح بالتصميمات المطروحة تجبره على الانتباه، صحيح أن ما يراه أمامه من مسيرتهم العملية صغير ولكنه قوي واثق.. جريء مثلها.

ما أن انتهت من الحديث أخيراً، تناهي لمسامعه صوت باسل يثني على طريقة عرضها باستحسان، وابتسامة مشجعة فخورة من مرافقيها؛ يبدو أنها أنثى لا تضيع وقتها!..

تشق طريقها بسحر الرجال وسلاطة كلماتها، تدل على خبرة لا يستهان بها، نظرة صديقه المنبهرة بها تغيظه، أحرق صديقه فلا يعلم أي سم يختفي تحت لسانها!..!!

نظرات ساندي الملتهبة ستقتلها حتماً، فما تلفظت به ليس بالهين حتى لمتحررة مثل ساندي، بدأت المناقشات حول الشروط والإمكانيات، حاول بكل طاقته إقناع عقله بالثغرات، فغريزته تنبئه أنهم الاختيار المناسب وغضبه يأبى الاتفاق..

لفت انتباهه تناغم وانسجام وربما احترام ومؤازرة؛ تنضح من فريق عملهم يجول بنظراته على وجوههم، اصطدمت عيونه بعيونها.. وحيرة طافت بعقله، لم يعرف كيف يصف لونها!..!!

فهو يكاد يقسم أن لونها في بداية الاجتماع كان أزرقاً، لكن الآن تبدو رمادية تلمع بشكل غريب، نظراتها تتحداه.. بصفاقة تستفزه .. بجراءة، لا تعلم أنها دخلت ملعبه برضاها وعليها تحمل العواقب..

قاطع الجميع فجأة:

- آسف يا جماعة.. وقتي خلص للأسف، لولا التأخير السخيف اللي حصل؛ كنا اتكلمنا أكثر، خاصة إني شايف عرضكم مشير للاهتمام لو أخذ وقته، حنرد على عرضكم قريب..

ألقي كلماته مغلقاً ملف عرضهم ليتناول أمامهم ملفاً يحمل اسم الشركة المتحدة، حرج اكتنفهم وهم ينصرفون، لم تفوته سهام الغضب المسمومة من سليطة اللسان..

بعدها خرجوا من الغرفة التفت باسل لإياد بتعجب:

- مالك يا إياد!!.. نهيت الاجتماع فجأة ليه؟

رفع إياد عيون باردة لصديقه دون رد، غمغم لساندي ببعض الأوامر فهرعت لتنفيذها.. أردف باسل مماًزحاً:

- بس ايه ده؟!.. جيتز وتي شيرت بولو!!.. آه لو عبد العزيز بيه شافك؛ رد فعله كان حيبقى فضيحة الموسم.

اكتفى إياد بابتسامة هازئة كرد، فأكمل باسل:

- لا ما أنا لازم أفهم في إيه؟!.. وساندي مالها؟!.. وشها ضارب فراولة كده ليه!؟!

رد إياد ببساطة:

- اتهزأت..

هز باسل رأسه بحيرة:

- يعنى إيه!!.. مش فاهم .

زم إياد شفتيه وهو يقلب في الأوراق أمامه باهتمام:

- مش لازم.. خلينا في الشغل، إيه رأيك في عرضهم؟

تنهد وهو يعود للملف المطروح أمامه:

- بص هو العرض كويس؛ بس يعتبر تاني أفضل عرض اتقدم لينا.

التفت إياد للأستاذ شوقي:

- وحضرتك يا متر.. شايف ايه؟

تنحني الأستاذ شوقي:

- والله يا إياد بيه.. أنا شايف إن عرض الشركة المتحدة أفضل من ناحية الأسعار وموافقتهم على الشروط، ومن ناحية ثانية تاريخهم في السوق قصير، هل حيقوا قد مسؤولية شغل مجموعة زي مجموعة الحديدي؟ ..

صمت لبرهة قبل أن يكمل:

- بس الولاد دول فيهم ميزة مهمة؛ شباب ودم جديد وطاقة جديدة.. مشهورين بالإتقان والإبداع، كل التوصيات من اللي اتعاملوا معاهم مبشرة، ويمكن ده اللي تكون المجموعة في حاجة اليه الفترة دي، ده رأيي وطبعاً القرار في الآخر ليك.

هز إياد رأسه مغمماً:

- أنا قولت كده برضه.. عموماً القرار حيعلن في خلال يومين، متشكر ليكم.. كده خلصنا اجتماعات النهاردة، اتفضلوا.

بدأوا في الخروج، فهتف بباسل:

- باسل التحريات عن الشركة دي وصلت وإلا لسه؟

التفت له باسل:

- كل التحريات حتكون بكرة على مكتبك.. ما تقلقش.

صمت يتلاعب بقلمه الذهبي بين سبابته ووسطاه مضيقاً عينيه،
فسأله باسل مضيقاً عينيه هو الآخر:

- إياد أنت في حاجة مضايقاك؟!

رفع عيونه لصديقه بنظرة تحمل الكثير تتمنى البوح.. لكن الغلبة
كانت للسانه الصامت، لذا لم يظفر منه ولو بالقليل.

أخيراً عاد لمكتبه، فشلت كل محاولاته هو وعصام لمعرفة سر
شهقة ميرا عند رؤيتها إياد الحديدي!!.. تبريرها واهي.. ماذا إن
ظنته كبير السن وفاجئها أنه شاب؟!.. هي ليست بفتاة غرة ..

تفكيره مشوش حائر، حركات إياد الغاضبة، توتر جسده الناضح من حركاته أقلقه، الاهتمام الذي لمحه بنظراته أثار حيرته، تركيزه وهو يتصفح عرضهم رفع أماله، ونهاية الاجتماع دمرت توقعاته .. تنهد بضيق مختنق، وجد يده بدون تفكير تتجه لهاتفه، يتصل من جديد وأخيراً أجابت، راحة اكتنفته حين سماعه صوتها:

- ألو إتش.. إزيك؟! .. أخبار اجتماعك المهم إيه؟

رد وابتسامة ترتسم على محياه تنافي لهجته العاتبة:

- لسه فاكرة يا بنتي!!.. تليفونك كان مقفول ليه؟

- معلش كان فاصل شحن وانشغلت، أصل كان عندنا هجوم تتاري على الصبح، أو على رأيه سرب النحللات الطنانة شرف البيت..

اتسعت ابتسامة هشام وسرعان ما تحولت لضحكة عالية:

- هو لحق!!.. وعرفوا منين إنه رجع؟!!

- لا السرب المرة دي يحمل توقيع ميرا هانم.

- أكيد عمل حاجة؟!.. لحق ينكشها!..
- اتريق عليها وهي بتأكل فا بووم ضربة تحت الحزام.
- تشاركنا الضحك سوياً قبل أن يسألها:
- أخبارك ايه؟
- الحمد لله تمام.
- يعني ما فيش كوابيس خالص!!
- تَو تَو تَو.. لا تقلق.
- طيب طمنتيني عليك.. أسيبك للسرب اللي عندك وأروح أشوف شغلي، عايزه حاجة؟
- ميرسي.. خلى بالك من نفسك يا إتش.
- وأنتِ كمان يا يارا.. ما تخليش تليفونك يقفل تاني.
- عاد لعمله يراجع باقي الأوراق، العمل مضغوط بناءً على تعليماته، مرت به الساعات منشغلاً كلياً، شعور بتيبس اوصاله داهمه، منهك هو حد السقوط، حاول فرد جسده على كرسية

مغمضاً عينيه، يريح جسده وعقله يأبى، يحاول فك طلاسم
اجتماعه الغريب صباحاً ..

فجأة رائحة عطرة لذيدة اقتحمت خلوة أفكاره، أيادي ناعمة
تلمس جفونه المغلقة برقة، لمسات تبثه راحة يحتاجها صاحبها
همس بصوت مغري، أنفاس دافئة تداعب أذنه بحميمية:

- أنا مين؟!!

وجد نفسه ينتفض واقفاً نازعاً تلك الأيدي الناعمة من فوق
عينيه.. يستدير هاتفاً:

- ساااارة!!

وجدها برقتها وابتسامه خجولة على شفيتها ذات اللون الوردية:

- سيكون مين غيري يعنى؟!.. قلت ما بتسألش أسال أنا.

صمت دون تعقيب، دقائق يحتاجها ليستوعب ليفهم.. تخبط،
حيرة، نبضات قلبه تتواثب.. وجد نفسه يسألها دون تفكير:

- أنتِ دخلتِ إزاي؟

نظرت له مندهشة من سؤاله، رفعت حواجبها بأستنكار غير منطوق، "أحقاً ما يقوله!!!" غمغمت:

- من الباب.. سكرتيرتك دخلتني .

وصمتت متوجهه لأحد المقاعد أمام مكتبه، جلست بثقل وشعور بالإحباط يتعاظم داخلها .. أو ربما خيبة أمل، أردفت بلوم:

- هي دي وحشتيني؟

عدل هشام من وضع مقعده جالساً فوقه، ينظر لها لا يعلم بمَ يجيب!!.. سألها متشاغلاً عن النظر إليها بتصفح أوراقه دون تركيز:

- آسف.. ما قصدتش طبعاً، نورتِ المكتب.. تحبي تشربي إيه؟

والنبرة ناقضت القول، نظرت له بعيون عاتبة:

- مش مهم.. واضح إنني عطلتك!..

صمت لم يرد، مطيلاً النظر للملفات أمامه عليها ترشده مخرج أنيق.

أيتجاهلها!!.. لم يعقب، لم يعترض، لا رد ولا حتى مجاملة
لمشاعرها ..

إذا هي فعلاً دخيلة على يومه، متطفلة على أفكاره، ثقيلة على
قلبه ..

ومع الفكرة الاخيرة دق سهم الالم قلبها

"يا إلهي هل هناك خيبات أمل أخرى لم يذيقني إياها ..!!"

ريقها جف، احمرار وجنتيها أنبأ عن احراجها الجم، غبية لم
أتيت!!.. إهانة جديدة تنضم لسابقاتها وهي لا تتعلم.. شعرت
بالدموع تتجمع في مقلتيها، تهدد بانهايار جارف لكرامتها أمامه،
قررت الانسحاب أو الهروب لا يهم أيهما مادام الانهايار سيكون
بعيداً عن عينيه:

- أنا لازم أمشي.. أنا أصلاً كنت معدية من جنب الشركة؛ قوت
أطمئن عليك.. عن إذنك.

قامت مسرعة.. مازال لا رد، لا كلمات نافية تجبر خاطرها، لا
توسلات تسترضيها!!.. وهي مازالت تنتظر منه أي شيء، لم قلبي

رأيتك عالم

شغيف وورث

يوجعني بتلك الطريقة؟!.. لمَ تشعر بضيق أنفاسها؟!.. سمعته
يهتف بها أخيراً:

-سارة..

لم تلتفت له، ظلت واقفة يدها على مقبض الباب، دموعها
تحارب للانهيار، وهي تستنزف كل ما بها من إرادة، تمنعهم من
هدر فوات كرامتها أمامه، سمعته يردف بلهجة معتذرة:

-معلش.. أنا فعلا عندي شغل كثير ومهم شاغلني الأيام دي.

ردت بهزة رأس لا معنى لها، لم تستطع التفوه بحرف، حرف
واحد فقط وستصرخ باكية من ظلمه لقلبها.. من قسوته الجارحة
لأنوثتها، كأنما شعر بما يعتمل بها فأردف:

-آسف يا سارة كنت حاكلمك.

وجدت نفسها تغمض عيونها، دموعها أخيراً خانتها منهمرة
بصمت، ردت بصوت مختنق:

-أنا اللي آسفة.. جيت من غير ميعاد، عن إذنك.

فتحت الباب وخرجت، تركت لدموعها العنان.. تسابق عبراتها
خطوات قدميها، تجرى، تهرب، تفر!!.. لا فارق..

هي ترغب في معتزل، مكان مغلق تذرف فيه دموع كرامتها،
تنصت لأنين قلبها الجريح بصمت ووحدها، لن تستطيع الصمود
حتى سيارتها فاتجعت لأقرب حمام للسيدات، تاركة لمشاعرها
الجريحة العنان..

تركته هاربة وسحبت معها هواء الغرفة فهو يشعر بالاختناق، يزفر
بقوة، يخبط بكفيه على جانبي رأسه، ..

لا يعلم ما أصابه ..!!

لمساتها وصوتها ورائحتها أصابت وترأ داخل قلبه، موقظة
أحاسيسه كرجل، لكن بمجرد أن عرف من هي من نبرة صوتها
أصابه النفور والتبلد، لا يعلم لماذا لا يشعر تجاهها بأي
مشاعر..!!

سارة فاتنة رقيقة زاخرة بالمشاعر، يعلم أنها قد ضغطت كثيراً على كرامتها لتأتي إليه بنفسها حتى مكتبه، لكن وآه من ثلاثة أحرف تصب الألم في القلوب..

أرجع رأسه للخلف، يتذكر يوم وافق على الخطبة.. كان لديه أمل أن تأسر تلك الفاتنة قلبه، حسناء بخصلات بنية وبشرة نقية مشوبة بحمرة محببة، عيون عسلية بلمعة دافئة مهلكة، وافق أمه على خطبة سارة؛ ليس فقط كما يدعي طلباً للراحة من الإلحاح، ولكن كان يطمح في أمل أن تحتل قلبه ففشلت بجدارة.

والآن هو يعلم أنه جرحها اليوم جرحاً نافذاً لا علاج له، مسح على وجهه بحنق.. لقد فاجأته، لم يكن مستعداً لها، هو لم يخطط لجرحها أبداً.. وربما يكون ما حدث للأفضل على النهاية تلوح أخيراً، نهاية مؤلمة ولكنها تظل نهاية..

رفع نظراته متفاجئاً بميرا واقفة أمام مكتبه غاضبة:

- عايزة إيه يا ميرا دلوقتِ؟! .. أنا مش فايق لك.

- سارة مالها يا هشام؟

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

خفض هشام عيونه خجلاً مجيباً بسؤال:

- أنتِ شوفتيها؟

هتفت فيه حانقة وهي تجلس أمامه:

- شوفتها!!.. وهو مين ما شافهاش في الشركة؟!.. البنت بتعيط ومنهارة.

رفع عيون محملة بالندم والضيق لأخته يردد:

- بتعيط!!..

- أنا عايزة أفهم دلوقتِ البنت مالها؟!.. أنا لما سهام جات قالتلي؛ ما صدقتش.. روح الحمام أشوفها، ما لحقتهاش.. شوفتها من شباك مكتبي شكلها صعب جداً.

هب هشام فجأة من خلف مكتبه وخرج أمام عيون أخته المندهشة، ظنت أنه سيغادر ويلحق بها، لكنها سمعت صوته من الخارج يطلق حممه في سهام السكرتيرة:

- أنتِ يا هانم.. تقومي تلمي حاجتك حالياً وألاقي استقالتك على مكتبي فوراً.

وقفت الفتاة متجلججه خائفة من صوته وانفعاله مصدومة:

- ليه بس يا باشمهندس!!.. أنا صدر مني حاجة غلط؟

مال عليها بقوة صارخاً فيها:

- حاجة غلط؟!.. وأنتِ في إيه بتعمليه صح يا هانم؟!.. تدخلني
ناس عليّ بدون ما أذن لك بكده.. وكمان بتتصنتي وتنقلي
الأخبار في الشركة!..

وجد ميلا تشده من يده تحاول تهدئته، وحين فشلت وقفت أمامه
تهتف فيه:

- هشام كفاية كده.. البنت مالهاش ذنب، هي ما أجرمتش.. دي
دخلت خطيبتك.. خطيبتك يا هشام!!..

نطقها ضاغطة على حروف جملتها ترغب في تنبيهه فتركهما
عائداً للمكتب عاصفاً.. زفرت ميلا بحنق وربت على كتف
سهام مغممة:

- ما تزعليش.. قومي اغسلي وشك وخلي بالك من شغلك أكثر
من كده ماشي!!..

كانت الفتاة تبكي بانهيار، أول مرة يعاملها بتلك القسوة!!
نظرت لها باكية:

-والله يا أنسة ميرا قولتلها استني وهي دخلت.. قالتلي إنها
خطيبته مش حد غريب وعاملاله مفاجأة.

فربت ميرا على كتفها متممة:

-أنا عارفة.. بس برضه خلى بالك من شغلك.. قومي يلا روحي
الحمام، و خدى باقي اليوم أجازة.

-بس...

-ما بسش ولا حاجة.. روحي.

تركتها وعادت لمكتبها.. فمحاولة التحدث مع هشام في مزاجه
الحالي؛ تعتبر ضرباً من الجنون الصرف.

أنهت المكالمة مع هشام شاردة.. لمَ كلما اقترب منها عريس
حلمت بكابوسها المزعج؟!.. أيكون السبب كما قالت خالتها

رأيتك دائماً

شغيب وورع

حورية؛ عمل سفلي لوقف الحال!!.. هزت رأسها مستغفرة ربها،
ليس منطقيًا.. فالعمل لم يجعل من خالد وضيعًا وسافلًا.

- يارا روحِ لحد فين؟!!

- لا أبدا يا زيد.. ما أنا معاكم أهو.

- طب تعالي.. عايزك في التراس شوية.

- خير يا زيدو؟!.. عايز إيه؟

ردت مبتسمة.. فرد ضاحكاً:

- يااه زيدو!!.. تصدقي بقى لي كثير قوى ما سمعتهاش منك..
من أيام البيت القديم.

تنهدت بابتسامة:

- كانت أحلى أيام في عمرنا..

- مين قال؟!!

- مين قال إيه؟!.. مش فاهمة؟

- مين قال إن دي أحلى أيام في عمرنا؟!.. ليه عندك كام سنة
 علشان تقولي أحلى أيام؟!.. لسه الأحلى في حياتك ماجاش
 صدقيني، مهما كانت المشاكل اللي قابلتها أنتِ في نعمة كبيرة.
 نظرت لأخيها متعجبة من كلامه وهو يردف:

-أنتِ جميلة وصغيرة وبصحتك.. كفاية قوي، ضيعتِ على
 الزفت ده تسع سنين من حياتك.. كده كتير قوووي، صدقيني
 مش حاسم لك بأكثر من كده.

شحب وجه يارا وارتعش جسدها، فتشبثت يدها بحافة الشرفة:

- تقصد إيه؟!.. أنت وعدتني مش حتجوزني للعريس ده... مش
 غصب عني.. هشام وعدني!!

هاله فزعها فأحاطها بذراعيه، يضمها إليه بقوة:

- اهدي يا حبيبتي.. اهدي، أنا عند وعدي، كلامي مش معناه
 عريس ولا جواز، كلامي معناه حياة وأمل لبكره، لكن تدفني
 حياتك وعمرك بين أربع حيطان، آسف مش حيحصل.

دفع حزن أخيها احاطها فانهارت يارا بالبكاء:

رأيتك حالي

شغيب وريح

- أعمل إيه؟! .. ما بقيتش أقدر أصدق حد أو أثق في حد!! ..
 مش بمزاجي، أنتوا وبس اللي في حياتي قادرة أتعامل معاهم ..
 رفعت عينيها إليه تتوسله الفهم مكملة :

- زيد.. بقيت باخاف من الناس، باخاف أطلع افتح الباب
 لمحصل النور أو البواب، فاهم يعنى إيه باخاف..!؟!

ضم أخته إليه يعلم سوء حالتها، لكنه كان يظن أن الوقت كفيلا
 بمداواة جراحها.. وللأسف هي تزداد سوءاً باستكانتها لخوفها،
 لذا يجب أن تُدفع للحياة دفعاً.. غمغم زيد:

- علشان كده بقول لازم تروحي لدكتور نفسي يشوفك
 ويساعدك.

رفعت رأسها من على صدره تنظر له بعيون دامعة:

- دكتور نفسي!! ..

- أيوة دكتور نفسي.. زي ما قولت أنا وهشام زمان كتير بس
 أمك وخالتك اعترضوا ورفضوا.. خافوا على سمعتك، ومن كلام
 الناس بس الكلام ده خلاص.

رأيتك

شغيط ورنج

وهنا دخلت خالتهم آمال للشرفة حاملة القهوة:

- أنت بتقول إيه يا زيد؟! .. دكتور نفسي إيه بس؟! !

ونظرت له معاتبة..

- يا خالتو مش شايفة حالتها!!.. عاجبك عزلتها دي؟! .. عاجبك

خوفها وكوايبسها كمان؟! !

صمتت آمال.. فهي تعلم أن كلام زيد صحيح، لكنها تعلم ايضاً

انه لو حدث ذلك ستكون نهاية مستقبل حياة يارا الاجتماعية،

ستكون زيارتها لطبيب نفسي كدق آخر مسمار في نعش سعادتها

ومستقبلها، أملها بالحصول على أسرة وزوج سيتبخر بلا رجعة،

لذا قررت المماطلة:

- لا يا زيد مش حينفع.. أختك جايلها عريس، بعد ما نشوف

موضوع العريس؛ نبقى نشوف دكتور مؤتمن وأنا بنفسي ساعتها

اللي حاوديتها.. ارتحت كده؟! !

نظر لها زيد متشككاً فأردفت تطمئنه:

- أنا ما يهمنيش إلا اللي فيه مصلحتها.

رأيتك حالم

شغيط ورنج

ما زالت ملامحه متشككة لا يصدقها.. فتمت وكأنها لا ترى
تشككه:

-إيه رأيكم أنا متضايقة وزهقانة تعالوا نروح النادي؟! !
ورفعت صوتها:

-إيه رأيك يا روكا.. تروحي النادي!!
ردت أختها من الداخل:
-ياريت يلا ..

فربت آمال على كتف يارا:

-يلا تعالي نشم هوا.. ادخلي اجهزي، وأنت يا زيد إيه رأيك
تيجي معانا؟

رد عليها بنبرة شاردة قلقة:

-لا يا أمولة.. ورايا مشوار مهم للمقر الرئيسي، مرة تانية إن شاء
الله.

وجه نظراته لأخته ليجدها تستنجد به بعيونها أن يرفض، يمنعها،
كاد يستجيب لاستعطافها، لكن الحب القاسي هو ما تحتاجه
أخته لتحيا.. فابتسم غامزاً بتشجيع:

- حشوف حوار العريس يا يارا وبعدها الدكتور.. دلوقتِ اجهزي
واخرجي معاهم.

هزت رأسها موافقة شاعرة بالحيرة والقلق.. همست خالته فور
خروج يارا:

- ما تقلقش يا زيد.. إحنا أهو بنحاول نخرجها ونرجعها للحياة..
وحاوديتها للدكتور بس كله بوقته المناسب يا حبيبي، أهم حاجة
عندنا مصلحتها.

قبل زيد يد خالته:

- متشكر يا أمولة.. مش عارفة أنتِ ريحتِ قلبي إزاي؟

ابتسمت له تربت على كتفه مطمئنة.. وأصابعها تداعب هاتفها
مرسلة رسالة قصيرة وعلى عيونها ارتسمت ابتسامة ظفر.

عاد إياد للمتزل وهو منهك، أعمال طوال النهار، مقابلات واجتماعات أنهكته، وتلك الحمقاء استنزفت الكثير من طاقته ليسيطر على غضبه، ظل يفكر وهو يصف سيارته، ترى متى آخر مرة حصل فيها على إجازة؟!.. اعلى درجات الفيلا و قبل أن يغلق بابها سمع صوتاً حنوناً يناديه:

- إياد حمد الله على السلامة يا حبيبي.. مش مصدقة أخيراً جيت بدرى!!.. يبقى حتتعشى معايا.

ابتسم إياد لوالدته وأسرع لها يقبلها:

- ياريت كان ينفع.. جاي آخد شاور وأغير هدومي وعندي مواعيد تانية..

نظرت لملابسه متعجبة:

- إيه ده!!.. أنت راجع من النادي؟!..!

ابتسم راداً:

- تقدري تقولي كده.. عن إذنك مستعجل.

- يا حبيبي صحتك أهم.. استنى حاخليهم يجهزوا عشا سريع.

قاطعهما صوت جهوري:

-إياد.. أنت رايح فين؟!.. مش كنت قولتلك إني عايزك في
موضوع الصبح ضروري؟

صوت أبيه عبد العزيز بيه واقفاً على باب مكتبه بصلافة رغم
سنوات عمره السبعون، وبنظرات حادة.. غمغم إياد:

-آآآه.. آسف يا بابا نسيت فعلاً.. بس معلىش كان عندي
مواعيد بدري و...

قاطعته والده بحزم لا يفارقه:

-تستنى.. الشغل أو المواعيد يستنوا لحد ما نخلص كلامنا.

تركه ودلف إلى مكتبه بخطوات قوية واثقة، شعر إياد أنه مرغم
على اتباع والده، تتابعه عيون والدته المشفقة، فأهداها ابتسامة
مطمئنة، حيث لا مفر من الحديث وإن كان هو شبه متوقع لفحواه
وقد كان..

بدأ أبيه كلامه عن العمل، الاستقرار، الحياة التي تمر بإياد وهو لا يشعر، مقدمة يعلم نهايتها جيداً، وهو ليس في مزاج ملائم لهذا الحديث..

لاحظ عبد العزيز صمت ابنه واستماعه له بدون صدى يرجى، فقرر أن يلقي بما في جعبته مرة واحدة..

-إياد أنا عايزك تدي ناريمان فرصة تانية..!!

ارتسمت ملامح الدهشة والاستنكار على وجهه، هب واقفاً وهو يهتف:

- نعم حضرتك بتقول إيه؟..!

زفر عبد العزيز بقوة، وبصوته العميق شحن كلماته قدر ما يستطيع من الحزم، فقد حانت المواجهة:

- زي ما سمعت، إدي ناريمان فرصة تانية..

نظر بتركيز ففي عيون ابنه، فقابلته نظرات غضب ناري نادراً ما انفلتت من عقال سيطرة ابنه ..

إياد غاضب، لا بل الغضب كلمة بسيطة لا تصف عشر ما به، ظن
الحديث عن عروس جديدة ومحاولة أخرى عقيمة، لكن تلك
الناريمان من جديد ..!!

اقترب إياد من مكتب أبيه مرتكزاً بكفيه على مقدمة المكتب،
يجز على أسنانه مردفاً بصوت بارد قاسي:

- ليه أديها فرصة تانية؟! .. ليه تستحق إنها تشيل اسمي؟! .. أو
حتى إني أديها ثقتي؟!!

رد عبد العزيز بهدوء:

- البنت غلطت.. مش معنى كده إنها وحشة أو سيئة و...

قاطع إياد بغضب:

حلوة.. وحشة؛ كويسة أو لا.. فده لحد غيري مش ليّ أنا.

عقد أبيه حاجبيه وهو ينظر لابنه نظرات قاسية:

- إياد.. فكر تاني، ناريمان مش مجرد جوازة وخلص، لا.. أنت
عارف إن الموضوع أكبر من كده..

وقام واقفاً يتم حديثه:

- أنت في الأول والآخر رجل أعمال، لازم يبقى في اعتبارات وحسابات تانية كثير، مش بس اللي بتفكر فيه.

حاول إياد الرد فرجع عبد العزيز يده مانعاً إياه بحدة:

- إياد.. أنا قلت اللي عندي، فكر تاني والمرة دي بعقلية رجل أعمال مش بعقلية شاب مراهق.. ومستني منك ميعاد لكتب الكتاب، أنا باقول مالوش داعي خطوبة تاني ..

وتركه وخرج، خبط إياد بكلتا قبضتيه على المكتب زافراً بحنق ومغلقاً عيونه يحاول أن يتحكم في غضبه، خرج من الغرفة عاصفاً.. توجه خارج الفيلا، صم أذنيه عن نداء والدته وتوسلاتها له بالتروي والانتظار، أستقل سيارته لا يعلم الى اين وجهته وبداخله غضب ينتظر الانفجار.

انتهى اليوم أخيراً.. توتر وقلق وإرهاق بدني ونفسي مضاعف، يوم منذ بدايته غريب، حمد الله في سره على نهايته.. لتداهمه

رأيتك عالم

شخصية وروية

حقيقة انعقد لها حاجبيه بحيرة، لقد تأخر الوقت و تعدى موعد رجوعهم المعتاد بكثير وكل ذلك في صمت، فهاثفه لم يضج باتصالات أمه وخالته المعتادة ..

غريب...!!

بضع لحظات من التفكير أقلقته، التقط سماعة هاتف مكتبه، يعيدها لموضعها فرفعه سماعة هاتف مكتبه بمثابة المصباح الأحمر، لا يجرؤ أحد على مقاطعته او الدخول اليه حتى يعيدها، وأسرع يتصل بهاتف المنزل..

لا رد ..

بحث عن هاتفه المحمول يتفقدده ، اللعنة.. هو على الوضع الصامت منذ اجتماع الحديدي و أكثر من عشرون اتصالاً من يارا على مدى ساعة...!!

توجس استشرى في كيانه، قلق بعثر نبضاته، وقبضة تسللت تعصر قلبه، أعاد الاتصال بيارا وما ان بدأ الرنين حتى أته نبراتها بانهايار باكي مرتجف:

اتكأت مهرة بجانبه على الإفريز وظهرها للماء مميله وجهها نحوه
ومتتمة:

- غريبة.. كنت فاكراها سهرة علشان تتبسط!!.. في إيه يا
إياد؟!.. يا ترى مشكلة في الشغل وإلا مع عبد العزيز بيه؟!
ناقوس خطر، إنذار أو حاسة سادسة.. فليسموها ما شاءوا، هو
ممتن بشدة لامتلاكه إياها، فهي تنجده في أشد لحظاته ضعفاً
وانفتاحاً ..

مهرة شخصية لا يستهان بها، أنثى فضولها فاق الحدود، أنفها في
اشتمام الأخبار ينافس الذئب ضراوة، مزيج لا ترغب في
عداوته، تتلبسها شخصية المكافحة ونقش المستقبل بالصخر مع
أنها ابنة أحد أشهر الأسماء في عالم النشر والصحافة.. ذات
موهبة يقر بها، لكنها لا تمنع من التحالف مع الشيطان في
سبيل خبر يرسم مجدها الشخصي.

والآن فضولها يشتعل.. وقد يكلفه إخماده الكثير، لذا.. حان
وقت القناع، ارتسمت على وجهه ابتسامة عابثة يجيدها، اقترب
منها معتدلاً، وغمغم بأنفاس دافئة بالقرب من أذنها:

رأيتك عالم

شخصية ورائحة

- هو الواحد ما ينفعش يبقي hard to get ولا إيه؟!..!

أنهى جملته بغمزة.. يهديها نظرات دافئة، تطلعت إليه بعيونها الخضراء بتمعن.. وحين أتبع نظراته بابتسامة يعلم تأثيرها جيداً اقتربت منه بدلال:

- أنت عارف إني بحب التحدي.. أعتبر ده عرض ولا تمويه؟!..!

اتسعت ابتسامته اللعوب، همس لها ببطء:

- زي ما تحبي أنا واثق في ذكائك ..

تلمس وجنتها بأصابع يده، يحدق في عينيها تحديق مكتسح طويل حتى طرفت هي بعيونها، فمد يده لها يقبض على أناملها بقبضة متملكة شهقت لها ..

رافقها للداخل حيث الصخب والصحبة والته، يطالبها برقصة حميمية، تمايل جسدها ولمساتها الجريئة يقابلها هو بما يضاهاها فتذوب بين يديه، ترك لها المجال لإلهائه، فربما يمكنها أن تُنحي أفكاره وائدة فضولها معهم دون أن يلاحظه أحد.

الفصل الرابع

كلمات سُنت فوق الأعناق قيد الخنوع..

يا ولدي لا تغرك نشوة الشباب..

وتنسى حكمة شيبة السنون..

تجاعيد تغزو ملامحهم لأجل شبابك المفتون..

شيبة كست هامتهم لسواد خصلاتنا المهدور..

فكل عقبة ذللوها بخفقاتهم..

وكل عثرة افتدوها بأرواحهم..

أفئدة أشابها الخوف على أكبادهم..

لا جدال ولا سجال والخصام محذور..

لا انحراف عن الخط المرسوم..

حتى وإن أخطأوا فالخطأ حتماً مغفور..

وأنت منقاد بطوق الخضوع

حين تزار بحق الرفض توسم بوشم الجحود..

سرعته تخطت المسموح وتخطتها بأميال سرعة أفكاره، غضبه الواضح أزعجها.. ابتلعت ريقها بصعوبة، ارتعشت كلماتها لا تعلم أيهما يحتاج التهدئة!!.. الباكية أم الغاضب؟!.. لم تستطع سوى نطق كلماتها المرتجفة مما تراه:

- اهدي يا هشام... إحنا في الطريق أهو...-

ارتفعت نبضات قلبها مع مناورة هشام بالسيارة، يتفادى السيارات بشكل مرعب، تشبث بمقعدها بعد أن أحكمت حزام الأمان، مغممة لمحدثتها بالهاتف:

- اهدي بس وادعيلنا نوصل حته واحدة.

حاولت تلمس ذراعه تهدئه، التفت لها بحدة وعيون محمرة، يجز على أسنانه بغضب ويتمتم:

- ركزي أنتِ معاها، ما تسيبيهاش تقفل.

التفت مرة أخرى يزفر بغضب يصبه على مقوده، لا يرى الطريق أمامه، عقله تزأر تروسه لا يستطيع التفكير بوضوح، مدى تفكيره يدور بدائرة مفرغة محورها دقائق معدودة ماضية، صوتها المستنجد يملأ خلايا عقله، حروفها الباكية تتردد بجناباته، تشكل غمامة حمراء تسيطر عليه بقوة:

-الحقني يا هشام.. الحقني

هب واقفاً من مكانه يهتف بها:

- يارا مالك في إيه؟. بتعيطي ليه؟. وإيه الدوشة اللي جنبك دي..
أنتِ فين؟!..!

همست بصوت مرتجف باكي:

- في النادي.

عقد هشام حاجبيه وقبض على هاتفه بقوة:

- إيه اللي وداكِ هناك؟!.. فهميني..

سمعها تتنفس بعمق تحاول السيطرة على عباراتها:

- آآآ.. أنا جيت مع ماما وخالتو، اتفاجئت أنهم.. متفقين يتقابلوا مع طنط شريفة واللي اسمه معتر.. أنت كنت عارف يا هشام؟! ..!

أَلقت سؤالها بصوت متهدج مرتعب من الإجابة، هدر صوت هشام بغضب، لا يعلم الظنّها بموافقته أم للموقف نفسه:

- هما فين؟! .. إديني خالتك آمال.. إديها التليفون حالاً.

تلعثت وعاد البكاء يسيطر على صوتها:

- أنا أصلي آآآآ...

سألها بصوت استشرى به القلق:

- في إيه يا يارا أنطقي وفهميني؟! ..!

انفجرت في البكاء مجدداً ومن بين شهقاتها سمعها تغمغم:

- أنا.. بعدت عنهم، حاول يتكلم معايا فقومت.. كلمت زيد

تليفونه مغلق وكلمتك مش بترد، مش عارفة أرجع لهم وخايفة،

خايفة قوى يا هشام أنا لوحدي.. "تتلفت حولها" .. مش عارفة

أنا فين؟! .. ولا عارفة أعمل إيه؟! ..!

شعر بصوتها يرتجف من الخوف والكلمات تشوهها العبرات،
يخشى انهيارها وهي بعيداً عن ناظره فأسرع هاتفاً بصراصة:

- يارا خليكى عندك ١٠ دقائق وحاكون قدامك.

كلمات تتناثر على مسامعه من بين شهقاتها:

- كانوا عارفين إن... مش حأقدر...

- خليكى معايا ما تقفليش.

كان هشام يتحدث وهو يتحرك بغضب، أسرع يجذب مفاتيحه
ونظارته والسترة، ثم أسرع خارجاً من مكتبه، لم يسمع سكرتيرته
وهي تخاطبه، يهمس لها مطمئناً، توجه لمكتب أخته فاتحاً إياه
فجأة وهتف بصوت يقطر غضباً وحنقاً:

-ميرا!!.. يلا.

جفلت ميرا من ظهوره المفاجئ فردت عليه:

-آه خلاص جاهزة.. كنت لسه حاعدي عليك و....

أشار لها بيده الممسكة بمفاتيحه مستعجلاً إياها بقلة صبر صارخاً
بها:

- بقولك اتحركي يلا.. بسرعة.

فزعت من لهجته الصارمة، أختطفت حقيبتها مسرعة تحاول
اللحاق بخطواته السريعة، لكن كعبها ذو الستة إنشات صعب من
مهمتها، تراه على الهاتف يتحدث حتى وصلوا للمصعد، وبمجرد
أن فتح أبوابه دخلا سوياً.. تحرك المصعد هابطاً لتفاجأ به يهتف
بقوة في هاتفه:

- ألو ألو!!.. ردي عليّ روح فين؟..!

ربتت على كتفه ببطء وبعيون مندهشة قالت:

- هشام إحنا في الأسانسير أكيد الخط حيقطع.

خبط بقبضته على جدار المصعد ساخطاً يشتم بحنق وأردف:

- إيه الذكاء ده بس..!!

أسرع يضغط زر إيقاف المصعد الاضطراري أمام عيونها
المندهشة:

- أنت بتعمل إيه؟!..!

أسرع مجدداً ضاغطاً زر أقرب طابق لهما، فتح الباب في ثوان،
خرج مخبراً إياها:

- حاقابلك عند العربية.

هتفت به:

- استنى بس فهمني حتتزل على السلالم ليه؟!..! ما تيجي معايا.

نظر لها سريعاً وهو يهتف:

- علشان الخط ما يقطعش.

وكان في تلك الثواني قد أعاد الاتصال بمحدثه مردفاً:

- أنا آسف معلش.. من استعجالي دخلت الأسانسير ونسيت

إن....

كان صوته يبتعد مع قدميه التي تلتهم درجات السلم بسرعة
مكوكية، وميرا تضرب كفاً بكف من تصرفاته عادت لداخل
المصعد مغممة:

- هو جرى له إيه النهاردة؟!..!

خرجت من الأسانسير في طابق الجراج ورفعت عينيها تتوجه للسيارة، فصدمت بهشام قد أحضر السيارة أمام المصعد هاتفاً بها:

- اركبي.

أسرعت تركب مفكرة.. حتماً هناك كارثة ليتصرف بتلك الرعونة، وأكد لها ذلك سرعته الرهيبه التي جعلتها تتشبث بمقعدها فسألته:

- هشام.. هو ممكن تهدى وتفهمني بس في إيه؟!.. مالِك متسرع كده ليه؟!.. هي سارة جرى لها حاجة؟!..!

نظر لها هشام مستفسراً:

- سارة مين؟!..!

عقدت حاجبيها:

- أنت بتكلم مين في التليفون؟

- يارا يا ميرا.. خدي خليكي معاها على التليفون علشان أعرف أسوق.

تناولت منه الهاتف لتتهف متعجبة:

- يارا مالك في ايه؟ ..!

وروت لها يارا ما حدث بكلمات باكية، ازداد انعقاد حاجبي ميرا وزمت شفيتها:

- تاني هو ما فيش فايده فيهم...!!

خبط هشام على مقود السيارة بعنف أفزعها مما جعلها تحاول تهدئته:

- هشام.. لازم تهدي علشان الطريق.

ظلت تحادث يارا تطمئنها، عيونها تتسابق بين عداد السرعة والنبض المتسارع لأخيها، وبعد دقائق أغمضت عيونها عن العداد فلا فائدة من رقم تتسابق له المؤشرات، فكم الحوادث التي أوشكت على الحدوث لا تحتاج لمؤشر..

قلبها يبتهل بدعوات لم تعلم أنها تحفظها حتى وصلوا لبوابة النادي، أسرع بصف السيارة بأقرب مكان ونزل مسرعاً بعدما اختطف منها الهاتف، تسمعه يسألها ان تصف له مكانها، أما هي ففركت كفيها المرتعشتين ببعضهما تعيد الدماء لأطرافها المرتجفة، تحاول تهدئة أنفاسها المضطربة، كادت تقبل الأرض عند توقف السيارة لولا كرامة أنثى بتنورة ضيقة وكعبٍ عالٍ منعتها ..

استجمعت نفسها أخيراً مكثفة فقط بتنهيدة راحة وشكر لله، أسرعت خلفه قدر استطاعتها ليارا المرتعبة والتي ما إن رأتهم مسرعين حتى كفت دموعها بظهر كفها سريعاً، أسرع لها هشام يحوط كتفيها بذراعه يحتضنها مغمماً:

- بس مش عايز دموع.. خلاص أنا هنا ما فيش خوف.

هزت رأسها له وبقايا رجفات الخوف يمحياها أمان وجوده، تربيته كفه تهدد روحها، دفعه أحاطها كنجم ملتهب أنار عتمة وحدة خوفها، رسمت ابتسامه ممتنة له من بين دموعها وهي

تدفن رأسها في كتفه، همس لها مداعباً فاتسعت ابتسامتها حتى وصلت لهم ميرا وهي تلهث:

- إيه يا بنتي ما إحنا حلوين وبنضحك أهو!!.. ولا أنا ليّ العياط في التليفون ولسي إتش الضحكة اللي من الودن للودن!!.. آه ياااني.

استندت بيديها على ركبتيها تلهث أمام نظرات يارا اللائمة لها، أغاظها هشام بمحاولة مصطنعة للمرح:

- إيه أنتِ عجزتِ بدري ولا إيه؟..

نظرت له ميرا شزراً، ترفع أحد حاجبيها قبل أن تستقيم وتضع ذراعيها على خصرها:

- إيه عجزت دي!!.. الملافظ سعد يا أخي.. لا طبعا ده أنا كلي لياقة ومرونة .

مالت مجدداً تدلك قدميها المنهكة:

- بس هو الكعب العالي.. لازم اللي اخترعه يعدموه في ميدان عام.

اشترك الثلاثة بالضحك مما جعل هشام يردف:

- يلا بينا نروح نشوفهم فين؟

نطقها هشام بغضب مكبوت، فوجد يارا تتشبث بملابسه بأصابع مرتعشة، ربت على كتفها مطمئناً برفق وعيونه تسأل ميرا المساندة..

للحظة عيون ميرا ارتسم فيها الألم على حالها، وبالثانية التالية أخفت الألم وحل محله ابتسامة ماكرة وهي تفرك يديها ببعض:

- إيه.. استعنا على الشقا بالله.. يلا خلونا نريحوه ابن شريفة.

طوق هشام كلاً منهما بذراعيه وبدأ بسؤال يارا عن ما تذكره عن اتجاهات المكان الذي تركتهم فيه، التقطتهم عين هشام وهم جالسين يتسامرون، خالته تتلفت حولها بقلق، فارتسمت بعيونه نظرة قاسية..

كان القلق قد استبد بأحلام لغياب ابنتها، أما آمال فتحاول إدارة الحوار بذكاء حتى لا يمل العريس وأمه، قلقها ازداد عندما

حاولت مهايتها خلصة، لتجد هاتفها مشغول، خمنت أنها
تحدث أخيها وخشيت من أن تكون قد حدثت هشام..

انعقاد حاجبي معتر وتقطيبته جذبت انتباهها لمرمى بصره فتأكد
مصدر خشيتها، العروس مقبلة محاطة بذراع هشام كفرخ مستجير
بجارج عملاق، عيونه تؤكد أنه خرج للعقاب، يده المحكمة
حول كتفها مع ملامح وجهه المتصلبة شكلت رسالة وصلتها
بقوة، فلكرت أختها آمال تنتبها، وشهقة أختها الخافتة أكدت لها
أن رسالته وصلتها بحذافيرها هي الأخرى.

ظل معتر يراقب تعبيرات وجوه من حوله فالمنظر أثار فضوله، يارا
يكاد يحتضنها هشام بإحدى ذراعيه وأخته تتعلق بالذراع
الأخرى، تعبيرات وجهه، لغته الجسدية تشي بشخص مقبل على
معركة.. لكن السؤال الذي حيره ضد من ولماذا؟!..!

بادرت ميرا بنصف ابتسامة:

- مساء الخير.

ردوا تحيتها والدهشة ترتسم على الوجوه، تتلاعب ابتسامة ساخرة
على شفيتها وهي تنظر لمعتر من أعلى لاسفل باستهزاء لا تحاول
إخفاؤه، سألتهم آمال محاولة امتصاص غضب يتراقص في عيون
ابنها:

-إيه ده أنتوا جاينين من الشغل على النادي؟

تسلم هشام دفة الحوار مجيباً بابتسامة ساخرة:

-آه.. قلنا نغير جو قبل ما نروح وشوفنا يارا.. بس غريبة مش
عادتكم تخرجوا من البيت من غير ما تعرفوني يا روكا؟!..!

أسرعت آمال ترد عن أختها بثقة مهزوزة:

-صدفة.. مجرد صدفة، طلعت في دماغنا فجأة فجينا وقابلنا
طنط شريفة وابنها.. صدفة يا حبيبي.

ظل هشام بابتسامته الساخرة يحدق بعيون خالته التي تتهرب من
نظراته، ويتجاهل نظرات أمه تماماً أردف:

-صدفة..!!

كلمة واحدة أوقدت التوتر في جلستهم، انعقد لها حاجبي معتر وهو يتأملهم بعمق وتركيز، ابتسمت شريفة محاولة تلطيف الأجواء:

- كانت صدفة جميلة وخصوصا إن يارا وحشاني جدا.

انتظرت تأكيد أو ابتسامة مجاملة، فلم تحظَ إلا بانكماش يارا أكثر داخل كنف هشام، فانتقلت نظرات شريفة لآمال متسائلة!!.. تفاجئت بها تغمغم بابتسامة لم تصل لعينيها:

- بقولكم إيه!!.. إحنا جعانين، إيه رأيكم إحنا عازمينكم على الغدا النهاردة.

رد معتر بهدوء:

- لا يا طنط ما ينفعش.. العزومة دي عندي أنا.

غمغمت آمال وهي تهرب من عيون ابنها:

- يا حبيبي ما يصحش ...

قاطعهم هشام وهو ينظر له بنظرة حانقة باردة:

- صدقني أنا متأكد إن اللي ما ينفعش إنك تكون جايلنا النادي
مخصوص وأنت اللي تعزمننا!!.. حد قالك علي الاسكندرانة
بخلا ولا ما يفهموش في الأصول؟

أسرع معتريرد:

- لا طبعا ما أقصدش.. ما فيش فرق واحد.

قابله نظرات صامته باردة من هشام جعلته يغمغم:

- طيب خلاص المرة دي عليك.. بس المرة الجاية عليّ.

رد هشام بنصف ابتسامة وعيون تحديق في الجلوس بصرامة:

- قول إن شاء الله.. لما يبقى في مرة جاية نبقى نشوف.. يلا

اتفضلوا معانا على الريستوران.

التفت يتقدمهم فطوال مدة حديثه لم يجلس، ظل واقفاً أمامهم

يتأبط ذراع ميرا ويحيط كتفي يارا بذراعه، تركهم وراءه يتبادلون

النظرات.. نعم فتلك المرة رسالة هشام ظهرت واضحة وضوح

الشمس للجميع ..

"إن كان هناك مرة أخرى"!!..!!

الأرق يفترسها وخطواتها تتبعثر في جنبات الحديقة، تعلم أنه ينتظرها بالداخل ، لكنها لا تستطيع مواجهته الآن.. فهي لا تعلم إلى أي منهم تركز وتساند...!!

فلذة كبدها المجروح أم شريك عمرها بخبرة السنين...!!

ابنها وحقه في السعادة أم زوجها وقراءته لمستقبل في علم الغيب...!! من اعتركته الحياة حتى أصبح اسمه "عبد العزيز الحديدي" قوة لا يستهان بها، الكلمة منه تثمن بميزان الذهب أم لابنها الذي في غضون أعوام أثبت جدارته وذكائه الحاد...!!

تنهدت بقوة وهي شاردة، عقارب الساعة تتسابق والوقت يمضي غير عابئ بقلبها المتلطي بنيران القلق، فإياد منذ اندفع خارجاً بعد مواجهتهما لم يعد بعد، هاتفه مغلق و....

قاطعتها الخادمة بهدوء أفرعها:

- يا مدام...!! عبد العزيز بيه يسأل على حضرتك فوق.

رأيتك دائماً

شغيف وورع

هزت رأسها بشرود قلقة من مواجهة مقبلة، عقلها تتقاذفه الأفكار.. تارة تميل لإياد وأخرى لعبد العزيز حتى حملتها قدميها لباب غرفتهما، شهيق عميق وفتحته هامة بصوت خانتها نبرات قلقها لتظهر جلية فيه:

- أيوه يا عبد العزيز كنت عايزني؟

أغلق كتابه وأزال عويناته.. يتفحصها بدقة وبنبرات عميقة:

- هو مش ميعاد نومنا جه؟! .. كنت فين؟

تنهدت جالسة على طرف الفراش مردفة:

- كنت باتمشي في الجنية والوقت سرقني.

ظلت لحظات الصمت مخيمة على الموقف بينهما، مد يده يربت على الفراش جواره بصوت قوي حازم:

- تعالي نامي وسيبك من الأفكار.. أنا عارف أنا باعمل إيه، كله لمصلحة ابنك وما تقلقيش عليه هو كويس.

رفعت عيونها له تموج بمخاوفها.. ترجوه مناقشة، تهاون، تنازل لصالح وحيدها:

- متأكد يا عبد العزيز..!!

هز رأسه في تأكيد مغمضاً عينيه في عناد تعلمه جيداً هامساً:

- يلا أنتِ عارفة إني مش حاعرف أنا من غير ما تكوني جنبي.

ارتسمت ابتسامة ناعمة على شفيتها، هدوء اكتنف عقلها، أبيه محق، نعم عبد العزيز على حق، هو يرغب صالحه، يخطط لمصلحته ولن يهنأ إلا بسعادته..

في حين كانت تتجهز للنوم قانعة بهدوء عقلها، كانت أنامل عبد العزيز تتلمس هاتفه وعيونه تعيد قراءة رسالة وصلته، حملت الطمأنينة لقلبه.

عاد معتز مع أمه للمنزل ليلاً، شريفة هانم غاضبة لا جدال ..
وجهها المحمر ينبئ بارتفاع ضغط دمها دون قياس، سألتها بمرح
مستتر:

- مالك يا شريفة هانم مودك مش تمام كده ليه؟!..!

همست بسخط ووجهها يحمر أكثر من الغضب:

- بنى آدم سخيف وعديم الاتيكيت.

عض معتر على شفتيه، فأخر ما تحتاجه أمه هو ضحكة ..

الآن ستستشيط غضباً ولن تجد متنفساً سواه، احتضنها وهو يربت على ظهرها بحنو هامساً:

- زعلانة ليه بس؟! .. الموضوع بسيط

دفعته أمه بخفة في صدره وهي تنظر له بحدة:

- هو إيه اللي بسيط؟! .. إزاي تقول كده...

قاطعها وهو يغمغم مضيقاً عينيه بعتاب رقيق:

- لو أختي اللي راحت تقابل عريس بدون ما أعرف؛ ما كانش حيبقى رد فعلي أقل من كده.

عقدت أمه حواجبها تهتف به مستنكرة:

- أنت اللي بتقول كده يا معتر؟! .. أنت المثقف المتعلم خريج

هارفارد!! .. تقول كنت حتبقى ب... ب... ب....

تلجلجت، تبحث عن وصف يشفي غليلها وهتفت أخيراً:

- بالهمجية وقلة الذوق دي!!

ربت على خد أمه وقبل رأسها:

- حبيبتى ببساطة هو له حق والغلط مش من عندنا.. ممكن

تاخدي دواء الضغط قبل ما تنامي!؟

تركها واستعد للصعود لغرفته فهتفت به بنبرة يائسة:

- معترز.. أنت خلاص صرفت نظر مش كده؟

التفت لها وبعيونه نظرة مشاكسة متلاعبه وهو يغمغم:

- مين قال كده؟.. بس المرة اللي جاية اتأكدي إن راجل البيت

عارف بمقابلتى ليها وموافق.. اتفقنا!..!

قالها وانطلق.. تركها رافعة لحاجبيها مفرغة فاهها في اندهاش.

طقوس الصباح مختلفة في منزلهم اليوم، فأمه صامته على غير

العادة، لم تدندن بصوتها الشجي لتوقظهم، الخالة عيونها تتهرب

من الجميع، الحوار على مائدة الإفطار ملبد بالتوتر، خانق بكلمات مقتضبة..

انتفاخ عيني زيد ينيء بسهاد ليلة عصبية من التفكير، حيرة عصام للتوتر الملموس تظهر في تملله بمكانه، وإسراعه لمغادرة المنزل، الغضب يسيطر على الأجواء و هو صاحب النصيب الأكبر من ذلك الغضب المكتوم، لكن أمه وخالته تعدتا الحد المسموح به ..

نظر يتأمل يارا التي تتحدث بخفوت مع ميرا، تتبادلان الحديث الخافت وابتسامة على وجهيهما، يكاد يجزم أنهما تتحدثان عن شكل معتر وهو يغادر بعد أن أخرج له أكثر من مرة أثناء العشاء، لاحت على وجهه ابتسامه ساخرة فالدكتور المحترم لم يكن لديه أي فرصة.. انتهى من طعامه على عجل وغادر مردداً:
-ميرا.. جاية ولا حتأخري.

أسرعت ميرا في التهام باقي إفتارها بتعجل كعادتها، تشير بيدها لهشام أن ينتظرها حينها نظر ليارا مغمماً:

- عايزة حاجة يا يارا مني قبل ما أمشي؟!..!

أبتسمت وردت عليه بعدوبة:

- ربنا يخليك يا هشام.. ميرسي.

نظر تجاه أمه وخالته بتجهم:

- أنا نازل.. السلام عليكم.

اتجه نحو الباب وقبل أن يغلقه خلفه التفت مكملًا:

- يارا.. ما فيش خروج من البيت ولا نزول من غير ما تعرفيني مفهوم؟!..!

ابتسمت وهي تهز رأسها له مجيبة بنعم، تكاد تصرخ بسعادة من الراحة التي اكتنفتها، استدارت له أمه ترمقه مستنكرة فأردف بحزم:

- انجزي يا ميرا.. هما خمس دقائق وحامشي.

أسرعت ميرا من أمامهم، ترتشف القليل من الماء تبتلع به طعامها مسرعة خلفه:

- سلام يا حلوين.. باااااااي

أسرعت يارا تستأذن بعد ذهابهم، هاربة لغرفتها تتحاشى مواجهة،
تعلم أنها ستكون خاسرة.. غمغمت آمال لأختها:

- شوفت الولد بيعاملني إزاي؟!..!

تحديقه حادة من زيد واكبت قيامه بحددة، خبطة كوبه على
المائدة تشي بغضبه المكبوت مبتعداً عنهما دون تعقيب، رفعت
آمال حاجبيها بحنق:

- شايقة ابنك هو كمان..!!

ابتلعت أحلام ريقها وهي تغمغم:

- يا آمال أنت عايزة الحق!!.. إحنا غلطنا..

- نعم!!.. بتقولي إيه؟.. مين دول اللي غلطوا؟!..!

ردت عليها أختها باستنكار فزفرت أحلام بندم:

- أيوه غلطنا.. ما تكابريش، هما عندهم حق.. كلامهم صح فوقني.. أنا بنتي مش بايرة ولا مستغنية عنها علشان آخدها من إيدها أفرجها للعريس سرقة من وراء رجالة البيت.

تلعثت آمال فرد أختها مقنع لكنها لن تسلم بخطأ:

- يعني أنتِ عاجبك حالها؟!.. اللي قدها معاهم عيال، ما نفسكيش تشوفي ولادها وتطمني عليها?!..!

اغرورقت عيون أحلام بالدموع وتحشرج صوتها:

- أنتي عارفة دي أمنية حياتي أطمئن عليهم بس مش على حساب مشاعرها يا آمال.. أبقى قاعدة مع عريس جايلها وبنتي مرعوبة بتعيط خايفة..

- دلع بنات يا روكا.. أكثر من كده وبيتجوزوا ويعيشوا..

نطقت آمال كلماتها بنبرة مهزوزة، تحاول الإقناع بما لا تصدقه هي، هزت أحلام رأسها تتطاير دموعها، تكتم شهقات تحارب للنفاذ.

رأيتك عالم

شغيط ورنج

تذكرت حديثهم الليلي العاصف، فهشام انتظر خلود البنات للنوم، وطلب التحدث معهما على انفراد، بوجود زيد ليصدمهم بحقيقة رعب يارا.. بكاؤها واستنجاها به، وكيف أنهما تضغطان على أعصابها وقد وجب العلاج..

عندها هاجت أمه وماجت.. لا للطبيب النفسي، ما يتخيله يستوجب العلاج ما هو إلا دلح بنات وخوف طبيعي سيدوي مع الأيام لذا فالأمر مرفوض تماماً، ومع احتدام النقاش والاختلاف ساومت آمال، ستركوها وشأنها ولن يجبروها على مقابلة أحد؛ فقط لا للطبيب..

وكانت نهاية حديثهم بأن خرج عاصفاً من الغرفة بعدما أصدر فرماناً.. لا سيرة زواج أو خطبة.. وعند أي بادرة لتكرار ما حدث لها اليوم سيكون موعد الطبيب في اليوم التالي شاءوا أم أبوا، والعريس طلبه مرفوض رفض قاطع.

قامت تكفكف عينيها.. تتذكر لوم ابنها، كلماته القاسية وعدم موافقته على ما يحدث، إعرابه عن خيبة ثقته في خالته، رفضه

للحل ولمساومتهم، وما أصابها في مقتل نظرت المتألّمة وهو
يخبرها "لم أمّ بعد لتزوجي أختي بدوني.."

قبضة اعتصرت قلبها حين تذكرت الكلمة جعلتها تغمض عينيها
بألم، ترفع يدها لقلبها علّ القبضة تنحل، أسرع للهاتف أمام
عيون آمال المتسائلة:

- بتعملي إيه يا أحلام؟!..!

نظرت لأختها بعيونها الدامعة ورفعت الهاتف لتتصل.. انتظرت
حتى ردت عليها محدثتها:

- صباح الخير، إزيك يا شريفة هانم.. آسفة إن كنت كلمتك
بدري وأزعجتك !!..!

اتسعت عينا توأمتها وتعالّت شهقتها المستنكرة، ردت شريفة
متوجسة من نبرة صوتها:

- لا أبدا.. أنا باصحي بدري.. خير يا أحلام؟!..!

- معلىش بس كنت حابة أبلغك إن ما فيش نصيب وربنا يوفق
د. معتر مع واحدة تسعده وتناسبه.

مفاجأة شريفة بما سمعته سحبت منها كياستها فسألت بحنق:

- أنتوا لحقتوا؟.. ويا ترى ده رأى يارا وإلا الأستاذ هشام؟

ردت أحلام بحزم لم تعلمه في نفسها:

- الاتنين واحد.. وأيوه دي رغبة بنتي وأخوها.

غمغمت شريفة:

- عموماً عادى ما فيش مشكلة، الجواز قسمة ونصيب ..

أنهت الحوار:

- معلى عن إذتك.. ورايا مشوار مهم ولازم أقفل دلوقت.

غمغمت أحلام:

- آه طبعا اتفضلي.. وآسفة إنني عطلتك، مع السلامة.

زفرت شريفة بحنق.. مكالمتهم ورفضهم في هذا التوقيت لن

يفيدها مع معتر، ليس بعد أن رغب من تلقاء نفسه في تكرار

المقابلة، ليس بعد أن وجدت الفرصة لتمحي خطأ اختيارها

الأول له ..

كانت تدور بأرجاء المنزل، تفرك يديها كقطة غاضبة وقعت في
 مأزق عويص، تبحث عن منفذ.. حل.. لن تنتظر أكثر على زواج
 ابنها...!!

قلبها يتمنى رؤية أحفادها، ويارا كانت الاختيار الصحيح هذه
 المرة، هي ورقتها الرابعة.. برق بعقلها فكرة جعلتها ترسم
 ابتسامة مأكرة وتغمغم داخلها:

- كنت.. ومازلتِ ورقتي الرابعة.

ضيق.. حنق.. غيظ ويزيدهم الغضب اشتعالاً، مشاعره تحولت
 لنيران مستعرة تكاد تلتهمه، فسهرة البارحة أعلنت فشلها الذريع،
 لم تستطع مهرة أن تشغل عقله إلا لبضع ثوان، فما إن انسأقت
 وراءه عادت تروس عقله تثر بسخط..

لم يستطيع التركيز طوال اليوم، وحضوره من اليخت إلى الشركة
 مباشرة دون راحة أو نوم لم يزد مزاجه إلا سواداً، لا يوجد
 شخص بالشركة تقاطع طريقه معه إلا ونال نصيباً وافراً من لظى

رأيتك عالم

شغيف وورح

نيران غضبه، يطرق بقلمه على حافة مكتبه برتم سريع متوتر، يصر
على أسنانه فكل نقرة تصاحبها فكرة..

كيف يفكر أبيه؟!.. لم؟

هل المال أهم من الثقة؟!..!

أهم من الحب؟!.. وهل هناك حب؟!.. ابتسامة ساخرة قاسية

فلنقل أهم من الامان؟!.. من التوافق؟!..!

هل يستطيع مجرد التفكير في إعطاء فرصة لتلك الناريمان؟!..

مجرد ذكر اسمها يلهب أعصابه.. شعث خصلاته الفاحمة

بأصابعه بقوة.. فرصة؟!.. ما رأي عبد العزيز بيه في إعطائه

فرصة لدق عنقها..!!

أو ربما إزاحة اسمها من سجلات الأحياء، خيالات دموية تطفئ

لهيب نيرانه بحمرة دماؤها، قطع تسلسل أفكاره طرقات عابثة

يحفظها جيداً.. رد بقنوط وضيق:

- ادخل يا أستاذ.

دخل باسل بطلته المرححة.. ورسم إياد على وجهه ملامح الضيق
مردفأ:

- أخيراً ظهرت!!

ارتسمت ابتسامة ساخرة على وجه باسل الوسيم مغمغماً:

- إيه!!.. هي زعايب الحديدي لسه ما همدتش ولا إيه؟

تبع جملته بنظرة عابثة لساعة يده مردفأ:

- أنا كل ده قاعد مستني أما النوبة تعدي.. هااا أمان؟ ..!

وأنهى جملته بابتسامة واسعة، رد إياد الذي يغالب ابتسامة
تحاول جاهدة الظهور:

- رايق.. أنت شخص رااايق، كنت فين طول اليوم؟

رد باسل راسماً ابتسامة مستفزة يعلمها صديقه جيداً:

- مستخبي.. هو أنا مستغني عن روعي!!

رفع له إياد عينيه بنظرات قاسية حادة.. فرد باسل برفع يديه
مستسلماً:

- خلاص خلاص خمسة جد بقى.. مالك؟!.. هو موضوع واحد
اللي بيعفرتك كده؟.. صح ولا أنا غلطان؟

مرسلاً نظرات متفحصة مدققة بصديقه مضيقاً عينيه.. زفر إياد
بحنق زفرة تحمل مدى ضيقه وغضبه.. تتمنى وجود كيان ما
بعينه ليحرقه علّه يرتاح، زم باسل شفتيه مغمماً:
- يبقى هو..

صمت للحظات أردف بعدها:

- إياد.. أنا عندي حل لموضوعك ده ..

رفع له إياد عيون مستفهمة، تتلمس حلاً طوقَ نجاة من نيران
تحرقه، ولا تأتي إلا بحلول مهلكة، ليكمل باسل:
- خد أجازة.

هتف به إياد حانقاً:

- نعم.. أنت بتهزر؟!.. ده وقته بدمتك!..!

قام باسل سريعاً يلف حول مكتب صديقه يتكلم بحماس وهو يتحرك:

- صدقني هو ده حلك.. طول عمرنا ما حدش فينا بيعرف يطلع من المواقف الصعبة أو يلاقي حلول العقد المستعصية غير إياد عبد العزيز..يجي حته حوار تافه زي ده يقف له عقدة وما يقدرش عليه؟!.. ده يبقى معناه إيه؟!..!

هتف بها وهو يواجه صديقه متوقفاً عن حركته.. يستند بكلتا كفيه على مكتبه محاولاً إقناعه:

- إن مخه العبقري محتاج أجازة.. هدنة..فترة راحة، تشحن فيها خلايا مخك الهلكانة دي وترجع تاني فايق، حتطلع بحل تخلي أبوك عبد العزيز بيه يقولك لو عايز تتجوز اتجوز بس كله إلا دي.

غمز لصديقه منتظراً رده، تحرك إياد بكرسيه ينقر بأصابعه على حافة المكتب بقلمه، لكن مقرة عن نقرة تختلف، تلكنقرات مختلفة.. متمهلة.. هادئة، مفكرة يوازن ويقرر، رفع عيونه لصديقه مغمماً:

رأيتك عالم

شخصيات وروايات

- أنت صح.. أنا محتاج أجازته.

هب واقفاً يلتقط سترة بذلته ومفاتيحه وهاتفه أمام عيون باسل
المتسائلة:

- على فين؟!..!

فرجع إياد أحد حاجبيه مع نصف ابتسامة ساخرة:

- من اللحظة دي أنا في أجازته.. خلى بالك من الشغل.. سلام.

تحرك خارج مكتبه أمام عيني باسل المتسعتين قبل أن يعود من
الباب تتلاعب على شفثيه ونظراته ابتسامة ماكرة:

- آه باسل.. لو احتجت حاجة ما تكلمنيش، ابقى اتصرف أو كلم
عبد العزيز بيه شخصياً.. سلام يا صاحبي.

اختفى من جديد، فازدادت عيون باسل اتساعاً، ضارباً كفاً بكف
مدركاً مدى الحماسة التي ارتكبتها توأ ومردداً:

- أكلم مين!!.. أنا اللي جبته لنفسه.

ترتكز بكتفها على نافذة مكتبها تحديق في الفراغ، لا تستطيع التركيز أبداً في العمل طوال اليوم، تهز قدميها وعيونها تشرد في شمس الغروب.

حالة هشام تحيرها، ليس اليوم ولكن منذ أمس موقف النادي ويارا واليوم السابق مع سارة والسكرتيرة، وكانت القشة التي اشعلت فتيل قلقها هي المكالمة التي أنهتها لتوها، محيرة لأقصى حد، جعلتها تفكر ماذا نعرف عنه!.. عن علاقته الشخصية؟!، لو لم تعلمه جيداً لظنت أنه مثل البقية لعب وتسلية لملء الفراغ، لكن هشام مختلف، يمكنها أن تصدق أن عصام يتسلى.. زيد يقضي وقت ممتع لكن هو محال..

إذاً أين المشكلة؟..

سارة فتاة لا غبار عليها، لا يوجد بها غلطة كما تقول أمها، تخشى أن تتسرب الفتاة من بين يديه، ليس لتفرداها!.. لا.. فلم تخلق بعد من تستحق أخاها! زمت شفيتها بسخط، لكن الحق سارة تمتلك ميزة مهمة، هي تحبه، تتحمل بروده وبعده وجفائه بصبر وتسامح لا تفهمه، تحسدها عليه لكنها لا تستسيغه، لكن

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

بما أنه يصب في مصلحة أخيها فلا تبالي، فسارة كادت تبكي على الهاتف، فهاتفه مغلق ولم تطلب المدلّهة به إلا الاطمئنان على أنه بخير..

هناك شيء ما خاطئ، شيء مفقود بينهما، عقدت حاجبها فتفكيرها يتقاذف الفكرة تلو الأخرى، أخوها مستنزف العقل والروح في مشاكل لا تنتهي، لا وقت لقلبه ضمن جدولته المكتظ بهم

دقائق طويلة من التفكير أهدتها الاجابة، هي لا تجذبه..

قفزت فكرة لرأسها، ربما لا تستطيع أن تعامل أخيها بالشكل الصحيح، لا تستطيع أن تأسر قلبه..

اممممم... تحركت في عزم وأناملها تعيد الاتصال بآخر رقم، هي لن تستحق اسمها إن لم تساعدنا على لفت انتباهه وجذب قلبه، ففي النهاية من أفضل منها هي أخته لتساعدنا، حادثتها ببراءة تنافيا مكر عيونها، وابتسامة متلعبة تعد بالكثير...

الهاتف مغلق فميرا لا مواعيد لها اليوم بالخارج، عصام بالمطابع
 ويارا لن تخرج من المنزل.. مَنْ يحتاجه سيصل له عبر هاتف
 المكتب، ولهاتف المكتب ميزة في فترة من يستطيع الوصول له،
 واليوم بالأخص لا يرغب في محادثة أمه أو خالته، فلا طاقة
 احتمال لديه اليوم فهو مستنزف من البارحة؛ نظراتها.. رجفاتها
 بين يديه.. شهقات بكائها... تشبثها المرتعب به.. أشعرته
 بغضب، ود لو خنق الدكتور وارد الخارج بيديه، لما حاول أن
 يحادثها؟! أن يسألها عن دراستها هوايتها أصدقاءها الألوان التي
 تحبها، نوع الموسيقى التي تستمع لها... بأي حق يخبرها عن
 تفرد لون عينيها؟!..!!

لو كان يعلم تلك التفاصيل قبل ان يقابله، لأرسله لمنزله بعاهة
 تستوجب العلاج أكثر من ٢١ يوم!

قاطعته سهام السكرتيرة فالיום أوشك على النهاية، سلمته فاكس
 مرسل من الأستاذ حسان يطلب اجتماع هام معه هو وعصام
 اليوم، والرسائل التليفونية تكدست، سلمته قائمة مر عليها بعيونه

حتى استوقفه اسم هب له من مقعده مستقيماً في جلسته هاتفاً
بها:

- أستاذ مهاب اتصل امتي؟؟؟

عقدت حاجبها تشير بقلمها للقائمة:

- مكتوب الساعة ٤ يا فندم

هز رأسه يفركها بكف يده:

- حاجة تانية؟

- أستاذ عصام اتصل وقال نماذج دعاية شركة لوزان جهزت
وحجيبها معاه فحددت معاهم ميعاد

صرفها شاكراً اياها، فعقله الآن مع السيد مهاب صديق أبيه
منصور منذ طفولة حي الأزاريطه، طفولته وطفولة أبيه حواها منزل
جده القديم..

تنهيدة قلق انتباته وهو يمد يده للهاتف يتصل به..

جاءه الرد بصوته الرخيم يذكره بنبرات أبيه الدافئة:

رأيتك دائماً

شغيب وورح

- آلو.. السلام عليكم

رد بخجل:

- وعليكم السلام.. ازيك يا عمي..

- طب ما أنت فاكر اهو أني في مقام عمك أو مال ما بسمعش صوتك ليه ولا بشوفك؟؟

- آسف والله يا عمي مهاب مشاغل شغل

- كان الله في العون.

تنهد تنهيدة واضحة:

- يبقى علشان كده سارة كانت متضايقة الأيام اللي فاتت دي..
علشان كنت مشغول عنها.

كرة ضخمة من الحرج تسد حنجرته، لا لن يكذب على من هو
في مقام أبيه، لن يجرؤ...

- هشام.. أنت لسه معايا؟

رد بصوت متحشرج:

- ايوه يا عمي مع حضرتك

رد مهاب بصوت مهموم:

- واضح أننا لازم نتقابل ونتكلم.

غمم ببطء:

- تحت أمرك تحب اجي لحضرتك امتي؟

- لا أفضل نتقابل بره بالليل بعد ما تخلص شغلك حاستنى تليفونك.

- حاضر يا عمي تحت أمرك

- في أمان الله يا ابن منصور.

أغمض عيونه بألم لا يعلم لما ناداه بابن منصور؟!.. أذكره بعشرة صداقة قديمة، أم هو يعاقبه على ألم وحيدته؟!.. هو ليس بساذج فاتصال عمه مهاب محاولة للتدخل..

ماذا يخبره؟!.. لا أحبها!.. لا أتقبلها!!

يتذكر يوم رآها في منزلهم ومفاجأته أنها ابنة عمه مهاب؛
الذكريات الدافئة والجو الباسم، اكتنفه أمل بأن يعيش الدفء
خاصته معها وصدمه قلبه بالصمم..

كيف يخبره دون أن يجرحه أنه يتحمل الخطبة لأجل خاطره هو
في المقام الأول، لا يرغب أن تمس سمعتها بسوء..

هو لم يعد بشيء.. "ولم تصد أيضاً.. هشام.. على من تكذب!"
لما لا تصبح الأمور أسهل وأبسط...

تنهيدة صاحبها اندماجه مرة أخرى بالعمل ربما ينتهي مبكراً
فلعل اليوم يأتيه براحة ضمير طال أنتظارها...

العمل تكاتل عليه، فغيابه حيوي ومؤثر منذ اللحظة الأولى وها
هو أكبر دليل، فأقتراحه العبقري لصديقه أودى براحته للأيام
المقبلة بلا رجعة، فمع غياب إياد وقع على عاتقه كل مهام
العمل، كانت عيناه تجري على الأرقام والتقارير من أمامه، لكن

عقله يتساءل أيهم سيصعب عليه الأمور أكثر عبد العزيز بيه أم الثعلب أشرف؟ ..

صرخت عضلات جسده وبالأخص ظهره من الآلام الجلوس لأكثر من ٦ ساعات متواصلة على مكتب إيراد، فمند أن غادره، فضل هو أن يكمل العمل بمكتبه بدلاً من رحلات الذهاب والإياب من مكتبه لمكتب إيراد..

رفع قدميه على المكتب، وضع كفيه خلف رأسه، تمدد في جلسته طلباً لبضع دقائق من الاسترخاء يحاول أن يتحمل قدر الإمكان، ويبعد تفكيره عن آلام ظهره..

من أين يعلم أشرف ببواطن أمور العمل؟؟.. وهو الذي لم يخطو بقدمه داخل الشركة خلال السنتين الماضيتين بعد ما حدث بينه وبين إيراد،

زم شفثيه حتى الاجتماعات السنوية لأعضاء مجلس الإدارة دائماً ما يحضرها محاميه الخاص وليس هو، شدد من زم شفثيه وانعقد حاجبيه يشك بأمر ويخشى إطلاع إيراد عليها حتى يتأكد..

سمع طرقات خفيفة على باب المكتب هتف بالطارق:

- ادخل..

فطلت مساعدة إياد مدام منى مردفة:

- أستاذ باسل.. هو إياد بيه راجع تاني؟ .. استناه؟ ..

حاول أن ينزل قدميه احتراماً لها فهتفت مسرعة:

- لا.. لا.. خليك زي ما أنت مستريح، أنا بس بسأل لأنه ما
بلغنيش أي أوامر وهو ماشي ..

غمغم باسل بابتسامة ممتنة:

- لا هو مش جاي.. آسف كنت فاكره بلغك، تقدر تروحي
أنتِ يا مدام منى... آاه مدام منى.. اعلمي حسابك إياد أجازته
لمدة غير معلومة ومش عايز حد يعرف في الشركة أنه مش
موجود.. أي حاجة بلغيني بيها ولو في أي تغيير حابلك..

هزت راسها متعجبة متممة:

- أجازته!!!!

ثم غمغمت متفهمة:

- هو كان محتاجها فعلاً.. طيب عن إذنك، أنا حامشي

هز رأسه موافقاً وبعد أن اتجهت للباب وجدته يعيد فرد جسده
ووجهه يتغضن من الألم:

- أ/ باسل أنت كويس؟؟؟؟

نظر لها بابتسامة شاكرة:

- الحمد لله .. أنا تمام ما تقلقيش..

هزت رأسها ترغب في استكمال الحديث لتجده قد أغلق عينيه
معدلاً من وضع رأسه، ابتلعت كلماتها وخرجت...

ظل باسل على حاله، دقائق من السكينة والهدوء لا يشوبها إلا
نغزات الألم

يسترخي أكثر لا يهمله إن نام في مكانه أو عاد للمتلز فالاثنان
سيان، بالعكس هو يفضل وجوده بالمكتب، فعلى الأقل هناك
بشر، كلمات حياة تلهيه عن الوحدة القاتلة...

قاطع أفكاره رنين الهاتف، نظر لساعته متعجباً من سيتصل به؟
ثم تذكر أنه في مكتب إياد فرغ سماعة الهاتف، حركة يده
السريعة أصابته بالألم حارق فرد بصوت مختنق من الألم:

-ايووه

رد عليه الصمت لم يكن في مزاج للحديث لذا سأل مرة ثانية:

-مين معايا؟؟؟

رد عليه صوت أنثوي ناعم متردد:

-إياد بليز.. من فضلك ما تقفلش، أرجووك يا إياد اديني فرصة
نتكلم

صعق باسل من الصوت فأنزل قدميه بحدة دون أن يبالي للألم
جسده مغمغماً:

-أنا..

قاطعته برجاء:

- أرجوك اسمعني.. أنا آسفة باعتذر لك للمرة الألف.. غشني
ضحك عليا شد قلبي وعقلي بكلامه.. أنا غلطت يا إياد بس ده
مش معناه تحكم علينا بال
- ناريمان.. أنا مش.....

بدأ صوتها يتهدج ويمتلئ بالعبرات:

- أرجووووك اسمعني.. أنا آسفة غلطانة.. وبترجاك بابا غضبان
عليا من يومها مش بيكلمني يا إياد وكمان ماما مش بتبص في
وشي.. إياد أرجوك سامحني... ارجعلي.. لو رجعتلي حياتي
كلها حترجعلي معاك..

- يا ناريمان.. افهمي أنا

- إياد.. أرجوك بطل قسوة بقى حس بيا، كان ناقصني في
علاقتي بيك حاجات بتحلم بيها كل بنت، غلطت ؟ .. ايوه
غلطت.. بس أنت كمان غلطت.. كنت جامد معايا في كل
حاجة؛ كلامك لمساتك وحتى مشاعرك بحساب، دائماً مشغول،
دائماً عندك حد اولى مني بوقتك وأهتمامك، تعبت من القسوة

رأيتك دائماً

شغيفت واربع

دي، القسوة دي ضعفتني.. فين حبك ليا؟.. اعمل ايه أكثر من
 كده قولي وأنا حاعمله!.. اعتذار واعتذرت، ذل وأذلت لك
 بدل المرة عشرة، إياد... خرينا نسي لبعض اللي حصل..
 أرجوك خرينا نبدأ من جديد!

- يا ناريمان!!

- حبيبي...

- يا ناريمان.. أنا مش إياد

سمع شهقة قوية عبر الهاتف فأكمل بسرعة:

- أنا آسف حاولت أفهمك أكثر من مرة، أنا مش إياد أنا باسل

- أنت ازاي...؟؟؟

- أنتِ اللي ما ادتنيش فرصة أفهمك...

- أنا آسفة

صمت محرج ساد لثوانٍ قبل أن يردف باسل:

- ناريمان.. عايزة نصيحة من أقرب شخص لإياد؟

صمتت ولم ترد:

- انسيه يا ناريمان... واحمدي ربنا إن أنا اللي رديت عليك مش هو، لأنه لو كان سمعك رده كان حيحركك جرح عمرك ما حتنسيه

ردت عليه بنهنة وشهقات من تحبس دموعها لتغلق الخط، رفع السماعه من على أذنه وأستند بها إلى رأسه هو مشفق عليها.. لا تعلم طباع إياد ولا تفهمه، أعاد سماعه الهاتف لمكانها وهو يهز رأسه متحيراً كيف تظن أنها تحبه ولم تستطيع حتى أن تتعرف صوته!!

قرر أن يعود للمنزل وما أن قام حتى تهالك على المقعد من جديد، آلام ظهره اضطرتة لأن يمد يده لمسكن الآلام القوي من جيبه يبتلع حبتين منه بدون ماء، تحامل على نفسه حتى يصل لسيارته مبتسماً رغم الألم..

ستكون من الليالي السهلة عليه، حيث التعب والإرهاق سيجعلانه
ينام كطفل قرير العين بدون تفكير أو وحدة، ولكن ظلت فكرة
تؤرقه...

ترى كيف سيتخلص إِيَاد من ناريمان!!؟

الفصل الخامس

من منا لم يتلبس يوماً دور القاضي..!
 العارف ببواطن الأمور ذو الرأي السديد..!
 يتجاوز الحد تارة بالنصح وأخرى بالتوجيه..
 لكن متى ينقلب التجاوز لتعدي سافر؟..!
 فالخيطة الفاصل رفيع حد التلاشي..
 يقال أن الطريق لجهنم ممهد بالنوايا الحسنة..
 نية إصلاح، نية حماية، أو مستقبل سعيد..
 تناسوا أن الأهم هو كيفية التطبيق..
 فبالنهاية مهما كانت النوايا حسنة..
 لا تجيز تعدي الحدود..
 فحتى كيوبيد ذو السهم النافذ..

ليصيب سهمه تنزف القلوب..

مكالمة هاتفية قطعت محاولتها المستميتة لإنهاء كل عملها حتى تلحق بموعدها مع سارة، فهشام يطلبها على وجه السرعة، تخشى أن تكون المدلّهة أخبرته، اضطرب قلبها، لكن ثواني أخرى من التفكير، هي لم تستطع الوصول له لذا هاتفتها، انتابتها تنهيدة ارتياح، إذن فهي ومخططها بأمان، أسرعته إليه في مكتبه، وجدته منغمساً في العمل مع عصام بتركيز..

تتطلع له بتأمل متعجب، لديه من يعشقه، يسامحه بلا حساب وهو غافل، وقفت واضعة يديها على خصرها، شعروا بدخولها وصمتها المريب جعل رؤوسهم ترتفع إليها في ترقب ليجدوها واقفة تحديق بهم بإشفاق..

الاثنان مرهقان بشكل واضح، عصام مرهق من الصباح الباكر في المطابع وهشام.....

هشام مرهق من جميع الجهات، غمغمت:

- خير مالكم عاملين كده ليه زي اللي واخدين علقه؟!..!

رد عصام وهو يتشاءب ويمدد ذراعيه:

- لا وانت الصادقة اسمها مفستكين أنا حاموت وأناام.. لا آكل الأول وبعدين أناام ..

نظر لها بعيون متلهفة مكملًا:

- ماتعرفيش عاملين إيه على الغداء النهاردة؟!..!

هز هشام رأسه وشبح ابتسامة يداعب وجهه:

- يا بني أنت دائماً همك على بطنك كده استنى.. ميرا التصميمات خلصت والتعديلات كمان بصي عليها كده واديني رأيك ..

جلست وتصفححت التصميمات بدقة:

- لا تمام قوي ممتازة

زفر هشام براحة:

- تمام عايزينك تاخديها وتطلعي على شركة لوزان للسياحة
يشوفوها علشان لو في أي تعديل..

عقدت حاجبيها في تعجب:

- من إمتي .. أنا بروح أسلم شغل؟

تنهد هشام وهو يطالع ساعة يده، لا طاقة به للمجادلة:

- لأن في عميل عنده مشكلة في الشغل اللي استلمه ومصر يقابلنا
أنا وعصام للأسف

عقدت حاجبيها في تعجب:

- طيب ومستعجل ليه على شغل لوزان؟ ما نبعته بكره أو بعده
يشوفوها؟

- لا عايز أخلص أي شغل صغير علشان نبقي مستعدين لشغل
المجموعة بتاعة الحديدي لما يتم الاتفاق.

رفعت حواجبها مندهشة:

- وأنت عرفت منين إن الاتفاق حيتم؟ مش يمكن يختاروا حد تاني؟!!

أطلت عليها نظرة ماكرة من وجهه المنهك:

- لا حتتم وعاييز نبقى مستعدين

نظرت لعصام لعلها تجد لديه إجابة فرقع يديه هازاً كتفيه:

- ما تبصليش أنا ما عرفش حاجة وما فياش طاقة أناهد معاك

زفرت تنظر لهم بنصف عين:

- ماشي هو أنا حاطع منكم بحق ولا باطل.. هات التصميمات

وإن شاء الله مستنيني ولا حاطب عليهم كده

- لا إزاي طبعا هما كانوا مستنيني في خلال ساعة فأنتِ حتحلي

محلي لازم تكوني هناك وعم حمدي جاهز مستنيكِ تحت

مطت شفيتها في حنق طفولي:

- كما ان عم حمدي.. طيب عن إذنكم أنا بقى ألحق ميعادي

سلام يا ..

أكملت بغمزة وتهكم مرح :

- يا مفستكين

خرجت مسرعة لمكتبها، تجهز فايلات التصميمات وتأتي بحقيبتها تنظر في ساعتها بحنق فهي ستضطر أن تؤجل موعدها مع سارة ليوم آخر للأسف..

طوال اليوم ابنها غير متواجد، منشغل بإنهاء أوراقه بالجامعة مما أعطاه دفعة راحة، كأنها الآن فقط تأكدت من عودته النهائية، ظلت منشغلة بالهاتف تستقصي من الصديقات والمعارف عن المدعو هشام، فقد استهانت به، وها هو يقف كعقبة ضخمة في طريق سعادة ابنها، يعرقل خططها لسعادته، وبئس من يقف في طريق أم تسعى لسعادة وليدها ..

بعد قليل من البحث والكثير من النسيمة الراقية، وصلت لمبتغاها فقليل الذوق خاطب لابنة صديقة من صديقات النادي، الخبر أصابها بالعجب فهي لم تر صور بالصفحات الاجتماعية أو تهنئة

بالنادي، حتى لم تحصل على دعوة للحضور، اتصلت بصديقتها بعد انقطاع طويل وجاءتها الفرصة من حديث صديقتها على طبق من ذهب، فغزلت خيوط فكرتها بدأتها بعتاب أتبعه امتعاض ثم استنكار، فكيف بابنة الأصول ترتبط بدون إعلان !!..

لا حفل كبير والخطوبة تمت منذ شهر، ألمحت للقليل والقال، سمعة الفتاة والتزام الخطيب المذكور أعلاه، ومع استرسالها بالحديث مع صديقتها أحكمت خيوط فخها، حتى أخرجت الحل من فم صديقتها حفلة كبيرة يحضرها المعارف والأصحاب لتقديم زوج المستقبل للجميع وإخراس الألسنة وأرفقتها بإنقاذ سريع، عرضت المساعدة الصادقة في عمل الحفل بالفيلا خاصتها، فلن تترك ضيق الوقت وإمكانية عدم وجود حجز لمكان عقبه في طريق خطتها ..

وبعد الموافقة وانتهاء المكالمة على وعد بمقابلة لإعداد كافة التجهيزات، تتخيل أم العروس حفل خطوبة كبير متأخر، أما عقل شريفة في واد آخر، يرسم أدق التفاصيل اللقاء والإعجاب

فالزفاف والحفيد، تكاد تنسم رائحته وتلمس جسده بين يديها
وابتسامة متلهفة تتراقص على وجهها.

نزلت ميلا لجراج المبنى متدمرة، وجدت عم حمدي السائق
مغمض العينين، يريح رأسه على مقود السيارة، نقرت بخفة على
الشباك المواجه له، رفع عيون مرهقة لها فهمست بقلق:

-مالك يا عم حمدي أنت تعبان؟

فرد وهو يبتسم بسماحة:

-لا أبدا يا آنسة ميلا شوية صداع وحيروحووا لحالهم.. اتفضلي .

ونزل، هم بأن يفتح لها باب السيارة لتلمع عيون ميلا فأمسكت
بيده تربت على كفه:

-عم حمدي أنت شكلك تعبان قوي .. بقولك روح أنت وأنا
حاسوق ..

اتسعت عيون حمدي العجوز وغمغم:

- لا الله يكرمك أنتِ عارفة هشام بيه حيزعل.

أسرعت مردفة:

- لا ما تخافش وبعدين أنتِ تعبان طول اليوم مع عصام حاقولك.

مدت يدها في حقيبتها أخرجت بضع ورقات مالية وضعتها في

يده:

- خد دول وسلم لي على الولاد وما تقلقش على العربية ..

كانت تتحدث وهي تنحيه جانباً، فاجأت العجوز بأن جلست

على مقعد السائق وأغلقت الباب تستعد للرحيل، رفعت يدها

ملوحة له:

- سلام يا عم حمدي ..

بصوت وعيون يحملون سعادة طفلة، اقتنصت قطعة كبيرة من

حلواها المفضلة، أسرعت بالسيارة من أمامه ترفع سقفها مما

جعله يغمغم:

- ربنا يستر

كانت منتشية سعيدة تقود السيارة بحرية، رفعت يدها تحرر
 شنيون شعرها المعتاد، تتركه للهواء يداعب خصلاته يبعثرها
 كيفما شاء، عبثت بمسجل السيارة ارتفع صوت مغنيها المفضل،
 تدندن معه وهي تخلع جاكيت بذلتها تاركة الهواء يتغلغل
 بقميصها الوردى الحريري ذو الأكمام القصيرة جداً، تشعر
 بالنسمات المنعشة تتخللها بأكملها متناسية كل شيء، قلق هشام
 من قيادتها وقلقها عليه، تحذير أمها وشهقة أحلام المرتعبة، عندما
 طاف بعقلها شكل خالتها إذا رأتها الآن انطلقت ضحكاتها
 مجلجلة داخل السيارة، قررت أن تأخذ الطريق الأطول
 لموعدها..

هي تهتم بالالتزام بمواعيدها دوماً، لن يضيرها أن تتأخر لمرة،
 فتلك الفرصة أثمن من أن تضيع، ترغب في سرقة متعة الانطلاق
 بدون قيود، تدندن وهي تنقر بأصابعها على المقود، تتحرك
 متناغمة مع الكلمات والنغمات، ظلت تلف بسيارتها لمدة تعدت
 الساعة حتى وجدت اتصال من هشام اضطرت لخفض الصوت
 تنحنحت تجلي صوتها ردت بوقار مفتعل:

- أيوه يا هشام؟

قابلها صوته القلق:

- أنتِ فين يا ميرا؟ كل ده تأخير الطريق ما يكملش ربع ساعة

أنتِ فين كل ده؟ وعم حمدي ما بيردش ليه؟

ردت بثقة وهي تدير اتجاه سيارتها لوجهة الشركة:

- هاااا لا أبدا تليفونه فصل، إحنا في الطريق بس السكة زحمة

شوية مش أكثر.

زفر بحنق:

- طيب بسرعة يا ميرا وخلي بالك من نفسك طمني لما

توصلي.

- حاضر ماشي يلا سلام

زمت ميرا شفيتها ها هي لحظات حرقتها قد تبخرت، عادت

لالتزامات العمل من جديد، داعبت أذنيها أغنيتها المفضلة

تنهدت وهي ترفع صوت الأغنية تدندن معها وهي تغلق سقف

السيارة، تسرع بأقصى ما تستطيع..

اخدني معك بالجو الحلو
 خليني معك اسرح يا حلو
 تتمايل بكتفيها ورأسها وهي تغني
 جمالك جمال مش عادي
 وكلامك كلام مش عادي
 شو بدك دلال على صوت الدلال غفيني
 شو بدك غرام ليل الغرام هنيني

- بقولك أي حته بره مصر اتصرف يا أخي.
 - يا بني من عنيا أنت تؤمر بس النهاردة صعب جدااا أنت
 فاكرني إيه؟

زفر محدثه وزم شفتيه واقفاً بنزق وهو يغمغم:

- خلاص أي حته جوه مصر؟

تنهد خالد مرتاحاً:

- أيوه كده من اللحظة دي لو تحب أظبط كل التفاصيل كام يوم؟

رفع سماعة الهاتف يحدث سكرتيرته قام محدثه يتحرك نحو النافذة، يشعر بحاجته للهواء استند على النافذة بكتفه مغممًا:

- شهر

أعاد الهاتف مكانه وهو يحدق بصديقه متعجبًا:

- إيه شهر.. شهر ازاي يعني؟

أمال رأسه ناحيته يردف بلهجة ساخرة:

- إيه صعب عليك كمان تحجز شهر جوه مصر!

نظر له خالد بعيون معاتبة:

- لا طبعًا بس أفهم.

عاد إياد بنظره للنافذة:

- مش لازم .

صمت للحظات شاردًا ثم غمغم:

- هو شهر ..

ثم عقد حواجبه بقوة يدقق النظر، فقد شد انتباهه سيارة مقبلة من آخر الشارع المطلة عليه النافذة بسرعة متهورة مع نغمات موسيقية عالية تكاد تصله من خلف زجاج النافذة، يتخيل من وراء المقود هو شخص حي حر ..

توقفت بصوت فرملة مزعجة تحت مبنى الشركة، وترجلت منها قدمي أنثى، هنا زاد اندهاشه فهي تحاول ارتداء حذاءها ذو الكعب العالي جعلت إياد يرفع أحد حاجبيه باستغراب فالفتاة مشعثة الشعر، دقق إياد النظر في المشهد أمامه، فلولا أنه رأى الفتاة تنزل من مقعد السائق لظن أنها خارجة من سيارة بعد عاصفة عاطفية ملتهبة، شعرها المشعث مع ملابسها التي تحاول أن تعيد ضبطها رسمت بخياله صورة عابثة وعلى شفثيه ظهرت ابتسامة ساخرة، وليكتمل العرض مدت جسدها داخل السيارة مرتكزة على إحدى قدميها تحاول موازنة نفسها لتخرج من داخل سيارتها ملفات وأوراق ..

أفاق من تأمله على تربيته كف من صديقه خالد، جذبت تركيزه من تلك الكتلة المشعثة، التفت لصديقه متسائلاً بعيونه ضحك خالد:

- إيه يا بني بانادي عليك بقالي ساعة بقولك شرم كويس والا مارينا؟

- ها لا عايز حته هادئة

حاول خالد اختلاس نظرات من النافذة مغمغماً:

- هو أنت كنت بتبص على إيه وشدك كده؟ !

أجاب إياد متهكماً:

- ولا حاجة ناس عايشة من غير هموم

قاطعهم بضع طرقات هادئة على الباب، دلفت سكرتيرة خالد مردفة:

- آسفة يا فندم بس البروفة النهائية للتصميمات وصلت أدخلها لحضرتك

أسرع خالد قائلاً:

- آه آه دخليهم معلش يا إياد ثواني وحافضالك وتوجه لمكتبه
يستقبل القادم

ودخلت الكتلة المشعثة كعب عالي مشير، بذلة عمل ضيقة رمادية
اللون بتنورة ضيقة قصيرة حتى الركبة يعلوها جاكِت مفتوح
وقميص وردي حريري، كان لها حق في محاولات ترتيب
ملابسها قبل الصعود فملابسها الآن تبدو كالخارجة من
المعركة..

قدمهما خالد معرفاً فردت هي:

- ااه طبعاً غني عن التعريف .

هز لها رأسه محيياً بصمت مريب.. فكرت ميرا بالطبع مغرور
متعجرف وذو ذاكرة سمكية
فأردف خالد بلهجة محابية:

- أميرا من أحسن شركة للدعاية والإعلان

ابتسمت له ميرا بعدوبة ظل خالد يتأمل عيونها اللامعة وخدودها
المحمرة بحمرة يجزم أنها طبيعية:

- تحبي تشربي إيه؟

هتفت مسرعة:

- لا ولا حاجة ..

وبدأت يدها بسرعة وحنكة في فرد التصميمات، ترغب في
الانتهاء قبل أن تنتاب إياد نوبة تذكر، هي تشك في أنه سيتذكرها
من بين أرشيف فتياته.

اتسعت ابتسامة خالد وبلهجة ناعمة:

- لا لازم تشربي حاجة عندي ما يصحش يا ميرا هشام يقول عليا
إيه؟

تذكرت ميرا هشام لم تهاتفه فبدأت في البحث داخل حقيبتها
وهي تغمغم:

- صدقني مش حيقول حاجة بس المهم حضرتك تشوف
التصميمات.

يا للحظ هاتفها تركته بالسيارة بعد مكالمتها مع هشام، فكرت
لثواني تعلم أنها ستظهر بمظهر الطفلة أو القاصر أو الأسوأ مبتدئة
وأمام من؟! المتعجرف..

لكنها لا تحب مقابلة ثورة هشام عند العودة، يكفيها ما ستلاقيه
بشأن السيارة إن عرف، اتخذت قرارها، في اللحظة التالية نظرت
لخالد بنظرة محرجة مبتسمة بخجل:

- آسفة أ/ خالد ممكن أستخدم التليفون؟

غمغم:

- آه طبعا اتفضلي

ومد لها يده بهاتفه المحمول فقامت محرجة تطلب رقم أخيها،
تحركت لتجد عيون إياد تتابعها بنظرة متهكمة مثيرة للسخط،
تغمغم بكلمات بسيطة :

- أيوه.. هشام أنا وصلت.. أيوه تليفونه.. بس أصلي موبايلي
فصل وحببت أطمئنتك إنى وصلت.. تمام حاضر سلام بقى
علشان أخلص الميتينج بسرعة.

ظلت عيون خالد تراقبها في كل حركة من حركاتها وبها ابتسامة
متلعبة لم تفت على عيون إياد المراقب للمشهد كله وهو مكانه
مستند على إطار النافذة مما جعله يعقد حاجبيه..

تتلجلج وهي تهمس :

- عم حمدي أصل ...

صمت اكتنفها واحمرار وجهها ازداد، من الواضح أنها تتلقى
تقريباً حاداً :

- حااضر.. حااضر..

جزت على أسنانها :

- طيب خلاص سلام ..

أغلقت الهاتف وعادت للمكتب وأعطته بابتسامة شاكرة لخالد:

- اتفضل.. شكراً

حاول تجاذب الحديث معها، لكنها في ثواني بدأت بتوجيه دفعة
الحديث للعمل مما جعله يقوم من على مكتبه، يقترب من

مقعداً متحججاً برؤية أفضل متابعاً لحركات أصابعها الرشيقة على التصميمات، حركات شفيتها وفجأة وجد إياها يضع يده على كتفه بقوة يزيحه من جانبها، مفيقاً إياه من خيالاته بما يمكن أن يكون له معها من قصص وحكايات..

-امممم شغل مش بطال.. كويس نوعاً ما

نطقها إياها بنبرة باردة، رفعت له ميرا عيون مستهجنة هاتفة باستنكار:

-مش بطال!

نظرت لخالد لتجده التفت بجدية يدقق في التصميمات، فرأى مثل رأي إياها لا يستهان به، لمحت ميرا نظرات التشكك في عيون خالد.. إذا فالمغرور يتذكرها وتلك طريقته في رد الإهانة، شعرت أن مجهود أخويها على شفا الهاوية فرسمت ابتسامة ثقة:

-والله ده رأيك الشخصي ومع احترامي ليك رأي أستاذ خالد هنا هو الأهم، هو اللي يهمني سماع رأيه.

رأى خالد

شغيط ورنج

أهدت خالد ابتسامة ناعمة تعلم تأثيرها جيداً، وبدأت تشير على التصميمات بحماس، توضح التعديلات والمجهود المبذول، كلماتها تحمل الاستحسان مشددة على أن المطروح أمامه ما هو إلا ترجمة لأفكاره وتعديلاته العبقريّة لتختتم كلامها:

- ها يا خالد إيه رأيك؟

عقد إياد حاجبيه.. الصغيرة تلعب بقوتها ولا تعلم أنها تلعب بنيران ستطولها، وكان على صواب عندما رأى عيون خالد ترتفع لها بلمعة لو استوعبت معناها لفرت من هنا، فهو يكاد يجزم بأنها أول مرة يسمع اسمه من بين شفيتها دون قيود غمغم:

- حلو.. حلو قوي .

ابتسمت بثقة تمد يدها بقلم وهي تخبره:

- حلو جداً!!! ممكن بقى تمضي لي بالموافقة على التصميمات، وفي خلال يومين سيكون كل الدعاية جاهزة على الاستلام.

أنهت جملتها وهي تتابع إمضاءه وترسل نظرات متحدية متشفية
لإياد، بدأت في لملمة الأوراق والتصميمات بتأني وعلى شفيتها
ابتسامة انتصار حاول خالد معها:

- طيب إيه رأيك بالمناسبة دي نتعشى سوا...!!

رفعت إحدى حاجبيها ورأسها له مندهشة وردت بابتسامة صفراء:

- يا ريت كان ينفع للأسف اتأخرت ولازم أمشي.

حاول مرة أخرى:

- طب تحبي أوصلك؟...!

بنفس الابتسامة ردت:

- لا ميرسي معايا عربيتي..

شعر أنه تقدم تقدم رهيب بسماع اسمه مجرداً منها واستحقت
منه محاولة أخرى:

- ماهو ماينفعش أسيبك تمشي لوحدك، سبيها وأنا حاوصلك..
وابقى ابعت لك السواق بكره بيها لحد الشركة أو لحد البيت لو
تحبي.

أوووف زفرة حبستها داخلها، لن يمل وهي تعلم خاطرت
ونجحت وعليها الآن الهرب بدون خسائر والسبب المتكبر، فلولا
استفزاز المغرور لما تباستت معه، زادت من تثبيت ابتسامتها
الصفراء على وجهها توجه له نظرة قوية وحادة مع استخدامها
لأقوى أسلحتها:

- آسفة مش حينفع لإن طريقي غير طريقك أستاذ خالد وكمان
هشام مستيني ..

ها هي قالتها وهي تضغط على حروف هشام بقوة وتركيز، في
ثواني غمغت مستئذنة لتخرج من باب المكتب ابتسم إياد
ابتسامة ساخرة على إحراج صديقه فالمشهد أمامه كان مشير
غمغم:

- أنا ماشي يا خالد..

رأيتك دائما

شغيفت وارتحت

هتف به:

- إيه!!.. أنت مش قلت سهران معايا النهاردة؟!..!

لوح له إياك بيده:

- بعد امبارح بقى عندي ثقة إن سهراتك شبهك..

تركه وانصرف مسرعاً فأمامه ثأر استحق وقت دفعه..

خرجت من مكتبه تزفر بحنق، السخيف تجراً وطلب منها موعد
عشاء، الأحمق المغرور المتعجرف لولا وجوده وتشكيكه بعمل
أخويها لما اضطرت لمداهنة خالد لكنها الآن تخشاه، فرأيه
وطريقته لا تتماشى مع ثقة هشام بنيلهم تلك الاتفاقية..

زمت شفيتها عاقدة حاجبيها وأفكارها تتقاذفها، منتظرة المصعد
لم تشعر بالشخص الفارع الطول الذي يقف خلفها، ما أن خطت
داخل المصعد وجدته بجانبها فرفعت عينها لتجده.. المتعجرف
بابتسامته الساخرة ونظرة عيونه المستهزئة منها.. زمت شفيتها
بقوة تبعد نظرها عنه راغبة في القليل، فقط القليل من ضبط
النفس لتجد صوته يلاحقها:

- يا ترى بقى هو ده مستوى الشغل الفعلي اللي بتقدموه للعملاء بتوعكم؟!..!

أغمضت عيونها وهي تصر على أسنانها، تخبر نفسها بضرورة الهدوء فهو عميل مهم، مغرور لكن مهم سمج وبارد لكن هشام يحتاجه.. وتفاجأت به يكمل:

- امممممم واضح إن الواحد محتاج يعيد نظر تاني في العرض بتاعكم..

أهدته ميرا نظرة مميتة حانقة، فتحت شفيتها رغبة في الكلام ثم أغلقته ثم أعادت فتحه قبل أن تغلقه مرة أخرى، لا ترغب في التهور لأجل خاطر هشام، متلذذاً بتلظيها تحت نيران كلماته، ضغطها شفيتها معاً خشية الخطأ أبرد القليل من غضبه فأردف:

- واضح إنكم محتاجين مصممين أفضل من كده لو عايزين نفكر جدياً بيكم معانا.

ابتسامته الساخرة المستهزئة منها جعلت لسانها ينطلق من عقاله:

-إحنا عندنا أفضل مصممين في المجال وأنت عارف كده
كويس، الأفكار الجديدة عندنا مالهاش مثل وشغل هشام تقدر
تسأل عليه السوق كله والعملاء بتوعنا وساعتها حتعرف إن
مافيش حد اشتغل مع هشام وشركتنا إلا وانبهر بالنتيجة يا أستاذ
إياد.

-أستاذ إيه بقى! بلاش ألقاب وخليها إياد بس
رفعت له عيون مندهشة أكمل بعيون مظلمة:

-يعني بعد تعارفنا المرة اللي فاتت بيتهيا لي الألقاب مالهاش
لازمة ..

صمتت تنظر له مستكشفة ليكمل وهو يرفع أحد حاجبيه لها:

-أو ببساطة اعتبريني زي خالد.

زفرت وهي تتمتم:

-اللهم طولك يا روح.

تغاضى عن تتمتها مغمغماً:

- إيه رأيك أعزمك على فنجان قهوة بدل اللي دلقتيه؟

زفرت بقوة وهي تهز رأسها، تتحاشى النظر إليه حتى لا تترك العنان لأظافرها لتعيد رسم ملامح وجهه، المراهق العابث مستمتع بإغاضتها، ويضع إصبعها تحت ضرسه إحساس تكرهه ليكمل بسخف لا يقل عنه:

- واضح إن ميعادك اللي فات كان مرهق ومتعب قوى واستنزف طاقتك كلها فرفضت عرض خالد.. حاسس بيك.

ينظر لها نظرة عابثة رأت انعكاسها في مرآة المصعد، الأحمق لا يعلم أنه يلعب في عداد عمره، أخيراً أنقذها أو أنقذه المصعد بفتح أبوابه قبل أن تخرج مد يده أمامها يمنعها مردفاً:

- ما ردتيش على عرضي ..!!

رفعت له عيوناً تطلق شرراً:

- أبعد إيدك خليني أعدي ..

رفع لها أحد حاجبيه وابتسامته الساحرة مضمونة التأثير سريعة المفعول تتراقص على وجهه:

- مش قبل ما تردي عليا.

أغمضت عيونها تتنفس بقوة، تعد من ١ إلى ١٠ ، غمغم وهو يهمس بالقرب من وجهها تستشعر أنفاسه:

- ولا تحبي تبقى عشاء؟

فتحت عيونها تشتعل بزرقة نارية وفي الثانية التالية شعر بالآلام لا تصدق، ليهتف بتأوه فقد غرزت كعب حذائها الحاد في قدمه مما جعله يترنح في وقفته يسب بوقاحة من الألم وهي تبتسم ابتسامة بريئة:

- اوووو أوبس معلش.. دايمًا كعبي بيغرز في أماكن غريبة.

مطت شفيتها وهي تكمل :

- احمد ربنا إنها جات في رجلك مش في حته تانية ..

وانطلقت هاربة من أمامه لتلمع عيونهُ وهو يتبعها متحامل على ألم قدمه مسرعًا خلفها

وصاح بها:

- أنتِ قد اللي عملتيه؟.. تقدري تتحملي نتائجه؟

وصلت لسيارتها واستدارت له مبتسمة بتهكم تنظر له من أعلى
لأسفل:

- على الأقل مش بتحامى في فلوسي

عقد حاجبيه بشدة مقتربًا منها، عيونه تحمل غضبًا أجفلها،
جعلها تتحرك خطوة للخلف فاصطدمت بسيارتها:

- أنتِ قولتِ إيه سمعيني كده؟

غمغمت وهي تنظر لعينه.. ترتجف من نبرته تشعر أنها أهانته
بقوة لكن كرامتها من تتحدث:

- مستهتر، ما تقدرش تفرق بين الناس المحترمة اللي بتشتغل
بجد والناس اللي مقضينها مراجيح..

نظرته أرعبتها فعضت شفتيها لا إردايا ورفعت أوراقها حاجزًا
بينهما.. غريزتها تخبرها بضرورة الهرب وقدمها العنيدة مسمرة
بمكانها ليميل عليها، يهمس بصوت خشن يتأملها بنظرة وقحة
يمد يده لخصلات شعرها الثائرة:

- ما هو مش بعد العرض فوق عند خالد حتعيشي في دور البريئة.. مايلقش عليكم الدور ده أنا مسافر شهر أجازة تاخدي كام وتيجي معايا؟

انسحب اللون من وجهها تمامًا، تضاءل خوفها أمام جموح غضبها، ليذهب العمل للجحيم وتركت يدها علامات حمراء على خده الأيسر، أمسكها من ساعدها بقوة آلمتها كادت تسمع طقطقة عظامها في قبضته، لا تبالي بألم أردفت:

- أنت شخص سافل.. من غير فلوس أبوك أنت ولا حاجة ولازم تعرف إن لولا هشام كنت عرفتك بنات الأزاريطة بيردوا ازاي على أمثالك..

نطقها وعيونها تحدق به بقرف واضح، وعيونه تناظرها القرف بغضب ناري جعلها تبتلع ريقها، شدد من قبضته يعتصر ذراعها يقربها إليه قاطعه صوت خالد:

- إياااااد

دالة راجع

شخبط ورتح

تشتت انتباهه عنها لثواني جعلها تنفض ذراعها منه، والغضب أو
الخوف تكفل بجعل قدمها تتحرك بسرعة تبتعد بسيارتها من
أمامه، جز إيراد على أسنانه وهو يقبض يديه حتى ابيضت مفاصله
يلتفت لخالد:

- عايز إيه؟

نطقها بحنق وغضب اتسعت له عيون خالد ليرد:

- تليفونك.. نسيت تليفونك.

توجه إليه اختطف هاتفه من يده بقوة وأسرع إلى سيارته فقد
وجد غضبه متنفسه الأمثل الآن..

هاتفها لا ينتهي من الرنين هشام وأحيانا عصام، لكنها لا تقوى
على الرد من قوة حنقها، تفرغ انفعالها في دواسة الوقود، تزيد
من سرعة سيارتها، الأحمق الوقح المغرور السافل كيف تجراً؟

تعلم أنها أخطأت بالتبسط مع خالد، لكنها لم تستطع أن تتركه يتغلب عليها بسهولة، يهدم مجهود أخويها ويسيء لعملهم وها هي بفورة غضب وانعدام سيطرة أفقدت هشام حلم من أحلامه ..
 أعمى عيونها ضوء ساطع من خلفها جعلها تطلق نفير سيارتها معترضة، لكن السيارة الخلفية لا تبالي فغمغت أبله آخر تركت له المجال ليتخطاها وما كادت تفعل حتى ندمت فالسيارة اندفعت بسرعة الصاروخ تتخطاها وفجأة وجدتها تهدئ من سرعتها مما أرغم ميرا على تقليل سرعتها ساخطة، يبدو أنه يوم الحمقى العالمي ..

بدأت السيارة تضايقها، يرغبها على البقاء خلفه وعلى سرعة محددة، أثار سخطها، مرة تلو الأخرى تحاول المرور منه ولكنه ماهر.. أحمق نعم ولكنه أحمق ماهر في القيادة، وهي ليست بنفس خبرته لم تشعر بنفسها إلا وهي تطلق نفير سيارتها بنغمة سبة سيئة يعلمها جيداً سائقي السيارات، وقبل أن يحاول سائق السيارة أمامها التوقف كانت قد لمحت مخرج لطريق جانبي

أسرعت في التحرك له، مرسله له سبة أخرى أشد وقاحة من سابقتها..

دلفت للمتزل لتجد زيد ويارا جالسين والتوأمتين بالتأكيد مختلفيتين.. تفاجئا بمنظرها المشعث ليضحك زيد قائلاً:

-إيه ده!!.. شكلك زي اللي طالع من خناقة

خلعت حذاءها وجلست على الكرسي بتهالك :

-والنبي تسكت يا زيد مش نقصاك

تعالت ضحكته:

- هههههههه ده مين تعيس الحظ اللي معكر مزاجك كده

زفرت بحنق:

- عيل وقع

اهتم بكلامها محافظاً على وتيرة صوته هادئة مرحة:

- ده أكيد حد ضايقك في الشارع ما هو لو في الشغل كان هشام

قام بالواجب وزيادة

شهقت بتذكر مفاجئ وهي تخبط بكفها على جبينها:

- هشام كل ده مستنيني في الشركة وماقولتلوش إني مروحة

غمغمت يارا بحنق:

- حرام عليكِ دول كانوا تعبانين جدا

رد زيد:

- عادي كلميه

تهربت ميرا وزاغت نظراتها فهشام قد علم بعدم وجود عم حمدي معها وتوعدها فغمغمت:

- لا أنا مش قادرة أصلا، كلميه أنتِ يا يارا وقوليله علشان خاطري

هزت يارا رأسها متعجبة وأسرعت لإحضار هاتفها:

- مساء الخير يا إتش

- مساء النور يا يارا عاملة إيه؟

- الحمد لله بخير وأنت؟

- الحمد لله

- أنا بس كنت عايزه أقولك ارجع على البيت؟

اعتدل هشام في جلسته يرد بصوت مترقب للأسوأ:

- ليه في حاجة؟

- لا ما تقلقش بس ميرا رجعت على البيت.

حنق اكتنفه فمند حادث عم حمدي وعلم بعدم وجوده معها وهو على أعصابه لولا اجتماعه لذهب إليها بنفسه.. رد بحنق واضح:

- هي الهانم كويسة؟

- خلاص يا إتش عديها المرة دي علشان خاطري

- يا يارا ما ينفعش تاخد العربية لوحدها وتكذب عليا وعايزاني اعديهالها ..

التفت يارا تنظر بفرع لميرا التي تهربت من نظراتها لغرفتها.. قاطعته:

- علشان خاطرى يا إتش بقى سماح المرة دي ومش حتحصل
تاني

-اقفلي يا يارا دلوقتِ

-طب خلي بالك من الطريق

ارتسمت شبح ابتسامة على شفثيه مغمغماً:

-ما تقلقيش سلام

اتخذ مهاب مجلسه على مقهاه المفضل منتظرًا هشام، فقد هاتفه
وهو في طريقه إليه، يزفر وهو يحدق لسماء الليل بنجومها
المتراصة، يشعر أنه بتدخله قد أخطأ..

خشيته على ابنته من مجتمع مغلق، كل تعاملها مع الرجال اقتصر
على أبيها وأعمامها وأخوالها في الأجازات، رعبه مما حدث
لابنة أخيه الرقيقة التي ما أن نزلت للجامعة بالقاهرة حتى وقعت
في حب شاب، الساذجة لم تستطع تخير الصالح من الطالح، من
كلمة ناعمة ونظرة متقنة سقطت في هواه، والشاب المستغل أذلها

رأيتك

شغيب وريح

وأذل العائلة، وحتى الآن حبا لها كالسلاسل على يديهم تغلها لا
يقدرها عليه بشيء فأقل أذى يطوله تسقط الفتاة بانهايار عصبي،
ويوم رأى ابنته تتهد على فيلم رومانسي وبعدها وجد بيدها
رواية عاطفية أنهى عقد عمله وعاد خشية عليها.

لا لن يلوم نفسه، فهو لم يصدق حظه حين رأى هشام، نسخة من
أبيه شهامة ورجولة منصور رحمه الله، ألم يقل المثل اخطب
لبنتك؟! إذن أين الخطأ؟! لم مدلته ووحيدته حزينه؟! قدمه هو
لها على أنه الرجل المثالي لها، أيخطئ الرجل حين لا يرغب
لفتاته أن تتعذب، أن يكسر قلبها، اختار لها الفتى المناسب
واتفق مع أمه، وكانت الخطبة في البداية مبشرة لأقصى حد
ولمعة عيونها كانت الدليل، لكن بمرور الأيام اختفت اللمعة
وحل محلها الحيرة والتخبط، يحتاج لأن يحدثه لأن يفهم.

أفاق على سلام من هشام، رد سلامه وهو يتأمل الفتى الصغير
الذي كان يتعلق في أذيال منصور حين يأتي للمقهى قديماً أصبح
شاب يعتمد عليه، كل مرة يراه يتذكر صديق عمره وتنغز عيونه
دمعة بألم فراق حارق لموت صديقه وهو بعيد

تنهد وبعد السؤال عن العمل والأحوال بادره مهاب:

- هشام يا بني أنا في مقام والدك وزى ما سارة بنتي أنت ابني..
طمثني يا بني أنت في مشكلة بينك وبينها؟

صمت هشام وابتعد بنظرات عيونه عن عمه مهاب غمغم ببطء:

- مش مشكلة يا عمي بس...

القلق استشرى بصوت مهاب:

- بس إيه يا بني؟ صارحني أنا زي ما يهمني مصلحة بنتي يهمني
مصلحتك.

ابتلع هشام ريقه وقرر أن يتخير كلماته ليطلق حقيقة ستؤلم مهما
جملها:

- عمي حضرتك عارف إن دي خطوبة، ودي فرصة إننا نشوف
حنتأقلم مع بعض والا لأ

قاطع مهاب:

- وأنت مش مرتاح مع بنتي مش كده..!!

رأيتك

شغيب ورنج

نطقها مهاب بصلافة، تقطر خيبة أمل من حروفها سلخت هشام
وسقطت مرة على قلبه، فلم يجد سوى أن يغمغم:

-أنا آسف

رفع مهاب يده يقاطع هشام وهو يردد:

-عارف يا هشام لما شوفتك قولت راجل من زهر راجل، يقدر
يشيل المسؤولية يحافظ على بنتي ولما شوفت بتعامل أختك
وبنت خالتك ازاي زدت في نظري وعرفت إنك حتشيل اللي
تتجوزها على راسك ..

تنهد مهاب:

-أنا مش زعلان دي مشاعر مالناش يد فيها بس هي سارة برضه
زيك؟ مش حاسة بأي حاجة ناحيتك؟

صمت هشام لثواني قبل أن يردد:

-صدقني يا عمي أنا اتعاملت معاها بما يرضي الله، راعيت ربنا
فيها زي أخواتي وكلامي معاها كان بحدود فما اقدرش أحدد.

بهت مهاب، ربما هذا سر ذبول ابنته حيرتها وضيقها مؤخرًا، هل قلقة جعله يجبرها على القبول به مرغمة؟ ظن أن بحديثه مع هشام سيصل لباطن الأمر لكن الآن سارة هي مربط الفرس، رفع مهاب عيون حائرة متألمة:

- سبني أتكلم مع سارة وأشوف الوضع إيه

عدم الارتياح المرسوم على وجه هشام أقلقت مهاب زادت من حيرته، هل يريد أم لا؟! هل هناك بينهما ما يخفى عن ناظره؟ كل الأجوبة التي تهمة عند ابنته أنهى المقابلة مع وعد بعدم ذكر مقابلتهم لأحد.

وغادر الاثنان هشام قلق من رد فعل سارة، ومهاب قلق من ابنته أو بالأحرى قلق عليها.

يباشر العمال بهمة ونشاط بعد أن انتهى نهاره بإنهاء أوراق اعتماده بالجامعة، يمضي ليله الآن في تجهيز عيادة الأحلام، حلمه وحلم أبيه الراحل وحلم أمه له من بعده، فالعيادة استلمها

رأيتك
رأيتك

شغيف
وراح

منذ يومين وهي الآن خلية نحل عمال في كل اتجاه، هو يراهن نفسه على ١٠ أيام وستكون جاهزة لاستقبال مرضاه، امتعاضات متعجبة من العمال فهو حازم يعمل معهم لم يروا من قبل طيب وارد الخارج يعمل بيده، ينفذ ما يعلمه وما لا يعلمه يسأل عنه، يتعلمه

قاطعته اتصال من أمه تستفسر به عن تأخره، توقع أن تفتاحه في أمر يارا ولكنها لم تفعل حمد لله، تلك الفتاة تشغل باله بالفعل منذ الصباح فبعد أن أنهى تمارينه الصباحية بالنادي وفي غرفة استبدال الملابس سمع سهوا حديث بعض العاملين عن فتاة جميلة بنية الشعر بعيون زرقاء حديث النادي منذ البارحة، فتاة كبيرة تبكي كالصغار تائهة وكلما اقترب منها أحد بغية المساعدة ارتعبت حتى ارتمت في أحضان أحدهم، عقد حاجبيه عند سماعه لوصفهم للفتاة اقترب منهم وبعد إكرامية استرسلوا في الحديث ليتأكد ظنه هي فتاته المنشودة يارا التي تحيره، زم شفثيه مبتسماً لنفسه ساخرًا يحدث نفسه:

- واضح إن مالکش حظ مع الجنس الناعم يا ابن شريفة

سأله صبي النقاشه:

-بتقول حاجة يا دكترة؟!..!

التفت له متعجباً، فانطلاق لسانه بمكنون عقله عادة مقبلة
جديدة عليه صاحبه منذ يوم وصوله ولقاؤه بها، لا لن ينساق
للذكرى، ربت على كتف العامل:

-لا أبدا كنت باقول الحيلة دي محتاجة وش كمان.

وعاد ينهمك في عمل مرهق ينحي عن عقله ذكرى، يركز في
كيف سينفذ ما عقد العزم عليه

الفصل السادس

إذا فكرت في المتاعب؛ أسرع لك المتاعب..
 وإذا فكرت في اللذات؛ أسرع إليك اللذات..
 كالتنويم المغناطيسي، فسحر الإرادة الملتهية يصنع كل شئ
 د. مصطفى محمود

هل سمعتم يوماً عن قانون الجذب؟

ببساطة الشئ يجذب نفس الشئ..

إحقد يُحقد عليك، إحسد تُحسد، إعشق تُعشق، آمن يؤمن بك،
 أخلص يُخلص لك، تفائل بالخير موقن بوجوده ينهال عليك،
 إخش المصائب تتواكب عليك، خِف الوحدة تعش وحيداً، توقع
 الفشل تفشل..

أو كما يرددّها البسطاء "اللي يخاف من العفريت يطلعه..".
 دقائق خفيفة على باب غرفتها فعلها مضطر، فما وصل لمسامعه
 وهو واقف لمدة تقارب النصف ساعة أمام بابها من نهضة وبكاء
 أدمت قلبه، هي تمثيل لأقصى مخاوفه وأشدّها ثقلاً على نفسه..
 هو بتدخله ومع مراعاته أن كل معطيات معادلة سعادتها على
 أحسن ما يكون؛ أفسدها، وهو عائد من مقابلة حملت له ما
 عاكس ظنونه أو بالأحرى أمانيه، فقلبه كان يعلم منذ البداية..
 حين فتحت له الباب أجفله منظر عيونها المنتفخ التي تحاول
 مداراتها بابتسامة مهتزة:

- بابا!!.. حضرتك جيت إمتى؟

قلقه الشديد عليها ألجم لسانه لثوان قبل أن ترفع أطراف يدها
 محرجة لعيونها تمسح بقايا عبرات ندية، تبرر سؤال لم ينطق به:
 - عينيّ بتدمع من الصبح مش عارفة مالها، شكلها جالها عدوى
 ومحتاجة قطرة.

رفع يده يداعب وجنتها، يحتضنها بدفء متسائلاً ببسمة:

- ممكن أدخل؟

تراجعت داخل غرفتها مسرعة:

- اتفضل يا بابا طبعاً.

دخل يتنهد، نظر حوله بتمهل.. حاوية قمامتها تنوء بما تحمل من مناديل ورقية وعيونها خير دليل، جلس على سريرها يربت بجواره:

- تعالي يا سارة اقعدي جنبي.. عايزك.

رعشة أصابتها فارتجفت لا تعلم لماذا!!.. لكن دوماً أبيها مباح ومدلل لها، نبرته الجادة لا تظهر إلا وقت الجد، أسرعت تجلس إلى جواره مطرقة الرأس تتلاعب بها ظنونها.

ترى أخبره أحد عن زيارتها الباكية المنهارة لشركة هشام؟!.. أما ربما أمها أسمعته تدمرها عن عدم وجود خطبة كما أسمعته منذ قليل..!!

لم يحتاج لحاسة سادسة ليقرأ ما تتابع على وجهها من ظنون قلقة ومتوترة بحدة أخافته، ابتلع ريقه متنهداً:

رأيتك

شغيب وريح

- سارة.. حاسألك سؤال تردى عليّ فيه بكل صراحة ووضوح.

رفعت له عينيها المحمرتين تناشده الإسراع:

- أنتِ مبسوطة مع هشام؟

شحب وجهها، ارتجفت شفثيها لثانية وهو يحاول سبر أغوارها قدر إمكانه، ابتعدت بعيونها عنه مطرقة الرأس من جديد، مد يده يرفع ذقنها ليواجه نظراتها الهاربة منه وهاله ما رأه في مقلتيها من دموع:

- كلميني يا بنتي بصراحة.. قوليلي كل اللي جواكِ وأوعدك حاريج قلبك.

لطالما كان هو مكن أسرارها، ولكن تلك المرة مختلفة.. أتجرؤ على البوح له؟!.. حسمت أمرها وشردت بنظرها للنافذة وهي تغمغم بخفوت:

- إمتى يا بابا مبسوطة معاه.. إمتى؟!.. يمكن لو سألتني السؤال ده أول ما اتخطبنا؛ كنت قولتلك إنى طاييرة، فتى أحلامي اتجسد

قدامي في شخص حي، أنت بنفسك كنت مبهور بيه، كنت
فرحانة حاسة بدفا لذيذ، اهتمامه بي... ..

صمت لثوانٍ وانتظر والدها بصبر:

-هما أول أسبوعين وأحلى اسبوعين مروا عليّ في حياتي،
وبعدها اتبدل.. اتغير بقى بعيد، بعيد قوى، وكل أما أحاول
أقرب منه بأبعده عنى أكثر، مش عارفة أعمل ايه!!.. لما أقول
سببيه وانسيه وهو حي جري وراكِ قلبي يخونني..

وصمت.. لم تستطع إكمال كلماتها بارتعاش صوتها الباكي، رفع
مهاب يده يحاوط كتفها.. يربت عليها برفق ثم يسألها وهو موقن
الاجابة:

- بتحبيه؟

رعشة اكتنفتها جعلتها ترفع يديها تحيط بها نفسها، وهي تهمس
باكية:

- قوي.. ما أعرفش إمتى وإزاي!!

احتضنها أبيها بقوة يربت على شعرها وهي تبكي بشدة كأن
دموعها لا تنضب، يمسد ظهرها برفق، يهددها كما كان يفعل
وهي صغيرة، حروفها المتعثرة عصفت بقلبه..

ماذا يفعل؟!.. أصددها الآن برغبته بالفراق!!.. أم ينتظر لوقت
آخر لا تكون فيه بمثل هذا الضعف!!.. ربما لو طلب من هشام
فرصة أخرى؟!.. أغمض عينيه بسخط مستتر هاتفاً لنفسه:
"أستفرض ابنتك عليه يا مهاب؟!.. آهذا هو حلمك لقرة
عينك!!"

زفر بقوة يحاول أن يجد مخرجاً، دقائق امتدت طويلة حتى خفت
بكاؤها وتحول لنهبات خافتة.. بدأ يستجمع أفكاره، سيخبرها
وينهي الأمر، وجع ساعة ولا كل ساعة:

-سارة.. أنا عايزك تسمعيني وتفهميني كويس، أنا عمري ما
تخيلت أسلمك لزوج أئتمنه عليكِ إلا بعد ما شوفت هشام، ده
مش معناه...

قاطعته رنين هاتفه وهو كمن يستجير ببضع لحظات يؤخر المحتوم
أسرع يرد عليه، بضع كلمات وشحب لونه فعمه الكبير مريض

بشدة ويطلب حضوره على وجه السرعة.. شعر بالفزع وسارة
تحاول تهدئته فقد كانت المكالمة واضحة لا جدل، هتفت:

-روح له يا بابا..

ربت على رأسها وقبل شعرها:

-حبيبتي كلامنا لسه ما كملش و...

قاطعته تربت على كف يده:

-أما ترجع يا بابا المهم ربنا يقومه بالسلامة.

هرع للخارج ينادي زوجته، يوقظها لتعد له حقيبة سفر اضطرارية
وغفل في غمرة قلقه واضطرابه من ملاحظة لمعة عيون زوجته
الدامعة وعزم يتصاعد بداخلها ونصيحة صديقة ترن في أذنيها.

الحمقاء.. الوقحة من تظن نفسها؟!..!

أنا "إياد الحديدي" تتهيني فتاة غرة!!.. لا ليست غرة فهي
بالتأكيد ليست ساذجة.. يظهر على تصرفاتها أنها ذات باع

رأيتك عالم

شغيف وورث

طويل في التعامل مع الرجال، وكيف لا وهي تظن نفسها جميلة!!.. أدارت الأحمق الآخر خالد على أصبعها الصغير بوقت قياسي..

تلك الشفاه ترى هل هي طبيعية!!.. ترى هل لونها الحقيقي وردي مثل وجنتيها؟!.. أم أنها مجرد أصباغ كغيرها؟!..! زم شفتيه، كم تمنى لو أزاله.. ليس رغبة فيها بل فقط فضول ليعلم ما لونها الطبيعي!!.. الجميلة الوقحة المثيرة، زفر في نزق:

- أنا حاعرفك يعنى إيه وقاحة بجد..

وفجأة استدار بسيارته بحدة، جعلت عجلاتها تصر على الأسفلت بصوت مرعب، استعاد سيطرته على السيارة ببساطة غاضبة يعيد توجيهها للقاهرة، فلن يهنأ له بال بأجازه أو غيرها قبل أن ينهى حساباته مع الجميلة الوقحة.. تتمم من بين أسنانه:

- اصبري عليّ يا بنت الأزاريطه..

عاد باسل لمنزله مرهقاً متعباً، لا يحلم سوى بفراشه وحبّة مسكن، ليتفاجأ بصديقه ينتظره أمام مدخل البناية، مستلقٍ على مقدمة سيارته باسترخاء وكأنه على شاطئ البحر، علت الدهشة وجهه وهو غير مصدق لوجوده مما جعله يتمتم بتساؤل:

-إياد!!.. أنت هنا بتعمل إيه؟!!

رفع إياد رأسه وهو مازال مستلقٍ ورد ببرود:

-مستي جنابك.. أنت اتأخرت كده ليه؟

رفع باسل أحد حاجبيه ينظر إليه شزراً:

-لا ابدأ كنت بخلص شغل سعادتك يا بيه، قوم تعالى نطلع أنا مش قادر أقف.

صعد الاثنان للمنزل وبدأ إياد يتأمل المكان، مر وقت طويل لم يدخله، بيت اعتبره يوماً منزله الثاني، كان يحسد قاطنيه على دفعته دوماً، تساءل:

-إيه ما فيش اتفضل؟

نشز صوت باسل في أذنيه يشده من ذكريات قديمة:

-اتفضل.. بس ما تاخدش راحتك قوي ها.

رفع له أياد حاجبه باستعلاء ملاحظاً كم البيت منظم مرتب ونظيف بشدة، حتماً باسل يستعين بشخص ما.. فباسل شاب مصري أصيل، لم يستطع قبلاً الحفاظ على أشياءه منظمة لساعة واحدة حتى لو اعتمدت عليها حياته، جلس بتراخي على أحد المقاعد، وباسل يتحرك حوله في المكان مردداً بصوت عالي:

-لو عايز تتعشى؛ شوف حتطلب ايه لأنه ما فيش أكل.

مط إياد شفتيه يرد بنفاذ صبر:

-مش عايز أكل، وبطل حركة وترتني، أنا عايز التحريات اللي جات عن شركة الأدريسي.

ترك باسل ما بيده واتجه إليه.. جلس في الكرسي المقابل له:

-لا كده أفهم بقى.. في إيه؟

برود نبراته لم يخف لهيب الغضب المتطاير منها:

-عايز أتأكد من حاجة.. معاك التقارير؟

مط باسل شفثيه بحنق:

- على اللاب توب.. ثواني أبعثهم لك.

عدة دقائق قضاها متأملاً في ذكريات طفولة قضى معظمها بين جدران هذا البيت الصامت الآن، رنين هاتفه جعله يعود لتركيزه، يتصفح التقارير باهتمام، عيونہ تجري على التفاصيل..

شركة عائلية، منذ ما يقارب الثمان سنوات، مؤسسها هشام الإدريسي وفريق عمله الأساسي أخيه وأخته؟!..!

اعتدل عند هذه المعلومة في جلسته!..!..! ميرا منصور؟!..! أخته!!
اسمه بالكامل هشام منصور محمود الإدريسي؟!..! حلت الدهشة على ملامحه بقوة، جعلت باسل يتساءل بسخرية:

- أدفع ١٠٠ جنيه وأعرف إيه اللي خلاك مزبهل كده؟

لم يبالي بكلمات صديقه وعقله يراجع كل النظرات على ضوء ما وصله.. اللمسات كانت دعم وتشجيع من أخ لأخته..

لحظة.. هو أخطأ أثناء الاجتماع لكنه لم يخطئ منذ قليل؛ فخاله ليس بأخيها، لا يعلم لم ينغزه ضميره!..! لكن مظهرها المشعث

رأيتك عالم

شغيب وورح

المتلاعب بخالد جعله يزفر بحنق، ربت باسل على ركبته وهو
يجلس بجواره:

- مش حتقولي فيك إيه؟!.. غير موضوع ناريمان؟

فرك إياد جبينه وعينه بتوتر:

- دماغي مش مضبوطة.

- مش قولنا تاخد أجازة وتغير جو..!!

هز إياد رأسه بتأكيد ورفع هاتفه يتصل بأحد الأرقام:

- ألو.. مهرة إزيك أنتوا فين؟!.. ماليش مزاج أسوق، طب ما
تيجوا أنا عند...

فوجئ بباسل يخطف منه الهاتف ويغلقه بغلظة، نظر له مندهشاً:

- أنت إيه اللي أنت عملته ده؟!!

سدد له باسل نظرات قوية غاضبة:

-إياد.. قولتلك قبل كده سهرات في البيت هنا لا، والشلة دي مش حتخش البيت.. إنسى، عايز تسهر معاهم روح لهم مع السلامة، لكن هنا لا..

صرامته وكلماته القوية جعلت إياد يهتف به بقوة:

-وده يدك الحق تشد منى التليفون!!.. أنت اتجنت؟!.. على أساس إن الشلة دي مش أصحابك أنت كمان؟!
رماه باسل بنظرات نارية:

-كان زمان وخلصنا.

زفر إياد مرة والثانية لا يرغب في التوجه لتلك الذكريات مع صاحبه، ذكريات أبدلت كلا منهما إلى النقيض، لن يصب عليه غضبه، يكفيه ما به..

رنين هاتفه في يد باسل جعل صديقه يمتد شفثيه بقرف واضح ويرميه له بينما يقول:

-رد على الهانم..

التقط إياد الهاتف ليغلقه تماماً مردداً:

- قوم هات لي تريننج عايز أناام.
 - أنت مانسنى لإمتى إن شاء الله؟
 ابتسم إِيَادِ ابْتِسَامَةٍ بَارِدَةٍ يَعْلَمُ أَنَّهَا تَغِيْظُ صَدِيقَهُ وَهُوَ يَتَخَلَّصُ مِنْ
 حِذَائِهِ:

- لسه مش عارف.. بس مش أقل من أسبوعين.
 نظر له باسل بطرف عينه ماطاً شفّتيه:

- منور، قوم اقلع جزمك عند الباب، أنا مش الشغالة بتاعتك..
 - يا مصبر الوحش...

ابتسم باسل نصف ابتسامة، متعجبٌ من تصرفات صديق عمره..
 لكن رَغْمًا عَنْهُ شَاكِرٌ لَوْجُودِهِ يَبْدُدُ وَحْدَةَ تَفْتِكِ بِأَعْصَابِهِ.. قَامَ
 يَحْضُرُ لَهُ مَنَامَةٌ، وَصَوْتُهُ يَهْتَفُ بِهِ:

- شيل الجزمة من على السجادة.. ما باهزرش.

يحرك فقرات عنقه يمينا ويساراً من إرهاق اليوم، فاليوم دوره يستمع لنغمات سمفونية موسيقية على ما يبدو مشهورة، لا يهمه لمن!!.. المهم أنها مريحة للأعصاب، يحاول إشغال نفسه بتصفح بعض المجلات فلم تمضي إلا نصف ساعة فقط من موعدهم الأسبوعي..

عاد برأسه لظهر كرسية يتذكر كيف وصل به المطاف لهذا؟!.. فمند أسبوعان حينما أبلغته سكرتيرته بوجوده على الباب يصمم على مقابله كاد يؤدي بحياته داقاً عنقه، تنفس نفساً عميقاً يتذكر...

- بتقولي مين؟! -

اتبلت سكرتيرته ريقها:

- واحد بيقول د. معتر قدري ومصمم يقابلك.

صمت انتابه للحظات أتبعه بجملة واحدة نبرتها أرعبتها:

- دخليه وما تدخلش حد علينا.

أسرعت تنفذ أمره، دخل معتر بابتسامته الرزينة المعتادة، يمد له يده مصافحاً، نظر له هشام من أعلى لأسفل وقام على مهل بشكل مبالغ فيه، ظل معتر ماداً يده بصبر منتظراً مصافحته، حتى صافحه بقوة فاجئت معتر وانعقد لها حاجبيه، دعاه للجلوس ثم بدون تأخير سأله:

-خير يا دكتور؟

-أنا عارف إنك مستغرب وجودي، بس أنا شخص صريح ما بحبش اللف والدوران.

ضاقت عينا هشام.. لو نطق بما يتوقعه سيخرجه من هنا على المشفى وليكن ما يكون:

-أنا مهتم بالآنسة يارا.. وكنت عايز أقابلها وأتكلم معاها...
لكمة طارت لتستقر على فكه تقاطع كلماته، انفجر به هشام:

-أنت فاكرها ايه..!!

قاطع معتر بصرامة وهدوء وهو يمسح فكه بأنامله:

-مريضة..

كلمته فاجأت هشام بقوة صادمة ألجمته، انعقد حاجبيه وتراجع
لكرسیه ومعتز يكمل حديثه:

- حاتغاضى عن اللي عملته دلوقت، لأني شايف إن السبب اللي
جاي علشانه أهم، بوضوح أكثر أنا عندي اعتقاد إن أخت
حضرتك بتعاني من حالة نفسية متفاقمة وضميري كطبيب يحتم
عليّ أني ما أسكتش.

صمت هشام، يرتب أفكاره المتشابكة، يتأمل الجالس أمامه
مدققاً، يهدئ من ثورة أنفاسه، أيقّر بمرضها لغريب قد يستغل
الفرصة ليظهر بأخته!!.. أم ينفي بقوة؟!.. زفر بهدوء:

- حالة مرضية إيه يا دكتور اللي بتتكلم عنها؟!.. هو أنت
اتكلمت معاها كلمتين على بعض؟

عقد معتز حاجبيه بغضب، أكثر ما يمقته هو نكران المرض وكانه
عار.. والذكر الشرقي المائل أمامه يكاد يثبت أنه لا يختلف عن
باقي القطيع، لكن شئ ما بنظرته تنبئه ألا يتسرع في حكمه
ويتمهل، قرر ابتلاع غضبه مجيباً:

- أستاذ هشام.. ياترى كلام عمال النادي عن هيستريا أختك وعياطها يوم ما قابلتنا في النادي، ورعب وخوف فتاة بالغة زيها من أي حد يقرب منها يكفيك كدليل على كلامي!!.. وأكاد أجزم إن ده كان سبب ظهورك يومها استنجدت بيك مش كده؟

صمت اكتنف الجلسة، وحديث طويل دار بين العيون، معتر الغريب يطالب بحقها في التشخيص والعلاج، يظنه غافل أو الأسوء متهاون، زفر هشام بضيق:

- المطلوب إيه يا دكتور؟

وضع معتر بطاقته الخاصة على مكتب هشام وهو يعتدل مغادراً:

-المطلوب زيارة لأي طبيب نفسي للتشخيص، وأنا هنا بأعرض خدماتي واهتمامي لأن جزء من عملي التطوعي في لندن كان الاهتمام بحالات الاعتداء وأخت حضرتك بتظهر أعراض مشابهة..

التفت قبل أن يخرج من الباب:

رأيتك عالم

تشخيص ودراسة

- أستاذ هشام.. ثق إن غرضي واهتمامي كطبيب فقط، وسواء أنا
اللي تابعت حالتها أو حد غيري حيكون طي الكتمان..
فلمصلحتها ما تترددش.

ليلتها لم ينم.. ظل يقلب كارت معتر الخاص بين يديه.. يقلب
الأمر في رأسه من كل الجهات حتى استقر على رأي..

قام من غرفته يلجأ لزيد وبعد حديث بينهم قرر زيد مقابلة معتر
قبل اتخاذ أي قرار.. وبالفعل تقابل الثلاثة بأحد المقاهي.. بعد
استفسارات من زيد ومتابعة صامته من هشام، استقر الاثنان على
الاستعانة بمعتر بدون معرفة التوأمتان، فلا يمكنهما الاعتراض
على ما لا تعرفانه.. وأصر هشام على مرافقتها بنفسه كل جلسة..

وها هو في جلستها السادسة يتذكر ما أخبره به معتر عن حالتها،
صدمة ما بعد الاعتداء تحولت لديها بسبب التقاعس عن العلاج
النفسي لأحد أنواع الفوبيا من الرجال..

لكنه متفائل، تلك الكلمة أودعت هشام القليل من الراحة،
فكلما سمع من معتر كلمة عن حالتها كان يتمنى أن يقتل نفسه،

كيف طاوعهم وامثل!!.. خانها للمرة الثانية، يشعر كل لحظة بأنه الآن فقط يكفر عن خيانتة لها..

خرجت من داخل العيادة خجلة مطرقة الرأس، كم كان يود لو دخل معها مثل أول ثلاث جلسات.. كل مرة كان يدخل معها يجلس بجوارها، يشد من أزرها حتى طلب منه معتر عدم الدخول فهي قد اطمأنت له بما يكفي، لم يعد يستطيع أن ينتظرها كل مرة بالخارج، عقله يظل يصور له بكاءها وانهارها بالداخل وهو بعيد عنها.. لذا رأفة بنفسه قرر تشارك الأيام مع زيد وتناوب الحضور.

وصل إليها يربت على كتفها لتتنهد بارتياح ما إن رأته.. تعلقت بذراعه فسألها:

-إيه.. خلاص خلصتوا؟

ابتسم معتر مشجعاً:

- كانت جلسة ممتازة.. ما تنسيش الدوا اللي اديتهاولك قبل النوم، ماشي!!.. ومستنيك المرة اللي جاية.. سلمولي على زيد.. عن إذناكم.

تركهم فرجع هشام يده يحاوط كتفيها ويشاغبها:

- ها.. الجميل نفسه يروح فين؟!!

فعضت شفتيها مفكرة:

- أي حنة.. أي حنة؟

فهز رأسه لها موافقاً:

- نفسي أقعد على النيل يا إتش.

غمز لها مجيباً:

- طلباتك أوامر.

يختلس إليها النظر كل فترة وهي مبتسمة شاردة حتى سأها:

- مالك سرحانة في إيه؟

تنهدت قبل أن تجيبه:

-تفتكر يا هشام الجلسات دي حتيجي بفايدة؟!!

نظر لها عاقداً حاجبيه:

-أكيد طبعاً.. بس بتسألني ليه؟!.. ما حكتيليش إيه اللي حصل

في الجلسة النهاردة؟

تنهدت من جديد:

-ما تقلقش.. لا جديد.. المعتاد.

نظر لها بجانب عينه، فهتف بها بصرامة مماًزحاً:

-طب إفردي وشك يا هانم.. واحكي لي كل حاجة بالتفصيل وإلا

ما فيش خروج.

ابتسمت وهي ترد بسرعة:

-لا خلاص حقول.. إيه أنت ما صدقت؟!..!

وانطلقت تحكي ما حكته لمعتز وتفاصيل أسئلته وهو صامت

منصت مترقب.

أسبوعان يهرب سريعاً من جو البيت الخانق، فخصام أمه وأخيه
دوماً حارق لأيونات السعادة في الجو، لا يتأخر في الخروج إلا
الأيام التي أوصاه هشام على وجوده أثناء نزول يارا للجلسات،
كنوع من التشويش على التوأمان الخطوة الوحيدة الإيجابية في
حياتها الراكدة، يشغل نفسه بعمل المطبعة ويقضي وقته بين
العمال، علاقته بهم تزداد قوة وترابطاً، حكاياتهم تزيده رضا
بمجريات حياتهم بحلوها ومرها، لكن لا تمنع الملل يفكر جدياً
بعد انتهاء عمله بالسفر ليومين السخنة أو ربما يزور خالته حورية
بالأسكندرية البلطية الكبرى، كبيرة التوأمان، أوحشته مناكفتها
اللاذعة، عقد حاجبيه فبريده الألكتروني استلم رسالة جديدة
لكنها موجهة لزيد ليس له..

مر بعينه على الرسالة سريعاً، ليتعالى منسوب القلق لديه، صديق
فرنسي لزيد يسأل عن أخباره وصحته، ويبشره بأخبار جيدة
توصل لها بحثه ويحثه على التواصل، وبنهاية الرسالة مرفق تحية
له خاصة من فرانك ويؤكد عليه أن رسالته لم تلاقي رد من زيد

منذ أكثر من ثلاثة أسابيع وهو قلق على أخباره ويرجو منه أنه يطمئنه عليه

زيد؟ ما به أسرع يهاتفه قبل أن يترك الهاتف من جديد متراجعاً، يفكر ملياً زيد تلك الأجازة مختلف مشغول البال، هادئ مستكين أكثر من اللازم، قرر سؤال فرانك بإيميل آخر يسأله عن نتائج بحثه وقرار آخر بضرورة التركيز مع أخيه أكثر وسيقع ما يخبئه دون جهد، هتف بصوت عالي:

-إعملي شاي معاك يا عم إبراهيم وهاتلي أي حاجة آكلها الله يخليك لسه اليوم طويل.

أسبوعان هما مدة انطوائها بالمنزل فهشام ما زال مخصصاً لها، أسبوعان بعيدة عن مكتبها، حتى لقاءاتها الأسبوعية مع صديقاتها ألغتها تماماً، تذهب للنادي صباحاً للتريض وباقي يومها تتابع عملها من المنزل، هشام لولا خصامه لاستجوبها بقسوة لمعرفة سبب تغيبها عن الحضور للشركة..

ماذا ستخبره تلقيت عرض غير لائق من شخص غير محترم!!..
وبالمناسبة هذا الشخص هو مدير صفقة العمر التي أفسدتها،
الصمت التام من جهة مجموعة شركات الحديدي يورق مضجعها
يجعلها تأكل أصابعها خوفاً من أن ينفذ الأحمق تهديده لها..

اليوم قررت أن تقابل سارة، تناستها خلال الأسبوعين فلم يكن
لها خلق لاحتمال دلالتها واليوم قررت إكمال ما انتوته، وها هي
تبحث عنها بعينها في أرجاء المقهى الفخم حتى رأتها تجلس
وحيدة شاردة وملامح هجر ترتسم على وجهها، تنهدت ميرا
واستعانت بالله تدعو بسرها أن يقويها لإتمام المهمة دون أن
تصفعها..

تداعب حقيبتها ذات الماركة العالمية، تفكر تارة بهشام
المتباعد، وتارة أخرى بأبيها الغائب، وكلمات أمها على مدار
أسبوعين تحاوطها من كل جانب، تتذكر رفضها الشديد لزواج
الصالونات ونفورها من أي عريس حتى رآته، تلك الفراشات
التي تثير المعدة وتقلب الكيان شعرت بها ما أن التقت عيناها
بعينه، كرهها لزواج المعارف انقلب لاحترام، انبهار فسلام

فكلام أتبع أسر الكفان فابتسامة واحدة منه وسلمت الرايات،
وقعت أسيرة لحب من أول نظرة..

شهر واحد وأصبحت سارة مختلفة دون أن يطلب، انغلقت حياتها
في انتظار مراسم هدايتها، إن أشار لليمين انساقت وإن أشار
يسارًا انسابت، كانت ملك إيماءاته حتى ضن عليها بوجوده،
صارت متفوقة يقتلها الفكر أين أخطات؟!..!

هي تعبت أرهقت، ترى في نفسها العيوب والنواقص، لا تصدق
بجمال زينة أو ملبس حتى تسمع مديح معاكس، لا تعلم سبب
تلك المقابلة ولا تستسيغها فميرا حادة قاسية صراحتها كحد
السكين..

جفلت على لمسة يدها وابتسامة مشفقة صعقتها، حقيقةً هل وصل
بها الحال لتستحق ابتسامة شفقة ومن من!!.. ميرا.. عيونها
امتلاّت بالدموع في ثواني، وعانت هي في التمسك بها، جلست
ميرا بتمهل تسأل مشورتها في طلب العصير والمعجنات، حروف
ترسم بها كلمات لاهية، تظنها غافلة عن محاولتها اعطاؤها
الوقت للتماسك فنى شعور داخلها باحترامها، تنهدت قبل أن

تجاريها وهي ترفع أطراف أناملها الأنيقة لتمسح عبرات خادعة
فاضت بها عيناها على غفلة من عيون ميرا.

بدأت ميرا في حديث فتيات، حقائق.. مصففي الشعر...
وأزياء، كانت تنظر إليها كأنها أمام ميرا أخرى غير التي عرفتها
طوال شهور، ونجحت باقتدار في تنحية هشام من أفكارها..

راحة واندماج ممتزج بتيه اكتنفها، ما إن استشفته ميرا من نبرتها
وحركات يديها أيقنت أنه وقت المصارحة قد حان، فوقتها لا
يحتمل النواح والعبرات المتناثرة فهي سيئة في لعبة المواساة:

- سارة أنتِ مش شايفة أنك محتاجة تقربي من هشام أكثر من
كده.

رفعت لها عيون متعالية بنظرة حادة.. لم يتعدَ فيها الألم إلا ثوان
حتى غلفها جرح الكرامة بالغضب فها هي تغرز يدها في عمق
جرحها:

- أنا ما عرفش أنتِ بتكلمي عن إيه أنا وهشام علاقتنا كويسة
جداً.

- اممم واضح أنك شايفة غير اللي كلنا شايفينه يا سارة.
صمتت.. ضربة في الصميم، تعري الجرح الملتهب ليتزف قلبها و
تتزف معه كرامتها، وتركت لها الساحة مهزومة من أول جولة:

- أنتِ قصدك إيه يا ميرا بكلامك ده.

- بصي من الآخر كده أنا علشان أعرض عليكِ مساعدتي.

عقدت سارة حاجبيها:

- مش فاهمة تساعدينني في إيه؟

ردت ميرا بحزم:

- أساعدك تقربي من هشام ويحبك زي ما أنتِ بتحبيه.

ابتلعت سارة ريقها، عيونها متسعة من صدمة صراحة كلمات ميرا
الجارحة:

- أنا مش فهماكِ.

- في الحقيقة الموضوع بسيط، أنا بساعدك علشان مصلحة
أخويا وليك حق تقبلي المساعدة أو ترفضها.

ألقت عرضها واستقامت في جلستها مسترخية، ترفع كأس عصيرها إلى شفيتها ترشفه ببطء وترسم نظرة هادئة بلا معالم، تنتظر قرارها لعدة لحظات حتى وصلها همسات سارة الخافقة بقرارها المتوقع:

- حتساعديني إزاي؟! -

لمعت عيونها بظفر، هذا هو ما ترغبه أن تفيق تلك المدلهة وتواجه أخيراً الواقع وتطلب المساعدة، راغبة وليس مرغمة، وبدأت تخبرها بتفاصيل ما يحب هشام ويكره في الأنثى، ومن أفضل منها هي أخته لتسلمها مفاتيح قلبه، عليها تنجح في اصطيااد قلبه تلك المرة.

أيقظه بوسادة مقذوفة بقوة على رأسه، هب من نومه:

- إيه في إيه يا بني آدم أنت حد يصحي حد كده؟! -

وجد باسل يشد الغطاء من فوقه بعنف ويرمي له ملابسه هاتفاً بقوة:

- قوم إلبس يلا..

جلس إيراد على سريره وهو يزفر بغضب:

- أنت اتجننت رسمي يا زفت.

صمت لثانية قبل أن يسأله منعقد الحاجبين:

- أنت بتعمل إيه هنا مش في الشركة ليه؟

تكتف باسل أمامه وهو يخبره بحق:

- أولاً صح النوم يا بيه إحنا بقينا الظهر، ثانياً آه اتجننت لما حضرتك تبقى مقضيها سهر وسرمحة وألاقي اللي اسمه أشرف داخل مكتبك قال إيه يتابع الشغل لحد ما حضرتك ترجع....

هب إيراد مقاطعاً في ثواني من الفراش وعينه تتقد نيران:

- أنت بتقول إيه؟ أشرف دخل المجموعة إزاي؟

- زي ما بقولك جاي يتابع الشغل بما إنك مختفي.

أمسك بتلايب صديقه هاتفاً بغضب:

- وسيبته يدخل هناك إزاااي؟

نفض باسل ذراعي إياد بحنق، يختار لإياد ربطة عنق تتناسب مع
البذلة التي رماها له منذ برهة مجيباً:

- أنا باشتغل هناك يا إياد زي أي موظف وحتى مع اسهمي
البسيطة، ما أقدرش أمنع واحد من الشركاء الرئيسيين المؤسسين
لها بدخول أي مكتب.

خلل إياد خصلات شعره بأصابعه بعنف وهو يتمتم:

- إزاي جاتله الجراءة يرجع تاني؟! .. إزاي!؟!

نظر له باسل بجانب عينه قبل أن يبتعد مغمغماً:

- أنا حاعملك قهوة تفوقك عقبال ما تجهز.

أسرع إياد يتجهز بسرعة صاروخية وعقله تدور تروسه بحدة
وعنف ضاري

أوصل هشام يارا للمنزل بعد أن أخذها برحلة نيلية في قارب
خشبي، لم تضحك هكذا منذ سنين سعادة طافت بكيانها، أنستها
كل ما يثقل كاهلها من هموم، محت مرارة أسرار بدأت تطفو

رأيتك عالم

شغيب وورح

على السطح من جديد ببدء الجلسات، إصرار هشام على معرفة التفاصيل يريحها، نزواته لها وتسوقها مع زيد بعد كل جلسة من أمتع الأوقات التي مرت بها في حياتها، تنهدت بسعادة تحاول كبح ابتسامتها وهي تدلف للمنزل، فأماها وخالتها سيعودان لاستجوابها بكل الطرق وهي تبقى مخلصه لسرههم الصغير، كما كانت دومًا وهم صغار لن تشي بما بينهم، استقبلتها كلمات خالتها آمال:

- أهلا حمد لله على السلامة يا يارا ما شاء الله بقينا بنخرج ونتفصح كل يوم، ووشنا ردت فيه الدموية.

ابتسمت لها يارا بحرج وأطرقت برأسها، اقتربت منها خالتها تحتضنها وهي تهمس بأذنها:

- مش حتقوليلي روحتوا فين النهاردة أنتِ وهشام؟

نظرت لها يارا ببطء وهي تهمس:

- ركبنا فلوكة في النيل وكلنا أيس كريم.

اتسعت ابتسامة آمال وارتفع حاجبها من الدهشة، وارتفعت
دعوة من قلب أحلام وهي ترى الراحة تتقاذف على وجه ابنتها بعد
طول غياب:

- ربنا يسعدك يا هشام يا ابن آمال، ويريح قلبك ويفك كربك
ويسعدك باللي تسعد عمرك زي ما أنت مفرح قلبي.

ابتسمت أمه لدعوة أختها وهي تأمن خلفها:

- آمين يا أحلام.. آمين.

ارتفع رنين الهاتف بالمتزل فأسرعت يارا لترد محدثة نفسها
"أكيد هشام بيطمئن عليا"

- ألو

- السلام عليكم ازيك يا يارا

اختل توازن دقات قلبها، تلك النبرة ليست بغريبة عنها، هذا
الصوت المقبض ليس بغريب أبداً غمغمت بخفوت وهي تبلع
ريقها:

- مين حضرتك؟

- أنتِ مش عارفاني يا يارا أنا عمك مرتضى.

شحب وجهها واختفت حمرة السعادة، وحل محلها شحوب
الفرع ، استدارت تنظر لأمها وخالتها المراقبين لها متممة:

- عمي مرتضى!!

لينقبض قلب التوأمتان معاً، انعقد حاجبي آمال بقوة تنظر لأختها
التي هتفت وهي تنظر لها بخوف ضاربة على صدرها:

- مرتضى استر من المهالك يا رب.

الفصل السابع

ينسبون لبني آدم سمات من جنس الحيوان..
 إما بالمدح أو بالذم ..
 فهذا بدهاء الذئب وتلك بفضول قطة ..
 جسارة أسد، أو بخساعة ضبع ..
 أما ذاك فوفي وفاء الكلب ..
 إن كانت تلك الصفات بحلوها ومرها جيلة خلق عليها الكل ..
 عبرة لكل مفضل ذي إدراك..
 وطمع الأنسان يأبى الا ان ينافس الحيوان
 حتى على أنجس الطباع

أنهت موعدها مع الولهانة بعد عناء، تنفست الصعداء مهمة
تطوعية اكتملت والآن حانت المهمة الالزامية ..

سيارة أجرة نقلها إلى مجموعة الحديدي في محاولة منها
لإصلاح ما أفسدته ..

نعم ستعتذر من الأحمق المراهق، تعد الكلمات المنمقة
والاعتذار المسترسل، واحداً تلو الآخر غير مقتنعة بما تتوصل إليه
كل مرة فتلقيه وتبدأ من جديد، تزفر بسخط، فكلما اقتربت من
مقصدها كلما زاد توترها وشعورها بغباء ما تقدم عليه، لكن كما
تقول خالتها الكبيرة منبع الأمثال والمواعظ:

"إن كان لك عند الكلب حاجة".....

نصف ابتسامة ماكرة ارتسمت على وجهها، سيد إياد ستردها
مراراً وتكراراً، وتطفئ نيران غضبها بإهانتته كل مرة حتى وإن
كان بينها وبين نفسها، تعتذر له وتحثه أن يفصل بين العمل
والصبيانية ...

آآخ لن تستطيع لفظ "صبيانية" فلتجد مرادف آخر هي تريد تهديئة لا إشعال، ربما مراهقة أو طفولية!!.. لا لن ينفع، آها وجدتها "عدم احترافية .."

وصلت بها السيارة لوجهتها، بدأت معدتها تئن من فرط توترها، نعدت السائق أكثر مما يستحق فصمته وتركيزه على الطريق بدون كلام التسلية المعتاد؛ كانت ما تحتاجه لترتيب أفكارها ولهذا هي ممتنة له ..

عقلها يناوشها، يراجعها، يطالبها بالعودة أدراجها، وقدميها بعقل خاص تتحركان بقوة وثقة، تعرفان مقصدهما.. وصلت للمصعد، دخلته تناظر نفسها بمرآته، تتنفس بعمق، تميل برقبته لليمين واليسار، تنفض يديها بقوة محرقة كتفيها بحركة دائرية للخلف، كملاك مقل على قتال العمر، وحين فتح المصعد أبوابه كانت صلبة شامخة الملامح ترفع أحد حاجبيها بتصميم، وابتسامة واثقة مرتسمة على وجهها، وجملة واحدة تتردد بعقلها "من أجل خاطركم، من أجلك هشام"

التقطت عيونها تحركات قلقة بطابق الإدارة الذي سبق وزارته يوم الاجتماع الكارثي، اتجهت لمديرة مكتبه سيدة أربعينية أنيقة، حين اقتربت منها التقطت توتر ملامحها همسها الغاضب والزاجر لأحدهم، استعانت بأكثر ابتسامتها براءة وعذوبة:

- مساء الخير.. مدام منى مش كده!؟!

ارتفعت لها عيون السيدة الرمادية متسائلة:

- أيوه.. تحت أمرك.

ازدادت ابتسامة ميرا حلاوة ورقة وهي تكمل:

- حضرتك أكيد مش فاكراني.. أنا ميرا منصور.. كنت جيت مع فريق شركة الإدريسي للإعلان.

ظهرت علامات الإدراك على وجه المرأة:

- أيوه أيوه افكرتك.. خيرا!!.. ما أعتقدش إن في ميعاد النهاردة؟

وبدأت في البحث الحثيث على حاسبها وأطرافها متوترة، أنقذتها ميرا من بحثها:

- لا أنا ما عنديش ميعاد.. أنا جاية طالبة مقابلة ضرورية بالسيد إياد.

انعقد حاجبا مني:

- آآه... آسفة مش حينفع.. ياريت حضرتك تبقي تتابعي معايا بالتليفون ونحدد لك ميعاد مناسب.

رفعت ميرا أحد حاجبيها في تصميم، واختفت النظرة البريئة لتحل محلها نظرة إصرار:

- أنا متأكدة أنك لو عرفتيه إني هنا حيوافق على طلبي بسرعة حتذهلك.

أدارات مني عيونها بتزق، هبت من مقعدها، تجز على أسنانها:

- لما أقولك مش حينفع النهاردة خالص؛ يبقى مش حينفع.

- وأنا مش حامشي إلا لما السيد إياد يعرف إني هنا وعايزه أقابله ..

نطقتها بصوت علت نبراته بقوة، وغفلت عن نظرات مني التي تجاوزتها لما خلفها، نظرات اتسعت بمفاجأة.. ثم بقلق فحنق

رائة عالم

شغيط ورنج

من الحمقاء التي تغرز نفسها فيما لا تدري، قبل أن تنتبه لاتجاه
نظرات منى فاجئها صوت دافئ عميق:

- في إيه يا مدام منى!!.. مادام الأنسة عايزه تقابل إياد وهو مش
موجود؛ أنا موجود مكانه.

التفتت ميرا خلفها مسرعة تواجه صاحب الصوت، تعقد عينيها
في تساؤل متعجب، نظراتها تجرى عليه.. فمن أمامها أقل ما
يقال عنه شخص عملاق، كانت تظن أخيها هشام عريض الجسد
وطويله لكن من أمامها هو ببساطة عملاق.. لقد اضطرت مع
إنشآت كعبها الستة أن ترفع رأسها للأعلى لتناظر عينيه التي
أرسلت رجفة فزع في جسدها ..

قرأت كثيراً عن نظرات الرجل الذئبية وها هي تراها رؤى العين،
نظرات تعريها من ملابسها حرفياً، حتى أن يدها ارتفعت تتأكد
من إغلاق سترة بذلتها، ابتلعت ريقها، وعقلها يضيء بضوء أحمر
بلافتة بحروف كبيرة "الهرب الآن"

- لا خالص مش مشكلة.. مرة تانية يكون رئيس مجلس الإدارة
موجود.

ارتفع أحد حاجبي العملاق والتوت شفثيه في ابتسامة ساخرة،
لمعت عيناه بتحدٍ لم تفهمه:

- مين قال إن رئيس مجلس الإدارة مش موجود؟! .. آه.. نسيت
أعرفك بنفسي.. أشرف الشاذلي، شريك بالمجموعة وأحد
أعضاء مجلس الإدارة.

اغتصبت ابتسامة ترسم القوة على وجهها:

- أهلا وسهلا.. تشرفنا، مش مشكلة أنا حاستنى وجود إياد بيه.

اختلفت الابتسامة وحل محلها جمود على ملامحه:

- أنتِ جاياله في حاجة خاصة بينكم ولا موضوع متعلق
بالشغل!؟

اندفعت ميرا بسرعة تنفى اتهام مبطن بكلماته:

- لا طبعاً خاص بالشغل.

- يبقى اتفضلي على المكتب.

شدت من قدها وارتفعت منسوبات التحدي بدمها، خطت بخطوات قوية من أمامه وهو يناظر حركات جسدها بعينه بنظرات مقتحمة مخجلة، تخطته وهي تحمد الله أنها قررت ارتداء بذلة رسمية من بنطال وسترة وليست تنانيرها المعتادة..

تركها تتقدمه وعاد بنظراته لمنى الواقفة بوجوم، ينظر لها بنظرة متحدية ملقياً لها أمراً واجب النفاذ:

-أي حد يطلب إياد تدخلهولي فوراً.. وكل مواعيده مافيهاش إلغاء.. أنا موجود، وبسرعة يكون عندي عصير للضيقة وقهوتي.. فاكراها ولا نسيتِ يا منمن؟!!

ألقى كلماته وتركها تسقط على مقعدها تغطي رأسها بكفيها.. لا تعلم أتشفق على المسكينة التي خطت لعرين أضرى الذئاب شراسة!!.. أم على الغائب عندما يعود؟!.. هل سيمر ما يحدث بسلام؟!!

"أنتِ مش عارفاني يا يارا؟!.. أنا عمك مرتضى"

شحوب الفزع احتل وجهها واختفت حمرة السعادة، قلبها انتابته
انقباضة الفقد، وعيناها غلفهما سواد الموت:

- عمي مرتضى!!

رأت الفزع مرتسماً في عيون أمها وخالتها، سمعت أمها تهتف
بما قبض قلبها:

- مرتضى؟! .. استر من المهالك يا رب.

صمتت وهي تسمع صوته يبتعد يبتعد:

- يارا!! .. أنتِ معايا؟! .. ألو ألو...

أسرعت التوأمتان ليارا المترنحة في وقفتهما، ساندتها خالتها آمال
في حين أسرعت أحلام تلتقط سماعة الهاتف التي نفضتها يارا
من يدها وكأنها ثعبان سام، سمعت صوت أمها:

- السلام عليكم.. إزيك يا حاج مرتضى!؟!

قوة قبضة خالتها على ذراعها وكتفها جعلتها تلملم شتات نفسها،
تنتشلها من ذكرياتها ربتت على يد الخالة هامسة بخفوت:

- أنا كويسة يا خالتو.. ما تقلقيش طمني روكا علي.. أنا داخلة
أوضتي أرتاح شوية.

هزت آمال رأسها بصمت وعيونها تودع يارا حتى باب غرفتها،
جذبتها كلمات أختها النزقة:

- هو مين اللي يسأل يا حاج برضه؟!.. عموماً خير أوامر يا
حاج... آه وماله تنور اتفضل... ماشي مستينك... وعليكم
السلام.

عاجلتها أختها آمال بالسؤال:

- كان عايز إيه مرتضى يا روكا؟

ردت أحلام ويدها على قلبها واجفة:

- مش عارفة.. بيقول جاي يشوف الولاد.

رفعت عيون قلقة لأختها فقابلتها نظرات قلقة أخرى، غمغمت
بتساؤل:

- من إمتى الحنية دي؟!.. تفتكري يكون وراها إيه الزيارة دي؟

فركت كفيها ببعضهما بتوتر مجيبة:

- مش عارفة!!.. بس مش مطمئة.. عمره ما جه من وراه خير.

أنهت حديثها مع أمها التي أخبرتها أن أبيها مازال منشغلاً بمرض عمه ووقت عودته غير معروف، قررت أخيراً الموافقة ولكن بشروطها ستحضر الحفلة كمدعوة مع هشام، لكن لا تقديم ولا ذكر بدعوة الحفلة عن خطبتها، ستثب خطبتها للجميع بحضورها المتألق والمتأبط لذراع هشام بالحفل، لذا يجب عليها استغلال الحفلة التي تقيمها لها صديقة أمها شريفة هانم في فيلتها الخاصة..

"يا بنتي طول ما هو مش ملتزم قدام الناس؛ حيفضل حاسس إنه عازب ومش خاطب.. مادام عايزاه؛ لازم تحاربي علشان يترمي تحت رجلك"

"اسمعي كلامي.. حنروح الحفلة وتظهروا كمخطوبين.. إيديكم في إيد بعض والباقي سيبه علي"

لا تعلم لمَ دقائق قلبها تتدافع!!.. الرعشة تكتنفها.. جالسة أمام هاتفها تمد إليه أصابعها تارة وتقبضها إليها تارة أخرى، تخشى رفضه.. فميرا حذرتها؛ أكثر ما يكرهه هشام هو المفاجآت، شددت عليها لا تجعله آخر من يعلم وإلا استعدي حينها لدفع الثمن..

أخرت دعوة هشام قدر الإمكان محاولة إقناعه بعفوية الحفلة، فهي لا تخشى من كلمات تجرحها، بل تخشى سكوته اللامبالي واعتذاره متزوع الروح المعتاد، أول مرة تسأل نفسها.. هل يستحق كل تلك المعاناة؟!.. الفستان الفيروزي اللون معلق بباب خزانها يتحداها أن تتلبس دور المحاربة، كلمات ميرا ترن بأذنيها:

"كوني قوية في مشاعرك

ضعيفة في قلبه

استثيري بداخله حمية الرجل للأنثى التي تحتاجه

ليس مفتاح كل رجل أنثى مثيرة

راقه عالم

شغيف ورنج

بل الأنثى التي توافق تكوينه"

نفس عميق تهدي به ثورة أفكارها، التقطت الهاتف تنقر أرقامه
التي تحفظها عن ظهر قلب، تتهدد.. فهي قد انتظرت لآخر فرصة
كي تضمن ألا يوجد منفذاً أمامه، كلما طال الرنين تبدل ارتعاش
الترقب ببرود الهجر:

-ألو-

صوته الرخيم بعمقه المدغدغ لمشاعرها تنهدت ببطء قبل أن ترد
عليه:

-ألو.. هشام إزيك ال...-

اقتطعت كلماتها بنفسها، أحد نصائح ميرا
"لا تغدقي عليه مشاعر لم يكدح لأجلها، صونيتها بقلبك حتى
يستحقها"

تغافل عن صوتها وكلماتها المبتورة:

-الحمد لله.. أنتِ إزيك وإزي عمي مهاب وطنط؟

تنهيدة ياغماض عينيها.. لمَ دومًا هو لها متفرد في مفرادتها، وهو
لا يحلو له إلا جمعها بالغير؟!..!

-الحمد لله كويسين.. بابا نفسيته تعبانه شوية.

وظهر الاهتمام جلياً في نبراته:

-ليه خير؟!.. ماله عمي مهاب؟

نصف ابتسامة ارتسمت على وجهها، تتلمس صورته يوم خطبتهم
المؤطرة بجانب سريرها:

-هو كويس.. بس أصل عمي الكبير تعبان شوية وسافر له.

-لا ألف سلامة عليه.. طب ما عرفتنيش ليه؟!.. طب اقفلي أنا
حاكلمه دلوقتِ.

-لأ.. هشام استنى، هو كلمنا من شوية وطول النهار في
المستشفى وكان تعبان فزمانه بيرتاح، بس.....

تردها جعله يتحفز:

- في إيه يا سارة؟! .. أنتِ في حاجة عندك؟ .. محتاجين
حاجة؟ .. هو عمي سافر من امتي؟
- من أسبوعين ..

لامها عاتباً:

- أسبوعين وما تعرفينش إلا دلوقتِ!! .. ازاي؟ .. أنتوا مش
محتاجين أي حاجة؟!
ابتسامة ناعمة لاحت على وجهها:

- لا ميرسي يا هشام .. إحنا كل حاجة تمام بس ما كناش
متخيلين حيطول كده.

- إن شاء الله عمك يتحسن ويبقى بخير ويرجع عمي بالسلامة.

تنهدت بارتعاشة فها هي اقتربت من هدفها:

- يا رب .. أصل ..

صمتت فاستحثها هشام:

- في إيه يا سارة؟

- ما فيش.. في حفلة مهمة جداً المفروض كنا نروحها.. أنا وبابا
وماما وما ينفعش نعتذر، وبابا لسه ما رجعش وما فيش حد
يودينا.

عقد حاجيه بضيق:

- أعتقد إن ما ينفعش تروحووا حفلة وعمك تعبان.

- لأ.. ما بابا قال ممكن تروحووا لو هشام راح معاكم.

ازداد انعقاد حاجي هشام بقوة مغمماً:

- مادام عمي موافق؛ أنا ما عنديش مشكلة.. إمتى الحفلة دي؟

الفرحة جعلت صوتها الهادئ يضحج بالمرح:

- بجد يا هشام!!.. حتىجى معانا الحفلة بجد!؟

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجهه:

- أيوة طبعا.. مش حاسبيكم تروحووا لوحدكم.. إمتى بقى؟

أسرعت تجاوبه واثدة أي أمل له في التملص:

-بكرة.. معلى أنا عارفة إن الوقت ضيق بس كان عندي أمل
بابا يرجع وما أشغلش وقتك.

إحساس بالذنب أو غر صدره جعله يردف:

-لا ما تقلقيش..

أنهى الاتصال معها وهو يتمنى أن يكفر عن كسره لقلبها، أو ربما
يطيب كسره قبل أن يحدثه، فمن الواضح أن عمه مهاب لم
يفاتها حتى الآن.. ارتفع رنين هاتفه من جديد برقم المنزل،
فرد مسرعاً:

-ألو..

جاءه صوت أمه قلقاً متوتراً مباشراً دون مقدمات:

-هشام.. مرتضى اتصل.

ما زالت الأمور على صفيح ساخن بينهما، فهو وأمه حين تندلع
الأمور بينهم لا تهدأ إلا بأزمة تواجههم الموحد، وما أشد
ضراوة من مرتضى الضبع الرابض في ظلام ذكرياتهم، ينتظر
لحظة قنص.. رد:

رأيتك

شغيط ورنج

-خير!!.. عايز إيه؟

ردت بجمودها المرتعش:

-جاي بالليل.. بيسأل على يارا وزيد!!

نبرات صوته الجامدة ناقضت قلقه وخوفه على يارا:

-ماشي خارج البيت بدري، عايزين حاجة وأنا جاي؟

-شكراً.. حاول توصل لزيد مش عارفين نبلغه.

-تمام .

أنها المحادثة بالجمود نفسه الذي بدأت به، تخفي بداخلها الكثير من القلق ونفس السؤال يتردد في عقل كلاهما؛ هل عاد مرتضى ليفرض طلبه القديم؟...!

"كل اللي توقعته حصل.. أشرف وصل من الصبح وقاعد في مكتب رئيس مجلس الإدارة والشركة مقلوبة، وبقينا العصر أهو بس آخرتها إيه؟"

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

استمع شوقي مدير الشؤون القانونية لمحدثه في صمت:

-أيوة.. بس أنا حاسس إن أنت بتجاوزف قوووي.. خايف الموضوع يتقلب للضد.. إيه ده استنى!!.. وآدي إياد جه.. أهو أنت إيه ما فيش حاجة بتعديك!؟

استمع لبضع ثواني قبل أن يردف:

-طيب طيب سلام.. أنت حتوصيني.. مع السلامة أنت دلوقتِ.

تابع شوقي دخول إياد العاصف لمقر الشركة يتجاوز من تجراً على أن يقف أمامه بحدة واضحة، والبقية آثروا السلامة بالابتعاد عن النظرة الإجرامية التي ترسم على وجهه، ابتلع ريقه مغمغماً:

-ربنا يستر..

وارتفعت أصابعه تنقر الهاتف:

-أيوه يا بني.. ابعثلي أربعة من الأمن اللي عندك بسرعة في طابق الإدارة ومن غير ما حد ياخذ باله فاهم!!

"مش حتعرفيني بيك ولا إيه"

تنحنحت ميرا بحرج سرعان ما ابتلعت معرفته عن نفسها بقوة وثقة
أحسنت رسمها:

- آه طبعاً.. ميرا منصور من شركة الإدريسي للدعاية والأعلان .

هز رأسه وهو يتجه لحافة المكتب المقابلة لها ويتكئ عليها
مشرفاً عليها من الأعلى.. جعلتها جلسته تتحفز وترفع رأسها
لأعلى مصممة على مجابهة نظراته الفجة.. وهو يهز رأسه:

- شركة من الشركات اللي مقدمة عرض لتولي الدعاية بدل
الشركة القديمة.. مش كده؟! وأنتِ بقي عايزة السيد إياك في
إيه?.. حلوة السيد دي بس مش قديمة شوية..!!

ابتسامة ساخرة صاحبت كلماته جعلتها ترفع أحد حاجبيها
متحدية:

- قديمة جديدة حاجة تخصني.. عموماً أنا كنت جاية أتابع
العرض؟

رأيتك عالم

شغيف وورح

نقرات على الباب ودخول الساعي بعصير وقهوته الخاصة، أسرع الساعي بوضع العصير والقهوة وهو مازال على جلسته مصطنعاً لامبالاة بالنظرات التي يرمقه به الرجل، فأسرع تقريباً يعدو خارجاً من المكتب هارباً دون أن يغلق الباب، جعلتها تصرفاته، تعقد حاجبيها تنظر للعملاق بنظرات جديدة مقيمة لشخصه، شرود نظراتها المتأملة لم تفت عليه ملاحظتها ففاجأها:

- شايقة حاجة عاجباك؟

عقدت حاجبيها وهزت رأسها بخفوت غير مصدقة:

- أفندم!!.. أنت قلت إيه؟

مال إليها:

- سيبك من اللي قولته.. أنت جاية ليه لإياد؟.. عايزة منه إيه هو بالذات؟

اتسعت عيناها بتحدي وقوة:

- قلت لحضرتك.. جاية أعرف أخبار عرضنا.. ولو في أي مشاكل فيه أحاول أوصل لحل وسط.. وده في صميم عملي كمسؤولة للعلاقات العامة .

مال أكثر عليها مردفاً بصوت خشن، لم يهمه التحدي المطل من نظراتها:

- هو ده اللي حيخلي إياد يوافق على مقابلتك رغم إن ما فيش ميعاد بسرعة مذهلة!!.. طب ولو قلنا العرض اترفض؛ كنت ناوية تغيري رأيه إزاي بقى؟ !

اقترب أكثر حتى لامست أنفاسه شعرها، فهبت من مقعدها ومراجيل غضبها الناري تعرب عن وجودها بقوة، وقفت أمامه تجابهه.. ترفع سبابة يمينها في وجهه عاقدة حاجبها بحدة، وبقايا عقل تلجم لسانها:

- أنا ما أسمحلكش بأي تلميح خارج.. إلزم حدك أحسنك.

أمال رأسه على كتفه متفكهاً، هبوبها المفاجئ جعله يتراجع قليلاً للخلف:

رأيتك

شغيف وورح

- أنتِ جاية تقنعيني ولا تضايقيني!!.. إهدي كده وخلينا نتفق .
 عقلها كان قد أعلن الاستسلام أمام غضبها.. فسحقا للزج المائل
 أمامها وللجحيم السيد إياد ومجموعة الحديدي بأكملها، فاللوح
 المائل أمامها وعاء فارغ آخر ولكن أكثر سفالة ووقاحة.. هي لم
 تغفل عن نظراته التي تحاول تعرية تفاصيلها رغم طبقات
 ملابسها وها هي آخر كلماته نطقها غامزاً:

- أقولك.. إشربي عصيرك.. وواضح إننا حنتفق و...

لم يكمل.. فمحتويات كوب العصير كانت قد زينت وجهه
 وقميصه، اتسعت عيناه بغضب وكلماتها المتلاحقة وملامح
 وجهها المشمثة زادت في غضبه:

- واضح إن أنت اللي محتاج تهدي وتتعلم إزاي تتعامل مع بنات
 الناس .

وهنا خرج شيطان أشرف الكامن:

- بنات ناس مين يا بنت ال....

وكف يده عرفت طريقها لصدغها ..

الفيلا تبدو كخلية نحل تعمل بكفاءة وفاعلية مبهرة.. فملكة النحل حازمة صارمة لا تقبل بهفوة أو تهاون، الحديقة يتم تجهيزها لحفلة من النوع الثقيل أشبه بفرح أو خطبة ولكن متنكرة بحفلة كوكتيل ..

أحنقها تغيير صديقتها سوسن لرأيها، يعلم الله كم حاولت جاهدة أن تعلن الدعوى حفلة خطبة حتى تضمن حضور جميع أفراد الاسرة، كانت تنتوي إبهار يارا والتوأمتان، لكن سارة الغرة رفضت بكل صلف موضوع دعوة الخطبة، وغياب أبيها جعلها تغير الدعوات من اسبوع فهي تحسن التخطيط والتجهز بخطط بديلة ..

مهارة اكتسبتها من حبيبها الراحل، تتأكد من قبول الدعوات وعدد المدعوين وها هي تضع آخر رتوشها على خطتها بدعوة التوأمتان وأصرت عليهم بالحضور إرضاءً لخاطرها وتأكيداً لها أن لا توجد بينهم مشاعر سلبية..

قبلت آمال الدعوة بحبور، ورسمت نصف ابتسامة متلعبة..
خطبة أو غيرها؛ ستأتي يارا.. فقط ليلة أخرى وتقرب من
هدفها.. ستأتي للمنزل الذي سيصبح منزلها مستقبلاً بفضل
ذكائها وحنكاتها، اتسعت عيونها بهلع وأحد حاملي باقات الورد
العملاقة يمرون من أمامها :

-قولت مش عايزة غير أورجانزا وبس.. مين اللي جاب ده هنا؟!!

اتسعت عيونها أمام العملاق الذي نهض فجأة يشرف عليها من
علو، ثانية هالها فيها حجمه وهو غاضب مقارنة بها، عينيها
تراقب يده المتوجهة إليها بالحركة البطيئة ولدهشتها عقلها جعلها
تتذكر نصيحة يوماً ما حذرها بها هشام:

"يوما ما ستثيرين غضب الشخص الخطأ.. فقط أتمنى أن أكون
موجود بالجوار لأتلقى عنك ما لا تطيقينه"

رأيتك دائماً

شغيفتي ووردي

تتذكر تبجحها باستقلاليتها وعدم إمكانية أحد لمسها دون إرادتها.. اخترقت الصورة يد تمسك بيد العملاق تدفعه بعيداً عنها :

- أنت وصلت بيك السفالة إنك تمد إيدك عليها وفي مكثبي!!

نطقها إياد بعنف وهو يمسك بيد أشرف قبل أن تصل لميرا.. يدفعه بقوة وملامح وجهه تكشر عن غضب أعمى وحقد أسود.. صمت ألجم لسانها وصورة ارتسمت بعقلها وأشرف ينهض من سقطته ينفض ملابسه ويواجه إياد النابض بالعنف..

صورة من عالم الحيوان الذي اعتادت مشاهدته حتى ينتهي تجهيز غذاء يوم الجمعة.. دب جريزلي بني اللون حانق ونمر مفترس محمر العينين غاضب فلمن الغلبة؟!..!

أمسك إياد بتلايب أشرف:

- أنت مش حتبطل نجاستك دي؟!.. وفي مكثبي!!.. أنت إزاي تعتب مكثبي؟!.. لأ.. إزاي تخطي عتبه الشركة من أصله؟!.. ها..

نفض أشرف إياد من على ملابسه بعنف وعيونه تطلق شرراً:

-لما تبقى منقطع عن العمل ومش باين.. وسايب الشغل للمساعدين والسكرتارية يبقى ما لكش حق تحاسب، أنا من زمان قلت إنك ما تستاهلهاش وأكبر منك.. بس ماحدث صدقني.. خليك في سهراتك وسيب الشغل لناسه.

ارتفع حاجبها بدهشة.. فهذا هو رأيها في الوقح، صدق الدب السافل ..

شهقت من الصدمة عندما وجدت قبضة إياد تنهال على وجهه وعلى معدته والآخر أخذ على غفلة فلم يستطع الدفاع إلا بعد أن ناله ما لا يقل عن أربع ضربات مدوية بصوت تحطم، ومن شدة دهشتها كاد حاجبها أن يقابلا منابت شعرها فالتحطم كان لأسنان اشرف الذي بصقها بالدم جانباً وهتف بغل واضح:

-ماشي يا ابن عبد العزيز.. عايز تتعامل بدراعتك!!.. دائما بتختار السكك الخسرانة معايا ..

وهي تتراجع بظهرها حتى التصقت بالحائط، ما هي إلا ثواني ودخل باسل والأستاذ شوقي وأربعة من الأمن يفصلوا بينهما، باسل يكبل إياد بيده بقوة، يهمس بأذنه بحزم واضح، جعله يهدأ على الفور، ليهدأ القتال، استقام يعدل من بذلته، ويهتف بأمر لرجال أمن مؤسسته:

- وصلوا الأستاذ أشرف لباب المؤسسة، وأستاذ شوقي شوف الاجراءات اللازمة لتسييل حصة الشاذلي من المؤسسة ..

قاطعته انقضاضة باءت بالفشل من أشرف وكلماته الغاضبة:

- بتحلم.. أنت بتحلم يا إياد.. أنا مش حاسيبك المؤسسة..
بتحلم فاهمني..!!

رفع له إياد نظرات قوية نارية:

- بدخولك المؤسسة واعتدائك على مكثبي ومحاولة التحرش بموظفة؛ خليت حلمي حقيقة.. أنت مش عارف أنا شاكر ليك
إزاي؟! !

نطقها وهو يجلس مسترخياً على كرسية يضع قدماً على قدم،
أشار بيده فأسرع رجاله بتنفيذ أوامره.. والأستاذ شوقي ينظر له
متعجباً!!.. لم يرَ إياد فاقداً لأعصابه إلا مرة سابقاً، والعامل
المشترك واحد أشرف ..

بعد أن اختفى أشرف الذي التقم غضبه، يودع إياد وميرا
بنظرات حارقة متفجرة وحين اختفى مع ورجال الأمن عن
ناظره :

- مش عايز حد هنا.. اتفضلوا كلكم .

أشار باسل بطرف خفي للأستاذ شوقي وخرجوا، تبعتهم ميرا
وهي تستجمع شتات نفسها.. تختطف حقيبتها ليأتيها صوته:

- استني هنا ..

التفت له وهي تبتلع ريقها:

- أنتِ كنتِ جاية هنا ليه؟

صمتت أعصابها متناثرة، وكل الاعتذارات المنمقة التي أعدتها
تبخرت بفعل المفاجأة، فعاجلها:

- انطقي لا أسكت الله لكي لساناً.

رفعت له عيونها:

- حاجة ما بقتش مهمة ..

هز رأسه بسخرية:

- شغلکم مع مجموعة الحديدی مش مهم !!

نظرت له بقوة :

- لا مش مش مهم بس ما يشرفش ..

كلمتها عقدت حاجبيه وأزالت السخرية من نبراته:

- اتفضلي امشي دلوقتِ .. وبعد كده لازم ميعاد سابق .. مع السلامة .

انقبضت مفاصل يدها بغضب وجزت على أسنانها .. الأحمق يطردها:

- لا ما تقلقش مالوش لازمة الميعاد السابق.. مؤسستك دي أقل
من إننا نشتغل معاها.. كفاية شغل العيال والوقاحة بتاعة اللي
مشغلينها ..

واندفعت خارجه تاركة إياه عاقداً لحاجبيه صامتاً لفترة طويلة قبل
أن يرفع سماعة الهاتف:

- باسل.. بلغ شركة الإدريسي إن عرضهم اتوافق عليه.. بس في
تعديلين أنا مصر عليهم.. إديني عشر دقائق وهات أستاذ شوقي
وتعالى.

ابتسامة جذابة شقت الغضب المرتسم على وجهه.. فرغم راحة
ضربه لأشرف لكن كلمات ميرا التي سبقت دخوله ومنظر أشرف
الذي يقطر عصيراً منظرًا لن ينمحي من مخيلته السعيدة طويلاً.

حاول قدر الإمكان أن ينهي ما لديه من عمل سريعاً، فاليوم
الزيارة المفاجئة لمرضى، وغداً الحفلة التي ظهرت من العدم
لسارة..

-الله يسامحك يا أخي، فزعتني يا هشام، استغفر الله العظيم .

ومسح على وجهه ..

- على فكرة تليفونك رن ..

نهض عصام وهو يزفر بتذمر، يبحث عن هاتفه يتفقدده وبعد
ثواني بدأ يبرطم ببعض الكلمات وهشام يحاول كبت ضحكاته
قدر الإمكان قائلاً:

- بتقول حاجة!

تمتم عصام:

- ما بقولش عايز أروح وأنا اااام

ربت هشام على كتفيه:

- معلش بقى مرة تانية!

فرغ عصام عينين مرتابيتين له:

- هو ايه اللي مرة تانية؟

فابتسم هشام:

- النوم .

- ليه بقى إن شاء الله!؟!

- أنا نسيت أقولك عم يارا وزيد جاي كمان شوية ولازم نكون
كلنا موجودين .

غمغم عصام:

- الراجل ده أنا ما بطيقوش ولا هو ولا الكائن السمج اللي اسمه
رامي ده.

زفر هشام وهو يعقد حاجبيه:

- مضطرين علشان خاطر روكا نتعامل معاهم، صحيح فين
زيد؟.. أنا ما اعرفتش أوصله، الواد ده بقى بيختفي كده ليه
وتليفونه دائماً مغلق!

أسبل عصام جفنيه يرد بتراخي هازاً كتفيه:

- علمي علمك.. بيقول شغل

- عصام نبرتك مش مريحاني انت مخبي ايه؟

- صدقني لو عرفت حاجة تستاهل أنك تعرف حاقولك.

أخذ مفاتيح سيارة عصام ليقود هو وقد غاب عقله في غياهب ذكرياته، البيت القديم ورائحة البحر والدفء، لتحتل عقله ذكرى أول يوم رأى فيه العم؛ يتذكر البكاء والسواد ويتذكر دموع صغيرته وارتعاشها من الخوف، بالماضي كان أصغر من أن يستوعب، لكن تلك المرة هو موجود ليدافع وبضراوة عن صغيرته..

رنين هاتفه أجفله فأسرع يرد مع كلمات عصام:

- اهو جنبنا في سيرة القط

- ده مش رقم زيد استنى

وتفاصيل المكالمة ادهشت الاثنين، وانتهيا لأن ينفصل الاخوان لطرق متفرقة.

أسرعت ميرا المتأففة بعد عودتها من جولة تسوق بائسة تفرغ بها انفعالاتها من مقابلتها الكارثية مع سيد إياد والآخر الأكثر لزوجة

أشرف، بخلع حذائها ذو الست إنشأت علو، كل مرة تقسم أنها
 لن ترتدي أيهم للعمل ثانية، لكن لا يمكنها أن تقتنع بأناقتها إلا
 بأحذيتها الإيطالية الفاخرة، لم تكد تدلك أطراف قدميها
 بأناملها، فانطلق رنين الباب مبدداً صمت المنزل، انتظرت أي
 استجابة.. وحين جاوبها الصمت مجدداً وارتفع الرنين معانداً،
 مطت شفيتها وأدارت عينيها متأففة تغمغم:

- خلاص.. حافتح جاية اهو.

فتحت الباب مسددة نظرات ساخطة للطارق، لم تحتج إلا لثوانٍ
 معدودة وهاجمتها ذاكرتها بهوية الوافد، نظرة إدراك قلقة محتها
 بسرعة جينية خاطة فوقها نظرة لامبالاة سائلة:

- افندم خير؟

رسم الطارق ابتسامة واسعة يداعبها:

- أنتِ ميرا مش كده؟ أنتِ مش عارفاني؟

مطت شفيتها تنظر له من أعلى لأسفل متسائلة:

- لا ما حصليش الشرف مين؟

قهقه وهو يتمادى في مداعبتها:

- مش معقول تكوني مش عارفاني! .. لا.. ازعل كده..!

زفرت بحنق ناقض مكر ارتسم بعيونها:

- ما تزعل.. حتكون مين يعني؟ .. ما هو الوقت متأخر على أنك

تكون محصل النور، ومش شايفة أكياس تبقى مش ديلفيري

رسمت نظرة إدراك ساخرة مكملة:

- بس بس عرفتك أنت البواب الجديد مش كده !

اتسعت عيونه بغضب واحمر وجهه بشدة من تتابع مقذوفاتها

الكلامية وقبل أن ينطق انطلق صوت آمال من الداخل :

-ميرا.. أنت جيتِ؟ .. مين على الباب؟

تركت ميرا الباب مفتوح ودخلت هاتفة بنبرة متهكمة وصوت

تأكدت من أنه يصل الواقف على الباب بكل وضوح:

-آه جيت.. ما عرفش شوفي شكله البواب ولا الزبال الجديد..!

عقدت آمال حاجبيها متوجهة ناحية الباب المفتوح لتفاجأها
هيئة الطارق:

- أستاذ مرتضى.. اتفضل اتفضل

التوتر يشع من جسده، وجهه المحمر أنبأها أن ميرا قد أذاقته من
وابل لسانها ما ثقل وقعه، وأكدت لها لهجته الساخطة:

- اتفضل ايه بقى!.. يصح كده يا أم هشام أنا يتقالي زبال ولا
بواب أنا....

قاطعته آمال وهي ترسم كل علامات الأسف والاعتذار الممكنة
على وجهها:

- معلى حرك عليا، هي ما كانتش عارفك بس، وأكيد ما
تقصدهش ده أنت برضه في مقام عمها اتفضل اتفضل..

رسمت ميرا ابتسامة ساخرة مع نظرة براءة :

- عمو مرتضى!.. طب ما قلتش ليه من الأول بدل حركات العيال
دي عموماً أهلاً وسهلاً عن إذنك ..

التفت تختال في مشيتها تحمل حذائها ولا توليه أي اهتمام
وأمال تحاول تجبير ما كسرت الرعاء فهم لا يرغبون مناصبته
العداء قبل أن يفشي بغرض زيارته فرددت:

- اتفضل يا أستاذ مرتضى.. اقعد هو أنت غريب.. البيت بيتك.

جلس مرتضى يرغي ويزيد من الاستقبال الفاخر الذي تلقاه،
غمغم بحنق:

- حصل خير.. من فضلك شوفيلي أم يارا فين؟

ثواني ودخلت أحلام ترحب به بتوجس واضح وصوت مهتر،
تحاول جاهدة رسم ابتسامة مرتعشة على وجهها، تحمل صينية
الشاي وضيافة مجهزة مسبقاً..

قادتها خطواتها لباب غرفته، اشتاقت له، مفترقة دفة قلقة
وخنقة تعنته، كم ترغب اليوم الجري والارتقاء في حضنه شاكية
كما كانت تفعل قديماً كلما ضايقها أحد الأولاد، ويهب هشام
دوماً منكلاً بمن ضايقها..

نقرت على بابه نقرتها المعتادة رد عليها صوته المتجهم:

-ايوه

ابتلعت ريقها كم ترغب في البكاء الآن والبكاء كطفلة لكن
نبراتها انطلقت بحدة:

-مرتضى بره..

وانطلقت لغرفتها ملجئها، تفرغ توتر اليوم، فاليوم لن تستطيع
الهرب لمتنفسها لذا ليس لديها الا البكاء دون مراقب أو
معاتب.

-اهلاً أستاذ مرتضى..

بصوت قوي ونبرة باردة ناقضت كلام الترحيب من شفثيه بدأ
هشام حديثه مع مرتضى، متوجهاً إليه يجلس بمواجهته، ومرتضى
يرد عليه بصوت متوتر حانق، ما زال متأثر بموقف ميرا
المستهزئ ...

-أهلاً بيك يا باشمهندس ..

صمت هشام وكأن صمته عدوى انتشرت في شخوص مجلسهم؛
آمال تنظر لتوأماتها بقلق، تقابله أحلام بنظرات متوترة، فقد
انتهوا من تبادل الأخبار والسلامات وساد الصمت الثقيل..

تنحني مرتضى مبادراً بفتح الحديث:

-أومال يارا فين؟؟؟

نظرة حادة قوية وجهها له هشام، جعلته يستطرد مسرعاً :

-وفين زيد؟؟؟

ردت أحلام بابتسامة مغتصبة:

-يارا موجود جاية حالياً، بس زيد ما عرفناش نوصله تليفونه
مقفول من الصبح فما يعرفش بزيارتك..

وأسرعت تناوله فنجان الشاي، بللت شفيتها بريقها تحت نظرات
مرتضى الفاحصة

ماطاً شفيتها حانقاً:

-يعني اليوم اللي آجي فيه ما يكونش ابن اخويا في استقبالي !

رد هشام رداً حاسماً وهو يتكئ بذقنه على كفه مضيقاً عينيه :

- ما يعرفش.. وحضرتك فاجئتنا وما بلغتناش قبلها بفترة علشان يكون في شرف استقبالك. واتبع جملته بشبه ابتسامة ساخرة ..

رفع مرتضى حاجبيه مستنكراً وهو يستدير يواجه هشام :

-ليه هو أنا محتاج إذن ولا ميعاد سابق علشان أزور ولاد اخويا؟!!

ثم التفت برأسه ناحية أحلام مرسلأ نظرات غاضبة متمماً :

-واضح أن عيشتكم بعيد عننا يا مرات أخويا نسيك الأصول .

رد هشام بنفس الحزم والبرود:

-أستاذ مرتضى.. ما فيش داعي للغلط ولو على الأصول يبقى كان لازم تتصل بينا قبلها بوقت كافي علشان رجالة البيت يقدرُوا يفضوا نفسهم لمقابلتك .

عقد مرتضى حاجبيه فكللمات هشام الباردة تشي بالسخرية المبطنة..

رأيتك دائماً

شغيف وورع

أردف محاولاً تلطيف الأمور فهدفه لا يحتمل إثارة ضيقهم،
وبالأخص هشام ليس تلك المرة:

- ما علينا.. واهو على رأي المثل حبيك يبلعلك الزلط، واحنا
أكثر من الحبايب احنا أهل ولا ايه يا أم يارا؟؟

عقدت آمال حواجبها بشدة وطبول القلق تفرع بداخلها كقبيلة
بدائية في مراسم الأضاحي، هي غير مطمئنة على الإطلاق،
وكلما ظهر مرتضى في الصورة، تبحث هي عن المأزق الجديد
الذي يدبره لهم، تنظر لابنها لتجده يشاركها قلقها فحواجه
معقودة وعيونه تكاد تفتك بصفحة وجه مرتضى يرغب في
استكشافه ..

أحلام ردت بتلجلج واضح:

- آه طبعاً طبعاً أهل أكيد طبعاً وما فيش بينا إلا كل خير
فلاحقها برده:

- طبعاً كل خير وفرحة يا أم يارا.

دقت نواقيس الإنذار بداخل هشام؛ لما كل جملة يجب أن
تنتهي باسمها؟!!

يشك ويخشى أن يتأكد ظنه، فمع مرتضى الكلمة تقود لأفخاخ
محكمة..

قاطعهم دخول يارا المرتعش؛ يراها ترتعد وكأن الأسبوعين
الماضيين كانا سراياً، رحب بها ترحيب حار مريب، وأصر على
اجالسها بالقرب منه وبقايا قوة مكتسبة جعلتها تملص من ذراعه
وتهرع لملاذها الآمن جلست جوار هشام..

أكمل مرتضى حديثه بنبرته الفخورة:

- لو تعرفي رامي كان نفسه يجي معايا ويشوفك قد ايه هو وطنط
سلوى بس ظروف شغله .

والتفت لأحلام يكمل:

- أصله شغال في منصب كبير قوي في شركة بتروول محترمة .

ابتسمت أحلام مجاملة له مرددة:

- ما شاء الله ربنا يوفقه.

انعقد حاجبي آمال وأعادت النظر لابنها لتجد هشام ملامحه
متحفزة بشدة فلقد وصله ما وصلها وبوضوح..

هشام غمامة حمراء تغشى عيونه، ورغبة بالقتل تشتعل به
فشكوكه وقعت وبجدارة، فالمأفون يرغب في طلبه القديم؛ يارا
عروس لابنه رامي.. وبالطبع فوق يارا ميراثها من أخيه، الميراث
الذي منذ أن وارى أخاه التراب يحارب ليأخذه لولا وجود زيد
كوريث ذكر.. حاول كثيراً التحكم بالوصاية ولكن جده وأبيه كانا
له بالمرصاد، روكا غافلة عن المقدمات تبتسم له في مجاملة..

حان وقت هدم فخه على رأسه:

- بس كويس إن حضرتك جيت وفرت عليا مشوار السفر لعندكم.

التفت له مرتضى باهتمام قلق:

- خير يا باشمهندس؟

أخذ هشام نفس عميق ونظرة أخيرة متمعنة في وجوه الجميع
يطالبهم بالإذعان ومجاراته، كفه تسلت لركبة يارا يشد عليها
يبثها من قوته قبل أن يرد:

- أصل يارا جالها عريس، ولأننا نعرف الأصول لازم أعمامها يعرفوا ويحضروا خصوصاً وإن الموضوع مبشر بالخير.

رفعت يارا أنظارها إليه وبإحكام قبضته على ركبته رسمت ابتسامة مرتعشة وأسبلت جفنيها، والتزمت التؤامتان الصمت حتى تتضح الرؤية..

- عريس!.. مين ده؟.. وامتى اتقدم؟.. واشمعنا دلوقت؟
هتف بها مرتضى معترضاً مشككاً..

رد هشام بابتسامة هادئة:

- هو النصيب ليه ميعاد يا حاج!، خيلنا في المهم.. احنا لسه بنسأل عليه و..

قاطع مرتضى بحدة رافعاً يده:

- مش محتاجين نسأل مرفوض، البنت ابن عمها أولى بيها وأنا كنت جاي أخطبها له.

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة على وجه هشام فقد أوقعه في الفخ الذي نصبه لهم فقط ليخرج المرتعشة تحت كفه، يكاد

يشعر بها تفقد وعيها فربت على ركبتيها مجدداً وأهداها ابتسامته
المطمئنة ذات مفعول السحر عليها:

- ادخلي انتِ يا يارا دلوقتِ.

وكأنما سلمها قيد حريتها فانطلقت محلقة خارج الموقف لأمان
قوقعتها الهادئة ..

فالتفت هشام بكل انتباهه لمرضى:

- أولاً: يا عمي ما فيش حاجة اسمها أولى بيها هي مش بيعة
وشروة ده جواز طلب وقبول، ثانياً: بقى أكيد أنت عارف حديث
النبي عليه الصلاة والسلام "لا يخطب أحدكم على خطبة أخيه"..
هي دي الأصول، المفروض ما تفوتكش دي يا حاج والأكثر من
كده أنه شخص محترم ويارا بتفكر جدياً.

أرغى مرضى وأزبد:

- يعني ايه!.. أنتوا بتحطونا قدام أمر واقع مثلاً، ده أنتم مطبخينها
سوا واحنا آخر من يعلم.

رد هشام بلهجة قوية حازمة:

رأيتك عالم

شخصية ورسالة

- ما فيش داعي للغلط يا حاج، احنا لا وافقنا ولا رفضنا، احنا لسه بنفكر.. لو رفضت يبقى اهلاً وسهلاً بيك وبابنك، لكن لحد ما تاخذ قرارها وبراحتها أي كلام يبقى مالوش لازمة وعن إذتك أنا ورايا تليفون مهم شرفت يا حاج .

تركه قائماً متوجه للدخل..

- عاجبك الكلام ده يا أم زيد؟

ارتسمت ابتسامة راحة على وجه هشام فها هو عاد أدراجه سالماً لاستخدام اسم زيد، بدلاً من اسم يارا الذي ألصقه بكل جملة مفيدة منذ حضوره..

تناهى لمسامعه صوت خالته ترد:

- والله يا حاج اهو ده اللي حصل، وزى ما قالك هشام أما نشوف موضوع العريس حيرسى على ايه نبقى نتكلم .

- بقى كده.. ماشي يا أم زيد.

انطلق للباب غاضباً:

- أنا حيبقى ليا كلام تاني مع ابن اخويا زيد .

ردت آمال بقوة:

- زيد وهشام واحد؛ الاتنين إخوانها ويهمهم مصلحتها وبراحتك
حد مانعك تكلم ابن أخوك وقت ما تحب.

صفق الباب خلفه بعنف ونظرت الأختان لبعضهما همست
أحلام:

- ده جاي المرة دي وناويها يا آمال عايز ياخذ يارا لابنه.

زمت آمال شفيتها هاتفة بصرامة:

- بعينه يا روكا بعينه هو وابنه .

ثم تساءلت بقلق:

- بس مش دي المشكلة؟

نظرت لها أحلام بتساؤل فأكملت وهي تنظر تجاه غرفة ابنها:

- إذا كان معتر اترفض مين العريس؟؟

"لو سمحت عايز دوبل اسبريسو ولا أقولك خليه اتنين وهاتهم وراء بعض"

أنهى طلبه من النادل في المقهى الراقى ذو الواجهة المطلة على النيل، يزفر بحنق وإرهاق يتغلغل في خلاياه فلولا الاتصال الهاتفي الذي تلقاه وهو مع أخيه في طريقهما للمنزل لكان الآن يحظى بسريره في راحة مستحقة، الحسنة الوحيدة لتلك المكالمة هو انه لن يرى وجه المأفون مرتضى، فهو يحمل له ذكريات عن أيام يمقتها؛ أيام اتشحت بالسواد والحزن غيم أجواء المنزل قبل أصحابه، فمرتضى في رأيه نسخة بشرية عن الضباع لا يظهر إلا بعد مغادرة حاصد الأرواح يتلمس فتات الضعاف..

تتهد بعمق فبداخله يعلم أن السبب في تحملهم المسؤولية كرجال هو مرتضى وأذياله من عمات زيد ويارا، رائحة الاسبريسو المركزة اعادته من ذكرياته قسرًا

يتنبه لما جاء إليه مكالمة باسل الذراع الأيمن لرأس مجموعة الحديدي، كانت غريبة فقد توقعوا مقابلة أو اتصال من القسم القانوني بالمجموعة وليس اتصال شخصي يطلب مقابلة سريعة..

رائحة عالم

شخصيات ورائحة

انعقاد حاجبي هشام وهو يتلقى المكالمات أثار قلقه، والأكثر حين عرض أن تذهب معه ميلا للقاء، فهي في النهاية مسؤولة العلاقات العامة ...

اندهش برد هشام القاطع بالرفض، عقله المنهك تدور عجلاته؛ ما سبب الاتصال والمقابلة؟.. وما سر مجيء مرتضى؟.. لما رفض صديقه الفرنسي البوح له أو حتى الإشارة عن فحوى ما يبحث لزيد عنه؟..

الفرنسي الأرعن هو ومراعاة الخصوصية خاصتهم، أي خصوصية بين أخ و أخيه!!

ولما رفض هشام القاطع لظهور ميلا بالصورة؟..

وإن كان تبريره عن عقابها الذي لم يكتمل بعد لم يقنعه .. قاطع استرسال أفكاره المتبعثرة تربية على كتفه من باسل :

-السلام عليكم.. اتاخرت عليك؟

-لا أبداً أنا اللي جيت بدري.. اتفضل

جلس باسل وحين لامس جسده المقعد أفلت من بين شفثيه أنيناً
خافتاً متوجع، فتح عينيه لعصام وهو يبتسم بخفوت حين سمعه:
- واضح أنه كان يوم مرهق .

اتسعت ابتسامة باسل وهو يشير بعينه لفنجان الإسبريسو الثاني
الذي يضعه النادل أمام عصام:

- شكل اليوم كان مرهق على الجميع !

ضحك عصام وهو ينظر لباسل مشيراً للنادل:

- يبقى دوبل اسبريسو مش كده !

هز باسل رأسه اليه موافقاً وهو ينظر إليه ..

لقد تأكد أنه سيقابلهم بنفسه تنفيذاً لرغبة صديقه، لكن الأهم هو
خشيته من فهمهم الأمر بصورة خاطئة، على من يضحك هو نفسه
تساوره الشكوك في قرار صديقه الأخير، وإصراره الغير مفهوم
وحرصه على أن يتم الأمر كما يريد بالضبط ..

نحنحة عصام جعلته يركز في كلماته :

- بص بدون مقدمات طويلة ولف ودوران، إياد وافق على إن شركتكم هي اللي تتولى عقد الدعاية الخاصة بالمجموعة حصرياً بداية بالمشروعات الجديدة..

لمعة فرحة حذرة أطلت من عيون عصام وحين توقف باسل عن الكلام حثه مردفاً :

- جميل جداً.. بس؟

ابتسم باسل نصف ابتسامة وهو يعتدل :

- بس إياد قلقان وعنده شوية مخاوف لأن أول مرة حنتعامل معاكم وزى ما إبداعكم حافز للقبول فصغر سنكم وقلة خبرتكم في السوق مقلقة .

عقد عصام حاجبيه وهو يرتشف من قهوته يركز في كل كلمة:

- وازاي نعدي موضوع القلق ده؟

- حد منكم من مسؤولي الشركة يكون موجود بصورة دائمة في مكاتب مجموعتنا وحيثوفر له مكتب خاص بسكرتارية وكل الوسائل اللي حيحتاجها في شغله .

رأيتك عالم

شخصيات ورواية

ازداد انعقاد حاجبيه بقوة وهو يضع فنجانہ على الطاولة متسائلاً:

- حد زي مين؟ .. وهل لنا الاختيار ولا الاختيار مفروض؟

وكما انبأته غريزته بجعل الحوار يتخذ المجرى الأنسب له :

- مفروض ايه بس يا عصام!.. اسمح لي أكلم بدون الألقاب،

احنا بس عايزين سلاسة في التعامل بين مجموعتنا وشركتكم..

ومش كل خطوة حتبقى بمواعيد سابقة واجتماعات ده مش

حملة وخلصت ده شغل بشكل يومي

- امممم.. حاعرض الموضوع على هشام واقولك مش حاقدر

آخذ قرار في حاجة لوحدى .

- تمام.. هو بس في حاجة، إياد بيفضل الشخص ده حد من

الفريق اللي جه يوم البريزنتيشن مش حد من خارج الفريق ده .

اعتدل عصام في جلسته مفكرا بصوتٍ عالٍ :

- تقصد أنا أو هشام أو ميرا.. اشمعنا؟

تنهد باسل :

- والله هي وجهة نظره، إياد شايف أن في الإجتماعات اللي من النوع ده دائماً بيستعينوا بأقوى أفراد في الشركة فهو مش عايز حد في فريق شغله إلا الأحسن والأقوى .

لا يعلم عصام لما كلمات باسل حطت على نفسه بقلق وليس بفخر كما أراد لها ملقيها هناك شيء ما وهو يحتاج لحنكة هشام :

- بقولك ايه.. أنا جعان.. أنت اتغديت؟

- لا اتغدى بره البيت!.. أنت عايز الحاجة تغتالني في ميدان عام شكلك !

- ربنا يخليها لك أنت قاعد معاها؟

- آه طبعاً.. ليه هو أنت عايش لوحديك؟

- آه لوحدي .

- لا يا عم أنا ما اقدرش أعيش من غير مناكفة التوامين ولا مشاغبات إخواتي .

ابتلع باسل ريقه ونبض وجهه بالألم، والتقط عصام تعابير وجهه
المتألّمة وشروذ نظراته ناحية مياه النيل المظلمة يكاد يرى تلاً
عيونه، فغص قلبه مشفقاً عليه ..

فغمغم يداعبه:

- بس يقولوا هنا أحسن مكان يقدم تشيكن رول كرسبي كده
وعايم في الموزاريللا السايحة وأنا قدام الجبنة السايحة باضعف،
تحب نتعشى سوا واهو يبقى عيش وملح؟

ابتسم باسل نصف ابتسامة هادئة:

- ماشي خليها بقى عيش وموزاريللا!

- يعني ايه اتخطبت؟ ازاي تتخطب من وراك؟

زفر مرتضى:

- اهو ده اللي حصل يا سلوى، علشان البيه ابنك يتبسط، مش
عايزها ودي كبيرة وداخلة على ال ٣٠ اهي اتخطبت الفقري ولا
حنطول أبيض ولا أسود.

- يا ميلة بختك يا سلوى!!.. مش عارف تمشي كلمتك على بنت
اخوك يا راجل؟

- هشام مش سهل.. ما بقاش صغير زي زمان كبر وبعدين أنا
قلقان.

جاءه صوتها قلق:

- قلقان من ايه؟

- لما سألت على الشركة اللي عاملناها باسم جدهم لقتها كبيرة
ومسمعة، وحبائبي في السجل التجاري قالولي أن راس مالها
كبير، أنا قلقان ليكون ضحك عليهم وخذ فلوس أخويا معاه،
ساعتها فعلاً يبقى طلعتنا من المولد بلا حمص.

قابه صمت من الطرف الآخر من الهاتف فهتف بها:

- ايه أنتِ روحِ فين؟

- وايه يعني ما تسبيه يشغلها مش يتقول ناجحة وبتكبر!

- ايوه بس ..

- لا بس ولا حاجة سيبه يشتغل ويشقى ووقت الحساب ناخذ
فلوسنا بأرباحها المهم حوار الجواز ده يتفشك ..

- عمومًا أنا جاي بكره الصبح ونشوف ساعتها حنعمل ايه ..

أغلق الخط معها وأن ظلت عقولهما متأزرة على نفس الوتيرة،
الشهر لأموال الأخ حصيلة ٢٠ سنة من الغربة لا يملون من الترقب
متمسكين بطول الأمل فربما ينالون المراد.

نقر على باب غرفتها وقبل أن ينقر الثانية أسرع بفتح الباب
باكية مرتعشة ارتمت في أحضانها، احتضنها بشدة وهو يربت على
رأسها ووجنتها يهددها:

- اهدي بس اهدي .. مالك بتعيطي ليه؟

هتفت من بين شهقاتها المرتفعة:

- عريس لا يا هشام .. أنت قولتلي لا .. لا رامي ولا معتر .. لا.

احتضن رأسها بين كفيه يبعدها عن صدره بالقوة الجبرية ينظر
في عيونها وهو مبتسم وداخله يتمزق من رؤيته لعيونها الباكية
ورعشتها الواضحة:

- مين قال أن في عريس !

توقفت فجأة عن البكاء تحديق به، وهي ترفع كفيها تمسح عيونها
بظاهر كفيها مغممة:

- بس أنت قلت بره لعمي ..

أمال رأسه وهو يهز رأسها مماًزحاً:

- بقى بدمتك ده كلام!!.. ده كلام علشان يلهيه عننا شوية .

- طب وبعدين؟

نظر لها وزفر بقوة مردداً وهو يمسكها من كتفيها بقوة:

- مش حتجوزي حد غصب عنك وأنا عايش.. أنتِ فاهمة؟..

حطي ده في دماغك الناشفة دي علشان تريحينا وترتاحي

نطقها وهو ينقر على جانب رأسها مماًزحاً..

- بس ده ما يمنعش أن موضوع العريس ده مصيره يثار في يوم من الأيام ..

بدأت ارتعاشتها من جديد تزيد ليذكرها بهدوء وهو يمد يده لبنطاله يخرج منه شريط دوائها يعطيها حبة..

- افكري معتر قال ايه.. اتعشيتِ؟

هزت رأسها بنفى فوضع الحبة على الكومود ..

- اعملي التمارين اللي قالك عليها عقبال ما اجيب عشاء نتعشى أنا وأنتِ سوا.. يلا خدي نفس عميق يلا، احبسيه.. عدي ١٠ ثواني.. طلعيه.. يلا تاني ..

وبدأت تنفذ إرشادات هشام متذكرة التمارين التي يواظب معتر على تذكيرها بها كل جلسه، وكلما كررت التمرينات بدأت في الاسترخاء أكثر وأكثر ..

خرج هشام للمطبخ ليجد طاولة ميرا مهجورة من صخبها المعتاد..

حادث معتر يخبره بتفاصيل حالة يارا وخشيته من تدهور
يخسرهم التقدم الطفيف، اتفق معه معتر في قلقه وحدد له جلسة
استثنائية بالغد..

أسرع يملأ طبق بمقبلات ضيافة وفاكهة وأخذه لها أمام انظار
أمه وخالته فغمغم:

-روكا احنا جعانيين هو ما فيش عشاء ولا ايه؟

قامت خالته مسرعة تجاهه:

-لا ازاي يا حبيبي طبعا ثواني والعشاء يجهز بس ما تسدوش
نفسكم بالحاجات دي.

ومدت يدها تاخذ منه الطبق متجهة للمطبخ مربته على كتفه
بامتنان باسم فبادلها بسمتها، والتقت عينه بعيون أمه المعاتبه
وقبل أن يطول عتاب العيون عاد للداخل يرغب في محادثة ميرا
ومصالحتها، لكن كذبها عليه وحالها الغريب مؤخرًا يقلقه
ويرغب أن تأتيه مصارحة، تذكر زيد فحاول مكالمته من جديد
مغلق.

يجب أن يتصل بعمه مهاب وسارة لم يتصل للاطمئنان عليهما
وهم بدون رجل، زفر بحنق عقله مشت بينهم جميعاً وقدماه
تعود به للخائفة من جديد .

الفصل الثامن

يقال إن كان الكلام من فضة..

فالصمت من ذهب وفي بعض الأوقات يصبح ألماس ..

فالصمت واحة الغرباء بين صحاري الغوغاء ..

الصمت جسارة وحنكة وأحياناً استسلام..

صلد بحدته، حالك في جوهره، درامي التأثير..

صمت الخيانة أشواك وصمت النصيحة فتاك..

الصمت عقاب وملاذ وهروب واجترار للآلام ..

وكم من مذنبٍ ضاقت نفسه بصمت معذبه ..!!

وكم من معذبٍ فتكت به نيران صمته!!..

فلا بالصمت ارتضينا ولا بالحديث هنأنا ..

عائد من المقابلة التي بدأت كمهمة وانتهت كصداقة محتملة،
 قدر استمتاعه بعفوية مرافقه قدر ما أثار ما بداخله من شجن
 الذكرى..

هو يحسده لا بل أستغفر الله أني أغبطه، فمن ذاق حرمان
 الدفء الأسري لا يتمني زواله لألد أعدائه.

أدار مفتاح شقته بالبواب طالباً للراحة متوقفاً الصمت المعتاد،
 لتتسع عيونه بدهشة فصيده يجتاح المكان حرفياً؛ أكياس
 ملابس، أوراق التغليف، وعلب الأحذية ذات الأسماء الرنانة
 تجتاح المكان

ارتفعت عقيرته بنداء بدا كالسباب:

- إياااااااا... أنت يا بيه إيه اللي انت مهيبه في الشقة ده؟

فاجأه صوت إياد قادماً من داخل المطبخ، فأسرع له وعقله يرسم
 صور للكوارث والخسائر المتوقعة؛

إياد ابن الحديدي في المطبخ اللهم لطفك!

تفاجأ به يرص أطباق أمام علبة بيتزا عملاقة ومشروبات غازية،
يعيث في الأدراج الفوضى ويتركها دون إغلاق..

استفزته فوضى البحث المزعوم فتحرك بسرعة ينقذ ما يمكن
إنقاذه:

- أنت بتدور على إيه؟ وإيه المزبلة اللي بره دي؟

- بأدور على سكاكين وشوك.. مش لاقى سكاكين، أما يا باسل
جايب لك بيتزا إنما إختراااع !!

جز على أسنانه بحنق وهو يفتح أحد الأدراج يخرج له منها
بعضاً مما طلب:

- أنت ماروحتش بيتكم ليه؟ ها...مش رجعت الشركة والإجازة
بنخ!

نظر له إياد بجانب عينه بتعالٍ وهو يحمل العلبة العملاقة مع
غنائمه من غزوه للمطبخ من أطباق وأدوات مائدة متحركاً
للخارج تاركاً أرض المعركة متعمداً:

- الشركة آه... البيت لا....

مسح باسل وجهه بكفيه بقنوط من منظر الفوضى المثير للتوتر
وقبل أن يتلفظ بسباب يستحقه صديقه سمعه يهتف به:

- وبعدين تعالى هنا قولي عملت إيه في اللي كلفتك بيه
النهاردة؟ تعالى كل معايا

خرج وراءه ليجده يجلس أمام التلفاز وبدأ بالفعل في الأكل
بشهية مفتوحة،

شبه إفراغ التوتري يعلمه عن صديق عمره وربيب طفولته، أطاح
بكل كيس أو علبة تقاطع وجودها مع مساره حتى وصل لكرسيه
المفضل وجلس سائداً رأسه بكفه الأيسر:

- سبقتك، قصدك الفخ إياه؟ أنا مش فاهم أنت عايز إيه من
وراء الحوار ده!!

أشار له إياد ليكمل وهو يتناول طعامه باستمتاع
فأكمل وهو يزم شفتيه:

- لو متخيل إنهم ما صدقوا مسكوا في العرض يبقى هارد لك،
لسه بيفكروا وهيردوا علينا.

ابتسم إياد ابتسامة جذلة وبعيونه لمعة يعرفها جيداً فأردف باسل:
 - أنت كنت متوقع أنهم مش حيوافقوا بسهولة صح؟ أو ممكن
 يرفضوا أصلاً طب إيه لازمته !!

ارتشف إياد بعضاً من مشروب الشعير الغازي:

-المهم. أنت بلغتهم بحوار مهلة الـ ١٠ أيام؟ هز باسل رأسه
 مجيباً دون كلمات محدقاً بصديقه الذي زاد من ذهوله عندما
 أكمل:

-احكي لي بقي لما هشام قلق أنت قولتله إيه؟

رفع باسل إحدى حاجبيه مغتاضاً من ثقة صديقه التي طالها
 الغرور:

-هشام ما قابلنيش أصلاً كان مشغول واللي

جه كان أخوه عصام، بس اللي أقدر أقول هو لك إني قدرت أمحي
 قلقه.

أبتسم إياد مغمماً:

- حيوافقوا

- يا سلام على الثقة!! لو مكانهم هارفض، خصوصاً بعد ما أعرف الشرط الجزائري اللي حطيته جديد في العقد، وبعدين ده أنا نفسي ما كنتش مقتنع بمبرراتي يا أخي .

عقد إياد حاجبيه لدقائق واستمتع باسل برؤية صديقه يعيد حساباته، فإن كانت فوضى صاحبه تثير حنقه، فغروره الصفة المقيمة المستحدثة على طباعه تثير غضبه، وعاد بابتسامته مع تلذذه بقضمات البيتزا:

- ده الفرق.. أنا واثق أنهم حيوافقوا ممكن يعصلجوا بس حيوافقوا وزى ما أنا عايز عارف ليه؟
نظر له باسل متسائلاً بعيونه فأكمل:

- تسمع على المقولة اللي بتقول الرجل المناسب في المكان المناسب؟

فعقد باسل حاجبيه بعدم فهم فأكمل إياد وهو يتناول قطعة أخرى من البيتزا ويتجول في قنوات التلفاز بحثاً عما يجذبه:

رأيتك عالم

شغيف وورح

- أنا بقى عرفت ابعت لهم المرسال المناسب.

غمز لصديقه واتسعت ابتسامته بينما باسل عقله يزأر بالتفكير
ولسانه يترجم أفكاره:

- نفسي أفهم ليه! إيه الفائدة؟

وقابله الصمت من صديقه، صمت يثير أعصابه حينما تحتاج
لأجوبة لا يملكها إلا هو، لكن عقله جذبته لأمر أخرى احتلت
تفكيره منذ الصباح، فتنحى معتدلاً في جلسته، مما جعل إياد
يعقد حاجبيه ويلتفت له متسائلاً، فصديقه ذو لسان كحد
السكين، نظرات طويلة بين الصديقين، هممة باسل:

- أنا كنت عايز يعنى أعرف أنت واخذ بالك من اللي بيحصل...
قاطعته إياد بأن ألقى ما بيده من طعام بهدوء ومسح يديه بقوة
مغمماً:

- واخذ بالي وعارف اللي بيدور في دماغك.

فأردف باسل:

- معلىش يا صاحبي بس الموضوع مريب وحوار أشرف...

قاطعته إياد للمرة الثانية بحزم وقوة:

- شك، الأمور لسه ما اتعدتش مرحلة الشك يا باسل ومش حاخذ أي تصرف إلا لما أتأكد.

اتبع كلماته بالصمت وقام يللمم حاجياته يدخلها للغرفة التي احتلها، لحظتها فقط فهم سر عدم عودته لمنزله، وسر الملابس والأحذية فهو لا يخطط للعودة قريباً، وتأكد أن ما يجول ببال صديقه تعدى مرحلة الشك لما هو أقسى وأشد

- حمد لله على السلامة.. ممكن أفهم أنت بتختفي فين؟

ابتسم زيد ابتسامة واسعة مردداً:

-إيه أنت مراتي وأنا ما اعرفش ولا إيه؟

ونظر حوله مدققاً ثم أكمل ساخراً:

- ده حتى الأختين الحلوين ناموا ومش قلقانين مالك بقى؟

قام هشام فardاً طوله بغضب يكاد يراه يتفجر من جسده وبصوت عميق غاضب:

- في إن عمك مرتضى كان هنا ويارا تعبت تقريباً جالها PANIC
ATTACK

وحضرتك كالمعتاد مختفي والتليفون مغلق، عرفت ليه ما حدش مستنيك لأنهم كلهم أجهدوا نفسياً، ممكن بقى أفهم أنت بتروح فين؟؟

قبل أن يرد زيد أوقفه هشام برفعة يده ونظرة حازمة:

- من غير لف ودوران، عايز الصراحة لو حتكذب يبقى بلاش، إحنا مش صغيرين على التفاهات دي.

صمت زيد وعيونه تحكى قصة من الألم والغضب والقلق، ذكر مرتضى يرفع معدلات الغضب بعقله حتى مؤشر الانفجار ولكن ماذا كان يريد؟؟ يبدو أن لسانه هتف بها لأن هشام رد عليه:

- كان عايز أختك للبيه رامى ابنه وطبعاً أنت فاهم ليه؟

سب زيد عمه بنعت يصفه بدقة وهو يردف بقلق:

- لسه برضه مافيش فايده إيه ما بيزهقش؟

لخص له هشام ما حدث بكلمات مقتضبة جعلت زيد يسأله:

- طب وبعدين؟

هز هشام كتفيه:

- طول ما سكه معروفه ما فيش قلق، المهم أنه ما يفكرش بره

الصندوق، ساعتها ممكن نتعب كلنا

صمت قبل أن يطالعه بنظرات قوية:

- وعلشان كده وجودك في الصورة مهم، لنفسك ولأختك وأمك،

ما ينفعش دائماً يا مسافر يا مختفي .

قاطعته زيد:

- البركة فيكم طول ما أنتم موجودين أنا مش قلقان.

هتف به هشام:

- يا زيد ما ينفعش

قاطعهم شبح أنثوي يتلصص خطواته، كأن ضوضائهما اجتذبتهم

أوقدت إنارة منطقة الاستقبال، وحين اصطدمت عيونها بعيون هشام زمت شفيتها وغمغمت بعصبية:

- ايه الرعب ده!! ما تفتحوا النور.

واستدارت تهمهم بكلمات غاضبة النبرة، ساخطة وخطوات سريعة لمأواها..

اعتلت ابتسامة متفككة وجه زيد:

- إيه أنتوا لسه متخاصمين؟

زجره هشام بنظرة قوية:

- زيد ما تهريش

فأسرع زيد يدفعه أمامه بقوة:

- بلا أهرب بلا بتاع.... كفاية قوى أسبوعين نكد في البيت....

ده حتى خطر على الصحة

تناوش هشام وزيد سوياً حتى وصلا لداخل المطبخ، وجدا المتبرمة بإسكتشات رسمها وألوانها المتناثرة، شعرها كتلة مشعثة فوق رأسها تثبتها بأحد أقلامها، وترتدي منامة وردية عملاقة..

استدار هشام يعد كوب من القهوة له واستقر زيد بجانبها ومازالت تخربش بقوة وعنق -هتكسري القلم براحة شوية.

أهدته نظرة بجانب عينها تحمل لافتة "احترس قابل للاشتعال" فلم يبال وعينه تتنقل بين ظهر هشام والمشعثة ذات الرأس المنكسة على رسومها، ناوشهما ممسكاً أحد رسوماتها:

-إيه ده أنتوا عندكم حملة إعلانات ضد الإكتئاب! .

رمته بأحد وسائدها والتفت إليهما هشام ملتقطاً ما رسمته، محدقاً فيه باهتمام متفحص، ثم وجه إليها أول جملة:

-التصميم ده مقبض حاد.. ما اعتقدش أنه لشغل لنا ولا بقيت بتشتغلي حملات من بره الشركة!

طارت عيونها لأخيها مفتوحة على اتساعها هاتفة بعدم تصديق:

- أنا يا هشام حاعمل شغل لوحدي من وراك.!

هز هشام كتفه يعبث في باقي تصميماتها وبنبرة حازمة:

- اللي بدايته كذب والخداع تتوقعي منه الأسوأ دائماً .

خبطت بكفيها على صدرها، تهتف به غير مصدقة متألّمة وتتطاير العبرات المحتبسة بألم خصام أسبوعين:

- أنا يا هشام! .. تتوقع مني أنا ميرا الأسوأ!... أنا!!!

زفر زيد بسخط وأسرع يحتويها بين يديه، وهي تصبه بتطويح يديها بغضب مكتوم وهو يغمغم:

- اهدي يا ميرا بقى اهدي، هشام بيغلس عليكِ مش أكثر، ما هو على قد الغلاوة بيزيد الزعل يا حبيبتي، اهدي بقى.

مازالت ترفض احتضانه لها حين زفر هشام بحنق وجلس بالجانب الآخر وشدها لأحضانه بعنف هاتفاً بها بزجر:

- قولنا خلاص واللي قولته مش آسف عليه تستاهليه، ولو اتكررت تاني يا ميرا حاكسر دماغك فاهمة.

هدأت وهي تتشبث بقميصه بأصابعها بقوة، صوت شهقات
بكاؤها تتزايد وانعقاد حاجبي زيد ازداد فميرا ليست في المعتاد
بكل تلك العاطفة والحساسية، هناك ما هو خاطئ بالصورة، ولا
يستطيع وضع يده عليه، ميرا مختلفة مجروحة.

- وعندك اتنين ليمون وواحد كمانجة هنا وصلحه.

كلمات أطلقها عصام بمزحه المعتاد مقاطعاً إياهم وجلس بجوار
زيد محتضناً إياه :

- والله وليك وحشة يا زيدو مش تبقى تيجي يا راجل.

ابتسم زيد بسخرية مغمماً:

- هههههه.. ظريف من يومك

هتف به هشام:

- حمدلله على السلامة، اتأخرت كده ليه كل ده في الإجتماع !؟

- لا هو مش كله اجتماع هو أول نص ساعة والباقي قعدنا نرغي
طلع شخص محترم كده وشبهنا

نظر له زيد متفكهاً:

- مبروك مقدماً عقبال الليلة الكبيرة

رد عليه عصام بصفعة على رأسه وقبل أن يتبارى الاثنان بالمزاح، أوقفهما هشام مطالباً بمعرفة تفاصيل اللقاء وبكلمات مقتضبة سرد ما جرى وارتعاشة ميرا تزداد أمام عينيه جعلته يعقد حاجبيه بحيرة

بعد أن أنهى عصام حديثه هتف هشام:

- يعنى إيه عايز واحد منا إحنا الثلاثة؟! وما تقوليش المبرر الخايب ده مش داخل دماغى!

هز عصام كتفيه مغمماً:

- ما اعرفش أنا سألته وده كان تبريره وبصراحة أقنعني

تدخل زيد بالحوار:

- عادي الموضوع مش غريب بيحصل بره في الشركات والمجموعات الإستثمارية الكبيرة والشركات الصغيرة.

رد هشام وعقله تجتاحه موجة من القلق الغير مريح:

-الكلام ده لما تبقى الشركة في بلد تانية أو حتى مقاطعة ولا مدينة تانية لكن ده إحنا بينا يدوبك ساعة لو الطريق زحمة!

رد زيد:

-أنا شايف تقبلوا خطوة كبيرة ومهمة تستاهل المخاطرة

-أنا مع زيد

أكد عصام

نظر هشام لميرا:

-وأنتِ يا ميرا رأيك إيه؟

ترددت ميرا قبل أن ترد بخفوت:

-اللي شايفين فيه مصلحة الشغل والشركة أنا معاكم.

زفر هشام كان يتمنى صوت معارض آخر يتضامن معه، فهو غير مرتاح للعرض، يستطيع فرض رأيه لكن ماذا إن كان سيؤثر بهم سلباً:

- طب فرضاً قبلنا العرض ده، مين اللي حيروح ما ينفعش أنا ولا عصام المطابع حتتعطل مافضلش إلا ميرا.

وقتها التقطت عيونه بنظرات أخته نظرة غريبة لا يفهمها ترتسم في عيونها، شيء ما بداخله يحثه على الرفض، شيء يثق به وحين قرر أن ينطق بحروف الرفض القاطع للعرض وجد ميرا:

- هشام لو شايف إن ده في مصلحتنا.. أنا موافقة أكون همزة الوصل بين شركتنا ومجموعة الحديدية... أنا قدها وأنت عارف .

تشجيع من زيد واستحسان من عصام جعلها هشام يغمغم:

- لسه قدامنا ١٠ أيام سيبوني أفكر .

وصمت وانسحب بعقله بعيداً عن صخب ومداعبات أخوته، يشعر أنه يُساق لشيء ما، يُدفع لأخذ قرار معين..

ولكن ما لا يراه هو لماذا؟

لماذا يبدو العرض كالسم في العسل. !

تحدث حتى أراك

جملة يؤمن بها معتر بشدة، فهي مفتاح عمله وأساس نجاحه، الصمت بالنسبة له عدو يقتل مرضاه ببطء، يتقن هو فن إدارة الحديث، يجعل مريضه يفرغ ما بجعبته، ما يرتاح لروايته قبل أن يوجهه هو لمربط الألم وأصل العقدة، وها هي يارا تجلس على الصوفا ذات المقعدين الوثيرة جالبة للإسترخاء، لكنها لا تزال تشعر ببعض من عدم الارتياح وتخشي التمدد على الشيزلونج، تخشى الانفتاح التام وهو مقدر، خطوة بخطوة، لا يبالي أينما تجلس ما دامت كلماتها تنهمر، لكن اليوم يختلف حجر عثر يقف بينه وبين كلماتها، صمت لا يستسيغه يسيطر على لسانها:

- أنتِ جاتلك نوبة فزع إمبراح مش كده؟

هزت برأسها موافقة

- مواظبة على العلاج؟

هزت رأسها مجدداً،

صمتها اليوم عنيد مقلق، لن يسمح لها بالتراجع ليس الآن بعد
أن بدأ يتوصلا عن سر بلاءها:

-قولتي إن خالد كان يطلب منك حاجات لأنك مراته بس ما
وضحتيش؟

رفعت له عيونها بتعجب، لم يسألها يوماً مباشرة عن خالد ومن
بداية الجلسة أيضاً تلك سابقة، احمرار وجهها أفشى توترها
وكفيها بدأ رحلة تشابك مع بعضهم البعض، عله يتغاضى أو
يتناسى لكنه أصر بحزم:

-يارا.. خالد كان يطلب منك إيه؟ طلبات جنسية؟

ازداد اتساع عيونها وهي تهتف به بحياء ساخط:

-إيه اللي أنت بتقوله ده؟

أخيراً حروف وانفعال، جيد،

هز كتفيه ببراءة ولوح بيديه:

-إيه!! مراته ومش عايزة تتكلمى فعازانى أفكر إزاي؟

- مش زي ما أنت فاهم .

- فهميني.. اديني مثال .

رفعت كفيها تمسح بهما وجهها وتتنفس بعمق:

- حاجات تافهة يعنى مثلاً لو في كنا في مكان يخلينى أنا اللي
آكله الأول وبعدين أنا أكل، ماينفعش أبص في عينيه ببجاجة
وهو بيكلمني و و و..

- وايه يا يارا كملي ؟

- وأول مرة خرجنا سوا طلب مني إني كل أما أشوفه أبوس خاتم
في إيدته! .

- لو حدكم؟ كان بيطلب ده منك لما تبقوا لو حدكم؟

نبرة صوته الهادئة تعبيرات وجهه المهمة ليست المتقرزة أو
المستنكرة بثتها بعضاً من الراحة لتسترخي وتطلق لسانها:

- في الأول بس

صمت لثواني قبل أن تكمل:

الله عالم

شغيب وريح

- وبعد كده بقى حتى لو كنا وسط الناس وخصوصاً أصحابه

- كنت بتحسي بيايه لما بيقولك تبوسي إيده؟

التفت له بحدة وانتصبت بجسدها في جلستها وبنبرة صوت مرتفعة:

- أبوس الخاتم مش إيده ...

رفع كفيه بإشارة تسليم بكلماتها

- أوكيه آسف، كان إيه إحساسك لما كان بيخليك تبوسي الخاتم؟

توتر بؤبؤ عينيها وارتجاف طفيف شاب أطرافها لاحظته عيناه الخبيرة بينما أذنه تستقبل مرارة حروفها:

- أول مرة اعترضت وضحكت افكرته بيهزر ولما لقيته بيتكلم جد... رفضت، لقيته بيتكلم عن طاعة الزوجة لزوجها واستشهد بأحاديث للرسول وأنه لو طلب مني أي حاجة ورفضت وغضب عليا أبات الملائكة تلعني

انسابت الحروف مع نصف ابتسامة مريرة ارتسمت على وجهها:

- وأنتِ مافكرتيش تسألِي حد تستشيرِي حد تثقي فيه ؟

تتذكر هي ذلك اليوم الفارق في حياتها، ذكرى أخرى بائسة لا تبتهت كبريق ماسة قيدها المشثوم، يوم عادت سألتهم طالبتهم بنصيحة، تلجلجت الأم بخجل صامت وتركتهم تاركة الساحة لآمال الأخت الأصيلد لتفاجئها خالتها بتأكيد كلامه وتنبيهها أن طاعته لا تتجاوز ما للخاطب وأن ما له من حقوق الزواج يظل لبعد الحفل الكبير، ببساطة طالما لا يطالب بجسدها إذاً فهو على حق والجسد حق يضاف لقبضته بعد الزواج، بكلماتهم الخجلة المتكتمة سلمت مقاليدها له وليتها ما فعلت

بتنهيدة كبيرة ودموع متلألئة تحارب للهطول جاوبته:

- يومها لما روحت سألت ماما وخالتو قالوا لي أنه صح لازم أطيع زوجي طالما ما بيطلبش حاجة ما تحقش له إلا بعد الفرحة يبقى طاعته في أي حاجة تانية واجبة

حالتها تستفزه، تثير مشاعره بكل ما بها عقد وحواجر، أغمض عيونه كاتماً مشاعره الخاصة مهدتاً نفسه

رأيتك دائماً

شغيف ووردة

((أهدا.. أهدا.. وكن حيادي))

ابتلع ريقه سائلاً:

- كنتِ قولتِ لي إن الحاجات البسيطة كبرت بعد كده برضه ما
حكيتش لحد حاجة؟

ابتسامه مرتعشة و بصوت ساخر:

- وقتها كان اشترط عليا أن كل اللي يحصل بينا استحالة يخرج
بره لحد

- عمره ما طلب منك التصرفات دي قدامهم أقصد عيلتك؟

هزت رأسها بالنفي مرراً:

- لا أصلاً كان ما بيحبش يقعد معاهم ولا يخليني جايب سيرتهم
...أوقات كتير كان بيخليني ما أقعدش معاهم طول اليوم يفرض
عليا إني أقعد في أوضتي ما أكلمش حد ولا أقعد مع حد

- كان يقصد حد معين ولا كلهم؟

- في الأول كان هشام وعصام لو عرف إنني قعدت معاهم يبهدل الدنيا وبعدين كبر الموضوع أنه منعني أتكلم مع صحباتي ووصلت لأنه يمنعني حتى عن زيد و ميرا ومروة

- مين مروة؟

- دي بنت خالتو حورية وصاحبتنا الثالثة بتاعتنا.

- وأنتِ كنتِ بتحسي بيايه وقتها؟

تنهيدة مريرة أطلقتها وهي تسترخي في جلستها على ظهر الصوفا :

- بأني وحيدة بأدور في فلكه لو مش بأكلمه فأنا خارجة معاه أو مستنياه سنة كاملة هو موجود بكل لحظة فيها.

- كنتِ بتخافي منه؟

- آه كنت بخاف من ردود أفعاله لأنه عنيف ومرة ورا الثانية بطلت أقاوح أو أعترض وقررت أكون مطيعة

- تفتكري قرارك كان صح؟ قرار الطاعة والاستسلام المصاحب بنذر السرية اللي أجبرك عليه؟

رأيتك عالم

شغيف وورح

ضيق اكتنفها بقوة عقدت قبضتها بتوتر واحمرت وجنتيها
وردت بسخط:

- ماكانش قدامي اختيارات تانية وقتها، كان جوزي

استشعر الضيق من نبرات صوتها وحركات جسدها فناورها
ببراعة:

- يارا.. أنتِ عمرك ما حكتِ لي عن والدك؟!!

نظرت له باندهاش ما دخل والدها بضيقها أو بخالد؟!!

وترجمت تعجبها بحروف:

- بابا منصور؟!!

رفع حاجبيه باندهاش مردداً:

- أنتِ مش اسمك يارا محسن؟!!

نظرة إدراك حزينه، ثم أخذت نفساً عميقاً عندما رأت نظراته
المشجعة المندهشة، فبدأت تسترجع ذكريات بعمر سنينها:

- أنت تقصد بابا محسن؟ أنا ماليش معاه ذكريات كثير، يوم في السنة بيدأ بهدايا كثير ولعب وينتهي بخناق وزعيق وعياط لحد ما ننام.

عندما جاوبها صمته المعتاد حينما تتحدث، يشعرها بعدم راحة فيبدأ لسانها بملاً الصمت

- بس بابا منصور كان مختلف كان قمة الحنان اللي ممكن تتخيله.

ابتسامة أنارت وجهها مكملة:

- كان دائماً بينقذنا من عقاب أمولة، ودايمًا يجيب لي أنا وميرا الحلويات اللي بنحبها من وراها ولمعت عيناها ببريق ذكريات دافئة :

- أنا اللوليتا وميرا فريسكا التفاح بس دائماً أمولة كانت بتقفشنا بادلها ابتسامتها بابتسامة دافئة ونظرة متفكهة:

- أكيد من لون لسانكم

ومع نظرتها المتعجبة له أردف بشبه ابتسامة:

رأيتك دائماً

شغيف وورح

-أنا كمان طنطك شريفة كانت بتقفشني من لساني
وتعالّت ضحكاتهما سوياً فغمغمت:

- فعلاً وجدو كان بيخاصمها لما تزعق لنا وكان بابا منصور
يخاصمني لو قولت له يا عمو، شهامة وقوة وطيبة وعقل فاكرة
هزاره معانا ولعبه وضحكته كان دخوله للبيت فرحة ودفا وأما
مات بعد جدو بكام سنة كانت أول مرة مرة أحس بمعنى كلمة
يتيمة.

كلماتها لامست وترأ من قلبه فعلى ما يبدو أنه يشترك معها في
ذكريات الأب القدوة فأبيه كان يشابه منصور؛ رجال من زمن
مختلف، أنصاف الرجال فيه كانوا ندرة والغلبة كانوا لأشبهه أبيه
وأبيها، شعور الافتقاد ليس بغريب عنه، حركة أطراف أناملها
الرقيقة على وجنتيها أنباته بدموع تحاول مدارتها فباغتها:
-أوصفي هولِي.

نظرة حالمة من عيونها أطلت قبل أن تبتعد بعيونها للوحة على الحائط تمثل مركب مستكين بين أمواج ساكنة فيروزية وشرع يعاند رياح عتية وصياد مسترخي مستسلم أو مسيطر، كانت لوحة كمقتنيها هادئة معبرة بصمتها :

- كان شخص حنين حنية البحر على المجروح، كان حضنه ييسعنا كلنا، ضحكته شمس دافية، ونظرة الاحترام منه تساوي الكنوز وتستهال تحارب علشان تنولها وعلى قد طيبة قلبه على قد قوته في حمايتنا كان فخر لنا أننا ولاد منصور رفع حاجبيه منبهاً بوصفها وحين رأته دهشته:

- امم لو تقصد شكله تقدر تقول كده هشام وعصام وزيد لخطهم في بعض تلاقيه بابا منصور واتسعت ابتسامتها يكاد يرى عقلها تتدافع به الذكريات ومن اتساع ابتسامتها ولمعان عيونها تبدو سعيدة مشرقة، تنحج سائلاً:

- عمرك ما خفت منه ؟

رفعت له عيون مستهجنة مرفقة برد سريع قاطع:

رأته حالم

شخيط وورحة

-أبداً كان شخص ماتملكش قدامه غير أنك تحبه وتحترمه
عاجلها:

-أيه أكثر موقف حماك فيه ؟

ارتعشت عيونها وتبدل الاستهجان بالحزن والألم لدقائق
وعيونها تحدق بالسجادة وحين طال صمتها حثها معتر:
- يارا ؟

تنفست بشكل عميق وابتلعت ريقها مغمضة عيونها وفي ظلام
جفونها تراءت لها مشاهد لن تمحى من ذاكرتها:

- بعد ما بابا مات بشهر جدو كان في مرسى مطروح لأن جوز
خالتي الكبيرة عمو محمود تعب وعمي ...

ترددت قليلاً مسترقة النظر لمعتر وجدته ذو وجه مصمت لا تعبير
منصت بتصميم يدفعها لتكمل:

- عمي مرتضى جه علشان ياخذنا أنا وماما وزيد معاه، طلب
أنه يتجوز ماما علشان يربينا ابتسامة ساخرة مريرة ارتسمت على
وجهها :

- ماكانش طلب كان أمر واتحول لاختيار يا إما تتجوزه يا إما
ياخدنا منها وماحدش قدر يوقفه عند حده غير بابا منصور وما
اقدرش يورينا وشه تاني إلا بعد ما مات

ارتعاشة اكتنفتها بقوة، رجفة ملحوظة لعيونه الخبيرة أنبأته بأن
القادم أسوأ ولم يكن ليتركها تنسحب لقوقعتها من جديد:

- فاكرة اليوم اللي جالكم فيه بعد موته؟

عيونها ابتعدت عن حاضرهم وإشراقه السعادة بددتها إلتماعه
الألم بعيونها وهي تغمغم:

- ياريتني أقدر أنساه.. اليوم ده ساب علامة عليا وعلى زيد مش
سهل تتنسى، عارف النيجاتيف!؟

هز رأسه موافقاً لا يرغب في مقاطعتها أبداً فأكملت:

- الصور الحلوة دائماً ليها نيجاتيف أسود مشوه ممسوخ الملامح،
أهو نيجاتيف حياتنا كان عمي مرتضى وعماتي، رفضهم لجواز
والدي ووالدتي كان لعنة علينا، أسبوع كامل بينهم، شوفت فيه
اللي ما شوفتوش في حياتي قبل كده، إهانة بكل شكل ممكن

تتخيله، واليوم اللي ماقدرتش استحمل فيه زيد هو اللي دفع
الثمن، زيد هو اللي شال عني، هو اللي صرخ مكاني أيام كثير
صرخته بتيجي لي في كوابيسي، أنا آسفة ما اقدرتش أستحمل
وقولت لأ... سامحني

بدأت تهذي بكلمات بدون ترابط

ارتفعت يديها تطوق بها نفسها بحثاً عن أمان، التقتها ذكريات
سوداء مقبلة دون أن تترك لواقعها الآمن منفذ للنجاة، تتحرك
للأمام والخلف

كلمات اعتذار مكررة واسم أخيها تهمسه بخفوت المترجي عفواً
لا يستحقه، اخترق ظلمتها بصوت قوي رخيم:

- يارا.. سمعاني أنتِ هنا... يارا.. ما فيش حد منهم حواليك...
دي مجرد ذكرى وعدت.. صورة نيجاتيف مشوهة للماضي..
يارا.. سمعاني سمع صوتي.. يارا.. اتنفسي.. وعمق اتنفسي

ظل بمكانه ثابت كما هو يراقبها وهي تهدأ، يرشدها دون أن
يتحرك من مكانه.

رأيتك دائماً

شغيف وورح

تمارين الاسترخاء تنفذها بطاعة لصوته الأمر، هذيانها يتوقف
وارتجافتها تنكمش،

صوت تنفسها مسموع قوي حتى استقرت هادئة بنفسها لم
تخذله نظرتة فيها

تركها تستجمع قواها لدقائق ثم سألتها ببساطة:

- تحبي تشربي حاجة ؟

هزت رأسها نافية:

- أنا عايزة أمشي

- بسرعة كده!!

رفعت له عيون مليئة بالعبرات مجهدة:

- تعبت

- يارا.. إيه رأيك حاقولك كلمة وعائزك تقولي لي أول حاجة

تيجي على بالك لما تسمعها اتفقنا؟

نظرت له بتعجب منهك فاستطرد:

- لو وافقتِ بعدها ممكن تمشي

هزت رأسها إيجاباً وعقلها تتردد به جملة واحدة متى تنتهي
وتعود لغرفتها، صوته أصر:

- يارا.. ماسمعتش ردك؟

خرج صوتها متحشرج :

- ماشي اتفضل

رفع سبابته إلى شفثيه يطرق عليهم بشكل مسرحي وكأنه يفكر
بجدية

-المستقبل؟

-مش شايفاه

-الأمل؟

-فين

-الحب؟

-الخوف

- منصور؟

- الأب

- جدك؟

- السند

- أمم عصام؟

- الضحكة الحلوة

- ميرا؟

- القوة

- زيد؟

- العقل

- خالتك آمال؟

- الشدة

- والدك محسن؟

دالك عالم

شغيط ورسية

-الندم

-والدتك؟

-الطيبة

-مروءة؟

-التحدي

-هشام؟

-كل حاجة حلوة بتبدأ بيه أمان وحنان وراحة

ارتفع حاجبيه بدهشة وشاغبها:

-أنا قلت كلمة واحدة

فردت بابتسامة وليدة تجاهد لتظهر وهي تنهض من مجلسها:

-هشام وصفه محتاج معجم مش مجرد كلمة لأنه ببساطة كل

حاجة

يقال أن المأساة كحد السكين إما أن تقرب الأحياء أو تفرق الأخلاء وفي الحالتين أنت المستفيد،

جالس ينتظرها منذ ساعة في قاعة الانتظار، الموسيقى الهادئة المستفزة واللون المحايد للجدران أجبراه على غلق جفونه المتعبة فبعد عودته متأخراً من يوم حافل وجد ما لم يتخيله هشام جالس ينتظره بجوار الباب، هل غيابه ملحوظ لتلك الدرجة فتدخل هشام معه هو بالذات لا يأتي إلا في الشدائد،

ف زيد لم يكن أبداً الطفل الهادئ الرزين، كان كتلة من التمرد، غاضب من الجميع وعلى الجميع، يحملهم وأبيه ذنب كل ألم، يحمل فوق أكتافه الغضة كمراهق ظل هشام فخر العائلة وصديقه عصام المرح وهو زيد الوسيم فقط الوسيم..

لا ثقل حقيقي لوجوده مما جعله حائق مشاكس عنيد، لم يتسلل تحت جلده سوى عمه منصور، لا تأنيب.. لا خطب رنانة .. لا تحقير فقط احتواء ممزوج بتهذيب وإرشاد

يعامله كرجل فكان يجبره على التعامل بنضج، حتى جاء اليوم الذي احتاج فيه للسند فلم يخذله إخوته، ولن يخذلهم هو الآن.

رأيتك دائماً

شغيف وورع

مرتضى كلما ذكر هذا الاسم أمامه فارت دماؤه حد الغليان، ارتفعت يده اليمنى إلى كتفه الأيسر تتلمس تذكارات المسمى بعمه، حرق من الدرجة الثانية بسيخ حديدي جزاء للعصيان، أسبوع قدر ما يرغب في نسيانه قدر ما يحمد الله أنه مر به وإلا لظل زيد المتمرد الصاخب جالب المشاكل، تفاصيل حفرت بمخيلته حين ذهبت العمات للجزاء في عمه منصور كان مرتضى يقوم بخطفه هو ويارا ليجدا نفسيهما في مكان زراعي غير مألوف تماماً، بدأت المهازل أهانة.. ضرب... ألفاظ نابية.. إجباره على تنظيف حظيرة البهائم وإجبار يارا الرقيقة على تنظيف المنزل بحظيرته وخدمة الجميع بلا تهاون، أسبوع من الذل والشماته والكره من مرتضى وإخوات أبيهم

يارا كانت على يقين بأن هشام لن يتركها وكلما زاد يقينها زاد حنقه

حتى جاء اليوم جروه من الحظيرة مهلهل الملابس ليرموه تحت أقدام أخته والخيار واضح تزوجى ابن العمه وإلا شوهدنا أخيك

في الحال ووقتها صرخت ورفضت لم تصدق أن قسوة قلوبهم
ستنفذ الوعيد،

وقد كان حُرْقُ بعلامة لن تندمل يوماً

وصرخ ملء صدره

والدموع انهارت من عيونها هي..

تركوه بدمامل جرحه وألمه ليجد خادمة عجوز تبلل جرحه بماء
بارد وتجففه وتشد من أزره:

- قوم يا ولدي خيتك محتجاك قوم يا ولدي اهرب وجيب أمك
وأهلها ينجدوا أختك... عمك مرتضى ما ناويلهاش على خير.

هربته العجوز من فجوة مخفية بسور المنزل ودست في يده
قروش قليلة معذرة بعيونها عن رقة حالها، وأول ما فعله بعد
مسيرة طويلة لايجاد العون، كان الاتصال بالغوث؛ بهشام يومها
عرف سر فخرهم به مع صغر سنه فقد أحضر أخيه وأصدقائه
وعمه محمود وجاءوا كلهم ليأخذوا يارا وانتزعوها من براثنهم
قبل أن يزوجها مرتضى، واتضح الرؤيا لم يكن المقصود يوماً

ستر العرض ولا تربية لحم الأخ لا بل الميراث، ميراث الغربية الطويلة لأبيه، مرتضى وسعيه الحثيث وراء أبيه حتى طلق أمه وإخراجهم من حياته وانتظار موته بفارغ الصبر ليرث الستة أرقام، والمفاجأة كانت من نصيبه فأبوه وزع كل ما يملك عليه وأخته وأمّه ومن يومها وهو يحارب ليضع يده على تلك الأموال

يحمد الله أنه لم يكن موجوداً البارحة، يمقت النفاق الاجتماعي وبخاصة في حالته تلك، ما أثلج صدره هو ما سمعه عن شبه طرد هشام له، هشام الحائق المنتظر عودته بجوار الباب كزوجة غاضبة

ارتسمت ابتسامة هادئة على وجهه متذكراً حوار البارحة، قاطعه فتح باب غرفة معتر وخروج يارا ومعها معتر يبتسمان مما دفع بعروقه دفعة راحة واطمئنان، مجرد رؤيتها تبتسم لشخص خارج نطاق أسرتهم يعتبر تقدم هائل لا يستهان به، ابتسامة معتر الرصينة جعلته يستقيم في وقفته، أقبل معتر يسلم عليه مرحباً به يخبره عن تطورها الملحوظ وأنهى حديثه بدعوة لحفل يقام الليلة بمنزله، حفل تعده شريفة هانم يجب ألا يفوتوه وتعال

الضحكات عند نظرة دهشة من يارا فطمأنها بأنها ليست جلسة أخرى بل دعوة لتقضية وقت ممتع ، وعده زيد بالتفكير في الحضور إن كانت ظروفهم تسمح، وفي السيارة سألتها:

-إيه رأيك تحبي تروحي الحفلة ؟

هزت رأسها برفض مجهد وهمست:

-عايزة أروح

شعر أن تلك الجلسة كانت مجهددة لأعصابها فغمزها هاتفاً:

-إيه رأيك حاوديكِ أحلى مكان بيعمل جيلاتو ها تاكلي جيلاتو ولا تروحي البيت

صمت لثواني قبل أن تعتدل وهي تبتسم:

-أكل جيلاتو .

بعد يوم عمل قصير أنهاه مبكراً تاركاً الباقي لإخوته حتى يستعد وها هو مرتدياً بذلته الكلاسيكية وعطره القوي ينتظر سارة وأمها

رأيتك دائماً

شغيفتي ورائحة

تحت المنزل، يحاول للمرة العاشرة الاتصال بعمه مهاب ولا
مجيب، قلبه يحدثه بسخف ما يفعل، عقله غير مقتنع؛ كيف
يوافق على الذهاب لحفلة وكبير العائلة بالمشفى في حالة
حرجة!!

لكنه وعد وانتهى الأمر سيكمل حتى إشعار آخر، تهادى لأنفه
عطر رقيق ناعم ساحر جعله يدير رأسه لمدخل البناية فاجأته
سارة برداء فيروزي ناعم، خصلات شعرها البنية أصبح لها ضي
الاحمرار، لامع منسدل يتمايل برقة معاكساً خطواتها، تركته
مسحوب الأنفاس صامت ألا يقال الصمت في حرم الجمال
جمال

ندائها المتكرر له أطرب قلبها، لمعة عيونه المنبهرة بشكلها
جعلت دقات قلبها تتراقص بإيقاع منتشي، بابتسامة تضيء وجهها
فزادته فتنة همست بخفوت:

- هشام... هشام

همسها نغم رقيق مختلف، نظرات عيونها الواثقة جذبته، تغييرات
طفيفة تشع بها روحها أثارت دهشته، أفاق أخيراً من غفوته، نزل

مسرعاً يفتح لها الباب يدخلها السيارة ثم التفتت لوالدتها ملقياً التحية ببشاشة يمسك لها بالباب الخلفي، يلوم نفسه على صمته وتيهه الغريب عليه في جمالها،

طوال الطريق يتبادلون الحديث بسلاسة تبت روح الأمل في خلاياها، تتناثر الضحكات والبسمات والسعادة ترتسم على وجهها، نظرة أمها المشجعة في مرآة السيارة الجانبية جعلتها تغمغم لنفسها:

"يوماً ما سيشدو بعشقي راجياً وصالي
وكم أشتاق لاشتياقه أيادي"

أنتهى الطريق سريعاً ووصلوا للفيلا المقام بها الحفل، دقائق قلبها تتعالى، تتخيل اللحظة التي ستواجه فيها الجميع متأبطة ذراعه، بسبب الازدحام أنزلهم هشام أمام بوابة الفيلا حتى يتسنى له صف السيارة بمكان ما، زمت شفيتها، واضطرت للدخول بدونه مع والدتها، وبين تحية ذاك ومجاملة تلك تراكمت الدقائق وطال غيابه وازداد قلقها أين هو لما لم يأتِ؟؟؟

رأيتك عالم

شغيف وورث

سبقته ميرا للاعلى فكعب حذائها يقتلها، صدقاً لا يعلم إن كان
يسبب لها تلك الآلام فلما ترتديه!!

من ظن أنه يفهم النساء فهو أحمقاً كبيراً، مازال يحاول التواصل
مع باقي أصدقاء زيد الذين قابلهم من قبل، يرسل لهم إيميلات
ورسائل التحية وسؤال عابر عن إن كانوا رأوا زيد مؤخراً أو
تناهى لعلمهم شيء وحتى الآن يجابه فشل ذريع

هشام حاول اليوم فلترة العاملين بالشركة لإيجاد بديل لميرا
لعرضه على مجموعة الحديدي، لا يعلم سر اعتراضه فبالنسبة له
ميرا الأنسب والأضمن لن تبعهم أو تؤذيهم لصالح أي من
المنافسين وجودها هناك ضمان لنجاحهم

- عصاااام

نداء ناعم رقيق تسلل لخلوته بنفسه، نداء يعلمه جيداً، التفت
ناحيتها:

- مساء الخير يا لبنى

رأى ناعم

شغيف وورحة

- مساء النور إزيك يا عصام ؟

هز رأسه وهو يشير لنفسه بسخرية:

- زي ما أنت شايفة أهو كويس... خير أنتِ مستنياني بالليل على

السلم علشان تسأليني أزيك؟!!

- ما هو أنت مش بترد على رسايلي ولا مكالماتي حتى لما ...

قاطعها عصام:

- تُو تُو تُو.. ما تتقالش كده، تتقال بطلت تعبرني من ساعة ما

عرفت إني باكلم ابن خالتك

ابتسم لها ابتسامة ساخرة ووجهها يمتقع تلجلجت:

- إيه!! فاكراني مش عارف إنك كنتِ بتكلميه على الشات، إيه

قولتِ عصام مشغول ومش فاضي لي أشوف اللي بعده

وخصوصاً لو اللي بعده طيار ووسيم مش كده.!

- عصام.. أنت بتقول إيه؟! دي مجرد صداقة.. دردشة عادية

اتسعت ابتسامته بسخرية واضحة:

- وأنا كمان اللي كان بينا مجرد صداقة... دردشة عادية

دموع التمتع في عيونها تستنكر ما يردده فأكمل:

- أنا عمري ما قولتلك بحبك وأكبر دليل على أنني صح ف- إنني ما

اعبركيش وقفتك دلوقتِ على السلم.

نظرة رماها بها وأعطاها ظهره صاعداً لطابقتهم مكملًا:

- أتمنى ما اشوفش منك رسايل تاني

هتفت به:

- ليه ما تقولش أنه قالك كده علشان يبعدنا عن بعض عايز

يفرقنا!

التفت لها وهو يقهقه ضاحكاً ينظر لها بشفقة:

- حتى لو كان، وده مستحيل.. أنا واثق أنه بيحبني وخايف على

مصلحتي، دي حاجة اسمها ثقة وأمانة أنتِ ما تعرفيهاش

تركها واقفة في الظلام وابتعد وبعد درجتين من السلم نسي كل

ما يخصها وعاد لهاتفه محاولاً فك لغز المختفي دوماً

يقود سيارته بغضب شديد، سرعته تتزايد، فالرقيقة تلاعبت به بكل سهولة، كيف تسلت له بطريقة كلامها ومظهرها الساحر، وخلف تلك الأنوثة مخادعة كبيرة،

ماذا كان سيحدث لولا مكالمة عمه مهاب بعد أن قرر أن يصف السيارة ويعود إليهم مرافقاً لباقي الحفل!!

جاءه اتصال من عمه مهاب أخيراً ، زفر بارتياح :

- أهلاً يا عمي ... إزي حضرتك وإزي الحاج ألف سلامة عليه ... ربنا يعافيه ويقومه بالسلامة ... كنت عايز آجي لحضرتك ... لا ما تقلقش عليهم أنا لسه عارف إمبارح أهوه لسه موصلهم الحفلة وبركن وداخل ..

احمر وجهه بغضب وهو يسمع عمه يسأله

"أي حفلة تلك ??? وكيف يذهبون لحفلة دون استئذانه؟"

- حضرتك ما كنتش عارف إن في حفلة وهما رايعين !!؟

رايك عالم

شغيط ورنج

كلمات عمه التالية أفاقته فكيف سيوافق على حفل ومن رباه
 على فراش المرض بين الحياة والموت غمغم هشام:
 -أنا آسف يا عمي الغلط من عندي وأنا حاتصرف ما تقلقش.
 أنهى حديثه وهو ينصرف بسيارته مسرعاً بعيداً بعيداً جداً عن
 تلك المخادعة.

تتلقت حولها بقلق تقف مع صديقة أمها السيدة شريفة مستضيئة
 الحفل الأنيق جداً، ترى أمها تهدأ من روع السيدة شريفة ذات
 الوجه المحمر جداً، تبدو غاضبة حانقة من إحدى الصديقات
 التي تركتها بعد نغزتها ببضعة كلمات جارحة عن زواج طليقة
 ابنها مبدية مدى شفقتها على الطبيب المطلق الذي ما يزال
 تحت تأثير الصدمة،

رنين هاتفها تزامن مع رنين هاتف والدتها بوصول رسالة فتحته
 متعجبة ليمتقع وجهها رسالة من هشام:

"لن أحضر الحفل حين تنتهين من الحفل المهم رجاءً راسليني
لإيصالك للمنزل"

رفعت عيون مستنجدة تائهة لأمها فها لها امتقاع وجه أمها
وهممتها:

- أبوكِ عرف... مهاب عرف

ظلت أمها تحاول الاتصال بأبيها وهو يرفض الرد عليها وهي
كذلك تحاول الاتصال بهشام لعلها تحظى بفرصة للشرح
للتوضيح لكن لا أمل لا رد

رفعت عيونها لأمها مغممة وهي تكاد تبكي:

- ماما عايزة أمشي

وجدت أمها تخبرها بحزن:

- ابعتي لهشام يجي يروحنا.

وحين وجدت اعتراض في عيون ابنتها قاطعتها:

- دي اوامر أبوكِ

راسلته برجاء ودموع سوداء مختلطة بكحل عينيها تتساقط على
شاشة هاتفها مشوهة الكلمات

الحفلة حفلتها الأنيقة تنحدر من سيء لأسوأ،
فلا حدث رئيسي كما وعدت مدعوئها، سارة وأمها اختفتا..
وبعد تأكيدات الصباح على التوأم بالحضور وقبولهما الدعوة لم
تظهرا،

لأول مرة تمنى بفشل تلو الآخر

والآن تلك المفاجأة إحدى سيدات المجتمع الضاريات متكرة
بشكل صديقة تخبرها بخبر زواج زوجة ابنها الأولي، لا وحملها
أيضاً، ما قتلها في الصميم هو مصمصه الشفاه والتحسر على
فتاها الطيب الناجح، كيف لم يستطع الزواج بعدها وهي
تجاوزته، وما يضايقها كذبها فقد أكدت لها أن ابنها حضر
الزفاف، كيف؟ ومتي؟

كاذبة شمطاء

أسرعت لمعتز فاستقبلها بابتسامة جميلة:

- تسلم إيدك يا شريفة هانم حفلة ولا أروع.

همست من بين أسنانها تحاول الحفاظ على ابتسامتها أمام الضيوف:

- حفلة إيه بس!.. البنت اللي عملت الحفلة علشانها مشيت وخطيبها ماجاش، حتى عيلة الإدريسي ماجوش.. تخيل أنا يرفضوا دعوتي!!

ابتعد بعيونه عن عيون والدته مغمماً:

- ما تعرفيش ظروف الناس إيه.. مش يمكن حد تعبان ولا حاجة إلتمسي لهم العذر.

- عذر إيه والحفلة باظت! معتر أنت عرفت إن هدير اتجوزت؟
راوغها معتر:

- بتسألني ليه خير؟

حدقت به بسخط:

- هو سؤال أنت تعرف إنها اتجوزت وفعلاً حضرت فرحها؟ آه
ولا لأ؟

هز رأسه يعلم أنها ستغضب فأرسل لها ابتسامة هادئة:

- آه ماكانش ينفع أسيبها لوحدها

اتسعت عيونها باستنكار:

- نعم!! تسيب مين! هي الدنيا اتشقلب حالها أنا

قاطعها مسرعاً:

- استني بس أنا جاتلي فكرة

تركها وأسرع لمشغل الذي جي همس في أذنه ببضع كلمات
وأخذ منه ميكرفون:

- احمم.. مساء الخير آسف على مقاطعة استمتاعكم بالحفلة،

لكل اللي ما يعرفنيش أنا د. معتر قَدري السيوفي... كلكم

مستنين المفاجأة اللي وعدتكم بيها شريفة هانم، احمم..

المفاجأة هي أنا!.. الحفلة دي احتفالاً برجوعي للقاهرة بشكل

دالك عالم

شغيط ورنج

نهائي وتدشين لجمعية خيرية لتصدي للعنف ضد المرأة وإعادة
تأهيل المتعرضات للإيذاء البدني أو النفسي
قاطع كلماته تصفيق حاد ونظرات لامعة توجهت كلها تجاه
والدته المتفاجئة،

مد يده ناحية والدته يطالبها بالقدوم له، فلم ترد يده وأسرعت
نحوه

رفع يدها وقبلها برقة أمام الجميع وقبل رأسها وأردف أمام
دموعها التي تتلأأ في مقلتيها:

- فكرة أُمي ووصية والدي بأني أكون دائماً عند مستوى
توقعاتها وأحلامها، أنا أفخر بأنها أُمي أهم وأغلى حب في
حياتي

مما جعلها تبكي تربت على وجنته بحب وهو يحتضنها، حبيبها
الصغير أنقذ ماء وجهها الاجتماعي،

مجرد فكرة همستها له بحماس حينما حدثها في صبيحة أحد
الأيام عن عمله التطوعي بلندن، فلذة كبدها جينات حبيبها

الراحل تراعي خاطرها وتهديها سعادة تجعلها أكثر إصراراً على هدفها فهمت بأذنه:

- تعالي.. عايزة أعرفك على حد

فتعالت ضحكاته بصوت عالٍ مفاجئ رسم ابتسامة على وجه الجميع ونظرة حنق طفولية على وجه أمه:

- إيه وأنا قولت إيه؟

تسمع أمها ومحاولاتها المستمرة مرة تلو الأخرى، تحاول الوصول لأبيها ومحادثته، ولا تحتاج لذكاء خارق أو فطنة حادة، فالنتيجة واضحة..

لا رد

التفت بجانب عينها تناظر الغاضب بجانبها كل ذرات جسده تتنفس غضب، عقاب الصمت كيف لم تنتبه!

يشبه أبيها في صفاته وحتى في عقابه، أمها تتلظى من صمت زوجها، وهي تنكوي بنار التجاهل فصمته تعدى الصمت هو يحادث والدتها يخفف عنها أما هي فلا وجود لها،

عادت كما بدأت من نقطة الصفر، تلك المرة فقدت احترامه لها
كيف انساقت؟

كيف لم تفكر بعواقب معرفته الحقيقة من أبيها؟!
حاربت لتقترب فاحترقت بنيران كذبتها،

رنين هاتفه ردود مقتضبة

أبوها يطمئن عليهما ويطلب منه أن يطمئنهما ووقتما يستطيع
سيتصل بهما

هكذا بعد أن نقل كلمات أبيها الغائب،

انهارت أمها بالخلف ببكاء صامت،

تعذرهما فهما لم يتخاصما ليوم كامل على مدى زواجهما،

سعادة حلمت بها لنفسها دوماً، فألى أي مدى ستذهب حتى تنال
سعادتها هي الأخرى!

وعاد سؤال يطرق رأسها هل تستحق؟؟

رنين آخر قاطع أفكارها ومع رده على الهاتف رأت هشام
مختلف اتسعت له عيونها؛

هشام الصامت مغازل يمازح ويجامل ويتغزل؟! والأدهى
بأخرى!!

- آلو.. حبيبتي.. وحشتيني وحشتيني

"لو وحشتك كنت سألت اتصلت مش تسيبني طول المدة دي من
غير ما تسأل عليا؟"

- كله إلا زعلك... ما اقدرش على زعل الجميل

"بكاش بس مصدقك، قولي ما وحشكش البحر؟ عارفة أنك
بتكره حمامات السباحة ما وحشكش العوم معايا؟!"

رائد صالح

شغيف وورح

-إزاي هو البحر يبقى له طعم من غيرك برضه!! والله كنت لسه بأفكر أطب عليكِ من يومين، عندي مشوار مهم في إسكندرية قلت أعدي عليكِ ونضرب بلطة سوا .

"وأنا لسه حاستني لحد ما تجيلي!! لا عندي ليك مفاجأة..إيه رأيك نتقابل في السخنة وبدل ما يبقى مشوار على السريع نقضي ثلاث أيام سوا؟ ها إيه رأيك؟"

-والله فكرة تحجزني أنتِ ولا أحجز أنا؟

تعالت الضحكات الناعمة حتى وصلت لمسامع الجالستين معه بالسيارة:

"وأنا لسه حاستني! الحجز تم خلاص حاستناك يوم الجمعة في ستيلا حابعتالك التفاصيل

سلام يا حبيبي"

-سلام يا قلبي

انتهت المكالمة وأثرها العاثر يتلاعب بابتسامة قوية على وجهه وهي بجانبه تحترق

رأيتك حالي

شغيف وورح

استمعت لكل حرف فصوت الهانم كان عالياً وهدوء الليل الغبي
 وإغلاقه للنوافذ ليركز معها جعل الصوت مسموع بوضوح يتردد
 في عقلها، الكلمات تتردد مرة تلو الأخرى والعبرات تحتشد في
 مقلتيها تسيطر عليها بصعوبة وقوة

أخيراً وصلت المنزل

ما أن توقف أسرع تفتح الباب وهرعت باكية منهارة وتركت
 وراءها أمها التي غمغت ببضع كلمات مقتضبة غاضبة ممن لم
 يحترم وجودها ليحدث صديقه بهذا السفور العلني
 نظرة حادة باردة من هشام واستدار عائداً للمنزل
 و تتجراً على البكاء!!، على الأقل هو لم يخدع أحداً!

يتمدد على الشاطئ باسترخاء مستمتع بعد أن أنهى المكالمتين
 اليوميتين منذ يوم الحفلة؛ مكالمة أولى للإطمئنان على سارة
 ووالدتها حيث يحدث والدتها التي تحادثه بشق الأنفس، لكنه
 مضطر من أجل خاطر مكالمته الثانية مع العم مهاب يطمئنه على

أحوالهما وينقل له أخبارهما يبدو أن عقاب العم مهاب مازال
مستمراً، ابتسامة ارتسمت على وجهه، لهفته على معرفة أخبار
زوجته حالتها ونبرة صوتها كيف بدت دوماً طريقته في الحديث
عنها رغم غضبه منها تملأ قلبه بالدفء

يوماً ما سيحمل بقلبه الحب لمن ستأسره، يتمنى فقط أن تكون
تستحق، فمن منا يعلم إلى أين سيلقي به سلطان الهوى!
ميرا وزيد يتمازحان منذ وصلا بعد الفجر وهما لم يهدأ لدقيقة،
ما بين سباحة وحديث لا ينتهي

أما يارا فنائمة، حاولت مجاراتهم حتى قبيل الظهر وسقطت
نائمة على كرسيها مما جعله يدخلها للشاليه ويدثرها بسريرها
لترتاح، والتوأمتان مستمتعتان منذ لحظة معرفتهما بالرحلة
المفاجئة

اعتبرت آمال الرحلة عرض سلام من ابنها وقبلت به وبدأ
الحديث يتدفق بينهما بعفوية وكأنهما لم يتباعدتا متخاصمين لما
يزيد عن أسبوعين

اتسعت ابتسامته مازال في جعبته مفاجأة، فالغد سيوافق عيد ميلاد التوأمتين وسيحتفلوا به جميعاً متجمعين كما لم يحدث منذ سنوات

مازال عصام لم يصل كان لديه بعض المهام بالمطابع فلم يستطع السفر معهم

يفترض به أن يكون على وصول الآن وأيضاً الشاليه المقابل مازال مغلق..

لما تأخرت؟؟؟

قاطع صوت سيارة تصل لا بل سيارتان، أحدهما سيارة عصام والأخرى غريبة عليه ليست من يتوقعها

نزل عصام بابتسامة خجلة يفرك مؤخرة رأسه؛ لا يفعلها إلا عندما يحدث مصيبة ما

ترى ما هي مصيبتك تلك المرة؟

لم ينتظر كثيراً ليعلم فعيونه اتجهت للسيارة خلفه،

ومن السيارة الغربية ترجل باسل يعلم أنهما تقاربا على مدار
الأسبوع الماضي..

ومن الجهة الأخرى ظهر إياد الحديدي
مفاجئاً لأجمع توقعاته،
بابتسامة لم يفهم معناها..

الفصل التاسع

النصيحة كالثلج.. إذا سقطت بلطف؛ سكنت وغاصت بأعماق
القلب

وإن هطلت بعنف؛ تشتت ولم يبقَ منها إلا سراب ..
"صامويل كولريدج"

كن قويًا.. كن مقدمًا.. كن مواجهًا
لا تتخاذل.. لا تهرب.. لا تتهاون
اهزم شياطينك بشجاعة
كلمات وحرّوف تتراص على الألسن
نصائح تنهال على رؤوسنا كالبرد
لكن هل جربتم يومًا ناصحيننا الأعزاء..

مواجهة أسوأ كوابيسكم؟! !
ماذا عن مواجهة شيطان رعبكم الأكبر؟! !
ذلك الخوف الأسود المبهم الرابض بالداخل ..
ظلام.. تلمع عيناه متلذذة بانتظار لحظة افتراسك ..
فما هي إلا لحظة ضعف؛ ويمزقك الرابض بأعماقك ..
لذا.. عزيزي الناصح.. حارب واهزم وانتصر
ثم عد واتلُ عليَّ نصيحتك من جديد..

"العين نافذة الروح ومرسال الحقيقة"

لا يعلم أين قرأ تلك الجملة أو متى!!.. لكن نظرة عين المدعو
إياد الحديدي لم ترّقه،

لم ترّقه على الإطلاق..

التفت لأخيه ينوي تقرّعه.. حدّجه بنظرة حارقة موبخة احمر لها
وجه عصام مع ابتسامة خجلة وكلمات بنبرة ترجوه العذر:

- ما اتأخرتش عليكم مش كده؟!.. جبتلكم معايا مفاجأة؛ باسل
والباشمهندس..

قاطعته إياد وهو يرتخي بوقفته مستنداً على سيارة باسل:

- ما فيش داعي للألقاب يا عصام.. إحنا مش في الشغل إياد
بس .

وأرفقها بنصف ابتسامة شبه ساخرة، جعلت عيون هشام تتغمده
من رأسه حتى قدميه، محاولاً سبر أغواره وحتى يكتشف ما
وراءه؛ سيقوم بما يتوجب عليه، رد بنبرة عميقة قوية وابتسامة لم
تتعدّ حدود شفّتيه:

- أهلاً وسهلاً نورتم السخنة.. بس ياريتنا كنا نعرف بحضوركم
علشان كنا نعمل حسابنا ونضايفكم باللي يليق بيكم.

تلك الجملة الأخيرة تلقاها عصام بإقرار خطأ.. وباسل باحمرار
وجهه المحرج.. أما إياد فقصة أخرى؛ اتسعت ابتسامته لتحتل
وجهه فardاً جسده مغمماً ببساطة:

- ما فيش داعي لكل ده، إحنا قبلنا دعوة عصام لأننا كنا كده
كده جاينين.. فقلنا نبقى صحبة سفر.

نظرة عيون إياد المتمهلة المتفحصة لما حولهم لا تريحه، هذا
الرجل ورائه أكثر مما يبدو للعين، تنحنح باسل محرجاً:

- إحنا حنمشي بقى نروح الشاليه نريح من الطريق ونبقى نشوفك
بالليل يا عصام.. ماشي!؟

أسرع عصام بشهامة حاتمية:

- تروح فين بس!؟.. تعالوا نتغدى الأول وبعدين ابقوا روحوا
الشاليه بتاعكم براحتكم..

ونظر لهشام طالباً دعم، ومتى خذله أخيه!!.. أصر هشام بقوة:

- لا طبعاً.. عصام عنده حق، ما ينفعش تيجوا لحد هنا وما تتغدوش معنا .

وأردف عصام مماًزحاً باسل:

- حادوقك شوية أكل بيتي من إيد التوأمتان ما دقتوش في حياتك ..

وغمز له مبتسماً ثم التفت لإياد بمداعبة:

- أنت برضه ليك في الأكل البيتي ولا لأ؟!!

ابتسم له إياد بخفة ولمعة عيونه واضحة:

- على حسب.. أدوق وأحكم .

قاطعهم أصوات صراخ وخطوات مهرولة:

- استني هنا.. بتهربى يا جبانة؟!.. أنا ححرمك تزوقينى تانى فى البسين.. استني هنا .

ضحكاتها تتردد بعلو وفتانها القصير مبلل، خصلات شعرها مبللة متطايرة بعث، قليل منها ملتصق بوجهها ياغراء مهلك،

لاهثة تحتمي بظهر أخيها من مطاردها، احتضنته بقوة وأدارته
تواجه به مطاردها وهي تضحك بعثت تغيظه:

-وريني بقى حتوصلي إزاي؟!..!

ظهرها له لم تره لكنه يكاد يراها تخرج لسانها لمطاردها، جسدها
الانثوي الناعم بقطرات ماء تقطر على ظهرها وخصلات شعر
ماجنة تتلوى مداعبة ظهرها المكشوف، وأقدام عارية تتناول
على أطرافها كراقصة باليه ترسم لوحة برية متمردة، ثواني مرت
بالمشهد أمامه قاطع تأمله بها صوت صارم بقوة:

-ميرا ادخلي غيري هدومك.. عندنا ضيوف.

استدار هشام سريعاً بعيون حازمة ينظر للاثنان وهو يوجه كلماته
لأخته، باسل مطرق الرأس يحرص على إعطائهم ما يحتاجون من
خصوصية.. والآخر أعاد ارتداء نظارته الشمسية، وجهه مصمت
لا تعبير، وهذا أقلقه.. صمت امتد لثوان، رأى فيها إياد المطارد
الوسيم يدخل الصورة يربت على كتف ميرا يحثها على التنفيذ،
مرحباً بهم بابتسامة قوية واثقة:

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

- أهلاً وسهلاً.. زيد محسن، مش حتعرفنا على ضيوفك يا عصام؟

نظرة ممتنة من عصام لابن خالته مردفاً:

- باسل الشافعي.. وإياد الحديدي.. من مجموعة الحديدي.

مد زيد يداً قوية يصافحهم بترحيب وود ودعوة ثالثة للدخول وتناول الغداء.. ظلوا جالسين بحديقة الشاليه المطلة على حمام سباحة، يتجاذبون أطراف الحديث في كل شيء ما عدا العمل..

تجاذب الحديث خارج نطاق العمل كان ممتعاً مسلياً ومنعشاً، لفت نظر باسل وإياد استمرار تنقل نظر هشام بين هاتفه ومدخل الطريق، في البداية ظنه باسل تملل من وجودهم وحين هم بالانصراف والاعتذار متنحنحاً، قبل أن ينطق وجد يد إياد تثبته في مكانه وعيونه تنهاه عن الكلام، فانتظر.. ربما هو يريد أن يتعرف عليهم أكثر وإلا لما ناور عصام هذا الصباح ببراعة حتى دفعه لدعوتهم للإجازة؟!.. الحق يقال حاول أن ينقذ عصام من براثن إياد، لكن إغراء رؤية سراهتمام إياد بتلك العائلة وشركتهم كان أكبر ويستحق المخاطرة..

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاحي

رنة هاتف هشام الذي أسرع بالرد في لهفة قلقة:

-إيه ده!!.. كل ده في الطريق؟!.. إنتوا فين؟!.. لا والله!!

والتفتت برأسه تجاه مدخل الطريق مردداً:

-آه شايفكم أهو... مستنيكم... لا لسه ما يعرفوش...

أطلق ضحكة مرحة أنهى بعدها المكالمة.. عاجله عصام بسؤال:

-أنت مستني مين؟!..!

وقف ينظر باتجاه الطريق واتسعت عيونه بدهشة خابطاً كتف زيد
بمزح:

-إلحق يا زيدو.. بص مين؟!.. أما مفاجأة يا إتش..

وانطلقت ضحكاتهم بمرح، وباسل يراقبهم مبتسماً، متشوقاً
لمعرفة سر سعادتهم، قاموا معذرين لاستقبال السيارة المتواضعة
المقبلة، انتهز باسل الفرصة مهدياً صديقة نظرة لؤم هامساً له:

-أنت رهيب.

ابتسم إِيَادِ نصفِ ابتسامةِ بغرورٍ لصديقه مضيّقاً عيونه له، التفت
الاثنان للصخب خلفهم يراقبون المشهد أحدهم باستمتاع والآخر
بافتقاد وحنين.

"إتش.. إتش.. وحشتني"

هرعت مروة بينطالها وقميصها الطويل مقبلة عليه بفرحة تتراقص
في عينيها فرحة طفلة بظهور هلال العيد، ابتسامتها تتلأأ على
وجهها، بمجرد أن اقتربت منه استكانت ولملمت ذراعيها
بجانبيها، وقفت أمامه منتظرة كلماته التي تعني لها الكثير، تبسم
بوجهه ابتسامة عذبة، بادرها متأملاً بنظرة فخورة فرحة:

-مبروك.. شكلك أحلى من القمر.

ابتسامتها اتسعت حتى ظهر صفي أسنانها من سعادتها بوصفه،
منحها مباركته على قرارها، أخرجها من غيمة سعادتها صوت
مازح:

-إيه ده!!.. أنتِ اتحجبتِ؟!.. مبروك، أيوة كده الواحد يقدر
يفرقك عن الولاد بسهولة دلوقتِ بالحجاب ده .

تبدلت نظرات عيونها للشراسة، ورغبة بالقتل تلمع بهما، ردت
عليه من بين أسنانها:

-هاهاها خفة، يا بني ده على أساس إنك تعرف بنات؟!.. ما
تخلي الواحد ساكت ياا اعصعص.

تحولت ابتسامته الممازحة لتعبير غيظ واضح وعينه تستطلع إن
كان ضيوفهم قد وصلهم اسم تدليل الطفولة المقيت مردداً:

-بس خلاص.. قاذفة قنابل واتفتحت!!.. قال بنت قال.. ده
أنتِ....

صفعة على مؤخرة رأسه فاجأته فاعترض بصوت خفيض متألم:

-إيه!!.. إنتوا متفقين على قفايا ولا إيه!؟!

ردت خالته بصوت ناعم وعيون لامعة:

-أحسن تستاهل.. علشان تبطل تريقة على بنتي، أنت تطول!!

ابتسم عابثاً:

- الحمد لله إني ما أطولش.. وهو أنا مستغني عن عمري؟!!

عبست حورية وتمسكت بذراع زيد المتأبطة إياه:

- عاجبك كده يا زيد عمايل عصعص دي؟!.. بذمتك مش مروة

قمر واحلوت بعد الحجاب!!.. مش كده يا إتش؟

رد الاثنان معاً بابتسامة مرحة:

- أكيد..

وهتفت مروة باحمرار وجه خجل:

- ماما وبعدين!!.. أنا داخلة جوه.. التوأمتين والبنات جوه مش

كده؟!..!

أسرع هشام يتقدمها:

- تعالي يا قمر أنا حاوديكِ.

سارت بجانبه وهو يمازحها:

- من النهاردة أنتِ قمر.. مش حاندهلك غير كده.. ومن غير اعتراض .

اتسعت ابتسامتها أكثر.. مروا بمدخل الشاليه فوجدت زوجين من العيون يطالعونها بفضول.. تنحنحت وسيطرت على ابتسامتها مغممة:

- السلام عليكم .

فردوا السلام بهدوء، عرفها هشام عليهم باختصار أنها ابنة خالته، رد إياد التحية وهو جالس يديه بجيوب بنطاله كما هو وهز باسل رأسه محيياً إياها بابتسامة حنونة قابلتها بثقة:

- أهلاً وسهلاً.. عن إذنكم.. أنا داخلة للتوأم، حافجأهم ..

وغمزت لهشام ثم أسرعت برشاقة للداخل، ثواني واجتاحتهم حورية كإعصار، سلمت عليهم بابتسامة ودودة.. تعرفت عليهم، وامتعضت حين علمت بتأخر الغداء واعدة إياهم بالطعام الشهي في خلال دقائق.. أمرت عصام وزيد بقوة:

- يلا.. هاتولي اللي في شنطة العربية وتدخلولي المطبخ ..

رأيتك عالم

شغيط ورنج

استدارت لتدخل الشاليه فقابلتها عاصفة من الضحك والصراخ
الفرح والأحضان على بابہ.. دقائق وأمرت جمع نون النسوة
بالدخول للمطبخ في التو لتحضير الغذاء، فالرجال جوعى
ولديهم ضيوف وزجرت التوأم بنظرة لائمة، بررت آمال محاولة
تفادى تقريع يلوح فى الأفق:

- هشام اللي كان مصر.. كل ما نقول نجهز الغدا يقول استنوا
شوية ..

ابتسمت حورية بهيام:

- إتش ده حبيبي اللي ما فيش زيه ..

ثم أكملت عاقدة حاجبها بنظرة مستنكرة:

- بس برضه ما يصحش.. يلا على المطبخ..

جلس هشام مع ضيفيه يستمعون لأوامر حورية الصارمة بعد
عاصفة العواطف الساخنة، باسل يركز نظراته بالأرض منعاً من أن
يندفع بالضحك، وإياد ترك ابتسامته تتسع بحرية على وجهه
وانطلقت ضحكاتهم حين سمعوا زيد وعصام يتناوشان على من

يحمل العلب الأثقل!!.. محاولين تخمين انواع الطعام من رائحته.. تشمم عصام الرائحة بغمغمة:

- آآآآه ملوخية بالجمبري؟!.. أحبيتي أحورية ..

أطلقت لضحكاتهم جميعاً العنان..

أنهى توصيل العلب وطُرد بكل سماجة فهو وحورية كالماء والزيت لا يندمجان، شعر عصام كأنما صدمه قطار فقد فاجأته ميرا وهو خارج المطبخ يحلم بطعام حورية الشهي، شدت ذراعه بحدة وهي تجز على أسنانها:

- أنت إيه اللي هبته ده؟!.. إيه اللي خلاك جبت البتوع دول هنا؟! !

عقد عصام حاجبيه ينظر لها بحيرة وأحد حاجبيه مرتفع:

- أنتِ اتجنتِ يا بنتي!!.. وهي دي أول مرة خالتك تجيب أكل معاها وهي جاية؟

زفرت بحنق وعيونها تحمر.. يكاد يرى عروق رقبتها المشدودة
تنفر، ردت حانقة من بين أسنانها وهي تلکمه فى كتفه:

- أنا جبت سيرة الأكل يا طفس؟!.. أنا باتكلم على البني أدمين
اللي جايهم معاك بره.. من إمتي بندخل الشغل فى العلاقات
الخاصة؟! !

انضم لهم زيد وهو بطريقه خارجاً من المطبخ:

- فى إيه مالكم بتتناقروا ليه؟

- فى إن ميرا اتجننت باين.. مسؤولة العلاقات العامة مش
عاجبها إني عزمت رئيس مجموعة الحديدي وإيده اليمين على
الغدا.. هما نفسهم اللي إحنا المفروض مقبلين معاهم على اتفاق
العمر..

تعجب زيد موجهاً نظراته لميرا التي أسرعت:

- أنا ما قولتش كده.. بس أنت فاجئتنا.. وبعدين أنت عارف إننا
بناخد راحتنا فى الأجازة.. دلوقتِ المفروض أفضل متكتفة!!..
لا مايوه ولا نزول مايه؟!.. طب تبقى أجازة إزاي ها؟

تعجب الاثنان وأسرع زيد مهدئاً:

-حبيبتى أنتِ فاكراهم بايتين معانا؟!.. لا دول عندهم شاليه
وحياتوا فيه.. ولو شفناهم أى يوم حبقى بالصدفة.. ماجاتش
على النهاردة يعني..

زفرت بحنق وهى تنقل وزنها من قدم لأخرى بتذمر لم يقطعه
سوي صوت حورية:

-أنتِ فين يا ميرا؟!.. بطلي هروب من المطبخ وتعالى هنا.

أدارت عيونها بحنق.. "هذا ما كان ينقصها:"

-جاية يا خالتو جاية أهو..

وانطلقت للمطبخ تتلفظ بكلمات صامته بها لعنة أو اثنتان أمام
عيون زيد وعصام المندهشة.. عقب عصام:

-هي مالها النهاردة؟!.. أنا فعلاً اترنقت معرفتش أخلع؟

هز زيد كتفيه وعيونه تضيق.. يتابعها بحرص:

- مش عارف!!.. كانت كويسة لحد ما جيتوا.. تعالى نطلع للناس
دلوقتِ وبعدين نبقى نشوف مالها..

سبقة زيد متوجهاً للخارج، لكن عصام أجفله باستبقائه بنظرة
رجاء أخوي لا يتحملها، هز رأسه بتعجب:

- في إيه مالك؟

ابتلع عصام ريقه.. لا يعلم كيف يبدأ لكن قلقه عليه يزيد يوماً
بعد يوم، شجاعة مده بها عقله الخائف:

- أنت اللي مالك؟

- أنت حتهزري يا عصام؟

عقد عصام أصابع كفه بقوة على عضد ابن خالته وصديقه، مردداً
بحزم وصوت خافت:

- لا ما بهزرش ولو مش عايزني أدخل العائلة كلها في الحوار
يبقى لازم تفهمني؟!.. بتختفي فين؟!.. واشمعني المرة دي
أجازتك طولت قوي!!.. رحلاتك وقفت عندك مشكلة!!..
فهمني..

- ما فيش حاجة.. ووطي صوتك مش ناقصين حوارات علي الفاضي.

- زيد.. ما ينفعش نخبي حاجة علي بعض إحنا أخوات ..

- علشان كده ما قولتليش علي حوار لبني وإنك سبتها؟

نظرة اندهاش غاضبة من عصام تجاهلها زيد وهو يطمئنه بقوة:

- ما تقلقش.. صحيح كل واحد بيحتاج مساحة لنفسه لكن في الأول والآخر لازم نتسند علي بعض.. ما تستعجلش، لو في حاجة تستحق أحقولك ..

ربت علي كتفه وحثه علي الخروج لضيوفهم .

فتح الشاليه ودخل الاثنان كلاً يضع حقيبته في أقرب مكان..
باسل يتفقد الشاليه بحرص وإياد ألقى بنفسه علي أقرب مقعد
متمتماً:

- أنا تعبت النهاردة.. عايز أناام.

جلس باسل بجانبه بعنف وهو يخبره بقوة:

- لا.. انسي ما فيش نوم.. قوم أفهم الأول وبعدين ابقى
إتخمد..

فتح إياد أحد عينيه بعث.. ينظر لصديقه يارهاق وهو يتشاءب
عمداً:

- ممكن تأجل استجوابك لبكرة؟

عقد باسل ذراعيه وحاجبيه معا.. مجيباً بلهجة لا تقبل الجدل:

- لأ.. أنا مسكت نفسي بالعافية.. طول الطريق وأنا وأنت نخلص
تليفون ندخل على الثاني علشان ننهي اللي ورانا قبل السفرية
المفاجئة دي.. أفهم دلوقتٍ وإلا والله أقوم أرجع القاهرة حالاً
وأسيبك..

اتكأ إياد على أحد ذراعيه ينظر لصديقه باسترخاء:

- عادي.. فكرة وطقت فى دماغي فجأة.. فيها إيه دي؟!!

لوى باسل شفتيه مغمغماً بسخرية:

- في إن إياد الحديدي ما عندوش في قاموسه فجأة.. انجز أنت عايز إيه من ميرا يا إياد؟

اعتدل إياد قليلاً في مجلسه وهو يضيق عينيه، التثاؤب والعبث طارا منهما، سأل بهدوء يحاول ألا يلفت نظر صديقه لاقترابه من الحقيقة:

- ميرا أخت هشام!!.. مالها؟

أمال باسل رأسه جانباً وهو يحدق بصديقه:

- ماشي.. حابب تلعب لعبة استعباط!!.. ماشي، ممكن يلعبها اتنين، ما خدتش بالك لما وصلنا وأول ما شافتنا زي ما تكون اتكهربت، ولا وإحنا بنتغدى أنت اتلكعت تقعد على التراييزة لحد ما سبحان الله جت قعدتك قدامها بالظبط!!.. نظرة الاستفزاز اللى على وشك طول القعدة، ولا إعجابك المبالغ فيه بالأكل وده طعم وده لذيذ وده ما حصلش؟

هز إياد أحد كتفيه:

- عادى نص اللى بتقوله بيتهيا لك والأكل كان فعلاً حلو جداً..

- إِيَاد أَنَا مَتْرَبِي فِي بَيْتِكُمْ.. وَعَارَفِ أَكَلِ السَّتِ الْوَالِدَةِ إِزَايِ
فَمَشِ عَلِيٍّ، صَارِحْنِي مَشِ يَمْكُنُ أَسَاعِدُكَ؟!.. أَنْتِ مَعْجَبِ
بِيهَا؟

انْطَلَقْتِ ضِحْكَاتِ إِيَادِ تَشْقِ سَكُونِ اللَّيْلِ بِصُخْبِ حَتَّى طَفَرْتِ
الْدَمُوعِ مِنْ عَيْنِيهِ:

- أَنْتِ دِمَاغُكَ شَطَحْتِ لِبَعِيدِ قَوِي.. إِعْجَابِ إِيهِ بَسِ..!!
وَأَمَامِ نَظَرَاتِ صَدِيقِهِ الْمَصْمُومَةِ الْحَانِقَةِ أَكْمَلِ:

- كُلِ الْحِكَايَةِ إِنَّهَا حَتْفِيدُنِي الْفَتْرَةَ الَّتِي جَايَةِ مَشِ أَكْثَرِ.
عَقْدِ بَاسِلِ حَاجِبِيهِ وَكَسَا نَبْرَاتِهِ الْقَلْقُ:

- أَنْتِ نَاوِيِ عَلِيٍّ إِيهِ يَا إِيَاد؟!.. أَنَا مَشِ حَاسْمَحْلُكَ لَا تَأْذِيهَا وَلَا
تَأْذِي نَفْسِكَ!!

نَظْرَةَ مَبْهَمَةٍ مِنْ إِيَادِ أَقْلَقْتَهُ بِشِدَّةٍ مِنْ نَوَايَا صَاحِبِ الْعَمْرِ فَأَكْمَلِ
نَاصِحًا:

- اَنْسِي يَا إِيَادِ وَعَيْشِ حَيَاتِكَ.. اَرْجِعِ إِيَادِ بَتَاعِ زَمَانِ..

رَبِّكَ حَالِمٌ

شَغِيْبَةٌ وَرِيحٌ

تنهد بعمق مكملًا :

- البنت مش ناريمان.. ما تشيلهاش ذنوب هي ما عملتهاش ..

ضاقت عينا إياد بسخط:

- كل واحد ما بيشيلش إلا ذنوبه.. وأنت طبعا أدري الناس

بكده!!.. ولا إيه يا صديقي المقبل على الحياة.. اللي رامي

الماضي وراه!!

تلك الكلمة رغم بساطتها أوجعته وظهر الألم على ملامحه.. هم

ناهضًا بضيق فأسرع إياد يمد يده لذراع باسل يستبقه معتذرًا:

- باسل.. أنا آسف، بس أنت عارف.. سيرتها بتخرج أسوء ما

في ..

وأمام نظرات صديقه المتألّمة أردف:

- ما تزعلش يا صاحبي.

غمغم باسل ببطء ونبرات موجوعة:

- ما هو ده اللي قالقني عليك ..

ربت إياد على ذراع صديقه وتركه لأقرب غرفة بالشاليه..
استلقى على الفراش تاركاً التعب ينال منه حتى ينام وبعقله الغد
يوم آخر .

تركه صديقه وحده.. حاول بعد تعب اليوم أن ينام لكن هيهات
أن يأتيه النوم بعد أن هاجت ذكرياته ..

ماذا يعلم هو عن الماضي؟! عن الشعور بالذنب؟!.. عن حمل
أثقال الفقد؟!.. قد يظن أنه لا يحق له إلقاء النصائح يميناً
ويساراً، لكن ألا يشفع له خوفه على صديق العمر!!.. على ربيب
الصبا ورفيق الانتكاسات برمتها؟!..

تنهيدة كبيرة.. قد يكون غير أهل للنصح لكنه لن يتركه يخطئ
كما أخطأ، لن يتركه فريسة لسواد إذا حل فلا منجي منه، لن
يتركه يمر بما يعيشه يوماً بعد يوم حتى وإن كان رغماً عنه.

اليوم الثاني من الرحلة بدأ ..

وصح ظنها ذاك الأحق أتى لينغص عليها أجازتها وباقتدار،
فهي مقيدة غاضبة لا تستطيع ارتداء ما يوهاتها التي تتحسر على
جلبها إياها.. ضيق يكتنفها ولا تبدده حتى نسمات الهواء
الباردة ..

منذ بداية اليوم والثلاثي المدمر قررن عدم ترك الشباب وحدهم
دون عزومة إفطار، تعلم أنه محض هراء لكن بوجود رئيسة
الثلاثي وشباب مؤهلين للزواج لا تحتاج للمزيد؛ ستحاك الخطط
وستمزقها هي لهم شر ممزق ..

أقبلت مروة من ناحية الشاليه فارتسمت على وجهها ابتسامة مرحة
ونظرات شقية تراقصت في عيونها بعد مناقشة الصباح الحامية
بين الثلاثي ومروة محاولين إجبارها لا بل إجبارهن جميعاً على
ارتداء فساتين أنثوية ناعمة.. سحفاً هي تكره ارتداء البنطال
الطويل لكن العناد معهن ممتع أكثر ..

فها هي مروة تختال مرتدية أحد اوسع سراويلها على الإطلاق
بعدد جيوب لا حصر لها ولون ترابي لا يصنف ضمن قائمة
الألوان، حينما التقت أعينهما لاعتبت مروة حاجبيها بشقاوة

مطلقة ضحكات ميرا عالياً مما لفت لهم أنظار أخوتها وضيوفهم
 بالطاولة المجاورة.. زجرتها مروة حين جلست بجانبها هامسة:
 -بس يا فضحانا ..

لكزت مروة ميرا برفق، تنبها للقادمة بفستان أنثوي رقيق أبيض،
 تتناثر على أطرافه غيمة من فراشات زرقاء تقل وتقل حتى
 تتلاشى عند أكمام فستانها القصيرة ..

تقترب و خصلاتها البنية المنغمسة بإشراق الشمس تضوي
 مرفوعة من الجانبين بعفوية محببة، تكاد تجزم بأن حلي شعرها
 فراشتين أيضاً، تحمل بين يديها صينية محملة بألذ الفطائر
 والمقبلات كإفطار راقٍ.. زمت ميرا شفيتها متبادلة نظرة ساخطة
 مع رفيقة تمردها قائلة بسخط:

-المطبعة ..

أقبلت مشرقة بابتسامة، تضع ما بيدها على طاولة الشباب..
 وهشام يمد لها يد المساعدة وابتسامة مطمئنة على وجهه، هو
 وحده يعلم مدى ما تعانيه لتواجدها بجوار رجال غرباء ..!!

ترتعش ابتسامتها رغماً عنها، أفكارها تتسارع بانقباض، فالتحية والمجاملة بابتسامة مرحبة لدقائق شيء لكنها لن تكرر وجبة غداء الأمس المدمرة للأعصاب، التوتر.. القلق الذي حاربت نفسها لئلا تظهره ..

ابتسامة هادئة ألصقتها بشفتيها وعيونها تمر على الجميع مر الكرام دون تركيز، هشام بعيد عن عينيها لا تستطيع رؤيته إلا إذا أمالت وجهها بشكل مبالغ فيه، كيف للروح أن تستكين حين تتوه عن مرادها؟! .. بوصلة أمانها؟! ..!

كلمات كثيرة أسمعوها اياها حين هلعت بخبر عزيمة الغداء، بضع كلمات عن دلح وميوعة وأخرى عن قوة يجب ان تتحلى بها ومواجهة مخاوف طالت حتى أصبحت نكتة ماسخة النكهة، نصائح كحد السكين تنكأ جروح لم تنغلق بعد، حين استشعرت طول صمتها ووقوفها الغير مبرر، أتاها صوت الأمان:

-روحي يا يارا أقعدي مع البنات وأنا حاجيلكم أطباق ليكم ..

نظرة امتنان وراحة وبسمة تخصه بها وحده.. أهدتها له، ذهبت للفتيات تجلس بجانبهن وهن يمازحنها برضوخها للثلاثي

- هو أنا بيتهياًلي.. ولا فعلاً شكلهم وهما بيتودودوا وناويين على مصيبة يفكرني ليه بعصابة القناع !!..

اختنقت يارا بقطعة معجنات وشرقت بصوت عالي، في حين سعلت ميرا منفضة للأمام ومروة تكمل تأملها لهن محرقة رأسها من اليمين إلى اليسار ببراءة:

- لا بجد.. فاكرينهم؟!.. بتوع مجلات ميكي اللي عم منصور كان بيحبها، أيوة هما عصابة القناع ..

وارتفعت ضحكات الفتيات وميرا بصوت ضحكاتها الصاخب ممسكة بمعدتها بقوة، ومروة تكبت ضحكها تزجرهما محذرة:

- بس بقى اتلموا.. ما كانتش كلمة.. والله اللي حتخبص عليّ لأكون مبيتها الليلة دي في قسم العظام وقد أعذر من أنذر.. ها .

حضر ثلاثي القناع.. أمال تزجر الفتيات بكلمات مقتضبة للضحك الصاخب، وحرورية توجهت لطاولة الشباب هاتفة بصوت متفاجئ:

- صباح الخير يا ولاد.. عاملين إيه؟!.. نمتوا كويس !!..

ووجهت حديثها لباسل وإياد الذي استقبل سؤالها برفعة حاجبيه باندهاش، فتلک الجملة لم تطل مسامعهم منذ زمن طويل.. هز رأسه بالإيجاب محاولاً كبح ضحكاته، أردفت بضيق وشفقة:

- إيه ده!!.. ماضمتوش التراييزات على بعض ليه؟!.. نفطر كلنا سوى حتى نفتح نفس بعض.. يلا ..

قاطعها هشام مرتباً على يدها وممسكاً بها:

- معلىش يا حورية.. كده أحسن، علشان إحنا ناخذ راحتنا والبنات ياخدوا راحتهم ..

زمت حورية شفيتها وقبل أن تعترض رفع هشام كفها مقبلاً:

- بس تسلم إيدك.. فطائر ما فيش بعد كده.. إلحقيهم سخنين بقى .

ضيق حورية عينيها.. تعلم ابن أختها جيداً لكنها لن تفوت فرصة لا تعوض، عريسان وسيمان من الواضح أنهما أبناء عائلة ولديهم ثلاث فتيات دون زواج، لذا لن يكون اسمها حورية إلا وقد زوجت إحداهن على الأقل إن لم يكن اثنتان، فقط عليها

رأيتك

شغيف وورح

اختيار معاركها بذكاء، ربت على وجنة ابن أختها تهديه ابتسامة
مكملة:

- زي ما تحب يا حبيبي.. مش مشكلة، نبقي نتغدى كلنا سوا ..
وقبل أن يهم أحدهم باعترض مالت على كتف إياد بابتسامة
ناعمة حنون :

- ولا أنت حتكسف حورية؟!!

نظرات طالت بينها وبين إياد الذي ربت على كفها المستقرة على
كتفه :

- وهو حد يقدر يكسفها برضه؟!!

فكافاته بتربيته على راسه كطفل مطيع بحركة اتسعت لها عيناه
مرددة :

- تعجبنى.. عن إذنيكم، دوقوا عمايل البنات بقى وقولوا لى
رأيكم .

تركتهم وعصام ينظر بتوجس لأحد الفطائر بيده وزيد مرتسم
على وجهه دهشة وهشام بابتسامة قلقة.. وباسل يهمس لإياد :

- شاطر يا حبيبي برافو ..

فهمس له خفية من وراء ابتسامة باردة:

- اخرس

اشتدت الشمس معلنة عن ظهيرة ساخنة.. فقد انقضى الصباح بين سباحة في البحر ما بين هشام و حورية وتسبق شرس، حورية كاسمها تعشق المياه وهي أول من علمت هشام السباحة، وجعلتها تسري في عروقه، فتفوق فيها بطل الجامعة ومصر لسنوات قبل أن يغادر الاسكندرية ومعها هجر السباحة إلا بالأجازات ..

والبقية بين تمتع بالمياه أو بين رمال متطايرة من لعب كرة حماسي على أوجه والمنافسة غير المرئية بين هشام وإياد ..

إياد الذي أبدى تملله من ذلك الملل والحصار.. لا يخدمون مآربه على الإطلاق، فكلما تحرك كان محاصرًا بالثلاث رجال

ويضيف عليهم باسل المراقب كالصقر، دون ذكر نظرات حورية
وتعليقاتها المثيرة للدهشة ..

لكن متى كان إياد يساق!!.. هو من يسوق الأمور حسب
صياغته.. لذا قرر تحريكها قليلاً، اقترح بهدوء القيام قبل الغداء
برحلة سفاري ومع اعتراض البعض والتشكيك من البعض الآخر
بإمكانية الذهاب دون حجز مسبق باتصال هاتفي منه كان قائد
لرحلة قصيرة على بيتش باجي ينتظرهم ..

أسرع ثلاثي القناع باستحسان الفكرة وسيذهبن هن لإعداد
الغداء بينما يستمتعوا هم بالرحلة، مروة تحمست ودفعت الفتاتان
للموافقة واتفق الجميع على استقلال السيارات والتقابل عند
مكان الرحلات بأعلى الجبل ..

وقد كان.. انتاب الجميع فورة المغامرة، ظهر القلق على وجه يارا
قليلاً وتربيتة كتف من زيد أراحتها.. هم معها ..

كانت قد أسرعت مبدلة فستانها بنطال قصير يتعدى الركبة
وقميص، اتجهوا جميعاً واتفقوا أن لا سباق.. فقط سيتنزهون
معاً.. عرفهم القائد بنفسه "عمر" .. واتبعها بتحذيرات بعدم

الابتعاد وألا يفقدوا رؤية بعضهم والاهتمام بالماء خاصة وأن الشمس اليوم تعلن عن حضورها بقوة ..

بدأوا يتحركون وبعد دقائق أرسل إياد نظرة متهكمة لميرا على بطء قيادتها وتعثرها وأتبعها بصفير إعجاب بقوة تحكم مروة التي مازحته:

-أومال أنت فاكر إيه!!!.. أنت شوفت حاجة؟! !

وبالفعل أسرع امامهم واسرع خلفها قائد المجموعة يتابعها وكلما اقترب منها أسرع أكثر بحرفية وتمكن.. استفزت عصام ليتبعهم، نظرة متهكمة أخرى من إياد جعلت ميرا تضغط دواسة الوقود بكل ما بها من عزم، لتقفز دراجة الصحراء مندفعة بقوة مخيفة..

أسرع ورائها زيد وهشام وإياد ..

ضربات قلب مرتجفة من مظهر ميرا المتعثر وراء المقود جعلتها تبطئ وتقف حين ظنت أنها وحدها تنهدت.. قاطعها صوت غريب:

- ما تقلقيش عليها.. كلهم معاها، وخصوصاً إياد.. ده تخصص رياضات خطرة ..

حين نظرت له مرتعبة أردف:

- ما أقصدش إن ركوب البيتش باجي خطر.. دي بسيطة ما تقلقيش .

دقات قلبها تتزايد.. أسرعت بإدارة دراجتها لتبتعد.. أي مكان بعيداً عنه.. بعيداً عن وحدتها معه، تسرع أكثر، تسير بلا هوادة ولا اتجاه.. يراقبها بعيونه عاقداً حاحبيه متمتماً:

- هي رايحة فين دي؟

يتلفت حوله علّ أحدهم قد عاد.. فهي وكما يبدو لا ترغب بصحبته، لكن لا أحد ودقيقة فقط التهي عنها واختفت حيث منطقة تجاويف صخرية عالية والدليل الوحيد على أنها دخلتها الحمقاء غبار متناثر وراء دراجتها ..

شتم بسره وأسرع خلفها يحاول أن يطمئن عليها، يظل على تواصل بصري معها كما قال عمر قائد الرحلة، لكن كل ما يراه غيرة سرعتها.. وكلما أسرع كلما أسرعت هي الأخرى ..

تلك الحمقاء.. ما بها تبدو كهاربة..!!

ألم ظهره يشتد، بدأ يئن.. لقد حمله فوق احتماله بداية بقيادة لساعتين ثم نوم غير مريح على فراش غير طبي لا يناسب حالته والسهر ومجهود السباحة ولعب كرة القدم.. طلت ثمار إجهاد اليوم بألم قوي جعله يجز على أسنانه متمماً:

- هو ده وقته بس !!

يحاول أن يصل لحة مسكن بيد ويتحكم بدراجته بالأخرى، متفادياً تجويفاً ناتئاً أمامه.. نجح والتقم المسكن بفمه ثم أسرع يحاول الوصول للماء ..

عينه تغافلت عن طريقه وهو يقترب منها يكاد يصل، فقط بضع رشقات ماء ليبتلع فالحرارة جففت ريقه، يرغب بابتلاع ما بفمه ليصرخ بها مؤنباً كما ينبغي، صوت محرك عالي أجفله، أفلتت

قنينة الماء منه للأرض ومع محاولاته منع سقوطها... حجر كبير
أتبعه اصطدام معدني وطيران لأعلى..

وأمام ناظريه المندهشتين ارتطم بالأرض وعجلات أخرى مرتطمة
أمامه، دماء تسيل بطعم صدئ دافئ وعيونه تستسلم لظلمة لطالما
اشتاقت نفسه لها..

الفصل العاشر

الحياة خطوات تتابع..

واحدة دوماً تتلوها الأخرى ..

الصداقة.. السعادة.. الحب..

حتى الفشل.. الألم.. الخذلان..

تحتاج خطوة لتقترب وأخرى لتبتعد..

خطوة لتقهر قشرة خوفك..

وخطوة لتتجاوز أحزان الآلام..

وفى التردد يقبع الاستسلام..

فهل تمتلك شجاعة خطى الحياة !!

تسرع بلا هوادة هرباً من انفراد غريب عليها، هي لا تخشاه، هي

لا تعرفه، وحيدة مع رجل!!.. لم يحدث منذ سنين طويلة ..

الانفراد كان يمثل لها انتهاكاً، استطاعت بسرعة تعلم قيادة دراجتها، وبسهولة تقودها يميناً ويساراً تحاول الوصول لهم، اللحاق بمن تركوها خلفهم، لكن مع كثرة تلفتها خلفها ورؤية الغريب يراقبها كالصقر أضاعت أثرهم وارتفع وجيب قلبها ..

لم يركز معها؟! .. لم يتابعها؟! .. على ماذا ينتوي؟! .. أين هم؟! .. ولم تجد مفراً سوى تجاوزيف صخرية قررت أن تدخلها في غفلة من مراقبته وهو ينظر بعيداً، ستدخل قليلاً فقط وتنتظر عودتهم، وبين الرمال الصفراء ومناهة صخرية تراءى لمخيلتها صور حيات وربما عقارب لكن قلقها من ابن آدم الآن أشد من خشية الحيوان ..

مع ابتعادها وهدوء عقلها استمعت لأزيز محرك يقترب .. إذاً هو يتبعها!! .. يطاردها!! .. وبين الهلع والخوف صوت قوي تردد بين جنات روحها المشتتة ..

"لن يؤذيك أحد ما لم تسمحي له بإيذائك .. السر يكمن بك"

لتنبه أنها في فخ محكم.. أوقعت نفسها في مكان شبه منزل مع الغريب، زادت من سرعة محركها تبغي هروب، ستناوره وتخرج نفسها، تفاجأت به أمامها غير منتبه وفقدا السيطرة صرخة وحدث الارتطام....

آلام ظهره الصارخة اجتذبتة من راحة عدم الوجود، جفونه ثقيلة وألم يطرق رأسه بقوة لا يسمح له بالتلاشي، أصوات تداعب أذنيه ومخه يجبره على تذكر أين ومتى!!.. وتأوهات نسائية جعلته يحارب ثقل جفونه المغلقة فاتحاً إياها ..

لحظات تخرق فيها أشعة الشمس الحارة حدقتيه، رؤية غائمة مشوشة، طرفة عين تتبعها أخرى، حتى اتضحت الصورة.. دراجته منقلبة مع دراجة أخرى في تشابك عجيب، وهو ملقى بعيداً، وجسد ملقى تحت الدراجة الأخرى ..

أغمض عينيه يحاول التركيز لتهاجمه الصور، هاربة باسم لا يتذكره ومحاولة انقاذ قنينة ماء ومرارة حبة مسكن مختلطة بطعم الدماء، واصطدام طارت له الأجساد، عندها طارت جفونه

مفتوحة، يبصق مرارة الدواء الذائب بالدماء، محاولاً إخراج
صوته ضعيفاً منادياً:

- أنتِ كويسة!!.. ردي عليّ.

يكررها مرة تلو الأخرى حتى اشتد صوته ولا يجيبه إلا تأوهات
متباعدة، خوف استشرى بأوصاله، ومشاهد تتلاحق لجثة فتاة
بتنورة وردية ملطخة بدماء ومغطة بجرائد على قارعة الطريق ..

لا لن يفقد أخرى حتى وإن كانت لا تخصه.. أسرع يشد من أزر
نفسه، يتكئ على كوعيه يحاول القيام.. لكن قميصه عالق بشئ
ما مزقه محرراً جسده منه، مقاوماً آلام تئن لها خلاياه، تنفس
سريع قوى يرتكز على كوعيه دفعة تلو دفعة حتى استطاع
الجلوس ..

حاول القيام ولم يستطع فاكتفى بالجلوس، ناداها مجدداً ولا رد
ولا حتى التأوه الخافت، زحف حتى وصل إليها تخدش جذعه
العاري رمال صحراء قاسية، بعقله يسبها تارة ويدعو الله ألا
يصيبها مكروه تارة أخرى، اقترب أكثر فاكتشف أنها محشورة

رأيتك عالم

شغيف وورع

بين الدراجتين وبها نرف دماء لا يعلم من أين!!.. يزحف أكثر مقرباً منادياً، يحاول أن يفيقها لتساعده على إخراج نفسها ..

حين أيقن أن لا فائدة سوى إخراجها بنفسه، تحامل على نفسه تنضغط أسنانه على بعضها من شدة الألم وهو يجلس يسند أحد كتفيه تحت إحدى الدراجات رافعاً أياها ببطء ووقوة لا يعلم من أين أتى بها!!.. العرق ينتفض على جسده ووجهه يحمر بشدة، حرك الأولى قليلاً وبدأ بيده يحاول تخليصها وفك أصابع يدها المتخشبة والمجروحة من مقبضي الدراجة، يناديها بصوت عالي:

- فوقي يا اسمك إيه أنتِ بقي.. فوقي .

استطاع فك أصابعها بشق الأنف، حاول إفاقتها وجذبها من تحت دراجتها.. وصوت تمزق قماش مصاحباً لجذبه لها، ومرة أخرى يضطر لرفع الدراجة الثانية قليلاً بكتفه حتى يستطيع تخليصها، كتفه ترتعش وعموده الفقري يعلن أعلى إشارات الخطر، ويده تتحرك بسرعة جاذبة الجسد المسجى بقوة ..

نجح في إخراجها أخيراً، وقع بجانبها وبين غيبوبة يتمناها وقلق
 يخشاه، حارب ليظل بوعيه رغم الألم.. يهزها، يحاول رفع جسده
 عن الأرض مشرفاً عليها، يبحث عن إصابتها بعيون زائغة مشوشة
 الرؤية، فاجأته بشراسة ضربات ذراعيها وركلات بقدميها وصراخ
 يوقظ الحجر.. نظرات عيون فزعة كلمات تتراص بلا ترابط،
 يحاول تكييلها تهدئتها:

- اهدي اهدي.. أنا مش حأذيك.. أنا باسل صاحب عصام..
 فاكرانى؟!!

وكانت الإجابة منها حجر كبير ضربت به رأسه، فارتج مندهشاً ثم
 تهاوى مستسلماً لغيوبته التي يتمناها مرتاح الضمير.

الخوف والفرع جمداها، وحين طارت بالهواء ظنته الموت
 وارتعبت.. أستموت؟!.. والآن؟!.. وهل عاشت حتى تموت؟!..!
 ألن يمر شريط حياتها أمام عيونها كما يقولون؟!.. وإن مر؛ ماذا
 سترين؟!.. طفلة مدللة بريئة ومراهقة محمية وخطيبة مهانة برتبة
 زوجة شبه منتهكة، وفراغ.. لا شيء؟!..!

وخالط الخوف الألم والحسرة والقليل من الندم ..

هو السبب خالد ..

غلاف رائع لباطن مسوس، من أهدته قلبها برحابة صدر، بمباركة الأخ والأم والملاك الحارس، تركته يمحىها يقولها يصيغها كما يشتهي، وهى تركته، حتى يوم رآها هشام تنزل من سيارته ليلاً كما اعتاداً.. ترتدى ملابس كاشفة اتسعت عيون هشام لمرآها جسدها مكشوف للأعين وما يسترها يلتصق بها وكأنه جلد ثانى لها ..

أمسك بيدها وهى تحاول ارتداء المعطف الثمين الذى دوماً ترتديه قبل الدخول للمنزل، وكان القرار لا خالد بعد اليوم، ومع نفوذ والده ومجابهة هشام له بضراوة واستبسال قررت أمها وخالتها إنقاذ اسرتهم بالسفر أو الهجرة للقاهرة بعيداً عن خالد ونفوذ الملاح البرلمانى، وبين جذب وشد وجدته أمامها يوماً يناشدها أن تسمح له بالدخول سيصلح الأمر فهى زوجته التى يعشقها، وحين وافقت كانت الصدمة ..!!

عيون بلون الدم وأنفاس ثقيلة ونظرة افتراس ..

كلمات قميئة تتذكرها جيداً:

- بقى أنتِ عايزة تسيبي خالد الملاح؟! .. وابن خالتك فاضحني
فى كل حته وبيلوي ذراعي؟

اقترب أكثر مردداً أمام عينيها اللتان بدأتا تستشعران الخطر:

- أنا بقى مش حاطلقك.. حاسيبك معلقة، بس بعد ما أكسرك
وأذله وأخليكم تبوسوا رجلي علشان أتجوزك.

وهجم عليها، الصدمة شلتها لثوان ثم انتفضت تحارب تقاوم ضد
لمسات شهوانية قاسية، تحاول الاحتفاظ بشرفها، بآخر معاقل
كيانها بعد أن اجتاح البقية، تحارب، تحاول وهو يهشمها بطريقه
لطمات لكلمات وصوت تمزيق القماش تكاد تسمعه بأذنها الآن،
لمسات يده صوته العالي بكلمات مقززة عن جسدها الذى طال
اشتهاؤه له، عن رغبته بالتأكد أنه الأول وسيظل الأخير حتى لو
ماتت ..

وحين أفقدها وعيها بطرق رأسها بالجدار بضعة مرات وانهارت
بين يديه منهمرة الدموع.. رباه هى تشعر بانفاسه الساخنة لهائه،

رَبِّهِ رَاحِمٌ

شخيط ورنج

حتى لمسات يده المستكشفة هل عاد من جديد؟!.. هل تنتهك
 ثانية؟!.. لا لن يحدث.. لا لا لا.. يديها تتدافع بضربات
 لمهاجمها وحين حاول تكبيلها اشدت عنف ركلاتها مرددة:
 - ابعد عني يا حيوان.. لأ لأ لأ..

لا ترى سوى وجه خالد وعيونه الخضراء، أسنانه وشفثيه وهي
 تحاول اجتياحها وتدنيها بوسمه، يدها ارتطمت بحجر لتسرع
 ممسكة إياه وسددته لمصدر اللهاث فقابلها ثقل ارتطم بجسدها
 وصمت..

ارتجافة فزع انتابتها تحاول إزاحة الثقل من فوقها بقوة، تزحف
 بعيداً حتى نجحت وابتعدت، ابتعدت زاحفة بظهرها، عيونها
 على الجسد الهامد الغارق بدمائه أمامها حتى ارتطم ظهرها
 بجدار صخري، فسكنت عيونها مفتوحة تراه ولا تبصره..

جسدها يرتعش بقوة.. أنفاسها تتلاحق.. عيونها تبحث حولها،
 لاشئ سوى الصمت والرمال، دقائق مرت وبعض الصفاء يحارب
 ليغزو عقلها، تتنفس بعمق تحاول لملمة شتات نفسها، تمنع
 النظر في الراقد أمامها خصلات سوداء وليست بنية ليس

خالد!!.. تذكرت باسل ضيف هشام الذي تبعها للمتاهة،
وتذكرت العراق والحجر، رفعت يدها لفمها بشهقة مرتعبة.. يا
إلهي أتكون قتلته؟!.. ماذا تفعل؟!.. تحاول البحث عن هاتفها
لا تجده، ربما وقع بجانب دراجتها أو معه هاتف، ستقترب
لتبحث و ستأكد فقط إن كان حياً لا أكثر..

اقتربت أكثر تبحث، هاتفها مهشم، نظرت له ربما يحمل هاتفاً
بين جيوبه، مدت أصابع مرتعشة مترددة تبحث عن هاتف ولا
تستطيع، تحتاج لقلبه على ظهره، فتستطيع البحث جيداً، شهيق
يتبعه زفير مرتين ثلاث، واستجمعت قوة لتمسك بجانبه وتقلبه
بعنف، تأوّه العالي المتألم أفرعها، ابتعدت خشية استيقاظه،
و حين طال صمته عادت للبحث من جديد وحينما مسته؛ صدمتها
حرارته المرتفعة.. وجهت عيونها لوجهه الذي تتفادى النظر إليه،
دماء من شج برأسه مخلوطة برمال واحمرار وجه شديد، أطرقت
بعجز شل أطرافها لا تعلم ماذا تفعل!!.. نادت:

- هشام!!!.. زيد.. إلحقوني.. حد سامعني؟

ردت عليها همهمات من السائلة دماؤه أمامها، حينها أيقنت أنها وحدها، تجاسرت تمد يداً مرتعشة تحاول إزالة الدماء والرمال والكبس على الجرح خشية أن يلفظ أنفاسه، همماته تتوالي بوضوح:

-سامحيني.. أنا آسف.. أنا عايش من بعدكم ميت.. قولي لحنين تسامحني.. نفسي أجيلكم.. حاولت وما عرفتش..

كلماته صاحبته دموع صدمتها، همماته اخترقتها، ضعف وألم وعجز لا يشعر به إلا من ذاق مره، اقتربت بيدها الأخرى تربت على كتفه فتأوه عالياً.. أيقنت أنه حي لكنه مصاب وبشدة، أسرع عقلها يعمل، تلفت تبحث عن ما يساعدها، تحتاج لماء حينها رأت قنينة الماء خاصتها، أسرعت تجلبها تبلل بها يدها تحاول تنظيف جرح رأسه، تبحث بعيونها عما يصلح ككمادات وكرباط لجرحه.. قميصه ممزق تحت إحدى الدراجات وبنطاله القصير لن تقترب منه.. محال .

قميصها القطني!!.. تنفست بعمق أسرعتمزق من طرف قميصها شرائط تربط بها جرحه بقوة قدر ما أمكن عضلاتها

الرقيقة، وشرائط أخرى بللتها بالماء تخفض بها حرارته والشمس لا تساعدها، حاولت سحبه تحت نتوء صخري بعيداً عن الشمس لكنه ثقيل، ماذا تفعل؟ ..!

جذبت الباقي من قميصها، ترفعه فوق رأسه ورأسها بيديها محاولة حجب الشمس قدر المستطاع ولسانها يلهث بالدعاء، بأن يهتدي هشام لها ويفتقدها أخوتها قبل أن يلفظ باسل أنفاسه بين يديها .

انتهوا جميعاً من التسابق ووصلوا في نهاية الرحلة للخيمة البدوية المنصوبة وبسط الصحراء، فوز مروة الواضح وتبعها إياد، استطاعوا إنقاذ المتهورة ميلا مرتين من أن تنقلب بدراجتها وبين ضحكات ودعابات، غص هشام بغصة غريبة، ونفذ بقلبه سهم ألم معتصراً إياه، التفت بحدة للخلف ثم نظر لساعته هاتفاً بعمر قائد الرحلة:

- هو مش اتأخروا كده !!

فابتسم له عمر مطمئناً:

- ما تقلقش.. ممكن يكونوا ماشيين ببطء خايفين يتوهوا، معلىش هو المفروض يطلع معانا مساعد بس لأن النهاردة أجازة وبناءً على طلب خاص أنا جيتلكم.

ربت إياد على كتف عمر مبتسماً:

- وإحنا متشكرين .

والتفت لهشام:

- ما تقلقش عليها.. باسل عارف المكان كويس ومش حيتوه .

رد هشام بابتسامة مترددة.. ما يخشاه أنها مع المدعو باسل، دقائق تمر ببطء والقلق يحتد بداخله يحاول الاتصال بها للمرة العشرون فى نصف ساعة لكن الهاتف مغلق أو خارج نطاق الخدمة، سحراً أين هي؟!.. كلهم يستنكرون قلقه الجزع وهو لا يبالي حتى طالب عصام:

- عصام أنت معاك رقم باسل كلمه.. يارا تليفونها شكله فاصل.

أسرع عصام لتلبية طلب اخيه، فقابله نفس الرد وحينها رفع
عيونه التي بدأ يشوبها القلق مردداً:

-مغلق .

ثار القلق بداخله والفرع من أن يصيبها مكروه وهي بعيدة عنه..
أسرع لدراجته هاتفاً بحزم:

-أنا رايع أدور عليهم.

-استنى بس ...

قاطعهم عصام لكنه التفت إليه وعواصف غضبه تحتشد فلولا
السباق السخيف وعناد ميرا لظلوا سوياً.. أحجم عصام عن
إكمال ما لديه، وفاجأهم صوت إياد:

-أنا جاي معاك.. أنا كمان قلقت على باسل .

صاحبهم عمر قائد الرحلة وعادوا برحلة بحث لا يعلموا انها
ستتحول لرحلة إنقاذ..

ثلاث ساعات يبحثون دون كلل لا أثر لهما، أين ذهباً؟!..
الشمس تقارب الغروب ووقتها البحث سيصبح شبه مستحيل،

يكاد يجن، الكل قلق متخوف وبالأخص أفراد عائلته فهم يعلمون حقيقة أعصاب يارا الغير متزنة، لا يستطيع أحد منهم الاقتراب منه وإلا طالته زعابيب غضبه العاتية، حينها سمع قائد الرحلة عمر يسأل إياد بصوت خافت:

- حضرتك قولتلي إنه عارف المكان وسبق له سفاري!!.. يعني مؤكداً إنه ما يدخلش منطقة المتاهة!!
عقد إياد حاجبيه مفكراً لثوان:

- لا بأسل ما يدخلهاش هو عارف...
قاطعهم هشام بقوة:

- متاهة إيه؟!.. ما دورناش فيها ليه؟
أردف إياد بلهجة حازمة:

- مجموعة تجاويف صخرية على شكل متاهة.. ممكن تدخلها بس سهل قوي تتوه جواها لو ما معاكش دليل.
رمق عمر بنظرة حادة مؤنباً بتقريع:

- وأنت جاي تقول دلوقتِ؟! .. وديني ليها.

- يا فندم ما ينفعش.. بقينا قرب المغرب ولو دخلنا ممكن ما نعرفش نخرج بسهولة .

أمسك هشام بتلابيب القائد بحزم وغضب ناري:

- حتوديني ولا أدفك مكانك هنا !!

أمسك إياد بيد هشام مخلصاً عمر قائد الرحلة من بين يديه
وبنظرة واحدة أصدر لعمر أمراً:

- تعالى معانا وإحنا اللي حندخل على ضمانتنا الشخصية ..

وكان أمره لا يرد.. أسرع عمر لتنفيذه وهو يلعن بداخله عن طمعه
بأجر اليوم الاستثنائي المبالغ فيه الذي وعد به إذا اصطحب
رجل الأعمال ورفقته في رحلة.

الحرارة وافتقاد الماء مع الكدمات المنتشرة بجسدها والتي بدأ
ألمها يتضح كلما ظلت رافعة يدها بالقميص لأعلى اتقاءً
للسمس، بدأت تتهاوي قوتها، لا تعلم إلي متى ستستمر؟! ..

باسل دماؤه توقفت لكن الحرارة والهممات مستمرة ويخالطها
الآن تأوهات متألّمة بشكل موجع ذرفت دموعها رفقاً به، هي
متأكّدة أن هشام سيجدها، سيهددها ويطمئنها مدثراً إياها
بفراشها، أصوات بعيدة تنادي سمعت اسمها واسم باسل
جاهدت تبتلع ريقها، توجهه لمكانها:

- أنا هنا.. هشام.. أنا هنا.. أنا هنا .

التقطت أذناه صوتها الواهن وأسرع كالسهم رغم تحذيرات عمر
لخداع صدي الصوت، وحين اقترب ارتج حين رأى منظر
الدراجات المتصادمة المقلوبة، أوقف الدراجة بحدة وترجل
مسرعاً هاتفاً بخوف وفزع:

- يارا.. يارا.. أنتِ فين؟

رفعت رأسها إليه تنتظر ظهوره أمامها.. فالدراجات المتشابكة
تحجب رؤياه، لسانها منعقد ودموعها تنهمر سعادة، تهدلت يداها
مستترفة، قلبها ينتفض ثوان ويحاوطها بدفته، حين التقت عيونها
بعيونه ابتسمت دامعة مغبرة ممزقة القميص، فرأت فزعه وهلعه

يتحول لضيق، ذكرى مقيته لعري جسدها المقنع مع آخر حولت
الضيق لغضب أسود نفت بشدة:

- أنتِ إيه اللي عمل فيك كده؟! .. هدومك إيه اللي قطعها كده!!
نظر للراقد أمامها بغضب أعمي واتجه إليه ينوي الفتك به،
أوقفته بذراعها في وهن تمنعه :

- ما عملش حاجة ده مغمي عليه.. أنا اللي قطعت قميصي.

حينها التفت لها متعجباً والتقطت عينونه لأول مرة مشهد رأس
باسل على قدميها، شدها من يدها بقوة ودون مراعاة يوقفها
فسقطت رأس باسل أرضاً، هزها بعنف من يديها يردد بغضب:

- أنتِ يا يارا تاني!!.. تاني!!

طارت دموعها في البداية وقبل أن ينتهي فهمت مقصده،
فأسرعت تلهث ببيكاء:

- غصب عني.. كان حيموت.. ما قدرتش أسيبه يموت .

غضبه ألجمه.. تركها قابضاً سلاميات قبضتيه حتى ابيضت،
وحين سمعت أصوات قادمة لإياد وعمر باحثين عنه وعنهما،

اسرعت تتمسك بصدرة تضم نفسها إليه تستتر به، جذب قميصه الرياضي مسرعاً من فوق رأسه وألبسها إياه، يحيطها بذراعيه ضاماً إياها حتى تهالكت بينهما فحملها يضمها في فقااعة ذنب وألم وخذلان تلفهما ..

يحاولونهم فزع إياد ومحاولته الاطمئنان على صديقه ومحادثة عمر باللاسلكي يطالب بسيارة رباعية وطيب..

ظل يحملها وهي متشبثة به بقوة حتى وصل بها للشاليه، أسرع بها لغرفة الفتيات يريحها على السرير، حين حاول تركها تعلقت برقبتة، وهو متصلب متباعد لا يتركها تواجه غضب عينيه، همست بوهن وهي شبه غائبة عن وعيها:

- أنا آسفة يا هشام.. ما تزعلش مني.. بس كان ممكن يموت، أنا.. أنا يا هشام اللي عورته في دماغه .
التفت لها بحدة متعجباً فأكملت:

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

-قرب مني.. كان يساعدي ويخرجني من تحت الجت سكي.. بس.. بس أنا ما فهمتش كده.. تخيلت إنه خالد.. ما حستش بنفسي إلا وأنا بضربه .

ربت على كفها ببطء، يشعر بارتجافتها برغبتها بسماع صوته لكن رؤيتها تلك المرة ذكرته بعنف بخطأه، برؤيتها مع السافل خالد شبه عارية واكتشافه أنه يجبرها على لبس تلك الملابس وهي معه فى سهراته ..

وتوالت الاكتشافات، سهرات بملاهي ليلية تباح بها كل الموبقات، أوامر تهين كرامتها وتثد شخصيتها، كان قد بدأ بالشك حين اشتكت الفتيات له من تباعد يارا وخصامها لهم بسبب وبدون، كان قد غاب لفترات طويلة بسبب أداء خدمته العسكرية، فلم يتواجد ليراقب ويلاحظ وحين انتهت، عاد ليجد يارا أخرى متباعدة نائية عنه وعن الجميع..

باليوم التالي من رجوعه، قرر انتظارها ناوياً توبيخه على تأخيرها لوقت متأخر كل مرة، ثم كانت الصدمة والأسوأ ما رآه بعيونها من افتنان بعالم لم تطأه من قبل، والافتنان تحول لاستسلام

واقتياد ونسيان كل مبدأ واحترام، فقرر هو النهاية بعد جلسة استجواب وتقرير قاسي منه ..

جابه الملاح الأب بنفوذه وأدى ذلك لطرده من شركة هندسية أجنبية لامعة كان قد قُبل فيها للتو، مشاكل وبلاغات فى جميع أملاك أبيه وجده، أزمات مع الضرائب والحي، يوماً كان يبعث له الملاح بأزمة جديدة، وهو صارم مصر على رأيه.. سيطلقها ولن ينالها فهو ليس برجل.. لن يصونها ..

وبالنهاية حادث مدير وستر الله أنقذه منها.. وقتها أعلنت التوأمتان أن لا مكان لهن بالاسكندرية.. صفوا وباعوا ممتلكاتهم بوقت قياسي تاركين بيت العائلة فقط وقطعة أرض ومطبعة قديمة لم يتمكنوا من بيعها، طاروا للقاهرة دون ترك عنوان أو رقم هاتف، لا يعلم طريقهم الا حورية ..

اقتلعوا جذورهم ورموا ماضيهم بكل ما فيه وراء ظهورهم لبداية جديدة، منزل جديد وعمل جديد ووصل لهم خالد ..!!

ربت على كفها من جديد مقبلاً خصلات شعرها وتركها لميرا وأمها ومعها مروة.. أوصاهن عليها، تركهن يزلن عنها ملابسها

رأيتك عالم

شغيف وورع

الممزقة وغادر هو وعقله بواد آخر، بوادي ذكري مرت منذ ما يقارب العشر سنوات...

"يوم كانت خالته حورية وابنتها عندهم، جئن لزيارتهم والاطمئنان متحججات لجميع من بالاسكندرية أنهن جئن لجهاز العروس الخاص ببسمة.. الابنة الكبرى لخالته، وقد كان خرجت ميرا ومروة مع بسمة والأخوات منذ الصباح الباكر في جولة حول المحلات وتركن يارا المكتتبة بالمنزل وحدها، عصام بعمله الجديد، متأخر بشدة على مقابلة عمل مهمة وأسرع مغادراً.. وعلى بعد نصف ساعة من البيت وجد السيارة وقد رفضت الحراك، حاول إصلاحها وهناك غصة بقلبه وانقباضة لا يفهمها.. ربما من توتر المقابلة والتأخير الغير مطلوب، تلوث القميص الناصع البياض فلعن، أسرع مغلقاً إياها عائداً بسيارة أجرة للمنزل ليغير ملابسه علّه يلحق بموعده الهام، حين أوشك على دخول المنزل بادرته أصوات صراخ وطرقات وشبه عراق انعقد له حاجبيه وانقبض قلبه..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

أسرع نحو مصدر الصوت فهدأ.. وحين وصل كانت الطامة!!..
 يارا بين يدي السافل شبه عارية وهو يحاول تدنيسها.. صرخة لا
 يعلم من أين أتت؟!.. شعر وكأنه انفصل عن جسده، هاجمه بقوة
 نازعاً إياه من فوقها مسدداً له كل ضربة يمكن أن تذكر
 بالقاموس.. حتى تكوم دامياً شبه مقطوع الأنفاس وحين
 اصطدمت عيناه بها انطفأ لهيب غضبه بدموع، أسرع لها يدثرها
 بما تبقى من ملابس ولم يكف.. فالسافل لم يترك بها قطعة
 سليمة، جسدها شبه ممزق من جروح، ووجهها مكدوم، صغيرته
 البريئة التي سلمها للوغد بيديه، مدلته عافرت وحاربت حتى
 خانها وعيها ..

يتمني ألا يكون قد تأخر، أسرع بها للمنزل متصلاً بأخوته و ...
 صوتاً قاطع غوصه مع ذكرياته كان لإياد مع الطبيب فانتبه لوقوفه
 مع حورية وعصام.. أسرع يطمئن على باسل دون أن يتحدث
 عن ضرب يارا لباسل، وحين تأكد أن الضربة لم تؤذ صمت..
 تركهم يتناقشون بحدة دون وعي لفحوي حديثهم ..

غادرهم متصلاً بمكالمة سريعة لمعتز واستشارة هامة مفصلة أخبره على إثرها معتر أنه سيأتي في خلال يومين نظراً لانشغاله بمواعيد مرضى، أنهى اتصاله وهو يشعر بضيق يكتنفه، يخنقه، يحتاج لمتنفس يحتاج للسباحة وحيداً وطويلاً.

طبيب القرية السياحية استطاع بمهارة تقطيب جرح باسل، وحقنه بمهدئات ومع ذلك لم يخف تأوه ألمه مما جعله يقلق، أوصى براحة تامة ووجوب النقل لأي مشفى قريب بسرعة بعد أن تنخفض حرارته قدر الإمكان، رفض إياد مبرراً بحزم لا يقبل النقاش:

- شوف أنت محتاج إيه وساعة حيكون تحت إيدك!!.. لو حالته تسمح بالسفر للقاهرة يبقى حاخده وأسافر لكن أى مستشفى مهجورة من اللي هنا لأ..

وأمام اصرار إياد أعطاه سلسلة طويلة من التعليمات وشدد أنه لن يتحمل السفر.. ويجب الكشف عن مصدر ألمه بالأشعة فسأله إياد:

رأه راجع

تخفيف وراحة

- عموده الفقري سليم؟

نظر له الطبيب مطالباً بتوضيح فأردف إياد :

- هو عمل عملية جراحية من ثلاث سنين في ظهره بعد حادثة..
فعلشان كده أكون شاكر لو زودتله جرعة المخدر .

عقد الطبيب حاجبيه بقوة وأمام إصرار وحزم إياد وتهديد مبطن
إنصاع الطبيب بعد ان تأكد من اثار العملية على ظهر باسل
وتركهم خارجاً، استقبلهم فى الخارج حورية وعصام وهشام
فالبقية مع يارا بالأعلي، أسرع حورية تسأل الطبيب:

- دكتور.. هو كويس!!.. فى ايه؟

- لا ما تقلقيش.. ضربة شمس واحتمال يكون فيه شرخ أو كسر
مش عارفين لسه أما نعمل أشعة.. المهم السوائل والكمادات
باستمرار.

ردت بحزم:

- ما تقلقيش.. أنا حاخد بالي منه .

أوصل إياد الطبيب مع تحذيرات يكررها للمرة الثالثة لإراحة ضميره، عاد بعدها يحاول أن يحمل صديقه للشاليه الخاص بهم، فاجأه اعتراض:

- أنت بتعمل إيه؟! .. سيبه نايم.. الجدع تعبان، أنت اتجننت تشيل واحد مشتبه بشرخ أو كسر على كتفك؟

التفتت إليها لقد أثارت غيظه بالقدر الكافي:

- دي حاجة تخصصنا.. أنا أدري بيه، وبعدين شكراً لاهتمامك أنا حاتولى أمر باسل .

رفعت حورية حاجبيها بحزم وكتفت ذراعيها قائلة بقوة:

- أنت إيه؟! .. حتأكله وتعمله كمادات وتشربه سوائل؟! .. باسل مش حيخرج من هنا إلا لما يقف على رجله أو أهله ييجوا ياخدوه.

اتسعت عينا إياد بغضب:

- أنا أهله.. ممكن عن إذنك ...

قاطعته بسؤال:

-ليه!!.. هو أهله فين؟.. مسافرين؟

صرخ بها بتزق وحنق لا يحتمل:

-ميتين.. مالوش حد غيري

ثم أسرع متراجعاً:

-عمه الوحيد في أمريكا.. تحبي أجيبهولك من هناك؟! !

اتسعت عيناها وشاب تعابيرها التأثير:

-كده بقى أنت اللي عن إذتك، حاغيرله الكمادات ووقت ما
تحب تزور صاحبك أهلاً وسهلاً.

وقبل أن يقاطعها بغضب فاق قدرته على الاحتمال أردفت دون
أن تلتفت إليه:

-صاحبك محتاج حد يراعيه مش مجرد ممرضة .

جلس حانقاً بالخارج يهز قدمه بتزق.. لأول مرة بحياته يجبره
أحدهم على وضع لا يرضاه، تلك المرأة حورية تستفزه بشدة،
نحنحة صوت ناعمة قاطعت أفكاره.. ابتسمت مروة تحمل

فنجانين من القهوة التركية تمد يدها بأحدهما إليه وبعيونها نظرة
اعتذار، مد يده للنجان شاكرًا إياها فتساءلت:

-تسمح لي أقعد؟!

-اتفضلي .

-معلش.. أنا جاية أعتذر عن تصرفات ماما.. بس هي طيبة
والله.. أصل أنت ما تعرفش!!

أغلق عينيه بنزق.. ماله ومال حورية وابنتها وتلك العائلة!!.. هو
جن لانسياقه وراء أفكاره المجنونة وتوريط نفسه وصديقه وسط
كل هذا الصخب، سيغادر ويلغي العرض وانتهينا.. آخر خطته
كانت ستكلفه صديق العمر فسحقاً لهم جميعاً.. قاطعت صوت
أفكاره مكملة:

-ماما طول عمرها نفسها يبقى عندها ابن.. هشام كان عزيز عليها
جداً..

ابتسمت بخفة مكملة:

- يمكن حتى أكثر مني أنا وأختي.. أول حفيد ولد للإدريسي
بقي، فلما لقت صاحبك محتاج حد يراعيه ومالوش حد انسى
إنها تسببه إلا وهو واقف على رجليه ..

همس من بين أسنانه لها:

- أنا موجود.. أنا عيلته.

هزت رأسها بفهم وصمت لثوان:

- طب على الأقل سببه لحد ما يفوق.. ولو طلب يمشي؛ حورية
مش حتقدر تعترض .

هز رأسه مؤكداً أن هذا هو قراره فعلاً.. صمت اكتنفهما، يرتشفان
القهوة بهدوء محققين بالأموج أمامهما، حين خرج منها تساؤل:

- هو إيه اللي حصل لأهله؟!.. يارا بتقول كان بيهدي بكلام عن
حادثة .

أسبل إياد جفنيه وأخبرها باقتضاب:

- حادثة عربية ماتت فيها أسرته كلها .

شهقة قوية منها معلقة:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. ربنا يصبره .

صمت لثوان قبل أن تهز رأسها متطلعة للأفق:

- صعب قوي.. ياااه!!.. الواحد ما يحسش بالنعمة اللي عنده غير
لما يشوف غيره محروم منها ..

واسترسلت بالحديث:

- عارف!!.. طول عمري بحب عيلتي.. بس ساعات باحس
بخنقة وباتمنى أكون لوحدي مع نفسي ودماعي.. بس إن
يتفرض عليّ أفقدهم للأبد؛ أنا ممكن أروح فيها .

-إنتِ بتشتغلي يا مروة؟

هزت رأسها بابتسامة فخورة:

-أيوة باحضر رسالة ماجستير فى الأدب الانجليزي.. ومدربة
أيكيدو معتمدة .

سألها مندهشاً وقد أثارت فضوله:

-أيكيدو!!.. فن تكسير العظام مش كده؟! !

ابتسمت له مؤكدة فبادلها الابتسام بخفة مكملاً بمزاح:

-ستيفين سيغال مصر يعني !!

ارتفعت ضحكاتها بقوة وهى تخبره هامسة:

-بس ما تقولش لعصام علشان ما يمسهاليش فى الراحه
والجاية .

اتسعت ابتسامته وبدءا باسترسال الحديث الذي طال الجميع،
ثرثارة ممتعة وحديثها مسكن رائع للقلق وضحكاته معها تعالت،
بساطة وجهها ومظهرها المسالم يبثان الطمأنينة فى من أمامها..
عيونها متماوجة الألوان بنية إن أراد التحديد.. ووجهه بروزني
منمق الملامح وجسد رياضي يختفي وراء ملابس عملية، ببساطة
فتاة آمنة مريحة ورفقتها ممتعة، لاهين عن عيون تراقبه بحرص
وقلق من بعيد.

توالت أيام وطالت الأجازة.. تحسنت صحة باسل وخاصة بعد أن أحضر له إياد أطباء مختصون وطبيبه المختص بعلاج حالة ظهره، حينما استشعر باسل الحرج ورغب بالذهاب للشاليه مع صديقه وقبل أن تتوج نظرة الظفر عيني إياد، لمعة بضع عبرات تلالأت بعيون حورية أجبرت باسل على التراجع ..

والحقيقة هو لم يرغب فعلياً بالذهاب، كان يبحث عن مبرر وهي أعطته له برحابة صدر وغريزة أم، تمتع بالأيام التالية بحنانها تطعمه.. وغرفته لا تنفض من الاهتمام من الأخوات الثلاث، وزيد وعصام حتى هشام المتباعد جداً يحييه باقتضاب.. يسأله عن حاله ويغادر مسرعاً لا يعلم لمَ..!!

لكن أمام دفء الآخرين هو لن يبالي الآن، لم يهتم به أحد من قبل بكل هذا الدفء والحنان، لا يحتاج لتنبيه الهاتف لموعد الدواء أو موعد وجبة طعام، قبل أن تكتمل دقائق موعد أيهم يجد من يطل عليه بابتسامة مشعة معدية وحديث مرح واهتمام صادق ..

صخبهم صافٍ كنبع ينهل منه الظمآن، وحتى زاره طيب صديق
 للعائلة ابتسامة صاخبة مرت على وجهه فالطيب، اهتم بمشاعره
 وإحساسه أكثر مما اهتم بمعدل نبضه واختبار مقدار ألم عظامه ..
 إِيَاد مَغْتَاط.. وهو مستمتع وقلق، مستمتع لأن حورية تجبر إِيَاد
 بطريقتها الخاصة على اتباع ما تريده، وهو ما لا يحدث في عالم
 إِيَاد الحديدي، وقلق لأن إِيَاد أوضح له إما الموافقة أو رفض
 العرض وهو بدأ يميل للرفض.. تنهد بقوة حين وجد مروة تدخل
 يصاحبها زيد قائلة:

- ها يا بطلنا.. أخبارك إيه النهاردة؟!.. أنا جايبالك شوربة سخنة
 ماركة حورية، وجيت أطمئن عليك.. هي جاية ورايا وبتقولك لو
 سبيت منها معلقة حتيجي توريك شغلك..

وضعتها أمامه على طاولة ساعدها زيد بوضعها أمام سرير،
 أردفت بلهجة هامسة مزحة:

- أنا لو منك؛ أمسح الطبق.. خدها مني نصيحة يا ابني بلاش
 حورية تحطك في دماغها..

رأيتك عالم

شغيب وراية

اتسعت ابتسامته وهو ينظر لزيد الذي هز رأسه مؤكداً:

- اسمع منها.. خبرة لا يستهان بها مع حورية.. بنتها بقى .

تعالت ضحكة مرحة منه.. وابتسامة احتلت نظراته، يبدو أن

الابتسامة تأتي أن تفارق ملامحه وهو بينهم !!..!!

أخيراً المراهق إياد سافر لعمله بالأمس.. وعصام سافر الفجر..

وزيد وهشام مازالوا معهم بانتظار تعافي المصابين.. مطت

شفتيها بنزق.. رحلة مشثومة منذ أطل فيها المراهق بطلته البهية،

تنهيدة من القلب، فهي تشتاق للباس البحر خاصتها ..

ثوان وبرقت برأسها فكرة.. المراهق سافر والبطل الهمام طريح

الفراش بأمر الطبيب إذن لمَ لا؟ ..!

أسرعت لغرفتها تغير ملابسها بلباس البحر المفضل لديها، أحمر

اللون قطعة واحدة ويستقر على أحد كتفيها بحلية فضية، أسرعت

لحمام السباحة واستقبلت المياه باسترخاء، ضربات يميناً ويساراً

وقلقها وتوترها ينسابان منها كأنسياب الماء على جسدها ..

تفاجأت بصوت سقوط بالماء قطع استرخائها.. أسرعت معتدلة
تنظر لتجد أحدهم يسبح.. ظنته زيد فالبنية أضعف قليلاً من
هشام.. ولكن حين رفع رأسه وخصلاته الفحمية أيقنت أنه
غريب.. وقبل أن يكتمل التفاته عرفت بقلبها من هو..!!

إياد الحديدي..

يقرب منها بحركات ثابتة مركزاً عينيه عليها، وهي تغطس
بالمياه تحاول مداراة ما تكشفه ملابسها حتى غاصت لرقبتها :

- أنت مش كنت سافرت !!

اقترب أكثر وشبه ابتسامة ساخرة على شفثيه، نظراته تداعب
عيونها، أجاب:

- كنت.. وجيت .

جزت على أسنانها بغيظ، فهي بموقف لا تحسد عليه، مروة تلك
الحمقاء حذرتها وكأنها بتحذيرها استدعته ونحست يومها، ولم
لا!!.. ألم يصبحا صديقين؟!.. يوماً يتناولان القهوة سوياً
ويتحدثان طويلاً..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

اقترب أكثر حتى وقف أمامها تمامًا يشرف عليها، رأسها في مواجهة خصره وهو مستمتع بمنظرها مختبئة داخل المياه.. تظنه لم يرَ كل تفصيلة من عرضها المثير هذا الصباح؟!.. أو ربما تظنه لا يعلم بانتظارها لعودته حتى يكون بحضرة ذاك المايوه الناري الساخن!!.. ومن هو ليخيب ظنها؟!.. عاجلته بقذائف لسانها:

- اتفضل إمشي من هنا.. مش من الأدب إنك لما تلاقي البسين مشغول تنزل فيه..

قاطعها بسخرية:

- وهو مشغول بحد غريب!!.. ده إحنا معرفة وحالياً جيران.

مد يده يعبث بخصلاتها مستفزاً إياها ونجح باقتدار، عيونها المترقبة للطريق من خلفه تخشى ظهور أحد أخويها أو ربما رفيقها الدائم ابن خالتها الوسيم!!.. زاد من بعثرته لخصلاتها الثائرة وحين اقترب يميل عليها يناوشها استقامت بكبرياء واقفة، المياه لا تتعدى خصرها لكنها والحق يقال فاتنة من بعيد وعن قرب مهلكة، واللون الأحمر يناسب برونزية جسدها، نظراتها تلمع بتحدٍ وهي تدمدم بكلمات بدت كالسباب:

- إشبع بيه.. سايباهو لك.

أمسكها من ذراعها فجأة وقربها إليه، يهمس بجانب أذنها
بسخونة أنفاس اقشعر لها جسدها :

- عارفة لو جربتِ العوم معايا!!.. مش حتقدري تستمتعي بيه
لوحدك تاني أبداً.

احمر وجهها وارتفع حاجبيها، وخيال سابق باكتشاف لون شفيتها
الحقيقي بنفسه وعن قرب هاجم مخيلته بضراوة، فهي لا تبعد إلا
بضعة سنتيمترات ..

لكن بقايا عقل وتركيز يحسده عليه الكثير ألجمته واستبدل شفتيه
التائقة بإبهامه.. في حركة سريعة أزال حمرة مستعارة على شفيتها
فناظره بدلاً منها وردية نضرة ببقايا حمرة تنادي القطاف، همت
بتوبيخ ووسم وجهه بختم يدها من جديد، أمسك كفها بين
أصابعه معتصراً إياها وهتاف مستنكر قاطع اقتراب العقاب:

- ميرااا...!!

رفعت رأسها لمناديها وشهقت براحة حين رآته زيد، ترك إياد
يدها بهدوء مسبلاً جفنيه للحظة يستر ما بداخله قبل أن هتف
بصوت مازح:

-إيه يا زيد!!.. ما فيش حمدلله على السلامة؟!.. ما تيجي..
الماية حلوة قوي النهاردة .

نظرة طويلة رمقه بها زيد وهو يمد يده ليتناول يد ميرا ويغطيها
بمنشفة كبيرة بخشونة.. عيونه تناظر إياد المبتسم ببراءة لا
تناسبه.. لا تناسبه على الإطلاق رفع رأسه ينظر لها معاتباً فهاله
الارتباك المرتسم بحدقتها والعرشة تحت يديه، ابتسم ببطء
ولف ذراعه حولها يطوقها وهو يجيبه:

-ياريت كان ينفع.. أنا وميرا ورانا حاجات كتير النهاردة.. عن
إذنك.. إنجوي أنت.. آه على فكرة؛ باسل سأل عليك النهاردة .
دخل معها ورأى بعينيها تخبط و رغبة في الانفراد بنفسها، ربت
على كتفها بهدوء متحدثاً بصرامة:

- نتكلم بعدين.. ومش محتاجاني أقولك مافيش نزول للبسين تاني تحت أي ظرف.. اطلعي غيري قبل ما هشام يشوفك.

هزت رأسها بطاعة واستكانة غريبة عليها، هشام المتباعد عن الجميع.. لا يظهر إلا للاطمئنان على يارا وباسل بكلمات مقتضبة وباقي يومه إما مختفياً بين الأمواج أو وحده بين الرمال، لكنه اليوم يحتاج للتحدث معه، فقد أثبتت الأيام أنه يجب عليه الثقة بحدس هشام وسيدعم من الآن قراره برفض العمل مع مجموعة الحديدي.

استرخى إياد على كرسي شاطئ طويل، عقله يعمل بعد أن انتهى من سباحته، لديه الكثير مما يحتل تفكيره.. ما وصله من جديد عن أشرف، وصمت أبيه الغير مريح، حديث أمه المقتضب الذي يبدو كعقاب أو تحذير، حديثه مع باسل الذي ارتبط بشكل أو ثقل من اللازم مع تلك العائلة..

لكنه معذور، يعلم من نظرة باسل المتسائلة في حذر أن عليه تحريك الأمور، فبعد تباعدها عنه لأسبوع تتفاداه ببراعة حية،

لمسة واحدة أعادت الزخم للتحدي، المهلة تنتهي اليوم، لذا رفع هاتفه يتصل باتصال يضمن أن الأمور ستصب أينما يريد:

-ألو.. أخبارك إيه؟!.. لا رجعت لباسل السخنة.. بالنسبة للي كنت كلمتك عنه... أنا عايزك تنفذ.. ومش زقة بسيطة أنا عايزه زلزال.. فاهمني؟!!

ابتسامة ارتسمت على وجهه وهو ينهي مكالمته، فلقد عادت اللعبة تستهويه من جديد، مبتسماً بجذل لاعب شطرنج محترف منتظراً الخطوة القادمة .

أخيراً بنهاية اليوم ظهر إياد قادماً لزيارة باسل مع الطبيب، وبعد انتهاء الفحص والتأكد أنه يحتاج الحركة الخفيفة وفي خلال أسبوع يمكنه العودة لممارسة حياته، فالحادثة بسيطة ولولا إصابته الشديدة السابقة لكان تعافي منها بسرعة، شدد على العودة لتمارين علاجه الطبيعي المهمة، وتعديل نظامه الغذائي المزري ..

نظرة تقريع من عيون حورية لإهماله لصحته وكأنه تلميذ يؤنب من أمه، يكاد يسمع ضحكات يكتمها إياد بصعوبة، وبعد رحيل الطبيب استأذن هشام بالدخول، كل خطوة من خطواته يراقبها إياد بتحفز وهو جالس يضع ساقاً فوق أخرى، باسل يقرأ قراره في ملامحه شاعراً بالأسف والراحة معاً ..

بدأ هشام الحديث بعد أن اطمأن على صحة باسل:

-أنا عارف إن النهاردة نهاية مهلة العرض، وما كنتش حابب أتأخر في الرد عليكم عارف إنه مش وقته ...
سارع باسل مقاطعاً:

-طب استنى وخذ وقتك في التفكير.. ولما نرجع القاهرة، كلها اسبوع ولا إيه يا إياد؟

داعب إياد ذقنه بسبابته مجيباً بحزم:

-أنا رأيي من رأي هشام.. مافيش داعي للتأخير، الشغل حاجة والعلاقات الخاصة شيء تاني وأنا شخصياً باعتر بمعرفة عيلته الكريمة وسعيد بالأجازة معاهم لكن ...

رأيتك حالم

شغيب وورح

صمت قليلاً والباقيين يراقبونه بترقب فأكمل:

- أنا عايز ردك يا هشام.. موافق ولا لأ؟!.. ولو موافق مين
حيكون مندوب شركتكم فى المجموعة؟

لم يتخيل هشام هذا الحزم.. كان يتخيل مماطلة أو مواربة لكن
حزمه وصراحته زادت من حيرته، والأكثر تغيير زيد لرأيه ورفضه
للعمل معهم مهما كانت الأسباب، نفس عميق سيتبع حدسه
وقبل أن ينطق وجد اياك ينظر لساعته باهتمام ثم صوت تليفونه
ارتفع برنة خصصها لأخيه.. استأذن للرد خارجاً والعودة سريعاً،
تحدث عصام:

- هشام.. أنا عايزك تيجي القاهرة حالاً .

بقلق رد هشام:

- في إيه يا عصام قلقتني؟ !

رد عصام:

- بص أنا مش عارف أقولك إيه...!!

انتزع أحدهم السماعة من عصام هاتفاً:

- أيوة يا هشام إزيك؟! .. أنا علاء ..

عقد هشام حاجبيه.. علاء المحامي صديقه القديم، والمسؤول القانوني لشركتهم، ما القصة؟:

- في إيه مالكم؟ في مشكلة في الشركة؟

رد علاء بهدوء مخادع:

- هشام أنت قبل ما تمشي تقريبا كنا مخلصين كل الحملات الإعلانية اللي عندنا لعملاءنا حتى العملاء الدائمين.. بس النهاردة فوجئنا بسيل تليفونات.. كل العملاء بلا استثناء بيتكلموا إننا اترفضنا من مجموعات الحديدي لاكتشافهم مشاكل في شغلنا وعيوب تصميمية وو.....

رد هشام وهو عاقد حاجبيه بقلق:

- وإيه ما تكمل؟

رد بقلة حيلة غاضبة:

- بيقولوا إنهم رفضوا الشغل معانا لأن أفكار كثيرة من بتاعتنا مسروقة من حملات عالمية وغير منتشرة هنا، عايز أقولك تليفون

مكتبك وتليفون مكتب ميلا وتليفوني ما بطلش ومن الصبح
بنحاول نقنع العملا إن دي إشاعات وكلهم بيقولوا حيراجعوا كل
حملة اسمنا ارتبط بيها لكن....

رد هشام بنزق:

- ما تخلص يا علاء أنت حتنقطني بالكلام؟

- بيقولوا إن لو دي إشاعة يبقى أكيد حيان قريب.. ولحد ما
بيان هما بيعتذروا عن إسناد أى حملات دعائية لينا .

صمت هشام لثواني ثم سأل بحزم:

- كام شركة؟

ابتلع علاء ريقه وهو يرد:

- تقريباً كلهم ما عدا عقد ميلا الأول (شركات مدام نورهان) ما
سمعناش منهم حاجة ..

زفر هشام بقوة قبل أن يسأله:

- عندك حلول؟! .. اقتراحات.. أى ثغرات قانونية ما تخليناش
نوقف شغل؟!!

- للأسف يا هشام أنت خلصت كل الشغل.. كل العقود تم
تسليمها.. مالناش حقوق عندهم.. التجديد بإيدهم.

- طيب خلاص.. أنا حاحلها.. سلام أنت.

- طيب سلام .

وقبل أن يغلق الخط اختطف عصام الهاتف من علاء هاتفاً:

- هشام.. هشام.. حتعمل إيه؟! .. لسه برضه حترفض؟

اعترض هشام بنزق فبه ما يكفيه بالفعل:

- سيبي أفكر يا عصام.

أردف عصام بصوت قلق :

- طب تفتكر خالد ليه علاقة بالحوار ده؟

-الملاح؟!.. تؤ ما أعتقدش.. بس الموضوع مش طبيعي
ومحتاج قرار سريع وصح.. سلام أنت دلوقت.. ما تجيش قبل ما
أقولك .

جلس هشام على أقرب كرسي يفكر، لقد ضحى بعمله كمهندس
معماري حتي لا يظل تحت سطوة أحد.. أنشأ الشركة بجهدده هو
وأخوته.. مجهود سنين مع جده فى مطبعة الإدرسي
بالاسكندرية وأيام عمل صيف بجواره جعلته يعشق العمل
والطباعة والتصميم والآن كله مهدد بالانهيار، يهتف لنفسه:

"حسبتها غلط يا هشام وحتوقعهم كلهم معاك"

الأفكار تتدافع والحل موجود وبسيط لكن هناك ما يمنعه من
اتخاذده.. دقائق أخرى وحزم أمره، مستقبل أسرتين بل ثلاث
معلق برقبته، والأمر لا يجب أن يعتمد على حدسه الشخصي،
وقد كان ..

عاد لغرفة باسل وأخبره بالموافقة، لمع قلق فى عيون باسل..
فهشام العائد غير هشام الغادي.. هناك اختلاف، هناك شيء ما
جعله يغير رأيه.. لم يكن هذا رأيه الأول وإن لم يعلنه، ويكاد

رأيه

شخصية واردة

يجزم أن لهذا علاقة بإياد.. سدد نظرات متهمة لإياد الذي تجاهله وهو يخبره:

-العقد القانوني سيكون عندك بكرة الصبح..

يتمضي وحاستناه في خلال يومين، في تعديلات في العقد بخصوص شرط الجزاء من ناحيتكم عند إنهاء التعاقد ...

رفع هشام عيون متسائلة إليه فأكمل بحزم:

-الشغل شغل.. لازم أضمن إن شغلكم مش مع أي منافس لينا.. والأهم إنكم ما تمشوش فجأة وتسيبونا.. أظن ده من حقي، حجم التعاملات اللي حنوفره لكم أكيد قدامه تنازلات من ناحيتكم .

توقع هشام من كلماته أن الشرط الجزائي سيتضاعف وما عليه إلا الرضوخ، هز رأسه موافقاً:

-ربنا يسهل.. إن شاء الله حاراجعه مع المحامي .

سأله إياد ببساطة:

-كويس جداً.. ومين اللي حيشرفنا كمان أسبوع؟

-ميرا مسؤولة العلاقات العامة ..

رد ببساطة أكبر:

-تمام.. مبروك ليكم ولينا .

قام وصافح هشام وألقي تحية مقتضبة هارياً من باسل.. فاليوم هو مظفر بالنصر ولن يسمح لضمير باسل المتوجع بالانتقاص من فوزه قيد أنملة.

اليوم الأول لعودته لمعتزله الصامت، كم هي باردة الشقة بعد صخب الأسبوعان الماضيان، أسبوعان ذكرى مضيئة للباقي من العمر، تذكر دموع الأخوات الثلاث لا بل الاثنان.. فأمال أم هشام صلبة كابنها.. ودعته بتوصيات على صحته ودواءه ..

جلس على صوفا يتفقد جنبات الشقة من حوله، كم من ذكريات دفنت مع من راحوا!!.. تذكر كل كوابيسه وصراخه التي هاجمته من جديد وهو تحت رحمة ضربة الشمس والألم، التي جعلتهم يصرون على أن يرى معترطبيب العائلة كما قالوا، للحقيقة كلماته

رائع جداً

شغيف ورائع

لم تعلق بباله وقتها لكن الأجازة الإجبارية والدفء والدلال المحيطين بروحه فى تلك الأيام جعلها تتخذ مجراها بين سراديب عقله ..

الذنب القاتل فهو كان شابًا مثل باقي الشباب، يعيش الحياة بأحلى ما فيها.. أسرة متحابه، وأخت كنسمات تشرين حنين، وخطيبة بنكهة السكر رنا، حياته تجري فى طريقها الصحيح ..

كان دوماً محط فخر الصديقان أبيه وصديق عمره عبد العزيز الحديدي ولطالما طال إياد التقرير لأنه ليس هو، ابتسامه هازئة ارتسمت على شفثيه، كانا دوماً معاً فى الخطأ والصواب، فقط كان هو يجيد اخفاء آثاره بدقه، وهو يتحمل التأنيب بشجاعة وقوة..

تنهيدة من قلب محطم لألاف الشظايا ولا يرجى منه إصلاح، يتذكر يوم النهاية.. يوم سافروا للساحل جميعاً لقضاء حفل نهاية العزوبية، سافرت حنين مع رنا وأهلها وأصدقائهم وهو سافر مع إياد وشلتهم المعتادة وحين آن ميعاد العودة لان الفرحة بعد يومين؛ تجسدت الأنانية فى شخصه وشجعه صديقه ..

رفض الانصراف مفضلاً السهر والعبث والرفقة الصاخبة عن أن يكون بصحبتهم ويطمئن على وصولهم.. وبعد ساعات من سفرهم جاءه اتصال من أخته، توقع تهكماً أو غضباً طفولياً ساخرًا أو ربما مشكلة ألوان تافهة كالعادة ..

ليصدم بصوت غير نبراتها الناعمة يخبره بأن صاحبة الهاتف بحادثة على الطريق.. لم يعرف كيف يقود أو يتحرك حتى وصل!!.. لم يحتاج يومها لإرشادات.. فالحادثة مروعة، وقف لها البشر متحلقين ..

ترك سيارته ببابها المفتوح بوسط الطريق، نزل متجمد الأوصال يمشي كصنم متحرك تتقاذفه كلمات تتلقاها أذناه، تبعث ما به من حياة، الرجل عجوز واصطدم بشاحنة نقل كبيرة ومعه سيدة وفتاتان، أسرع الخطى ويد إياها تحاوطه تسند جسده المتهالك، أمام مرآهم من بعيد، تنورتها الوردية التي يعشقها تظهر من تحت أحد الجرائد ملطخة بدماء..

جری أو زحف حتى وصل لها، لا يعلم إلا بأنه انهار حين رأى، حاولوا إثناؤه عن مقصده، منعهم عنه رفيق العمر، تركه يودعهم

رأى

تخفيف ورنة

وليته ما فعل، الذكرى حية بعقله.. أحلام تشبه الكوابيس من
 كثرة ما رافقته.. أصبحت لا تخيفه، فالدماء دماء عروسه، فتاته..
 حلم عمره، اختفت من عيونها الحياة.. صامته شاخصة.. دماؤها
 متناثرة تشربتها الأرض بنهم، تلمس الدماء بأطراف أصابعه
 وعقله يتساءل هل يمكنه أن يللم ما انتثر؟!..!

والأرض الشرهة لم تكتف.. استولت منه على أبيه ظهره بالحياة
 وأمه الحنون وحنين أخته الصغيرة، حنينه صغيرته بخصلات شعر
 دمجت بالأسفلت وملامح مشوهة، تنقل بينهم واحداً تلو الآخر،
 يرفع الجرائد التي تداري فجيعة عن العيون، تصاحبه كلمات
 تعازي أو استنكار لا يبالي..

فكلما ناظر أحدهم فقد جزءاً من نفسه حتى صار أشبه بالميت
 الحي، وفي لحظة قنوط قرر اللحاق بهم.. أسرع لسيارته يقودها
 على أقصى سرعة لديه.. لا يرى الطريق من قسوة دموعه..
 وتركها تقودنه حتى ارتطمت ببناء.. وحين أظلمت الدنيا ظن أنه
 انتهى، ولكن القدر كان بجعبته المزيد له، شلل مؤقت طرحه

بالفراش وجراحات متوالية وعلاجات وصديق أبيه الوحيد يحمله
مسؤولية موت صديقه واختفاؤه عن الحياة ..

الوحيد المتبقي له كان إياد، كم مر عليه من أوقات تمنى بها
الموت ولم يسمح له إياد بفعلها!!.. كم قابله من قنوط وهو
تصدي له مؤنباً؟!.. انعزل عن حياته فأصبح العمل والعناية به
شغل إياد لمدة سنتان بين جراحات وعلاجات حتى استطاع
المشي من جديد، وها هو يمشي ويأكل ويضحك.. لكن دون
روح، دون حياة، منتظراً الموت وهو يتعفف عنه ..

أتاه صوت الباب يفتح ودخول عاصف لإياد رسم ابتسامة ورفع
كفه تمسح دموعه المنهمرة التي لم تنضب بعد على فراق
الأحباب.. قبل أن يبادر بالكلام أخبره إياد بعث:

-رياح نفسك.. مش مروح، قاعد على قلبك وجايب معايا أكل
كمان .

يعلم أن اليوم سيكون أصعبهم على نفس صديقه.. بعد الحرمان
من الدفء الصاخب للصمت البارد، وأكبر دليل دموع يظن
صاحبه أنه أخفى آثارها جيداً، لذا جاء مبكراً بموعد عودته ولن

رأيتك عالم

شخيط وريح

يتركه إلا بالعمل صباحاً، هز باسل رأسه باستسلام ورد بابتسامة
ساخرة:

-أعتبر دي رشوة؟! !

هز إياد رأسه بعدم اهتمام وبدأ فى فتح علب

الطعام.. بعد دقائق من تناولهم الطعام تلقى هاتف باسل
اتصالاً من رقم غريب:

-أيوة.. مين معايا؟

-إزيك يا حبيبي؟!.. وصلت بالسلامة؟.. أنا خالتك حورية ..

ابتسامة واسعة احتلت وجهه وهو يمازحها حتى فوجئ بها تفتح
مكبر الصوت وصوت مروة يقتحم المكالمة:

-إزيك يا باشمهندس؟!.. حمدلله على السلامة ..

وبعدها صوت طفل صغير هاتفاً:

-إزيك يا بشيل؟! !

فتح باسل مكبر الصوت لسمع إياد مجيباً:

- الحمد لله.. مين معايا؟

قال الصغير بنزق وضيق لأنه لم يتعرف عليه:

- أنا حمزة ابن مامي بثمة.. فى كى جى تو.. هى نانا ما حكيتهش
عنى ولا إيه؟.. اشمعنى أنت بتحكى عنك من ساعة ما جت
ها؟.. قولى أنت إزاي دخلت قلب نانا؟!.. ها يعنى أنت
سامعنى من الفون ولا من ودانها؟!

أطلق باسل ضحكات عالية وصوت أنثوي ينهره

من بعيد.. بعد تأكيدات على تعليمات الطبيب أغلقت حورية
الخط وانهاالت الاتصالات للاطمئنان عليه جميعاً أمام دهشة إياد
الذى غمغم بغيره:

- واضح إنكم خدتوا على بعض قوي.. واعتبروك من العيلة!!
فرد باسل بتقدير:

- عيلة جميلة دافية.. ربنا يحفظهم لبعض..

ونظر لإياد برجاء خاص:

- بلاش أذية يا إياد أرجوك.. مش عارف إيه اللي بينك وبين
ميرا وتستحق ولا لأ؟!.. بس بلاش أذية.

استقرت بمكتبها، مكتب فخم وأنيق مجهز بأحدث الوسائل،
لكنها غير مرتاحة.. لن تنسى رفض زيد التام للعمل وغضبه من
موافقة هشام، وحيرة عصام من تغير موقفه وهي تعلم السبب ولا
تجرؤ على الإفصاح ..

العقد الذي اضطر للموافقة عليه، وبعد محاولات

خفض الشرط الجزائري لمليون جنيه بدلاً من ثلاث، وألغى فترة
التجربة لثلاثة شهور، بدأت تحاول الإلمام بالمشاريع المفتوحة
للتصميم ومن أين توقفت الشركة السابقة، وبعد دقائق من
وجودها بمكتبها وجدته يهل عليها بطلته المستفزة:

- ها.. أخبار الشغل إيه؟!.. عجبك مكتبك؟

نظرت له من طرف عينيها وهي تحرق بحاسوبها:

- مش بطال ..

رأيتك عالم

شغيب وورح

نظر لها وتغمد المكتب بنظراته الشاملة مقيماً:

-إيه عايذة حاجة أفخم؟!.. ولا أغلى!!.. ولا مبهرجة أكثر مثلاً؟

في الواقع المكتب يماثل ذوقها لو اختارته بنفسها لن يتغير شبر
عن ما هو موجود.. لكنها لن تعطيه نشوة الانتصار، فردت برفعة
حاجب ومطة شفاه ساخرة:

-ببساطة ذوقي أرقى من كده .

تساءل بلهجة موحية:

-وأخبار زيد؟!.. ابن خالتك مش كده!!

دون أن تنظر له أجابت:

-زيدو بخير .

-واخدين راحتكم وقريبين من بعض قوي !!

التفت له بحدة.. كانت تراهن نفسها متى يميل لسانه
للشمال؟!.. وقد ضرب رقماً قياسياً جديداً فى الاحتمال:

-بص بقي يا سيد إياد ...

نفس عميق وكلمة سيد تهديها متعة الإهانة دون عقاب وحاجبيه
انعقدا للقب.. نفس عميق آخر وبلهجة حادة أكملت:

- كل اللي ليك عندي شغل وبس.. علاقاتي الشخصية لأ..
عيلتي غير مسموحلك بالمرّة أنك تقرب منها.. وأنا شخصياً
بالنسبة لك خط أحمر.. إنساه.

ابتسم بسخرية متفكهاً:

- وإلا؟!..!

- أفندم؟

- بقولك تهديدك ده ناقصه وإلا.. حتعملي إيه؟

نظرت له بقوة:

- إمامم.. إيه رأيك في دعوى تحرش؟!.. تخيل المانشات
للصحافة الصفراء.. رجل الأعمال والملياردير إياك الحديدي
يتعرض لموظفاته بالتحرش.. يااه ده حبيبي خبر الموسم..
وأحكي بقى قال وعمل..

اقترب من مكتبها أكثر وبعينه تعبير خطير مقلق:

- طب وليه تكديبي؟.. إيه رأيك ننفذ عملي؟.. وأهو ساعتها تبقي بتحككي عن واقع.. مش يمكن الموضوع يعجبك؟!..
ردت وهى تغلفه بنظراتها من رأسه لأخمص قدميه ضاحكة بسخرية:

-الكلام ده يمشي على باربي بتاعتك اللي ماشية وراك.. ولا فاتنات الشركة اللي بغمزة تلاقى الهيح مسمعة الدور الخامس..
لكن أنا؛ لأ..

نطقت كلماتها الأخيرة بحزم وتأکید واضح استفزه، جعله يقترب يهديها أقوى نظراته فتكأ وبسماته إغراء:

-ولأ ليه؟!.. مستكفية؟

نظرت له باستهزاء واضح ترفع رأسها لأعلى وتميلها لأسفل قدميه كمن يتفقد بضاعة لا تعجبه:

-لأ بس.. مش شايفة حاجة عجباني .

اقترب إياد حتى صار الوضع خطراً يشرف عليها مقترباً لا تبعد عنه سنتيمترات وهى صامدة... بداخلها ترتجف كورقة خريفية

رأيتك عالم

شغيف وورح

وحيدة، وخارجها صلب صلد لا تأثير إلا نظرة استخفاف وتعبير
سخرية على وجهها تتمنى فقط ألا يلحظ ارتعاشة ركبتيها داخل
بنطال بذلتها ..

يقرب أكثر وعيونه تتحداها أن تتراجع، وتقابل التحدي
بالصمود الأجوف، خبطات سريعة على الباب جعلها تبتعد
مسرعة مديرة كرسي مكتبها في حركة خاطفة تجاه شاشة
حاسوبها تاركة إياد منحنيًا خلفها كمن يراقب عملها ..

رفعت رأسها بابتسامة تتماسك بصعوبة في وجه القادم الذي كان
باسل.. نظرة تعجب لها وأتبعها بنظرة تحذير لإياد ابتلعها سريعا
وهو يسألها بلطف:

- أخبار أول يوم في الشغل إيه؟!.. النهاردة كله

تمام؟

ابتسمت له:

- ميرسي لذوقك يا باسل.. كله بيرفكت.. أنت عامل إيه؟! !

هز باسل رأسه لها بابتسامة مشرقة:

- الحمد لله ..

توجه لإياد:

- إيه يا باشمهندس إياد!!.. شغل ميرا أخباره إيه؟

نظر إياد لميرا وهو يعرض على شفثيه متوعداً.. ثم

سدد نظراته لباسل مجيباً بلهجة لن يفهمها إلا هي:

- بصراحة اكتشفت إنها متمكنة قوي.. وواضح عليها الخبرة..

خاصة بجو المكاتب .

ابتسامة باسل المستبشرة ناقضت احمرار وجهها واتساع عينيها

بحنق، تصر على أسنانها بعد أن خرج الاثنان دون تعقيب.. وهي

تتمتم لنفسها:

"طيب يا ابن عبد العزيز.. إن ما وريتك ما أبقاش ميرا بنت أمال "

الفصل الحادي عشر

كل نار مهما اشتدت تصبح رماداً.. وسيصبح كل شيء كما
أضحى..

لكن فاتهم السؤال.. على أي شيء اقتاتت النار؟ مشاعر حب!..
ربما صداقة وأخوة!.. وقد تكون صلة دم تحولت لرماد..

حينها العشق يصبح كره.. والصداقة تنقلب عداوة.. والأخوة
فراق.. والماء عن الدم لا يختلفان..

فقط النفيس الحقيقي الأصيل هو ما يصمد مهما اشتدت حوله
النيران..

يبقى أبدي لا تقدر عليه نار..

ولا تؤثر به رياح..

شرارات غاضبة تطايرت فى الهواء وكأنها نيران واستشرت فى الجميع.. هي تبسمل وتحوقل، تخبط على صدرها بخبطات منغومة بنغمات الفرقة، وأختها الصلبة تحاول فصل الاثنان عن بعضهما بقوة..

ابنتها منهارة على أحد الكراسي تبكي بحرقة، تغطي رأسها بيديها، وابنة أختها تحاول تهدئتها بتريئة كتف آلية، مفتوحة الأعين.. فما تشاهده أمامها لم يحدث فى عائلتهم من قبل، خرج صوت الكبير:

- أنت اتجنت!!.. إزاي يبقى طلب منك كده وتسبيه يدخل ويخرج عادي؟!.. إزاي تقبلها؟!.. إزاااى؟

أنهاها بصراخ حاد وعالي موجهاً له شتائم نابية مؤذية وجارحة، وهو أمامه يرغى ويزيد.. يرد بوجه محمر من الغضب:

- مالكش دعوة بينا.. أنا عارف باعمل إيه كويس، أنا عملت الصح واللي فيه فائدة ليهم هما الاتنين.. بتلومني علشان شيلت مسؤوليتي اللي بتطالبني أشيلها من زمان!!.. أديني شيلتها.. أنا مش فاهم إيه اللي مضايقت!!

رأيتك عالم

تخفيف وزنه

التفت له بعيون مشتعلة بالغضب:

- أنت بترميها وبتقولي إيه اللي مضايقتك؟

نظر له الآخر مسدداً ضربة موجعة بنظرات متمردة قاسية:

- مش أنا اللي رميتها..

لكمة كانت الرد الصارخ.. مع صرخات وعويل وبكاء متعالي
حتى فوجئوا بدخول عاصف عنيف:

- أنتِ يا هانم.. أنتِ فين؟

ثانية واحدة حدد مكانها واتجه إليها.. صفعه قوية، وحين تعالت
صرختها مصحوبة بشهقات الاستنكار ألقى بما في يده..

بضعة جرائد ومجلات ترسم صورة أخته المصون بأحضان
غريب.. يتبادلون القبلات وأتبعها سقوط مدوي..

قبل أسبوع

من بعد عودتهم من الرحلة الغربية مرت الأمور بهدوء.. شهران وهشام بين عمله وزيارات يارا لمعتز.. لقد مرر زيارته ليارا في السخنة بصعوبة، سمح للعمل بأن يجرفه ويعيد له توازنه المفقود..

يارا تسترجع قوتها ببطء، زيد بصمته المريب صحيح اختفاؤه بدأ يقل وتواجهه بينهم يزداد، لكنه ظل علي صمته المريب ومتابعته لميرا كظللها.. يوصلها للعمل ويعيدها للبيت رغم تدمرها لكن زيد يجيد مصالحتها، والأكثر عجباً وإثارة لضيقه ولا يعلم لم!!.. هو باسل ضيفهم الأسبوعي المستديم..

كل جمعة تصر الأختان على أن يقضي الوقت معهم، حتي أصبح من المعتاد رؤيته على طاولة الغداء اي يوم من أيام الأسبوع، وصداقته مع عصام تزداد قوة وقرباً..

إياد الحديدي أثبت أن العمل معه فرصة العمر، فكل العقود عادت وشركات أخرى كبرى، وأصبح الآن ينتقي من بين الأفضل للعمل معهم، أولي حملاتهم مع مجموعة الحديدي على وشك الانطلاق..

رن هاتفه بنغمة مخصصة لسارة ينبئ عن اتصال.. لن يرد
كالمعتاد فعلاقته بها انتهت للأبد، لم يحتج إلا مكالمة واحدة
من عمه مهاب بعد عودته من الإسكندرية، يخبره أن قصتهم لم
تكن لتنجح..

هو رغماً عن كل ما به من حسنات يخرج أسوأ ما فى فتاته من
سيئات، هو لا يخبر أحد عن رسائلها المتوالية أو اتصالاتها
المتأخرة دون كلام، سترك افتنانها به يذوي ببطء دون تدخل أو
جرح اضافي، ربما ستهداً الحياة ويتوقف الجنون..

قاطع تأمله الشارد دقائق خفيفة على باب مكتبه:

- ادخل..

-أسفة يا باشمهندس بس جالنا الفاكس ده من مؤسسة
الحديدي..

رفع عينيه لها متعجباً شبه غاضب.. ما المشكلة!!.. المراسلات
بينهم وبين ميرا لا تنقطع.. لذا ما المختلف؟!.. عقد حاجبيه
منتظراً إجابة على سؤال لم ينطقه:

- إمامم.. الفاكس مش من مكتب الأنسة ميرا.. ده من مكتب إيااد بيه نفسه.

- نعم!!.. وميرا فين؟

نطقها بضيق يتصاعد كل دقيقة عن الأخرى وتليفونه لا يتوقف عن الرنين.. لا يستطيع أن يتصل بأخته.. ففرغ غضبه بسهام الواجمة:

- روجي على مكتبك شوفيها لي فين؟!!

ورمى هاتفه أمامه على المكتب بحنق يكتنف صدره بقوة، خرجت وهى تتعثر، لم العصبية المستجدة بشكل مفزع!!.. حين استطاعت أن تتماسك أعصابها رفعت هاتف المكتب تتصل بميرا فى مؤسسة الحديدى.. بضعة كلمات وعتاب قاسى أتبعه صراخ من ميرا، ما بالهم كلهم علي صفيح ساخن لا يطيقون حك أنوفهم...!!

"بتبرطمي ليه يا سوسو.. زعلانة من إيه يا سوسو؟"

ففكرت وهى تدير عينيها بمحجريها.. كلهم علي صفيح ساخن
ما عداه.. السيد المرح، ردت وهى تحاول خنق ابتسامه تكافح
للظهور:

-الله يكرمك يا أستاذ عصام.. سيبنى فى اللي أنا فيه..

جلس عصام أمامها على كرسي مكتبها.. مازال يناوشها:

-إيه يا سوسو بس؟!.. في إيه!!.. قوليلى مين مزعلك وأنا
أنفخهولك..

رفعت أحد حاجبيها وأخفضت الآخر مع زمة شفاه ونظرة
تحدي:

-لا والله!!.. طب اللي مزعلني الباشمهندس هشام والآنسة
ميرا.. اتفضل أنفخ..

رفع عصام حاجبيه وانزلق أكثر فى كرسيه وهو يرد:

-مين؟!.. مالقتيش غير دول!!.. مافيش اختيارات أخرى؟

انطلقت ضحكاتها وهى تهز رأسها محاولة خفض صوتها:

- ممكن تمشي بقى!!.. مش طالبة زعيق تاني..

اقترب منها عصام بشكل متآمر:

- طب إيه رأيك.. قوليلي في إيه وليك عندي مفاجأتك إياها!!

رفعت عيونها له بتردد:

- لا مش عايزة.. يا تدخل يا تمشي.

غمزها وهو يخرج من جيبه لوح شيكولاتة من النوع الفاخر جداً:

- متأكدة!!.. ها يا خسارة.. تروح لصاحب نصيبها بقى..

أمام تعلق عيونها كطفلة بالقالب.. اختطفها عندما قربها منها

وهتفت:

- نفسي أعرف بتجيبها مين؟!.. لفيت عليها في كل حته مش

لا قياها.

فأشار لها بثقة بإصبعه لتستمر بالحديث:

فهز عصام رأسه بقلة حيلة:

- المشكلة فيه هو.. مش فيها هي..

أطرقت بعدم استيعاب:

- أفندم!!

رد عليها مسرعاً:

- ولا حاجة.. أنا داخله..

وقبل أن تناشده عيناها الكتمان أكمل:

- ما تقلقيش.. ما حدش حيعرف..

دخلت تصاحبها رياحها النارية الغاضبة.. حتى لم تنتظر باري أو

السيدة منى بالاستئذان لها أولاً.. لقد اقتحمت مكتبه:

- ممكن أفهم معناه إيه الفاكس ده؟!.. وأما هو الأمور سهلة

والفاكس يحلها لك؛ جايبني هنا ليه؟

لم يهتز إياد فقد كان متوقعاً دخولها.. بل الأصدق لقد خطط لحضورها.. هي تتحاشاه منذ أسبوع وهو يفتقد احمرار وجهها الغاضب، استدار لها بكرسيه يرفع لها عيون متسائلة حازمة:

-خير يا آنسة ميرا!!!.. أنتِ إزاي تدخليني من غير ما تستئذني؟
بعصبية ردت وهي ترمي له بأوراق عبر مكتبه:

-ماهو لما يبقي الحفلة اللي ريتي نشف أقول عايزين نعملها للإعلان عن حملاتنا الجديدة وأنت تأجل!!!.. ألاقى توبيخ وتلويح بتقصير ومبعوتلي علي مكتب أخويا مش علي مكنتي اللي بينك وبينه ما فيش خطوتين تبقي بتستهين بي...
قاطعها إياد وهو يهز رأسه بإشفاق كما لو أن من أمامه مبتدئة تستوجب عطف خبرته:

-أولاً اللي في إيدك إخطار إننا حنعمل حفلة.. اتأخرت قوي للإعلان عن شغلكم معانا ومتطلباتنا في الحفلة وانتظارنا للمقترحات في مدة لا تزيد عن يومين.. والحفلة تنفيذها في خلال أسبوع من وقت اتفاننا..

تركها تضيق عينيها تحاول قراءته وهو متلذذ بغضبها.. ثم أكمل
وابتسامة خبيثة ترتسم على شفثيه ببطء:

- وبعدين أعمل إيه!!.. مش أنتِ اللي مقاطعة مكثبي؟!.. حتى
لما بطلبك لمكثبي يا إما فى اجتماع يا إما بره مكثبك...
وزادت ابتسامته وهو يردف:

- قربت أفكر إنك مكسوفة مني من آخر مرة اتقابلنا فى
الأسانسير..

وغمزها فاختلطت حمرة خجلها بحمرة غضبها.. يكاد يرى
الدخان يخرج من أذنيها وهو منتشي لأقصى درجة..

تتنفس مغمضة العينين فسمح لعينه بالتجول على قدها المتفجر
غضباً أمامه، عادت لسراويلها وبدلاتها المملة ولم تعد ترتدي
تلك التنورة المثيرة ذات الفيونكة الخلفية وحذاءها الأسود ذو
الكعب العالي بنجومه الفضية، كهدية تنتظر صاحبها...

قاطعت تخيلاته مع ذكرى تنورة المصعد:

- حصل خير يا سيد إياد.. عمومًا مخططات الحفلة جاهزة من أسبوع فات.. حابعتها لك تبص عليها وتختار اللي يعجبك وأنا حأنفذ.. أي أوامر تانية!؟

نظر لها إياد من أعلاها لأخمص قدميها:

- حاليًا.. لأ..

التفت لتغادر وكعبها العالي يدق الأرض بنغم ناري فابتسم ابتسامة واسعة أسرع إلى إخفائها قبل أن يهتف:

-ميرا..

التفت له وهي تدير عيونها:

- أفندم خير!!

فاجأها سؤاله:

- هو ممكن رقم مروة؟

اتسعت عيناها باستنكار مجيبة:

- نعم؟

رأيتك عالم

شغيف وورث

وحين كرر سؤاله ببساطة وضعت ذراعيها في خصرها مجيبة:

- لا مش ممكن.. أنا مش مرسال الغرام، عايزه إبقى خده من هشام.. حاجة تانية!!

- امممم.. طب ممكن تعزميها وتحطيها على قوائم ال vip الخاصين بيّ قوي!!

عادت له بخطوات هجوم يحسدها عليها لاعبي هجوم دنفر برونكس في مباراة السوبر بول مرردة:

- مالكش دعوة بمروة أحسنك.. أنا باحذرك لآخر مرة.. إبعد عن عيلتي..

ابتسم لها نصف ابتسامة متسائلاً:

- خايفة عليها مني!؟

نعم هي تخاف عليها وبشدة.. رغم أنها أقواهم، أعنفهم وأقدرهم على حماية نفسها وقبيلة معها من الإناث؛ إلا أن ذاك الإياد لا يحارب بعدل أبداً.. ردت بعناد:

رأيتك عالم

شغيفتي وورتي

-منك أنت تؤول.. بس مش حاباها تدخل السجن بسبب عاهة
مستديمة لواحد زيك خصوصاً إنك مش ناقص..

انطلقت ضحكاته بقوة مجلجلة وهو يتمتم:

- حلوة.. لأ حلوة..

عضت على شفيتها مغتاظة وغادرته ورماد دمها المحترق يتطاير
خلفها.. مرت بباربي المتشفية حين استوقفها نداؤه من على
باب مكتبه.. فالسيد إياد قد لحقها متكأً على إطار الباب..
هاتفاً والابتسامة مازالت على وجهه:

- ما تنسيش ها .. vip .. وما تتأخرش عليّ في الرد يا ميرو..

أغمضت عيونها بألم.. ماذا سيظنون بها؟!.. وقبل أن تنقذها
قريحتها برد لاذع أسرع مدام منى:

-آنسة ميرو.. كابتن زيد سايبك خبر إنه مستنيك تحت أول ما
تخلصي..

رفع إياد حاجبه بحذر.. وميرا تنتفخ أوداجها وهي تجيب السيدة
منى:

رأيتك

شغيفت وارتح

- آه يا خبر.. نسيت معادي معاه!!.. ميرسي يا مدام مني.

وقبل أن تكمل أتاها صوته:

- آنسة ميرا.. أعتقد إن ده مكان شغل مش مكان لمقابلات
ومواعيد..

التفت له برأسها تتطاير حول وجهها خصلاتها وهى تبسم
نصف ابتسامة مسددة نظراتها بينه وبين باربي:

- آه سوري.. حضرتك فاهم غلط.. مش أنا بتاعة المواعيد
والمقابلات.. تؤول..

ونظرة أخري مليئة بالسخرية لباربي ثم أكملت:

- كابتن زيد ابن خالتي والأهم إنه شريك رئيسي فى شركة
الإدرسي اللى حضرتك بتتعامل معاها زيه زي هشام بالظبط..

أهدته ابتسامة ظافرة وختمت حديثها:

- عن إذذك.

ابتعدت بخطوات تلك المرة موزونة بنغمة.. هدف أمام عيون
مدام منى وساندي اللتان شاهدا أمامهما مباراة من العيار
الثقيل.. ونظرة إدراك مغلقة باتهام فى عيون إياد ستكلفها
الكثير.. الكثير جداً.

يوم الحفلة

بدأت الحفلة على أوجها، كل شيء فى موضعه بحرفية تامة،
الزينة متألقة والحضور كامل.. من كل أباطرة السوق والمال
وبعض من المشاهير لإكمال الشكل الاجتماعي الأنيق..

أكثر ما يبغضه بعمله هو تلك الحفلات.. تأفف إياد للمرة
العاشرة وعيناه تبحثان عن النارية، ترتدي ثوب اليوم بلون
عينها.. متألقه.. حين رآها مقبلة فى بداية الحفلة انعقد
حاجبيه.. ففستانها محتشم جداً.. بأكمام طويلة وتنورة واسعة
تصل لركبتيها برحابة.. وخصلات شعرها مموجة بعشوائية غجرية
متلاعبة..

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتحت

لكن حين التفتت وجد بصمة تمردها تظهر من تحت شال يحاوط كتفيها بحميمية، فالظهر حتي خصرها عاري بالكامل، سدد نظراته لمرافقها.. هو لا غيره!!.. الكابتن الوسيم.. تتأبط ذراعه ويبدو أنها في حماه.. فخلفها أخوتها الاثنان يرتسم على ملامحهم الغيظ وبالأخص هشام الذي تتأبط ذراعه يارا بفستان وردي ذو أكمام قصيرة وتطريز بني أنيق على حواف فستانها وأكمامها.. بدت رقيقة وبريئة حد الخيال..

التفت تجاه صاحبه يستكشف وجهه فوجده بعيداً منهمكاً بحديث وحين وقعت عيناه عليها تاهت منه الكلمات.. اعتذر لمرافقيه، مشدوه لفراشة وردية، ابتسم يتمنى أن يصح ظنه..

أقبلوا عليه وبدأوا في التصافح، والصخب والضحكات التي تشاركوها مع باسل أكد له ظنه عن اختفائه المتزايد في الفترة الأخيرة حتى أصبح يتصل به يستعجله العودة للمنزل، صديقه الماكر!!

رأيتك دائماً

شغيفتي ووردي

انتشروا فى الحفل ويارا متعلقة بذراع هشام وابتسامة سعيدة على وجهها، بدأ غضبه من ميرا يتبخر، فزيها المحتشم جداً من الأمام فاضح من الخلف.. ولولا حل زيد ونصيحته لها بارتداء شال كانت ستنتهي الليلة نهاية حالكة فوق رأسها، وصغيرته التي رفضت بتعنت الحضور معلنة جنون اقتراحهم دون تجميل او نكران، حقيقةً هو خشى أن يتحقق ظنها لكن ها هي تبسم بخجل، لا يظهر الخوف على محياها رغماً عن شعوره برجفة بسيطة كل فينة وأخرى بين يديه، وما يسعده حقاً أنها تحارب خوفها.. قلبه متخم منشرح.. أول حدث سعيد بتلك الليلة..

قبل خروجه من غرفته للحفل جاءه اتصال جعله يعقد حاجبيه والهم يتربع على صدره، مرتضى لم ينس!!.. يطالب برؤية العريس والحصول على معلوماته كاملة، وتجراً أن أعطاه موعداً نهائياً إن لم يظهر العريس المذكور سيأتي بكبار العائلة ليحددوا موعد الفرح وعقد القران.. فهي ليست بصغيرة ولا رامي ابنه.. ولا يحتاجون لتعارف تلك المرة..

رجفة هربت من سيطرته، تذكر بها يوم اختطفت من بين أيديهم وكيف كان حاله بل حالهم جميعاً!!.. حتى جاءه صوت زيد طالباً العون مؤكداً أنها بخير حتى الآن، من حينها ويارا لا تتحرك إلا بحضوره محاولاً لها، أخرجها من ظلمة أفكاره تربيتة من يدها على يده التي تتأبطها مبتسمة بقلق ومغممة بخفوت:

-مالك يا إتش أنت بردت!؟-

ابتسم لها بحنان ابتسامة واسعة حرما منها منذ حادثة السخنة:

-ما تقلقيش..

وأكمل مطمئناً:

-ما تخافيش.. كله تمام..

أكمل الحفل وهو يتعارف على رجال الأعمال وهي معه لا تفارقه، باسل تفرد بزيد جانباً يتحدثان باهتمام وعصام يغازل إحدى المدعوات، إذاً حان الوقت..

تخلص من مرافقيه بأناقة واتجه ناحيتها تلمس ظهرها في غفلة من الجميع.. لمسة اقشعر لها جسدها وامتلاً هو غبطة بتأثرها..

ارتعشت ابتسامتها واندمج هو بالحوار الحامي المشتركة فيه مع أحد رجال الأعمال وزوجته.. استأذنت منهم برقة واختفت..

عقله يتابع الحديث ولسانه يردد الكلمات الصحيحة وعيناه ترك لهما حرية تتبع خصلاتها الحرة المتراقصة حتى اختفت خارج القاعة، بحنكة أنهى الحوار متجهاً صوب آخرين ثم تفاداهم ليخطو في إثرها..

وجدها تقف بجانب الأشجار المتلائة تضم شالها حولها بقوة، ولدقيقة راقبها من تحت أحد الأشجار في الظلام شاعراً بالشفقة عليها فهو يحاصرها بشدة، حين التفت وراءها ظن أنها رأتة إلا أن ابتسامتها الواضحة بالتأكيد ليست له..

وبالفعل ظهر الكابتن الطيار، زم إياد شفتيه بحنق فالآخر يتبعها كظلها منذ أن رآهم بمسبح الشاليه، يمسد لها ذراعيها بحميمية ورافعاً ذقنها يهمس لها بكلمات لا يسمعها هو ثم قبل أعلى رأسها.. أتبعها ببضع كلمات أخرى وانصرف..

انتظر قليلاً حتى رآها تنكس رأسها للأرض من جديد، تلك المرة لا شفقة.. فهي تسعى لضمان أسهم زيد بلف ابن خالتها على

إصبعها الصغير، اقترب منها أكثر وأكثر حتى التفتت له فرأى
بعيونها لمعة تتراقص تحت الأضواء، بخطوة كان بجوارها وهي
تشهق متمالكة نفسها:

- خير يا سيد إياد!!.. في أي مشكلة في الحفلة؟

ظل يحدق فيها وأضواء الحفل المترابطة على الأشجار تساعد
بشدة، فغمغم وهو يقترب أكثر:

- متضايقة له؟

اتسعت عيناها لاهتمامه الغير مسبوق.. أي شيء يتعدى أفكاره
المنحرفة، أردف:

- مالك!!.. هو في حد زعلك أو ضايقتك؟

ارتفع حاجبها لآخر مدى.. لكن ملامحه الصارمة تؤكد جدية
حديثه؛ إذًا هو جاد:

- أنت بتتكلم بجد!!.. بتسألني!؟

عقد حاجبيه بشدة محاولاً النفاذ لداخلها:

-إيه اللي يمنع سؤالي؟

نظرت له كأنها تنظر لكائن خيالي:

-وتصرفاتك الغريبة معايا!!.. تقدر تقولي مين إداك الحق

تلمسني كده في الحفلة؟!

اقترب منها أكثر حتى أصبح يشرف عليها لا تبعد عنه إلا

سنتيمترات ضئيلة، متسائلًا بخفوت:

-ده اللي مزعلك!!

ردت بهجوم ولهجة قوية ناقضت ارتفاع وانخفاض صدرها..

ابتلاعها لريقها من اقترابه الأكثر من اللازم.. لكنها لن تتقهقر:

-أيوة.. وعازيز تعرف إيه كمان مزعلني؟!.. قربك مني بالشكل

ده وكلامك ليّ في وسط الناس اللي دائما ليه معنى ما حدش

يفهمه غيري، بتبيح لنفسك اللي مش من حقلك.

انتهت من كلماتها وهى تلهث لا تعلم من الانفعال أو الغضب أو

ربما توتر.. لا تعرف له معنى، فوجئت بيه يمد يده يمسح عبرات

لم تكتشف هروبها من عيونها إلا بعد أن مسحها بإبهام كفيه:

- خلاص خلصتِ كل اللي جواكِ!!

لمسته برقة وحنان لوجهها ألجمتها.. عيونه المتسمرة والآسرة
لعيونها جعلتها تشعر بالتيه.. لمعة واحدة بعينه.. لمعة ظفر..
جعلتها تفيق وابتعدت عنه برأسها فى ثوان مغممة بعد أن
تمالكت أنفاسها:

- آه خلاص.. من فضلك خلي التعامل بينا عملي وفى نطاق
الشغل.. حضرتك كنت عايز إيه؟

ابتسم لها نصف ابتسامة ثم أخبرها بهدوء:

- زي ما تحبى.. بس بلاش ألقاب.. لا حضرتك ولا سيد دي..
باحسك بتشتمينى ليه ما أعرفش!!

لم تستطع كبح ابتسامتها التي تجلت على ملامحها وهى تهز
رأسها موافقة فأردف:

- تمام كده.. اللي عايزك فيه بقى سؤال مهم جداً لى.. هي فين
مروة؟!.. ماجاتش ليه وصلتها الدعوة؟

نظرت له لتجد ملامح البراءة على وجهه بشكل مستفز لأعصابها
فابتسمت ابتسامة باردة مجيبة:

-آه نسيت،، مروة بتعتذر.. عندها تمرين مهم ما ينفعش تغيب
عنه وأنت عارف علشان تحضر لازم تيجي من إسكندرية..
أمال رأسه وكأنه يتذكر:

-آه قصدك اختبار تلاميذها فى الأيكيدو!!.. إزاي فاتتنى
دي؟!.. كانت قايلة لي عليه.

ازداد حنقها واتساع عينيها فدمدمت من بين أسنانها وهى تتركه
مغادرة:

- عن إذنك داخلة الحفلة .. ما يصحش نغيب عنها طول المدة
دي..

وكما يحدث بالأفلام.. كعبها إلتوى داخل حشائش الحديقة..
شهقت وهى تتخيل ملاقاته الأرض فى ثوان.. لتتشلها أيدي قوية
وحضن دافئ بعطر مشير.. رفعت عينيها له للحظات..

هي بين أحضانه.. رأسها قرب كتفه والفضل لكعبها.. لحظات اندمجت فيها زرقه عيناها الفيروزية بحلقة عينيه.. الأضواء المتلألئة أضفت على زرقتها لمعة أشعرته بالرغبة في الغوص فيها عميقاً.. بالتمتع بناريتها.. في الاقتراب أكثر وأكثر للتذوق.. حتى وإن كان لمرة واحدة!!

ظلال القمر تتحالف مع سواد عينيه تضيء مزيجاً رائعاً على لون حدقيه الأسود.. تجعلها تشعر أنها تسقط.. تسقط في بئر عميق آمن.. صوت عال من جانب القاعة جعلها تفيق وانتهت اللحظات حين همس لها بعث ولهجة خشنة:

- هو أنا قولتلك قبل كده إني بحب الكعب العالي!!

دفعته في صدره بقوة.. اعتدلت واقفة بحدة وهي تبرطم بلعنات وسباب جعله يرتج من الضحك وهي تتوجه بخطى سريعة نحو القاعة، مرت بطريقها بزيد وعصام اللذان توقفوا عن الحديث وسأله زيد:

-أختك مالها مش طبيعية؟

رد عصام:

-المفروض أنا اللي أسألك.. أنت اللي معاها على طول الأيام دي..

أجابه زيد بغموض:

-لا بس من بعد ما رجعنا من السخنة حسيتها محتاجة كتف.. زي ما تكون شايله هم وأنت عارف أنا أقرب واحد ليها..
سأله عصام بتعجب:

-أنا نفسي أعرف بتعدي من جنانها وعصبيتها إزاي؟!..
وموضوع توصيلها كل يوم ده رايح جاي؟
ابتسم زيد مردفاً بضحك:

-بالرشوة..

هز رأسه حين انفتحت عينا عصام مكماً:

-أختك بتموت في الجزم.. كل ما تتقمص أديها موبايلي تدخل تنقي لها جزمة ولا اتنين.

رايك راجع

شغيف وورح

ضحك عصام وهو يمازحه باستنكار ضاحك:

-آه.. وحتعلن إفلاسك إمتى إن شاء الله!!

اشتركا في الضحك قبل أن يرد زيد:

-لااا.. إفلاس مين!!.. عيب.. البركة في فرانسوا وصاحبته..

الموديل أبعثهم الصور ويجيبوها لي بأرخص الأسعار..

-آه يا ابن الدين.. بس ما كملتش.. صحيح فرانسوا عمل إيه؟

-زي ما باقولك.. فرانسوا راح جايلها ورد وشيكولاتة.. جو

رومانسية بقى.. راحت قلبته الفالنتاين جحيم على دماغه..

كانت متوقعة هدية خاتم سوليتير من العيار الثقيل.. راسمة على

جواز..

انطلقت ضحكات الاثنان سوياً قبل أن يتوقف زيد مرة واحدة..

فأمامه إحدى حوريات القمر جاءت تفرض هيمنتها على

الساهرين بثوب أزرق داكن كلون سماء الليل الحالكة التي أنارها

خصلات شعر فضية بشكل غريب.. هي إما من أصول أوروبية أو

مصطنعة بشكل متقن مشير.. مع وجه برونزي وجسد منحوت
وشفاه قرمزية شدت انتباهه بالكامل.. لكزه عصام:

-إيه!!.. مالك؟!.. بلمت ليه!!..!!

وحين التفت هو الآخر رأى تلك الجميلة الصارخة.. لكن عندما
وقعت عيناه على شعرها اشمئز ساخرًا:

-إيه خالتي الحاجة دي!!.. دي لو طلعت لجوزها بالليل يجيله
صرع.

لكزه زيد:

-بس أنت إيش فهمك؟!.. خليك في حالك.

هز عصام كتفيه بلامبالاة وزيد يراقبها بترقب مشير.. تبحث عن
أحدهم ولا تجده، تعاقب التلف أتبعة خيبة الأمل على وجهها
كالقمر في شفافية ضيائه.. بعد بضعة دقائق طويلة توجهت لرجل
كبير في السن معه زوجته.. وحين دقق النظر؛ صاحب مؤسسة
الحديدي نفسه.. الأب الأكبر عبد العزيز بيه..

بعد تحيات رسمية وبضع كلمات بحثوا جميعاً بعيونهم وهو متأكد من بحثهم عن إياد.. محظوظ هذا الإياد.. أيا ما كانت صفته بالنسبة لها، ثوان واستسلموا.. تهدلت اكتاف حورية القمر من خيبة الأمل.. ابتعدت عنهم وحيدة فأسرع خلفها زيد.. لا يعلم لمَ أو كيف!!.. لكنه منجذب وبشدة.

هي وحدها جالسة على كرسي بجانب إحدى الطاومات، فهشام منشغل مع مجموعة من رجال الأعمال وكلهم رجال لذا طالبها بالانتظار قريباً منه.. تغلق كفيها على ما أعطاه لها معتذراً عن اضطراره لتركها.. لكنه لا يستسيغ وقففتها مع مجموعة من الرجال حتى وهو معها.. فوجئت بصوت يخترق وحدتها:

-إزيك!!.. قاعدة لوحدك ليه؟

التفت للصوت المؤلف بابتسامة:

-باسل.. إزيك؟!.. لا أبداً.. أنا مستنية هشام يخلص كلام.

ابتسم لها بحنان ودفء:

-تسمحي لي أقولك إنك النهاردة زي القمر!!

تلجلجت وعضت على شفثيها بتوتر.. مغازلة!!.. منذ متى لم
تستمع لمغازلة من رجل!?:!

-تسمحي طيب تقبلي مني دي!!

ووردة أيضاً!!.. يهاديها بوردة بلون وردي، رفعت كفيها لأعلى
الطاولة مغممة ببساطة:

-بس أنا معايا وردة.. هشام إداهالي..

وفتحت يديها أمامه مظهرة وردة حمراء مخملية مورقة وحمرتها
منعشة، فسألها برقة:

-ينفع تلاقي لوردتي مكان معاك!!.. ولا حتكسفيها!?:!.. أظن ما
حدش يقول للورد لأ..

احمرت وجنتاها بشدة، هزت رأسها بموافقة خجلة فمد يده
ووضع وردته الرقيقة بجانب وردة هشام الكبيرة على كفيها..
وقتها ظهر هشام يضع يده على كتف يارا:

- شكراً يا باسل إنك خدت بالك منها لحد ما خلصت.. تعبنك
معانا..

رد باسل ببساطة:

- بتعتبر قعدتي مع يارا تعب؟!.. ده شرف ليّ.

غمغم هشام بضيق لا يعلم له سبباً:

- طيب عن إذنك.. إحنا خلاص حنروح.. خرينا نشوفك.. جاي
الجمعة مش كده!؟!

أجابه باسل بإحراج:

- خلاص بقى موعد رسمي.. والله محرج منكم.

ابتسم له هشام بمودة وشفقة يخفيها جيداً لكنها لا تمنع ضيقه
المتنامي منه، في حين ردت يارا بنعومة:

- بالعكس روكا وأمولة حيزعلوا جداً لو ما جيتش.. إوعى تفكر
تعذر.. أنا حذرتك أهو.

اتسعت ابتسامته لها وبعيونه لمعة لم يتلعتها هشام وهو يجيبها:

- خلاص.. حاسم كلامك ومش حاعتذر..

أنهى هشام الحوار مسرعاً.. يجمع إخوته، فالحفل شبه انتهى وهو راغب بالرحيل من هنا بأقصى سرعة ولا يعلم السبب!!

إياد يجلس على يخت صديقه من جديد، ولكن تلك المرة بمصاحبة مهرة فقط فبعد أن غادر الحفلة حين لمحها آثراً السلامة في حفلة مهمة جاءه هاتفه برنين رسالة؛ فأبيه لم يكلف نفسه عناء الاتصال.. مفادها أنه مطلوب لاجتماع عائلي طارئ في فيلا الحديدي

اضطر للذهاب ليجد أمه وأباه سوياً متحدين ضده دوماً كلما حاولا اقناعه بشيء يبغضه، وجاءه قرار الحديدي الكبير:

- قدامك أسبوع تجهز نفسك حنروح نخطب ناريمان من أبوها ونقدم شبكة ونتفق على ميعاد الفرح، القرار المرة دي اجباري مش اختياري يا إياد.

- حضرتك حتجبرني اتجوزها!.. طب ازاى إذا كان البنات بطلوا يتغصبوا على الجواز حتغصبني أنا...!!

رد أبوه بصلافة وقوة وأمه تهرب من مواجهة عينيه:

- اديتك فرصة الاختيار وأنت ضيعتها بلعبك، الحياة ما بتديش الفرصة مرتين، مش حاجبرك لكن حاديك اختيار تاني؛ يا تنفذ كلامي وتتجوز قبل نهاية الشهر ده.. أنا عايز حفيد وريث اشيله أنا وأمك قبل ما نموت، يا اما موضوع رئاسة مجلس الإدارة حيبقى فيها كلام تاني بمعرفة جميع أعضاء مجلس الإدارة

- أنت اللي وراء دخول أشرف المؤسسة ومكتبي بالجراءة دي مش كده؟

رد عبد العزيز بصراحة قاتلة:

- حبيت ادوقك حتحس بايه لما اللي من حقك يروح لغيرك بسبب أنك تقاعست أو غلطت في الاختيار.. أنت عارف أن المؤسسة مش فلوس واسم وبس، لا... دي سمعة وكيان أنت

نفسك شاركت فيه.. عايز تسبب مجهودك لغيرك براحتك..
 آديني باديك لتاني مرة حق الاختيار ما تضيعوش..
 وتركه وانصرف

ها هو بين المطرقة والسندان؛ ترك مجهوده منذ يوم دخوله
 الجامعة بالعمل وتنمية المؤسسة بجهدده وعرقه لأشرف او الزواج
 بال....

لن يذكر اسمها..

غادر عاصفاً فالاجتماع انتهى كما توقع له نهاية مدمرة..

حينها اتاها اتصالها الملح وها هو جالس أمامها يتأفف من
 مماثلة مهرة له فزفر وهي تناوله كأس من عصير مثلج:

- ايه ده!.. مش عايز يا مهرة.. أنا عايز أفهم أنتِ عايزة ايه؟..
 الأمر المستعجل والضروري؟

ابتسمت مهرة وهي تتناول يده تفردها وتضع بها كأس العصير
 وتركه وتجلس أمامه متقاطعة الأرجل تلتقط مشروبها الروحي:

- اشرب يا إياد وصدقني لما أقولك أن الموضوع مهم ومحتاج أعصابك تروق.

زفر بحدة يضع كأس العصير أمامه على الطاولة بنزق:

- انتِ عارفة ما بشربش كحول.

ابتسمت نصف ابتسامة ماكرة:

- ده عصير بيور أنا عارفك أكثر من نفسك.

أطلقت تنهيدة قوية عميقة قاطعت كلماتها قبل أن تكمل:

- موضوع يهكم ويمس سمعتك..

تأهب إياد لها واتسعت عيونه بحزم وقلق فأخر مرة مهرة تكلمت معه لا ينساها ولا تمنحي من عقله أبداً، ذكرى حية لا يتوقف عرضها في عقله..

شد جذعه للأمام قليلاً سانداً رأسه على كفيه المضمومتين أمامه.. لن يجعلها تري توتره ستكبده الكثير:

- خير هاتي اللي عندك؟

وضعت كأسها بأناقة على الطاولة ومدت أصابعها تفتح حقيبتها
الأنيقة مخرجة منها مظروف وطوحته أمامه على الطاولة بينهما
فانفتح المغلف وانطلقت صور للقطات..

هي.. هي.. نفس الحركة والمغلف..

ابتلع ريقه بضيق يجثم داخله متربصاً الفرصة وقد جاءت ولكن
ممن الطعنة تلك المرة؟..

فعلاقته المهمة مع النساء تحمل الرقم صفر.. حين توصل عقله
لهذا اطمأن مد يده بلامبالاة يدقق بالصور صورة تتلو الأخرى..
صور حفلة اليوم منذ ساعات قليلة ماضية، هو ببذلته التي مازال
يرتديها وبين أحضانه هي..

دقق بالصور أكثر وأقرب الصور تبدو كمن يتبادلان عناق حميمي
حار، حار جداً..

عقله يعمل بسرعة صاروخية وخارجه برود صامت فهي كالقروش
لو اشتمت دماء لن تهدأ الا حين تفترسه، بلقطات أخرى صورة
وجهها ووجهه واضحة جداً رمى الصور على الطاولة من جديد:

- أيوه وبعدين؟

رفعت له عيون اعتادت اللعب معه كثيراً، وبمهارة في إخراج الحقائق:

- الصور دي جابهالي صحفي مغمور نفسه في فرصة، وطلب مني أنشرها في الجورنال بكره، لو أنا رفضت حتلاقيها في الطبعة الثانية أو الثالثة بالكثير في كل المجلات والصحف الثانية وأنت ما ترضاش ليا أني أكون آخر الصف.

ضيق نظراته وهو يريح ظهره على ظهر الصوفا، يماطل حتى يترك لعقله وقت لإيجاد حل ومنفذ سريع:

- لا إزاي!.. مهرة لازم تبقى السبق والمطلوب مني؟

هزت كتفيها بنعومة ودلال وهي تبتسم:

- احنا أصحاب جيت أطلب تعليقك علي الصور.. ما حبتش اسيب الصحفي لخياله وخاصة إن الصور موحية قوي.. مين دي يا إياد؟

صمت مد يده لكأس العصير يرتشفه على مهل وعينه تجري على الصور يتذكر تلك اللحظة بتفاصيلها، ثم مد يده لإحدى الصور التي لفت انتباهه نظرتها إليه ونظرته إليها صورة جانبية لكليهما أشبه ببوسترات الأفلام الرومانسية..

قاطع تأمله اتصال ورحب بالإلهاء فعقله ما زال يعمل دون كلل سعياً وراء خروج آمن ليجده ليث صديق المهمات الصعبة فغمغم وهو ينهض:

- عن إذنك حأرد تليفون مهم.

ولم يكذب فليث لا يتصل إلا عند الأمور الهامة:

- إيااا.. ازيك أخبارك وأخبار باسل ايه؟

- تمام بخير.. أخبارك أنت ايه؟

- تمام لا جديد.. مبروك الحفلة واضح أن الحوار اياه أدى الغرض.

ابتسم إيااا مرتشفاً من عصيره مردداً:

- كالعادة ١٠\١٠

- طيب كويس عمومًا أنا عندي اخبار تخصصهم حسيت أنها ممكن تهملك.

اهتم إياك وتنبه:

- خير؟

- واحد من عندي وصله إن أشرف بيدعبس وراهم وبالأخص البنت.

ضاقت عيون إياك بحدّة:

- أنهى بنت فيهم؟

صمت لثواني قبل أن يكمل:

- ميرا منصور الإدريسي.. بص هو طالب معلومات عنهم جميعًا بشكل عام وعنّها هي بشكل خاص.. أنا قلت هما يهموك ولازم تعرف وخاصة أن لعب أشرف ماليش فيه.

صمت إياك وعقله يفكر فيما يريد معلومات ولما هي بالخاص؟

نظرية أن هناك من ينقل أخباره له أولاً بأول تتعاضم بعقله
ويحتاج للحديث مع باسل..

نداء أنثوي باسمه قاطع أفكاره فغمغم لمحدثه:

- طب سلام أنت دلوقتٍ.. وماطل معاه لحد ما أديك اوكيه.

التفت لها وعيونه لا تبصرها فغمغت بتزق وهي تنظر لساعة
يدها الغالية:

- ممكن ترد عليا علشان كده المطبعة متعطلة.. ممكن بقي
تقولي مين دي؟.. ومدى صلتها بيك؟ عندها أضاء عقله
بفكرة جهنمية تستدعي اللعب بحرص وذكاء حتى يضمن الفوز
الكامل دون نقصان.

يتذكر مهرة وهي تسأله:

"ممكن بقي تقولي مين دي؟ ومدى صلتها بيك؟"

الفكرة اختمرت بعقله في ثوانٍ، أغمض عينيه يرسم بها نظرة
عاشق متميم، وأجاب بنبرة مبسوطة:

- مهرة أنتِ صديقتي أقدر أعتد عليكِ في سر؟

هزت رأسها بتوجس:

- أكيد

تنهد تنهيدة واضحة:

- واحدة تهمني قوي ولأنها بتشغل عندي مش حابب سمعتها

تيجي في الجرايد ممكن يا مهرة تقديمي الخدمة دي؟

نظرة صامته قاتمة في عيون مهرة السوداء تتغمده وهو يتلاهي

عنها بمراقبة الصورة والنظرة التي لفتت انتباهه وحدث التأثير

المرجو هي ظنته عاشق فغمغت باستنكار وصوت مختنق:

- بتحبها يا إياد؟

تنهد تنهيدة قوية مع نصف ابتسامة وصمت جعلها تنتزع حقيبتها

من على كرسيها بضيق، وهي تغمغم من بين أسنانها:

- ربنا يسهل اللي اقدر عليه حاعمله

أسرع يمسكها من مرفقها يقربها إليه هامساً:

- ده طلب خاص مني وعائز وعدك

اتسعت عيونها بدهشة وتعجب متسائلة:

- للدرجة دي؟

فأردف مترجياً بلهجة خشنة:

- مهرة!

زفرت بحنق تنتزع مرفقها من يده:

- حاضر يا إياد وعد مش حانزل صورها عندي؟

طالبها مؤكداً:

- ولا اسمها؟

فرددت وراءه:

- ولا اسمها عن إذنك بقي ورايا شغل.

خرجت من اليخت بحدة واتسعت ابتسامته بجذل شديد فالبيادق
تتراص كما يشتهي، ابتسم لنفسه مردداً..

"تجري الرياح بما أرادت لها السفن"

عاد إلى الصور التي تركتها له ربما كذكرى وبخاصة لتلك التي
مازالت بين يديه يلملمها في مطروفها ويضعها بجيب معطفه
الداخلي وغادر.

في الصباح ظهر الجميع على الإفطار ما عدا عصام الذي استقبل
مكالمة هاتفية في الصباح الباكر.. كبير عمال المطبعة يطلبه
بالحضور العاجل جداً، وهشام يحاول أن يجد طريقة يفاتحهم
بموضوع مرتضى، استجمع شجاعته:

- في موضوع عايز أكلمكم فيه.. مرتضى كلمني إمبراح شاكك
إننا كنا بنضحك عليه.. عايز يا إما يكون في خطوبة يا إما يبجي
يخطب يارا في أقرب وقت!!

طال صمت الجميع فأكمل بهدوء:

- أنا قلت أقولكم علشان نشوف حل.. زي ما قلت قبل كده مش
عايزين مرتضى يشغل دماغه معانا ويقرفنا..

رد زيد ببساطة وابتسامة:

رأيتك دائماً

شغيب وورح

- ولا مشكلة ولا حاجة.. أنا عندي الحل..

التفت له الجميع عاقدى الحواجب وفسرتها خالته:

- حل إيه يا زيد!!.. ما ترسينا يا ابني؟

- ولا حاجة يا أمولة.. يارا جالها عريس.

رجفة ملحوظة ارتج لها جسد يارا، هشام صامت صمته الذي يسبق عواصفه.. تتلاعب فى عيونه براكين غضبه وروكا تتسأل:

- مين يا بني اللي جاي لأختك وإحنا ما نعرفش عنه حاجة ده؟!..!

ابتسم بمرح:

- إزاي بقى ما تعرفوش عنه حاجة!!.. ده تقريباً بقى من العيلة..

آمال نظرت لابنها هشام.. فمن صمته وتكتيفه ذراعيه قلبها ينبئ أن القادم سيسوء للغاية.. تمتمختها التوأم روكا من جديد لابنها زيد بتساؤل:

- تقصد مين؟

أفصح زيد عن مقصده بسلاسة:

- باسل.. ومش من يوم ولا اتنين، بقى له شهر وشوية طلب إيدها وأنا قولتله نستنى شوية لحد ما ياخدوا على بعض..

لم يعلم أي من الحاضرين كيف انقلبت الأحوال!!.. فبين غمضة عين وأخرى انقلبت المائدة بعيداً وزيد أصبح بين براثن هشام يصرخ به متوعداً:

- بتقول إيه؟!.. طلبها للجواز ومن شهر.. وأنا آخر من يعلم!!

رد زيد بدهشة وتعجب لا يمت لهما الخوف بصلة:

- مالك يا هشام في إيه؟!.. كويس ومحترم ودخل بيتنا وعارفينه.. أحسن حل لمشكلتنا.

شرارات غاضبة تطايرت في الهواء وكأنها نيران استشرت في الجميع..

هي تبسمل وتحوقل، تخبط على صدرها بخبطات منغومة بنغمات الفرقة، وأختها الصلبة تحاول فصل الاثنان عن بعضهما بقوة..

رأيتك دائماً

تخبطت وارتج

ابنتها منهارة على أحد الكراسي تبكي بحرقة تغطي رأسها
بيديها، وابنة أختها تحاول تهدئتها بتربينة كتف آلية، مفتوحة
الأعين.. فما تشاهده أمامها لم يحدث في عائلتهم من قبل،
خرج صوت الكبير:

- أنت اتجننت!!.. إزاي يبقى طلب منك كده وتسبيه يدخل
ويخرج عادي؟!.. إزاي تقبلها؟!.. إزاااى؟

أنهاها بصراخ حاد وعالي موجهاً له شتائم نابية مؤذية وجارحة،
وهو أمامه يرغي ويزيد.. يرد بوجه محمر من الغضب:

- مالکش دعوة بينا.. أنا عارف باعمل إيه كويس، أنا عملت
الصح واللي فيه فايده ليهم هما الاتنين.. بتلومني علشان شيلت
مسؤوليتي اللي بتطالبني أشيلها من زمان!!.. أديني شيلتها.. أنا
مش فاهم إيه اللي مضايقت!!

التفت له بعيون مشتعلة بالغضب:

- أنت بترميها وبتقولي إيه اللي مضايقت؟

نظر له الآخر مسدداً ضربة موجعة بنظرات متمردة قاسية:

- مش أنا اللي رميتها..

لكمة كانت الرد الصارخ.. مع صرخات وعويل وبكاء متعالي
حتى فوجئوا بدخول عاصف عنيف:

- أنتِ يا هانم.. أنتِ فين؟

ثانية واحدة حدد مكانها واتجه إليها.. صفعه قوية، وحين تعالت
صرختها مصحوبة بشهقات الاستنكار ألقى بما في يده..
بضعة جرائد ومجلات ترسم صورة أخته المصون بأحضان
غريب.. يتبادلون القبلات وأتبعها سقوط مدوي..

الفصل الثاني عشر

"حرب قبيحة وغير عادلة بالمرّة تلك التي يخوضها من يحاولون
خنق صوت الضمير بأنفسهم"
-ليو تولستوي-

الضمير هو صوت الروح
لا تحمله فوق ظهرك فيكسر ك ثقله
ولا تثده بنفسك فتتوه عن روحك
صاحبه وأنصت له فيكون لك أعظم الدروع

ظل جالساً بسيارته لا يعلم كيف أو متى وصل بها أمام فيلا أبيه، فهو بعد أن انتهى من تحريك بيادقه كما يريد وترك يخت صديقه، كان يبغى العودة للمنزل؛ لباسل، فوجد نفسه دون سابق تخطيط يقف أمام بوابة فيلا "الحديدي" على الجهة الأخرى من المدينة..

لمَ اليوم بالذات قاده نفسه لمنزل طفولته لا يعلم!

هناك غصة تتعالى بداخله رغم الفوز الساحق المنتظر، فرك جبينه بأطراف أصابعه بقوة، هناك شعور يتعاضم بداخله، يستولى على كيانه، هو قد نساها بمكان ما من ماضيه..

صوت بوابة الفيلا تفتح وترحب حار من حراسة الفيلا أيقظه من غفوة مقبضة غريبة على نفسه، فاستعاد إياد نفسه ورسم ابتسامة مدروسة ودلف للفيلا مسرعاً لغرفته القديمة..

ظل يتقلب على فراشه، فبعد أن أرسل لباسل رسالة مطمئنة عن مكانه، ظل بفراشه محققاً بسقف غرفته، وذاك الشعور البغيض يعاود الظهور بقوة ملتهماً راحته وصفاء ذهنه..

وبين غفوات متباعدة يستيقظ منها على عيون زرقاء لائمة فزعاً،
عقله يعمل بقوة فكل ما حدث وسيحدث بصالحه لما الأرق؟
أهي نبضات القلق أم أنين بقايا ضمير؟

فقد إحساسه بالوقت حتى تسلت أشعة الشمس ومعها أسرع
بالتجهز للخروج سريعاً، لن يكون إياد إن سمح لشعور سخيّف
بالانقضاء على مخططاته..

سيتوجه لذلك المطعم الراقى على ضفاف النيل يتناول إفطاره
بهدوء مستعيداً شتات عقله!

وبين عبق القهوة والفطائر الفرنسية المطعمة باللوز وعلى نغمات
سيمفونية فيفالدي "المواسم الأربعة" امتدت يده لتصفح
الجرائد باللغات الفرنسية والإنجليزية والعربية،

ليجد صوره مع ميرا تتصدر الصفحات الأولى، لا يعلم أهي
سخرية أن تتزامن مطالعته لصورهما والتلميحات المبطنة بعلاقة
ما مع النوتات العالية لكمان مقطوعة الصيف! عيونه تجري
بسرعة تلتهم الكلمات كما تخيلها تماماً..

لما القلق!! كل سيحدث كما رتب له..

سيخطبها لفترة قاطعاً الأقاويل ومنهياً سخافة موضوع ناريمان
المتجدد دوماً، فترة وستنتهي بدون خسائر للجميع..

تلك النغمات المتعالية تثير بداخله مشاعر لا يرغبها..

قاطع صراع بين تأنيب ضمير يكافح للظهور وقسوة ظافرة مريحة
اعتادها، رنين من هاتفه يحمل اسم باسل، وفجأة تلتقت قسوته
ضربة موجعة قاضية معلنة انتهاء الجولة لصالح الضمير.

سقوطها المدوٍ وصرخات فزعة؛

"ماما"

"خالتو"

أو "آمال"

اختلفت الأسماء والمقصد واحد..

أسرع لها زيد أقربهم لها يحملها،

عصام تجمد لا ينبئ عن حياة بداخله إلا لهائه الغاضب ودقات قلبه المتصارعة بجنون،

تجمد هشام للحظات وحين رأى خالته تساعد زيد وأمه محمولة فوق كتف غيره،

أسرع لها يساعده في حملها ويجعلها تتوسد الفراش مصدراً للأوامر بريادة هي طبعه:

- زيد.. خلي عصام يكلم حد من أصحابه الدكاترة يجي بسرعة

هزة رأس متفهمة من زيد وتربيته منه على كتف هشام مغمماً:

- حاضر.. ما تقلقش إن شاء الله حتكون كويسة.

وأسرع خارجاً لتنفيذ ما طلبه، ملقياً نظرة لوم على الباكية،

بعيون قلقة يتأملها هشام فهي أكثر من أمه، هي مثل أعلى له بعد

أبيه، هي القوة والصمود بحياته، هي أكثر من تفهمه بالحياة

اغرورقت عيناه بالدموع وتسلى لغيمة أفكاره صوت بكاء

بشهقات عالية لا تصدر إلا من صغيرته العنيدة، وابتهالات

بأدعية تطلب النجاة تتعالى عبراتها من خالته مع محاولاتها
الحثيثة لإفاقة توأمتها

أخذ نفساً عميقاً وقال بصوت مختنق حاول اجلاءه قدر الإمكان:
- يارا.. خوديتها من هنا على أوضتها دلوقتِ.

صمت حاد ساد الغرفة فكلماته أشد وطأة من صور أو فضيحة،
وكأنه دماغها بحكم الخطيئة بلا سؤال..

اتسعت عيون ميرا ذهولاً وتوقفت أنفاسها بصدرها، ارتعش
جسدها مرددة بعقلها
"لا.. لا.. حتى أنت!"

أسرعت يارا التي احتضنتها فور وقوع خالتها على الأرض،
وحتى حين تبعوا زيد وأمها وهشام حاملين آمال للغرفة ظلت
محتضنة اياها، وفور سماعها أمر هشام وارتعاش ميرا بين يديها
أسرعت تهمس في أذنها:

- يلا يا ميرا تعالي معايا..

نظرة عدم تصديق واستنكار علت عيون ميرا وهي تنظر ليارا التي
أهدتها نظرة كانت تحتاجها بشدة، نظرة تصديق، طمأنة وإيمان..
تركتها تقودها خارجاً، وأحلام تغمغم:

- لطفك يا رب.. لطفك وسترك.

وحينها انغرز بقلب هشام سهم دامي حتى ميرا لم ينجح في
الحفاظ عليها.

انتهت الطبية من فحص آمال، وخرجت بالتشخيص؛ ضغط
عصبي قوي مع ارتفاع حاد بضغط دمها أدى لإغمائها..

أنهت حديثها بتوصية بفحوصات طبية ومرعاة عدم اغضابها أو
إثارة أعصابها الفترة القادمة..

وحين ارتفعت الأصوات بطلب رؤيتها ردت بحزم قاطع:

- آسفة.. هي محتاجة للراحة ورافضة تقابل حد نهائي ما عدا
مدام أحلام بس.

رأيتك

تشخيص وارتاح

أسرعت أحلام لتوأمتها، فقد صدر حكم آمال بالعقاب للجميع،
موزعة الشعور بالذنب عليهم بإنصاف.

دخلت أحلام لتوأمتها رفيقة دربها منذ لحظة التكوين، فرغم
أنهما متماثلتين في كل شيء عدا الطول إلا أن آمال مع سقوطها
ظهرت تجاعيد غريبة على وجه أختها تنغص محياها الجميل..

ربت عليها برفق، ففتحت آمال عيونها الزرقاء المتعبة مرددة
بثقل:

- كلهم برا يا روكا؟

هزت أحلام رأسها بالإيجاب مردفة:

- سلامتك يا أمولة.. دول شوية ضغط وحتبقي زي الحصان.

أشارت لها آمال برغبتها في الماء، فأسرعت تسندها تسقيها بضع
رشفات من الماء مكملة تحاول بثها طمأنينة:

- ما تقلقيش على الولاد شيطان ودخل بينهم شوية زعل
وحيروحو لحالهم يا أمولة.

بعد أن انتهت من ارتشاف الماء هزت رأسها برفض أو ربما
بقنوط، فتلك المرة مختلفة هي تشعر بذلك بأعماقها، لذا
اتخذت القرار فهمست آمرة:

- عايزة حورية.

ربت أحلام على كتفها مطمئنة:

- آه يا حبيبي.. دلوقتِ اخليكي تكلميها، أنا ما رضيتش أقولها
حاجة علشان ما اقلقهاش.

هزت آمال رأسها من جديد برفض قاطع وفتحت عيون رغم
إرهاقها حازمة صارمة:

- لا يا روكا هاتيلي حورية، أنا عايزاها.

عقدت أحلام حاجبيها بقوة واندهاش، وبررت آمال لأختها:

- خليها تيجي تلحق العقد قبل ما يفرط منا.

وهنا استشرى القلق بصدر أحلام فطلب أختها المساعدة من أيًا
من كان نادر حد اللاحدوث، وذلك ينبأ عن عواصف تلوح في
الأجواء..

ربما هذا يفسر أحلامها المزعجة التي تواكب زيارتها تلك الأيام
فغممت بقلق:

- حاضر.

ويدها تسرع منفذة صرخة الإستغاثة.

أمه ترفض رؤيته فهي تعاقبه وهو لن يظل بالمنزل، فمع وجود
ميرا لا يستطيع التحكم بنفسه أو بلسانه، هو يحتاج لخلوة
للتفكير..

فأسرع لمكتبه منبهاً على سهام لا زيارات لا تليفونات مغمماً
بحزم:

- تعاملي على أنني مش موجود أو لسه ما جيتش.

رماها بكلماته التي انعقد لها حاجبها باندهاش مرددة بعقلها

"خير.. خير ربنا يستر"

والتفتت لتفتح جريدتها فهي تحرص على الحضور المبكر تفادياً
لزحام الصباح، فالتأخير مع مزاج رئيسها العاصف مؤخراً مزيج لا
يحتمل..

قضمت من شطيرتها قزمة وعيونها تتصفح الصفحة الأولى
وخبر جانبي بخطوط عريضة وصورة لا تخطئ مغزاها..

انفتح فمها محدقة وهي تهمس:

- يا لهووي ميرا!!

- احم.. الباشمهندس هشام موجود؟

صوت قوي واثق قاطع صدمتها فغصت بالطعام في حلقها،
سعلت بقوة شاهقة فأمامها بطل الصورة أم نقول الفضيحة متمثلاً
لحمًا ودمًا؛ إياد الحديدي

رافعاً حاجبيه وابتسامة ساخرة تتراقص على وجهه، فهو يتفكه
على منظرها..

رائد صالح

شغيف وورع

أشارت له بسبابتها ملتمة منه ثوانٍ لتتمالك نفسها، بمساعدة منديل ورقي وبضعة رشقات من ماء ثم وجهت نظرها إليه دون ابتسامة مرددة بحزم:

- أنا آسفة يا فندم.. لا مش موجود.

رد بحزم من لا يقبل بـ لا كجواب:

- أنا لسه شايف عربيته في الجراج، فهتدخلي تبليغيه بوجودي وإلا تحبي أدخل بنفسي؟

لحظات أدارت بعقلها الحسنات والسيئات ومع تملله من صمتها اتخذ خطوة تجاه باب مكتب هشام فأسرعت هي تسبقه مغممة بهلع:

- لا استنى.. أنا هأبلغه وأمري لله.

بضع طرقات على باب مكتبه جعلته يغمض عينيه في غضب، مالها تتعمد مخالفته! فقراره بعدم دخول أحد إليه في صالحتها هي والباقيين، فهو على شفا الانفجار اللامحمود، دخلت متلعثمة بشفاه مرتجفة ونبرة معتذرة:

رأيتك عالم

شغيط ورنج

- آسفة يا باشمهندس.. بس هو كان مُصر يدخل فقلت أبلغك الأول.

أصر هشام على أسنانه وهو يهمس بغضب:

- ايه اللي مش مفهوم من كلمة أني مش موجود ها... .

وقبل أن ينهي جملته قاطعه دخول إياد الحديدي بخطواته الواثقة وحضوره القوي وبصوته المميز:

- أنا يا باشمهندس، محتاجين نتكلم ولوحدنا.

والتفت لسهام يصرفها بصرامة:

- اتفضلي أنتِ دلوقتِ ويا ريت ما تخليش حد يقاطعنا.

اتسعت عيون سهام لهذا الذي يأمرها في وجود رئيسها، غريزتها جعلت قدميها تتحرك في اتجاه الباب وبقايا عقل جعلها تلقي نظرة على رئيسها، ما رأته بعيونه حولت خطوات قدميها لما يشبه العدو الهارب من مناطق الكوارث.

بمجرد أن دخلت لغرفتها مع يارا أسرعت لفراسها ويارا تدثرها دون أن تنطق بحرف، فهي أكثر من يعرف معنى الانتهاك وإن اختلف؛ صورة، اعتداء أو تحرش في النهاية يظل انتهاك..

عقلها يصرخ بها بالاتصال بمعتز طلباً للاستشارة، تخشى أن يصيب ميرا لو عُشر ما أصابها،

هلع ألم بها لكن يقين بداخلها أن بنت خالتها الصغيرة أقوى منها وأصلد وأد هلعها بمقتل..

جلست جوارها دون أن تربت أو تواسي، تركتها فقط تلملم شتات نفسها بقوة كما عهدتها دوماً وظلت هي جوارها تبثها إيمان تحتاجه هي..

صفعة يتردد صداها بأذنيها لم يسبق أن طالت وجنتيها من قبل، دوماً كانت مدللة يتغنون بقوتها، يشجعون استقلاليتها، يثقون بقرارتها، هي نفسها أين الاختلاف؟..

صورة!!

بمجرد صورة موحية بحروف مسمومة اعتبروها ساقطة، نسوا من هي!

يأن قلبها من الألم أخيها الحلِيم صفعها بشك، صفعها بإقرار ذنب، ومثلها الأعلى بالحياة؛ أخيها الأكبر وسندها صفعها بحروف وشمتهما، حتى الصديق أقربهم لها صفعها بنظرات لائمة..

أمها الحبيبة سقطت مريضة والخالة الرؤوم تتجنبها..

عقلها يزأر بألم من بكاء لم تعد عليه عيونها، لمسة على كتفها وحة مسكن ظهرا في وقتها، رفعت لها عيون متألمة فوجدت أمان وإيمان بها نطقها دون أن تشعر:

- ما حصلش والله..

وقبل أن تكمل قاطعتها يارا بابتسامة متفهمة:

- من غير ما تحلفي أنا مصدقك

نظرة امتنان ودموع جديدة غزت مقلتيها حين أكملت يارا كلماتها وهي تجلس جوارها على الفراش:

رأيتك دائما

شغيفتي وارتية

- استحالة أصدق صورة وأنسى أختي اللي أنا واثقة في أخلاقها
أكثر من ثقتي بنفسي.

غمغمت ميرا بألم يقطر بين حروفها:

- اشمعنا هما؟.. ليه صدقوا؟.. ليه أصدروا الحكم من غير حتى
محاكمة أو تبرير؟

تشعر يارا بما يعتمل داخلها فغمغمت وهي تربت على كفها
تحسها بيدها على تناول المسكن والماء:

- من الصدمة مش أكثر، وبمجرد ما يفكروا حتلاقهم جنبك مش
ضدك.. صدقيني

رفعت لها ميرا عيون غير مصدقة، فأمالت يارا رأسها لها مبتسمة
نصف ابتسامة متألمة:

- أسأليني أنا!

تناولت المسكن من يد صديقتها القديمة التي اشتاقتها على
مدى سنوات أتبعته برشقات من الماء..

أخيراً نفحات من يارا القديمة- يارا ما قبل المحروق خالد -
تعود للظهور، استسلمت ليارا وهي تدثرها بالفراش وتجلس
جوارها تحثها على النوم وعقلها يأبى الصمت..

من تلوم؟.. من تحاسب؟.. ممن تقتص؟

فلم يحدث شيء حتى يثوروا، ربما محاولة الأحمق الذي وضعها
في ذلك الموقف بمراهقته المستفزة فلو لم يقترب لم تكن
لتواجد الصورة من الأساس..

لو فقط تركها تسقط، خدر يتسلل لأطرافها، خدر مرحب به هي
سترتاح لدقائق فقط تتقوت براحة استعداداً للقتال..

فليست هي من تسقط دون نزال.

ظل الاثنان يحدقان ببعضهما البعض، واحد بغضب والثاني بثقة
واستيعاب، فرغم الصورة وما توحى به يقوي قلبه أن شيئاً لم
يحدث.. بعد

عقله شطب الكلمة الأخيرة لن تفيده الآن..

بخطوات واثقة وصوت واضح وموقف جري:

- أنا مقدر الحالة اللي أنت فيها علشان كده أول ما شوفت الصور قلت لازم نتكلم.

قالها وهو يجلس دون انتظار دعوة يرفع قدماً فوق أخرى بأريحية مغيظة، صمت هشام يصصر على أسنانه فرغبة وحشية تدعوه للفتك به دون رحمة، وعقله يحذره بعلامة حمراء مضيئة..

"احترس هناك خطباً ما بالصورة"

وبين هذا وذاك صمت وانتظر..

هناك مقولة مشهورة لو كانت النظرات تقتل، تلك هي المرة الأولى بحياته التي يراها متجسدة في إنسان نظراته إليه، إنقباض عضلات فكيه، وابتساض مفاصل أصابعه من قوة انقباضها تشي بمدى سيطرته على نفسه..

لثانية جفل وبالأخرى أجلى صوته مردداً:

- بدون كلام كثير أو تبريرات ما تعودتش أقدمها لحد الصورة ما حصلتش.. ببساطة الأنسة ميرا اتكعبلت كانت حتقع وأنا لحقتها نقطة والحكاية خلصت.

صمت هشام أقلقه، لا غضب لا هياج لا ثورة، أهى ثقة بأخته أم عدم ثقة بكلامه؟؟

ساد الصمت لدقائق ونظرات الغضب القاتل بعيونه لم تتغير فأردف إياد:

- الصور دى أكيد شغل مصور مغمور عايز يعمل فرقة وخبر من لا شيء

ضاقت حدقتي هشام فمند اليوم الأول وهو غير مرتاح، هناك شيء ما فى الأجواء بين ميرا وإياد..

فهو لم ينسَ الشهقة الأولى ولا نظرات الغضب منه لها، ولا التبرير الواهى ولا حراسة زيد لها المبالغ بها..

وجاءت الصورة لتجعل تداعيات وألغاز كثيرة تتفكك بسهولة خانقة، حتى وجوده وتبريراته مريبة..

رأيتك دائما

شغيب وريح

فمن على شاكلته لا يهتمون وقد يثورون متهمين الآخرين
بمحاولة توريط أو تدبيس.. لذا ورغم تبريرات ابن الحديدي
ومعرفته بأخته إلا أنه موقن الآن أن هناك شيئاً ما بينهما لذا هتف
بصوت أجش غاضب:

- والمطلوب؟

عقد إياد حاجبيه بقوة ليس هذا ما كان يتوقعه، كان يتوقع ثورة
وهياج وهو سيرااضي بعرض خطبة وزواج والآن هشام هو من
يطلب فرد بهدوء:

- مش فاهم!

اقترب هشام مستنداً بقوة هجومية يسيطر عليها بشق الأنفس وهو
يهمس من بين أسنانه:

- جاي ليا ليه؟.. ايه نفسك تموت مثلاً؟!

وازداد انعقاد حاجبي إياد أهنك ما فاته من المناقشة بينهما!
ولم يمهل هشام:

- كلامك وتبريراتك الخايبة دي تسكت بيها غيري، عارف ايه اللي مخليني مسيطر على نفسي مش عايز أمسك؟
ولم ينتظر رداً من إياد للمرة الثانية والذي بدأ يظهر عليه علامات الغضب:

- أوعى تكون فاكر فلوسك ولا مركزك.. طوز ما يهمنىش..
بس علشان لو لمستك يا حيلتها وطلعتك متكوم على المستشفى هيبقى إثبات فعلي أن أختي غلطت معاك وفي بينك وبينها حاجة.

صمت وهو ينهض من مكانه ببطء ويهمس بفحيح غاضب
وعيون محمرة من الغضب خابطاً مكتبه بقبضتيه بقوة عوضاً عن وجه إياد:

- اللي مانعني أكوملك قدامي دلوقتِ هي ميرا

ملامح المفاجأة ثم الغضب والتحدي تعاقبت على ملامح إياد بتتابع مثير، وبعد أن ترك هشام يرمي ما بجعبته ارتاح إياد لعودة اللعبة لمجرياتهما التي خطط لها منذ البداية فأردف بهدوء:

- وأنا كمان تهمني سمعتي وعلشان كده مش جاي اسمعك تبرير
ولا أرمي بإتهامات، أنا جاي بحل يخرس الألسنة؛ حفل خطوبة
وإعلان رسمي بكل الجرائد اللي عرضت الصور.

استشاط هشام وهم بالفتك به فقام إياد بهدوء يعدل من هندام
بذلته ببرود ويرميه بآخر كلماته:

- ده الحل الوحيد وأي حاجة غيره هنبقى خسرايين؛ أنت
هتخسر سمعة أختك وأنا هاخسر أسهم وفلوس بالملايين.. بلاش
تتهور وفكر كويس وبعقلية رجل أعمال.. مستني ردك.

وتركه وانصرف وبعقله يردد

"آه لو رآه أباه الآن لانتفخت أوداجه فخراً به!"

وهشام يحطم ما بمكتبه بحنق مفرغاً غضبه أخيراً

**

في طريق عودته لمكتبه هاتفه لم يتوقف عن الرنين؛ رقم أبيه
ظهر مرراً وتكراراً حتى باسل أيضاً، وهو لا يرد..

ليس في مزاج ملائم للرد على أحد، ومع ذلك ينبغي عليه العودة للعمل..

تفادي النظرات والهمسات الجانبية والغمزات خلال صعوده لمكتبه هو يعلم هذا ويتوقعه جيداً لما هو متزعج الآن!

دلف لمكتبه بعد عدة تعليمات للسيدة منى مديرة مكتبه التي قابلته بفرع عن هاتفها الذي جُن طلباً لتصريحات منه عن الصور..

فقط ردد:

- مش دلوقتٍ.. قوليلهم "لا تعليق"

بمجرد أن جلس بمقعده دلف له باسل مهاجماً:

- أنت ما بتردش على موبايلك ليه؟.. أنا وأبوك قالبين عليك الدنيا ها.. علشان كده ما رجعتش البيت امبارح مش كده؟

ورمى له بالجرائد على مكتبه فتناثرت الصورة بالصفحة الأولى وما تبعها بباقي الصفحات من صور أوضح وأقرب..

نظر لها إياد بجمود ورفع عيونه لصديقه مستفهماً فأردف باسل
بلوم غاضب:

-ليه كده؟.. ليه يا إياد!؟!

وقبل أن يبرر لصديقه قاطعه باسل بحزم:

-ما تقوليش أن الصور دي خرجت من تحت أيد مهرة وطبعاً
الهانم تخاف على زعلك زي عينيها واستحالة تقنعني أنها نشرتها
من غير ما تعرفك.

ابتسم له إياد نصف ابتسامة:

-ولو قولتلك إنها جاتلي فعلاً وطلبت تعليق وقولت لها ما
تنشرهمش ووعدتني أنها مش هتنشرها تقول ايه؟.. مش ملاحظ
إن الجرايد والمجلات الوحيدة اللي ما نشرتش الصور هي اللي
تحت أيد مهرة؟

عقد حاجبيه وعيونه تجري على ملامح صديقه بعدم تصديق:

-أنت قولت لها ايه بالضبط؟.. وبعدين اللي في صورة ده حصل
ولا متفبرك؟

رائد عالم

شغيف وورح

رد إياد باقتضاب:

- متفبرك.

فخبط باسل كفيه ببعضهما البعض وهو يردد:

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. وبعدين ايه الحل؟.. سمعة البنت!..
أنت مش متخيل كمية المستثمرين اللي بيتصلوا بيا بيأسألوا على
مدى تأثير الفضيحة على ثبات الأسهم ولا أشرف مش هيفوت
الوقعة دي بسهولة يا إياد.

أسبل إياد جفونه على عينيه بغموض مردداً:

- ما تقلقش اتعامل أنت مع المستثمرين وطمئنيهم؛ قولهم
الموضوع هيتحل في غضون ٤٨ ساعة بالكثير والصحافة لا تعليق
و...

قاطعها صوت عالٍ حاد وزعيق من الخارج أتبعه دخول هجومي
سريع فأجئ الجميع بعاصفة غاضبة منقضة تحمل اسم عصام
والتوقيع انقضاض على إياد ووشم وجهه بلكمتين لن ينساها
بسهولة.

رأيتك دائماً

شخبط وارتح

حروف غضبه تتبعثر تملأ الأجواء بسباب حائق يسبه بما سمع
ولم يسمع في حياته.. كبله باسل بصعوبة واعتدل إيراد من سقطته
يبصق دماء منبثقة من فمه..

يحدق بعصام بحدة..

أمر بيده مدام منى إلغاء طلب الأمن والخروج مسح فمه بظهر
كفه هاتفاً:

- خلاص هديت طلعت اللي عندك!

فرد عصام بغضب:

- ولا ربع اللي عندي ليك.. أوعى يا باسل سيبنى أموته!

هدأه باسل وهو يستنفر كل قوته في تقييده:

- اهدى يا عصام وافهم ما حصلش حاجة الصورة متفبركة.

نظر له عصام بحنق:

- هو أنا مستنيك تقولي متفبركة ولا لأ! دي شغلتي.. الصور مش متفبركة، مش باين حصل ولا محصلش من الزاوية دي.. بس القرب بالسفالة دي بينهم ده مش متفبرك.

وحاول مجدداً الخروج من قيد باسل وهو يصيح:

- الشغل بينا اعتبروه انتهى وميرا مش هتعتب الشركة دي تاني
و...

باقي حديثه أطار من إياد العقل، فالأحمق بغضبه وتسرعه سيفسد كل شيء وبلحظة تحول تفهم الموقف لقسوة وشدة ضارية فرد بقوة وهو يقترب من عصام دون أن يبالي:

- أنا سكت قولت شاب وطايش ويفرغ انفعاله وبعدين يفهم ويهدى، لكن بص بقى.. احنا ما بنلعش هنا، هتفسخوا التعاقد براحتكم.. سمعتكم في السوق اللي هتدمر.. ومش هتلاقوا حد يشغلکم.. وأنا هيوصلني الشرط الجزائري لآخر ملیم، وأختك نظراً لكرم أخلاقي هاديها أجازة يوم واحد بس غير النهاردة، وبعد بكرة تكون على مكتبها وإلا هتسمعوا من رئيس الشؤون القانونية بالمؤسسة.

رأيتك عالم

شغيط ورنج

انتهى إياد من حديثه وعاد لمقعده جالساً وعصام يكتشف لأول مرة جسامة الخسارة، وحينما رآه إياد قد هدأ وعقله بدأ بالعمل ألقى آخر قذائفه عليه:

-والعرض اللي عرضته على أخوك هشام الصبح بلغه قدامه ٢٤ ساعة ويرد عليا فيه وإلا أنا هتصرف بمعرفتي ومش حيهمني ساعتها إلا مصلحتي وسمعتي أنا وبس.. واتفضل المقابلة انتهت.

ثار عصام متوعداً:

-لا عروض ولا غيره.. شرطك الجزائري حيوصلك على الجزمة القديمة والله الغنى عن شغلك ربنا ما بينساش حد. وتركه صافعاً الباب خلفه بقوة.

وإياد صامت يعيد حساباته هل يمكنهم الوفاء بشرطه الجزائري والهرب من فخه؟

قاطعها باسل المصدوم فشكك بمعرفة يختلف تماماً عن رؤيتها حقيقة:

- أنت دبرت لكل ده فعلاً؟.. كله من تخطيطك وترتيبك يا إياد؟!.. أنت مين؟!!

شتت انتباهه عن الرد على صديقه وربما محاولة الخروج بعذر أو إقناع، رنين رسالة وصلت لهاتفه..

طالعتها بسرعة فتبدلت ملامحه لظلام مخيف..

رفع له عيون حادة باردة وبصوتٍ قاس:

- ابن عبد العزيز الحديدي.

خرج عصام ثائراً يطرق بقدميه الأرض غاضباً.. فما فعله مع إياد لم يشفِ غليله، وعندها سمع نفير سيارة تقترب منه التفت محاولاً نفث ولو قدر يسير من غضبه بالسائق اللحوح ليجده زيد:

- اركب.. كنت عارف إنني حالايك هنا.

فبعد أن طمأنتهم الطيبة واختفى هشام مغادراً اندفع هو طالباً الثأر، ظل يلف حول مؤسسة الحديدي ينتظر السافل حتى وصل وراه يدلف بعنجهية أثارت حنقه،

رأه حاتم

تخطيط ورتبة

أخرجه صوت زيد:

- عملته إيه؟! .. إوعى تكون اتهورت!!.. الأمور دي ما تتحلش
بالغشومية.

زجره عصام بغضب يستعر:

- بقولك إيه مش رايقلك ولا فاضيلك.

عنفه زيد:

- فاضي بس تدعيس ورايا مش كده؟!.. بتبتع إيميلاات
لأصحابي ليه وتسالهم عني وكأني عيل صغير؟!!

بهت عصام وأخرجه زيد بذكاء من طور غضبه الأعمى لخنجل
فضوله الأحمق فتلعثم:

- ما هو أنت تصرفاتك بقت مريبة وبتختفي بشكل غريب
لأوقات طويلة، وما بتروحش الشركة.. مقدم على أجازة طويلة
والأنيل بقى بتسحب من حسابك مبالغ كبيرة ومش باين عليك
أي تغيير.. لازم أفهم في إيه؟!!

نظر له زيد بحدة:

-قولتك قبل كده؛ لما حتحتاج تعرف حتعرف، بتنبش ورايا
ليه؟!.. بأى حق!!

هتف عصام غاضباً:

-يا أخي بحق الصحوبية، بحق الأخوة، بحق العشرة.. نقي
الحق اللي يعجبك فيهم.

وعندها انطلق زيد يحكي لعصام ما به بكلمات شحب لها وجه
عصام بقوة وانخلع لها قلبه، أنسته غضبه وميرا وإياد الحديدي.

"يلا يا مروة يا بنتي اخلصي، عايزة أوصل قبل الليل ما يليل"

نطقتها حورية وهي تهرع من غرفة لأخرى تلملم حاجيات
تكفيها لمدة غير معلومة، فلأول مرة منذ ولادتها تطلب عونها
وهذا ما يقلقها!!.. ماذا حدث؟!.. كلمات أحلام الغير مترابطة
لم تشفي فضولها، تتسارع العقارب وأسرعت تعيد صراخها
المتململ:

-يلا يا مروة إيه البطء ده!!

زفرت مروة وهى تخبرها للمرة الثلاثين:

- يا حبيبتى أنا جاهزة، وربنا جاهزة، وكتاب الله جاهزة، أهو
شنتطى.. إيه خلصينا أنتِ خلىنا نروح ونطمئن.

نظرت حورية باستنكار لشنطة مروة "الهاند باج" الصغيرة عكس
حقيبتىها الكبيرتين وهزت رأسها.. تعلم لا فائدة من النقاش ولا
وقت، بدأت تدمدم بكلمات تعلمها مروة جيداً، فهى لا تحتاج
للكثير.. زوج من الملابس الداخلية المريحة النظيفة، وبيجاما
مريحة، وطقمين خروج.. لولا أن ملابس الفتيات لا تناسب
حجابها لكنت اكتفت بحقيبة ظهر، حاولت رفع الحقائق
وكانها أثقال فدمدمت لنفسها بنزق.

ساعة ونصف هى مدة الرحلة السريعة من الإسكندرية للقاهرة،
فابنتها بقيادتها حين التوتر أو القلق متهورة.. ولكنها مضطرة،
ستذكر أن توبخها ولكن فيما بعد..

وصلت للمنزل وحين فتح الباب لها فوجئت بأختها أحلام تهرع
لحضانها باكية

فكفكت دمعها وسألت بفرع:

- في إيه احكي لي اللي حصل؟!!

وبدأت تروي..

هاتف خالته يطمئن على أمه وأخبرها ألا ينتظروه فهو سيتأخر وربما للغد، أنهى حديثه مع خالته الباكية والتفت لطريقه.. فهو بطريقه للإسكندرية موطنه..

طوال اليوم يحاول مع علاء إيجاد منفذ من عقد الحديدي يجنبهم الخسارة قدر الإمكان والحل الأخير دفع الشرط الجزائي القاصم للظهر.. ولذا عاد لجدوره..

هناك بضعة أملاك كانوا دوماً قد قرروا جميعاً أن تظل إرثاً تتوارثه أجيالهم مخلدين ذكر جدهم الأكبر، فالمكان محمل بذكريات كثيرة والآن هو ذاهب للإسكندرية بعد انقطاع دام سنوات طويلة يبحث عن مشتري..

أخته لن يبيعه في ترضية أو إتقاءً لفضيحة، سيحارب ويبذل كل ما لديه، والمال كما صنعه أول مرة سيصنعه أخرى.. لن ينصاع لإياد بأى شكل وميرا لها معه حساب آخر لكن بعد أن ينتهى من قيد الحديدي..

وصل للمطبعة أخيراً وتعجب من النور المتسرب من تحت الباب المعدني، ترجل من سيارته وفتح الباب وسمع صوتاً يخبره:

- تعالى يا ابن منصور.. اتأخرت ليه؟!.. أنا مستنيك من الصبح.

هل عشتم من قبل لحظة ينفصل فيها عالمك عن واقعك!!.. قدم خطت داخل المطبعة حملته لماضى مشرق مريح ودافئ وقدم مازالت بالخارج تعاني من ظلمة وبرودة الحاضر..

الجملة لمست أوتار قلبه فهمس بحنين:

- عم فهمي!!

وظهر أمامه الرجل العجوز تلميذ جده، ومن علمه وعلم أبيه من قبله فنون العمل بالمطبعة وأسرارها، خطى بقدمه الأخرى للداخل وترك الماضى يدفئ قلبه بذكرياته، أغلق الباب خلفه

واقترب محياً العجوز محتضناً إياه ومقبلاً يده باحترام وهو يربت
على رأسه:

- تعالی.. أنا صحیح زعلان منك لأنك ما بتجيش، ولو فاكر
تليفون كل شهر ده يكفيني؛ تبقى غلطان..

وقبل أن يبرر هشام أشار له عم فهمي:

- أنا مقدر اللي في رقبتك، وخصوصاً لما قرئت جرايد الصبح.

فغمغم هشام بذنب قاتل:

- أنت شوفتها؟

هز العجوز رأسه:

- وعارف أنك حتيجي.

أسرع هشام كمن ينفي ذنباً:

- ما حصلش حاجة من اللي مكتوب يا عم فهمي.. ده شغل
صحفيين فضايح وفبركة.

ابتسم له عم فهمي بحكمة:

- وأنا ما أصدقش فى بنت منصور كده ولا بعد مليون سنة،
وبعدين..

وأرفق جملته بصفحة خفيفة على رأس هشام:

- أنا تقولي متفبركة!!.. فاكرنى ابن إمبراح ولا ما بشوفش!!

عقد هشام حاجبيه بحدة وقبل أن ينطلق لسانه أكمل:

- واضح إن بعدك عن المطابع نسي عينك الصنعة.. ما علينا،
لما سألت المفعوصة الصغيرة قالتك ايه؟

ابتسم هشام للقبها المشهور داخل مطبعة جدهم، فهى بشقاوتها
المثيرة للمشاكل كانت دوماً هى وعم فهمى زيت وماء لا
يمترجان..

صمته أجاب عم فهمى فهز رأسه متنهداً:

- تعالى ورايا.

تحرك هشام خلفه حتى ركن قصي بالمطبعة مردفاً وهو ينزع
غطاء مغبر عن ماكينة قديمة تقبع هناك:

- فاكر يا هشام اليوم اللي قبل ما جدك يموت الله يرحمه!؟!

هز هشام رأسه بتأكيد فأكمل عم فهمي:

- جابك هنا وخلاك تجرب تشتغل على الماكنة دي، أول ماكنة اشتغل عليها جدك فى حياته، ما كانش بيسمح لحد يشتغل عليها غيره.. إلا أنت جابك وحاول يعلمك..

أخذ عم فهمي نفساً عميقاً مكملًا:

- فاكر قالك إيه؟

تذكر هشام كلمات جده فقد كانت وصيته الأخيرة له:

"يا هشام يا بني أنت الكبير، عضد العيلة بعد موتي.. وبعد عمر طويل لأبوك منصور، مش حيفضلهم غيرك يا بني.

- بس يا جدي ليه أنا؟!.. ما هو عصام موجود وزيد كمان..
إشمعنى أنا؟

ربت جده على كتفه وهو يردف:

- عارف أنك صغير ويمكن ما تفهمنيش دلوقت.. المهم أنك تسمعني وتحفظ اللي حاقولهولك وبكرة الأيام تفهمك.

هز هشام -الطفل آنذاك- رأسه باهتمام:

- أخواتك عهد فى رقبتك، أنت كبيرهم والعيلة اللي مالهاش كبير يقدر عليها اللثام، زيد كتوم وجواه تمرد، اتحرم من أبوه محتاج كتف يسنده..

أخوك عصام على قد طبيته وحنيته على قد تهوره، فاكر حكاية الدب اللي قتل صاحبه من كتر حبه؟!..!

هز هشام رأسه مؤمناً فأكمل الجد:

- أهو هو ده عصام وقت غضبه.. حاوط عليه.. والبنات يا هشام، البنات..

أختك العكروته دي ما يتخافش عليها، قوية وتعرف تاخذ حقها من بق الأسد بس النوع ده من البنات بيحتاج ترخي وتشد علسان لا تكسرهما ولا يفلت منك عيارها..

مروة دي بقى أنا واثق أنها مش حتتعبك.. أصلها واخدة من طبع
أبوها الرزانة والعقل ومن أمها الحنية والقوة.. بس برضه عينك
عليها دي فى الآخر بنت..

يارا دي غلبانة، طيبة وبريئة فى عالم مش بتاعها، عينك عليها
وحافظ عليها.. أهى دي أكثر واحدة أنا خايف عليها.. بس اللي
مطمئني إن عرق الإدريسي بيجري فى دمها والأكثر كمان أنك
مش حتسيبها وحتفضل جنبها..

ظل يتذكر كلمات وصيته التي أنهاها:

-العيلة زي الماكنة دي...

وربت على ماكينته القديمة..

-دي من سنة ٦٠ ولسه عايشة وعفية وعمرها ما خذلتني علشان
أنا براعيها، محافظ عليها، بابتعد عنها أى برومة أو صدأ.. حافظ
على عيلتك تشيلها وتشيلك."

تربيته حنون على كتفه:

-روح لفين يا ابن منصور!؟!

رأيتك عالم

شغيط ورنج

- ما روحتش.. أنا هنا معاك أهو.

- مش كنت بدل ما طخيت المشوار تدور على إجابات من أموات كنت سألت أختك أسهل!!

- أنا مش جاي أدور على إجابات؛ أنا جاي أبيع اللي أقدر عليه
علشان خاطر أختي.. عايز أوجد لها مخرج من المشكلة دي..

نظر له عم فهمي بعمق قبل أن يسأل:

- وإيش عرفك إنها عايزة مخرج!؟

نظر له بعيون متسائلة غير مستوعبة، فأردف:

- مش قولتلك إسألها الأول!!.. ولو مش مصدقني بص، شغل
عينيك العطلانة دي، وبص للصور وأنت تفهم قصدي.

تلك المرة أخذ هشام الصور يدقق فيها من جديد بعين عم فهمي
ليرى ما قصده، فإن كانت صورة الصفحة الأولى موحية..
فالصور الباقية تشي بالكثير، همس بصدمة:

- لا مش ممكن.

هل جربتم يوماً أن تعيشوا إحدى تلك التجارب المسماة
بالديجافو؟!!

تلك المكتشفة من قبل إميل بوترك؟!!

وهو يستحق تصفيق حاد من هذا العالم وأن يضموه ضمن
موسوعة جينيس فهو يمر بالثلاثة أنواع من الديجافو معاً وبنفس
الوقت.. وتلك المعجزة الفذة بتوقيع أبيه الحديدي الكبير.. فيها
هو وبناءً على نص تلك الرسالة المقيمة:

"إياد.. جرايد النهاردة أثبتت لي بالدليل القاطع أنك فاشل في
إدارة حياتك الشخصية، وعلشان كده عرضى اتسحب، والنهاردة
في ميعاد الساعة ٨ حنروح نخطب ناريمان ونتفق على ميعاد
الفرح وكتب الكتاب، وخلي بالك عدم حضورك معناه أنك لا
تستحق الكرسي اللي قاعد عليه..

وقسماً عظماً لو ما ظهرت في الميعاد واتصرفت كما يفترض
بالعريس؛ مش حاستنى مجلس الإدارة الجاي وحاسلمها

رأيتك عالم

شخصية ورائحة

لأشرف، هو رغم كل مساوئه إلا أنه رجل أعمال يقدر يحافظ
على سمعة الشركة كويس"

وها هو يجلس بنفس المكان، بنفس الفيلا، ومع نفس
الأشخاص.. يرددون نفس الكلمات المكررة، وها هي عروسه
الخبلة هي هي.. الاختلاف الوحيد به هو، هو من يعيش
الديجافو والاختلاف الوحيد أنه ليس بسعيد ولا متحمس ولا
مسحور بجمال الشقراء الماثلة أمامه، أكانت يومها شقراء أم
سمراء لا يتذكر!!.. خاصة أنها هي نفسها ناريمان وكفى..
فالإشمئزاز يجتاحه بقوة والفضل لأبيه..

عندما حان الاتفاق قاطعهم إياد بصرامة:

- بعد إذنك يا عمي أنا عندي طلبين؛ الفرح وكتب الكتاب كمان
شهر..

ارتفعت حواجب الجميع في دهشة وترجمتها أمه بكلمات:

- شهر إيه يا حبيبي؟!.. ما حدش يلحق يجهز حاجة.

نظر لأمه بقوة وهو يكمل بابتسامة دبلوماسية لا يعلم سرها إلا أبوه:

- ده طلبي الثاني.. بلاش فرح كبير، ياريت حفلة على الضيق هنا فى قصر حضرتك، اعزموا اللي تحبوه وجهزوا زي ما تحبوا بس يبقى الفرحة مع كتب الكتاب فى خلال شهر.

ألقى كلماته وهو ينظر لأبي ناريمان بسيطرة، ابتلع الرجل ريقه متهدأ وبينما يعترض الجميع تشارك مع إياد نظرة معرفة قديمة جعلته يومئ برأسه وسط دهشة الحضور:

- وأنا موافق.. مبروك.. نقرا الفاتحة.

تلك المرة قام إياد معتذراً بابتسامة دبلوماسية أخرى:

- إحنا سبق وقريناها يا عمي وأنا باعتذر.. عندي اجتماع مهم جداً لازم أحضره..

التفت تجاه ناريمان مغمماً بابتسامة قاسية اقشعر لها جلدها:
- مبروك يا عروسة.

تركهم وغادر..

وانتهت تلك الجولة بضميره صريع أرض المعركة مشخن
بالجراح..

اتصالات هاتفية متعددة والجملة واحدة أمرة حازمة:
- قدامكم ساعة.. بالكثير ساعتين، وألاقيكم هنا قدامي في
البيت.

وبعد الصدمة والتأكد من أن المتصل هاتف يارا.. إذا فالخالة
الكبيرة حضرت!!

كان هشام في طريق العودة من الإسكندرية بالفعل، وعصام وزيد
أنها جلسة المصارحة المؤلمة بعهد كتمان لا ينقسم..

والآن حان موعد جلسة الفتيات، حورية مقاطعة للجرائد
والمجلات بكل أشكالها وأنواعها فهي برأيها مضيعة للوقت
والمال، فاجأتها الصور ولكنها تحلت بحكمة سنين في تربية
الفتيات، بدأتها بأخذ دور الأم لأخواتها التوأم ثم بناتها وبنات
العائلة.. جلس الجميع بغرفة أمال وبدأت هي مباشرة:

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

- نخلص من المهم الأول.. إيه حكايتك مع اللي اسمه إياد؟!..!

وقبل أن تنبس ببنت شفة أكملت محذرة:

- بصراحة ومن غير لف ودوران.. في بينكم حاجة؟!!

رفعت ميرا عيون مقاتلة متحدية لها وهي ترد بثقة:

- لو قولتلك ح تصدقيني؟!!

أخبرتها حورية ببساطة ووضوح:

- ما شوفتش منك اللي يخليني أكذبك يا بنت أمال.

ردت بحزم:

- ما فيش حاجة حصلت بينا.. وقعت سندنني وبس..

وأمام نظرة عيون خالتها مرفوعة الحاجبين وهي تشير لها على

صور الصفحة الداخلية:

- بصي كده وسمعيني تاني يا بنت منصور..

تعلم ميرا أن خالتها بذكر اسم أبيها بالحوار تذكرها بأخلاقه

وقيمه وسيرته العطرة وكأنما تلوح لها بمجبة الكتمان والكذب:

- مش زي ما أنتِ فاهمة.. كل الحكاية بيجري ورايا، بيغلس عليّ.. فاكرنى بنت من البنات الهاي كلاس اللي كل حاجة مباحة وأنا ما بديهوش فرصة.

زفرت حورية تتأملها للحظات قبل أن تطوي الجريدة ملقية إياها بعيداً:

- طيب كده الموضوع ده مش حينفع يكمل إلا بوجوده ووجود أخواتك، دلوقتِ بقى موضوع عريس يارا..

ارتعشت يد يارا بكوب العصير فوضعتة على أقرب طاولة وهى تنظر لخالتها بحذر، وقتها ارتفع صوت مروة:

- أنتوا بتتكلّموا بجد؟!.. طبعاً هشام عنده حق، موضوع العريس مرفوض.

زغرت لها حورية زاجرة:

- أسكتي أنتِ.. أنا عايزة أسمع رأي صاحبة الشأن، رأيك إيه فى باسل؟.. وبصراحة.

ابتلعت ريقها تتذكر رفته معها، مراعاة مشاعرها، وما فعله لأجلها،
ضعفه وألمه..

فردت:

- هو شخص كويس ومحترم، ما شوفتش عليه حاجة وحشة
بس.. بس...

فردت حورية مشجعة:

- بس إيه؟!.. الولد محتاجك وأنت محتاجاه يبقى فين
المشكلة؟

تلعثت يارا.. كيف تشرح وتوضح دون أن تفصح؟!.. هي
مازالت بأول الطريق، وبنظرة واحدة لوجهها، نظرتا مروة وميرا
لبعضهما وقررتا الهجوم المعادي فبدأت مروة:

- لا ولا مشكلة ولا حاجة.. كل الحكاية إن العروسة ما تقدرش
تستحمل تقعد مع أى راجل عدا أخواتها دقيقتين على بعض،
تقدروا تقولولي حتجوزه إزاي؟

راية عالم

شخيط ورنج

نظرت حورية لأحلام وأمال التي بدأت تستعيد قواها فنطقت
بصوت خافت حازم:

- مش لازم يعرف!!

والتقطت حورية الخيط مكملة:

- أيوة.. بنات كثير بيتجوزوا ويعيشوا فترة مع أجوازهم قبل
الدخلة لحد ما ياخدوا على بعض.. وساعتها تكون يارا خدت
عليه من غير ما يعرف حاجة.

فوقفت مروة بهتاف عالي مستنكر:

- نعم أنتوا كمان مش حتعرفوه أنها عندها خوف مرضي من
الرجالة؟!.. ناقص تقولوا مش حتقولوله على الحادثة بتاعة
خالد!!

- لأ

تلك الـ "لا" خرجت من حورية وأكملت:

- مالوش لازمة يعرف.. إحنا بنتنا اتكتب كتابها وما حصلش نصيب واتطلقت وهى لسه زى ما هي.. يعنى مالوش لازمة يعرف ونفضح نفسنا.

صفقت ميرا بجذل وهى تضحك حتى أدمعت عيناها:

- برافو.. بجد برافو.. صحيح إيه أهمية مشاعرها ولا نفسيتها ولا رعبها من مجرد سلام باللايد؟!.. أنتوا صح.. طول ما نقطتين الدم بخير يبقى كل حاجة تمام.

هزت رأسها بسخرية مستطردة:

- كلاكيت تاني مرة..

ونظرت تلك المرة للصامته تزجرها:

- على فكرة حياتك دي اللي بيقرروها عنك.. ومستقبلك اللي بيرسموه وأنت متفرجة.. للمرة المليون إمتى لسانك حينطق وتاخدي موقف إمتى؟!!

نظرات الاستنكار وشهقات الدهشة من جرأة كلمات ميرا جعلت مروة تقف أمامها تنبها بعيونها بأنها تتجاوز الحد، تحاول تهدئتها وهي تأتي:

- مش حاهدي.. إيه مشاعرنا مش مهمة!!.. إحساسنا مالوش قيمة؟!.. المهم العريس والسمعة!!.. صورة مجرد صورة نسيوا مين ميرا؟!.. نسيوا قرفي من الجواز واحتقاري للضعف والامتهان اللي بيسموه حب!!

"بس المرة دي في صور على مرأي ومسمع من الجميع حتخلي سمعتك في الأرض، وأي كلب أو صاحب نفس قدرة يفكر فيك بكل الطرق الغلط اللي تتخليها وما تتخليهاش"

تلك الجملة صدرت من جهة الباب من هشام الذي دخل للحوار بقوة وهو يوجه لها نظرات لوم، واجهته بعيون تئن من ألم كلماته:

- أنت عارف كويس أخلاقي وإن استحالة حاجة زي دي تحصل.

رد:

-المهم دلوقتِ مش أنا.. الناس، وبما أنكم قاعدين سوا
وبتفندوا عروض الجواز؛ خدوا ده كمان .. إياك الحديدي طلب
إيدك يا ميرا هانم ..

اتسعت عيون الجميع دهشة وشهقات فأكمل هشام بسخرية:

-لا لا.. دماغكم ما تروحش لبعيد، السيد بطل.. وبعضمة لسانه
قالها.. عرض لإنقاذ الموقف، لإنقاذ سمعة الهانم وأسهم
شركاته ..

وسدد لها نظرات لائمة قاسية:

-شوفتِ وصلتنا لإيه؟!!

سقطت ميرا على كرسيها، دماغها تدور من الموقف.. تدخلت
حورية بالحوار وهي تعيد تدقيق النظر بالصور سائلة:

-هو اللي جالك ولا أنت اللي روحته؟

نظر لها هشام بضيق:

- حترق في إيه؟ !

وأمام نظرة عيونها المصرة أكمل :

- هو اللي جالي الصبح بدري أول ما مشيت من هنا.

نصف ابتسامة ارتسمت على وجهها وهي تسأله:

- وناوي على إيه؟

أسقط جسده بجانبهم على أقرب كرسي زافراً:

- حابيع المطبعة والأرض اللي فاضلة، وحاسحب كل السيولة..
ولو قدرت أبيع مطابع الشركة حابيعها، بس على الله المبلغ
يكفي الشرط الجزائري وأقدر أسدده في الميعاد من غير محاكم
ولا غرامات تأخير، أنا قولتلكم لأن لو حصل وبعنا، حاجتاج
توقيع الكل والأهم الأحوال حتتدهور قوي الفترة الجاية عقبال
ما نقف على رجلنا من تاني.

شهقات الجميع تعالت ونظرات البحث عن منفذ، أي مخرج
فقط لا يفقدون كل ما يملكون، كل ما كافحوا وضحوا

لتحقيقه!!.. والنبرة تصاعدت عالية من حلق ميرا وكأنها حشرة
النفس الأخير:

- أنا موافقة.

تلك المرة فقد هشام أعصابه وطار إليها يهزها من كتفيها رافعاً
إياها عن كرسيها:

- قولتِ إيه؟!.. سمعيني تاني كده.

نظرت له متلبسة قناع قوتها المعتاد مبتلعة ريقها:

- باقول موافقة على خطوبة إنقاذ الموقف.

زعقت بها مروة:

- أنتِ اتجنتِ رسمي.. حتتخطبي علشان فلوس وشركة؟!.. ما
يولعوا.

ردت ميرا بحزم:

- لا أنا بحب ولا حاحب، والخطوبة زي اسمها انقاذ لسمعتي
علشان أقدر أكمل حياتي من غير مشاكل وأنقذ الشركة.. وهو
يحمي شركته ..

وأشارت لعقلها مرددة :

-العقل يقول كده.

وقبل أن ترد عليها مروة سمعوا جملة أخرى مقاطعة:

-وأنا كمان موافقة ..

التفت الجميع للصامته وهمس لها هشام بحزن:

- موافقة يا يارا؟!!

أخذت نفساً عميقاً واستكانت بجلستها.. فخلال حديثهم المتوتر
تذكرت كلمات معتر لها:

" يوماً ما ستحتاجين للخطوة الأولى، فإما أن تأخذها بإرادتك،
أو تدفعين لها.. وبكلا الحالتين الحياة ستستمر"

وقد قررت أن تأخذها بإرادتها، وصوت مروة المستنكر:

- حطأوعيمهم؟! .. حتغشيه يا يارا وتخبني عليه!!

ردت يارا بحزم وهي تقوم من مجلسها تتحاشى نظرات الجميع:

- شرطي الوحيد للموافقة أنه يعرف كل حاجة وبالتفاصيل.. لو

وافق؛ يبقى عندي استعداد للخطوبة، وبعد كده ربنا يسهل..

أَلقت جملتها وانصرفت، تبعتها ميرا التي أزالَت يد هشام من

حولها معلقة بحزم:

- أنا كمان موافقة.

سقط هشام على مقعده شاعراً بثقل أنفاسه ..

مروة ترغي وتزبد بجنون الاثنان وأنها لن تنتظر دقيقة واحدة

بالمنزل الذي حل عليه الجنون، ستعود للإسكندرية حتى لو

بمنتصف الليل ..

وشعور بثقل وليس بفرح يجتاح الأخوات الثلاث.

الفصل الثالث عشر

في حضرة الصمت..

يسود زخم الصخب..

يتصارع العقل مع الحب..

تتبارز الكرامة مع المبادئ..

يناصر الإخلاص مع صالح الأخلاء..

تتقارع الأضداد وتزأر مطالبة بالحياة..

وتظل لعباءة الصمت مهبتها..

مخافة ما تجره من أهوال..

يومان مرا على شفا انفجار بالمنزل، صمت يحوي بهدوء الكثير من الغليان؛ فإن كان إعلان موافقة الفتيات على العرسان مفاجئاً وصادماً للجميع، فالיום التالي كانت المواجهة الحامية بين ميرا التي استعادت بأسها والثلاثة أكثر قسوة وضراوة:

- أنا قولتلكم موافقة.. مش فاهمة فين المشكلة؟

نطقها ميرا ببداية انفعال قابلت به هياج عصام:

- هو إيه اللي موافقة؟.. ليه؟.. يبقى في حاجة بينك وبينه وهو ده اللي خلاه يقرب منك بالشكل ده.. ها ردي؟

ردت ميرا وهي تجعد أنفها مشمئزة من تلميحاته:

- كلامك ما يتردش عليه إلا لو عايزنى أغلط فيك!!

انفتحت عيون عصام بغضب وقام ليهاجمها بعنف، أعاقه زيد باحتضانه له ولثورته:

- إيه!!.. بتقولي إيه؟.. تغلطي فيّ؟.. سيبيني يا زيد.. ليها عين تتكلم وتبجح كمان؟.. سيبيني.. واضح إننا دلعناها زيادة عن اللزوم.

رأيتك

شغيف وورع

وقفت ميرا والشرر يتطاير من عينيها تواجهه بصلافة:

- سيبه يا زيد يضربني تاني.. ورد على كلامك؛ آه ليّ عين لأنني
ما غلطتش..

وزعقت بها بعلو صوتها:

- ما ااغلطتش.

هتف بهما زيد بسخط:

- ما تهدوا بقى أنتوا الاتنين خلينا نعرف نتكلم.

- سيبهم يا زيد يقطعوا بعض.. هي عايزة تهزأ أخوها الأكبر منها
وهو عايز يمد إيداه عليها تاني.. سيبهم.

نطقها هشام بغضب مكظوم وهو يشملهم جميعاً بنظرات تغلفها
خيبة الأمل،

عادت ميرا لكرسيها تزفر بضيق مزيحة وجهها للاتجاه المعاكس
عن الباقيين تاركة خصلاتها المنسدلة تداري وجهها بتمتمة:

- أنا آسفة يا هشام.. ما قصدتش اللي قولته.. بس اللي قاله...

قاطعها هشام بصرامة:

- سؤال مشروع ومن حقه وحتجاوبيه.

حركت رأسها بحدة تواجهه بعيونها المستنكرة وزيد يحاول
تلطيف الأمور:

- يا هشام الموضوع مش محتاج سؤال و..

قاطعها هشام بحدة تتعالى نبرات الغضب فيها:

- لأ محتاج.. صور حتخلي سمعتها وسمعتنا في الأرض،
وتصرفاتها الفترة الأخيرة عليها علامة استفهام كبيرة.. منين ما
فيش بينهم حاجة ومنين وافقت على خطوبة أقل ما يقال عنها
مهينة!؟!

نكست رأسها عاقدة حاجبها بغضب وهي تكز علي أسنانها، هو
محق.. فالمراهق جعل عرض الخطبة مهين بشكل لا يستساغ، لا
لهشام ولا لها.. لكن والحق يقال هو العرض الوحيد المعقول،
إنقاذ جذري وسريع المفعول، لذا رفعت رأسها بشموخ عنيد:

-أديك قولتها؛ لو في حاجة بينا كان العرض ساعتها حيتلف،
لكن لأن واضح إن الموضوع مقصود بيه هو ومؤسسة الحديدي؛
فعرضه جه عملي ومباشر مالوش دعوة لا بمشاعر ولا غيره.

أخذت نفساً عميقاً واستقامت بجلستها مكملة بإصرار:

-علشان كده أنا وافقت، مش علشان.

سددت نظرات حادة لعصام المشتعل غضباً مكملة:

-علشاننا إحنا.. علشان تعبنا على مدى عشر سنين بننحت في
الصخر، علشان اللي ساب كلية الطب علشان يقف معانا وحول
تجارة إدارة أعمال، علشان اللي بيضيع أيامه في الشركة ليل
نهار، علشان اللي حط كل ما يملك تحت تصرفنا ووثق فينا.. كل
ده ما ينفعش يروح بسبب غلطة.

زقق بها عصام:

- ما تخلطيش الأمور ببعضها.. مالكيش دعوة بي، ما حدش
غصبني على اختياري.

وأتبعه زيد هاتفاً يحثها على التراجع:

- ده تهوري يا ميرا مش مقبول.

ابتسمت ميرا نصف ابتسامة وهى ترفع أحد حاجبيها تواجه زيد:

- مش حتكون أول مرة ألجأ فيها لحل متهور علشان حد
يخصني.

قام هشام من مجلسه واقفاً بحزم مردداً:

- المرة اللي فاتت أنا ما كنتش موجود واستحالة كنت حاقل بيه
لو عرفته.

موجهاً نظرة لوم لعصام وزيد مكماً بنظرة قاسية:

- لكن المرة دي.. لأ.. موافقتك مالهاش أي لازمة لأن طلبه
مرفوض وأنا اللي حابلغه بنفسى، ولحد ما نكمل المبلغ
حتواظبي على شغلك.

حاول عصام الاعتراض فأمسك زيد بيده يحذره وعيون هشام
تحولت له تزجره بغضب، يبحث عن متنفس، أكمل بهسيس
غاضب:

- مش ميرا منصور اللي تتخطب بالشكل المهين ده.

نطقها وخرج دون كلام يبحث عن وسيلة لتأمين الشرط الجزائي حتى لو حكمته الظروف بيع منزلهم سيفعلها، وعقله يبحث عن طريقة لإخراج أخته من براثن صحافة لا ترحم.

صباح اليوم التالي..

الجميع صامت متباعد ولولا بقايا من عزيمة وإصرار حورية لانتبذ كلاً منهم ركناً مبتعداً عن البقية، روتين صباحي مفقود وتجمع على الإفطار بالغضب، حاولت تغيير الجو بالمزاح مرعدة:

- آآآه يا واد يا زيدو النهاردة حاعملك صينية قشر بياض فى الفرن مع تعابين مقلية وطاجن سبيط حتاكل صوابك وراها.. عارفة أنك بتموت فيها...

قاطعها عصام بجزع:

- إيه؟.. تعابين إيه يا حورية؟!.. لأ بلاش.

فعدت حاجبيها متعجبة هاتفة:

-ليه إن شاء الله بقى؟.. مالها!.. ما أنتوا بتحبوها وبتطلبوها بالاسم.

لكزه زيد بقدمه فأجابها عصام مبتسماً:

-لا ما أقصدش كده.. أقصد ثقيلة على المعدة وكلها دهون، ما بلاش خلينا حاجة خفيفة.. اقولك نفسي فى شوربة خضار.

أغمض زيد عينيه بقنوط ساباً إياه بداخله وهو يلكزه تلك المرة بقوة مؤلمة جعلت عصام يتأوه ويزجره بعينه، ردت حورية:

-شوربة خضار؟!.. أنت طبيعي، كويس يعني؟.. ولا عيان ولا إيه؟

ضحك زيد بصوت عالي مماًزحاً:

-بيهزريا حورية.. بيهزر.

التفت لهشام تسأله:

-حباب تاكل حاجة معينة يا حبيبي أعملها لك؟

قام من على الإفطار مكتفياً بقدرح من القهوة مجيئاً بصوت لا حياة فيه:

-لأ.

وغادر، بعد صوت إغلاق الباب وتنهيدة عميقة من حورية وجدت ميلا تخرج من الداخل مرتدية ملابسها بالكامل ومتأهبة للعمل، فعقدت حاجبها هاتفة بها:

- على فين العزم إن شاء الله؟

ردت ميلا بقنوط:

- رايحة الشغل.

- مش حتفطري؟

سألها زيد محاولاً جذبها للحديث..

- ماليش نفس.

وتلك كانت سابقة في تاريخ ميلا منصور الإدريسي اتسعت لها عيون الجميع.

عادت للعمل بقوة وصلابة وأناقة كعبها ذو الستة إنشآت الأحمر الناري يطرق الأرض بثقة، سكرتيرتها المعينة من قبل إيد استقبلتها مبتسمة وعيونها تحمل خبثاً تعرفته بسهولة وتجاهلته باقتدار وهي تجيبها على سؤاها المختص بأسئلة الصحافة:

- سيبيهم يلفوا حوالين أنفسهم، مش فاضيا لهم.

نطقها بقوة وشموخ جعلت حاجبا سكرتيرتها يرتفعان باندهاش، ثم انطلقت تباشر عملها، في منتصف اليوم جاءها استدعاء من مكتب الحديدي مع بابتسامة بغمزة من سكرتيرتها الحمقاء، كادت أن ترميها بكعب حذائها في عينها الغامزة، لكن البلهاء اختفت من أمام ناظرها سريعاً..

والآن آن أوان اختراع عذر والرحيل، فهي غير مستعدة لملاقاته بعد عرضه البطولي المهين، يمكن أن ترتكب به جناية وبدلاً من لبس الشبكة وصور في صفحة المجتمع ستكون القيود الحديدية وصورتها تنتقل بقدرة قادر لصفحة الحوادث، وبالأخص أنه احتمال كبير أن يكون قد سمع من هشام قراره بالرفض لذا وجب الحذر..

أسرعت تلملم حاجياتها بسرعة وخرجت ترمي لسكرتيرتها الحمقاء كلمات عن موعد هام استجد لديها وجب عليها اللحاق به، خرجت من بوابة المؤسسة تبحث عن سيارة أجرة، غافلة عمن يراقبها وعلى وجهه ابتسامة واثقة؛ فهو يعلم عن خدعتها لذا طلبها لمكتبه وانتظرها بالأسفل في سيارته في مكن عن عيون الجميع..

حين هم بالترجل منها استوقفته سيارة يعلم لونها وماركتها المميزة، تلك الحمراء القانية الايطالية.. "أشرف!!"
عاد لمكنه يراقب..

أيمكن أن تكون على علاقة معه هي الأخرى في غفلة منه؟! راقب بتيقظ حذر، عقله يجذبه لاحتمالات، وأذنه تتمنى لو استطاعت الاقتراب.

-أيه معقولة الجميلة حبيبة ابن الحديدي الجديدة مامعهاش عربية آخر موديل؟!!

تؤ تؤ تؤ.. لأ إياد بقى بخيل قوي.

راقب حذر

شخصيات ورواية

زفرت بحنق وهي تستدير له وعيونه المقززة الكاشفة إياها جعلتها
تكرمش أنفها بقرف واضح مجيبة:

- يا نعم!!.. خير عايز إيه أنت كمان؟!.. ما هي هاصت بقي.

قهقه بشكل مسرحي مبالغ فيه وهو يخبرها مقررأ:

- أوه لسانك الطويل!!.. عرفت دلوقتٍ سر بخله معاك.

نظرت له مضيقة عيونها، تجز على أسنانها وهي تقترب منه
بجرأة وعنفوان:

- اسمك أشرف مش كده؟.. باقولك إيه.. أنا عفاريت الدنيا
بتتنطط في وشي.. داخل الشركة بتاعتكم إتليل، مش داخل غور
من وشي أنا على آخري.

رمت كلماتها لا تعلم أنها أثارت الهمجي بداخله، هتف بها
بغضب يتفاقم وهو يمسك يدها:

- أنتِ لسانك ده عايز يتقص وتتعلمي الأدب.

ولم تمهله فأحد فوائد أن تكون ابنة خالتك مدربة أيكيدو محترفة
ومهووسة بممارسة الرياضة مجبرة إياك على القيام بدور الخصم؛

أنتِ ستلتقطين منها بضعة حركات خاصة إن كنتِ ذات عقل
لماح سريع التعلم..

وقد كان.. والضحية اليوم تحمل اسم الدب أشرف، غرزت كعبها
العالي بقدمه وسددت بركبتها ركلة لركبته بقدمها الأخرى،
انحنى من المفاجأة المؤلمة، أتبعها بركلة بركبتها، آه.. يبدو أن
تلك البذل ذات البنطال مفيدة بالنهاية..

راقبها وهو يقترب منها بسرعة، يخشى أن يتهور أشرف عليها؛
فهو يعرفه حق المعرفة ليس بالشخص المتسامح مع ذوي اللسان
الطويل..

راقبها تستمتع بتفريغ انفعالاتها به، تهينه، تجعله يجثو على
ركبته أمامها تلك القصيرة المثيرة، ابتسامتها الظافرة المتألقة
وهي تنفض كفيها منه، تتحرك مبتعدة عنه بشماتة؛ جعلت داخله
يرقص طرباً..

اقترب ينظر لأشرف، يقف أمامه بتعالي قائلاً بسخرية:

راقبها

شغيف وورع

- قوم قوم.. يارب تكون اتعلمت الدرس وما تبقاش تقرب ناحية حاجة مش بتاعتك.

أشار لرجال أمنه ليتكفلوا بالجاثم على ركبتيه ومنعه من ملاحظتهما، تركه ليتبعها مسرعاً قبل أن تختفي، أمسكها من يدها هاتفاً بها بلهجة حادة:

- حد قالك قبل كده أنك متهورة ومغناطيس مشاكل؟!!

كادت أن تعاجله بحقيبتها ظناً منها أنه أشرف السمج لكن نبرات صوته الواثقة جعلت حواجبها ترتفع بدهشة وهي تستدير تواجهه:

- أنت طلعت مين؟!.. أنت مش كنت في مكتبك؟

ابتسم ابتسامة ساخرة وهو يعقد حاجبيه:

- علشان عارف حركاتك كويس، قولى أستناك هنا مش حتأخري.

أنهى جملته وهو ينظر لساعته متهكماً فزفرت بحنق وعقدت حاجبيها:

- إياد كفاية اللي حصل لي من تحت راسك لحد كده، عايز إيه تاني؟

ابتسم لها وهو يتطلع لملامحها بتمعن:

- عايز أجيلكم بكره بالليل.. يناسبكم الساعة ٩؟!

عقدت حاجبها بتعجب:

- ليه إن شاء الله؟.. إيه المناسبة؟

نفض أتربة وهمية عن ياقة بذلته الرمادية مجيباً بهدوء:

- عايز أكلم هشام.. بدل الخطوبة يبقى كتب كتاب وفرح.

اتسعت عيناها وانفتح فمها محدقة فيه بعدم تصديق، وحين هز رأسه لها بتأكيد يزهو بنفسه، انطلقت ضحكاتها مجلجلة حتى انثت تتكئ على أقرب سيارة مجاورة لها تستند عليها وتخبره من بين ضحكاتها:

- أنت ما حصلتش.. بجد رهيب..

ونظرت له متفكهة وهي تعقد يديها أمام صدرها مكملة:

- واضح إن ما وصلكش آخر الأخبار.. طلبك بالخطوبة، عرض الإنقاذ إياه..

ورفعت يديها لأعلى تشني سبابة وإبهام كلا كفيها:

- مرفوض.. وشرطك الجزائري بيتجهز بسرعة الصاروخ.

لحظات صمت اقتحمتها خلالها نظراته المفنّدة، وحين استشعر الصدق والثقة فى كلماتها اقترب منها مضيقاً عيونهُ:

- وسمعتك والصور؟!!

هزت ميّرا أحد كتفيها ماطة شفّتها:

- هشام مش حىغلب.. وبعدين أسبوع ولا اتنين والناس حتنسى وتنشغل بفضيحة جديدة.

اشتعلت عيناه بنيران تكاد تشعر بلهيبها، ومع دقائق خوف نبضت بداخلها، اقترب منها أكثر محذراً:

- لو فسختم العقد؛ مش حتعرفوا تشتغلوا مع أى شركة.. وده اعتباريه وعد منى، حتعلنوا إفلاسكم وتقفلوها فى أقل من ٣ شهور، غير إن أخواتك نفسهم مش حىلاقوا اللي يقبل يقف

قصادي ويشغلهم عنده، وموضوع الصحافة.. أنتِ فاهمة غلط،
ارتباط اسمك بمؤسسة حجم تعاملاتها بالمليارات مش حيتسي
بالسهولة اللي أنتِ فاكرها.. وآدي أول عينة قابلتها من ثواني
فاتت في أول يوم تنزليه شغل.

كلماته كانت تتوالى تسحب الثقة والقوة منها فجعلتها تهتف به
في عصبية:

- أنت عايز إيه؟.. عايز توصل لإيه؟

حدق بها بقوة:

- الخطوبة حتم، مش بس كده لا.. حتبقي كتب كتاب وجواز،
وهشام مسئوليتك أنك تقنعيه.. قوليله حبيته.. أعجبت بيه.. فتى
أحلامك.

دورت عيونها بسخرية فأردف بصرامة:

- بلاش.. قوليله عريس لقطة، أي حجج من حججكم، ما
يهمنيش إزاي!!.. اللي يهمني أنه يوافق إن كتب الكتاب يتم في

خلال شهر يا ميرا.. يا إما استعدي لبوابة جحيم حتفتح عليكِ
وعلى عيلتك.

أنهى كلماته بحزم مبتسماً:

- عارف أنك ذكية وحتحسبها صح، وبعدين تكسبوني في
صنكم أحسن بكثير من أني أكون عدوكم.. لأنني ما برحمش.

أشار بيده من وراء ظهرها فتوقفت بجانبهم سيارة من سيارات
الشركة بسائق:

- مؤقتاً كل تحركاتك حتبقي بعربية من عربيات الشركة بسواق
خاص ليك لحد ما نتجوز، ساعتها الترتيبات دي حتتغير.

استدارت لترى سيارة سوداء حديثة ورجل أقل ما يقال عنه باب
متحرك ينزل من مقعد السائق ليفتح لها الباب..

نظرت لإياد بدهشة متسائلة فرد سؤال عيونها ببساطة:

- سواق وحارس خاص، خلينا نتفادي أخبار مهاراتك القتالية
دي في جرايد بكرة، ومروة أنا حبقى ليّ كلام تاني معاها.

عقدت حاجبها بقوة ولسانها سبق عقلها كعادتها:

-إيه دخل مروة هي كمان؟!!

ابتسم بسخرية وهو يسدد نظراته ناحية أشرف الذي يقيده رجال الأمن محاولين تهدئته ورد بصرامة من يرسى قواعد حياة:

-علشان مش كل مرة حتسلم الجرة، وماينفesch مراتي لا تتجرأ على حد ولا حد يتجرأ عليها.

لم يمهلها فرصة للرد أو التعقيب أو حتى الاعتراض، ببساطة ألقى كلماته وانصرف..

نظرة تحذير من السائق لها وكلماته المحذرة الهادئة:

-عندي أوامر إنني ما أسبش حضرتك إلا قدام بيتك؛ يا إما ما أرجعش الشغل تاني.

كلماته قاطعت كل أفكار التمرد التي طافت بعقلها، جعلتها تنصاع وهي تبرطم بألفاظ جعلت وجه السائق يحمر، فهي لن تتحمل وزر آخر بضياع مستقبله بسببها.

"أنا محتاجة مساعدتكم"

كلمة ألقتهما على الاثنتان اللتان تسمرتا في مكانهما، إحداهما ارتفعت حواجبها بدهشة والأخرى انعقدتا بترقب، نظرتا لبعضهما البعض وتحنحت مروة مقاطعة الصمت الذي تلا الطلب العجيب:

-قولي إيه كده؟.. سمعينا تاني.

زفرت ميرا بحنق وهي تجلس أمامهما في غرفة يارا، تخلع حذاءها بترق متأففة:

-أيوووه يا مروة.. مش وقت تقفيل مخ، باقول محتاجة مساعدتكم في موضوع مهم.

ردت مروة بتوجس هامسة ليارا بصوت مسموع:

-مادام لسانها قلب اسكندراني يبقى في كارثة.. هاتي ما عندك.

أخذت نفساً عميقاً تفكر كيف ستصوغ لهما ما يجول بذهنها وتقنعهما:

-إياد عايز الخطوبة تبقى كتب كتاب.

اتسعت عينا يارا بفزع في حين هبت مروة من مكانها:

- نعم يا أختي؟! .. إيه!!.. إذا كان مافيش خطوبة يبقى إزاي في
كتب كتاب؟

ردت ملقية كل ما بجعبتها حتى تنتهي فورة دهشتها سريعاً فهي
لا طاقة لها:

- كتب كتاب وجواز في خلال شهر.

صاحب تصريحها شهقاتها العالية المندهشة وكلماتها المتبعثرة
المستنكرة
بدأتها يارا:

- شهر إيه وإزاي؟! .. وهشام؟

وتابعت مروة:

- أنتِ اتجنتِ يا ميرا!!.. فرح إيه وكتب كتاب إيه؟! .. إذا كان
أخوكِ مش موافق بمجرد خطوبة صورية.

أجابت ميرا بتركيز ورجاء:

- ما هو ده اللي أنا عايزاه منكم، عايزة مساعدتكم نقنع هشام
وقبل ما تعترضوا اسمعوني الأول..

وبدأت تروي لهما أحداث اليوم من لمزات وهمزات العاملين
بالشركة وسكرتيرتها ومحاولة أشرف التحرش بها كفريسة سهلة
مقتطعة تهديد إياد وذكرت عرضه بأكثر طريقة مقبولة تستطيع
اختراعها وصممت منتظرة حكمهما:

أول من بدأت بالحديث كانت يارا:

- اشمعنى شهر؟!.. كده إياد بيصعبها قوي.

رفعت مروة عيونها لميرا تسألها بتفكه:

- وكمان عربية بسواق وحارس خاص؟!.. هو الحب ولع في
الدرة ولا إيه؟

ابتسمت ميرا بسخرية مدممة:

- حب ايه بس!!.. لا أنا ولا هو بتوع حب وحوارات من دي.

يارا سألتها بتوجس:

-إوعي يكون بيهددك بحوار الشرط الجزائري، أنا لسه مكلمة هشام من شوية وقاللي هانت.. فاضل مبلغ صغير ويكمل؟

هزت ميرا رأسها وهي تتوجه ناحية نافذة الغرفة ترد بشرود:

-تو مش حوار تهديد.. صحيح مستقبل شركة كلنا بيناها من الصفر وضحينا كتير علشان تتبني وتقف على رجلها، بس الأهم إياد الحديدي في صفنا ومصلحته من مصلحتنا.. تفرق كتير عن أننا نكون خصومه.

سألها مروة بصراحة:

-ميرا.. أنت بتحبيه أو على الأقل معجبة بيه؟

صمت لثواني تبث بأمانة داخلها عن إجابة شافية:

-بصي هو الاختيار الأنسب لي.. أنتوا عارفين رأيي في الحب والرجالة عامة بس المنطق بيقول أنني مش حاعيش وحيدة.. مسيري حاتجوز وراجل عملي أرحم من راجل يطالبني بمشاعر وحوارات ماليش فيها.. وبصراحة إياد أرحم من أي تدبيسة ممكن تطلعلي بيها عصابة القناع لو ركزوا معايا.

ارتفعت ضحكاتهن عالياً على لقب مروة على الأخوات، وحينما
هدأت عاصفة الضحك

سألتها مروة بجدية:

- بس أنتِ عايزة مساعدتنا في إيه؟

- عايزاكم تقنعوا هشام وعصام وسيبولى زيد أنا حاقنعه.

ارتفع حاجبا مروة بدهشة:

- ده اللي هو إحنا؟! .. حنقنعمم إزاي!! .. هشام دماغه حجر
وعصام أنا هو ما بنطقيش بعض أصلاً...

قاطعتها ميّرا:

- حد قالك أنتِ!! .. أنا باقول ليارا..

هزت يارا رأسها باستغراب:

- نعم أنا؟!!

فهزت ميّرا رأسها مؤكدة:

-آه.. أنتِ الوحيدة اللي هشام حيسمعلها بهدوء من غير عصبية
ولا نرفزة.

رفعت لها يارا عيون منكسرة:

-تفتكري؟!.. حتى بعد موافقتي على باسل؟

ردت مروة بحماس:

-أيوة فعلاً والله.. حتى لو قتلتِ قتيل؛ أنتِ بالذات حيعديها لك.

قاطعتهم طرقات على باب الغرفة وصوت هشام:

-يارا يلا نص ساعة وألاقيكِ جاهزة علشان ورانا مشوار.

أدارت الاثنتان رؤوسهم ليارا بتعبير:

"ألم نقل لكِ.."

فزفرت بحنق ثم ردت بصوت عالي:

-حاضر يا إتش.. حاكون جاهزة.

انتظرن صوت خطواته المبتعدة ثم هتفت ميرا:

-كده فاضل مهمة سيادتك يا ست مروة.

رفعت لها مروة أحد حاجبيها منتظرة باقي توضيحها فأكملت:

- عليكِ تقنعي حورية.. لو حورية اقتنعت يبقى ضمنا التوأم
والباقيين من غير مشاكل. حكّت مروة رأسها بتفكير:

- حورية ممكن.. بس موضوع شهر ده اللي أكيد حترجن فيه.

أسرعت ميرا محذرة:

- لا لا.. ما حدش يجيب سيرة شهر دي، بس عايزاكم تلمحوا
بموضوع إنه عريس مناسب وأنا مناسبين لبعض كخطوبة..
والموضوع حينفجر لوحده بعد زيارته بكرة.

همست الاثنتان سوياً:

- ربنا يستر..

رنين طويل على الباب بشكل مزعج، جعله يسب الطارق دون أن
يعرفه متوعداً بصب غضبه عليه..

أسرع بخطواته لإنهاء الصداع بفتح الباب، ليجد إياد يقف
بابتسامة سمجة مثبتاً إصبعه على الجرس بشكل مستفز فضربه
باسل على ذلك الإصبع وتركه ودخل وهو يهتف فيه ساخراً:

- أنت مش معاك مفتاح يا زفت! ما دخلتش ليه على طول ايه
لازمته الصداع ده!!

هز إياد كتفيه بلامبالاة داخلاً للمنزل مغلقاً الباب وراءه يسأله:

- أنت ما جيتش الشغل ليه بقى لك يومين مش خايف تترفد!!

جلس باسل علي الأريكة مريحاً ظهره ومغمماً بسخرية:

- مش عاجبك أرفدني أنت عارف أن أسهمي في المؤسسة
تعيشني ملك خاصة وأنا لوحدي وحياتي بسيطة وواضحة.

ضيق إياد عيونه ماطاً شفثيه:

- آه بدأنا شغل التنييط، عندك حاجة قولها بس مش تتقمص
وتسيب الشغل زي العيال الصغيرة.

رد عليه باسل بوضوح وقسوة:

- من ناحية عندي فعندي كثير بس الكلام اللي عندي لإياد
صاحبي عشرة عمري مش للي شايفه قدامي نسخة من عبد
العزيز بيه الحديدي.

كلماته أصابت إياد بالصميم فرفع له عيون مستنكرة، أكمل باسل
باشمئزاز:

- ما تبصليش كده.. آه نسخة ومشوهة كمان.. أبوك في عز
جبروته وشدته عمره ما لعب بسمعة حد ولا شرف ناس.. طول
عمره لعبه في السوق وبس.. لكن أنت بقى بقيت بتلعب بسمعة
بنت حظها الأسود وقعها في طريقك.

دمدم إياد بغضب مكتوم فهو جاء ليسترد صديقه الوحيد لا
ليفقده:

- أنت مش عارف حاجة!

طوح باسل يده بغضب في وجه إياد هاتفاً:

- أيه!.. حاجة ايه ها؟.. في بينك وبينها حاجة؟.. حتى لو ده ما
يديكيش الحق أنك تذللها تكسرها وتهدد أهلها.. ايه عرضك

ليهم يا إياد؟ أنت خلتي ماليش عين أكلم عصام ولا أي حد فيهم؟

رد إياد محاولاً تلجيم غضبه:

-قولتك ما فيش حاجة بيني وبينها والعرض كان خطوبة لإنقاذ الوضع.

اتسعت عيون باسل باستنكار:

-ايه!!.. اللي شوفته ده وكلامك الهجومي ده كان على عرض جواز؟!.. استنى هنا.. وقام مسرعاً يفتح هاتفه وبعده لمسات كان قد وصل لمبتغاه وقذف به تجاه إياد سائلاً اياه:

-خطوبة أزاى وأنت فرحك على ناريمان آخر الشهر؟!!

نظر إياد للهاتف ليجد دعوة مصممة إلكترونياً تدعو لعقد قرآن وزفاف كريمة الخبير الاقتصادي الكبير "ناريمان القاضي" على نجل رجل الأعمال الموقر "إياد عبد العزيز الحديدي" في الـ ٣١ من الشهر الجاري وتعد بدعوة ستصل قريباً..

سب إياد بوقاحة وهو يقذف الهاتف بجانبه ويفرك وجهه بيده..

وقتها استشرى القلق بباسل فهدأ من نبرة صوته:

- أنت فعلاً خطبت ناريمان ولا حتخطب ميرا؟؟؟

زفر إياد مردداً:

- الاثنين!

تساءل بباسل بدهشة:

- نعم!!.. ازاي ناريمان يا إياد!!!!!!.. ناريمانا ان ازاي؟؟!!

زفر إياد مجيباً:

- بباسل.. أنت واثق فيّ؟.. واثق في دماغ صاحبك ولا لأ؟

نظر له بباسل طويلاً قبل أن يغمغم:

- ما بقيتش عارف.. ما بقيتش فاهمك.

فهز إياد رأسه مردفاً:

- لازم تعرف لأنني.. عايزك تيجي معايا وأنا باطلب ميرا بكره من

أهلها، عارف هما بيحبوك ويقدروك ازاي.. وأنت عارف ظهور

أبويا معايا حل مش مطروح أصلاً.

- أنت عايزني أنا أخطبك ميرا!!.. وأروح اقول ايه يا هشام؟!..
سلم أختك لإياد يخطبها وآه بالمناسبة كلكم معزومين على فرح
العريس آخر الشهر!!

اقترب منه إياد مجيباً إياه بـرجاء:

- لا يا باسل.. محتاجك لأنك صاحبي أكثر إنسان حيقف جنبي
وحاسس بيّ وحافهمك حنعمل أيه..

وبدأ يسرد ما يدور بباله أمام اتساع عيون باسل الراضة أولاً ثم
المتفهمة والمؤيدة بالنهاية..

فحل صديقه هو الأمثل رغماً عن المبادئ!

"إياد.. لو سمحت تعالى المكتب أنا عايزك شوية"

نداء أبيه الجمهوري استوقف حديثه مع مهندس الديكور الواقف
على السلم الداخلي للفيلا؛ حيث سيقوم بإعادة تصميم الجناح
الخاص به وتكبيره؛ ليكون بمثابة شقة صغيرة لاستقبال عروسه..

استأذن من المهندس وذهب لأبيه بمكتبه فوجده جالساً علي
كرسي مكتبه، يحدق به يحاول قراءة ما بداخله وإياد يتلبس وجه
مصمت..

فعاجله أبيه:

- إياد.. أنت ليه صممت على موضوع الفرحة وكتب الكتاب آخر
الشهر؟.. أنت مش عارف أن طول الشهر حاكون في لندن باعمل
فحوصاتي السنوية؟

جلس إياد بهدوء ونظر لأبيه مواجهاً بعيون لا تشي بأي شيء
على الإطلاق ونطق كلماته بهدوء:

- لا عارف.. بالعكس قلت فرصة علشان دوشة العمال وهما
بيجهزوا الجناح، ويدوبك الفحوص بتاخذ ٣ أسابيع وبتقضوا
بعدها يومين راحة وبترجعوا.. ما تقلقش أنا مرتب مواعيدي
مضبوط.

- ليه شايفك مش مبسوط؟

ارتفعت حواجب إياد رغماً عنه باندهاش:

- أنت بتتكلم بجد؟!.. باتجوز واحدة مش عايزها ومش واثق فيها وعايزني ابقى مبسوط!

أخذ نفس عميق واستعاد وجهه المصمت وردد بآلية:

- حضرتك عايزني أتجوز علشان الأحفاد والعمر اللي بيجري، حاضر.. عايزني أنقذ المؤسسة من سمعة رئيس مجلس الإدارة الدنجوان، حاضر.. عايزني أعيش معاك هنا مش في مكان منفصل أنا وعروستي، حاضر.. لكن عايزني أبقى مبسوط وسعيد وأنا مجبر!!.. آسف مش حينفع أقول حاضر وأنفذ لأن المشاعر والأحاسيس مش بإيدي.. عن إذن حضرتك اتأخرت على المهندس ولازم أنهي معاه كل التفاصيل النهاردة لأنهم حيدأوا بكره بعد ما تسافروا.

- جاي توصلنا للمطار؟

التفتت له إياد بنظرة مبهمة مردداً:

- ومن امتي ما كنتش أنا اللي بيوصلكم وأول من يستقبلكم!!.. عن إذنك.

ترك أبيه قلق متوتر فإياد مطيع وهادئ أكثر من المعتاد وهذا
بحد ذاته مقلق بضراوة.

"تفتكر قراري ده صح يا معتر؟"

أمضت الساعة ونصف مدة جلستها تحكي باستفاضة دون توقف
وأنهت كلامها بسؤال مستفهم تسأل المشورة أو الطمأنة وربما
تسعى لتأييد، رد عليها معتر بهدوء:

-القرار قرارك لوحدهك اممم ممكن نقول أستعجلتي شوية بس
أنا بأحييكي على الخطوة دي

صمت قليلاً ثم سألها:

- هو اسمه باسل مش كده؟

هزت رأسها بالإيجاب فأكمل:

-اللي شوفته وقت حادثة السخنة مش كده؟!!

هزت رأسها مرة أخرى بنعم طالت نظرتة لها قبل أن يسألها:

- يارا.. عايزك تجاوبيني بصراحة أنتِ ليه طلبتِ أنه يعرف
الحادثة بتاعتك وحالتك بالتفاصيل؟؟

رفعت عيون متسائلة له ومع صمته جاوبته:

- علشان ده المفروض يحصل مش كده!

أمال رأسه للجانب يلعب بقلمه بين أصابعه:

- هي وجهة نظر.. وفي وجهة نظر بتقول ممكن خطوط عريضة
من غير تفاصيل.

اعتدل بجلسته مركزاً عيونه عليها:

- يارا.. أنتِ كنتِ بتحاولي تخليه يهرب مش كده!

ارتباك حدقيتها وترطيبها شفيتها بلسانها أمام عيونه المحاصرة
جعلها تهرب بعيونها منه لم يحتج لجواب كل إشارات جسدها
أجابته ببلاغة فمط شفيتها:

- ليه ما رفضتيش مباشرة بدل المماطلة يا يارا؟

رفعت عيون معاندة له:

- أنا مش بماطل.. أنا محتاجة التجربة.. أنت نفسك قولتلي يا اختار يا إما حادف للاختيار..

هز رأسه برفض لما يعتمل بداخلها فهو جلس مع الشاب..

صحيح كانت جلسة واحدة مع ما عرفه عن ظروفه منهم، الفتى ليس حمل تجربة فاشلة هو مثقل مثلها بماضيه..

أخرجته من أفكاره:

- تفتكر حانجح؟

جاوبها بصراحة:

- متأكد أنك حتخلصي من خوفك وتقدري تعيشي طبيعي جداً.

ابتسمت لكلماته حين سمعت مؤقت موعد الجلسة ينطلق قامت من مجلسها وشكرته منصرفه بتوصياته المعتادة ووعدا بالحضور المرة القادمة..

وبعد أن غادرت غم لنفسه:

"أتمني ما تنقذيش نفسك على حساب"

تنهيدة قوية صاحبت طرقات من مساعدته:

-دكتور معتر.. آسفة.. بس باشمهندس هشام طالب مقابلة حضرتك ضروري قبل الحالة اللي جاية، أدخله؟

عقد حاجبيه بتوجس فيارا لم تكد تخرج من الباب فهتف بها:

-آه دخليه.. واعتذري للحالة، عشر دقائق بس.

قام معتر يستقبل هشام بالتحية مخفياً دهشته بحرفية وبعد جمل الترحيب باشره هشام:

-عارف ما عندكش وقت وآسف بس كنت محتاجك في استشارة سريعة.

الجد ارتسم على ملامح معتر مصغياً باهتمام:

-اتفضل.. أنا سامعك.

ابتلع هشام ريقه مردفاً:

-بصراحة أنا خايف على يارا من موضوع الخطوبة مع باسل ده، هي حكيتلك!؟

سأله مباشرة فهز معتر رأسه بالأيجاب:

- فعلاً بس أيه اللي مخوفك؟

تنهد هشام مجيباً:

- حاسس أنها مش جاهزة، هو بيدور فيها على حاجة مش حتقدر تديها له واللي هي محتجاه مش حيقدر عليه.

ارتفعت حواجب معتر فهشام فسر ما يدور بذهنه بدقة فسأله بهدوء:

- ايه اللي وصلك الإحساس ده؟

قام هشام يتحرك بقلق وهو يتكلم وكأنما وجد أخيراً من يأتمنه على أفكاره:

- يارا عايزة حد بيحبها علشان يقدر يستحمل.. يقدر يتفهم.. يقدر يحتوي.. وباسل...

تردد لثوان قبل أن يكمل:

- باسل محتاج اللي يحتويه.. أنا شوفته وسطنا، باسل شوفت نظراته.. هو عايز الأسرة واللمة اللي جاية مع يارا.. وبصراحة أنا ما عنديش استعداد تتعب مني أو التقدم اللي حققناه يتدهور ونرجع لنقطة الصفر. لو حصلها حاجة بسببه أنا ممكن أقتله!

ونظر لمعتز يؤكد كلماته:

- أنا ما بهولش.. أنا بأتكلم بجد، اللي أنقذ خالد من أيدي لما سمعتها بتتوجع لولا كده كان زمان الكلب ده مات وريحنا.

عقد معتر حاجبيه بقوة وهو يستفسر منه:

- يارا قالتلي أنك ضربته ضرب مبرح.

فنظر له هشام بنظرة قاسية مفسراً بقسوة مخيفة:

"- ضرب كاد يودي للوفاة".. كون أنه عايش ده معجزة ما يستحقهاش.

تلك النبوة أقلقت معتر جعلته يعتدل في جلسته محذراً:

- موضوع خالد ده انتهى يا هشام.. وباسل مش خالد بلاش تحكم عليه قبل التجربة.

صمت هشام لدقائق ومع صمت معتر المستفز جعله يدلو بما لديه:

- معتر.. أنا مش جاي لك علشان آخذ رأيك.. أنا..

أخذ تنهيدة عميقة قبل أن يكمل:

- أنا عايز أعرف هي بتحبه؟ .. معجبة به؟ .. مشدودة له؟

ضيق معتر عيونه محاولاً استكشافه:

- بتسأل ليه؟!

رد بشرود:

- محتاج اطمئن.

ساد الصمت من جديد بينهما ورنين هاتف مكتب معتر، جعل الاثنين يدركان أن وقتهما المستقطع انتهى وأمام نظرة هشام المصرية، وقف معتر مجيباً بغموض:

- ما أقدرش أقولك على أسرار مريضتي من غير إذن واضح منها.

ومع وقفة هشام المتحفزة وتكتيفة يده ونظرته المتحفزة، جعلت معتر يزفر مجيباً:

-اللي أقدر أقول هو لك.. اطمئن ما فيش خوف على يارا.

حياه هشام وانصرف ليارا التي تنتظره بالسيارة وعقله يموج بالكثير..

فبدلاً من أن تريحه كلمات معتر زادت من وجيب قلقه.

ابتسامة دبلوماسية ارتسمت على وجهه، يلحن بأعماقه باسل واليوم الذي عرف به باسل!، فالأخير وافق على مشاركته مشواره والوقوف بجانبه، لكنه يتلذذ بكل ما جعله يمر به على مدى الأربع ساعات الماضية، فبعد أن تحدث مع ميرا صباحاً بالمكتب وتأكد من التزامها بالحضور بسيارة الشركة كما أمرها، وحتى حين أخبرته بضيق أن ما طلبه من طرفها قد تم وأياً كان ما ستؤول إليه الأمور مسؤوليته وحده..

رائد صالح

شغيف وورع

هو ابن الحديدى يدخل حاملاً باقة ورد وعلبة من الشوكولاتة الفاخرة مع هدية ذهبية قيمة؛ فشرط باسل المقيت للذهاب أن يتبع إِياد كل تعليماته بدقة، لا يشفع لباسل أن الزهور مستوردة من الخارج أو الشوكولاتة بلجيكية فاخرة..

وظنه كان بمحله فالكل نظر للهدايا بإنهار إلا هي..

نظرت للورود واستقبلتها منه وما ناله منها سخرية مقيته:

-ورد يا إبراهيم!.. قديم قوووي!!

ابتلعها بصمت وتوعد بإنقام قريب، أما اليوم فليده هدف أكبر لتحقيقه وقد كان..

بضعة كلمات من باسل بدبلوماسية إجتماعية أثارت إعجابه وخفت من سخطه عليه:

-بصراحة يا جماعة أنا جاي النهاردة أخطب ميرا لأخويا وصاحبى وعشرة عمري إياد..

واجتماع ثلاثي الأركان من الأخوات مع ترأس هشام وحضور زيد وغياب عصام، تبادلوا النظرات وهتف هشام بالسؤال:

- أنا كنت فاهم الموضوع دعاية؟

أسرع باسل:

- لا.. لا.. الموضوع بدأ كده مع إياد، بس هو فكر كويس لقي أنه مش حياقي أحسن من ميرا.. فعلشان كده خلاني أكلمكم وأجي معاه نصحح سوء التفاهم ونتقدم لها بالطريقة اللي تليق بيكم وبيها.

ضيق حورية عيونها وهي تسأل إياد:

- ما تأخذنيش يا بني بس هو والدك ماجاش معاك ليه؟؟

رفع إياد عيونه لحورية هو وهي لا يتفقان ولكنه تذكر تحذير باسل

"كن هادئ ومبتسم ومجامل وإلا سنطرد سوياً"

-والدي من بعد عملية القلب الأخيرة له وهو كل فترة بيسافر يتابع حالته، والمرة دي تعب واضطر يعجل بسفره وطبعاً هو حيحضر الفرحة وكتب الكتاب آخر الشهر.

- نعم آخر الشهر!!!

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

نطقها آمال بأستنكار:

لكزه باسل وابتسم محاولاً تحجيم الخسائر:

- معلى هو الموضوع مستعجل.. أنتوا عارفين سخافة الصحافة وكل يوم أخبار أسوء من الأول وتكهناات وآشاعات.. فمن مصلحة الجميع أننا نعجل بالجواز ونخرس الألسنة، طبعاً إن شاء الله إذا وافقتم يعني فيبقى خير البر عاجله.

ساد الصمت الموقف لدقائق وخمس أزواج من العيون تتفحص إياد بقوة وهو صامد أمام الفحص الإجباري بابتسامته الواثقة الهادئة..

وبعد نحنة من باسل أعلنت حورية أن موعد العشاء حضر وتركت الاثنين مع هشام وزيد.. وبعد أن اختفت الأخوات تنحنح باسل من جديد:

- زيد.. أنا كنت كلمتك في موضوع من فترة وأنت ما رديتش عليا لسه.. يا ترى في رد؟

بلل زيد شفتيه متنهداً وهو يرد بابتسامة مقتضبة:

- النهاردة أنا وأنت نتقابل بالليل محتاجين نتكلم وبعدها
حتعرف الرد.

وقبل أن يترك باسل لظنونه قاطعهما إياد سائلاً هشام:

- ما سمعتش ردك يا باشمهندس؟.

رد هشام بوضوح وهو يرفع كفه متلاعباً بإصبعين اثنين:

- يومين هما الفرق بين عرض الإنقاذ وعرض الجواز!.. تقدر
تقولي عايز رد على أنني فيهم لأنني محتار!!

رد إياد بثقة وهو يواجه هشام بنظراته:

- عرض الجواز طبعاً.. وثق في حاجة مهمة أنني ما كنتش
حاتقدم بيه إلا إذا كنت متأكد أن ميرا هي الشخص اللي
يناسبني هي اللي حتقدر تكمل معايا حياتي.

صمت ساد الأجواء وتلك النبرة الواثقة والصادقة قلبت
الموازين..

وبعد العشاء والمزاح، وتحذير واضح من مروة إن مس من ميرا
شعرة واحدة، وخجل يارا الواضح من باسل أفشى بأن الموافقة
قادمة حتى وإن أنهى هشام الزيارة بكلمة

"يومين وحرد عليكم بس محتاجين فرصة نفكر"

-لو ما كنتش أنا اللي موصيك بالتصرف بكياسة وذوق كنت
صدقت بجد أنك جاي تخطبها لأنها عجبك!

نطقها باسل وهما بالسيارة في طريق العودة وإياد يتغاضى عن
الرد عليه متشاغلاً بإجراء مكالمات عدة ليضمن الانتهاء من كل
التفاصيل قبل يوم زواجه المرتقب.

تمر الأيام وناريمان توكل المهام للجميع بلا استثناء، فلا وقت
لديها وهي ليست كأبي عروس، خاصة مع انغماس عريسها
بالعمل وابتعاده التام عن حتى محادثتها..

وهو معذور، هي ستحتاج لكل ما بحوزتها من حيل و طاقة أنثوية
 لتميل كفة الميزان لصالحها من جديد..

لذا هي لا تبخل على نفسها بكل مساعدة ممكنة حتى تظهر
 بمظهر العروس المبهرة مع خير التجميل الخاص بها تتطلع
 للوجوه المختلفة لها فهي كما يقول خير تجميلها ذات ملامح
 ومقاييس عارض أزياء..

ملامحها تتأقلم بسهولة لذا جربت جميع ألوان وصبغات الشعر مع
 ألوان عدسات لم يسمع بألوانها حتى الكثيرون والآن هي في
 حيرة، أيهم سيفضل إياد ليلة عرسهما!.. لمست يدها بكتالوج
 تلوين الشعر خصلة بلون بلاتيني فضي جعلها

تتذكر كلمات ذاك الفتى الوسيم لا بل الساحر؛ فعيونه الزرقاء
 وبشرته النحاسية مع خصلاته البنية اللامعة مزيج مهلك من
 الوسامة وكلماته ما زالت ترن بأذنيها فهي لم تكن بالغزل
 العادي:

- ممكن أسالك سؤال؟

-اتفضل..

-ده لون شعرك الطبيعي ولا لأ؟

ردت سؤاله بسؤال متعجب:

-بتسأل ليه؟

-لأن سبحان الله اللي يشوفك يقول حورية جاية مخصوص
تنافس ضي القمر!.

تتذكر ابتسامتها وحديثها المسترسل معه فالمغازل الوسيم طيار
مدني بإجازة وهي لم تخبره سوى باسمها ناريمان القاضي..

طال حديثهما حتى استشعرت الحرج من نظرات أبيها الغاضبة؛
فاضطرت للإستئذان.. وليفة عرفوا بموعد قدوم إياد أجبرتها أمها
على اعتماد لون شعر طبيعي كباقي البشر، ليس لون استعراضية
فج فصبغته للأشقر البني..

-اااااه!!.. وينك أنت!.. الله يخليكي ركزي معي شوي يا نوري
من شان الله تعبتيني معك.. استقري على لوك من شان نبلس
نستعد ونجهزك ما في وقت.

هزت رأسها مجيبة وهي تتذكر نظرة إياد لها والذكرى أرسلت
رعشة من برودة النظرة، ابتلعت ريقها بتوجس:

- اختار ليا أنت يا طوني أي حاجة المهم أكون مبهرة.

والعروس الأخرى في إحدى حالات النكران أو اللامبالاة؛

من يرها لا يظنها عروس! لم يتبق لها في حياة العزوبية إلا أيام
معدودة..

الكل يجري يحاول تجهيز ما تحتاجه من ملابس واحتياجات
شخصية وهي منغمسة بعملها وتصميماتها وخالتها حورية تكاد
تجن:

- يا ناس! يا عالم!! في عروسة تبقى ماشية في البيت ببيجاما
وشعرها عامل زي عش العصافير!!.. مرارتي يا بنت آمال!.. يا
بنتي اطلعي من المطبخ اعلمي ماسك لوشك ولا لشعرك اعلمي
حاجة تحسني أنك عروسة!.

فتهز رأسها وبابتسامة سمجة تغمغم لها ردها المغيظ الثابت:

- يوم الفرح إن شاء الله حبقى أعمل.

كان ما يهدئ من روع حورية كل يوم، هو هدايا إياد التي أغرقت
المنزل، والتي لم تحصل من ميرا في كل مرة إلا على مطة شفاه
وكلمة من مقطع واحد

"حلوة"

هدايا من ماركات عالمية عطور وماكياج ومجوهرات، حتى
وصلها منه بروش برقت لها عيون الأخوات الثالث من ابهاره
فردت مغيظة اياهم:

"أوفر اووي!"

فتمتت حورية لآمال:

- بنتك دي لو كملت ست شهور متجوزة حسلم إياد بإيدي وسام
الصبر! صبرني يا رب.

واستمر الحال مع إصرار هشام تجهيز أخته كما ينبغي، لا يهमे
التكلفة فبيع الأرض تم ولديهم مبلغ مالي ممتاز حتى عصام
المعارض والمعارض أخبره:

- أنا مقاطعها لا همحضر فرح ولا جواز.. لكن ده مش معناه أنها مش مسؤولة مني أنا كمان.. خد نصيبي من بيع الأرض على نصيبك وجهازها بيه وشيلها فلوسها ما حدش عارف عمر جوازتها دي قد ايه.

ومع نظرة لائمة من هشام زفر عصام بعصبية وابتعد كما يفعل تلك الأيام معتكفاً خارج المنزل لا يتقبل أجواء التجهيزات والاحتفالات.

والآن لديه زواجين فبعد زواج ميرا بأسبوعين ستكون حفلة خطوبة يارا وباسل..

باسل الذي فاق توقعاته، فبعد أن غادر مع صديقه، التقى مع زيد بالمساء وتولى زيد سرد أحداث مؤلمة..

لم يسأل عن تفاصيل ولم يستطع أن يستمع لزيد وهو يسرد ردة فعل باسل المتفهمة وموافقته..

غصة طافت بصدرة حين تذكر ما سعى لنسيانه، فتياته الصغيرات
واحدة ستتزوج والأخرى ستخطب وكلاهما يثيران بداخله اعتقاد
راسخ أن إحداهما ستفشل.

مرت الأيام في سباق وانتقل إياد من جديد ليقوم بمنزل باسل
تلك الأيام فالفيلا العمل بها مستمر طوال ٢٤ ساعة؛ لتجهز جناحه
الخاص له ولعروسه القادمة..

يحاول السيطرة على الصحافة والإشاعات قدر الإمكان، يطمئن
على صحة أبيه ويطمئن أمه على مجريات الأمور وينهي المكالمات
بثورة حينما تطالبه بالحديث مع عروسه التي تشتكي من إهماله..

التجهيزات بالمتزلين على اختلاف طبقاتهما على قدم وساق؛

ناريمان تهتم بجمالها وأمها مع مساعدين مختصين يهتمون بباقي
التفاصيل،

وميرا غارقة بالعمل وورغماً عنها تنتشلها خالتها وأمها للتسوق
ليلاً حتى الاجتهاد فحتى مع إغراق إياد لها بالهدايا ظل إصرار

الأخوات على تجهيزها بجهاز عروس كامل.. ولقاء إياد وميرا
بالمؤسسة عملي بحت حتى أسمعها باسل ذات مرة تعليق
مندهش:

-اللي يشوفكم ما يقولش فرحكم كمان أسبوع!.. آه يا خوفي
ليوم الصباحية آلاقيكم جاينين الشغل!
ومع نظرات الاثنين المتعجبة باستنكار لما يقول ونظرات محذرة
من إياد جعلته يتلع تعليقه.

"مساء الخير.. الأنسة ميرا منصور موجودة؟"

رفعت مروة إحدى حاجبيها بتعجب وحين تغمدت الواقف
بالباب بنظراتها والمظروف الذي يحمله، تأكدت أنه السيد إياد
وهدايا جديدة،

المسكين يظن أن الطريق لقلب ميرا بالهدايا!
تنهدت وهي تهز رأسها مغممة:

-حقولي جايب لها طرد مخصوص ليها لا يسلم إلا لها مش
كده!

هز الرجل رأسه لها بالإيجاب، فمطت شفيتها وهي تخبره
باستعجال فالكثير من المعاندة والتعنت سيأخذ من وقتها الكثير
وستفوتها المباراة القتالية التي من أجلها تخلفت عن النزول مع
الصحبة النسائية وجولة الشوار القصيرة لذا أردفت:

-هات أمضيلك بالاستلام.

فتردد الرجل وسألها متأكداً:

-أنتِ ميرا منصور؟

فرفعت حاجبها الآخر بتحذير ضمني:

-تفكر حامضيلك بالاستلام ليه يعني مثلاً!

وبسرعة تحسد عليها، اختطفت منه الطرد وسجل التسليم
وخربشت إمضاءً يشبه بنت خالتها وشفعت الباب بوجهه وهي
تجري قافزة فوق ما يقابلها من أثاث لتلحق المباراة من الضربة
الأولي..

ومع اندماجها بالمباراة وخسارة صديقها التركي لنقاط مهمة
رمت المظروف بانفعال، وكافأها المظروف بتلفظ ما بداخله..

شهقت مسرعة تلملم ما تناثر ووقعت عيونها على مفاجأة..

مشاهد كارثية تحمل صورًا لرجل وامرأة في أوضاع لا يجب أن
تراها الأعين، رجل من المفترض أنه زوج قادم لابنة خالتها، مما
جعلها تدمدم عاقدة الحاجبين ونظرة نارية تنبعث من عينيها:

-آسفة "بالر" هخلف وعدي معاك بمتابعة مباراتك وتشجيعك
للآخر ورايا مشوار ربنا يخلف فيه ظني وإلا....

وأرقت جملتها بإغلاق التلفاز والهرولة لغرفتها تستعد لمغادرة
المنزل وبداخلها تتعاضم رغبة بقتل أحدهم.

الفصل الرابع عشر

أحمق من يظن أنه بنفسه عليم!
مغرور من خال أنه على قلبه سلطان أمر!
مسكين من توهم أنه من قدره هارب!
ساذج من ظن أنه لغيره كاشف!
ومجنون من حسب أنه دومًا فائز..
وكلنا بداخلنا ذاك الأحمق، المسكين بغروره، والساذج بجنونه..

تتحرك بقوة الدفع، تدلك رأسها بأطراف أناملها؛ فالصداع الناتج عن قلة النوم رهيب.. يكاد يفتك برأسها.. أخوات القناع لا يتركنها بمجرد أن تعود للمنزل إلا وتكون قد استعدت لرحلات تسوق طويلة لا تنتهي..

والأسوأ هي الأيام الأخيرة، فمنذ يومين قرر "إياد بك" قرار ديكتاتوري؛ لا يجب للعروس أن تعمل، ويتوجب عليها الراحة في المنزل خلال الأسبوع الأخير..

تنهدت تنهيدة كبيرة، هو بالفعل أسبوعها الأخير، أيامها الأخيرة من الحرية، سبّت بفضاظة وبضع قطرات من القهوة الساخنة تتناثر على كفها..

لقد جعلوها تكره متعتها الوحيدة بالحياة؛ التسوق..

قابلها انعكاسها المشعث المرهق بزجاج نافذة المطبخ، وقفت تتأمل صورتها الباهتة.. هل ما خطت له بقدميها صحيح؟!.. إياد العملي أرحم فعلاً حتى لو شاب طرقة الغرور والاكتساح والضرب تحت الحزام؟!..!

يظنونه عاشق صباة وهي لا تستطيع أن تراه حتى مجرد حبيب،
مطت شفيتها فأحقاقتاً للحق هي لا ترى أي رجل حبيب!!..
برأيها هوى العشق والتستوستيرون لا يجتمعان.. لكنه صلب،
يعتمد عليه، عنيد، والأهم أنه حليف قوي بحياة لا ترحم..

جلست تتلمس مائدتها مأوى إبداعها الخاص، كيف ستركها
خلفها؟.. ستفتقدها جداً، لكن هل تستطيع حملها لمنزل لا
تربطها به صلة؟!.. مهمة الإعداد تولاهها إياد قائلاً أنها مفاجأته
للعروس، حتى بعد أن أهدته نظرة متمرده أصمتها بجملته
أفحمتها:

"لو ما عجبهاش حاجة؛ غيرها بعد كده.. أنا يهمني أنها تبقي
مرتاحة"

وانتهت الجولة لصالحه والقلوب المجنحة تطير فوق رؤوس أمها
وخالتها، ذاك المغيظ سلمها لهم تسليم أهالي كما يقولون واليوم
أصبحت جولات التسوق صباحاً ومساءً.. والنتائج انتفاخ عيونها
وإرهاق قدميها وصداع عابث بخلاياها، انتهت بقرار؛ ستركها
هنا بمنزلها منارة لها حينما يحين أوان العودة.

"إفرحي يا عروسة.. ماتكشريش يا عروسة.. يا عروسة بلاش تكشير"

جملة منعمة نطقها يارا بمزاج مبتهج متفائل وهي تعد شطائر للإفطار مع مشروبها الرسمي، تثير غيظها هي الأخرى بذاك المزاج الرائق، ردت على جملتها بهزة رأس ساخرة وزفرة وصوت آخر يقتحم ضجة عقلها المؤلمة مردداً:

- يا فتاح يا عليم!!.. إيه الوش ده على الصبح؟!.. إيه وحشك الشغل ولا إيه؟

انتهت مروة من جملتها غامزة بعيونها فانطلقت تضحك هي ويارا بنعومة جعلت ميرا تجز على أسنانها:

- آه أنتوا حتفوقوا عليّ بقي؟.. أنا دماغي حتتفرتك من الصداع والعصابة مش راحميني، ده بدل ما تريحوا العروسة المرتقبة من الهلكة دي!!.. خلاص أنا مش نازلة من النهاردة تاني.. أنا حارتاح فى البيت، فاضلي يومين.

رأيتك حالم

شغيب وورح

كتمت الفتاتان ضحكاتهما وحين سددت لهما نظرة نارية محذرة
أسرعت مروة بنظرة مشفقة على حالها:

-إيه!!.. أومال لو عرفتِ بيجهزوا لإيه؟

ارتفع حاجبا ميرا واتسعت عيناها بقلق متسائلة بهما.. فالتفت
مروة تتناول شطيرة من يارا وكوب شاي بحليب مردفة:

-رأفة بحالك يا ميرو حقولك، بيجهزولك حفلة حنة حتستمر
ليومين ورا بعض..

شهقة فزع بعيون متسعة ارتسمت على ملامح ميرا المصدومة
ومروة تكمل:

-رقص وأصحاب وقرائب وزغاريد وهيصة.. وما خفي كان
أعظم.

أقلت ما بجعبتها واختفت، لم تفق إلا على تربيطة من يد يارا
وهي تضع أمامها طبق به شطائر للإفطار متممة بابتسامة:

-افطري.. بلاش قهوة على الريق.

فتوسلت برجاء:

- مش عايزة أفطر.. ماليش نفس..

صمت لثواني قبل أن تردف:

- مش عايزة حنة

ردت يارا بابتسامة:

- أنتِ عروسة ولازم حنة، لو مش علشان تفرحي فرحيهم هما..

وجلست جوارها بهدوء تربت على كتفها، تتلاعب بخصلاتها بصمت مريح ودفء متفهم.. ويد ميرا تنصاع ممتدة لتتناول إفطارها، وشروود يكتنف الأخرى، محاولات حثيثة من باسل للتقارب وهي تقابلها ب.. ب.. باللاشيء..

يسميه البعض صمت أو ربما خفر وقد يكون دلال، لكن الواقع أنها لن تنساق.. فهي تعلمت درسها بأعلى ثمن ممكن، لن تفرض على قلبها إحساس، ولا على لسانها كلمات.. هي لن تتصنع ولن تنجعل، لن تجبر خاطر بترديد ما لا تود، سترك لروحها العنان وأينما رست بها لن تعاند.

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

ترتشف القليل من كوب الشاي بالحليب فيارا تصنعه بمهارة
تستحق الثناء، وعقلها يحملها لزيارة الأمس المفاجئة، اندفاعها
الغاضب لمكتبه وجري مديرة مكتبه وتلك الشقراء خلفها وحين
رأته يجلس مع باسل بعد أن ارتفعت عيونهم لها متعجبة أسرع
بقوة وهى تكاد تنفث النيران:

- آسفة على مقاطعتكم.. عايزاك في موضوع مهم يا إياد.

قام إياد لها مسرعاً وباسل يرحب بها، صرف إياد مديرة مكتبه
وسكرتيرته بتحذير ألا يدخل عليهم أحد، والتفت لمروة:

- في إيه يا مروة؟!.. خير مالك؟!.. ميرا جرالها حاجة؟

وعند ذكر ميرا انفلت عقل سيطرتها لتغمغم بهسيس:

- أنت أدرى..

وأمام نظراته الغير مستوعبة أكملت بحزم:

- بيتهيا لي نتكلم لوحدنا من فضلك.

تنحج باسل بحرج واعتذر متعللاً بعمل مهم وخرج فى ثوان،
إياد يغلف مروة بنظراته يحاول اكتشاف المشكلة.. هل عرفوا

بعرسه على ناريمان؟.. وأين ميرا؟!.. لمَ لم تأتي لمواجهته هي؟!.. ومع صوت إغلاق الباب خلف باسل التقت عيونه طرف ظرف أصفر مقيت يكرهه وأنطلق لسانها يريح حيرته:

- سؤال مباشر ومحتاجة إجابة واضحة وصريحة.. حثلف وتدور عليّ صدقني حثندم.

ارتفعت حواجه بدهشة.. فالهادئة الطيبة ذات منسوب الأخوة المفرطة تهدد وبقوة، ويدها تخرج الظرف.. تلتقط صورًا ودعوة قديمة وأخرى حديثة.. اقترب أكثر يتناولها منها وهي تقف أمامه عاقدة ذراعيها..

الدعوات يعلمها سواء القديمة التي أحرقتها منذ سنين أو الجديدة المكدسة بدرج مكتبه.. أما الصور فتلك قصة أخرى!!.. صور لا تمت له بصلة ومع ذلك هو بطلها بلا منازع، صور أوضاعها موشومة بخلايا ذاكرته، ولكن تلك المرة الفارق كبير!!

لم يكن يعلم أنه يمكن أن يشعر بالغضب كما يشعر به الآن!!.. تلك الفورة من الدماء المتصاعدة، الآلام، العضلات التي تن

رأيتك
رأيتك

شغيفتي وارتحت

طلباً لمتنفس، ولسانه انطلق بسباب لا يصح أمام امرأة وهي لم تهتز.. ظلت على حزمها وصلابتها وهو يعذرها فسأل بفحيح:

- حد غيرك شاف القرف ده؟

نظرت له من أعلى لأسفل:

- لا.. لسه

التقط تحذيرها بسهولة وجلس على المقعد أمامها:

- عندك استعداد تفهمي وتسمعي؟!!

فردت بصلافة وهي تجلس، تكتف ذراعيها بقوة من جديد:

- ما كنتش جيتلك الأول.

ابتلع ريقه وبدأ يسرد ذكريات حفرت طريقها بعقله وقلبه بألم مضمني:

- كنا مخطوبين من فترة طويلة، وقبل الفرح بيوم سابتني بدون أي تحذير، والسبب أنها حبت واحد تاني، وبعد الفضيحة

بساعات جاتلي ورقة جوازها العرفي وصور شبه دي بالظبط بس
الفرق إن بطلها ما كانش أنا.

وقام من مكانه يفتح خزانة مخفية عملاقة بمكتبه، يخرج منها
ظرف مشابه ويسلمه لها.. صور، العري متطابق والاستباحة مقززة
والفضيحة هي نفسها والاختلاف كان ذكر..

دون أن تشعر أَلقت الصور من يدها كأنها ستلوثها:
- شريكنا في الشركة..

صمت ساد للحظات قبل أن تسأله بوضوح:

- طب ده دعوة الفرح القديمة والصور؛ ودعوة الفرح الجديدة
دي مزورة برضه؟!!

رفع عيونه لها وعقله وضميره يتصارعان بعنف، فعقله يخبره أنه
يمكنه أن ينهي الأزمة بكذبة دون داع لمزيد من الجروح
المنكأة، وضميره يأبى إلا أن يصارح حتى الرمق الأخير.. لا
يعلم لمَ!!.. ولكن بمروءة شئ ما دوماً كان يقتحم أعماقه، يستفز

إياد القديم الموءود بداخله وتلك الجولة فاز.. وانطلق يحكي لها
الحقيقة بتفاصيل مموهة وتلك كانت لمسة إياد الجديد..

والانتظار مقيت فاللحظات تمر ومروءة عاقدة حاجبيها بقوة
وسؤال عجيب:

- إشمعنى ميرا؟

- هي اللي تناسبني..

ونظرة عيونه الصادقة كانت الفيصل في الحوار فنهضت بحزم
وهي تلملم الصور والدعوات:

- ما أعرفش الظرف ده كان تحذير ولا فخ!!.. بس اللي أعرفه
أني مش حاسم تستخدم ميرا فى تصفية حسابات قديمة...
قاطعها إياد:

- أنا وضحتك كل حاجة بصراحة مع إنني مش مجبر.

هزت مروءة رأسها وتحركت لتخرج ملقية تحذير أخير:

- أنا لسه ما قررتش أعمل إيه!!.. بس اللي لازم تتأكد منه أن لو في لحظة أذيتها ما حدش منهم حيسبقني ليك.

رنين هاتفها المتعالي أيقظها من ذكريات البارحة، فعقلها مازال يدور بحلقات مفرغة، وحين نظرت للرقم رحبت بالإلهاء.. ردت بصوت مرح:

- بالر.. ناسيلسين؟!.. تابركياش شامبيون.. "كيف حالك؟!.. مبروك يا بطل"

قابلتها ضحكة عالية وهتف بالر ببهجة:

- الله يبارك فيك إزيك وكيف أخبارك؟

- واااو بالعربي كمان.. أنا الحمد لله.. لا فعلاً العربي بتاعك اتحسن قوي.. مبروك تاني مرة.

حذرها مناوشاً:

- فقط التزمي بالفصحى قدر الإمكان مروة، ما رأيك بالمباراة؟

- كنت مشتت بالبداية ولكنك استجمعت النقاط بشكل جيد..

تعالَت ضحكاتها من جديد وقبل أن ترد قاطع حديثها صوت
أجش غاضب:

- أنتِ بتكلمي مين؟

التفتت بتعجب:

- وأنت مالك يا عصام باكلم مين؟

رد عليها وعيونه تحمل غضباً مكتوماً:

- هو إيه اللي مالي!!.. بتكلمي مين وبتضحكي قوي كده؟

رفعت مروة أحد حاجبيها مرفقة إياه بتوجيه سبابتها إليه محذرة:

- عصام أنا مش كيس الملاكمة اللي حتطلع فيه غلك.. أنا مروة
مش ميرا.

وقبل أن يرد عليها برد حانق يقطر غضباً قاطعته تربيته من زيد
على كتفه:

- إيه مالكم؟.. بتتناقروا ليه؟

اندفع الاثنان سوياً:

- قوله مالوش دعوة بيّ.

- قولها بتكلمي مين وخليها ترد عدل.

رفع زيد يديه مهدئاً الاثنان وقد تكتفا ومروءة تنهي اتصالها هاتفة بصوت عالٍ مغيظة لعصام:

- مع السلامة بالر.. سأتصل بك لاحقاً..

وهي تنظر بتحدي لعصام المستشيط غضباً وهو يسأل بحدة:

- مين بقى سي بالر اللي بتكلميه زي أفلام الكرتون ده؟

زفرت بحنق ونظرت لزيد حانقة:

- شاهد يا زيد على استفزازة؟!!

- سيبك من زيد وردي عليّ.. مين ده أنتِ كمان؟

نظرت له بنظرة متألمة واختفت من أمامهم فزجره زيد:

- إيه طريقتك دي!!.. أنت ناسي مين دي؟.. دي مروءة.

فزفر عصام وهو يغادر بكلمة تتزف ألماً:

- لا مش ناسي هي مين.. زي ما مش ناسي ميرا كانت مين!!

وتركه منصرفاً ومختفياً من جديد تاركاً زيد تتصارعه الأفكار،
فحديثه مع ميرا الليلة التي سبقت حضور إياد لخطبتها
ومحاولاتها لتأكيد ما لا تصدقه وسماعه بلهجتها وقراءته بعيونها
ما لا تراه هي؛ جعله يوافق ويدعم فما لم تنطق به؛ جعله يدرك أن
زواجها ما هو إلا الخطوة الأولى في طريق سعادتها.. وهو لن
يتركها حتى تنالها كاملة.

جاء يوم الحفل أخيراً..

وبدأ بمفاجأة داخل مؤسسة الحديدي، توزيع دعوات فخمة
أنيقة لحفل زفاف السيد إياد موضحة مكان وموعد الحفل دون
ذكر لإسم العروس.. وحين السؤال عن من تكون!!.. يجب
بغموض:

"مفاجأة"

مما جعل الأقاويل تتداول خاصة مع اختفاء ميرا منذ أسبوع عن
العمل والمسمى أجازة، شماتة الفتيات كانت تنهش الأجواء

رأيتك عالم

شغيف وريح

بحثاً عنها، ومع تأكيد إياد على مديري الأقسام أن الدعوة عامة لكل العاملين بدأ الجميع فى سباق للاستعداد بآخر اللحظات للحفل الكبير..

وبدأ هو استعداداته من منزل باسل الذي كان يجب ردهته قلقاً مما جعل إياد ينهره بعنف وهو يحاول ضبط رابطة عنقه:

- ما تهمد بقي يا أخي خيلتني.. هو أنت العريس ولا أنا؟

- أنا مش عارف أنت مش قلقان إزاي من رد فعل أبوك!!.. ولو مارضيش يجي معاك حنعمل إيه؟!.. أنا هشام أكد عليّ بشياكة امبارح لو أبوك ما ظهرش؛ مافيش فرح ولا كتب كتاب.

نصف ابتسامة هادئة ارتسمت على وجه إياد مجيباً بثقة:

- ما تقلقش.. حيجي وحيحضر كتب الكتاب كمان.

- بلاش.. طب لو وصل لناريمان خبر جوازك!!.. بلاش.. لو دعوات ناريمان وصلت لميرا!!.. أنا حاسس إن دماغي حتنفجر من كتر التفكير.

- ليه وصلتك دعوة رسمي غير دعوة الموبايل أول مرة؟

هز باسل راسه نافياً فأردف إِياد بغموض:

-ومش حيوصل.. لا ناريمان ولا أبوها حيتحدوني.. وأنا قولتلهم
المدعويين من طرفي أنا اللي حاعزمهم بنفسي..

وفتح أحد أدراج الكومود بجانب سريره مخرجاً رزم من دعوات
لم توزع بعد.. زفر باسل:

-ده ما يمنعش إن حاجة واحدة بس تيجي عكس التوقع؛ كل
حاجة حتبوظ.

ابتسم إِياد ابتسامة غامضة وربت بهدوء على كتف صديقه أمراً
ببرود:

-قولتك ما تقلقش.. سيبها عليّ.

رفع باسل يديه باستسلام لبرود صديقه، لا يعلم من أين له بتلك
الثقة!!.. لكنه تعود مع صديقه دائماً ما تؤول المفاجآت
لصالحه..

وبالفعل توجه باسل لبيت العروس حيث سيتم عقد القران
وخروج العروس من منزلها.. وتوجه إِياد للمطار لاستقبال والديه

وبدء الخطوات الحاسمة، بعد استقبال حافل من أمه واغرورقت
عيونها بدموع الفرح لرؤيتها ابنها، وحيدها ببذلة رسمية.. بذلة
عرسه..

لم تستطع أن تكف عن الابتسام وعلى عكسها توقع عبد العزيز
لمزاج متعكر عاصف لابنه اليوم جعله قلقاً متوترًا.. وما يراه الآن
على ملامح ابنه جعل قلقه يتزايد، تحركوا بالسيارة وإياد يتعمد
إغراقهم بتفاصيل التعديلات التي تمت بالفيلا.. لحظات
واستوعب عبد العزيز توقف سيارة الليموزين التي تقلهم فنظر من
حوله متسائلًا:

- هو إحنا لحقنا نوصل قصر القاضي!؟

اعتدل إياد في جلسته وهو يسدد له نظرات حاسمة:

- الفرح مش في قصر القاضي..

ومع نظرات التعجب وعدم الفهم من أبويه أكمل بوضوح وثقة:

- الفرح في بيت الإدريسي أو نقدر نقول كتب الكتاب بس..

والفرح حيبقى في أوتيل ٧ ستارز..

عقد عبد العزيز حاجبيه وهو يسأل زوجته العون بالتذكر فربما
خانته ذاكرته بالمعارف والأسماء:

-الإدريسي؟!.. مين الإدريسي؟!.. أنا مش فاكهه، فكريني
كده؟

وقابلته نظراتها الغير مستوعبة فما تعرفه من ناريمان عن تفاصيل
الحفل لم يرد به مكان مختلف أو اسم الإدريسي.. ولم يمهلهم
إياد الوقت للحيرة فأردف موضحاً:

-لا ما تعرفهوش.. أنا حاجوز ميرا منصور الإدريسي.. مش
ناريمان محمد القاضي.

لحظات استوعب فيها أبيه ما يحدث ثم صدر منه صوت عميق
ينبئ بغضب يتجهز للانفجار:

-أنت بتتحداني يا ولد؟!.. بتلعب بي؟!!

صمت إياد لثواني محققاً بأبيه ثم أجابه:

-وأتحداك ليه؟!.. أنت طلبت إنى أتجوز وأهو..

مشيراً بيده لخارج النافذة:

- طلبت أحمي الشركة وأسهمها.. وأظن مافيش أفضل من زواج مستقر وطويل الأمد مش جوازة ساعتين وبعدها فضيحة طلاق.. لكن لو مصمم على موضوع ناريمان و سحب رئاسة المؤسسة مني براحتك.

وسلم أمه بيده مظروف يحمل عدة أوراق وجوازات سفر تحمل ختم تأشيرة لكندا سلمتها لزوجها وبعيونها نظرة هلع.. بعد أن تصفحها عبد العزيز رفع عينيه لابنه متسائلاً فأجابه ببرود:

- ده قرارك.. ممكن يبقى شهر عسلي.. أو ممكن يتقلب لطلب هجرة.. وأنت عارف أصدقائي بأمريكا وكندا كثير، حابدأ من جديد وابقى سلم إرثك وشقى سنين مؤسسة الحديدي لأشرف.

تساءل عبد العزيز بعد أن تأكد من نبرة ابنه الواثقة:

- أنت بتلوي دراعي يا إياد؟!.. كل ده علشان بنت غلظت معاها وإشاعات عنك وعنهما فى كل مجلة وجرنال!!.. بتبدل بنت الحسب والأصول بدي.

ابتسم إياد نصف ابتسامة:

-أهو البنت اللي مش عاجباك واللي اتصورت معاها دي؛
عندي أفضل ١٠٠ مرة من اللي سمعتها المعروفة لا غبار عليها..
رنين هاتفه باسم باسل متعجلاً إياه جعله يكمل وهو ينظر لأمه
التي يترقق الدمع بمقلتيها:

-أنا مش حادخل معاكم في مهاترات وكلام كثير.. الليلة دي
فرح ابنكم الوحيد، أتمنى تكونوا جنبي لأنني في الاول والآخر
ماليش غيركم.. القرار قراركم، أنا ما بلوئش دراع حد، باقي
على ابنك يا عبد العزيز بيه؛ يبقى أقف جنبه في ليلة فرحه وثق
في اختياره..

وفتح باب السيارة وقبل أن يترجل أكمل وهو ينظر لأبيه بنظرات
تحمل الكثير من الشجن واللوم:

-آه على فكرة؛ النهاردة قراية فاتحة باسل على بنت خالة
عروستي.. فاكراه باسل؟!.. ابن أعز صاحب ليك الله يرحمه..
باسل اللي حملته مسؤولية قدر مالوش يد فيه.. لوحدته النهاردة
في أهم يوم في حياته.. أعتقد إن اقل حق لعمي عز الله يرحمه
أنك تقف جنب ابنه.. ده لو مش فارق معاك ابنك.

رأيتك دائماً

شخصية ورسالة

تركهما وصفع الباب ووقف بمدخل المنزل منتظراً قرارهما،
صمت ساد لعدة دقائق وقبل أن يتحرك عبد العزيز من مكانه
أسرعت زوجته بإقرار:

- أنا نازلة يا عبد العزيز.. لو الحرب مع ابنك حتخسرنى فرحتي
بابني الوحيد وبياسل ابن أمنية صاحبة عمري الله يرحمها؛ يبقي
أسفة.. حاقف جنب ابني.

نظر لها عبد العزيز وأبوته تتصارع مع كرامته:

- والقاضي والبنت اللي عاملة فرح مستنية العريس وأهله!!

نظرة صارمة من عيون زوجته تشبه عيون ابنه بشدة:

- من سنتين فاتوا ماحدث اهتم إزاي نبرر للناس إن الفرحة اتلغى
والشماتة اللي طالتنا لما بنته لغت الفرحة ورمت لابنك الدبلة في
وشه قدام الشركة كلها، ولا أنها قدمت أسهمها بشكل غير مفهوم
لأشرف خصم ابنك على منصب رئاسة المؤسسة.. وبصراحة
مش حاخسر ابني ولا فرحتي بيه علشان خاطر أي حد، أنا
حاقف جنبه..

رأيتك حاتم

شخيط وورحة

وقبل أن تتحرك وتصل للباب التفتت لزوجها وأمسكت بيده ترى
تصارع المشاعر والأفكار بعيونه جلية، أخذت عنه القرار تشده
من يده تحته:

- يلا يا عبد العزيز.. فرح ابنا وباسل كمان، اليوم اللي بنستناه
من سنين.. مش حاسم لعندك مع ابنك يخسرنا فرحة العمر..

واستجاب عبد العزيز مترجلاً مع زوجته من الليموزين لبتلع إياد
نظرة ظفر يعلم لو رآها أباه لعاد أدراجه وأبدلها بنظرة امتنان
وفرح واحتضان لأمه ثم لأبيه وهو يشكرهما بنظراته ويتقدمهما
للدخول إلى منزل الإدريسي وقابلتهم الزغاريد..

الجو الحميمي الدافئ للمنزل والأخوات ابتلع غربة أبواه بسرعة،
أمه اندمجت مع أحلام بشكل غريب ودخلت لتشاهد العروس،
دموع أمال الباكية رقت قلب أم إياد جعلتها تربت على كتفها
مهنته وحمورية تهنئها على العودة بالسلامة وتطمئن على صحة
زوجها..

وحين حان موعد كتب الكتاب وضع إياد يده بيد هشام وكان
أبوه شاهداً على عقد الزواج وبعد انتهاء العقد بالزغاريد

والدعاء، أعلنوا عن قراءة فاتحة باسل ويارا، وضج المنزل
بالزغاريد والمباركات من جديد بعد كلمة "آمين".

خرجت ميرا متأبطة ذراع أخيها الأكبر بفستان زفاف باريسى
رائع التفاصيل، أبيض اللون ببريق ماسي متلألئ هدية زيد،
شعرها مسترسلاً بتموجاته على ظهرها تزينه اللآلئ والورود
البيضاء..

وفستانها الملائكي جعل عينا إياد تتسعان، فميرا دوماً مبهرة
ومتألقة بهالتها الخاصة، أما اليوم هي فاقت أجمع توقعاته
وخيالاته جمالاً وفتنة، حين التقت العينان واحدة تطالع بانبهار
وأخرى بخجل عذري..

تربيته من باسل على كتف صديقه أفاقته وهو يغمزه:

- أنت متنح كده ليه؟!.. روح سلم على عروستك فرجت علينا
الناس.

ولأول مرة يختلج بتردد، لكزة أخرى من صديقه جعلته يتقدم،
يتسلم عروسه من هشام الذي قبلها على جبينها وهو يغمض

عيونه بقوة يمنع عبرات سخيفة من الهروب، قبلها هو الآخر على جبينها.. اختلاجها بين يديه و تنفسها السريع أفشى عن تأثيرها هي الأخرى ودقة قلب غير منتظمة منه جعلته يبتعد قليلاً يتأبط ذراعها بابتسامة.. فتلك فقط كانت أول لمسة.

ظهرت يارا من خلفها بفستان ذهبي ناعم وقصير كعادتها، ينسدل بنعومة حولها، خصلاتها القصيرة تتراقص ياغواء بريء حول وجهها، باسل يقترب وابتسامته تتسع وقلبها تدق نبضاته بعنف.. لولا قبضة زيد القوية على ذراعها لفرت هاربة..

فزع حدقتها وتشوش الرؤية واختلاج انفاسها فسره البعض خجلاً، دارت عيونها تلتقط ابتسامة الجميع وعيون تراقبها وهي تكاد تدور الأرض بها خاصة وباسل يقترب أكثر حتى وصلها نبرات مرساة أمانها وهو يوقف باسل:

- معلى يا عريس.. أسلم على أختي الأول..

وأسرع لها لتلقي زرقه أعينها ويهدأ الفرع وتستقر الأرض وتحل الابتسامة محل التوتر..

رأيتك

شخيط وورقة

هو بمحيطها وكفى..

قبل جبينها كما فعل مع أخته لكن همس لها:

-خليكي قوية.. أنا جنبك.

وسلمها من يدها لعريسها، أجفلت لثوان حين وجدت نفسها
تتأبط ذراع غريب..!!

نظرت لهشام لتجده يرسم ابتسامة باهتة وهي تعلم لم..!!

ميرا ستتزوج، وهي تُخطب من جديد..

وكما يظن الجميع، التجربةتان إلى زوال أكيد، لحظة واحدة هي
الفارق بين التخاذل والإقدام، وأخذت القرار..!!

ابتسمت لباسل وهي تتنفس بعمق، ابتسامة هادئة تقول أنها
ستجاري التيار وتنجو، عرفها باسل مفتخراً على عمه عبد العزيز
الحديدي وزوجته التي أثنت على جمالها بقوة..

ثنائه عليها وافتخاره بها فعلا بها الأفاعيل، سددت له نظرة شكر
جعلت باسل يتيه بأمواج عيونها الزرقاء، لم يفق من تيهه إلا
بابتعادها عن مرمى يديه بمسافة آمنة وبحث تلك العيون عن

هشام حتى وجدته، وكأنما استقرت بوصلة عينيها عليه، ونظرة جعلتها تعتذر متجهة إليه.

أنفاسه ثقيلة، يعلم أنه يفترض به الفرح والسعادة.. لكنه يفقد أخته، ابنته الصغيرة لرجل آخر.. إحساس قاسٍ حتى وإن أدرك هو ما لم تدركه أخته وزوجها؛ لكنه قلق عليها..

ربتات خفيفة على كتفه جعلته يلتفت لتقابله مقلتها الزرقاء الأكثر صفاءً ونقاءً من مقلتيه، وبابتسامة ناعمة أخبرته:

- ما تخافش عليها.. ميرا قوية وإحنا معاها ووراها.. مش حنسيها.. إفرح يا إتش وكفاية شيل هموم.

غلفها بنظراته، كم يود أن يخبرها أن ضيقه وقلقه هي صاحبة النصيب الأكبر فيه!!.. وخوفه على أخته يغطي على هاجسه الأكبر يارا!!

ابتسم وهو يهز رأسه موافقا، يسدد نظرات لميرا التي تبسم بخجل للجميع فألقى دعابته:

- مين كان يتخيل ميرا مكسوفة!؟

وارتفعت ضحكات الاثنين وشاركهما باسل الذي أتى وراءها
الضحكة حينما انضم لهما.

موسيقى حالمة تشدو من الأشجار، أنوار متلألئة تضيء سماء
حديقة القصر التي تجهزت لتستقبل أهم أعراس العام،
المجاملات عن مدى رقي الترتيب والزهور وارد الخارج واسم
مصمم الفستان الذي ينتظر الجميع رؤية إبداعه على جسد
العروس..

والد ووالدة العروس متألقان كما ينبغي ودقائق تتبعها أخرى
تتوالى والتهمت عقارب الوقت الساعات وبدأ التمللم والقلق
والتوتر بالانتشار وملئ الأجواء جملة

"أين العريس؟"

اتصال هاتفي من أبيها بعبد العزيز الحديدي جاوبه عدم الرد
التام، وحين حاولت أمها محادثة والدة العريس لم تنل سوى
الرنين المتواصل دون جواب هي الأخرى..

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتحت

قلق العروس جعلها تنزل بفستانها تجامل الحضور وتشتت الجميع باهتمامهم بفستانها وشعرها ومكياجها تشتت مؤقت عن سؤال مخيف "أين إياد؟"

تبتسم وتجابه النظرات المسممة بالاشفاق بقوة هشة تمسك بهاتفها تخشى أن ما يوغر قلبها ويخبرها به عقلها صحيح..

وبين التنافر بين هذا وذاك حسم رنين هاتفها الاشتباك، رسالة مصورة على هاتفها تظهر إياد يتأبط عروس سمراء الخصلات ويقومان بأول رقصة لهما كزوجين وسط حضور عريض..

وما كان منها إلا شهقة عالية وسقوط تفترش ببياض فستانها الأرض..

لفتت إنتباه من حولها من صديقات وأقارب التفوا حولها يتخاطفون الهاتف يشاهدون الفيديو المرسل لها..

وارتفعت شهقات الاستنكار والغمزات، اللمزات طالت أسماعها جعلتها تقوم من جلستها تختطف الهاتف من أيديهم وتبحث عن رقمه..

رأيتك دائما

شغيفتي وارتحت

تتصل به بنفس الرقم الذي حاولت على مدى سنتين الاتصال به
وكان يرفضها بإصرار وكانت على يقين من الاجابة تلك المرة
جاءها صوته البارد مؤكداً:

- نعم؟

- أنت أتجوزت يا إياد؟!

فرد بسخرية مقية تعلمها عنه:

- أيه ما فيش مبروك ولا ايه؟

ردت عليه بحشجة صوت واختناق عبرات وسهام شماتة تذبحها
من كل صوب:

- عايزني أبارك لك وأنت سايبني عروسة من غير عريستها في ليلة
فرحها!

ورده كان القول الفاصل بكل هدوء وبرود:

- دين في رقبتى ليكي ورديتهولك.. كده يبقي واحدة بواحدة
وخالصين no hard feeling babe

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتية

وأغلق الهاتف..

رعشة انتابتها فالانتقام غادر وجملتها التي رددتها على مسامعه ذات يوم، إهانتها له أمام الجميع ردت لها وبعقر دارها هي تلك المرة..

عيونها تدور في من حولها بعجز تحول لضراوة شرسة، تعلن أن ما ظنه النهاية ما هو إلا البداية ووعده قطعه بسرهما أن الغلبة ستكون لها ولها هي فقط.

زغاريد تشدو بالأجواء وحديقة الفندق ذو التصميم البريطاني العريق جهزت بما يليق للاستقبال عروس الحديدي الصغير، المدعويين أكتظ بهم المكان والمباركات تتهافت على والذي العريس والتساؤل على الألسنة

"من تكون العروس؟.."

وكانت المفاجأة ظهور ميرا متأبطة ذراع إياد، وبدأت التهاني تنهال على العروسين والمجاملات عن مدى جمال وفتنة عروسه

تتناثر من حولهما وهو يلجم ابتسامته بقوة فكلما تلتفت تهنئة
صفراء من إحدى الشامتات سابقاً المقهورات حالياً تتبعها ميرا
بجملة ساخرة حادة وحين يخشى علو صوتها كان يزيد من ضغط
يده فوق يدها ملجماً جنونها..

كانا يتحدثان مع الجميع إلا بعضهما فقط نظرات مسروقة غير
واضحة...

أقبل عليهما شخص غريب بعيون سوداء وبشرة قمحية لوحتها
الشمس طويلاً ولحية منمقة مرتدياً بذلة فخمة سوداء وقميص
كحلي اللون..

عقدت حاجبيها فهالته لا تفوت مقبلاً على إياد مباشرة وحينها
التفت له إياد وكأن هالته تعلن عن وجوده أسرع محتضناً إياه:
-ليث!.. أنا كنت فاقد الأمل أنك تيجي.. بس إيه ده قميص
كحلي خير!

ابتسامة صغيرة لم تكد ترسم حتى اختفت:

-قولت بلاش افول عليك وأجي بقميص أسود!.. فين باسل؟

أشار له إياد عن مكان باسل فغمغم له قبل أن يتركه:

-مبروك.. وصلك اللي بعتهولك؟.. شوفته؟

فتمتم له إياد بشكر وامتنان، هز ليث رأسه موجهاً لها مباركة سريعة وتوجه ناحية باسل وقبل أن تسأله من يكون تم الإعلان عن الرقصة الأولى للعروسين..

اختفى التساؤل عن الغامض وأعلنت دقائق قلبها العصيان فتلك المرة صار الاجتناب هباء فكفها تستقر بحضن أنامله ويده الأخرى تملك من خصرها برقة حازمة وعينيها لا مهرب لها من سطوة سواد عينيه وجفاف الريق والأنفاس الثقيلة وفقدان الحروف أعراض لم تظن يوماً أن تمر بها..

والآخر بتحديقه المستمر وكأنه يرغب بالغوص داخلها يربكها، الدفء الذي يحاوطها به غريب عليها، والوجوه تائهة ببعضها دون ابتسامة فقط تأمل عميق شد أنظار الجميع فكأنما العريس وعروسه يتعرفان على بعضهما البعض ليلة العرس..!

-مبروك يا باسل..

التفت باسل على صوت صاحبه القوي النبرات هاتفاً بدهشة:

-ليث!.. مش معقول!!.. حمد لله على السلامة.

-الله يسلمك.. أزاى بقي اسيبكم أنتوا الاتنين تخشوا القفص من غير ما أحضر اللحظة دي!

تعالت ضحكات باسل وقال ليث وهو يحدق بنظراته بيارا:

-مبروك يا عروسة عقبال الفرحة.

شكرته يارا بخفوت وتعجبت من نظراته القوية التي لم تريحها، عرفه باسل على البقية الموجودة وفشلت حورية في التباسط معه أو إقناعه بالجلوس معهم.. وحين قابل إلحاحها بالاعتذار الحاسم، تحركت مروة بسخط تاركة الطاولة فأما ترسم على زوج ثالث ولن تمل حتى تراها مقيدة هي الاخرى، اختفت خارج الحديقة لترتطم بأحدهم.. وحين حاولت الاعتذار بنجل وجدته أمامها وجهه مكفهر يراقب الأجواء وانعقد حاجبها:

-عصام!!.. أنت ايه اللي موقفك هنا؟

رأى

شغيب وورحة

وحين قابلها صمته ربتت على كتفه وهي تخبره:

- فرحتها مش حتكمل من غير وجودك ادخلها يا عصام.

نظر لها وكأنه يراها لأول مرة بفستانها الليلكي المطرز وفاجأها
بزمجرة:

- أنتِ لابسة فستان بنات؟!.. وماله ضيق كده ليه ينفع بدمتك
ده على الحجاب??

زمت شفيتها بعنف واشتعلت شرارة بعيونها العسلية فمع أن كل
ما قاله هي قامت بترديده مسبقاً على مسامع الأخوات لكنهن
استغلن فرصة عدم نزولها معهن واشترين الفستان ووضعوها أمام
الأمر الواقع..

لكن جينات العناد التي تتقافز حالما ينطق بأول حرف وهو
يتفنن باستفزازها لذا سارع لسانها بالرد:

- وأنت مالك!!.. مين عينك وصي عليا!!.. أنا حرة.

- أصلاً شكله مستفز وبعدين..

قاطعهُ رنين هاتفه وحين رأى الرقم أسرع بعيداً عنها يتحدث
بفرنسية ركيكة مغمغماً باسم لورين فزفرت بعمق وعادت للداخل
تتوعده بسرّها..

انتهى الحفل الساهر الذي سيكتسح بفخامته كل أخبار صفحات
المجتمع والمال بجرائد ومجلات الغد، واصطحب العريس
عروسه لجناحهما الخاص بالفندق وهو يبتسم ويتمعن بكل
تفاصيلها وفتانها يخفيها عنه بكفاءة..

هو يحدق بها وهي تراقبه وشرارة نارية تكتسح الخجل والتردد
السابقين وشبه ابتسامة ترسم على شفيتها فهي تعد له منذ
البداية الرد على طريقتها الخاصة والخاصة جداً.

ما إن وصلا لباب الجناح حتى جاءه اتصال هاتفي جعله يخبرها:
- ادخلي أنتِ وأنا مش هتأخر.. هما عايزيني تحت.

هزت رأسها بطاعة ودخلت بصمت وهو يسرع الخطى لتلك
المجنونة التي تهاتفه من الأسفل.

تكسير وتحطيم وصراخ انقلب إلى عويل، ولم يوقف انهيارها
المتفجر إلا صفة قوية من أبيها وبكاء أمها وكلمات أبيها
تنحرفها:

- أنا كنت شاكك أنه ناوي على حاجة وأدي آخرتها اتفضحنا
رسمي.. لكن أقول ايه ها..!

صرخت هي به بجنون:

- هدمره.. هبوظله حياته.. هندمه على اليوم اللي فكر يكسرنى
فيه.

فقابلها أبوها بصفة أخرى صرخ بها يهزها بكلتا يديه وانفجار
سنتين مكظوم وفضيحتين تنغز جلده بسهام العار:

- أنتِ اللي بدأتِ معاه بالأذى والكسر.. أقوله ايه!.. أعاقبه!!..
وأنا ليا وش أعاقبه ولا حتى أعاتبه.. أول مرة داري على
فضيحتك ولحد دلوقتِ لسه محافظ على شرك القدر.

اتسعت عيون ناريمان برعب فغمغم لها بتهالك مذبوح:

-فاكراني مش عارف الصور القذرة اللي ليكي مع أشرف؟..
 زي ما بعثهم البيه لخطيبك يا هانم بعتهومالي.. وإياد وافق
 علشان خاطري أنه يسكت ما يفضحكيش.. عملت ايه؟.. ها..
 استفزتيه أزاى علشان يعمل كده؟.

جلس بتهالك وعيونه تدور بمحجريها وهو يهمس بتناقل:

-بس هقول ايه إنك تتسابي عروسة ليلة فرحك أهون كثير من
 صورك القذرة تنتشر وتتعرف الإشاعة بالتخمين أرحم من العار
 بالدليل.

أحياناً يكون الفارق بحياتك لحظة، لحظة يسكنك بها الأمل
 وأخرى يقتلك فيها الندم.. ولحظة يهلكك بها الغضب..

واليوم هي تختبر لحظة سواد فأشد وأحلك أسرارها معروف
 مكشوف لأكثر من يهموها بالحياة وما أخطر من عدو منتقم لم
 تترك له ما يخسره.

رأيتك عالم

شغيط ورنج

"خلي بالك منها ها.. مش عايزاها تشتكي منك حطها في عينيك" ..

يلعن بداخله فالخالة وابنتها مصممتان على الوصايا الأخيرة، وكأنه شاب غر ونظرات متوعدة من مروة قابلها هو بامتنان لصمتها وأخيراً تملص منهما بصعوبة وعاد لجناحه فالنارية هادئة بشكل مشير..

فتح الباب وعقله يناوشه ترى هل تكون عروس مستأنسة مسالمة كما كانت في الحفل!

مط شفتيه مميلاً رأسه للجانب؛ معظم الحفل وليس كله أم تعود لطبيعتها النارية الحارة!! وبين هذه الفكرة وتلك دخل من باب غرفة النوم لتتسع عيونه باندهاش فعروسه المتألقة التي أبهرت بجمالها الحضور تحول شعرها لكتلة مشعثة من بكرات لف الشعر ووجها تحول للون أخضر يشبه قئ الرضع وتلبس بيجاما يكاد يقسم أنها قامت بسرقتها من أخيها هشام..

أين الفستان؟! أين شعر الحوريات!؟

ولم يشعر بنفسه إلا وهو يشير لها بسبابته لأعلى وأسفل هاتفاً
باشمئزاز:

- ايه اللي أنتِ عامله في نفسك ده؟!!

ردت بعفوية وهي تبحث عن بكرة جديدة تضيفها بالإكراه لكتلة
البكر أعلى رأسها:

- عادي.. باستعد عشان أنام.

فدمدم مضيقاً عينيه:

- إمام شكك غاوية أفلام قديمة كثير

تحرك تجاهها وأمسكها من ذراعها أمراً بحزم:

- ادخلي حالياً شيلي اللي على وشك وفي شعرك ده

وحين بدأت ملامحها التحضر لاعلان التمرد أكمل:

- وإلا هدخل أنا معاك الحمام وحشيل كل اللي ما يعجبنيش.

وأرفق كلماته بنظرة مركزة على بيجامتها الفضفاضة حد الغرق
فأسرعت من أمامه تخشى أن يتخذ تحذيره حيز التنفيذ وعادت
بوجه لاعم تبحث عن ما يلجم خصلاتها الثائرة..

راقبت اقترابه من خلفها بالمرآة حتى أصبح على بعد خطوة
واحدة هامساً لها:

- تصدقي وأنتِ مطيعة شكلك سيكون أحلى!

وقبل أن يكمل اقتربت هي الخطوة المتبقية بدون كعب هي
قصيرة عنه لا تكاد تتعدى كتفه..

حاولت تنفيذ حركة من حركات مروة المكتسبة لكن فطنته جعلته
يتلقفها بين يديه يضيع الغرض من حركاتها يحتضنها بين ذراعيه
بقوة مقيدها بأحضانها وظهرها إليه، وحين حاولت ركله ما كان
منه إلا أن دفع بكلتا قدميه بين قدميها فأصبحت عاجزة عن
الحركة..

اقترب من أذنها يسألها:

- ليه كل ده؟

فردت بسخط:

- لو فاكِر إني هسلمك نفسي بالسهوة دي أنت غلطان.. خطوبة
ولا جواز مش فارقة معايا.. في الحاليتين أنا واخدة قرار أنه جواز
لفترة مؤقتة وينتهي الغرض منه، وحيكون جواز على الورق..
مش ميرا منصور اللي حتكون فترة راحة شرعية بين مغامراتك..
انسى.!

كلماتها انعقد لها حاجبي إياد وجعلته يلصقها به أكثر حتى
أصبح ظهرها يلامسه كلياً، يبثها دفء أنفاسه بجوار أذنيها ينفث
نفثات على طول العرق النابض برقبتها، يلامس ما وراء أذنها
بأرنبة أنفه، يداعبها بشفتيه دون أن يقبلها، دقيقة تتلو الأخرى
وتململها بين ذراعيه بدأ يخفت، تركيزها يتشتت، وعيونها تنغلق،
وشفتيها المزمومة بعناد تنفرج ببطء محررة أنفاسها المحبوسة..

وحين شعر بتجاوبها، ببدء ذوبانها بين يديه، ارتسمت بعيونه
نظرة ظفر انعكست توأجهه في المرآة المقابلة، قبل أذنها برقة
ووزع قبلات صغيرة على وجنتيها حتى التقت الشفتان بقبلة
بدأت رقيقة وأنهاها بقوة وهو يبعدها عنه دافعاً إياها:

-امممم.. مش قرارك لأنك مراتي.. ملكي.. بس دلوقتِ أنا
اللي بأقولك أنتِ مش من النوع اللي يعجبني!.. تصبحي على
خير.

وتركها مجروحة الكرامة لاهثة الأنفاس غير مستوعبة لما حدث
وانصرف للحمام واحتضنت نفسها بذراعيها تجلس على حافة
الفراش.. كيف غيب عقلها بهذا الشكل؟.. كيف أخذ
مقاومتها بتلك السهولة؟

وأمام عيونها المندهشة عاد عاري الصدر يستلقي على الفراش
مغلقاً الإضاءة ونام، تركها ونام.!

عند استيقاظها اليوم التالي متأخرة نتيجة السهر وجدته مازال
نائماً، وحين استيقظ أخبرها أنها قد فوتا موعد طائرتهما، وعليه
أصدر قرار بعدم أهمية السفر لكندا، فهما ليسا بشهر عسل
حقيقي وتحول مقصدهما لإحدى الشاليهات الخاصة بالصفوة
في الساحل الشمالي بعيدة عن الأعين، واتصال بليث ليخبره

بضرورة أن يظن الجميع والصحافة بأنهما قد سافرا بموعدهما..
ونفذ ليث طلبه بإتقان.

أول يوم تركها صباحاً ليسبح دون أن يتحدث معها حتى!.. وهي
لم تنتظر استعدت وارتدت إحدى بذلات سباحتها المذهلة
ونزلت تضرب الماء بيديها بقوة وبداخلها راحة انتصار وجزء
يعاتبها على بداية سيئة، لكن المفضل جيد فكلا منهما بحاله
وهذا مريح.. وعند الغداء غيرت رأيها فأوامره الجديدة:

-زوجين أمام الجميع وما اتوقعش منك التصرف غير على
الأساس ده، الإحترام حيبقى متبادل غصب عنك.. ترتيباتنا للنوم
نفس السرير وما تقلقيش ما فيش حاجة حتحصل غصب عنك!

وبالتالي كل خروجاتها من الشاليه كانت معه سواء لتناول الطعام
أو للتريض أو السباحة تارة يشتعل بينهما التنافس وروح التحدي
وعادة ما تنتهي مهزومة أمامه وتارة أخرى يناوشها بشبه لمسات
وكلمات ذات حدين لكن دون أدنى اقتراب..

وحين آن أوان العودة عادا وظل مقصد شهر العسل سر بينهما
هما الاثنان فعودتهما بعد أسبوعين كانت من أجل حفل خطبة
باسل ويارا..

لحظة دخولهما للفيلا أسرع أم إياد تحتضنه مهنته وتحتضن
ميرا هي الأخرى بحنان جعلها تشتاق لحضن عائلتها ورسم على
وجهها ابتسامة واسعة ماتت سريعاً حين رأت نظرة الغضب البارد
والاشمئزاز تطل عليها من عيون الحديدي الكبير..

تابع إياد نظراتها وحين تلاقت نظراته مع أبيه غمغم بقوة عبد
العزیز:

- حمد لله على السلامة إياد تعالی عايزك شوية في المكتب.

نظر إياد لميرا المتحجرة ولأمه المتعجبة فغمغم بخفة:

- حبيتي.. حسيبك مع ماما توريكي الجناح بتاعنا والفيلا وكل
حاجة وشوية أشوف بابا بس وراجعلك.

هل قال لها حبيتي؟!.. منذ متى؟! كل هذا اللطف من أين؟

ابتلعت دهشتها بابتسامة تتبع بها أم إياد المتحمسة لوجودها
والمرحبة بها بدفء..

تركهما وانصرف تجاه مكتب أبيه وعقله يعمل بسرعة الصاروخ
ترى ما الذي يريده به؟!!

وحين دخل عليه وجد أبوه يجوب المكتب بخطواته الغاضبة
جعلت إياد يعقد حاجبيه.. ما الذي حدث بغيابه؟!.. فباصل حين
حادثه قبل أن يصل للفيلا لم يخبره بما يسوء..

إذا أين المشكلة؟

وجاوبه أبوه على سؤاله الغير منطوق:

- كله من تحت عندك وتسرعك ورعونتك.. عارف البنت اللي
بلتنا بيها وشالت اسمك يا بيه دي تطلع ايه؟؟

عقد إياد حاجبيه متحفزاً يكمل والده:

- الهانم دي ليها محضر في القسم ضد ابن رجل أعمال وسياسي
معروف متهمه ياغتصابها والتعدي عليها.. وطلع ابتزاز حقير
علشان يجبروه على تنفيذ اللي هما عايزينه والدليل إن المحضر

نزل على ما فيش لا باين له اتصالحوا ولا تقاضوا ولا أي
حاجة.. شبه اختفى ولولا معارفي ما كانش بانله أثر.

زفر عبد العزيز بغضب مكملًا:

- هي دي اللي المفروض أثق بأختيارك ليها ها؟.. استغفلتك
وخبث عنك ماضيها المشبوه؟؟؟

وضع إياد رجلاً فوق الأخرى وهو يبتسم بهدوء:

- ومين قالك أني مش عارف ومن قبل ما اتجوزها كمان!

كلماته صدمت أبيه فتراجع هامساً بعدم تصديق:

- أنت وافقت إن دي اللي تشيل اسمك وتربي أولادك ورفضت
ناريمان!.. على الأقل ناريمان حبت واحد مجرد مشاعر مش
مشكوك في شرفها.

وقف إياد بحدة ينظر لأبيه بحنق فالجهل أحياناً يصبح نقمة..

نعم هو يعلم ومنذ لحظة قراره بالزواج منها، فليث قام بالاتصال
به مستفسراً عن صحة دعوة باسل له لزواجه من ميرا وحين أكد
له الخبر بعث له بملف أخبره وجملته ما زالت تتردد بعقله

"لأنه ملف شخصي للبت مالوش علاقة بالشغل وبشركتهم
فضلت أنك ما تشفوش لكن ما دام ناوي على جواز يبقى لازم
تعرف وتاخذ قرارك على بينة"

وقد كان قرأ ولم يهتم، فميرا بالنسبة له واضحة وصريحة وهذا ما
يفضله بها لذا صارح أبيه بحددة وحزم:

-لحد هنا واستوب.. ما ينفعش تقول حاجة على مراتي.. دورت
وراها وطلعت بحاجة أنت شايفها فضيحة وقولتلك أنا عارف
ومن قبل ما اتجوزها.. ومن فضلك الكلام ده يقف هنا لا ماما
ولا هي لازم يعرفوا بحاجة.. أظن واضح دي أسرار شخصية
تمس سمعتي وسمعة مراتي عن إذنك.

وتركه مندهشاً يشعر بابنه يتسرب من بين يديه..

اسبوعين فقط وقامت بغسيل مخ لابنه.. يدافع عن شرفها
المشكوك به!

سيفعل سيصمت عن ما عرف خوفاً على سمعة ابنه لكن تلك هي بداية الحرب بينها وبينه ولتريه كيف ستصمد ابنة العشرين ربيعاً الغرة أمام عنفوان عبد العزيز الحديدي.

ظلت حماتها تثرثر لها بتلقائية عن الحفل وتجهيزاته وأعربت عن غيظها من زيد فهو قد رفض أن يرى أي أحد - حتى أمه - فستان خطبة أخته واكتفي بإخبارهم

"خلوه مفاجأة"

ورغم أن الأخوات الثلاث حاولن بشتى الطرق التسلل لمعرفة حتى لونه وكل محاولاتهم تبوء بالفشل الذريع..

اشتركت في الضحك مخبرة حماتها:

- ما دام زيد قال سر يبقى حيفضل سر لحد ما هو يقرر أنه يتعرف.

وبعد أن تركتها حماتها الرؤوم لتستعد هي الأخرى، اتجهت للحمام تستعد لحفلة الليلة وعقلها يدور باحتمالات عديدة ومحورها كلها يارا..

أنهت حمامها وخرجت من الحمام ملتحفة ببشكير نبيذي اللون اختيار حورية، واتجهت لغرفة الملابس وشهقت من المفاجأة، فمن الباب الثاني لغرفة الملابس طل عليها إياد ببشكير أسود اللون عاري الصدر يجفف شعره بمنشفة أصغر، وحين سمع شهقتها توقف ورفع لها إحدى حاجبيه حين رأى الاحمرار يغزو وجنتيها وعيونها تهرب من رؤياه ويدها تحاولان ستر ما لا تستره المنشفة وهو كثير.. هتف بتزق فهو بمزاج ناري:

-ايه!.. لا أول مرة أشوف ست عريانة، ولا أنتِ أول مرة تشوفي راجل من غير هدومه!

وزفر فردت عليه بشراسة:

-وقح

جاوبها عليها بلامبالاة:

- لسانك طويل

- مغرور

هز رأسه بشبه تأكيد:

- واخدة في نفسك مقلب كبير

وأرفقها بنظراته لجسدها من أعلى لأسفل ثم جذب بعنف إحدى بذلاته للمناسبات وخرج يزفر بغضب وهي تلعن وتتوعد وتسب بسرها متممة..

"بس اليوم ده يعدى"

وها هما بالحفل؛ والزوج عم يارا "مرتضى" وزوجته وابنه السمج تقززت بداخلها مرددة "إنها حقاً عائلة لزجة"

فمند عرف بمن هو إياد الحديدي وهو يكاد يلصق لزوجها بغراء إنجليزى أصيل مما دفعها لكسر الاتفاق مع إياد والهرب بعيداً تجاه منبع الدفء المفتقد؛ طاولة أسرتها بعد أن استقبلوها بالتحية والأحضان والتهاني جلسوا كلهم بانتظار ظهور العروس،

والعريس يرتدي بذلة رمادية وربطة عنق وردية التجانس المقيت
إياه، ستقطع يدها لو لم يكن فستان البريئة وردي.. وأرفقت
تفكيرها بجملة تهتفها بأذن زيد الذي ضحك بعلو صوته يمسك
بيدها يقربها منه يهمس بأذنيها:

-الخلاصة أنك حتنهري.

اتسعت عيونها بتشوق ولمعان وهي تهتف:

-يا عيني عليك يا باسل! الواد ما قدموش أي فرصة للمقاومة

ضحك زيد وهو يهمس لها:

-مقاومة أيه بس!.. ده الماسج ما بتردش عليه فيها والتليفون

تفضل ساكتة وسامعة لحد ما أقول دول أكيد ناموا على الخط!

ضحكت بعلو صوتها حتى دمعت عيناها فالتفت لها خالتها

حورية تزجرها:

-أنتِ سايبه جوزك لوحده وقاعده هنا ليه!.. قومي يا تعدي

معاه يا تجبيه معاك.

لتلعب لها ميرا حاجبيها مغممة بتلاعب:

-ليه حيتخطف ولا حيتوه!

فغزتها خالتها بكوعها مرددة بغیظ من برود ابنة أختها:

-لا وأنتِ الصادقة يا بنت آمال حيتلطش..

وأشارت لها على مجموعة من الفتيات يتحلقن حول زوجها وهو
يبتسم لهن جميعاً..

ابتسامتها اللامبالية أقنعت الجميع ببرودها أو ربما ثقتها بنفسها
إلا هو صديق طفولتها؛ فرعشة يدها المختفية تحت المائدة
ورجفة جفنها السفلي وهي تتفادى النظر له أنبأه أنها غاضبة
وقبل أن يحادثها أقبل عصام بصوتٍ عالٍ:

-خلاص يارا نازلة.. وهشام بيقولك تعال يا زيد علشان..

قطع حديثه حينما رآها وساد الصمت لحظات حرجة قاطعتها
ميرا بانسحابها مبررة:

-حاطلح استناها بره وأسلم عليها قبل ما تدخل القاعة.

واختفت شبه مهرولة، وزيد يلکم عصام بكتفه مؤنباً وعيون
زوجها تتابع هرولتها للخارج، واعتذر لمن معه فهو عاقبها بما

يكفي لتركه وحده لكن الآن هي بحاجة له فهو يعلم عن مدى
توجعها من مقاطعة عصام لها..

هو فقط سيواسيها لأنه السبب ليس إلا!.

ضربات قلبها تتعالى تكاد تسمعها مروة التي تجاوزها ترتدي
تلك المرة فستاناً من الحرير الأخضر من اختيارها؛ رقيق ومطرز
من الأعلى ينسدل بنعومة ويناسب حجابها، أما البريئة فكانت
أميرة وردية هاربة من كتاب أساطير، لا بل هي أسطورة حية
بخصلات شعرها البنية الفاتحة وبشرتها المشربة بحمرة وصدر
فستانها بورداته الوردية المطرز برقة أتبعها فستان وردي ناعم
منفوش طبقات فوق طبقات من الأورجانزا الساحرة يعلو رأسها
طوق فضي..

هي ستأسر القلوب دوماً كانت صاحبة الجمال الأكثر سطوة
بينهن

سمت مروة ودعت بالمعوذتين وصية خالتها أحلام لها ف زيد
جعلهم ينتظرون سوياً..

تفهمه مروة هو لا يغالي أو يبالغ هو فقط يشوقها يصرف تركيزها
عن ما هو أت بمفاجأة الفستان تلك..

فتح الباب وخرجت لتجد عيونها هشام يقف أمامها يحدق بها
مغمماً بإنبهار:

- ما شاء الله.. أحلى عروسة في الدنيا بحالها.

وأسرعت مروة بالدخول في مرمى عيونه هاتفة بطفولية:

- وأنا لا!

فربت هشام على رأسها:

- وأنتِ كمان.. بس هي العروسة.. هي أحلى.

اتسعت ابتسامة يارا وهي تسرع لتتأبط ذراعه ربت على يدها
مخبراً إياها بلطف:

- مش أنا اللي حنزلك زيد هو اللي حيسلمك لعريسك.

فهمست له بعيون متسعة معاتبة:

- أنت لسه زعلان مني ومن قراري مش كده؟

هز رأسه وهو يربت على كتفيها يأخذها بحضنه هامساً بأذنيها:

- أنتِ عارفة عمري ما ازعل منك، يهمني إنك تعرفي أنها خطوبة.. أنتِ مش ملزمة بحاجة وإني جنبك مش حاسيبك فاهمة..

هزت رأسها ودموع تتراقص في عيونها فغممت مروة:

- عيلة غاوية نكد! بس بقي المكياج حيوظ.. فين سي زيد؟

وصل زيد هاتفاً بمرح:

- أنا وصلت أهو مستيني ليه؟؟

زفرت مروة بسخرية:

- مش لازم العروسة ينزلها أخوها!

فنظر زيد لهشام بعمق:

- وما يصحش أخوها الصغير يتزلها في وجود أخوها الكبير.. يلا
يا ست مروة.. تعالي أنزلك أنا، ويارا يتزلها أخوها الكبير

ابتسم الجميع لبعضهم ويارا تنظر لهشام بسعادة

"ألم اقل لك!"

وبالفعل أوصلها هشام لأول القاعة وتسلمها منه باسل ودار
الحفل فالإنبهار كان سمة كل من تقع عيونه عليها بالحفل
وانهمرت دموع التوأمتين كما حدث بفرح ميرا، وانطلقت
أحداث الحفل بين صخب وغناء ورقص الشباب الذي قابلته يارا
برفض تام وفضلت الجلوس مكانها..

بمنتصف الحفل جلس هشام وزيد وعصام بطاولتهم التي خلت
إلا من خالتهم حورية التي تعشق دور مراقبة الحفل من بعيد
وسرح بخياله بعيداً بيوم مماثل ونظرات منبهرة متشابهة وعريس
سلمها بيده له واستغل غفلتهم شر استغلال..

رأيتك عالم

شغيف وورث

يراقب باسل بحدة صقر وهو شبه منعزل عن الجميع يتغافل عن
نظرات سارة اللائمة والتي حضرت مع أبيها، يتابعه ويتابعها
ينتظر إشارة هفوة أي علامة إستغاثة

ولم ينجح في انتشاله من تلاطم أفكاره المتدافعة سوى جملة
هتفت بها خالته حورية بنزق:

-أيوووووه يا عصام قولنا مش أخوات.. مش أخوات..

الفصل الخامس عشر

حين تقابلك زلازل الحياة..
 تتصدع قناعاتك الأبدية..
 ينهار واقعك من حولك..
 وأرضك الصلبة تغدو قشرة واهية!!
 فكثرة الضغط تولد الانفجار..
 ويصبح حينها من الرحمة الانهيار..
 براكين طوفان تمحو كل ما قد كان..
 جالبة معها كل ما قد يكون..
 ومن رحم العدم تولد الأحلام..

1 ريختر

جلست تراجع على هاتفها الذكي آخر إيميل وصلها من أنطوان الباحث بمعهد الدراسات المتقدمة بإيطاليا، والذي تتشاور معه بخصوص رسالتها.. فالإيميل تلك المرة يحمل الكثير من النتائج المهمة لرسالة الماجستير خاصتها..

حلمها وحلم كل جيولوجي مختص بالزلازل أن يستطيعوا التنبؤ بها، تتنفس الأرض غضبها الناري المحتبس، تحدث الهزات وتليها الفجائع، وهى من بين من طالتهم نتائج تلك الفجائع..

تتمنى يوماً أن تسبقها، تقهرها، لا تكتفي بمراقبة حدوثها والقراءة عن آثارها، لا أن تراقب وتدون بالنهاية بقوة كم ريختر هوت الحيوانات!!..

تنهدت بعمق تنحي ما يمكن أن يشوش عقلها عن الهدف وغاصت بين أرقام المخططات وبيانات الخرائط والمعلومات المبشرة لموضوع رسالتها ونظريتها الوليدة، لم تفق من انغماسها سوى على صوت السائق الأجنش يعلن عن تمام الوصول لوجهتها فغابت العالمة وعادت الحالمة..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

تقترب بخطواتها وحجابها الأنيق وفتانها الفيروزي الناعم
خطواتها تدق قاعة الفندق الرخامية الفاخرة، تأخرت كثيراً في
الوصول لمكان الحفل، فقد استغرقها الوقوف أمام المرأة كثيراً
للاستعداد، ثلاث ساعات كاملة ليس فقط للظهور بالمظهر
اللائق ولكن سعيًا وراء الابهار..

وحين تكون هي والمرأة دوماً على خلاف يستغرق الاتقان
وقتاً..

لكن لا يهم فالיום ستري فارس أحلامها القديم، أول من كتبت
له أشعاراً ورسمت حول اسمه القلوب، ترجو رؤيته وربما تتمنى
انبهاراً بعيونه بمظهرها، فمنذ غابت يارا غاب هو..

صديقة الطفولة القديمة ستخطب اليوم، تتقافز داخل صدرها
فرحة طفلة بصفائر ذهبية وشرائط ثلجية تلهو حول صديقتها
الرقيقة محط أنظار الجميع، فمع أنها هي الشقراء لكن الفراشة
هي من كانت تحوز الاهتمام..

وقفت باعتدال أمام مرآة كبيرة خارج القاعة، تتأمل لمرّة أخيرة حجابها وفستانها ذو الأكمام الحريرية، تمسد على جانبي فستانها الحريري المتدلي والمفتوح من الأمام كاشفاً عن ستان فيروزي ناعم خشية الطيات..

لفت انتباهها بانعكاس مرآتها خصلات سوداء بقدر تعرفه جيداً، الملامح مهمومة والأكتاف متهدلة، تتحاشي النظر في عيون من حولها، تتشاغل بتفاصيل ديكور لا تهتم لها، واللحظات التي استغرقتها في التأكد من أنها ميرا المجنونة؛ دخل خلالها بإطار الانعكاس طرف ثالث..

شخص وسيم يقترب بتردد ويقتحم فقاعة حزنها، تربيته كتف بهمسات قابلتها مجنونتها العتيدة بنظرة تعجب تجر بأذيالها جذوة تمرد، وانفردت القامة المحنية وبضعة كلمات لم تصل لها؛ لكن حدثها ظهرت على وجه مرافقها الوسيم والذي يبدو أنه لم يستكين للسانها وردة جعلها تستشيط غضباً..

اتسعت عيونها من الدهشة حينما وجدته يقدم لها يده بكل بساطة وتتأبطه هي بلا مبالاة، ظلت تتابع بعيون متعجبة

خطواتهما المتناغمة القوية والعودة للقاعة حتى استفاقت لنفسها
مؤنبة:

- فوقي لنفسك من التوهان ده.. مافيش فايده.

وانطلقت للداخل تبحث بعيونها عن صديقتها لتجدها بالقرب
من الراقصين بصخب فاعتلت وجهها ابتسامة؛ فهي من
المشجعين لا المشاركين، وحين زاد اقترابها اكتشفت التركي
"ماركة مهند" بجانبها اقتربت منها ببطء تحذر بالر من كشف
وجودها لتصرخ في أذن صديقتها:

- بتصقفي على ايه؟

فزعت مروة بقوة وصرخة صديقتها ضاعت وسط الأغاني
الصاخبة، التفت لها تكاد تسبها، بالر يحاول وبصعوبة كتم
ضحكاته، ردت مروة من بين أسنانها مكتفة يدها للعبثة
الضاحكة:

- ما لسه بدري يا هانم!!.. جاية على نفسك وجاية على نص
الحفلة!.. ما كنتِ تيجي بعد ما تخلص وتفوتها هي كمان زي
ما فوتي فرح ميرا.

ابتسمت تراضيتها وهي تدور حول نفسها تسبل جفونها بطفولية:

- يووه سماح بقى كنت فى مرسى مطروح شغل وما اعرفتش
اعتذر.. والنهاردة عقبال ما جهزت.. ها ايه رأيك؟!.. النتيجة
تستاهل مش كده!

غمدها مروة بنظراتها مستحسنة النتيجة النهائية وبالر يصوغ
استحسانه بكلمات:

- ما شاء الله ديما.. تبدين رائعة

غمغت مروة:

- فعلاً واو.. صدمة بس حلوة.

لكزتها ديما بمداعبة:

- متاخدش على كده.

والتفتت له مبتسمة ومرحبة:

- حمد الله على السلامة ومبروك على البطولة.. ايه أجازة ولا شغل ولا أيكيدو؟

ابتسم لها بالر وهو يرد مسدداً نظراته نحو مروة:

- أجازة.. وأفتقدتكم كثيراً فقررت استغلال الفرصة وزيارتكم.. ما رأيك؟

رفعت ديما إبهام كفها اليمنى مؤكدة:

- أحلى مفاجأة وخصوصاً إنها بالعربية الفصحى.

انطلقت ضحكاتهم وبعد أن انتهوا سريعا من تبادل الأخبار، أخذتها مروة من يدها معتذرة لبالر فهي ترغب بمفاجأة يارا بصديقة طفولتها:

- سوري بالر.. حتسلم على العروس ونرجع.

وقد كان بضعة دموع وشهقات، فرحة واحتضان قوي من يارا لديما، أتبعه قفزات مبتهجة من ديما بابتسامة صديقتها أمام دهشة عريسها وأصدقائه، نظرات مصحوبة بعبرات تحكي قصة

خنوع يارا البريئة للوحش وفرمان قطع العلاقات عن الجميع،
حتى وإن كانت مع ديما صديقتها الوحيدة..

حاولت يارا أن تصوغ بحروف وكلمات اعتذارًا واجبًا تستحقه
ديما، الوحيدة التي اندمجت معها.. فديما كانت دومًا مختلفة
والشقاء المتقافزة لا تترك لها فرصة مرة تلو الأخرى حتى
عاجلتها ديما:

-وحشتيني يا فراشة.

لتنهمر الدموع مرة أخرى وتستوجب رحلة ذهاب لحمام
السيدات لتصلح ما أفسدته العبرات..

مروة أحضرت لهن بسمه أختها الكبرى لتصلح ما تم إفساده
بمهارة خبيرة تجميل، ومع ضربات الفرشاة هنا وهناك كان هناك
صمت، يارا التي تشعر ببعث روحها القديمة للحياة من جديد،
فمن ضمن خسائر تجربتها المريرة كانت ديما، كلماته عادت
تتردد بعقلها:

"ديما.. لا ما تناسبكيش"

"لو عرفت أنك كلمتها؛ حتشوفي مني وش يكرهك في الحياة"
 "الست العاقلة جوزها يكون أول وآخر أولوياتها.. وأي حد تاني
 أيا كان مش في الحسبة"

"ديما دماغها حتجيلك المشاكل"

وهي انصاعت وتركتها وحيدة، لا تعلم كيف جاءت بها مروة
 لكنها ممتنة!!.. أنها بسمة لمساتها لوجه يارا:

- تسلم إيدك يا بسمة ميرسي قوي تعبتك.. رحوا وأنا حاحصلكم
 ثواني بس.

ابتسمت لها بسمة ابتسامة فخورة:

- على إيه يا بنتي!.. أنت أصلاً مش محتاجة حاجة.. يلا يا بنات
 نسبقها وابقى تعالي براحتك يا يارا.

أنهت جملتها بنظرة متفهمة متعاطفة فهي تحتاج لثواني لالتقاط
 أنفاسها واستيعاب المفاجأة المزلة لكيانها..

خرجن الثلاثة تتها من بالأخبار، يبدو أن بسمة على علاقة بديما
أيضاً كيف ومتى؟!.. يبدو أن غيبوبتها الإرادية عن الحياة
أفقدتها الكثير، الكثير مما يستحق..

ناظرت نفسها بالمرآة تتطلع لوجهها المنمق بزينة وعيونها
المنطفئة، تكاد تجزم أن هناك شرارة نور تتلاعب بحدقتها..
ربما بسبب ظهور ديما، فصدمة ظهورها وإغداقها عليها بالتسامح
والاحتواء سبب تصدعاً بروحها معيداً أنفاس الحياة ليارا دُفنت
من زمن..

فإن كان من الصعب أن تدفن ماضيك؛ فالأصعب أن تعود لتواجه
حطامه.

2 ريختر

استجمعت شجاعتها المتناثرة فهي بالنهاية العروس، مركز
الحفل، ولا يجوز لها التغيب كثيراً، توجهت نحو قاعة حفلها

تحشد كل ما بها من قوة، تتنفس ببطء وعمق، بخطوات ثابتة..
وفجأة أصابتها نغزة..

أتعلمون!!.. تلك الشعيرات في مؤخرة رأسك التي تعلمك أنك
مراقب!!.. أحد ما بالجوار يوجه نظراته إليك!!..

رفعت رأسها مسرعة تنظر حولها فهو الفندق جدرانها مغطاة
بالمرايا الفخمة، ولمحته وارتجفت تلك الخصلات الفحمية
بتلك القصة دون غيرها تعرفها، دارت تبحث بين انعكاسات
المرايا يميناً يساراً أين ما رأته؟.. شبح.. ذكرى أم حضرة
واقع؟.. تلفتت تبحث عنه، تلهث وقلبها يدق بعنف، لا أثر له..
هل تخيلته؟.. هل تلاعب بها عقلها؟.. زفرت بعمق متممة
لنفسها بصوت مسموع:

-لأ مش حانها..

وكأنما قلبها استمعت دقاته لأمر صوتها فاستكانت وأنفاسها
انصاعت برتابة وانتظام، شدت قامتها وتوجهت نحو الحفل
باعتماد وذاك الإحساس الأحمق يأبى الاختفاء.. التفاتة واحدة
تجاه المرأة قبل أن تدخل القاعة بطرف عينها ورأته، بعيونه

رأته

شغيب ورنه

الخضراء المرعبة ووجهه البرونزي وخصلاته الفحمية ونظرة
تحفظها جيداً.. أغمضت عيونها متسمة وحين فتحتها من جديد
اختفي!!

ترنحت تشعر ببرودة تلف أطرافها، بتجمد يقرص قلبها، لا تعلم
من يتلاعب بها!!.. خالد أم عقلها؟!.. وفي الحالتين هي
بورطة..

ودون أن تدري توجهت نحو الدفء والأمان؛ عائلتها..

ما إن خطت وبشبه ابتسامة احتضنوها واستطاعت دوماً بطاقتها
الحيوية تهدئة مخاوفها ربما قليلاً..

لكن تلك الصورة وإن كانت من خيالها فهي حية حد الرعب،
مكتملة التفاصيل حد الهلع..

وهي تتماسك، عينيها تتجول في القاعة تبحث عن دليل وحين
حطت عيونها على مراقبها الحارس اطمئنت تهدئ روعها،
مؤكد حقيقة أم خيال فهو لن يصل لها طالما هو بالجوار..

وكلمات دوماً القديمة ترن بأذنيها:

"كيف يعرف الخوف لقلبك طريقاً ولديك ملاك حارس
كهشام!!"

3 ريختر

"مين اللي واقفة مع مروة وبسمة دي؟"

نظرت الخالة حورية من فوق كتفها تجاه باب القاعة ورددت
ببساطة موضحة لزيد:

- دي ديما.

غص عصام بما يشربه من عصير وبعد عدة سعالات وخبطة قوية
من زيد على ظهره هتف بها:

- ديما مين؟ .. ديما بتاعة زمان! .. المجنونة!!

عادت تمط شفيتها بنزق وهي ترى بالر يتوجه ناحيتهن محيياً
إياهن مشتركاً بالحديث وغمغمت:

- مجنونة!! .. مسم والله ما فى مجانيين إلا فى العائلة دي..

وسددت له نظرة قوية عابسة، أعادوا النظر وتلك المرة كان
عصام السائل:

-حورية.. هو مين اللي واقف جنب مروة ده؟

نظرت له حورية بتضيق عين مجيبة:

-ده بالر.. زميلها في الأيكيدو.. تركي، ها!!.. تركي.

-وهو زميلها ده إيه اللي جابه خطوبة يارا؟!

ردت عليه بلا مبالاة مسبلة نصف جفنيها:

-ضيف وجايلها زيارة ما نعزموش يعنى!!

عقد زيد حاجبيه بخفة باسماً فخالته في غير حالتها الطبيعية
اليوم، هي تعشق الأفراح والمناسبات وتعتبر لحظات تألقها
ومرحها الاجتماعي، لكنها الليلة في مزاج متقلب غريب فسألها
مازحاً:

-إيه اللي مضايق الجميل النهاردة؟.. ايه فستان يارا معجبكيش
ولا ايه؟

نظرت له وعصام سبقها للرد:

- لا الفستان تحفة، طلعت بتفهم في الموضة يا زيدو.

فضاحكه زيد:

- البركة في أختك.

وعاد لخالته التي ربت على كفه:

- جميل يا حبيبي تعيش وتجيلها.

وسددت نظراتها نحو هشام المنفصل عنهم يتابع باسل وعيونه
تقوم بجولات بين عقارب ساعته وباب القاعة، حتى وجدت
حاجبيه انعقدا بشدة!.. فالعروس عادت ولكنها متلاحقة
الأنفاس تحاول رسم ابتسامة مرتعشة على وجهها.. استقبلتها
الفتيات المنتظرات عند الباب وانغمست بوسطهن، مطت شفيتها
من جديد وهي تغمغم:

- يعنى مافيش حد فيكم عنده نظر؟!!

التعجب ارتسم على وجهي زيد وعصام وهي تنظر لهما بحنق
كما كانت تنظر لهما عندما تمسك بهم متلبسين بسرقة الكعك
قبل ليلة العيد..

-مالك يا حورية؟

نطقها زيد

-ماليش.. بس مش حرام الجمال ده كله يروح للغريب!!.. وفي
الآخر تبقوا زي القرع تمدوا لبره!!

لو غاريمات هو ما تنطق به الخالة الآن!!.. نظرا لبعضهما
متعجبين ورفع عصام كأس العصير يناظره بريبة متسائلاً:

-هو البتاع ده سليم ولا فيه ايه؟

لكزه زيد حينما وجهت لهما الخالة نظرات نارية وها دنها عصام:

-اهدي بس كده وفهميني.. أنتِ بتكلمي على ايه بالضبط؟

مطت شفيتها:

-باتكلم على ميرا ويارا.. بالذمة مش كنتوا أنتوا أولى بيهم؟

رأيتك حرام

شغيبه وريحه

أغمض عصام عينيه وهز رأسه محاولاً إفاقة نفسه وزيد انطلقت ضحكاته:

- هه.. إيه يا حورية بس الكلام ده!.. أولى ايه بس!.. ما أنتِ عارفة إنه ما يجوزش.. في واحد يتجوز أخته؟

فرفعت حورية أحد حاجبيها باستنكار:

- ليه!!.. وهى ميرا كانت أختك ولا يارا كانت أختهم؟

فرد عصام ساخراً:

- مالك يا خالتو!!.. أنتِ مش مركزة ولا ايه؟.. ما أنتِ عارفة إن يارا أختنا في الرضاعة أنا وهشام؟

عقدت حورية حاجبيها تحاول تبين صدقه من مزاحه فردت معاندة:

- ايه الكلام الفارغ ده؟

طار المزاح واحتلت الجدية ملامح زيد والتساؤل وعدم الفهم ملامح عصام سائلاً إياها:

- كلام فارغ ايه؟.. أنتِ باين ناسية ولا ايه!.. أنا ويارا وهشام
أخوات في الرضاعة يعني راضعين سوا..
وضرب سبابتيه ببعضهما مكملًا:

- راضعين سوا.. يعني ما نجوزش لبعض.. يعني أخوات.

ردت وهى تشيح بيدها في وجهه كأنه طفل عصي الفهم:

- أيوووووه يا عصام!!.. قولنا مش أخوات.. مش أخوات.

حروف تلاحمت لتكون أشباه كلمات وعلى قدر بساطتها على
قدر قوة تدميرها..

التفت لها هشام فقد انتشلتة جملتها من غيمة تفكيره بيارا
المرتبكة، ثم الذهاب لمدارة دموع لقاء الصديقة فعودة مرتبكة
مرتجفة، ومن غيمة مراقبته لها نجحت الخالة بجذبه خارجًا..

- أنتوا بتتكلما في ايه؟

نطقها هشام بتعجب وعصام يواصل استنطاقه لخالته:

- يعني ايه مش اخوات يا حورية؟!.. ركزي كده وافتكري بس.

أغمضت عيونها بضيق وقلة صبر:

- أنا مش فايقة لهزارك يا واد يا عصام.. أنا عارفة بقول إيه
كويس قوي، بقول مش أخوات.. مش أخوات.

فنظر لهم هشام بتعجب، زيد صامت مظلم الملامح، وعصام
استنكار وعدم تصديق يستفز خالته مرسوم على وجهه وهو يسأل
مطالباً بتوضيح:

- هو في ايه؟!.. مين اللي مش أخوات!!.. ما تفهموني.

فنظرت له خالته:

- قوله يا إتش.. قال بيقولي أخوات في الرضاعة قال!!.. عايز
يعلق تقفيل المخ على شماعه.. قال إيه أخوات في الرضاعة!

ضيق هشام عيونه وهو يسدد نظراته لها:

- أنتِ تقصدي إيه؟!.. أن أنا ويارا مش إخوات في الرضاعة؟

والجملة المتسائلة واللهجة المستنكرة والعيون المطالبة بفهم
صدمتها فبلعت ريقها.. طار العناد والنزق وحل محلها غضب
وليد، التفتت لأبناء أختها بكل جسدها وأخبرتهم بتركيز:

- أيوة مش أخوات في الرضاعة.

سألها ثانية:

- ولا عصام ويارا؟

ردت بتعجب:

- لأ

غمم زيد:

- يمكن يكون اختلط عليكي الأمر والرضعات ما يكونوش مثلاً
عدوا الخمسة!!.. أو أنتِ ما حضرتيهومش.

حاول عصام الاعتراض فأمسكه هشام من يده مثبتاً إياه وسائلاً
خالته:

- خالتو انتي ممكن تفهمينا الموضوع بالظبط!

وبدأت حورية بالسرد..

يقال أن مستعظم النار تبدأ من مستصغر الشرر.. ولكن لم يقل
أحداً أن من مستصغر الزلازل تبدأ الانهيارات..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

"هو العريس أهله فين؟"

همستها ديما بأذن مروة ومروة ترد باقتضاب:

-الله يرحمهم.

غمغت ديما:

-لا والله!

نظرت لها مروة محذرة وعينيها كانت غائبة تبحث بين وجوه
الموجودين، تحلل وتفسر، فضولها المفيد علمياً القاتل
اجتماعياً، لولا أنه ليس بحقها إفشاء أسرار خطيب ابنة خالتها
لأخبرتها.. لكنها ليست حكايتها لتتلوها لذا عليها الحد من
الخصائر.

غيرت الموضوع بهمستها:

-ايه رأيك في البوفيه؟.. حلو!

قابلها صمت وديما أصابعها تنقر على الطاولة، عيناها تبحثان
يميناً ويساراً، تدقق بباسل ثم أصدقاؤه.. العمر متقارب بينهم إذاً
ليسوا بأفراد عائلة، الأقرب للصواب أصدقاء.. ملابس بماركات
مقاربة غالية، امم فئة اجتماعية عالية، لكن أين الخال أو
العم..!!

رجل كبير واحد بامرأته على طاولة تجمع عليها عدد من الرجال
وزوجاتهم، واضح من النظرات أنهم رجال أعمال.. أين الأهل؟!
ووجدت نفسها دون تأخير تردد على لسانها:

- فين باقي عيلته؟

نظرت لها مروة بتحذير صامت فيارا وعريستها يقتربان منهم
وانتهزت ديما الفرصة لقراءته، ضيقت عينيها بطريقة مضحكة
تعرفها مروة جيداً، حاول بالر محادثة باسل ومشاغلتة عن ما
تفعله ديما ولكن لسانها أثبت جدارته بسرعتة الصاروخية:

- إيه الجرح اللي في جبينك ده؟.. ده حادثة ولا خناقة؟

رأيتك عالم

شغيط ورنج

خبطت مروة على جبينها بكفها، تحاول الاعتذار وديما تطالعه
بنظرات بريئة واضحة بعيونها العسلية وحاجبيها الشقراوين مما
جعله يتنحى مخبراً إياها:

- لا حادثة.. تقدرى تقولى الحادثة اللي عرفتنى على يارا؟

لم تغب بتركيزها عن حدقتيه، لطالما تخدع الحدقة صاحبها
وتفشي كذبه من صدقه وهو صادق حتى الآن.. بعد أن أنهوا
حديثهم ابتعدوا لطاولة أخرى..

أمسكت ديما بيد مروة بقوة واقتربت من رأسها تخبرها بحزم:

- ما هو أنا لازم أفهم.. إزاي واحد كل أهله ميتين؟!.. فين
عيلته!!.. أنتوا مش قلقانين ليطلع شاب من بتوع الاسم خطوبة
وألعب بديلي رسمي زى الزفت التاني!!

زفرت مروة.. لن ترتاح حتى تعلم:

- أهله كلهم ماتوا في حادثة.. أبوه وأمه وأخته، له عم وحيد
عايش في أمريكا ومالحقش يجي.. واللي هناك ده..

وأشارت على عبد العزيز الحديدي:

- يبقى في مقام عمه صاحب أبوه ويبقى أبو جوز ميرا كمان.
صمتت تتأمله، فبعض الآلام تتشابه.. وصمتت ديما تحلل
بعينها، تتابع من جهة لأخرى وأنها مروة الجدال قبل أن يبدأ:
- وعلى فكرة هشام موافق، وحاضر كل خطوة من الأول المرة
دي.

وقتها فقط دق قلبها.. عاد التيه.. "هشام؟!!" .. وفضحها لسانها:

- هشام!!.. هو هنا؟!.. فين ما شفتوش؟

أشارت لها على طاولة بعيدة في الجانب القاصي من القاعة،
وهشام المنهمك في حديث مع الخالة حورية وزيد وعصام،
وابتسامة حالمة ارتسمت على وجهها جعلت مروة تدير حدقتها
بسخط وتجرها قبل أن ترتكب حماقة اجتماعية أخرى..

- اقعدي هنا وإياك تتحركي من غير ما أعرف.. أنتِ فاهمة!!
هزت رأسها بطاعة وعيونها تتلمس لمحات من الجاهل حتى
بوجودها.

رائة عالم

شغيط ورنج

4 ريختر

"أستاذة مهرة سوري على إزعاجك.. بس أستاذ أشرف"....

قاطع صوت سكرتيرتها الصادر من جهاز الاتصال الداخلي دخول صاحب، أغلقت الاتصال بوجه السكرتيرة منهيّة اعتذاراتها المتلاحقة بجملة باردة:

- حسابك معايا بعدين.

التفت لأشرف المستريح على كرسي أمامها حتى أنه رفع قدميه فوق منضدة مكتبها، حركات محفوظة ونظرة قد تخيف الكثيرات لكن ليس هي، مطت شفيتها وتناولت فتاحة خطابات أثرية هدية أبيها لأول سبق صحفي لها، وبحركة مفاجئة دفعت بها قدمي أشرف عن المكتب قائلة ببرود هادئ:

- رجلك ما تترفعش على مكثبي.. ها خير؟.. إيه اللي رماك عليّ النهاردة؟

مط شفيتها معتدلاً وبصراحة فاتحها:

- تفكري حتكوني وحشتيني مثلاً!!.. أكيد مصلحة.

جلست بارتياح على كرسيتها تتفقد أظافرها بلا مبالاة:

- امممم.. آخر معلوماتي إن كل مصالحك بتتزل على الفاضي.

اقترب منها أكثر غامزاً إياها:

- حتى لو المصلحة فيها حبيب القلب ابن الحديدي!!

رفعت أنظارها له.. لن تقع هي بتلك السهولة.. تعلمه جيداً:

- خير؟

وبلهجة متعاطفة أردف:

- أنا مقدر الصدمة اللي حصلتك.. كنت ماشية كويس وبقى لك

سنتين وراه وفي الآخر في ظرف كام يوم لفته واحدة مالهاش أي

ذكر وشالت الجمل بما حمل.. بجد صعبتِ عليّ

رفعت حاجبيها.. فإن أخبروها أن التماسيح تستطيع التعاطف

ستصدق!!.. ولكن أن يتعاطف أشرف فذاك مستحيل.. هذا

يستلزم قلباً بالبداية وهو لا يملكه:

- وبعدين؟

رأيتك عالم

شغيط ورنج

أجاب بحزم:

- مصلحة مشتركة.. عندي معلومة ممكن تنسف جوازته من جذورها.

عقدت حاجبيها وفضولها الصحفي على أوجه:

- إيه؟

- خالد الملاح عارفاه؟

- أسمع عنه.. بس ده ايه علاقته بإياد؟

- تَو تَو تَو نتفق الأول.. ايه رأيك في اتفاقنا القديم أيام ناريمان؟.. أنتِ تاخدي حبيب القلب على طبق من فضة وأنا آخذ كرسي رئيس مجلس الإدارة للمجموعة.. اتفقنا؟! عيونها تضيق بقوة:

- أعرف ناوي على إيه الأول؟

رمى لها بملف مردفاً وهو يقوم من مكانه:

- ده ملف اللي قدرت أوصله..

رأيتك عالم

شخيط وورحة

وأمام نظراتها المتعجبة زفر بحنق:

- في حد مقفل عليّ أي وسيلة إنى أنبش أعمق من كده.. أي حد من طرفي ما بيوصلش لحاجة..

هزت رأسها:

- علشان كده جيتني!.. سكة جديدة وبعيد عنك.

حدق بها:

- والأهم مركز ثقة عند حبيب القلب.

- مش حانشر صور لمرأة إياد.. انسى

غمزها بعينه بخبث:

- ما تقلقيش.. عارف طبعاً.. ما ينفعش تفضحيه وتكسريه..

ساعتها يبقى شبه راجل ما يليقش بمهرة، ما تخافيش.. أنتِ لو

ساعدتيني حتخليه هو اللي يرميها.

لمعت عيونها تحدق به:

- زي ناريمان!؟

- لا دي أنقح.. على الأقل ناريمان كان اسمه جواز عرفي بس جواز.. لكن دي واضح أنها كانت واحدة من فضايح الملاح اللي اتلمت بمبلغ محترم.

تصفحت الملف وردت باستهانة:

- ايه اللي أنت جايه ده؟.. ولا يثبت أي حاجة

حدق بها بقوة منهيًا الحوار بكلمة:

- هي دي مهمتك..

والتفتت للباب ليخرج، أوقفه صوتها الحازم:

- ولو قلت لأ!!

نظر لها من فوق كتفه:

- ساعتها حبيب القلب حيعرف مين اللي كان ورا الكاميرا اللي بتصور خطيبته السابقة وهي معايا ومين اللي ظبطها الكوكتيل اللي خلاها تدوب في أيدي.

هبت واقفة بشراسة تهتف بفحيح:

-أتحداك تقدر تثبت أي حاجة.

ابتسم وهو يخرج من الباب:

-المصور الخايب هو اللي ما يعرفش أنه وهو بيصور بيتصور..
أتمنى مهارتك كصحفية ماتكونش بنفس درجة مهارتك
كمصورة.. ما تتأخريش عليّ.

تركها وخرج وتلقى الباب بدلا عنه فتاحة الخطابات بعنف
مدوي وهي تهتف:

-حيوان

وعقلها يعصف بقوة، شعرت بالأرض تهتز تحت أقدامها بعنف..
فتهاكت على الكرسي وعينها تجرى على بروفة الطباعة للغد،
وصورة إياد مع ميرا فى خطبة باسل تهتز أمام عينها..

فقدر ما يناوشها الأمل القديم بزواجها منه قبل أن تدخل ناريمان
إلى الصورة بقدر ما تعلم أنه إن علم بما فعلته لن يسامحها، فما
باله لو علم بما توشك على فعله!!.. لن يرحمها أبداً.

5 ريختر

يجلس بالشرفة يستند على قدميه بمرفقيه ويسند رأسه عليهما، ما حكته الخالة أكثر من قدرته على التصديق والاستيعاب.. يتذكر كلماتها حرفاً حرفاً..

- يا ولاد ما ينفعش أصلاً تبقوا أخوات في الرضاعة.. قولوا أخوات بحكم التربية.. بحكم العادة.. لكن شرعاً لأ.
اعترض عصام:

- أنت بتقولي ايه يا خالتو بس الله يرضى عنك!!.. ركزي بس.
- بس يا قليل الأدب.. ايه ركزي دي؟!.. أنا أجيالك تاريخ العيلة من جد جدك.. أنت فاكرني كبرت وخرفت!!
ربت عليها زيد يهدئها:

- بعد الشر عليك.. بس الحوار لا يعقل، إزاي؟

- هو ايه اللي إزاي؟

حتى هتف هشام:

- خالتو.. احكيلنا اللي تعرفيه عن توقيت ولادتي أنا ويارا
وعصام؟

هزت كتفيها:

- بصوا.. أمك وخالتك كانت الفرحة مش سايعاهم لما اتجوزوا
سوا.. روكا أبوك يا زيد خدها وسافر الكويت وطبعاً آمال أبوك
منصور اتجوزها في عمارة العيلة.. كانت معانا في وسطينا،
كانت أول مرة التوأم يتفرقوا عن بعض من يوم ما اتولدوا، المهم
أمك يا هشام اتأقلمت وعاشت حياتها وحملت بيك بس اللي
تعبت قوي في غربتها وحملها هي روكا.. لدرجة إن جوزها
نزلها.. خاف يجرالها حاجة وهو يحتاس بيها جات هنا كنت
أنت اتولدت وهي ولدت وجابت يارا..

لما تميت أنت سنة يا هشام كانت يارا عندها أربع شهور لسه
صغيرة.. عمك محسن طلب مراته ترجع بس وقتها أمك اكتشفت
إنها حامل في عصام وصحتها اتدهورت جدا واللبن الطبيعي
قطع.. طبعاً روكا رفضت وبدأت المشاكل بينها وبين عمك
محسن تزيد ونفسيتهما بقت في الأرض فحتى هي لبنها قل جداً..

-أيوة أنا كده مش فاهم مين كده رضع على مين!!

قاطعها عصام بحيرة فهتفت بتزق:

-حتسكت ولا أقوم وما أحكيش؟

راضاها هشام برفق وحثها على أن تكمل:

-كملي بس يا حورية وسيبك منه..

زاجراً عصام بعينه..

-ساعتها احتاسنا.. أنت رافض اللبن الصناعي ويارا الدكتور

وقتها قال صحتها ضعيفة لازم لبن طبيعي.. فاللي نجدتنا ساعتها

أم منى جارتنا.. كانت بتيجي ترضعك يا هشام وحاولت مع يارا

مرة والبنت رفضت تماماً.. ما رضيتش ترضع فاضطرينا نديها

اللبن الصناعي بس..

فهمتوا دلوقتٍ أقصد ايه!!.. ماحدث فيكم راضع على حد، مش

عارفة أنتوا مين قالكم عكس كده!؟

وقتها أنهى هشام الحوار وداخله يفور.. لما الكذب!؟.. لم

استهانوا بعقولهم حتى وصلوا للكذب!؟..!

وظل بانتظار مبتعداً عن الجميع لا يرغب بحديث خشية الانفجار.. ينتظر نوم الفتيات مروة ويارا وبسمة والصغير حتى يستطيع الانفراد بأمه وخالتيه..

تربيته على كتفه من عصام تخبره أنه حان الوقت فالجميع مجتمع بغرفة الخالة حورية..

حين دخل هشام وجد خالتيه وأمه جالسات وزيد بجانب الغرف،
تمتم بضيق:

-كويس إنكم كلكم موجودين.

-دلوقتِ يا ماما حورية قالتلنا على حوار كده وكنا عايزين نتأكد منه..

رفعت أمال نظراتها لأختها حورية تستشف منها أي معلومة تبدأ بها الحوار ولكنها وجدت الصمت وصرامة تجابهم بها حين يخطئون.. لكن بماذا؟

ردت بقوة:

-خير يا هشام في ايه؟

- صحيح إننا مش أخوات في الرضاعة؟

صدمة.. هي أقل ما يصف شعورها بتلك اللحظة، تراجعت في كرسيتها للخلف تبتلع ريقها متسائلة:

- أنت بتقول ايه يا هشام؟! .. ايه الكلام...

قاطعها هشام بصرامة:

- خلينا صرحاء واعملى حسابك إن خالتو حورية موجودة وهي اللي قالت كده.. الحقيقة فين يا ماما؟

ردت بحزم بعد أن تماكنت نفسها:

- تفرق في ايه أخوات في رضاعة ولا لأ؟

نظر لها هشام باستنكار وشهقة أختها حورية كانت عالية:

- أنتِ فعلاً قولتيلهم كده يا أمال؟! .. ليه؟

هتف بها هشام بنبرة قارصة:

- يعني ايه تفرق في ايه؟! .. تفرق في إن كل اللي يعرفنا يعرف إننا أخوات.. في إننا عايشين في بيت واحد مافيش فواصل ولا

حدود، هو ايه اللي تفرق في ايه؟!.. ده لا شرع ولا دين ولا حتى عادات تقول إن ما فيش فرق!!

تمتت روكا بتخبط:

- أنا مش فاكرة كويس.. أنتِ متأكدة يا حورية؟!.. ما يمكن اختلط عليكِ الأمر!

ردت حورية بحزم:

- أنا ما بيختلطش عليّ أمور يا أحلام.. أنا باقول إنهم مش أخوات في الرضاعة..

وأعادت سرد الأحداث من جديد وعيون أحلام تتسع وتهز رأسها:

- أيوة أيوة أنا فاكرة.. الكلام ده حصل.

رد هشام بعنف:

- أنا خلاص اتأكدت إنه حصل.. اللي يهمني أعرف دلوقتٍ ليه؟!.. ليه كدبتوا وخليتونا نكذب على كل اللي حوالينا؟!.. ليه

الغش والخداع!

وقفت أمه تجابهه بقوة وصرامة:

-احترم نفسك.. غش ايه وخداع ايه؟.. هو غش لما أحاول
أحافظ على أختي وولادها ولا يمكن خداع لما ربيناكم سوا ما
فرقناش بينكم!!... وبدل الأم كان عندكم اتنين، ولا كان الأحسن
إن مرتضى ياخذ زيد ويارا وأختي فوق البيعة كمان وأنا واقفة
أتفرج!!

اعترض هشام بصراخ:

-ايه دخل مرتضى بالموضوع؟

-دي كانت أول مرة نقولكم إن أنتوا أخوات بالرضاعة.. لو
افتكرت كويس حتعرف إن بعد وفاة أبوك لما جالنا عايز
ياخدكم بحجة البنت وتربيتها وولدين في البيت قولتلمهم إن أنتوا
أخوات في الرضاعة.. واتفقت مع أم منى واستشهدت بيها وهي
ساعدتني..

-ده كان وقتها.. ايه اللي خلاكم توصلوا الكدبة دي؟!.. وكنتم
ناويين تكملوا فيها لحد إمتي؟

هزت حورية رأسها بحسرة:

-ليه يا آمال ليه؟

-انصبولي المحكمة وعلقولي المشانق بقى علشان حافظت على
أختي وولادها.. آه عملتها ولو اتكرر الموقف؛ حاعملها تاني
وتالت، فارق معاك قوي عايشين في بيت واحد كلنا!!.. ياما
عائلات بيتربوا كلهم في بيت واحد وآخر الليل كل عيلة على
أوضتها..

هتف بها هشام بغضب:

-أنتِ بتكابري وبتبرري الغلط!!.. لو جوز ميرا عرف حنفسر له
علاقة القرب بين ميرا وزيد إزاي؟!.. بلاش أكون جنب يارا
إزاي قدام خطيبها وأنا مجرد ابن خالتها!!

-إياد ملوش لزوم يعرف وحتفرق ايه ابن خالتها من أخوها ما
أنت في الحالين شاييل همها على أكتافك لوحدك..
-آمال..

صرخت بها حورية وهب وقتها زيد ينظر لخالته بحسم:

رأيتك حالي

شغيط ورنج

- عندك حق يا خالتو.. كفاية على ابن الخالة لحد كده.
وخرج مندفعاً من الغرفة، أسرع خلفه عصام هاتفاً بهم في
غضب:

- حرام عليكم.. مش كفاية اللي هو فيه!!

وهشام بين شراسة ملامح أمه العنيدة وصدمة خالته أحلام وخيبة
الأمل في نظرات خالته حورية، كلمات زيد المتألّمة وعصام
المندفع..

ربت خالته على كتفه مخبرة إياه:

- روح شوف زيد وشوفوا حتتفقوا على ايه!!

والتفت لأختيها:

- وسيبني شوية مع أخواتي.. بينا كلام كثير ما ينفعش حد
يسمعه.

خرج هشام تاركاً إياهم وبداخله مزيج لا يفهمه ولا يستوعبه!!..
ما الفارق؟!.. أو أن ما حدث هو كل الفارق!!

-ليه يا آمال عملت كده؟

-يوووو يا حورية ما قلنا.. هي سيرة!

نظرت لها حورية:

-متأكدة إن السبب الوحيد اللي خلاك تكمل الكدبة لدرجة إن
أختك الغلبانة في الآخر صدقتها علشان تحميهم من مرتضى!!

رفعت لها آمال وجهاً مستنكراً:

-آه طبعاً أو مال حيكون إيه يعني؟

-يعنى مش علشان هشام ما ياخدش بنت خالته!!

ضيق عينها وهى تستهجن ما قالته:

-إيه اللي بتقوليه ده يا حورية؟.. دول إخوات.

رفعت حورية صوتها:

- مش إخوات يا آمال وأنتِ عارفة ومتأكدة.. أنا دلوقتِ بس فهمت.. طول عمري أقول في حاجة مش صح، مش راكبة، دلوقتِ فهمت.

وأكملت حورية باحتقار:

- أنتِ عملتِ كده علشان نفسك..

ردت آمال تدافع وهي تعطي حورية ظهرها هرباً من مواجهة:

- ايه اللي بتقوليه ده يا حورية!!

أمسكتها حورية من يدها تشدها إليها تجبرها على مواجهتها:

- بصي لي وأنا بكلمك.. أنتِ لما كبروا كنتِ قاصدة مش كده!!.. ليه؟.. ها خايفة من ايه؟.. ردي عليّ فهميني.. ايه السبب اللي في دماغك؟.. ايه مصلحتك؟

وتحت الضغط وتوالي الهزات أتى الانفجار:

- أنتِ عارفة إن محسن كان مريض نفسي مش طبيعي.. والحاجات دي بتبقى وراثه.

- ااايه؟

وتلك الصرخة جاءت من الصامته الهادئة دوماً أحلام:

- أنتِ كنتِ قاصدة فعلاً!!.. خايفة لولادك يتجوزوا حد من ولادي؟.. أنتِ يا آمال تفكري فيّ وفي ولادي كده!!

- أنا ما غلطتش وأديكِ شايفة حالة بنتك..

وصوت صفعة قطع الأجواء وكلمات حورية تهز أركان المكان:

- واضح إنك محتاجة إعادة تربية وفحص لمخك لأنك غبية يا آمال.. غبية.

الصفعة أفاقت آمال لتجد بكاءً ونظرة انكسارٍ وجرحٍ بعيون توأمتها، رفيقة الرحم من لحظة النفث الأولى، وأحلام صدرها يرتج بقوة العبرات:

- كتر خيرك يا أختي.. بتعايريني ببنتي!!

ربت حورية على كتفها مطيبة خاطرها:

- سيبك منها دي غبية، وبنتك ست البنات.. واللي يشوف غير
كده؛ غبي.. يلا يلا على أوضتك دلوقتِ.

استكانت أحلام لأختها الكبرى وبعد أن أخرجتها حورية من
الغرفة التفتت لآمال الزاهلة فاقدة السيطرة:

- اسمعها مني كلمة؛ اللي عملتيه مش حيقع على دماغ حد
غيرك يا آمال.. وابقى قولي حورية قالت!

صفعت باب الغرفة خلفها فارتجفت آمال وبرد قارص يلفها..
بحدة علت شهقاتها الباكية، ماذا فعلت..!!

فقدت احترام الجميع.. ابنها وزيد وأحلام وحين جاء اسم أحلام
مترافقاً مع صورتها الأخيرة ارتمت أرضاً تبكي بحرقة، تشعر
بزلزلة الأرض من تحتها، تتهاوى في الفراغ، تفقد كل ما يهم،
فاليوم فقط..

اكتشفت مدى هشاشة ما بنته على مدار أعوام.. و فراق لاح
بالآفاق..

رأيتك عالم

شخيط وورحة

6 ريختر

بطريق العودة الصمت كان حليفهما حتى وصلا للفيلا وهي تشعر
بازدحام داخلي توشك على الانفجار؛ مقاطعة عصام، وخطبة
البريئة، وعودة ديما بما جلبته من ذكريات قديمة، والأنكأ السيد
الجالس بجوارها كيف يجرؤ على تطيب خاطرها وهو السبب
فيما حدث بينها وبين عصام!؟

ترغب بالصراخ بأعلى صوتها ولا سبيل، فترف حرية الجنون
ضاع مع عقد زواجها، نظراتها تطالعه بجمود وتساؤل ماذا يفعل
ابن الحديدي لينفس عن غضبه واحباطه يا ترى!؟

- غريبة أن يارا ما رضيتش ترقص مع باسل مش كده؟

استنشقت بعمق تحاول الاسترخاء لترد فضوله دون إفصاح:

- براحتها

تركته وتوجهت للحمام ترغب في حمام دافئ أو ربما بارد لا
تعلم.. تلك الحالة من حالات الفوضى التي تكرهها وتعشقها
وتعلم كيف السبيل..

تناولت بنطالها الجينز القصير جداً بحمالتين فوق كتفيها مع توب رياضي يخفي صدرها ثم احد مشابك شعرها الغربية وبدأت رحلة البحث عن حقيبتها الكبيرة..

أمام عيونه المندهشة المعقودة الحاجبين بما تلبسه فيما هو مستلقي على الفراش يستعد للنوم، ليكتشف أنها في حالة نشاط تام..

وأمام حركتها الدؤوبة بالبحث والانثناء يميناً ويساراً زفر بحنق:

- ايه الدوشة دي! بتدوري على ايه الساعة ٢ بالليل؟

ولم تهتم بالالتفات له حتى.. فقط استمرت بالبحث وهي تغمغم:

- شنطة كبيرة جت من البيت على هنا مع حاجتي.

- اشمعنا؟

نظرت له من فوق كتفها وبكلمة واحدة باردة:

- عايزاها!

رائحة حلو

شغيط ورنج

وقبل أن يستمر بمناوشتها أخرجت حقيبة كبيرة من الجلد غريبة التصميم، فضوله يحرقه وكبرياؤه يمنعه من القيام للنظر، ولكنها أرضت الفضول بما يكفي وهي تخرج اسكتشات رسم كبيرة وعدة علب من الألوان والفرش والأقلام وكوب خزفي مزخرف باسمها..

أغلقت الحقيبة ووضعته باعتهاء بأحد أطراف غرفة الملابس وخرجت من الغرفة وتركته.. ليجن جنونه..

الحمقاء ماذا سيقول الخدم وأبوه وأمه على العروس التي تترك زوجها ليلاً لتهميم مع أوراقها وفرشها بالفيلا..!

حاول الصمت متقلباً بالفراش وكلما تذكر بنطالها القصير زاد حنقه ومع فكرة أنه ربما يراها أحدهم رمى الغطاء وانطلق يبحث عنها متوعداً..

خمس عشر دقيقة بحث عنها بكل أطراف الفيلا ولا وجود لها لم يبقَ إلا المطبخ والحمامات، لن ترسم بالحمامات لذا فتوجه للمطبخ ليجدها تفترش أرض المطبخ تحاول الرسم وقف يراقبها من بعيد دون صوت وهي ترسم وترسم دون توقف..

تتوقف للحظات جامدة ثم تعود لجنون ألوانها، هي لا ترسم
تصميماً أو دعاية هي تخرج ما بنفسها..

راقبها لبعض الوقت حتى سمعها تتشاءب وأذان الفجر الصادح
أنبأه بأنه استغرق ساعتين يراقبها..!

ساعتين دون كلل أو ملل عقد حاجبيه بغضب ودخل بصوت
غاضب:

- ايه اللي أنتِ عاملاه ده!!.. عايز أفهم في حد يقعد بالمنظر ده
على الأرض!!

وبنبرة متفاجئة مجهددة ورد سريع:

- كراسي المطبخ بتاعتكم مش مريحة ما ارتحتش إلا كده!

نظرة تعاطف في عينيه جعلتها تقوم بعنف تلم أغراضها بشراسة
وتلقي كوبها الفخاري بالحوض وتسبقه لغرفة النوم..

حينما لحق بها كانت بالسرير استلقى بجانبها مخبراً أياها بحزم:

- آخر مرة تطلعي بالليل بره الجناح بتاعنا وخصوصاً باللبس اللي
أنتِ لبساه ده، أحنا مش لوحدنا في الفيلا.

أبغار أم يخشى على مظهره أمام والديه...!!

وعلى تلك الفكرة نامت...

بالصباح أيقظها صوته:

-ميرا.. يلا لازم ننزل نفطر معاهم.

استيقظت ومعدلات العند بكامل شحنها:

-وليه لازم!.. حتعاقب لو معملناش كده مثلاً!!

نظر لها بصرامة:

-ده أول يوم لنا في البيت وأعتقد أن على الأقل وجبة الفطار

لازم تكون معاهم.

ردت بتزق وهي تخطو تحاول جذب ملابس تصلح للعمل:

-ما بفطرش.

أمسكها من ذراعها:

-لا حتفطري ومش بمزاجك.

وأمسك الثوب الذي اختارته:

- وشوفي لك حاجة أطول من كده!

وتركها معلناً:

- عشر دقائق تكوني تحت.

وابتسامة غامضة تراقصت بعينيها مغممة:

- وماله!

خرج منتعشاً من مناوشته معها وابتسامة جذلة تتراقص على شفثيه

وقابلته صدمة بالأسفل:

- تعال يا إياد شوف مين حيفطر معانا النهادرة!!

والمفاجأة كانت شقراء بعيون تلك المرة زرقاء!؛ ناريمان بابتسامة

مهذبة وملابس هادئة محتشمة!

عقد حاجبيه وطار مزاجه الحسن فأسوء تجربة بحياته متجسدة

أمامه تلك الطاقة من الغضب والكره والاحتقار.. ورغم الانتقام

مازال هناك الألم..

وسارع أبوه للتوضيح:

- ناريمان حتبداً من النهاردة تدرّيبها في الشركة عايزة تستلم
إدارة أسهم والدها، وطبعاً ما فيش أحسن منك يعرفها كل حاجة.
ونظرة نارية من إياد لأبيه..

إذا فالخطة وضعت من أبيه وهو عليه مجاراتها والتظاهر بالغباء،
ألم يجد سواها...!

ذاك الشعور بالمرارة برعشة الغضب والحزن فأبوه يؤذيه كما لم
تستطع هي والآن عمله الذي يعشقه ستتواجد به أمام عينيه يوماً
بعد يوم، ينظر لأبيه بلوم كرامة مجروحة لن تشفى قاطعهما
صوتها الهادئ:

- إياد.. ممكن نتكلم لوحدها شوية من فضلك؟.

نظر لها إياد بغضب فهي أدري من أن تلعب معه تلك اللعبة
وجلس على طاولة الإفطار راداً عليها ببرود:

- آسف.. اللي عندك قوله ما فيش بينا أسرار

تنفست بعمق وابتسمت وهي تردف:

-إياد.. خلاص اللي بينا خلص.. نو هارد فيلينج، جرحتك
وجرحتني واعتقد أنك قولتلي كده نبقى خالصين... تمام؟..
أنت اتجوزت وعشت حياتك وأنا عايزة أبدأ صفحة جديدة في
حياتي.. ممكن تساعدني؟

وقبل أن يرد عليها رداً فاحماً تستحقه هبطت المتمردة من الأعلى
وشهقة أمه جعلته يلتفت فالنارية ترتدي ثوباً بالكامل من اللون
البيج ضيق عاري الذراعين وتحمل على يدها معطف قصير..
ومعدل ضغط دمه دخل مرحلة الخطر والدليل الدخان المتصاعد
من أذنيه..

الحمقاء سيعلمها كيف تتحداه!

ومع وصولها والقائها تحية الصباح استقبلتها منيرة أم إياد
بالترحيب معرفة اياها على ناريمان وجلسوا للافطار..
جلست بالطبع جانب زوجها الذي تجاهلها تماماً فهو مع صدمة
ناريمان المقتحمة لحياته وعناد زوجته ومحاربة أبيه الخفية مثل
وما خرج منه فقط جملة واحدة تعطيه وقتاً للتفكير:

- ناريمان.. تدريبك حيداً من النهاردة وأي غلطة حتبقي أوت.

شكرته بهدوء مستمرة بتناول إفطارها وميرا اعتذرت لثوانٍ متوجهة للمطبخ وإن كانت رؤية الفستان من الأمام رافعة لضغطه فالرؤية من الخلف كارثية..!

عادت بكوبها الخزفي الغريب وعلامات التعجب على وجه ناريمان والتقرز على وجه عبد العزيز الذي سأل:

- ايه الشيء اللي بتشربي فيه ده! ممكن تاخدي شايك في فنجان زي باقي الناس.

ابتسمت له متفاجئة مغممة بهدوء:

- ما بشربش شاي ده نسكافيه وبحب آخده في الماچ بتاعي.

ورد عبد العزيز خلق توتراً ملحوظاً:

- آاه واضح

وقام تاركاً المائدة وإياد قام من بعده مردفاً لميرا:

"غيري هدومك"

- ماشي يا ابن الحديدى.. ماشي!

قضت معظم اليوم بجناحها الخاص ولم تجد من تستنجد به سوى صديقها الصدوق زيد، استقبلته بالحديقة متعجبة:

- أهلاً يا زيد ما رضيتش تطلع فوق ليه؟.. اوريك جناحي والفيلا

اغتصب زيد ابتسامة ماتت سريعاً:

- معلىش هنا احسن مخنوق ومش عايز اقعد في مكان مقفول.

ومع صوته المختنق وكلماته المريرة طار من عقلها كل ما يشغل بالها عن أحذيتها المدمرة وإياد، اقتربت منه وجلست جواره بالحديقة:

- مالك فيك ايه يا زيد؟

تنفس بعمق وبعد نظرة طويلة منه لها دون كلام دفعته راجية للحديث وحقى لها كل ما دار بالأمس:

رأيتك عالم

شغيط ورنج

- أنت بتقول ايه!! يعني ايه مش اخوات؟! مش فاهمة!؟!

رد بضيق وصوت مكروب:

- زي ما حكيتلك.. روكا مصممة تمشي من البيت ونأخذ شقة لوحدنا، مامتك معتزلة بأوضتها وخالتك حورية مش راحمة الاتنين تأنيب وتأديب وقررت تقعد هنا الفترة اللي جاية لحد ما الأمور تتحل.

ملامح الصدمة علت وجهها:

- أحلام وآمال متخانقين!.. وروكا هي اللي عايزة تمشي وتسيبنا طب ازاى؟ دول ما افترقوش طول سنين عمرنا!!

صمت لثوانٍ قبل أن تنظر له بغضب:

- علشان كده ما رضيتش تدخل الفيلا يا زيد؟!.. ايه خلاص ما بقيناش أخوات والمفترض أعاملك كغريب يعني؟

رفع زيد لها عيون متألمة:

- كده أحسن لمصلحتك، الموضوع حيتعرف وساعتها جوزك ممكن يعملك مشكلة.

جزت ميـرا على أسنانها بقوة وهي تخبره:

-اللي يقول يقول واللي يعمل يعمل.. أنت اخويا وأقرب إنسان
ليا وأعز صاحب من يوم ما اتولدت مش هرمي ٢٦ سنة من
حياتي علشان قال افكروا فجأة أننا مش أخوات، أنتوا مكبرين
الموضوع احنا أخوات وحنفضل أخوات.

ابتسم لها زيد بامتنان وهم بمقاطعة فرفعت يدها توقفه:

- دلوقتِ بصفتك أخويا أنا فى مشكلة ومشكلة كبيرة كمان ولازم
تساعدني

عقد حاجبيه بقوة:

- فى ايه يا ميـرا؟.. إياد عملك حاجة؟.. قوليللي وما يهـمكيش
أنا حاتصرف معاه.

ابتسمت بحنان ويخبروها أنه ليس بأخيها!.. حمقى!!

مطت شفـتها بحنق:

-البـيه كسرلي كل جزمي كلهم يا زيد كلهم ما رحمهموش ما
سابليش إلا الكوتشي ده حتجنن..

وانطلقت ضحكاته بقوة وهي تحكي له ما حدث وما فعلته وهي تتوعد بالانتقام، ترغي وتزبد وهو يهدأها كما يفعل كل مرة فطريقته لا تخيب..

هاتفه وتطبيق الموقع الفرنسي ورقم بطاقة إئتمانه وبعد ساعات تركها بابتسامة جذلة على وجهها...

7 ريختر

يشعر كأنما عاد كطفل صغير يسير وبجواره هشام وعصام رغم الألم والصدمة وزلزال الأمس إلا أن هشام لم يتركهما هما الاثنان حتى عرف..

ومنذ نصف ساعة اكتشف أن هشام لم ينم يبحث ويوقظ الأصدقاء والمعارف يسأل عن مختص في أمراض الكبد، يسأل عن الأشهر والأفضل.. وبالفعل استطاع حجز موعد لديه رغم قائمة انتظاره الطويلة وبمجرد أن ترك ميلا بفيلا زوجها، اتصل به يجبره على الحضور وها هم جميعاً يصعدون لموعد الطبيب..

وأثناء الانتظار وجد عصام يربت على كتفه وهشام يضغط على ركبته يؤازره، والاختلاف شاسع بين مجيئه وحده لمواعيد الطبيب وبين الوحدة في تلقي نتائج التحاليل والعلاج.. كم كان باحتياج لدفع توأجهما معه ألا يقولون أن المرض يعيدنا صغاراً تائقين للاهتمام والحب ولأول مرة في حضرة الطبيب يشعر بالاطمئنان فكل ما حدث وقيل وأثير تلاشى عند المعرفة بمرضه..

وأثناء الانتظار سمعوا صوتاً يهتف:

- مش معقول! أنتوا بتعملوا ايه هنا!؟!

رفع الثلاثة عيون مندهشة وصوت عصام سبقهم:

- ديما! أنتِ اللي بتعملي ايه هنا؟

أشارت بملف بيدها:

- أنا بجيب تحاليل جدو من هنا وأنتوا بتعملوا ايه؟

رد هشام:

- مع واحد صاحبنا مستنين.. أخبار جدك وجدتك ايه كويسين؟

ابتسمت له بتردد:

- كويسين الحمد لله.

والصمت ساد الموقف فانصرفت معتذرة بالعمل والمواصلات
وقلق جديها ومع تواصل التبريرات والتلعثم والخجل ارتفعت
الدهشة على وجوههم وتمتم عصام:

- مجنونة أنا قلت من زمان.

- لا وأنت الصادق معجبة!

رد زيد بخفوت.

فسأله عصام بفضول:

- مين؟ .. لا! ما تقولش أنت؟

غمزه زيد مشيراً بكتفه لهشام الذي رد بدهشة:

- مين؟ .. بيا أنا! .. بس بطلوا هزار عيب دي متربية معانا.

فرد عصام بتزق:

- ايه يا عم! ما تفكها بقى.. مجنونة بس حلوة ولا حتطلع أختنا
هي كمان ولا ايه!!

ارتفعت ضحكاتهم فكما يقولون شر البلية ما يضحك..

والمجنونة تسب نفسها بعنف فديما عادت لعادتها القديمة
بنطال جينز وحذاء رياضي وبلوزة غير محددة المعالم مع حجاب
لا تعلم له بداية من نهاية ووجه شاحب ولحظة رؤيته اياها جاءت
وهي تشبه المتشردين.. لما لم تختفِ دون سلام!، تصرفاتها
العفوية المندفعة دومًا ولحظة الإبهار المنتظرة تدمرت..

عقلها انتشلها من حفلة سب النفس بفضولها المعتاد، من كانوا
ينتظرون عند الطبيب يا ترى!؟

8 ريختر

أسبوعان مرا وما زال التوأمتان على عدم وفاق بل وأحلام تبحث
باجتهاد عن شقة جديدة، وبالطرف الآخر من العاصمة.. وحمورية
حائرة بين الاثنتين فبعد قرار الانتقال المفاجئ ورفض الاختان

أن تعرف يارا خوفاً عليها، وكحل سلمي للتقريب بينهما قررت حورية القيام بزيارة تأخرت كثيراً لميرا في بيتها فلقد مر شهر دون أن تزورها العائلة لذا بسمة وصغيرها حمزة وباقي أولادها جاءوا من الأسكندرية لزيارة مستحقة

فاجأوا ميرا باتصال سريع بالصباح بحضورهم ومع فرحتها وتقافزها عند معرفتها بحضورهم، ابتسم إياد مقررأً عدم الذهاب للعمل، سينتظرهم معها..

جاءت نسوة العائلة ومعهم ديما وبعد التحية والترحيب استأذن عبد العزيز متعللاً بوجوب الراحة وتركهم؛ الأطفال يمرحون بصخب ضاحك منعش، حورية تراقب انفتاح إياد بعيون متسعة من الدهشة حتى مع حضور باسل فور علمه بوجود يارا منتهزاً الفرصة؛ فمع محاولاته الفاشلة في التقرب منها سينتهد الفرصة تواجدها محاولاً الانفراد بها والحديث معها...

مطت شفيتها تميل على ابنتها بسمة:

- شايقة بنت أحلام حتنقطني البت ملففاه وراها كعب داير يا عيني وهى وإياد يلعبوا مع العيال!

نظرت لها بسمه النسخة المصغرة من حورية:

- لا سيبها تلففه وراها، بصى لميرا.. أراهنك ممكن نسخن العيش على وشها من كتر الغيظ..

ضحكت حورية فحمزة الصغير يتعمد مضايقة ميرا دوناً عن الجميع، وهي معروفة بالعائلة لا تطيق الصغار ولكن زوجها يلعب بانطلاق وانسجام أب تحت التمرين.. وضيق حورية نظراتها قليلاً تتفرس في ملامح ميرا الجالسة بجوار أمها صامته وهي تتأمل ملامح زوجها، عقدت حاجبها بقلق وهمست لابنتها:

- شوفيلك حجة وخدي خالتك آمال من جنب ميرا.. عايزة اتكلم معاها لوحدنا.

وسارعت بسمه بالتنفيذ دقائق وكانت حورية تجلس متنهدة جوار ميرا:

- ازيك يا حبيبتى أخبارك ايه في الجواز؟

ابتسمت ابتسامة كبيرة تخبر خالتها:

- الحمد لله كويسة.

- يعني جوزك مش متقل عليكِ واخذتوا على طباع بعض من غير مشاكل؟

- آه آه.. كله تمام.

والظن أصبح يقين بعقل حورية وميرا تتهرب من عيون خالتها فأشارت لها:

- واضح أن جوزك روحه في العيال الصغيرة يلا بقي شدي حيلك ما فيش أحسن من العيال.

نظرت لها ميرا بتذمر:

- خالتو! أنا لسه ما كملتش شهر.

فقاطعتها حورية بضحك:

- لا ما اقصدش طبعاً.. أنا قصدي تخيلي حياتي من غير بسمه ومروه ومن غيركم من بعد موت عمك محمود ولا حياة أمك من غيركم أو حتى خالتك من غير ولادها كانت ممكن تبقي ازاي؟

نظرت لها ميرا بحيرة فأكملت حورية:

- الحياة دي مراحل.. الشباب الانطلاق والحرية ومع الجواز تبدأ المسؤولية والأيام تجري بينا لكن اللي بتسند عليه الست في حياتها بجد هما ولادها.. عكازك في عجزك، واللي حظها حلو قوي وأمها داعيالها يكون جوزها كمان سندها زي عمك محمود أو أبوكِ الله يرحمهم.

ونظرت لميرا بعمق:

- الدنيا بتعدي والفرصة اللي بتفوت ما بتتعوضش يا بنتي.

كلمات خالتها تغلغت بأعماقها فهي بمرحلة مهمة من حياتها وهي تضغط زر الايقاف المتعمد.. عقاب مؤكد لكن لمتي؟؟ فرغماً عن البداية لكن يوماً بعد يوم يثبت إياد لها أنه يمكن أن تتعايش معه رغم عن كل ما يثير حنقها منه لكن يمكن.. والطفل السند..

- الخ..

الشیطان الصغير رماها بحجر صغير ويخرج لها لسانه وهو يرفع لها كوبها الفخاري فارتفعت عقيرتها بهلع:

رأيتك راح

شغيب ورنج

- أنت يا زئرد تعال هنا.. حمززة

وهرعت خلفه تخشي على الكوب من الكسر هاتفة:

- براحة ما تجريش اوعى يتكسر

والبقية يضحكون حتى البكاء وهي تنهره تارة وتداهنه تارة

والصغير المتذكي اختفى وراء إياد الذي سألها وهو يضحك

باستغراب:

- ايه كل ده علشان ماج!

فأسرعت مروة من بين ضحكاتها:

- أصله الماج بتاعها عملته بأيديها.

نظرة ادراك ارتسمت بعيونه ومال على الصغير يهمس بأذنه

بكلمات واعطاه الصغير الكوب الخزفي برحابة صدر وحينها

تنهدت ميرا راحة وإياد يتأمله تلك المرة بعين ثاقبة التصميم

الملون اسم ميرا وحوله بضعة أيقونات حذاء وفرشاة رسم

.. ببساطة يمثلها.. اعطاه لها بابتسامة غامضة وتلقفته وهي تتوعد

الصغير بالعقاب مبتعدة..

وإياد يقترب من مروة تاركاً اللعب لحديث هامس..

بعد الغداء وجدت ميلا الصغير يجلس بقربها:

- عايز جوس.

- روح لمامتك تجيبلك.

- لا عايزك أنت.. هاتيلي جوس

- يا الله.. يا بني حل عني.

- عايز جوس.

وقبل أن ترتكب به جريمة اسرعت تجاه باب المطبخ المطل على الحديقة لتأتي له بالعصير حتى تخرسه وما أن فتحت الباب حتى داهمها البياض..

بياض شاهق مترب ولنتحري الدقة دقيق لقد غلفها الدقيق بالكامل فصرخت بحنق:

- حمززرزة

ومن قوة صرختها جرى حمزة لإياد يحتمي به متنصلاً:

- مالميس دعوة أنت اللي قولتلي وقلتلك بلاس.

ظهرت أمامهم مغطاة بالدقيق مغبرة وحانقة حد الاشتعال دخلت للفيلا قبل أن تفتك بالصغير وتركتهم يطلقون الضحكات المكتومة خلفها..

على سلم الفيلا قابلت عبد العزيز الحديدي لينظر لها من أعلى لأسفل ناهراً إياها:

- ايه اللي أنتِ عاملاه في نفسك ده! أنتِ طفلة!! أنتِ دلوقتِ مرات رجل محترم ومعروف لازم تتعلمي تبقي قد المكانة اللي أنتِ فيها..

وأكمل مشيراً لها بسبابته باستهانة:

- مش بالمنظر ده.. أنا مش عارف ايه اللي يربط وريث الحديدي بزوجة زيك دون المستوى!!

ببساطة وبرود أهانها وأنصرف

وإن كانت تشك بكلماته المسممة كل مرة، تلك المرة كانت واضحة وضوح الشمس، يتعمد إحراجها أمام إياد والسيدة منيرة وحينما ينفرد بها يهينها.. تلك لا تصنف إلا إهانة صريحة..

ظلت الأفكار تتصارع بداخلها وهي تخلع ملابسها.. إذا فأبيه رافض لزواجهما.. ضحكت باستهزاء مرددة لنفسها:

- ادخل في الطابور!

فمن منهم كان موافقاً أو مرحباً!

لكن أن يرفضها لأنها أقل من المستوى تلك إهانة قوية..

شعرت بنفسها ترغب بالتكور بزواية وتبكي ودون أن تشعر وجدت نفسها تبكي وهي تحاول بلا جدوى تخليص شعرها من الدقيق مرة تلو الأخرى، وبالنهاية انهمرت الدموع دون حساب حتى وجدت يداً قوية على كتفها وهي تميل بجسدها على الحوض..

فزعت فطمأنها:

- ما تقلقيش.. أنا حساعدك تنصفي شعرك..

وبدأ يدلك لها رأسها تحت المياه..

لا تعلم لما لكن اختفاء وجهها عنه جعل عيونها تدر ما بها من
عبرات محتبسة وحين ارتج رأسها تحت أنامله وشعر برجة
صدرها:

- أنت بتعيطي؟

ولم ترد حينها رفع الخصلات عن وجهها ليراها تبكي بحرقة..
لم يشعر إلا وهو يحتضنها وهي تنفجر بالبكاء، يحاول تهدئتها
وهي منهارة مبللة بوجه محمر دون كلمات ظل يربت على ظهرها
حتى هدأت قليلاً فابتعدت مغممة:

- آسفة على المنظر اللي حصل.. بس..

أسكتها مخبراً إياها:

- عارفة عجبني فيك ايه؟

صمت للحظة وأكمل:

- قوتك..

- وجنونك..

- تمردك

- وضوحك

اندهاش أطار الدموع من عينيها..

معجباً بها..!

ومع كل كلمة يقترب أكثر وأكثر مكملاً:

- كل حاجة بتعملها لها طعم خاص مختلف بيميزك أنتِ

وبس..

ولقاء عيون حائرة انتهى بلقاء شفاهما في حديث طويل هو

يستكشف نكهتها الخاصة وهي تمنحه عذرية شفاه مبتدئة..

قبلاته تتعمق كلما ذاقها رغب بالمزيد ويداه تتجرأ على لمس ما

هو مباح له، له وحده..

"هي له وحده"

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتيتي

ترددت تلك الكلمة بداخله مرة تلو الأخرى ومعها فقد سيطرته
الفولاذية أمام لمساتها الخجلة.. افترقت شفثاهما يعبان الهواء
والأنفاس تتلاحق..

استدارت بين يديه تعطيه ظهرها ترغب في تدارك الأفكار التي
تتضارب والمشاعر التي تفور بداخلها بثورة لأول مرة بحياتها،
سمح لها بالاستدارة دون أن تترك يداها خصرها فهو يعلم الآن أن
فقدانها السيطرة على نفسها شيء غريب عنها، ولكنه على غير
استعداد للابتعاد الآن فما قاساه طوال الشهر المنصرم فاق
الحد..

قربها منه، ألصقها بصدرة يداعب خصلاتها المبللة بأنفه، يقبل
عنقها مثيراً نبضها الذي جن تحت شفثيه حتى ارتفعت رأسها
المنكسة لترتخي على كتفه..

هو يشتهيها ومنذ أن رآها، ولأول مرة يترك لما يرغب معها العنان
وحين تفقد السيطرة وتحتل المشاعر الحبيسة القيادة يحدث
الطوفان..

طوفان ضربهما معاً ولم يفق كلاهما إلا على صرختها المتألّمة
التي اتسعت لها عيناها باندهاش متمماً بصوت خافت لاهث:
-أنا.. أنا..

وغمست هي رأسها برقبتة مختبئة وعقله ردد ما لم ينطقه لسانه:
"ميرا عذراء.. عروسه عذراء!!"

الفصل السادس عشر

لكلِّ منا ما يخفيه ويخيفه..

لكلِّ منا بؤرة سوداء..

سرّاً يخبئه عن الأبصار..

ربما هوة هلعٍ بلا قرار!

تسكنها أشباح الماضي!

نتحاشاها.. نتفادها

وأحياناً نهيل عليها التراب..

وقدر هشاشة الهروب..

تكن صدمة النزال!

يدور بالحديقة قدماء لا تعرفان مساراً..

ليس بحبيس فهو حر طليق بحديقة منزلهم، عقله الثائر لا يهدأ
وكأن الأيام تتعاضد لتأتيه دوماً بالمفاجآت، وخاصة من الجنس
الناعم بحياته..

فلمرة الثانية يخونه عقله مع حواء، الحق يقال تلك المرة ليست
مرة بل بحلاوة العسل الحار؛ لكن تظل ضربة قاصمة لعقله فخره
بالحياة؛ لذا عقله يزأر مطالباً بهدنة.. وقت مستقطع..

يركز، يحلل ويفند، التقارير الطبية التي اكتشفها ليث تشير
لمحاولة هتك عرض بالفعل، في البداية ظن أن جرأتها مظهرًا
وقولاً تنبئ عن أنثى ذات تجارب لا يستهان بها وعاملها على
هذا الأساس..

وحين أتاه ليث بالتقرير مشيراً أن هذا التقرير متلاعب به، حين
عرضه على خبير بتلك القضايا قال أن شيئاً ما غير صحيح بثنايا
التقرير، وقتها تغيرت نظرتة لأنثى عانت من الانتهاك الفعلي..
فمعنى أن يدفن الملف والمحضر؛ أن هناك بالأمور ما خفي..

نفوذ وسلطة واسترضاء كان ليظن أنهم قبضوا الثمن المناسب
لكن مع أخوة بدم حار كأخوتها ظنه سترًا للعرض لذا قرر الزواج

بها، كان يمكنه أن يختار أي أنثى للزواج لتنقذه من مصيدة ناريمان لكنه شعر بالاطمئنان لها، تقبلها حتى وإن كانت ليست عذراء..

عنفوانها في دفاعها عن نفسها ممتزجاً بضعف أنوثتها الفطري مدموغاً بمزاجها الناري جذبوا انتباهه..

لكن أن تكون عذراء..!!

ترأى بخياله خجل قبلاتها وتردد لمساتها، براءة أنفاسها، نبرتها المتعثرة تطالبه بتركها وحدها، كل ما أعطته كان انعكاساً لما قدمه لها، وهو كالأحمق أعطاها ليلتها الأولى على حافة حوض الاستحمام!!

توقف عن المشي عاقداً ذراعيه خلف رأسه ضاغطاً خلايا دماغه من الجانبين بعضديه وقفز الحل بأحرف سوداء كبيرة شبه ملبس صاحبها..

"ليث"

أسرع لجيب بنطاله يبحث عن هاتفه، عدة نقرات ليرد الصوت
الرخيم:

-إياد.. إزيك؟

أجابه بنزق:

-تمام.. عايزك في موضوع مهم.. ينفع تتكلم؟

جاوبه ليث:

-ثواني.

خطوات تقابلها زفرات حارة من إياد مخللاً خصلاته بأصابعه ثم
عاد الصوت الرخيم:

-خير في إيه؟

أجابه إياد بصوت هادئ النبرات لا تفشي عما بداخله، قدميه
تبعر خطواته بالمكان مفرغاً ما يشعر به:

-فاكر الملف اللي جبتھولي ساعة ما خدت قرار خطوبتي من
مراتي؟!!

شعر ليث بقليل من القلق، عقد حاجبيه وهو منصت دون جواب
فأردف إياد:

-عائز التفاصيل.. لأ.. تفاصيل التفاصيل، كل ما يتعلق باللي
اسمه خالد الملاح ده، ما يهمنيش إزاي الأهم يا ليث أن أنت
اللي تقوم بالحوار ده مش واحد من اللي معاك حتى ولو ثقة..
أنت وبس فاهمني!!

صمت من الطرفين ساد الموقف لثواني قبل أن يرد ليث:

-مش شايف أن طلبك ده متأخر شوية؟

لمع حزم صارم بعيون إياد مردفاً:

-لأ.. هو ده وقته.

زفر ليث مشفقاً على صديقه، فمن منا يرغب بمعرفة ماضي امرأته
بما حوى؟!:

-إياد.. أحياناً الأفضل أن الماضي يفضل مدفون.. كونه اندفن
فأكيد في سبب وجيه لده.

استغزه إياد:

رأيتك حالي

شغيب ورسح

-إيه مش قدها؟!-

انطلقت قهقهة عالية عبر الهاتف تشق الهدوء حول إياد:

-علشان العيش والملح اللي بينا حاعتبر نفسي ما سمعتش حاجة، واللي طلبته حيكون عندك بأقرب وقت.

أغلق ليث الهاتف معلناً اعتراضه الصامت على محاولة الاستفزاز الفاشلة منه فزفر بضيق وعادت أصابعه تعبت بخصلاته، عينيه تتأملان الشباك المنير لغرفة نومه بالأعلى والمطل على الحديقة..

وقرار اتخذته خلايا عقله عن اقتناع بمواجهة أشباح الماضي رافقته رغبة بالتعرف على أنثاه من البداية..

وتلك المرة دون أحكام مسبقة.

طرق متعالي صاحبه هروب مرتعش، إغلاق لباب الغرفة بحدة والاختباء وراء الملاءات، حتى الأنفاس يخبئها خشية الافتضاح..

رأيتك حالي

شغيط ورنج

الطرقات تزداد حدة وعنف وخشونة حتى استحال الخوف لرعب من انكسار الباب، استيقظت فزعة على صوت الطرق المتزايد لتفاجأ بيد غليظة توضع على فمها بقوة واستعدت لممارسة طقوس أنثوية تتقنها بالصراخ والعيويل والعض وربما قليلاً من الرفس لتبدل نبرة صاحب اليد وكيئونه طقوس فزعها الأنثوية لدهشة قلقة:

- شششششش.. بس مش عايز ولا صوت فاهمة؟

هزت رأسها بالإيجاب والسخط يملأ عينيها، أزالته يده عن فمها بحدة معتدلة تسأله:

- في ايه يا مرتضى؟.. قاعد كده ليه!.. ومين اللي على الباب؟

أعاد إسكاتها بتحذير:

- ششششش.. قولى اسكتي دلوقتِ ما تفضحيناش.

لحظات ضيقت عينيها تناظر زوجها الذي يحارب حتى لا يظهر ارتعاشه لكن عينيه تفضحانه فغمغمت بصوت هامس حائق:

- عملت إيه فهمني يا راجل؟.. مستخبي من مين زي الحریم؟

رائد عالم

شغيط ورنج

نظر لها بحرقه وصمت مطاطاً الرأس دون جواب فأمعنت في
السؤال:

-رد عليا.. ورطتنا في أنني مصيبة جديدة يا جلاب الهنا!!
يعلم أنها لن تصمت ويعلم الله لقد حاول طوال الشهور السابقة
أن يحل المشكله بنفسه؛ لكنه لا يهدأ، لا يتوانى، وما كان يصبره
به الشهور الماضيه أصبح لا يكفيه.. ليس له إلا عقلها لينقذه..
ستسمعه ما لا يطيق ولكنه مضطر، أن أراد الحفاظ علي رأسه
متصلة بجسده ومن بين أفكاره انتزعت الطرقات بعنف حاد من
جديد أفزعه فلكزته مهددة:

-لو ما اتكلمتش حاطع أفتح الباب وأفهم بنفسي.

رد ملسوعاً من سياط الخوف:

-لاا.. إوعي.

جزت على أسنانها:

-انطق.

حين ساد الصمت وانقطعت الطرقات ومع بصيص الارتياح
بدأت الكلمات العصية في الظهور:

- اتجنن.. ما بقيتش عارف أسيطر عليه زي الأول، محملني
المسئولية.. عايزني أجيبهاله!!

وساقته قدماه يلف ويدور بين جدران غرفته كقط مذعور
والكلمات تنهال عليها:

- أجيبهاله إزاي!!.. خلاص خلصت، بس هو مش قادر يفهم!
عقدت حاجبها تحاول استنباط شيء ما يعقل من بعثرة كلماته
فسألته بقلق يتنامى:

- أنت تقصد مين؟

ارتفع رنين هاتفه معلناً وصول رسالة فأسرع يفتحها وقلبه تخبط
بين ضلوعه

ناظرها بعيون زائغة:

- بيهددني.. حيموتني ويدمر مستقبل رامي.. ده إن سابه عايش
أصلاً!!

خبطت على صدرها بعنف شاهقة بلوعة:

- ابني رامي؟! .. كله إلا ابني.. بلاويك تفضل بعيدة عن ابني يا
مرضى أنت فاهم؟

نظر لها بقلّة حيلة وخوف لم تره بعين زوجها من قبل:

- مش يايدي.. ده شكله اتجنن.. عايزني أجيبهاله بعد ما
اتخطبت، عايزني أجوزهااله بما إني وليها وعمها.. مش عارف
أعمل ايه!!

وكلماته رسمت لها الصورة بوضوح:

- طب ما تعمل كده.

نظر لها باستهزاء:

- ما عادش ينفع.. ما بقوش صغيرين ولا سهلين زي زمان..
كبروا وشوكتهم قويت.

- وإيه اللي فكره بيها وبيننا دلوقتِ؟

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة مريرة على وجهه:

- وهو من إمتى كان نسيها؟!.. كنت قادر عليه طول ما هو كان
فاكر إنها لسه في إيده حرة.. لكن موضوع خطوبتها ده!!

وصمت قطع كلماته.. ماذا يخبرها!!.. أيخبرها أنه رأى الجنون
الصرف بعينه، بتصرفاته الهوجاء وبتوعداته؟!.. أنه لم يصدق
نفسه حين انصاع له حينما وعده أنه سيأتيه بها وخطتهم مازالت
حيز التنفيذ؛ فقط ليعتبر خطبتها مجرد عشرة صغيرة:

- مش عارف أعمل إيه!!.. كل حججي خلصت، ورجالته
مراقبيني، وبيتعرضولي كل شوية.. دبريني أعمل إيه؟

صمت تفكر.. يحتاجون لترضية، فسبب عمل رامي هو خالد،
والبيت الجديد والأراضي التي خصصت لهم بملايم خالد،
وكلها هدايا كتب الكتاب الأول.. برقت عيناها بشدة وهي
تهمس له بفحيح:

- أنا عندي الحل.

ارتفعت لها عيناها بترقب.. هذا ما كان يرجوه فهي دائماً عقله
المدبر..

أسرع لها يجاورها على الفراش يحثها على البوح:

-قولي.. إحنا في عرض حل.

-اسمعي كويس ونفذ اللي حاقولك عليه بالحرف الواحد..

وظل ينصت وينصت..

تسمعون عن النكات التي يقف فيها الشيطان مصفقاَ لدهاء بنات

حواء..!!

ولكن بتلك اللحظة انحنى لها الشيطان احتراماً أسوداً كغياهب

عقلها.

لا تعلم كم ظلت قابعة بالمغتس!!.. تفرك وجهها بيدها، كيف

سمحت لما حدث أن يحدث؟.. عقلها يردد بخفر:

"الله يسامحك يا حورية"

عضت شفتيها تتذكر كلماته ولمساته في البداية وأول قبة..

تلمست شفتيها وغزت الحمرة وجهها فعضت على شفتيها،

رأيتك عالم

شغيف وريح

سمعت من فتيات كثيرات عن ما يجب أن تكون عليه القبلة الأولى ولكن هي متأكدة أن أياً منهن لم تحظَ بما حظت به، كانت...

خجلت من الاعتراف حتى لنفسها فغاصت بحوض الاستحمام تغرق خجلها وتلك المشاعر الجديدة عليها علماً تهديء من حرارة وجهها وسخونة أفكارها..

خرجت بعد مدة ليست بالقليلة تتدثر بمنشفة كبيرة، تخطو فوق بقايا فستانها للغرفة، بحثت عيونها عن وجوده لتفاجأ بالغرفة فارغة، توجهت لغرفة الملابس وامتدت يدها لأحد فساتينها القطنية الطفولية التي تغيظه بها عند النوم..

توقفت يدها مفكرة؛ ما الفائدة!!.. هي زوجته اسماً وفعلاً.. فلم لا؟!.. هي امرأة في النهاية، وقدر ما تألمت استمتعت.. هي ليست بغرة فلها احتياجاتها كبقية البشر، فلم التراجع الآن؟!..!

التقطت أحد الغلالات الحريرية التي ركنتها بأخر غرفة الملابس ارتدتها، توجهت للفرش تتقلب به من جهة لأخرى..

رأيتك دائماً

تخفيف وزنه

لَمْ اخْتَفِي؟.. وَلَمْ ابْتَعِدْ؟.. هل خيبت آماله؟.. لم تكن على قدر توقعاته وخبراته؟.. هي لا تعلم.. شعرت به منصهرًا معها بالكامل فاقداً للسيطرة.. ولكن ما أدراها هي؟!.. ربما يكون كل الرجال هكذا وقت تأجج رغباتهم.. تنهدت، نظرت للساعة جوار الفراش لتصعقها حقيقة أن ثلاث ساعات مرت فصرخت بهلع:

- يا الهوي.. خالتو، ماما والبنات!؟!

قامت مسرعة تنظر للحديقة من نافذة جناحها، تخشى أن تراهن مازلن موجودات، زفرة راحة خرجت منها لخلو الحديقة وأتبع زفرة الراحة انعقاد حاجبيها بعدم فهم..!!

فإياد يجوب المكان بتوتر خطوات مريب.. لم؟.. ما به؟..

وقبل أن تغوص بأفكارها حوله مجدداً نفضت رأسها فصنبت خصلاتها من حولها.. لا لن تسمح له بجرف أفكارها بعيداً.. لقد أنساها خالتها وأمها وعائلتها بالفعل مرة..

يا الله كيف ستحدثهم!.. ماذا سيظنون بها؟

رفعت هاتفها تكلم خالتها معتذرة، ستعذر بصعوبة نزع الدقيق من شعرها وفساد فستانها وتلبس الأحمق الصغير عقوبة علقه ساخنة من أمه، وحين توقف رنين الهاتف دون جواب زفرت براحة وعاودت الاتصال وتلك المرة ببسمة تفادياً لمواجهة حورية فلا قبل لها بها الآن، ردت بسمة بمرح وأسرعت ميرا بالاعتذار تخشى التراجع وارتفعت ضحكات بسمة وهي تخبرها:

- معلى يا ميرو أنتِ عارفة مقالب خالتك، ما تقلقيش.. بمجرد ما إياد طلع وراكِ قالت لنا يلا نمشي.. ما حدش حينزل منهم دلوقت.. وواضح إن سر خالتك باتع.

جلجلت ضحكات بسمة وميرا تخبط وجهها بيدها واحمراراً عاصفاً نادراً ما مر بصفحة وجهها احتل ملامحها بالكامل،

الآن علمت سر تهامس العفريت الصغير مع جدته ثم مع إياد...!!
أنهت الحديث بخجل مع بسمة متوعدة الصغير بعقاب يخرج من أذنيه حينما تراه، وقعت على الفراش مستلقية ناشرة خصلاتها الشبه مبللة.. دقائق تجر الأخرى وسقطت نائمة..

رأيتك

شغيط ورنج

اقترب منها وابتسامة صغيرة تراقصت على وجهه، فالنارية تتمدد على السرير بعرضه.. اقترب منها، عدل من وضع جسدها، وبدلاً من إبعاد يده ونومه بجانب السرير المخصص له رفضت يداها الانصياع لأمره وجسده يحذو حذو يديه مقترباً.. يضم ظهرها لصدره محتضناً..

دقائق واستدارت تطوقه بقدميها وذراعيها كما تفعل كل ليلة، الاختلاف الوحيد تلك المرة؛ أنه لن يحرص على الاستيقاظ قبلها ليعبدها عنه لزوايتها من الفراش.. ستركها تكتشف، تتلعثم، وتتخبط بخجل..

وكم هي شهية حمرة الخجل من وجنتيها المتمردتين..

"أنتِ مش ملاحظة أنك بتهربي من السؤال للمرة الثالثة؟!"

سألها معتر بوضوح قاطعاً عليها محاولتها لتفادي إجابة، صمتت.. لم لا يتهاون معها اليوم!.. نظرته تخبرها ألا منفذاً إلا بإجابة واضحة:

- ده مش هروب، ده جهل بإجابة سؤالك.

رفع إليها حاجبيه وهو يميل متكاً على مكتبه:

- سؤالي مش محتاج غير.. آه أو لأ.. فين المعضلة؟

ابتسمت وهى تنظر له مجيبة بخفوت شارد:

- يا ريتها كانت بالسهولة دي.

صمت وأمام صمته المستفز لأعصابها استرسلت كلماتها ربما تملأ فراغ صمته:

- هو بيعمل كل حاجة صح قوي.. بيتصل بيا الصبح وقبل ما ينام.. بيحاول يدخلني فى تفاصيل حياته، بيحاول يجي يزورنا أو يخرج معايا، حتى الهدايا بيحاول يبسطني..

أنهت جملتها بتنهيده حائرة لم تفت معتر فسألها بهدوء:

- بيحاول؟!!

رفعت له عيون متسائلة فأعاد موضحاً:

رأيتك دائماً

شغيف ووردة

- وأنتِ بتوصفيه دايمًا بتقولي بيحاول، السؤال بقي أنتِ بتحاولي؟ ولا بتلعي دور المتفرجة؟

أمام شرود نظراتها المترددة هز رأسه.. فلم يحتاج تلك المرة لجواب، قلقها بمجلسها، فركها لأصابعها خير دليل.. فتمتم مغيراً الموضوع:

- ياراً.. ما بتفكريش تشتغلي؟

رفعت له عيونها المندهشة.. لطالما استطاع جذبها من أقصى اليمين لأقصى اليسار دون عناء وأجابت:

- لأ.. عمري ما كان طموحي أشغل.

- امم طب هواياتك؟.. كنتي بتحبي عملي ايه وأنتِ في اسكندرية قبل ما تيجي القاهرة؟

لمعة اجتاحت عينيها بذكرى هدية ذات غلاف فضي أنيق حين نجاحها بالثانوية العامة، حضنه الدافئ يهنئها بالنجاح ويبشرها بمستقبل آتٍ وليته لم يأت!!

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

تنحنح معترز منادياً إياها مطالبها بجواب وتلك المرة جاوبته بصوت دافئ وابتسامة متسعة بسعادة الذكرى:

-التصوير.. كنت بحب أصور قوي بكاميرا قديمة لجدي.. بس كنت باضايق من إني لازم أستني التحميص علشان أشوف الصور.. حتى الكاميرا اللي بابا جابهالي مرة هدية بتطلع صور فورية كانت ما بتعجبنيش صورها.. يوم نجاحي بالثانوية العامة هشام فاجئني بكاميرا جديدة ديجيتال سيمي بروفيشنال وفضلت معايا أصور بيها.. وآخر مرة صورنا بيها صور حنة ميرا..

وتتفتح أمام عينيها رغبة جديدة برؤية العالم من جديد من وراء العدسة..

ارتسمت على وجهه ابتسامة سعيدة، فالיום خطوة كبيرة تخطوها دون أن تعلم.. وهي غافلة، تحاول أن تتذكر أين وضعت الكاميرا الغالية!!.. تصاعد أزيز ساعة مكتبه معلناً انتهاء الجلسة فابتسمت تحييه مسرعة ترغب في الوصول للمنزل للبحث عنها حين خاطبها بهدوء:

- يارا.. النيجاتيف لو ما اتحمضش ومرم بالغرفة الضلمة عمر
الصور والذكرى الحلوة ما حتطلع للنور..

وأمام عيونها المحتارة أكمل:

- نصيحة مني كصديق وبعيد عن دوري كطبيبك المعالج..
حاولي تندمجي معاه، حاولي زي ما هو بيحاول، مش حتخسري
حاجة بالعكس؛ يمكن تطلع معاك الصورة اللي بتتمنيها.

صعقها ما بسطه أمامها بسهولة، نصيحتة الأخوية.. فالآخر يحاول
ويحاول دون كلل وتلك المرة هي من ستخذ المبادرة.. وكما
قال:

هي لن تخسر شيئاً.

منذ البارحة ومغادرتهم السريعة لبيت ميرا دون وداعها وهي لا
تكف عن الثرثرة عن كونها تشعر بشيء غير مريح تجاه باسل..

لا تطمئن له..

تلك المجنونة لا تكف عن القلق منذ عودتها لحياة يارا، وهي
تتمسك بها بكل قوتها وهي تقدر، لكن كيف تقنعها أن باسل
غير مؤذي بالمرّة!!.. حتى هي نفسها البارحة كانت تترقب لإياد
أي هفوة ودون أن يشعرطمأنها وبدد شكوكها أو ربما تعمد!!..
فمع من هو مثله لا يمكن أن تطمئن أن القرار قرارك.. وصوت
كسارينة الإسعاف وكالعادة من موضوع لآخر لا تتوقف:

- بافكر ألبس البلوزة الكناري.. ايه رأيك؟.. ولا بلاش، ألبس
الفيستان الليموني حيبقى حلو ولا فاقع؟!.. أنا فاكرة هشام مش
بيحب الألوان الفاقعة صح؟

- لا هي مش طالبة جنان.. اعقلي كده واهدي لسه ميعادنا
الساعة ثلاثة.

- ما تحاولي.. جربي بس، مش يمكن يرضى؟

زفرت وهي تعيد الجملة التي كررتها لها خمس مرات على مدار
دقائق مكالمتهما الثلاثون:

- يا حبيبتى قولتلك لأ.. مش حينفع.. اتش مش حيجي.. هو
مش بتاع رحلات وخروج، وبعدين هو أصلاً مشغول لدرجة إننا
تقريباً مش بنشوفه في البيت.

زفرت الأخرى بحنق:

- يمكن علشان صاحبه اللي كان معاه عند الدكتور؟

سألها مروة بحيرة:

- دكتور إيه؟

مطت ديما شفيتها وهي تدخل ملابسها المتناثرة لدولابها من
جديد.. فلا فائدة من مراعاة اختيار لن يراه من ترغب، لذا
ستكتفي بأي شيء، استرسلت بالحديث ويديها تعملان:

- من كام يوم شوفته هو وعصام وزيد عند دكتور أبو العزم
استشاري أمراض الكبد المشهور.. كنت باجيب فحوصات جدي
من عنده والحمد لله تحاليله طلعت كويسة.. واتحسن جدا.. ده
تيته الفرحة مش سايعاها.

وأسرعت مروة تعيد ديما من شرود حديثها:

رأيتك دائماً

تخفيف وراحة

- ديما.. ركزي، ركزي.. إتش وعصام وزيد هناك بيعملوا ايه؟

- اااه.. مش عارفة، سألتهم قالولي مستنين واحد صاحبهم.

هزت مروة رأسها وعقلها شارد، من منهم المريض..!!

ولم يخبثون!.. واصفرار وجه زيد الذي تعلق عليه امها كثيراً

وشهيته المتضائلة التي تقلق روكا.. وضعت يدها على فمها

وقلبها يرتعد، أيكون زيد؟..

زيد مريض..!!

استفاقت من غيوم أفكارها السوداء على صوت ديما:

- مروة.. مروة أنتِ رُوحتِ فين؟

- ما رُوحتش.. أنا حاقفل، لازم أجهز.. اجهزي، حنتقابل مع بالر

الساعة واحدة عند زينب خاتون.. أشوفك هناك.. سلام.

أغلقت الهاتف وطوحته بعيداً ويدها تبحث عن وشاحها، تحكمه

حول رأسها، خرجت مسرعة تبحث عن أحد من الثلاثة يجيبها

عما يقلقها وقابلتها أمها تعد فنجان قهوتها المعتاد في المطبخ

شاردة:

رأيتك دائماً

شغيف وورح

- ماما.. ماما.. ماما

جفلت حورية من أفكارها لتنسكب بضع قطرات من قهوتها على
سطح الموقد استدارت تناظر ابنتها بضيق مغممة:

- أستغفر الله.. عايزة إيه؟.. بتزعقي ليه؟

نظرت لها مروة بدهشة:

- بقى لي ساعة بانده عليك.. أنتِ سرحانة في ايه؟

ردت أمها باقتصاب:

- ولا حاجة؟.. كنتِ عايزة ايه؟

تعلم أمها؛ تغير الموضوع والحقيقة هي لا تبالي الآن.. فما
يشغلها أهم:

- بسألك.. هو زيد فين؟

أشاحت لها أمها مشيرة لخارج المطبخ:

- زيد وعصام فوق في الرووف.. عايزاهم ليه؟

دون أن تفكر عاجلها لسانها بالمنفذ لاغم انها سبقت واخبرت
زيد برغبتها في مصاحبته:

- لا كنت حاسألهم لو حابين يجوا معانا النهاردة وإحنا بنفسح
بالر!

هزت لها أمها رأسها دون اعتراض مستحسنة:

- فكرة كويسة.. روعي

عقدت مروة حاجبها بشدة فحورية ليست كعادتها!!.. منذ متى
تسمع أمها اسم بالر دون أن تتذمر وترفض وتعارض!.. توقفت
عند مدخل المطبخ وعادت تسألها:

- ماما أنتِ كويسة؟

نظرت لها حورية من أعماق أفكارها:

- كويسة.. حابقي كويسة، روعي وما تتأخروش فاهمة!!

غادرتها مروة وتركت حورية فنجان القهوة دون أن تتم عمله فما
يشغلها كثير..

نظرت تجاه طاولة أمها بالمطبخ وابتسمت، اجتاحتها دفة
ذكريات ثلاث بنات وأمهن ورؤية أبيها المحب يصنع تلك
الطاولة بيده.. فكل شق من شقوقها شاهد على الكثير..

أغمضت عينيها فهي أخيراً اطمأنت على وريثة الطاولة المتمردة،
منذ اتصلت بها بسمة تطمئنها وهي تدعو لها بالاستقرار وسعادة
الأيام.. وحن دور البقية!!

لا يهدأ عقلها عن العودة لتلك الفكرة مرة تلو الأخرى، ستذهب
لها.. يجب أن تعلم وتهدأ من قلقها القديم.. واتجهت كلاهما
الأم وابنتها لتهدئة مخاوف لا تعلمان أنها على حافة الانفجار.

يتهد بقنوط فحينما يستحکم الغباء بصديقه وابن خالته يصبح
متفرداً بإظلام عقله.. ردد للمرة العاشرة:

- يا بني إفهم.. ما ينفعش تخلي مروة وديما يروحوا معاه
لوحدهم.

زفر بحنق مكملًا:

رأيتك حالم

شغيب وريح

- أنا كنت ناوي أروح معاهم، بس حاسس إني مش قادر تعبان.

خبط عصام كفيه ببعضهما:

- سيبك منهم.. خلىنا فيك أنت، أنا مش حاسيبك وأنت تعبان

لوحدك، انسى قاعد على قلبك..

- بقولك إفهم.. روح معاهم، ما ينفعش.. مهما كانوا يعرفوه

غريب

زفر عصام بحنق:

- أنا مش فاهم أنت قلقان من ايه؟.. واحدة مجنونة والثانية

الشاويش عطية.. متخيل حيحصل إيه يا عم؟.. ده كأنه خارج

مع اتنين أصحابه.. أنت متخيل إنه يبص لبنت خالتك!!.. ديما

ممکن لكن مروة انسى.. دي ناقص لها شنب وتبقى راجل بجد.

وخطواتها المتسارعة توقفت وشهقة عالية جعلت الاثنان يلتفتا

للخلف باندهاش ونظرة الألم ترتسم بوجع على حدقتها، وهتف

زيد يحاول تحسين الكلام ولم تشعر إلا وهي تتناول أقرب

إصيص لورود يارا وترميه تجاه عصام الذي تفاده بأعجوبة
مردداً:

- يا مجنونة!!

فنظرت له بغضب هاتفة:

- على الأقل أرحم من الأشكال اللي بتعرفها.

وزيد يحاول وهي ببساطة لا تسمعه، لا يصلها صوته، فقط صورته
وفمه يتمم ببعض كلمات لا تفقها.. فما يثور بداخلها أوقف
حواسها عن العمل إلا الألم..

اندفعت مغادرة كما جاءت، لم تفقه تعنيف زيد لعصام، عقلها
يهتف بها:

"أهكذا يراك؟.. الشاويش عطية!.. مسترجلة!.. ينقصك الشارب
وربما لحية لتنفين من بنات حواء وتلحقين بأبناء آدم؟!"

لم تشعر بنفسها إلا وهي أمام المرأة بغرفة يارا.. تنظر لنفسها،
تلمس وجهها، ليس بجموح ملامح ميرا ولا ببراءة ونعومة يارا..
هي عادية الملامح بعيون عسلية بشزرات خضراء تكاد لا ترى،

رأيتك عالم

شغيط ورنج

تنزع وشاحها وتفك عقال خصلاتها القصيرة.. ولأول مرة تندم
أنها كانت تقصها بانتظام معاندة أمها..

لولا وعيد حورية لها بالغضب التام آخر مرة لما استطالوا حتى
تعدوا كتفها.. تنهدت، يبدو أنه معه حق.. فربما هي أنثى ناقصة
لن يلتفت لها أحد وبالأحرى لن يلتفت لها هو، دوماً يسخر وهي
تتألم بجرحه، قاطعها تنبيه ناعم باسمها فالتفت مجيبة تمسح
دموعها بحدة:

- حمد لله على السلامة يا يارا.. هشام جه معاكِ؟

هزت يارا كتفها بضيق:

- لا مشي.. بيقول مشغول

نظرت لها مروة تحاول مسح آثار انهيها الباكي لتجدها شاردة
تتساءل بحيرة:

- مش عارفة ماله!!.. على طول مشغول، مش فاضي.. ما بقتش
باقعد معاه خالص.. ولا بنتكلم من ساعة الخطوبة.

رفعت عيونها لمروة:

-تفتكري لسه زعلان مني علشان وافقت على باسل؟

تنهدت وهى تتجه تجاه نافذة الغرفة تطالع الشمس التي تشق طريقها للسماء وردت:

- ما أظنش.. أكيد مشغول.

راقبتها يارا تقف بخصلاتها القصيرة وعيونها تداعب شمس الظهيرة وداعبها هاجس بالاحتفاظ بتلك اللحظة بقنصها من مجري الزمن.. أسرعت تبحث بداخل دولابها عن مرادها والأخرى شاردة، حتى وجدتها مهملة بقاع الدولاب..

أسرعت تفتحها تتأكد من شحنها وترفعها لعينها تقتنص بضع لقطات للشاردة بصمت مهيب والشمس تراقص عينها بحنو، صوت الكاميرا جذبها من شرودها فغممت عابسة:

-بتعملي ايه؟.. أنتِ رجعتِ للعادة دي تاني!

ابتسمت يارا بشقاوة وهي تهز رأسها بإيجاب.. ترمي لها بتعليمات ترشدها على كيفية التموضع لها وهي تتأفف:

-وهو على حظي أنا افكرتها!!

واستسلمت لها وهي ترى ابتسامتها تتسع حتى قاطعهم رنين
هاتفها فأسرعت له تظنه هشام يطمئن عليها لتجده باسل..
أعادت الهاتف لمكانه متجاهلة إياه وملتفتة للصور التي التقطتها
لمرودة رغماً عنها.. فغافلتها مرودة:

- مين اللي بيكلمك؟

فهزت كتفها:

- باسل

- ما ردتيش ليه؟

لم ترد عليها بل التزمت الصمت، فمطت مرودة شفيتها ثم هتفت
بها:

- إيه رأيك؟.. ما تجيبه وتيجي معانا.. احنا رايعين شارع المعز
وزينب خاتون.

رفعت لها يارا عيون مندهشة من اقتراحها، وقبل أن تهتف بها
زاجرة رافضة تذكرت كلمات معتر.. دقائق حثها فيها مرودة:

- جربي.. أنتِ حتخسري إيه؟.. اخرجوا سوا واحنا معاكم..

وبالفعل حادثه وبكلمات مقتضبة عرضت عليه الرحلة القصيرة وموعدها، انتظرت أن يرفض.. بل ابتهل داخلها أن يرفض وعقلها يؤكد بأنه سيرفض ولشدة دهشتها وافق.. أخبرها بحروف بسيطة كطباعه:

- أنا حَاجِل كام ميعاد كانوا ورايا وأجي أخذكم كمان ساعة.
وَأد كل اعتراضاتها التي لم تتجاوز شفيتها ونظرت لمروة مغممة بخفوت:

- وافق.. وجاي كمان ساعة

أسرعت مروة إليها تحثها:

- طب يلا بقى.. اجهزي وأنا كمان أجهز لاحسن بالر أكره
حاجة عنده التأخير.. يلا.

لم تكذ تغادره زوجته فهي اتفقت مع صديقتها خالة زوجة ابنه على موعد للتسوق، وهو يتلهف لمعرفة سبب تأخر ابنه في

الذهاب للعمل اليوم وسبب اختفاؤه غير اللائق وتركه
لضيوفه...!!

ظل يتذكر محادثته الودية مع حامد الملاح السياسي ورجل
الأعمال السكندري الشهير حين تذرع بطلب خدمة سياسية لأحد
معارفه بالأسكندرية وسأله سؤال قصد أن يكون مصادفة عن
عائلة الإدريسي..

الغضب والحنق بصوت الرجل جعلاه يجفل، الكراهية والاحتقار
الليدان تقاطرا من كلماته وقعا بقلبه وعقله فسودت منظار رؤيته
لهم، أسرع بيده ينوي البحث عن الملف الخاص بتاريخ ميرا
الأسود.. بحث وبحث داخل خزائنه ولم يجده، استمر بالبحث..
قلب مكتبه رأساً على عقب وبالنهاية أيقن أنه سرق..

سرق في عقر بيته...!!

فالملف اختفى ولا وجود له..

أسرع ينادي على خادمة منزله وحين أتته سألتها بعصبية:

-الهانم الصغيرة نزلت ولا لسه فوق؟

جاوبته وهي تبتلع ريقها من منظر المكتب المبعثر وكأنما صادفه
إعصار:

- أيوه نزلت حضرتك ورا إياد بيه على طول.

صرفها بعصية وعقله يزأر بعنفوان.. سرق منه، هو يسرق
وبمنزله..!!

رفع هاتف مكتبه يتصل بذراعه الأيمن وعينه بداخل مؤسسته
يمليه أوامر:

- عايزك من اللحظة دي كل نفس تتنفسه ميرا منصور يكون
عندي.. فاهمني؟

- ليه يا عبد العزيز؟.. عايزني أراقب مرات ابنك؟.. أنت بتتكلم
بجد!

- اعمل زي ما بقولك من غير نقاش.. وعرفني كل اللي يخصها.
أذعن صديقه وتولى المهمة، فلو لم يتولاها هو لتولاها غيره..
وتظل معزة إياد كابن له حافظاً يجعله يرغب في معرفة ما ينوي

رأيتك عالم

شخصيات ورواية

عليه عبد العزيز معها والآخر يتوعدها ويرسم لها العقاب
المناسب للسرقه..

طرقت حورية باب غرفة أختها التي اعتصمت بها لا تكاد
تغادرها إلا لماماً مدعية الإرهاق من الفرحين المتتاليين، عدة
طرقات وسمعت صوت أمال يدعو الطارق للدخول..

تفاجأت بحورية تدلف لها مغلقة الباب خلفها بحزم، فعاجلتها:

- خيرا حورية؟.. عايزة ايه تاني؟

نظرت لها حورية بحزم وهي تجلس على مقعد خالي بغرفة
أختها.. استعانت بنفس عميق تهدئ دواخلها قبل أن ترد عليها
ببرود وهدوء تتقنه:

- عايزة أسألك على حاجة وأتمنى تردي عليا بصراحة.

نظرت لها أمال بعيون لائمه:

- هو لسه في حاجة تاني فاضلة؟.. ما خلاص كله راح والبركة

فيك

أغمضت حورية عينيها بصبر وابتلعت كلماتها بحنكة من ربت:
-الكذب مالوش رجلين يا أمال.. وأنتِ عارفة كويس إنها
غلطتك..

وقبل أن تقاطعها أمال بثورة تتراقص في عينيها أردفت حورية
بحنق:

-كفاية قوي كدبك عليا في وشي كل ما أسألك مافيش حد من
الولاد عينه من الثاني!!.. تقولي لي لأ.. لا دول أخوات.. مرة
ورا الثانية أسألك وكل مرة تسكتيني مرة أصلهم أخوات، مرة
بلاش تفتحي كلام مش عايزين حساسيات بينهم..

وضحكت ساخرة مكملة:

-ولا لما قولتلك ميرا وزيد تقوليلي مش شايفين بعض غير
أخوات وبس.. أنا تضحكي عليا وتستغفليني؟..

ناظرت حورية أختها بحنق وضيق فأكثر ما تكرهه هو الخداع
وما أثار حنقها أكثر الرد المكابر لأمال بقوة عين لا تعلم من أين
أت بها:!!

- أنتِ السبب.. الدنيا كانت كويسة وكل حاجة تمام، وبسبب فضولك وتدخلك في اللي مالتيش فيه بوظتِ كل اللي عملته.. قاطعتها حورية:

- أنا مش جاية علشان أناهد معاكِ في مين الغلطان؟.. أنا جاية أفهم.. فعلا السبب الوحيد لكذبتك محسن والحجة الخايبة بتاعة مرضه دي ولا حاجة تانية؟

حدجتها أمال بنظرات ملتعبة غاضبة لا تفهم ما ترنو إليه بسؤالها:

- مش فاهمة أنتِ بتحفري على ايه دلوقتِ؟ حيكون ايه يعني السبب غير ده!.. وأنا ما افتريتش عليه..

ضيق حورية عينيها وهي تبسم بسخرية لأختها هاتفة بها بنبرة حازمة:

- يعني مش علشان محسن اختار أحلام ورفضك؟

انتفضت أمال من جلستها واختفى الغضب وحل محله رعشة تجيبها:

- ايه اللي أنتِ بتقوليه ده يا حورية؟.. أنتِ اتجنتِ؟

ردت عليها حورية بقسوة:

-جن لما يلخبطك.. فوقي يا أمال واعرفي بتكلمي مين؟.. أنا
أختك الكبيرة اللي مربياك.. أنتِ فاكراني مش عارفة!!

ردت عليها أمال بتلعثم ذاهل:

-لأ أنا مش حاقعد وأسمع الكلام ده..

وتحركت مبتعدة تجاه الباب.. هبت حورية من مكانها تمسك
أمال الهاربة من أمامها من مرفقها بحدة تشدها إليها:

-اقفي هنا وكلميني عدل.. أنا فاكرة يا أمال.. فاكرة لما محسن
جه يخطب أختك وأنتِ افكرتِ إنه جايلك أنتِ.. فاكرة
صدمتك وعياطك لما اكتشفتِ إنه طالب أحلام وبالاسم...

مع إن الشكل واحد وما يفرقكوش إلا الطول!.. فاكرة موافقتك
السريعة على منصور بعد ما كنتِ رافضة الجواز منه.

بهتت أمال وشحب وجهها:

-إيه اللي أنتِ بتقوليه ده؟.. ده ماضي واندفن من زمان يا
حورية.. مالوش لازمة الكلام ده دلوقت..

زجرتها حورية:

- لأ ليه.. لازم أعرف العيب في تربيتي ليك ولا في فيك؟..
غيرتك من أختك طول السنين اللي فاتت وكرهك لمحسن لأنه
فضل عليك أحلام هو اللي مسبب الحزن والفرقة اللي إحنا فيهم
دول..

نزعت أمال مرفقها من يد حورية بعنف هاتفة بغضب:

- كفاية بقى كفاية.. لا غلظت ولا أجمت.. ولو عاد بيا الزمن
حامل اللي عملته تاني.. ولاد محسن مش حياخدوا حد من
ولادي.. والفرقة دي مسيرها تتحسن والأمر ترجع لمجاريها لما
يارا تتجوز..

شهقت حورية وتراجعت من لمعة عيون أختها.. أهي غيرة سوداء
ما تراه بأعين أختها:

- أنا ظني كان صح.. أنت لسه بتحقدي على محسن الله يرحمه
ليه؟.. ما شوفتيش اللي داقته أختك معاه؟.. ما شوفتيش اللي
جراله وجرى لأختك من ورا أخواته وأهله؟.. ما حسيتيش بمر

اليتم اللي داقوه ولاده وهو على وش الدنيا وحرمانه هو منهم؟..
 ده أنتِ خدتِ زينةِ رجالة العيلة؛ منصور ابن عمك اللي شالك
 في عينيه.

ردتِ أمال بغضبِ أعمى:

-آه اتجوزتِ جوازة جبر خواطر.. ما اللي رفضها العريس نلحقها
 ونجوزها لابن عمها مش كده؟

اتسعت عيون حورية وأسرعت تتهالك على أقرب مقعد:

-إيه المرارة اللي جواكِ دي؟.. ده أختك لو حسبتِ أيامها
 الحلوة ما تتعدش على الصوابِ وأنتِ كان معاكِ اللي شالك على
 راسه!!

اهتاجتِ أمال ترد بعنف:

-بس ما حبنيش وما حبتوش.. اتجوزني لأنه ابن عمي واتجوزته
 لأنه كان اختياري الوحيد..

-غبية يا أمال غبية.. وغيرتكِ عمتكِ زمان ولسه عمياكِ.. فاكرة
 إن الأمور حتصلح!!.. طب إيه رأيكِ أختكِ خدتِ شقة في

الشيخ زايد وحتنقل فيها خلاص؟.. أنا كنت معارضاها بس
 دلوقتِ حاساعدها بكل طاقتي تبعد عنك.. وابنك الكبير ما
 بيقدش في البيت دقيقتين على بعض.. كارهه، والصغير ما
 بنشوفوش، وريني حتبقي تبعديه إزاي عن ابن محسن اللي مش
 عاجبك؟!.. خلي غيرتك وتفكيرك المجنون يؤنسك لما تلاقي
 نفسك لوحدك.

تركها وخرجت متجهة لشرفة المنزل الواسعة ترغب بالهواء،
 كانت تظن أنه خيالها الخصب أو ربما نوايا سيئة تخالجها من
 طرف أختها؛ لكن تلك النظرة وهي تخبر أحلام عن مرض
 محسن!.. تلك اللمة لم تستطع أبداً استساغتها..

مرت بها الفتيات دون أن يلاحظنها ورأتهن تقتربن من باسل،
 يترجل الوحيد ليفتح لهم أبواب السيارة بترحاب وبشريتألق على
 وجهه.. وسارعت عيناها للأخرى لتجد شرود وابتعاد بمقدار
 أميال.. أغمضت عينيها بحزن وشردت في تفاصيل وذكريات من
 الماضي..

لم تفق إلا على تربيته من هشام:

- مالك يا حورية؟.. ايه اللي مقعدك هنا لوحدك؟.. أومال
الباقي فين؟

نظرت له بألم.. أكثر من تشعر أنها قصرت بحقه هو، ابتسمت
بوجهه:

- أهم مقمصين.. خالتك طيارة مع صاحبها الجديدة مدام منيرة
أم إياد.. وأمك في أوضتها..

نظر لها هشام بقلق:

- هي صحتها كويسة؟

فجاوبته ساخرة:

- ما تقلقش على أمال.. اللي تاعبها مش في جسمها وعلاجه
مش بدواء..

ظنها تتحدث عن فراق التوأم وانكشاف المستور وتركته على
ظنه.. فالحقيقة أكثر سواداً، تشفق عليه من حملها، سألها عن
الفتيات وأخبرته بتمهل وهي تراقب ملامحه وحينما جاءت على

ذكر باسل لم تفوتها تلك الاختلاجة وارتجافة الفك ورمشة العين
الهاربة وتوجع قلبها حين أردف بخفوت:

-إزاي يارا ما قالتليش؟

أسرعت يده لهاتفه ينوي الاتصال بها، الاطمئنان.. وربما
العتاب، فوجئ بخالته تمسك يده وتديره إليها تسأله:

-فاكر يا هشام أما كنت بسألك كل ما تجيلي تزورني عن يارا
كنت بتقولي ايه؟

عقد حاجبيه مندهشاً وأكملت هي بابتسامة حانية:

-كنت بتقولي نفسي أشوفها سعيدة في بيتها مع حد بيحبها
ومرتاحة البال..

ابتلع ريقه حين ذكرته بسؤالها الذي لم تنساه يوماً كلما زارها منذ
حادثة خالد المشؤومة، ربتت على كتفه هامسة:

-سيبها تجرب.. سيبها ترسى على بر، تعرف هي عايزة إيه!

ارتسم الهم على ملامحه:

- خايف عليها.

- باسل طيب وابن حلال.. وحداني ومحتاج عيلة وحضن.

واختنقت كلمات خالته بأذنيه فتمتم بألم:

- هي محتاجة كتف وسند، محتاجة حب.

نظرت له حورية بتدقيق وطال الصمت لدقائق طويلة ثم باغته

بسؤال:

- هشام.. لو باسل ساب يارا؛ وأديك عرفت أنها مش أختك

ممکن تفكر تتجوزها؟

وحتى بأجمع خيالاتها لم تظن أبدا أن تلك ستكون إجابته!!

الفصل السابع عشر

أكثر الأسئلة عمقاً

تلك ذات الجواب الواحد..

إما بنعم.. أو لا

وخاصة حين تتبعها متراصة؛ المبررات..

وتُساق الحجج تبغي الإنصاف

تتكشف لك خبايا النفوس دون حجاب

وبعدها تتوالى الصدمات!!

نقرات تتصاعد بغیظ وقلة صبر على لوحة مفاتيح حاسبها الشخصي؛ ربما هي تثقل عليه بالملفات أو لا تعطيه فرصة كافية للتعاطي مع أوامرها لكن وبحالتها تلك من يمكنه التصدي لمزاجها المتفجر؟!..!

لا تعلم أنادمة هي على ما فعلت؟!..

لا هي لم تندم يوماً على قرار اتخذته أو تصرف أقدمت عليه، سواء أكان خطأً أم صواباً هي ببساطة لا تندم..

ربما هي ساخطة على هروبها الصباحي وهي لا يوجد في قاموس حياتها هروب.. هذا هو!!

لكن كيف يمكنها أن تتعامل مع من تركها وحيدة بعد أشد اللحظات حميمة ليتمشى بالحديقة؟!..

جزت على نواجذها.. لا.. وتتفاجأ بعدها بنفسها تستيقظ متوسدة صدره وذراعها تتشبث بجذعه العاري وقدميها تصنعان نوعاً من أنواع الكلابات على ساقيه.. لم تظن يوماً أنها عادت لتلك العادة عند النوم.. ظنت نفسها تخلصت منها منذ بداية

زواجها.. حمرة الخجل من النائم بسلام بين قيد أطرافها تعاركت
مع حمرة غضب من نفسها..

كيف تقترب هي بينما ابتعد هو؟.. وهو كيف يأتي لينام جوارها
بسلام وكأنما لم يكن بينهما شيء يذكر!!

وبين الخجل والغضب آثرت الهروب، تمقته لكن لا بديل لها
الآن.. تحتاج لإعادة ترتيب أفكارها، أسرعت للحمام وأغلقت
على نفسها.. ستتأخر أو ربما لن تذهب للعمل لا يهم لكنها لن
تواجهه قبل أن تعلم كيف ستواجهه دون ضعف..

وظلت بالحمام لساعة وكلما مرت الدقائق أكثر انحسر الخجل
وزاد الغضب.. هو يضطرها للحبس الاختياري بالحمام.. ما إن
سمعت صوته يطرق باب حمامها يسألها بلا خجل لم التأخر!..
هل تعاني من مشكلة؟..

الأحمق لو يعلم أن مشكلتها الآن تتمثل بشخصه!؟

وكانه يهتم!.. قامت زافرة من أمام حاسوبها البطيء تتذكر ردها
الغاضب:

رأيتك دائما

شغيفتي وورثتي

-إيه في الحمام.. حد بيخبط على حد في الحمام؟

والبارد المستفز تركها وانصرف فعلياً دون كلمة أخرى.. وحين سألت الخادمة أخبرتها أنه توجه للعمل، وها هي.. عنادها أحضرها للعمل الذي لا تفقه كيف ستنهيه اليوم!!.. هي تشعر برغبة في الصراخ عالياً، تكبح دموعاً سخيفة لا تعلم لها مبرراً.. والأكثر إثارة للضيقة؛ اتصالها الأخير..

فالهوانم سيخرجن سوياً دونها وكأنها بزواجها خرجت من حساباتهن.. لم تشفع لهن لديها دعوتهن لها على الهاتف وصوت أزيز منغم من حاسبها يعلن عن استسلامه في مواجهة مزاجها جعلها تزفر بحنق:

-لا كده خلاص جابت جاز.

أغلقت حاسبها بعنف تسبه بوقاحة، فصلت عنه البطارية وأعادتها مكانها مرة أخرى، ثم قامت تجذب معطف بذلتها تسوي من تنورتها العملية والقرار أتخذ:

"سترحل"

أخذتها خطواتها لمكتب زوجها، ستخبره برحيلها وجهاً لوجه
 كما اتفقا من البداية ولتجراً بالرفض، وحين وصلت لمكتبه لم
 تجد سوي تلك الباربي الاصطناعية ساندي تناظرها بحاجب
 مرفوع.. لم يعجبها ما استشعرته فبادرتها دون سلام:

- فين مدام منى؟

مطت ساندي شفيتها وهي تعود بظهرها تسترخي في جلستها
 وردت بصوت مغناج أثار ريبتها:

- في أجازة.

فاقتربت ميرا من مكتب ساندي تنظر لها بتحذير تستحقه، فهي
 إن قررت الهبوب في وجهها فمن العدل أن تحذرها:

- بلغني إياد إني عايزاه ضروري.

فمطت ساندي شفيتها تصطنع قليلاً من البراءة وهي ترد عليها
 بنبرة ساخرة وعيناها تلمعان بخبث:

- ياريت كنت أقدر.. إياد قالي ممنوع حد خالص يقاطعه في
 اجتماعه مع ناريمان.. حتى لو كان مين!

ورفعت لها كفيها مع حركة كتفيها المستفزة بأن ليس بيدها
حيلة..

"ناريمان"

الاسم اخترق عقل ميرا كسهم صارخ.. فتلك الناريمان منذ
عودتهما من شهر العسل وهي مقرر يومي بحياتهما.. إما على
مائدة الطعام أو بالعمل وحتى باجتماعات العمل.. وهي ليست
بغبية؛ تلاحظ تقاربها المتزايد من أحملها يوماً بعد يوم مثيرة
بداخلها العديد من علامات الاستفهام دون إجابة وجملة ساندي
الأخيرة أفلتت عقال غضبها المكبوح:

- ما أنصحكيش تستني.. لو حاجة مهمة تقدرني تروحي مكتبك
وأنا حابقي أبلغه.. أصل دايماً الوقت يسرقه وهو معاها..

وهبت العاصفة خبطة بكفيها على مكتب باربي وهي ترسل لها
نظرات نارية مخيفة جعلت حدقتي الأخرى تتخبطان خوفاً
وبلهجة تقطر حزماً:

- أولاً تتعدلي وأنتي بتكلمي مرات رئيسك.. ولو مش عارفة
تتحترمي نفسك أنا ما عنديش مانع أعلمك!

ثانياً يا حلوة.. عيب قوي لما ترمي بتلميحات شمال عن رئيسك
وشريكته.. ما أظنش لا إياد ولا ناريمان حيعدوهالك لو عرفوا..

ضيقت عينيها واقتربت من الشقراء المرتعبة مردفة بحزم أكبر
وحدقتها تهب بهما عواصف رمادية:

- ثالثاً بقي.. أسمعك تاني بتشيلي التكليف اللي بينك وبين إياد
- ومطت حروف اسم زوجها بوعيد- مش حتقعدني فيها دقيقة
واحدة.. فاهمة ولا أقول تاني!؟

ومع نظرة الهلع من عيون ساندي المتسعة استقامت تنفض يدها
بهدهوء وهي تخبرها ببرود وهي تخطو خارج المكتب:

- ما فيش داعي تبلغيه بمروري.. أنا حاكلمه.

وحين أغلق باب المصعد عليها زفرت بقليل من الارتياح..
فقليل من مزاجها الناري خرج ويتبقي القليل الذي تعلم جيداً
أين ستخرجه بالظبط!

أمسكت هاتفها ترسل له رسالة نصية تخبره بكلمات بسيطة:
 "أنا خارجة وحادثاً آخر.. مش حينفع نروح سوا.. وعلى فكرة
 جيتلك المكتب وأنت مش فاضي"
 خرجت من المصعد وعلامة تفيد باستقبال الرسالة تومض على
 هاتفها وخطواتها تقطع البهو باتجاه سيارتها.

يستند على مكتبه بمرفقيه يدلك بها جبينه.. فمنذ ساعة وناريمان
 تهذر أمامه بلا توقف.. أسئلة سخيفة واستفسارات لا تنتهي..
 لكنه لا ينكر أنها تشويش مرحب به..

فبسبب سذاجة ما يخرج من فمها ذو اللون الأحمر الملفت
 يستطيع بسهولة أن يوجه لها ١% من تركيزه في حين يسخر باقي
 ال٩٩% من الغاضبة!

فحين لسعته نسمات الهواء الباردة بدلاً من الدفء اللذيذ كما
 تعود كل ليلة.. استيقظت حواسه مع إدراك أن مسببة الدفء
 استيقظت وغادرت.. حالما تقبلت عيناه ضوء النهار سمع صوتها

رأيتك دائماً

تخفيف وراحة

بالحمام.. انتظر عشر دقائق، عشرون.. حتى وصلت لثلاثون دقيقة ولم تخرج بعد..

قرر أن يتجهز حالما تخرج فقد تأخر عن موعد استيقاظه المعتاد كثيراً، بعد أن انتهى فاجأه أنها لم تخرج بعد.. لذا حين طرق باب الحمام برفق يسألها إن كانت بخير.. هل تعاني من مشكلة!!.. وردها الغاضب الحامي جعله يتمنى لو كانت بين يديه ليحيبها كما يجب؛ تركها ورحل لعمله..

ما يشغله حقاً هل تشعر بالندم أم تخشى المواجهة!!..

فحارسها أخبره أنها أتت للعمل بعده بدقائق.. أم ربما الخجل العذري؟!.. فهو يتذكرها بين يديه راغبة مستمتعة.. أزيز خافت من هاتفه لفت انتباهه فتح رسائله ولسانه يجيب بآلية صرفة على الشقراء المثرثرة أمامه:

- بعد كده التقرير المالي المراجع بيرفق بملف الصفقة ويتعرض على باسل و....

توقف لسانه عن ترديد ما يحفظه عن عمله عن ظهر قلب، انعقد
حاجبيه مختطفاً مفاتيحه أمام عيون ناريمان المندهشة من تبدل
أحواله من السكون الخامل لنشاط ناري يدمدم دون أن يهتم
برفع عيونه لها:

- ناريمان نكمل بعدين.. أو ممكن تروحي لباسل وهو حيكمل
معاك

اعترضت طريقه مسرعة تناشده بعيون لامعة:

- مش حينفع باسل يا إياد.. ما بارتاحش في التعامل معاه.

أزاح يدها عن مرفقه بهدوء وهو يرفع هاتفه مشيراً لها بالصمت:

- إستانني تحت.. ما تتحركش بالهانم لحد ما أجيلك.

أغلق هاتفه وبنظرات باردة ونبرة لا مبالية:

- ناريمان أنتِ هنا علشان تتعلمي مني ومن باسل ومن أي حد
يفيدك.. لو الموضوع موضوع راحة كان زمانك مش موجودة
هنا..

تركها مبهوتة متجمدة من رده البارد وغادر..

رأيتك

شغيب ورائحة

كلما حاولت الاقتراب وشعرت بنفوذها عليه؛ تسرب دون أن
تقدر على منعه.. ببروده القاتل اللامبالي.. لكنها لن تهدأ حتى
تنال انتقامها منه كاملاً..

ألا يقولون أن الانتقام طبقٌ يفضل أن يقدم بارداً!!

-باشمهندس إياد.. إياد

توقف زافراً ينظر لساندي التي رددت بعيون مغرورة بالدموع:

-لو سمحت.. في موضوع مهم عايزة أتكلم معاك فيه؟

التفت يغادرها دون اكتراث فساندي والدموع فيلم هابط لم يؤثر
به يوماً.. ربما أحدهم أخذ كوب قهوتها وهو لا طاقة له اليوم
بميوعتها فرد عليها بحزم:

-مش وقته.. لو حاجة مهمة تخص الشغل روعي للباشمهندس
باسل.

-بس أنا...

قاطعها وهو يدخل المصعد واضعاً نظارته الشمسية:

رائد عالم

شغيب ورنج

- أنا اللي مش فاضي.. وأجلي أي مواعيد لبكرة..
واختفى أمام ناظري الشقراواتان.. فأمامه مهمة الإمساك
بخصلات سوداء هاربة..

"بتهزرا!!.. أنت مالکش في الكورة؟.. غريبة!"
- ليه غريبة؟.. عادي كنت بلعبها لما بتقابل مع أصحابنا لكن
أتابع وماتشتات والحوارات دي.. لا مش غاوي.
رفعت حاجبيها بدهشة:

- نادر أما تلاقي شاب مصري أصيل مش متابع وبيشجع فريق من
فرق القمة!

تعالت ضحكاته بتفكه وهو يثير غيظها أكثر:
- طب إيه رأيك أن إياد مالوش في الكورة نهائي.. بالعكس
غاوي سوفت بول وبيسبول.

انطلقت ضحكات مروة المستمعة بالحديث هاتفة بمرح:

- أنا أصدق.. مش متجوز ميرا؛ لازم يكون غريب في كل حاجة.
ارتفعت ضحكاتهم أمام عيون بالر المتسائلة عن كينونة الشخص
والتقطت حيرته ديما فوضحت بابتسامة:

- إياك زوج ميرا.

نظرة إدراك بابتسامة:

- آه.. زوج المتمردة.

وصاحب كلماته انعقاد حاجبي باسل.. فالأريحية التي ذكر بها
زوجة صديقه لم يستسيغها، تلقائيا عيونه اتجهت للغافلة التي
تلتقط الصور للمناطق الأثرية القديمة متجاهلة إياه تماما ..

ألم يكفها أنها لم تتعد الخمس كلمات أثناء الرحلة بالسيارة حتى
وصلوا ومروءة هي الأخرى كانت صامته بشكل غريب.. كاد يعتذر
ويغادر فهو لم يعد يطيق الصمت لولا غيمة الضوضاء المدعوة
بديما.. أحاديث ومواضيع لا تنضب ولسان لا يفتر ..

انقضت ساعتين من وقت رحلتهم عبر الشوارع القديمة
للمحروسة وهي ملأتها بالحديث وحينما تتوقف عن الكلام تشرد

رأيتك دائما

شغيفتي وارتحت

عيناه في اللاهية المتباعدة من جديد لا تتوقف عن التقاط الصور..

ديما وبالر ومروة انشغلوا بمناقرة أحد التجار يرغبون بالحصول على صفقة جيدة لبضعة تذكارات أبدى بالر إعجابه بها كهدايا للأهل بتركيا.. وهو انطلق خلفها.. تنحنح فأجفلت تنظر إليه.. أهداها إحدى ابتساماته التي لا تخطئ يتمنى أنه مازال يتقنها:

- ما كنتش أعرف إنك بتحبي الجو القديم ده كده!

نظرت له بعيون متسعة مندهشة فأشار موضحاً:

- أصلك من ساعة ما وصلنا وأنتِ في عالم ثاني خالص مع الكاميرا بتاعتك.. أنا كده حاغير.

رددت ببراءة:

- تغير من كاميرا؟

فغمزها مبتسماً بنعومة:

- من أي حاجة تشغلك عني.

احمرار غزا خديها وتلعثمت.. عيناها تبحثان عن طيف صحبتهم
 رغبة في إنقاذ من انفراد وحين جاءت عيونها على مروة التي
 تجبرها ديما وبالر على ارتداء يشمك قديم بعملات ذهبية متناثرة
 اتسعت ابتسامتها بقوة ورفعت كاميرتها وأسرعت نحوهم ونست
 المائل أمامها كلياً.. مما جعل عيناها تتسعان ..

فلم يسبق أن أهملته أنثى من قبل، وهذا الشعور مقيت ومستفز
 للغاية..

أسرعت تلتقط لمروة الصور بها.. توجهها لتقابل حدقتها أشعة
 شمس العصاري صور متعددة وحين تأففت:

- كفاية بقي صور عينا وجعتني يا مفترية.

هتفت يارا من وراء العدسة برجاء:

- صورة كمان علشان خاطري يا ميرو ..

واستسلمت مروة.. حين انتهت هتفت يارا بفخر:

- تعالي بقي شوفي كده .

والتف بالر وديما ومروة مطلقين صيحات استحسان لرؤية صور
مروة وطالبت ديما بمثلتها:

- وأنا كمان صوريني زي مروة.

طالبها بالر:

- هل يمكنني أن أطلب منك نسخة من الصور للذكرى؟

وبفرحة عارمة هزت رأسها بموافقة وللمرة الثانية هذا البالر لا
يستسيغه.. لم تبسم له بتلك التلقائية!؟

وخاصة وهو يراه يقترب من مروة يطلب محادثتها على انفراد
والفتيات يتهامن.. حتى ديما الثرثرة اختصت يارا باهتمامها
وتركهو لوحده لم يعد يطيقها.

سؤال خالته لم يكن بالحسبان، فاجأه خاصة مع كل ما يمر به
تلك الايام..

- هشام.. لو باسل ساب يارا وأديك عرفت إنها مش أختك؛
ممکن تفكر تتجوزها؟

رأيتك عالم

شغيف وورح

سؤال بالنسبة إليه غريب ولا محل له من الإعراب!!.. فهي منذ أيام معدودة كانت أخته، من تربي على حمايتها.. من شاركته أيامه وذكريات سنواته الثلاثون، تنفس بعمق وهو يرى إصرارًا عجيبًا في عيني خالته جعله يجيبها:

- سؤال غريب يا حورية مالوش لازمة.

رفعت خالته حاجبيها:

- أول مرة أشوفك بتهرب يا هشام!

عقد هشام حاجبيه واعتدل بجلسته وهو يناظرها بعجب من سؤالها وكلماتها.. رد بحنق:

- أهرب من إيه؟.. بس الموضوع مش فى دماغي ..

ومع نظرة استنكار ساخرة من عينيها الصامته أكمل:

- صعب.. صعب قوي أني اتجوزها.. لو تغاضينا عن أننا طول عمرنا أخوات ومتربين سوا.. أنا أنا...

حشته حورية بتلهف استطاعت مداراته بحنكة:

- أنت ايه يا بني؟

شرد هشام والكلمات انهالت دون حساب:

- وقت أزمته أنا اللي شفتها وهي خارجة من عربيته كان شكلها إزاي، أنا الوحيد اللي عرفت كل اللي حصل بينها وبينه وأنا اللي شيلتها بإيديا دول من بين إيديه.

رفع كفيه أمامه كأنه يستجديهما الذكرى، الألم، الغضب.. قبض كفيه بقوة حين لمست أنا مل خالته كتفه، عاد من شروده على صوتها السائل:

- هشام كانت مراته شرعا يا حبيبي.. ما تجيش عليها وتحاسبها مش من حقك.

ابتعد بعينه عنها وهو يكمل:

- لا يا حورية مش بس ده.. بس ضعفها قدامه ورضوخها ليه قاتل يا حورية.

عاد بنظراته إليها:

-عرفتِ ليه بخاف عليها قوي أكثر من الباقين؟.. عرفتِ ليه حلمي ألاقى اللي يحبها مش مجرد شخص مناسب!

لأنه صعب.. إذا كان أنا اللي متربي معاها وأخوها... أو زي أخوها أقرب الناس ليها وأكثر واحد عارف إنها اتظلمت وجوايا مرارة زي العلقم.. فما بالك بالغريب!

فقدت حورية قدرتها على الكلام، وكأنه لم يعد للحروف من وجود، لم تتخيل بأجمع خيالاتها أن يكون هذا ما يعمل بدواخله.. تلك هي نظرتة لابنة خالته!

صوت سيارة خرق الصمت وأحاديث ضاحكة جذبتها من عصف أفكارها المصدومة.. وقبل أن تسدد عينيها تجاه الصوت شد انتباهها اشتداد عضلات ابن أختها تحت يدها.. تلك الزفرة الحانقة ولمحة الألم المارة بعينه ونظراته الشاردة في المشهد أمامه!

يارا تقف مع باسل تتبادل معه الحديث ببساطة غريبة عليها ومروءة التي تنتظر بعيداً حتى ينتهوا

عادت عيناها للمتجمد بجانبها وقلبها يئن من الألم.. أنين يتمنى
الصراخ.. فقلبها ينبئها أن القادم أصعب وأشد المأ..

صخب الفتيات اقتحم الصمت المخيم على المنزل، وهتاف
مروءة:

- يا أهل المنزل.. أين أنتم؟

نادتها حورية بعد أن أجلت صوتها المكتوم:

- إحنا هنا.. تعالي يا مروءة.

أسرعت إليها الفتاتان.. وبعد إلقاء التحية داعبت مروءة هشام:

- ايه القعدة الرومانتيكية دي؟.. مش كنتوا قلتوا كنا خلينا باسل

طلع هو ويارا هما كمان؟

وحروف بسيطة قدر عفويتها تجرح كحد السيف

ابتسم هشام بمجاملة وهو ينهض بسرعة مستأذناً:

رأيتك
رأيتك

شغيف وورقة

- معلى يا جماعة أنا داخل أرتاح شوية.. كملوا أنتوا بقى السهرة الرومانسية.

ألقى جملة وخرج وأسرعت خلفه يارا تستوقفه منادية بـرجاء:
- هشام.. استنى من فضلك.

توقف هشام بمكانه على الفور ويارا تلحق به.. ظل معطياً إياها ظهره فاستدارت من حوله تواجهه:

- هشام أنت زعلان مني؟.. في حاجة عملتها ضايقتك?
نظر لها بترقب يقابلها سؤالها بسؤال:

- ليه يا يارا بتقولي كده؟.. في حاجة حصلت أنا ما أعرفهاش?
رفعت عيون تلمع بها العبرات المحتبسة مجيبة بخفوت:

- لا ما فيش.. بس أنت متغير معايا.. بقيت بعيد عني يا هشام..
مش باعرف أتكلم معاك زي الأول!

صمتت تبتلع ريقها، تفرك كفيها ببعضهما مكلمة وهى تنظر لداخل عينيه:

رأيتك عالم

شغيط ورنج

- هشام أنت متضايق من موضوع خطوبتي لباسل؟ .. لو متضايق عرفني..

نصف ابتسامة لم تكتمل ارتسمت على وجهه:

- ولو كان يعني ايه اللي حيتغير!

تلاقت العينان لثوان قبل أن تردف بحزم:

- لو خطوبتي حتبقى سبب إنك تبعد عني؛ حافسها.. مش عايزاها.

ابتسامة حانية احتلت عيناه، صغيرته ورفيقتة برقتها وضعفها.. فلم يستطع سوى أن يريح مخاوفها:

- مافيش حاجة حتبعدي عنك.. وتكلمي مع باسل أو لأ ده اختيارك.. واختيارك أنت لوحدك يا يارا..

اتسعت ابتسامتها وهي تراه يمد يده ليعثر خصلاتها بمداعبة اشتاقتها.. لتذبل الابتسامة وهو يقبض على أصابعه على بعض ملليمترات من رأسها ويبتعد متمماً بشيء ما لم تفهم كنهه ..

يا
يا
يا

شغيط ورنج

فقط تلك الدموع المُرّة التي تتذوقها على طرفي شفيتها تنبئ عن
مدى جرحها من ابتعاده عنها ..

دموع سترافقها الليلة حتى بأحلامها.

لم يصدق حين لحق بها بمرآب السيارات الخاص بمؤسسته أن
يقضي بقية يومه متسخاً بالطين.. وليس مجازياً بل حرفياً ..

هي تبدو شهية وهي مندمجة.. لا يعلم ماذا تفعل بالضبط!!..
فتكوين ما تفعله سريالي بحت ..

وانطلاقها بحرية يرسم ابتسامة على وجهه.. تذكر صمتها المريب
الذي صاحبهما حين أصر هو على مصاحبته في مشوارها
الضروري كما زعمت.. نظرة الغضب المتوقعة التي رمقت بها
سائقها.. يبدو أن المسكين سيطاله منها غضب ناري بالأيام
المقبلة.. فليتذكر أن يعوضه بمكافأة مجزية تعزية لما ستذيقه إياه
ناريته..

يحاول كتم ضحكته حين وصلوا لذلك المعتزل الخاص
بصديقتها الفنانة التشكيلية.. مكان على مشارف العاصمة يفتح
أبوابه لعاشقي الفنون بأنواعها، سواء متعلم أو ممارس.. وناريتة
ممارسة من الدرجة الأولى.. خجلها واتساع عينيها حين
استقبلتها صديقتها بترحاب مذكرة إياها:

- كده يا ميرو الغيبة دي كلها؟.. حد يسيب لوحته من غير ما
يكملها كده!

ونادت بصوت عالي:

- سيد.. هات لوحة ميرو وعلى المرسم بتاعي بسرعة.

وعادت بانتباهها لزوجته مكملة:

- وبعدين مش حرام ما تكمليلش حكاية المراهق اللي كان
بيجري وراك!.. عملت فيه ايه؟

وحين التفتت له لتحييه وجهها احمر وتلجلج صوتها.. حين رأى
اللوحة فهم؛ فلامحه تحتل الصورة بتشوه مقصود وحينما رفع
عيونه إليها لم يجد خجلاً أو حتى اعتذاراً فقط نظرة متحدية:

- اممم وجهة نظر غريبة اللي أنتِ شايفاني بيها مش كده!

رفعت أحد حاجبيها مجيبة بتحدي:

- ما تستناش اعتذار علشان مش حيحصل.. صدقني كل تشوه في

الصورة أنتِ استحقته وعن جدارة.

فقد رفعتها لحاجبها وقابلها تحديها بتحدٍ سافر أكثر:

- آه مقدر طبعاً.. بس يا ترى لسه أستحقه حتى بعد إمبراح؟..

وتضارب حمرة الخجل احتل صفحة وجهها معلناً فوزه وإجابة

واضحة لسؤال يؤرقه منذ الصباح ..

إذا فالنارية خجلى من البارحة وليست نادمة!

قضى معها اليوم.. بدأ بعث بالألوان وانتهى به يحاول تطويع

الطين متبعاً التعليمات بدقة.. وهي تتعمد التمرد حتى على

التعليمات حين رفع عينيه مستهجنًا مما تفعله.. وحين نبهته

صديقتها لخطأ ما يفعله هتف باستنكار:

- على الأقل أرحم من اللي هي بتعمله .

مشيراً برأسه لميرا بعث فمالت عليه صديقتها بصوت متآمر ضاحك:

- ما تحاولش.. أنا بطلت أعدل لها لأنها بتصمم تعمل اللي في دماغها مهما عدلتها.. ميرا hopeless case في اتباع التعليمات والتقيد بالإرشادات.

والضحكة المتعالية منهما سوياً لفت انتباه ميرا ولمحة نارية مرت بعينها قبل أن تنكب على ما تفعل ثانية دون تعقيب..

وبالنهاية انتهى صانعاً طبق فخاري منتظم الشكل متقن الصنع أثار انبهار صديقتها الفنانة في حين انتهت هي بطبق فخاري غريب التكوين والهيئة..

حين استقلا السيارة عائدين للمنزل بادرها:

- ما كنتش أعرف إن جواكِ طاقات فنية بكل الشغف ده!!

ابتسمت وهي تواجهه:

- ده أكثر مكان بحب أروحه لما باحتاج أفرغ اللي جوايا.

كان الجو بينهما حميمًا دافئًا.. حديثًا متواصلًا عن أغنياتها
المفضلة وحتى أكلاتهما، الألوان.. واستمر الحديث بسلاسة لم
تحدث بينهما منذ أول يوم التقيا به.. حتى وصلا للفيلا وبتلك
الليلة أوفى إياد بوعده بمنحها ليلة تستحقها عن جدارة.

رغم شرعية الوصول للمبتغى

فأحيانا تغدو الوسيلة سما ملوثا للغاية..

يراقب، ينتظر، يتربص ..

لا يهمه المسمى فقط يهمه الوصول لهدفه، أو بمعنى أدق وصول
هدفه.. وأخيرًا وصل وريث العمر، يراقب دخول سيارته لمدخل
الفيلا، فمكالمته الأخيرة مع عينه بالشركة أخبرته أن ابنه ترك
العمل وتغيب حتى نهاية اليوم ..

ليس بغريب على إياد لكن أن تختفي أيضًا بنفس التوقيت تلك
التي أحضرها من اللامعلوم لتصبح زوجته؛ فالخيارات بين يديه

راقب

تخفيته وريثه

محدودة.. ولا يرغب بإظهار عداته لها علنيًا وإلا عناد إياد المعتاد سيجعله في صفها وتجعل خسارته لوحيده مؤكدة ..

لم يعد بإمكانه استغلال ورقة كرهه لأشرف فتلك قد حرقها مبكرًا للأسف، التفكير يعصف بمخه العجوز ذو الخبرة المالية الطاغية والجائزة تستحق البذل من أجلها أيا كانت الطرق ..

تسمرت عيناه حين رأى ابنه يترجل من سيارته ويقف أمام مقدمتها يمد يده بحميمية لم يرها بابنه مسبقًا.. يرنو لزوجته التي ترجلت بدورها من المقعد المجاور له تقترب من يده وتلك النظرة التي تشاطرها الاثنان جعلته يقرر، ويسارع للتنفيذ..

لم يصدق حظه اليوم!!.. يظن أنه يقترب منها.. يعلم بما تعانيه نفسيا فزيد كان صريحاَ معه صراحة مؤلمة لكن حين يكوى الوجع بالألم تكن النجاة.

وهو يظن أنه يقترب ..

لقد فاز منها اليوم بابتسامتين ونظرة عين صريحة دون هروب،
والنظرة حياة بلون سماوي يحمل بطياته راحة أسرة ..

لقد أمضى باقي اليوم يبحث عن مبتغاه، ابتسم وهو يتأمل لفافة
بلون يقارب لون عيناها، لم يصدق كثرة الاختيارات المطروحة
وحسب قول البائع فهو يحمل بين يديه حلم كل هاوي للتصوير!

رنين باب منزله المتباعد جعل حاجبيه ينعقدان بقلق فالرنين
ليس شبيه بالرنين المتعجل لفتى التوصيل ولا بالرنين المستفز
لصديقه الذي لم يعد يزوره منذ زواجه ..

من يكون؟

تأكد من وضع الهدية على فراشه بحرص وعناية وترك معها
ابتسامته، حين فتح الباب زاد اندهاشه والواقف أمامه يبتسم:

- مساء الخير يا بني.. آسف لو الوقت مش مناسب بس أنا..

قاطعها بأسل وهو يتحرك مفسحاً من مدخل الباب:

- حضرتك عم يارا الأستاذ مرتضى.. أهلا وسهلاً.. اتفضل.

تنهيدة ارتياح خرجت من مرتضى، يتلاعب بمسبحته الطويلة:

- الحمد لله إنك افكرتني يا بني.

- لا إزاي!.. طبعاً افضل.

دخل مرتضى وعينه تلتقط ملامح الحياة المريحة التي يعيشها
خطيب يارا، باسل يتقدمه بترحيب يجلسه بصالون معد لاستقبال
الضيوف مردداً بترحاب:

- افضل يا عمي.. معلى آسف لو المكان مش مرتب، شقة
عازب بقى.. تحب تشرب ايه؟

فابتسم له مرتضى ابتسامة متفهمة:

- لا يا بني ما تتعش نفسك.. أنا كنت جايلك في موضوع كده
وماشي على طول.

جلس باسل بترقب:

- خير يا عمي!؟

تنهد مرتضى بحرقه مبتلعا ريقه:

- مش عارف أقولك ايه بس ولا أبدأ إزاي؟

عقد باسل حاجبيه وقلقه يتنامي فملامح عم خطيبته متغضنة
وعيونه مسبلة بألم فحته:

- ما فيش فرق بينا دلوقتِ.. فاتفضل أنا سامعك.

ابتلع مرتضى ريقه:

- والله يا بني مش عارف أقولك إيه!.. بس ضميري تاعبني،
مش قادر أسكت على الغش ده.. الساكت عن الحق شيطان
أخرس.. أعوذ بالله من الشيطان وعمله يا بني.

هز باسل رأسه بعدم فهم وقلقه يستوحش:

- هو حضرتك تقصد إيه بالظبط؟.. أنا مش فاهم!

تنهيدة عميقة أخرى من مرتضى ثم رفع له عينيه بضيق:

- أنت تعرف إيه عن جوازة يارا الأولانية؟

استقام باسل في جلسته والقلق تحول لخوف مترقب يتصاعد
بداخله!!.. هناك شيء ما خطأ ولا يعلم ما هو!.. لذا أجاب
بهدوء:

- أنا عارف كل حاجة عن جوازتها الأولى.

هز مرتضى رأسه بحسرة مردفاً:

- ما أظنش.. بص يا بني أنا اللي حاقولهولك ده مش عارف

إزاي حيطلع مني وإني حأكشف ستر بنت أخويا !!

حاول باسل مقاطعته لكن مرتضى أوقفه بحزم بإشارة من يده

مكماً:

- أرجوك سيبي أكمل وأريح ضميري.. لازم تعرف ويبقي

اختيارك عن بينة.

نفس عميق وبدأ سيل أسود كدهماء نفسه العفنة ينهمر وباسل

متسع العينين يستمع من عم خطيبته ما نسف كل ما بخياله عن

خطيبته المصون ويدوق لأول مرة علقم الخيانة:

- أنا عارف هما قالولك إيه!!.. إن خالد حاول يعتدي عليها..

لكن للأسف ده مش حقيقي.. البنت كانت مسلمة لجوزها، هما

طبعاً صحيح كانوا كاتبين الكتاب بس برضه في عرفنا ما نقبلش

بالكلام ده.. ولما أهلها دخلوا عليها في مرة البنت خافت

رأيتك

شخيط وورحة

واتهمته زور إنه حاول يغتصبها.. وادعت المرض وجات لي
وقعت في عرضي أستر عليها وو....

عينه تخجل من ملاقة عينا الواجم أمامه مكملًا:

-والله يسامحها بقي أقنعتني أنا ومراتي نقف معاها ونعملها
العملية علشان ترجع زي ما كانت علشان ولاد خالتها وأخوها ما
يموتوهاش.. خصوصا أنهم كانوا دخلوا مع خالد في مشاكل..
واللي عرفت منه إنه غلط صحيح بس مظلوم ما أخدهاش غضب
وفي وسط كلامه فهمت إن اللي بينهم من قبل حتى كتب
الكتاب.. ومن ساعتها وأنا مقاطعهم.. باتعامل معاهم من بعيد
لبعيد لأنني عارف الخبايا كلها.

صمت أسود خيم عليهما ومرتضى يدعو من قلبه أن يكون قد
أتقن دوره كما يجب، يجب أن يصدقه وإلا من ينتظر منه النجاح
بالأسفل لن يرحمه.. حاول أن يستحبه بمكر:

-سامحني يا بني.. بس أنا ما عرفتش حوار الخطوبة إلا قبلها
بيوم.. لولا كده كنت جيت وعرفتك علشان تبقي على نور.

صمت طال قاسي حتى نطق باسل بصوت متحشرج أجش:

- حد يعرف اللي أنت بتقوله ده؟ .. عندك دليل؟

صفق مرتضى كفيه ببعضهما:

- ودي أجيبك دليل عليها إزاي؟ .. اللي يعرف اللي بقولهولك

ده ما يعدوش خمسة.. أنا ومراتي ويارا وخالد جوزها الأولاني

والدكتورة اللي عملتها العملية.

تنهد بعمق وهو يقوم من مجلسه متثاقلاً:

- يا بني أنا عملت اللي عليا وضميري ارتاح والقرار ليك .

وتوجه لباب المنزل قبل أن يستدير له يسأله بخفوت:

- أنا مش حالومك لو سيبتها.. عارف إن صعب على أى راجل

يقبل إن يكون لمراته ماضي زي بنت أخويا؛ بس الحمد لله أنت

لسه على البر.

صمت يلفه منذ خرج المدعو عمها.. ظلمة موحشة وصقيع ينهش
أعماقه ..

قادته قدماه للغرفة والحقيبة الأنيقة التي بها أحدث كاميرا
للتصوير، هديته لها فقط.. ليمسك الحقيبة يمزقها، يفتك بالآلة
بعنف وشراسة محولا إياها لشظايا، تتسارع أنفاسه لاهثاً ينفث
غضباً ..

خدعوه !!

لا بل خدعته هي.. ببراءتها الزائفة، بخجلها الخادع، فهي لم
تكن أكثر من خاطئة بإرادتها دون إجبار، صرخة عالية خرجت
تشق الصمت من حوله مرددة كلمة واحدة:

-لييييييه؟!!

ابتسامة علت وجهه وتألق طال مقلتيه حين دلف مرتضى إلى
جانبه بسيارته الرياضية الفارهة، مد يده إليه لينزع مرتضى تلك
السماعة الشفافة من أذنه ويضعها بكف يده وهو يبتسم بلزوجة:

- ايه رأيك يا خالد بيه؟.. أظن اطمئنت دلوقتِ إني معاك ومش ناوي أغدربيك!

نظر له خالد بطرف عينه:

- ولا تقدر تغدربيا.. ما تديش نفسك حجم أكبر من حجمك يا مرتضى

- يا خالد بيه ليه بس كده؟.. ده أنت جبنتي على غفلة من البلد ما قولتش لأ.. وخلصتني ألبس السماعة عشان تسمع وتتأكد بنفسك وقلت حاضر.. ده أنا الراجل بتاعك.

- تبقى الراجل بتاعي لما مراتي ترجع لعصمتي.. وتبقى في إيديا.. ساعتها حتنقل أنت ومراتك وابنك نقلة ما تحلموش بيها.. أما لو ما حصلش....

قاطعته مرتضى فزعاً من لمعة الجنون بعينه:

- ما فيش أما.. إن شاء الله مراتك ترجعلك وكله يبقى تمام.. بس مش فاهم ليه أصريت إني أنفذ الليلة دي بالذات!!.. ده إحنا تقريبا بقينا وش الفجر.

صمت خالد ولم يعقب.. فقط اشتدت قبضته على مقود سيارته
وعيناه تتذكران اقتراب المدعو باسل منها.. بوادر تواصل لمحها
بينهما.. تقارب لن يسمح لها به أبداً ..

فهى له ..

له وحده هو فقط..

الفصل الثامن عشر

حين تبقى الأسئلة معلقة فوق الرؤوس

صامته، تحوم، تستجديك الجواب

تقض مضجعتك، تخنق أيامك

يصبح السؤال الحقيقي: هل تجرؤ على السؤال؟

هل تواتيك شجاعة المعرفة؟

فأحيانا تكون المعرفة عبأً وألماً لا يحتمل..

جمراً يتقلب فوق الروح والهوى

وقتها يصبح الجهل نعمة يتمناها العالمون..

أحياناً يصبح العذر بقباحة الذنب..

ولأنه رجلاً لم يعتد الخسارة بأي من الأحوال فقرار الهجوم لم يتخذ منه برهة لإعادة التفكير، ما كان يقيده هو الكيفية، الطريقة التي تضمن له الفوز الساحق!.. فهو رغم ضآلة الخصم؛ لكنه لا يستهان به أبداً.. ولكن حين شعر بتسرب فتاه الوحيد من بين يديه ضربه الغضب وهي من ستلقى كل زفراته..

استيقظ إياد على أصوات عالية والقابضة بأحضانها تتململ، ارتسمت على وجهه ابتسامة كسولة وهو يراقب مهمتها الساخطة وهي تحاول العودة للنوم رغم الضجيج، تحركها الناعم بين أحضانها، انغماسها وتعلقها بعنقه؛ جعل عقله ينغلق ويرمى بفضول معرفة سر ما يحدث بالأسفل لخلفية عقله.. واضعاً إياه على الوضع الصامت.

دقائق يتلاعب بخصلاتها الحرة على ظهرها العاري، بتوسدها لصدره وهو مغمض العينين مستمتعاً حتى تعالي الصوت بوضوح فارضاً نفسه بحروفه على سكينه لحظاته.. وبضعة

كلمات وصلته واضحة جعلت حاجبيه ينعدان وهو يهب من مرقده محاولاً عدم إيقاظها ليري ما يحدث..

انسل من الفراش بجانبها، دثرها جيداً ورغم تبرمها لابتعاده عادت للنوم بثوان، لم يستطع كبح ابتسامة من اعتلاء شفثيه؛ فيبدو أنه أرهقها أكثر من اللازم البارحة.. أنهى ارتداء ملابسه على عجل وهو يغمغم لنفسه:

"خطأها. فالبارحة كانت شهية حد الجنون"

حين أغلق باب جناحه بالفيلا اتضح الصوت وزاد انعقاد حاجبيه بغضب وطار مزاجه السعيد

- أنا عايز أعرف ازاي!!.. ازاي أتسرق فى بيتي؟

- يا عبد العزيز بيه والله ما أعرف ولا شوفته.. حضرتك أنا بقالي خمس سنين معاكم ما فيش قشاية ضاعت!

- أنا حاطبلبلكم البوليس.. هو اللي حيعرف يتعامل مع عينتك كويس، وورقي حيرجع.

- والله يا بيه ما ليش دخل خالص..

وأمام صلابة نظراته الجامدة وازدراء شفثيه لها تلفت إحدى الفتيات بقهر تبحث عن مغيث، متوجهة برجاء للسيدة منيرة:

- يا هانم قوليلله.. احنا بنات ناس وعمرنا ما مدينا إيدينا أبدا.

نظرات منيرة الذاهلة لم تعلم بما تجيبها والفتيات بنظرات فزعة مكسورة أمامها، لم يكن بيدها سوى أن تقترب، تربت على كتفها، وهي تناظر زوجها بدهشة تملك لسانها وشلت عقلها فلم تتمم إلا بكلمة:

- عبد العزيز.. من فضلك

وعاد من جديد لصراخه عن الأصل وأولاد العائلة ذوي الجذور العريقة، عن الأمانة والقناعة المتأصلة بأولاد الناس وليس من لا أصل له، منذ متى كان عبد العزيز بتلك القسوة ويتملكه الاستعلاء؟!.. صوت آخر انضم لفوضى الصراخ:

- في ايه؟

لكن تلك المرة الصوت صارم قوي.. ومع اقتراب ابنها الوحيد تجمدت الرؤية بعقلها، ربما لجأ عقلها للحركة البطيئة فحين كان

رأيتك عالم

شخيط وريح

الاثنان واقفان زوجها بالأسفل وابنها يترجل على درجات السلم
بثبات هادئ، كانت عيناها تتصارعان بعنفوان.. الند لنده،
ابتلعت ريقها حين اقترب إياد من أبيه وهو يسأل بحزم:

- ف ايه؟.. خير يا عبد العزيز بيه؟

نبرة الإقصاء في صوت ابنها تثير جنون أبيه وهو ليس بحاجة
لزيادة نيران غضبه اللامنطقية الآن.. وجهت نظرة رجاء لابنها
وبنبرات خفيضة:

- مافيش حاجة يا إياد..

التفت برأسها لزوجها:

- أرجوك يا عبد العزيز كفاية فضايح.. ميرا نايمة فوق، لو سمعت
اللي بتقوله حتقول علينا إيه بس!

واسمها أعاد لشياطين غضبه الزخم فعاد يصيح بصوته العالي
الجهوري:

- عبد العزيز بيه يا باشمهندس بيتسرق وهو في بيته.. بعد العمر
ده كله بقيت مش مطمئن في بيتي.. طبعا ما هو كل من هب

ودب بقى له رجل في بيتي.. ناس لا ليها أصل ولا فصل،
 علقات بتمص دمي علشان تكبر على اسمي.. أوباش..!

ضيق إياد حاجيه وارتكز على حاجز السلالم الداخلي واضعاً
 يديه في جيبه بتراخي سائلاً إياه بهدوء ماكر:

- اشمعنا دلوقتي؟

عقد عبد العزيز حاجيه بغضب مستفسراً:

- هو ايه اللي اشمعنا؟

أشار إياد برأسه تجاه الخادما:

- الناس اللي حتطلب لها البوليس معانا بقالهم سنين.. في منهم
 اللي ماما ربتهم على إيديها وأنت نفسك كنت بتراعي مستقبلهم
 وتعليمهم، ايه بقى اللي خلاهم أوباش ما يليقوش بمستوي عبد
 العزيز بيه!؟

اقترب عبد العزيز منه رافعاً سبابته في وجه ابنه مجيباً إياه بغضب
 وصوت جهوري:

رأيتك
 راح

شغيط ورنج

- أساعد آه.. أراعي ما عنديش مانع.. لكن حد منهم يقرب من
حاجة تخصني، ملكي.. ده اللي استحالة أقبل بيه أو أسامح فيه..
فاهم!!

نظرة طالت بين الأب وابنه، نظرة تحدي تطاير منها الشرر الناري
من الجذر، والبارد القارص من الفرع.. والرد كان ضربة قاصمة
للجذر:

- فاهم.. أكثر مما يمكنك أن تتخيل فاهم..

ونظر للخادماات الباقيات مردفاً:

- بس ياريت نفهم الموجودين بقى ايه اللي اتسرق منك ومن
بيتك من جوه مكتبك يا ترى؟

ضيق عبد العزيز حاجبيه، لم تعجبه تلك الثقة الفائحة من كلام
ابنه، والأفكار تتضارب برأسه هل يعلم؟.. هل وقع بيده؟

- ملف.. ملف مهم جداً من مكنتي.

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة على وجه إياد رافعاً حاجبيه
بمكر:

رأيتك دائماً

تخفيف ورنج

- بسيطة.. خمس دقائق وحيكون عندك نسخة ثانية منه، شوفت
بقي فايده نظام الأرشيف اللي اتخانقنا على أهميته، عرفني
التفاصيل الرئيسية وحاخلى مدام منى تبتلك منه نسخة.

قاطعته عبد العزيز بغضب يتعاظم ولا يهدأ:

- مين قالك إن منى تقدر تجيبهولي؟!.. اتسرفت في بيتي ومن
مكتبي وتقولي نسخة!.. صحيح ما هو اللي ما عندوش وعي
كفاية لدرجة إنه يدخل الأشكال الضالة بيته ويأويها حيقدر معنى
إنه يتسرق في بيته إزاي؟!!

انتصب إياك بوقفته وبدأ الغضب يتملك منه وأنامله تنقبض داخل
سرواله، يحاول جاهداً التمسك ببروده الشهير:

- أنا مش حاقل أي إهانة لأي حد يخصني..

واقترب من أبيه واضعاً عينه بعينه وبلهجة تقطر صرامة:

- مش حاقلها بأي شكل من الأشكال.. لا صريحة ولا مبطنه!!

وانتصب ليكمل:

- أظن كلامي واضح للجميع، وأظن كفاية عليكم الشو الصباحي ده.. تقدرُوا تروحوا لشغلِكُم.

صيحة معترضة غاضبة من أبيه تعالت:

- لا.. أنا مصر على البوليس والتحقيق والتفتيش للجميع.. لحد ما اللي ضايح مني يظهر!

اقترب منه إياد ببرود:

- براحتك as you like ..

والتفت ليستدير عائداً لأعلى قبل أن يعود بوجهه لأبيه بنظرة أخيرة وكلمة هي الحد الفاصل:

- الملف لو كان يخصك أو بتاعك كان فضل مكانه، أعتقد أنك لو فكرت كويس حتكتشف إن الملف راح لصاحبه اللي يخصه..

والضربة القاصمة أذهلت عبد العزيز، فالمغزى وصله واضحاً والرسالة قوية، أفاقت منيرة من ذهولها لتصرف الفتيات بعيداً..

وأسرعت إليه تحتضن ذراعه.. لا تعلم ولا تفهم أتواسي أو تؤازر!!.. هامة باسمه بقلق:

- عبد العزيز!

رفع لها عينان تنضحان بالهزيمة.. وأسئلة كثيرة تتصارع بعقله
وإجابتها تعلن هزيمته هامساً بذهول:

- أتأخرت.. أتأخرت يا منيرة!

ما إن أغلق باب الغرفة ورائه حتى تلاشى قناع بروده المعتاد،
وتعالى غضب ناري يشبه أبيه بقسوة في عينيه..

كيف يهينه ويهين زوجته لهذا الحد؟!..!

ما زال يتعامل معه هو ابنه الوحيد كجزء قيم من ممتلكاته الواجب
الحفاظ عليها.. أبيه أصبح يثير به أكثر من التمرد كالسابق.. الآن
أصبح يثير به الغضب، الغضب الخام..!

حركة وأصوات جذبت عينه تجاه الجناح، وتذكر.. أغمض
عينيه، ألم تكن نائمة!!.. تمنى ألا تكون قد سمعت أي مما
حدث بالأسفل..

اقترب والأمنية ضاعت أدراج الرياح.. فهي مستيقظة بشعر
مشعث تتحرك بعصبية، تعض على شفيتها بغضب مكتوم ظاهر
دون موارد، تبعث أغراضاً لتعيد ترتيب أخرى دون هدف:

- صباح الخير.. صحيت إمتي؟

زفرت بغضب:

- اممم.. من أول أوباش

هز رأسه بتفهم ورفع أحد حاجبيه منتظراً لتكمل.. وهي آثرت
الصمت، لسانها يكاد يحرقها لتلفظ بكل ما يستحقه السيد
المبجل المتعلق بأذيال عصور بائنة، تحاول وبشدة حتى لم
تستطع..

صمت الآخر المستفز فجر عقال سياط لسانها فأطلقتها عليه دون
رحمة وهي توليه ظهرها:

- أنا مش عارفة هو فاكر نفسه مين!.. أنا بنت ناس ما يحلمش
يقابل زيهم، ناس بيتحلف بحياتهم ورجولتهم وأصلهم حتى بعد

موتهم، قول لأبوك يا إياد بيه الأصل مش بالفلوس والمراكز.. أنا جدي...

لم تكمل.. فبثوان كان إياد يمسكها من رسغها، يديرها إليه بعنف واضح.. وعيونه يشتعل بها غضب تتفنن هي في تأجيجه:

-آخر مرة أسمعك بتقولي أبوك بالنبرة دي، أعتقد أنه مش حيرضيك لو ذكرت والدك أو جدك بنفس الازدراء والاحتقار اللي في صوتك ده!!.. لا من قدامي ولا من ورايا، أنتي فاهمة؟ أمام نظرات عيونها تراجع نافضاً يدها مبتعداً وهو يدمدم بصوت عالي:

- ما حدش وجه لكرامتك أو لكرامة عيلتك كلمة.. لأنني ببساطة مش حاقبل بده.. زي ما مش حاقبل بأي إهانة، لا لوالدي أو الدتي منك.. أظن كلامي واضح! وأضاف قبل أن يتوارى بالحمام:

- واعتبري ده بند جديد في اتفاق جوازنا.

صفع الباب بقوة ومع صفعته ارتعش جفناها لتساقط دموعها..
لم تذكر بالاسم نعم لكن منذ متى يجب على الإهانة أن تعنون
باسم؟!.. يكفيها أنها وكل من سمع يعلم أنها هي المعنية.. بكل
لفظة إهانة لفظها سخطة.

عقدت أحلام حاجبيها وهي تري تلك الشقراء واقفة على بوابة
فيلا صديقتها وحماة ابنة أختها..!!

وحيثما اقتربت بهدوء أكثر وجدتها تسترق السمع فرفعت
حاجبيها باستنكار متعجب، لكن حين وصلها صوت غاضب
صارخ يحمل بطياته الكثير من التجريح صمتت واستمعت تقف
خلف الفتاة التي لا تشعر بها من فرط تركيزها، بضع كلمات لم
تترك لخيالها الكثير جعلتها تنحنح مفرعة الفتاة لتشهق بمفاجأة
وتباغتها أحلام:

- في مشكلة يا حبيبي واقفة كده ليه؟.. بقالي نص ساعة
مستنيك تدخلي أو تخرجي!

الله عالم

شغيب وريح

تلعثمت الفتاة وبسرعة أجابت:

- لا أبدا أصل كنت داخلة ونسيت.. أقصد افكرت إن سيبت ملف مهم فى العربية فرايحة أجيبه.

نظرت لها أحلام بتدقيق والفتاة واجمة واقفة مكانها حتى بادرتها أحلام:

- طب مستنية ايه؟

أفاقت الفتاة من تلعثمها وتمتت باعتذار سريع وهربت من أمام أحلام لتتابعها أحلام بعينها وتقرع الجرس وتنتظر.. رغم أن الباب شبه مفتوح إلا انها آثرت الانتظار..

بثوان كانت تدخل البهو وقابلتها صديقتها بحبور، السيدة منيرة تلك التي وجدت بها صديقة حنون منذ يوم لقائهما بليلة فرح ميرا وإياد:

- أهلا أهلا يا أحلام.. اتفضلي ناطر سوا.. البنات حيجهزوا الفطار ثواني بس.

رأيتك حالي

شغيط وورحة

لتجلس أحلام تطالع عبد العزيز الجالس بوجوم بنظرة متفحصة
قبل أن تبسم بدبلوماسية لصديقتها:

- لا ميرسي.. أنا سبقتك من بدري.. أنا جيتلك حسب ميعادنا
علشان ننزل سوا نلف على محلات الموبيليا...
قاطعتها منيرة:

- آه طبعاً طبعاً فاكرة

دقائق جاءت الخادمة منتفخة الأعين منيرة بالحقيبة ومنيرة
تطبب على يدها بحنو مقيد، والتفت لعبد العزيز الصامت
الغارق بأفكاره:

- عبد العزيز أنا خارجة.. أنت حتبقي كويس؟

أشار لها بيده أن ترحل وبابتسامة جاهد لتظهر على ملامحه رماها
باتجاه أحلام دون اكتراث التي قابلت ابتسامته بالتجاهل التام
وانطلقت مع صديقتها للخارج تتبادل معها الأخبار وتفاصيل
خط سيرهم اليوم وعقلها شارد بأخرى لم ترها..

قلبا ينبض قلقاً وخوفاً وعقلها يحثها على الابتعاد وغريزتها
تخبرها أن هناك خطب ما.. ويبقى السؤال:

أتدخل أم تظل على الحياد؟

حين تملكنا الوسوس وتستحوذ علينا الشكوك؛ تغدو الاسئلة
كشوكة بالحلقوم..

لا يمكنك إخراجها ولا طمسها..

وبالحالتين ألمها حاد جارح ولن تنتهي إلا بالدم، هل يمكن ان
يبتلعها ويتناسى؟!!

كيف له أن يتناسى أن من ستكون زوجته مستقبلاً كاذبة وبدرجة
امتياز؟.. هي نفسها من أخرجته من قوقعة الوحدة، من جعلته
يظن أنه ربما لديه فرصة أخرى بالحياة.. عاهرة بغطاء شرعي!!

قاسية الكلمة ربما لكنها تستحق كل حروفها، لكنها تظل
الحقيقة، فالتنازل بدأ من قبل شرعية الاستسلام حسب قول

عمها، يصدقها ويكذبه؟!.. وكيف يقبل رجل ريفي أن يوصم
مَنْ مِنْ لحمه ودمه بعار زائف؟..

العقل يشير لها بأصابع الكذب والاحتيال والغش.. ليس لها هي
فقط بل حتى لأقرب الأقرباء منها.. تلك الأسرة التي احتضنته
بأذرع مفتوحة، ظل قابلاً بكرسيه بأحد أركان غرفته يناظر تلك
الشظايا المحطمة المسماة سابقاً بكاميرا.. نفس الكاميرا التي
قضى خمس ساعات ليلاً بعد أن تركها يجوب المحلات
متحاملاً على آلام جسده المنهك، يتنقل بين محل وآخر يشتري
لها كل مستلزماتاتها.. شخر ساخراً بمرارة وهو يتذكر جملته التي
واظب على ترديدها:

"عايز أفضل حاجة وبألوان أنثوية رقيقة"

"ما يهمنيش التكلفة المهم تكون الأفضل"

قبض أنامله بغضب على مساند مقعده القديم، منذ متى لم
يجلس عليه؟.. مقعده المتحرك ذاك الصديق سنة كاملة!.. كان
يعتمد عليه وكان سيظل لولا صديقه العنيد إياد، إياد..!!

رأيتك
رأيتك

شغيفتي
وردي

لمع اسم صديقه بعقله حاملاً معه ذكريات قريبة بعيدة، كيف
احتمل؟.. كيف شعر حينما رآها بين يدي غريمه وعدوه
اللدود؟.. وكيف نهض بعد تلك الضربة القاتلة؟..

ابتسم بسخرية متذكراً ما كان يخبره به.. بأنها مجرد امرأة وأنه
يوجد غيرها الكثير، الآن فقط يفهم ويشعر بتلك النظرة
المتحجرة التي كانت تحتل مقلتيه حين يذكر اسمها ولو سهواً..

يشعر بالحيرة المتلفحة بالغضب تكاد تفتك بخلايا عقله.. حتى
شلت تفكيره، ربما لذلك لجأ لكرسيه القديم.. ربما خشى ان
يفقد قوته فلا يجد المعين.. احتفظ به تحت إصرار صديقه:

"خليه قدامك يفكرك باللي هزمته وبالقوة اللي جواك اللي
حتخليك قادر تهزم اللي جاي"

لم يظن بأتعس أحلامه إحباطاً وسوداوية أنه سيعود له كصديق
مهزوم..

لِمَ لم يحذر؟.. لِمَ لم يظل بكنف هدوء حياته دون ألم أو اقتراب؟.. لِمَ أذاقوه الحياة والمطلوب الآن منه الابتعاد وحيداً للاشئ أو الاقتراب محترقاً بدفء ومعرفة قاتلة؟..

لم يفق من تخبط عقله إلا على رنين هاتفه المتواصل، أخرجه بتكاسل رافضاً للآخرين أيا من يكونون.. فتح الخط حين رؤيته للرقم وصمت:

- أنت فين لحد دلوقتِ يا أستاذ؟

استمر بصمته.. فقط رفع عينيه ببطء تجاه النافذة ذات الستائر السوداء الثقيلة ليرى بصيص من النور يتسلل لمحيطه الغارق بالظلمة، انبلج يوم جديد ومن لهجة صديقه الحانق ربما يكون انتصف وهو مازال قابعاً بظلمته.. فغمغم بدون حياة:

- جاي.. نص ساعة وأكون عندك.

والنبرة أثارت قلق الآخر بضراوة فبادره بقلق:

- مالك يا باسل؟.. صوتك ماله!.. أنت فين؟

زفر باسل بنفاذ صبر وجمود:

-قلت نص ساعة وجاي.. سلام

أغلق هاتفه ليجرب النهوض فاستجابت قدماه بوجع جعل يدها تتلمسان طريقها بحثاً عن مسكناته الأثيرة التي فارقتها لما يزيد عن شهران.. اللهم إلا من زيارات عابرة.. الآن يحتاج إليها بقوة، يشعر بأن ظهره سيتمزق وقدماه ستلتويان من تحته صارخة بالألم تحت وطأة ما يحمل ويا لثقل حمله المرير..

انغلق الخط أمام عيني إياد المنعقدة.. وضعه على سطح مكتبه، تلك النبرة الميتة أثارت به قلقاً قديماً..

لقد مر وقت طويل منذ سمعها من صديقه، تقريباً يوم أن أفاق بالمشفي مكتشفاً أنه مازال حياً ولم يمت، ما الذي يحدث معه؟..

البارحة حين هاتفه كان صوته ضاحكاً.. أشبه بباسل القديم، كان سعيداً كطفل يتعرف على الحياة من جديد، واليوم يبدو كما لو عاد للحظة الموت حياً..

رنين هاتفه برسالة من سائق زوجته وحارسها الخاص بوصولها للمبنى جعله يعود لمشكلته الكبرى.. ميرا.. وعدم تقبل أبيه الصارخ لها.. هو ليس بغر ليعلم أن عبد العزيز بيه سيستسلم دون نزال.. لكنه لم يظن أنه لن يضع كرامته بالحسبان!!

وتذكر عيناها لحظة أن نهرها منذ ساعات.. تلك العينان الرمادتيان.. نظرة التمرد والإباء المصحوبة بالجرح والضعف المكبوت بداخلها، طوال اليوم يحاول التركيز بعمله دون فائدة.. فعيناها تظل تقفز أمامه مؤنبة معاتبة..

لم يكن يستطيع فعل سوى ما فعله.. لن يحتاج لسؤالها أين كانت فهو يكاد يعلم إلى أين ذهبت لتفرغ غضبها منه ومن أبيه.. ربما الانتظار هو ما أرقه.. كان يراهن نفسه أنها ستأتي.. وأتت.

"الحمد لله يا كابتن.. التحاليل كلها كويسة، واضح إن العلاج الجديد جاب نتيجة وبدأ يبقى التحسن ملحوظ"

رأيتك دائما

شغيفتي وورثتي

تلك الجملة التي أطلقها الطبيب الأشيب المخضرم بوجه زيد
ربما تكون أعذب الجمل التي سمعها بحياته.. وعلى ما يبدو
ليس وحده فزفرة الارتياح الصادرة من أعماقه صاحبها اثنتان
أخريان من مرافقيه الإيجاريان "هشام وعصام"

ربت عصام على كتفه بمرح:

- الحمد لله.. النهاردة لازم نحتفل بالخبر ده.

وهشام يغمض عينيه وابتسامة راحة على وجهه وشفته تبتهلان
بحمد لله على بوادر النجاة..

فهما كنت قوياً أو شجاعاً لا تهاب المخاطر يبقى بداخلك
خوفاً فطرياً من صاحب المنجل بعبائته السوداء..

خوفاً من حياة ضاعت بالعبث..

أو خوفاً على حياة مازالت تتخبط.. مازالت تتلمس طريقها
للنور..

أو ربما خوفاً على حياة قلب قد يفطره فراقه..

وقطعاً خوفاً على كل من حملوا همه يوماً وهو لاهٍ عنهم..

جملة بحروف بسيطة وردود أفعال بحجم الكون احتواءً.. كانت
 كمفعول السحر على روحه، مسحة من الراحة أضاءت وجهه
 وتنهيدة من عمق روحه نفضت أثقال الأفكار.. فحين تقترب من
 وداعك الأخير وأنت واع لموعدك تتكالب عليك الهموم حتى
 تلك التي لم تكن تأخذها بعين الاعتبار..
 عاد الأمل..

سينجو، سيعود للتخليق، سيزف أخته وربما يرى وليدها.. وربما
 يكون سعيد الحظ بحب وحياة وفرصة أخرى..

أعادته تربيته هشام على ركبته بفرحة وكلمات الطبيب تسترسل:

-المهم الراحة والبعد عن الانفعالات.. المواظبة على العلاج
 بانتظام والنظام الغذائي زي ما هو.. وما فيش رجوع للشغل يا
 كابتن حتى لو عمل مكثبي، لحد ما أنا أقول ومستنيك الشهر
 الجاي إن شاء الله..

وافقه بإيماءة من رأسه ورحلوا بهمهمات شاكرة ووجوه تحمل
 ابتسامات معتقة بالأمل.

تتوآب الدقائق حاملة معها ساعات وأيام

يعدو بها الزمن دون حساب

لا ينتظر أحداً.. لا يعاتب غافلاً.. أو ينبه ضائعاً

فقط يمضي.. يزداد المتخاصمين فرقة وابتعاداً ويتوهج الأمل
بقلب مرديه رجاءً والحائر قد يرسو على بر اليقين أو يزداد
بدوامته توهاناً..

والضامر شراً يستعر بخبثه إمعاناً..

فقط تبقي الحقيقة الواحدة..

أنه مضى ويمضي وسيمضي ولن يتوقف لأحد إجلالاً!

تتناقر أصابعه بتوتر على سطح مكتبه والأخرى تتلاعب بقلمه
الذهبي بين أصابعه، لم يكن يوماً من عاشقي الروتين والرتابة
لكن ما يحدث بينه وبينها فاق التجديد بمراحل.. فلمدة شهر
كامل هو معها يتقلب بين برد ونار، ليلة دافئة لاهبة المشاعر،
وأخرى ببرودتها تبارز صقيع كندا هازمة إياه بضراوة..

كل يوم عن الآخر تشغل عقله أكثر وأكثر، وهذا لا يعجبه..
المفترض أنه تزوجها، لذا فالمنطقي أن يمل، أن تتقهقر بتفكيره
للخلفية حين الحاجة إليها.. لا أن تسيطر عليه سواء بذكرى ليلته
الماضية معها أو بتساؤل حائق عن سر برودها!!

يكاد يشك أنها تفعلها متعمدة.. عقد حاجبيه وسكنت حركته
للحظة، هل تقصد هذا للسيطرة عليه؟.. ترغب كما تقول بنات
جلدتها بوضعه خاتماً بإصبعها؟..

أوقف سيل أفكاره بظنونها مذكراً نفسه بقراره أنه لن يصدر معها
أحكاماً مسبقة.. ستبقي هي الاستثناء حتى يثبت العكس، قاطعه
صوت مساعدته:

- آسفة يا باشمهندس.. أستاذ ليث هنا وطالب مقابلة ضرورية
و...

لم يمهلها لتكمل جملتها قاطعها أمراً:

- دخليه.. وماتخليش حد يقاطعنا.

دلف ليث بسواد ملبسه المعتاد، بنطال ومعطف وقميص وحذاء
حتى النظارة غارقين بالسواد والساعة تنافس برونزية جسده
المفتول، تحرك برشاقة وابتسامته ذات اللامعنى حتى جلس
أمامه:

- عطلتك!!

نطقها بصوته العميق فرد إياد بابتسامة مرحة لم يستطع كبح
معالم قلقه فيها، فحضور ليث بنفسه ينبئ دومًا بجسامة ما
يحمل:

- مجيتك تخليني أفضى نفسي لو مش فاضي.. تشرب حاجة؟
قاطعها ليث بمهنية حازمة:

- مش فاضي.. أنا جايلك بنفسى لأن الموضوع مهم.
- خير!

نطقها إياد باهتمام:

- خالد الملاح

حثة إياد بعينه ليكمل وتلك الثواني من التمهّل التي استغرقها
ليث جعلت القلق ينتشر بجوانحه، قلق من معرفة بتلك اللحظة،
أصبح يخشاها وبسيطته المعهودة غمغم لنفسه "سوف أتقبل أيا
ما كان يحمله ليث"

- خالد الملاح يبقى طليق يارا بنت خالة ميرا منصور مراتك.

عقد إياد حاجبيه والجملة تتردد بعقله.. يارا؟!.. خطيبة باسل
سبق لها الزواج ومطلقة!.. لم لم يخبره باسل؟!.. أعلم؟!.. أثر
الصمت يستمع لليث:

- واضح إنك ما كنتش تعرف.. مش مهم.. المهم إن توقيت
طلاقها من خالد الملاح مريب!

- إزاي؟

اقترب ليث من المكتب خالعاً نظارته مردفاً:

- قبل طلاقها بحوالي شهر تزامن انتقال العيلة للقاهرة من
اسكندرية أو زي ما بعض من جيرانهم قالوا هروب.. كلهم غيروا

مسارهم هشام الإدريسي غير مهنته حتى عصام حول من طب
لتجارة.

ازداد انعقاد حاجبيه وتنبهت كل خلايا عقله لليث الذي استحوذ
على اهتمامه مكملاً:

-المشير للدهشة هو توقيت المحضر اللي عرفنا نوصله قبل كده
الخاص بالمدام، محضر التنازل توقيته بعد محضر الطلاق
بدقائق.. وقبلهم بساعات تقريباً محضر محاولة الاغتص..
محاولة الاعتداء.

ابتلع إياد ريقه وهو يضيق عينيه:

- أنت تقصد...

أشار له ليث مقاطعاً:

-استنى متستعجلش.. الغريب إن خالد الملاح قبلها بساعات
كان في حالة صحية يرثى لها وده حسب كلام سواق والده
العجوز المتقاعد، حسب كلامه هو اللي شاله بايده بنفسه وهو
مضروب علقه موت وخذه على مستشفى خاصة بواحد من

معارف والده، لحسن الحظ لاقينا في أرشيف المستشفى ورق
قديم بتوقيت دخوله بس.. ومالقيتش أي أثر ليه تاني في
سجلات المستشفى.. واضح إن اللي خفي الفايلات نسي الورقة
دي.

تملكت الحيرة من إياد.. فما أتى به يحتمل تفسيرات عدة دون
إجابة واضحة وصريحة، عقد حاجبيه وتراجع لظهر كرسيه
مستغرقاً بتفكيره العميق وليث أمامه هادئاً محترماً صمته، بعد
عدة دقائق أفاق إياد من دوامات أفكاره سائلاً صديقه:

- في ايه تاني يا ليث؟

مط ليث شفتيه قبل أن يجيبه:

- في الحقيقة أنا مش عارف اللي عندي يهكم أو لا؟

رفع إياد حاجبه متوقفاً الأسوأ مجيباً بحزم:

- أنا اللي أحكم يا ليث مش أنت.

بصوت قوي ألقى ليث ما بقى لديه:

- خالد الملاح في القاهرة ورجالتي قالوا لي إنه بيراقب بيت
أهل مدام ميرا بانتظام.

عقد إياد حاجبيه بشدة وحيرة قلقة تجتاحه:

- أنت مش كنت قولتلي إن فيه محضر بعدم التعرض؟ .. إيه اللي
جد؟

- ماهو ده الغريب!.. رغم المحضر خالد الملاح وعربيته معروفين
لكل البوابين في منطقة سكن عائلة الإدريسي على مدار السنين
اللي فاتت أو من بعد الطلاق تحديداً.

- أنت قصدك إنه بقى له تقريبا تسع سنين بيراقبهم!!

هزليث رأسه بتأكيد:

- ده بالضبط اللي أقصده.. ده آخر اللي وصلتله.. أى تفاصيل
تانية يا إياد حتحتاج تعرفها من أصحاب الحكاية نفسها.

هز إياد رأسه بتفهم وقبل أن يتكلم قاطعه صوت:

- إياد أنا آسفة قوووي.. بس أصلي محتاجالك ضروري.

عقد إِيَاد حَاجِيهِ بِضِيْق:

- نَارِيْمَان!.. أَنْتِ دَخَلْتِ إِزَاي؟

تَهَادَت نَارِيْمَان لِلدَاخِلِ مَتَسَلِحَةً بِالصَّبْرِ وَابْتِسَامَةً مَتَسَامِحَةً مُغْوِيَةً
تَجِيدُهَا وَثَانِيَةً سَمَحَتْ لِعَيْنِي إِيَادَ بِالتَّشْبِيعِ بِمَظْهَرِهَا الْجَدِيدِ
لِتَدْرِكَ أَنَّهَا مَا يَزَالُ لَدِيهَا أَثْرٌ عَلَيْهِ كَرَجُلٍ.. فَصَمَتَهُ الْمَفْاجِيءُ
وَعَيْنِيهِ الْمَتَمَهَلَةَ الْمَتَفَحِّصَةَ لِتَفَاصِيلِهَا تَكَادُ تَصَاحِبُ عَيْنِيهِ فِي
جَوْلَتِهَا عَلَيْهَا يَسْتَكْشِفُ خِصَلَاتِ شَعْرِهَا الْكَسْتَنَائِيَّةَ بِحَمْرَةٍ مَثِيرَةٍ
وَعَيْنِيهَا ذَاتِ الْخَضِرَةِ الْعَشْبِيَّةِ وَلَوْنِ الشِّيكُولَاتَةِ بِشَهِيئَةٍ رَاسِمًا
شَفْتِيهَا

وَتَمَلَّتْ وَمَا أَدْرَاكَ حِينَ تَتَمَلُّ الْأُنْثَى مِنْ إِشْتِهَاءٍ مِنْ تَرِيدِهِ!

تَهَادَت وَكَأَنَّهَا تَهْدِيهِ مَتَعَةً رُؤْيَتِهَا تَذَكَّرُهُ بِمَا فَقَدَهُ مَعَهَا مَا كَانَ
يَبْهَرُهُ بِهَا أَنَّهَا إِمْرَأَةٌ بِكُلِّ الْعُصُورِ إِمْرَأَةٌ طَوَّعَتْ الْجَمَالَ مَلِكٍ
يَمِينِهَا بِبِهَاءِ مَلِكَةٍ وَإِغْوَاءِ حَوَاءِ

لَوْهَلَةَ وَلَوْهَلَةَ فَقَطْ عَادَ إِيَادُ الْقَدِيمِ، دُونَ أَسْرَارٍ وَانْتِقَامٍ وَأَلْعَابِ
مَنْعِ إِطْرَاءٍ أَوْ كَانَ سَيَسْمَعُهُ لَهَا سَابِقًا بِكُلِّ سَلَاسَةٍ، وَإِنْ مَنَعَ لِسَانَهُ

من ترديده فإنه لن يمنع عيناه من إظهاره ؛ لقد ذكرته وبقوة بسبب
تعلقه بها قديماً بنشوة رجل تملك إمراً تحوى بين حناياها كل
النساء، حين عاد لعينيها أفاقته تلك النظرة الفزعة فتابع إتجاه
نظراتها ليصل لمصدر خوفها وفزعها ليث القابع أمام مكتبه
فارتسمت على شفثيه نصف ابتسامة ؛ فالحية مهما بلغ دهاؤها
وقوتها تظل دوماً ترتعب من الليث..

ناظرها بعينه السوداء وان لقد جربت كل أنواع النظرات تلك التي
تلامسها وأخرى تجردها من ملابسها وأخرى ولهانة بانتظار
رضاها وربما حتى تلك المبجلة بمحراب جمالها، إلا عيناه لا
غرض لا مأرب فقط خوف صافي مجسد بمقلتين ليست بغافلة
عن من يكون وقدراته تلك التي تحملها لها الهمسات أينما كان
أو زارت سيرته وأينما حل هو توارت هي

وبتراجعها وإنكماشها بعد زهو خطواتها أهدت إياد متعة إنتقامية
من نوع خاص، جعلت بروده معها يعود لمعدلاته الطبيعية فوجه
لها سؤالاً منتشلاً إياها من خوفها رحمة بها:

-كنتي عايزة ايه يا ناريمان ؟ ايه الضروري اللي يخليكي
تقتحمي مكتبي بالشكل ده ؟

عادت لإياد وحروفها تتلعثم:

-باسل اتأخر ومالقتش حد بره ومعايا ملف ضروري و...

فhez راسه بلامبالاة ومد يده لها فنظرت له بحيرة فزفر بقلة صبر:

-الملف...الملف الضروري يا ناريمان

ابتلعت ريقها واقتربت تمد يدها بالملف إليه

ونهض ليث واقفاً جعلها تتراجع بعيداً مخاطباً إياد:

-لو حابب انقل الموضوع للمرحلة الثانية

قاطعته إياد بحزم نافي:

-لا لا كفاية لحد كده دلوقتي.

-طب وصاحبنا اياه ؟

-خليه تحت عينيك وعرفني تفاصيل حركاته.

hez رأسه وارتيدي منظاره واعتدل مغمغماً بلهجة موحية:

- تمام حاشوفك بعدين ابعده عن المشاكل

والتفت لها:

- أهلاً بناريمان هانم

هزت رأسها بابتسامة مرتعشة وغادر هو دون أن ينتظر رد
بخطواته الصارمة القاتمة مثله ما إن اختفى حتى زفرت براحة
وتهالكت على المقعد المقابل:

- اووف أنا مش عارفة انت مصاحبه إزاي .. انت ما بتسمعش
اللي بيتقال عليه..

طالعتها بنظراته الباردة متسلياً:

- ما يمكن أنا مصاحبه علشان كده

ونظراتها الفزعة رسمت ابتسامة واسعة على شفتي إياد ومضى
يحاول التركيز بالملف الذي أحضرته تاركاً تفاصيل مهمة وأسئلة
عالقة ملحة جانباً على مضمض

- إياد موضوع شركة المحمدي دي زاد عن حده ولازم...

قطع كلامه وانتباهه نظرة غضب واشمئزاز تجاه القابعة براحة
أمام مكتب صديقه وخاصة مع الضحكات التي تصاعدت منها

- واضح إنى قطعت عليك حاجة مهمة انا ماشي

- لا وعلي ايه تمشى اتفضل معانا واضح إن المكتب بقى ولا
سوق الجمعة

فتعالت ضحكات ناريمان بمرح :

- تعرف منين سوق الجمعة ده يا إياد

تعالت ضحكة إياد ليس على كلمات ناريمان الناعمة بل على
الإشمئزاز المرسوم بشكل كاريكتيري واضح على وجه باسل
الدبلوماسي فرفعة حاجبه وتجعيدة أنفه المصحوبة مع تقزز
ملامحه كمن يطالع جيفة أمامه جعلته لا يستطيع كبح ضحكاته
فغمغم باسل بغضب:

- لا ده انت وهى مستفزيين

وقبل أن يستدير ليرحل تاركاً إياهم تفاجأ بميرا تسد عليه طريق
الرحيل تعقد ذراعيها مفعمة بلهجة هازئة تناقض نيران عينيها:

رائع عالم

شغيط وريح

- ليه يا باسل بس مش تستنى يضحكونا معاهم..

طار الإشمئزاز من وجه باسل وارتسمت الشماتة بعينه وعاد يناظر ناريمان التى قبلت التحدي استرخت بجلستها أكثر ووجهت لإياد أكثر ابتسامتها نعومة واغواء وهى تعيد:

- اه يا إياد قولنا عرفت مينين حوار سوق الجمعة ده

فرفعت عينيها تغمدها بنظراتها من أعلاها لإخمص قدميها باستهزاء واضح وإياد يحاول كبح ابتسامته بصعوبة:

- ايوه يا ميرا تعالي خير

فرفعت له أحد حاجبيها يناديها كموظفة مجتهدة وليس كزوجته.. احمق.. اقتربت لتجلس أمام ناريمان تضع قدما فوق الاخرى وترمي له بملف على مكتبه بضيق مكتوم وهى تغمغم:

- الدعايا الجديدة دى الخطوط الأولية محتاجين رأيك

صمت لثواني وهو يراقبها وهى تطالع الاخرى وحين طال صمته نظرت له بلهجة مغيظة:

- اااايه إياد الدعايا

- لا ما أنا مستني اشوف مين تاني فاضل لسه ما اقتحمش مكثبي
النهاردة

وتعالق ضحكة ناريمان من جديد وميرا تزيد من رفعة حاجبها
المستنكر حتى كاد يصل لمنابت شعرها وباسل قرر الانتظار
والتمتع بالمشهد حتى النهاية فجلس على اقرب مقعد متابعاً
غمغمت ميرا:

- مدام منى مش بره وساندى هانم وجودها زي قلته العادي يعني
-ميرا||

نادى إسمها بلهجة تحذيرية جعلتها ترفع نظراتها النارية من على
المستمعة المغناجة لأحمقها أيؤنبها ضمناً أمامها، ليلته سوداء
بعون الله

نظرت له تهديه ابتسامة صفراء:

-الدعايا

عاد بتركيزه الى الملف أمامه يعقد حاجبيه وهو يتأمل
المخططات الأولية:

-اممم شوفي كده يا ناريمان

والسؤال الذي ينير بعقلها بالوان فسفورية ضخمة ((هل يجوز قتل الزوج حين يستشير أخرى بعمل زوجته)) الاجابة :حرقاً ام شنقاً ام بالدفن حياً؟؟ أيجرو صدقاً؟! ايجرو على استشارة تلك بعملها هي؟! وما زاد اللحظة سواداً شاعرياً يوحى بالكثير من الأفكار الإجرامية اللطيفة وقوف تلك الناريمان وتوجهها بحركات أنثى الكركند فى موسم التزواج تجاه الاحمق القابع بخيلاء متوارث جينياً بين أبناء جلدته، والآخري تقترب وتميل وتلمس أصابعه بسهولة مقصوداً، تشني مرة وتعدل مراات وهى صامته، منذ عادت من شهر عسلها القصير والمسماة بناريمان مقرر شبه يومي بحياتهم صباحاً وأحياناً مساء وبالعمل أكيد، كلما التفتت لإياد وجدتها حوله او بمحيطه، وما جعلها تصمت بأستيعاب ما تلحظه الآن من تغير معاملته معها، دوماً كان حاد قاسي وربما فظ معها لكن اليوم هناك ما اختلف ربما التغير بمظهرها، وما الجديد لولا أنها تعرف بنفسها دوماً لظنتها إمراه مختلفة بكل مرة، هناك دوماً شئ معلق بالهواء حينما يجتمع

الاثنان ومع كل فضولها إلا إنه سؤال تفضل الموت على البوح به، مالها وماله فهي لا تهتم إلا بكرامتها فهي زوجته حتى اشعار آخر، أنهموا ملاحظات وتعديلات وهي شاردة بعيداً عما يقولون فقط إيماءات عملية من رأسها توحى بالمتابعة، وحين أغلق إياد الملف وناولها إياه هزت رأسها وبدأت تتحرك للإنصراف دون أن تلتفت برأسها تجاههم ولو بنظرة، وهو يراقبها بترقب وقبل أن تصل للباب صدح صوتها:

- انا حأمشي بدري ساعتين النهاردة

- ليه

نطقها بلهجة هادئة باردة

قبضت أناملها بغضب ونطقت بصوت حاولت قدر الإمكان الحفاظ على نبراته هادئة:

- حاروح أزورهم فى البيت

لاحظ نبراتها وانقباض أصابعها فغمغم ببساطة:

- خليها بعد الشغل وحنروح سوا

وتلك اللحظة من ناظروه بدهشة كان باسل وناريمان والآخري
 خرجت بهدوء دون تعقيب
 فسخر باسل:

-إياد رايح يعمل زيارة إجتماعية الله يرحم
 ناظره إياد بسخرية:

-رايح أزور أهل مراتي عندك مانع
 رفع له باسل ذراعيه متفكهاً ليستدير إياد وكأنه تفاجأ بناريمان
 مازالت تقف بجانبه تستند على ظهر مقعده فعقد حاجبيه هاتفاً
 بها بغضب:

-في إيه يا ناريمان خير حتفضلي واقفالي كده كثير
 إستقامت بوقفها ونظرت له مندهشة ولم يمهلها فأكمل ببروده
 الشهير:

-سبيلي الملف اللي انتِ جبيتهوالي ده واتفضلي على مكتبك
 شوفي حاجة مفيدة تعملها بدل الوقفة دي

إنسحبت ناريمان وبعينيها نظرة حائرة من سرعة تغيره بالتعامل معها وحين خرجت بادره باسل بسخرية:

- يعني خدت اللي انت عايزه منها ورمتها ينفع كده زعلتها
فرغ إياك حاجيه:

- مهتم قوي

- مين ناريمان؟.. لا تتحرق هي وصنفها كله.. بس إيه السر؟..
متخاف مع المدام ولا إيه؟

فزجره إياك:

- خليك في حالك كنت بتقول ايه عن شركة المحمدي؟

أسرع ينزل من سيارة الآجره فحسب أوامر الطبيب لا يستطيع قيادة سيارته تلك الأيام خوفاً من إغماءاته الخفيفه المتكرره، كان قابع بالمنزل يلتزم بتعليمات طبيبه حتى جاءه نداء استغاثتها؛ فأتاها سريعاً يحمل لها هدايا تحمل أسماء ماركات

عالميه شهيره تعشقها، غادر مبتسماً رغم قلقه من نبرة صوتها إلا
أنه قرر مفاجأتها،

مازال وسيماً يحصد نظرات الإعجاب أينما حل حتى أنه حصل
على غمزه قبل أن ينغلق باب المصعد فاتسعت ابتسامته، خرج
من المصعد لتصطدم به أنثى بخصلات بنية باحمرار وعيون
خضراء لا تصحيح عدسات خضراء جميلة بابهار، كاد أن يلتفت
ليغادر لوجهته متجاهلاً أياها حتى أتاه صوتها معذراً:

-sorry

عاد بنظره اليها مدققاً:

-إحنا اتقابلنا قبل كده

نظرت له ودون تدقيق هي تتذكر وبوضوح وكيف تنسى فهمست
دون حساب:

-كابتن زيد مش كده

ونطقها باسمه كأنه كلمة السر:

-ناريمان

إبتسامة ناعمة مغتبطه لقد تذكرها وعاجلتها كلماته بانعقاد
حاجبيه:

- إيه اللي انت عامله فى نفسك ده؟!!

عقدت حاجبها باستنكار وعدم فهم:

- إيه مش فاهمة

- ده لون شعرك الطبيعي والا اللي شفته فى الحفلة؟

- افندم

- وليه لابسه عدسات؟

- انت ازاي تكلمني بالطريقة دي

- انتي بتشتغلي هنا؟

- وانت مالك؟

ضيق زيد حاجبيه ناظرا لها بتمعن قبل أن يختطف هاتفها من
يدها هتفت به بدهشة :

- انت بتعمل ايه؟

بضعة نقرات وارتفع هاتفه بأزيز منغم فصاحت به:

- انت اتجنت إيه اللي انت عملته ده !؟!

هز كتفيه واقترب منها مسمراً عينها بنظرته وهمس أمام وجهها:

-- ببساطة أنا مهتم اعرفك من غير ما تختفي زي المرة اللي فاتت وما احبش اقف أعملك مشكله فى شغلك أو حد يضايقك سلام مؤقتاً..

وتركها منصرفاً ساحباً انفاسها معه

صخب شديد ما تناهى لمسامعها فانجذبت لنفس الإِتجاه الذي ذهب به؛ لتعقد حواجبها وهي ترى غريمتها العتيدة تتعلق بذراعه وتقفز فرحة وهو يبادلها الضحكات بمرح، إحساس مقيت بالحنق اكتنفها وهي تراقبهم وباب مكتبها مفتوح على مصرعيه برحابة، لم تشعر بأحد إلا حين جاورها هو كيف فاتت عن بالها فرصة ذهبية أمامها وهي كالغبية وقفت دون حراك، لكن يبدو أن الحظ بصالحها اليوم وهي تنظر بجمود تجاه الاثنان فقط غمغت:

رائد صالح

شغيف وورع

- واضح أن كابتن زيد وميرا قريبين قوي قوي من بعض ده
الفرحة مش سايعاها من أول ما وصل
غادرته منصرفه مبتسمة والآخر تقدم مقتحماً مشهدهم الضاحك
بصخب:

- ميرا ايه اللي بتعملية ده انتي نسيتي اننا فى الشركة ولا إيه؟
لا يعلم لم صمتها وانطفاء ضحكتها الصافية وظهور تلك النظرة
المتردة عبث بأحشائه بقبضة حديدية وجاء زيد ليقف بينهم
يمنع تواصل عينيه مع عيناها وهو يهمس بأعتذار مرح:
- معلىش يا إياد بقالنا فترة ما شوفناش بعض وانا فاجئتها
مال لها ضاحكاً:

- واضح انك مش فاضية حنكمل كلامنا بالليل حاستناكي ما
تتأخريش

هزت براسها وابتسامتها عادت لتتألق وهى تحتضن حقايب
التسوق فغمزها تجاه الأكياس:

- حامشى أنا بقى واسيبك مع حبايبك

اعتذر منها زيد وغادر وحين التفت لها إياد بعد أن راقبه بعينه حتى اختفى بالمصعد، وجدها تجلس على ركبتيها بصوفا بمكتبها تفتش بالأكياس كطفلة ليلة العيد تركها وغادر، لا يعلم لما نزل بالبداية هل ليطمئن عليها بعد موقف ناريمان بمكتبه أو ربما بسبب صمت البارحة وتباعدها صباحاً حتى اتت اليه للمكتب لا يعلم ولكنه ممتن لسعادتها وسيركها لها مؤقتاً فليديه الكثير مما يحتاج التفكير به، عاد لمكتبه ليجد باسل مازال ينتظره

واندمج الاثنان بالعمل لدقائق طويلة جداً وحين انتهوا وحن موعد رحيل إياد تردد باسل فعاجله:

- ايه تحب تيجي معانا واهو تقابل العروسة ولا محتاج الإذن؟

والنظرة التي ارتسمت على وجه باسل جعلت إياد يتخلى عن المرح ويسأله:

- فى ايه يا باسل انت النهاردة مش على طبيعتك وكل أما أسالك مالك بتهرب؟

- ما فيش

وصاحب سؤاله المعتاد هروب وتلك المرة اتبعه سؤال

- انت إزاي قادر تبص في وشها بعد خيانتها.. بعد خداعها؟؟

عقد إياد حاجبيه متأملاً له:

- تقصد ناريمان؟

ومع شكه بما يعتمل بداخل صاحبه بادره:

- إقعد يا باسل واسألني السؤال اللي تاعبك ومحيرك وصدقني
حأجاوبك.

نظر له باسل بنظرة جامدة:

- واحدة زي ناريمان إزاي قادرة تعيش وترفع راسها وسط
الناس، ازاي قادرة تلبس دور إحترام ما تستحقوش، وتفضل
حقيقتها مخفية عن الجميع، والمخدوع اللي مسيره يقع في
شباكها حيعيش العمر كله مغفل إزاي؟

إنغمس إِيَادَ بمقعده وعقله يعمل بصورة صاروخية فصيده
بحاجته ولكنه يشعر بنفسه كالضيرير لا يعلم السبيل لمساندته

أَتَكُونُ مشكلته زواج خطيبته الا اول؟؟

-إنت في مشكلة بينك وبين يارا يا باسل؟

إنتنفص باسل نافياً:

-لا لا مشكلة إِيَه انا باتكلم فرضاً عن الغش والخداع إزاي
الواحد يسمع ويقبل لا إزاي يتأكد ان اللي سمعه صح ولا غلط

هز إِيَادَ أكتافه له:

-مافيش قواعد يا باسل أنا خيانة ناريمان إتقدمتلي بالدليل
والصور على طبق من فضة بدون مجهود ولا تعب مني.

-واللي مش محظوظ زيك؟

عقد إِيَادَ حاجبيه باستنكار:

-بتسمي اللي مریت بيه حظ يا باسل؟

تراجع باسل بأسف جلي:

- لا طبعاً أقصد إنك محظوظ إنك عرفت وانت على البر مش كده..

- تقدر تقول كده

- طب إياك لو واحد ما عندوش طريقة يتأكد بيها إلا إذا سأل وساعتها حيفقد كثير أكثر من اللي يقدر يفقده

- مالهاش غير حل واحد يسأل عقله ما حدش بيقدر يمثل دور الفضيلة طول الوقت كل العلامات بتبقى واضحة وبينة إحنا بس اللي بنختار ما نشوفهاش ناريمان من قبل الصور كان باين التصرفات والعلامات وأنا اللي اخترت ما اشوفش وأنا اللي دفعت الثمن

رنين على هاتفه برقم ميرا جعله ينهض فقد تأخر بما فيه الكفاية وهو لن يتركها تذهب لمنزلهم اليوم وحدها وخاصة بعد الشعور الغريب الذي احس به حين رآها معه اليوم:

- حتيجي معانا

هز باسل رأسه نافياً

وتركه إياد لعقله الذ ي يعيد التحليل والفحص والتمحيص
 بكل صغيرة وكبيرة وشاردة وواردة صدرت منها عقله يكاد يجن
 فلهيه كلام العم وكلام اخيها لديه تعاملها المنفتح مع بالر
 واخوتها وتعاملها الحريص معه عقله يئن مطالباً هدنة دس يده
 بجيب نطاله الخلفي مخرجاً شريط تناول منه حبتين دون ماء
 وهاتفه يبحث بين أرقامه حتى وجد غايته ثواني تردد بها صوت
 الرنين ليصاحبها صوت مازح وصخب محيط:

- لا مش ممكن إيه ده عودة الإبن الضال

- انتوا فين أنا جايلكم أسهر معاكم النهاردة

نطقها باسل فربما يهبون عقله تلك الهدنة من الأسئلة المعلقة
 برقته دون جواب

وقتما تتناكب الحيرة وتتخبط بك الطرق تفقد دعائمك
 ويستوحش الظلام حاضرك تتوالى عليك المغريات تلجأ دوماً
 لمصدر قوتك لمنبع الراحة والأمان تستلهم قوة او تستجدي أملاً

ربما تدمر روحاً أو حتى تستوجد شجاعة لم تكن يوماً لك رفيقاً
فتكافئك الحياة بما لم تظنه يوماً سيحدث حتى بأعتى الاحلام
ويثبت الواقع لك مدى ضآلة الخيال

لذا ارتمت بأحضانه تحتاجه، تحتاج دفئه وراحته المطمئنة حين
اكتنفها بين أحضانها لم تصدق حين شدد من احتضانها لم
يبعدا لم يلفظها كارهاً او متباعدا ببرود حين اطالت بحضنه لم
تطلق سوى تنهيدة أرتياح حينها فقط تلاشت الاسئلة والمخاوف
يداه تنغمس بخصلتها الناعمة برفق افتقدته:

- انت ليه بتبعد؟

- علشان مش قادر اقرب

- بس انا كل اما اقرب انت بتبعد

وأمام صمته ناشدته:

- انا محتجالك قوي.... قوي ما تسبنيش لوحدي

وعيناها تتوسلانه، تناجيه ..

واقترب حتى تلامست الأنفاس ..

اقترَب حتى وإن كان بالاقتراب هلاك ..

اقترَب دون أن يملك إرادة الابتعاد!!

الفصل التاسع عشر

ولنا في الخيال حياة
وبه تزهو أحلام الانتصار
أو تطفو المخاوف والأوهام
الأكيد أنه مهما جمع خيالك
وكان ورديًا أو سوداويًا
سيقهر الواقع ألف خيال..

وقبل أن تعانق الأحلام الأهداب وقبل جموح الواقع أو.. الخيال، سندير عقارب الزمان بضع دورات، ثلاث، أربع بل سبع بالتمام والكمال، وسنتلو الحكاية من البداية، فإن كان بنا الزمن ماضياً، فلنا في الذكرى خلود اللانهاية..

انتهت حورية من تجهيز الغداء وحدها كما اعتادت منذ أيام، فأمال معتصمة بغرفتها غاضبة متبرمة تنتظر أن يقر الجميع بخطأهم ويأتوا طالبين الغفران والثانية قصة أخرى.. فأحلام التي لم تكن تبحر المنزل وحيدة دون صحبة، غدت تقضي يومها بأكمله بالخارج، لا تعود إلا مع إسدال الليل ظلامه، والفضل يحمل اسم منيرة الحديدي أم صهرهم، صحيح أنها تحكي لها ليلاً كل ما دار، لكن قرب الفراق والانقسام بين النصفان تخشاه، تعلم أن أحلام تستشعر حرقتها بعيداً عن سلطة توأمتها الكبرى، ورغم غباء الثانية وجرح الأولى فهي تخشي عليهما من أنفسهما!

"ماما.. مامااااااااااا"

رائة عالم

شفيط ورسمة

- بسم الله الرحمن الرحيم.. ايه يا بنتي ده!.. مش تكحي،
تتنحنحي، حتوقفيلي قلبي.

مطت مروة شفتيه وهي تعدل من وشاحها:

- بعد الشريا حورية، مالك سرحانة فى ايه؟

رفعت حورية حاجبها وهي ترمي لها بنظرات بطرف عينيها:

- أنا برضه!.. أنتِ اللي بتتنجلي بقالك شهر زي ما يكون في
حاجة ومخياها عليا!

احمر وجه مروة واتسعت عيناها لتبتسم حورية برفق وهي تشير
لها بالاقتراب والجلوس مثلما فعلت هي:

- تعالي يا مروة.. أنا بقالي فترة مستنياكِ بس شكله موضوع مهم
قوي اللي خد منك كل ده تفكير!

ضيقت مروة عينيها ومطت شفتيها بتبرم، فكونك مكشوفاً
ومفهوماً حد الشفافية يضايقها:

- تقصدي ايه؟

- من يوم خروجكم بتاعة مصر القديمة وأنت مش على بعضك.. ها في ايه؟

كيف تخبرها؟.. هل تلقيها بوجهها!.. أو ربما تدقق وتمحص بألفاظها وتصوغ المقدمات المناسبة؟.. هل تلقي لها بالكلمات التي فكرت بها وجهزتها مسبقاً!.. نعم ستفعل، وما إن فتحت لسانها لتتلق:

- بالر طلبني للجواز.

أسرعت بضم شفيتها ولزيادة تأكيد غلق فمها المفتوح، وضعت أناملها كسد حامي من مزيد من الكلمات المناسبة دون حساب وانتظرت رد الفعل المعتاد، التهليل والتباريك والصياح.. ولأن حورية تختلف في وجهات نظرها بطريقة تفكيرها تختلف رد الفعل:

- مين!!.. بتقولي مين طلبك للجواز!؟

والجملة جاءت بصوت خشن دخيل على جلستهما وصاحب النبرة المتعجبة يحمل لقب عصعص

رأيتك حاتم

شغيط ورنج

اقترب منها واضعاً أصابعه خلف أذنيه سائلاً بتهكم مستفز:

-بتقولي ايه تاني كده؟.. اللي اسمه بالر عايز ايه؟

وجرت الحيرة لتتوارى، والخجل لحق بها ببساطة كل المشاعر والأحاسيس اختفت من المشهد تاركة لغضبها الساحة، والرد جاء من حورية الجالسة والمشاهدة بلمعة عين غريبة:

-بالر طالب إيد مروة للجواز يا عصام.

والضحكة الساخرة رفعت رايات الحرب، استقامت مروة واقفة تناظره بصرامة تستمع لحذلقتة:

-أنا قلت الواد ده مش طبيعي.. آدي أخرة الضرب على الدماغ في الماتشات بتاعتكم دي.

وصاحب كلماته الساخرة ضرباتها:

-وليه ما تقولش إن بالر قادر يشوف اللي غيره مش شايفه!

بضحكة ساخرة أردف:

-آآآه خياله واسع.

وأكمل ضاحكاً:

- ده كفاية اسمه اللي لا محصل باهر ولا باسل.. وياترى بقى
حتعيشي هنا ولا في تركيا

- لسه مقررناش.

فاستقام وتراجع المزاح من لهجة عصام وحل الجد الأجواء:

- أنتِ بتتكلمي جد!!.. أنا فاكرك بتهزري.

- وجد الجد كمان..

والجواب بحاجب مرفوع وغيظ يتفاقم بداخلها، التفت لخالته
الجالسة يعاتبها:

- ايه يا خالتو!.. مش سامعك يعني؟.. عاجبك اللي بتقوله بنتك
ده؟.. جواز ايه وبتاع ايه من أبو نص اسم ده!

والرد من مروة قاصم:

- القرار قرارى أنا وبس يا أستاذ وأنا بافكر جدياً...

قاطعها عصام بجدية:

-بتفكري جدياً إنك تبوظي حياتك زي الاتنين التانيين مش
كده!

خبط كفيه بقوة حانقاً وأكمل:

-أنا مش فاهم أنتوا مالكم؟.. بنات العيلة دي زي ما يكون
موصوف لهم الفشل والاختيارات الغلط.. بس أنتِ واضح أنك
حتأخدي المركز الأول فيهم.. برافو.

والاستفزاز لعبة عصام المفضلة:

-وأنت مالك ها؟!.. دي حياتي وقراري وأنا حرة فيه.

-مافيش حاجة اسمها حرة وانسي حوار تركيا واللي جاي من
ناحيتها ده خالص.. أنتِ فاهمة!

-بصفتك ايه؟..

والسؤال كان الغرض منه الإحراج والتحجيم، ليجيبها بنفس
الاستفزاز:

-بنت خالتي.. وأختي الصغيرة.

والغضب تفاقم ومرارة الحنق تعالت، ضمت قبضتها حتى
ابيضت مفاصلها ترغب في لكمه أو ضربه.. ربما تكسير دماغه،
لذا آثرت السلامة فاستدارت تغادر المطبخ لتقف فجأة وتعود
أدراجها تقف أمامه وما لفظ منها كلمتها الأخيرة:

- على فكرة بالر مش بنص اسم.. بالر معناه الرجل المصنوع من
الشهد.

و اللهجة والنظرة والبة بآخر صوتها اتسعت لها عيناه وأرسلت
الدم لعقله بان دفاع غاضب!

وبعد دقائق من مغادرتها والصمت المخيم على أجواء المطبخ
انتبه ليجد خالته تراقبه ببطء مما جعله يزفر بغضب:

- عاجبك اللي بنتك قالتة ده!

- أنت عايزايه؟

ولم يفهم رغم بساطة السؤال:

- ها..

وأمام الحيرة في عينيه أوضحت:

- كنت جاي عايز ايه من المطبخ؟

- عايز أشرب.

والرد توجه ملك الاستفزاز.

"الغبي المستفز، ماله هو ومالي"!!

أليست الشاويش عطية!.. من سقط اسمها سهوا من سجل الذكور ولم يجد مأوى إلا بسجل الإناث!.. أليست هي من ينقصها شارب!.. لم العجب والسخرية من عرض زواج بالر لها؟.. وصمت أمها بوجهها المصمت!

وإن كانت بأولى دقائقها بالغرفة التي أسرعت إليها بعد أن تركت عصام وأمها بالمطبخ كانت دقائق شهية تنازع فيها الغضب والفخر بغضبه، ومع مرور الدقائق راحت السكره وجاءت الفكرة.. فأين التهليل والتباريك ومحاولات الإقناع المعتادة من حورية، والاختيارات الخاطئة!!.. أيكون بالر اختيار خاطئ أو ربما هروب!

أسرعت لهاتفها تنقر أزراره وبعد رنين متواصل دون جواب أعادت الاتصال فهي بحالة لا تتحمل التجاهل الآن.. مرة تلو الأخرى حتى ردت الصاخبة بخفوت:

- مروة أنا في اجتماع ولازم أرجع أكلّمك لما أخلص.

- أنا محتاجالك.

والكلمة بالنبرة جعلت ديما تنطق بتلقائية:

- يتحرق الاجتماع على البروفيسور شخصياً.. استني.

ثواني انقضت لتسمع صوت ديما يسألها:

- مالك إحكيلي في ايه!

- أنتِ فين!.. صوتك غريب.

- في الحمام.. إحكي.

وبدأت تروي كل ما حدث دون ترتيب أو تحريف.. احتاجتها لتحلل وتفسر وتلضم الأحداث فربما تفهم وتفهمها وحين انتهت سألتها ديما:

- أنتِ بتحبينه؟

- بالرّ أنا...

قاطعتها ديما بحزم:

- مروة أنتِ بتحبي عصام؟

والصمت كان خير جواب

انتهت أخيراً من يوم عمل طويل آخر، وما الجديد!.. فحياتها
نهاراً عمل وليلاً لهو صاخب.. واليوم هي لا تستطيع أن تواصل
اللهو، سترتاح بالمنزل وربما حتى تنام مبكراً، فالإجهاد والأرق
منذ ليالي طويلة فقدت عدها تكالب عليها اليوم..

تنهيدة أخيرة زفرتها بقرار، لن تنتظر البروفة النهائية للجريدة..
ستتركهم يnehون كل شئ بتعليماتها المباشرة وإلا فما فائدتهم!..
ستغادر لترتاح، وكأنما يعاندها القدر طرقات على باب مكتبها
وصوتها أمر بالدخول:

-آنسة مهرة في واحد بره بيقول معرفة حضرتك وعائزك ضروري.

فكرت في الرفض ولثانية فقط كانت ستفعل لكنها عادت تسألها بفضول فطري:

-مين؟

-واحد اسمه سيد شربيني.

انتبهت كل حواس مهرة وابتعلت ريقها وهي بين أن تصرفه وتستقبله، وبالنهاية فاز فضولها الصحفي باكتساح لتمتم لها:

-دخليه.. وما حدش يدخل علينا.

ودخل سيد.. رجل أربعيني قديم الهيئة والشكل والاسم وحتى النظرة:

-مساء الخير يا هانم.

-أهلا.. خير يا سيد؟.. مش قولت ما تجليش المكتب.. عايز توصلني حاجة يبقي عن طريق الموبايل!

- لا مؤاخذة سعادتك.. ما تأخذنيش بس اللي عندي مهم وما
ينفعش في تليفونات.

مطت شفيتها.. فبعد شهر فقدت الأمل تماماً في الوصول
لمعلومات سوى ما هو معلوم للجميع، رفعت حاجبيها إليه تحته
ليتكلم:

- حضرتك خالد الملاح ده ليه شغل مشبوه، وناس مشغلهم تحت
إيده زي العصابة كده بيعملوا له الأعمال اللي مش ولا بد لا
مؤاخذة، وبعدين طلع في حاجة بينه وبين واحد اسمه مرتضى
عبد الهادي.

والمعلومات الفارغة تظهر من عنوانها ردت بفتور:

- ويطلع مين مرتضى ده كمان!

- ما هو ده حضرتك الخلاصة.. عم بنت خالة ميرا منصور اللي
حضرتك طالبة معلومات عنها.

- وأنا مالي وماله هو وبنت أخوه.

خبطت على مكتبها بحنق وغضب وقلة صبر بدت واضحة في لهجتها:

- يا سيد أنا طلبت منك أعرف أي حاجة تجمع الاتنين ميرا منصور وخالد الملاح سوا أو أي معلومات مشبوهة عن ميرا منصور تقوم تروح تشطح!

وبدأت تلملم حاجتها بغضب واضح فأسرع سيد يكمل كمن يسترضيها:

- يا هانم ما هو ده اللي بقولك عليه ماورهاش حركات مشبوهة كل اللي وراها نادي وقراية بتاع الناس الفنانين دول بتروحها في الصحراوي والشغل، لكن خالد الملاح مالهاش علاقة بيه خالص.

وحين زاد غضبها أيقن بضياح السبوبة المنتظرة من وراء مجهود الشهر لذا أردف في محاولة أخيرة:

- بس حضرتك أنا عرفت إنني مش لوحدي اللي بدور في الحوار ده!

وعاد الاهتمام ومع بصيص عودته عاد الحماس للأربعيني:

- شوفي كده.

وأعطاها هاتفه بصورة للشخص الذي يبحث مثلها وراء ميلا
وخالد، وشهقة المفاجأة صاحبت الاسم الذي نطقته بدهشة
ومخبرها نطقه بتساؤل:

- ليث شوقي!!

- أنا عسيت وراه وطلع ظابط قديم ومش سهل.. يقولوا ما
بيظهرش إلا لما تبقى حاجة كبيرة فمشيت وراه أتابعه.

والدهشة تحولت لفرع وعينيها اتسعتا:

- بتقول إيه!!.. راقبته؟.. مين قالك تنيل كده!

اسرع يطمئنها:

- يا هانم ما تقلقيش.. محسوبك في الشغلانة دي من زمن، ولا
حس بيا حتى ولا عرف..

تصدقي يا به!.. ده جه وقف معايا وسألني كام سؤال فاكر نفسه
 حيطلع مني بحاجة كان بيسأل عن عربية!
 عقدت حاجبها مندهشة مستفسرة وقلقها يتعاضم:

- عربية ايه؟

خبط الرجل كفيه ببعضهما:

- ما هو أنا ما قولتلكيش.. مش مدياني فرصة!.. خالد الملاح
 مراقب مراته القديمة كل يوم يا هو يا حد من رجالته بيرابضوا
 تحت البيت، وبعد ما روجت المرور وحبايبي جابولي الاسم
 بتاع العربية ووقفت كام يوم أراقب الدنيا فيها إيه لقيت سي ليث
 ده قال جاي وبيسألني مش عارف أني متابعه هو كمان.

وارتسم الفخر بعينه والزهو بقدراته أمام عينيها المتشككة:

- أنت متأكد إنه ما شافكش وما حسش بيك!

- ياهانم يوضع سره في أضعف خلقه.. اللي زينا دائماً ما
 بيتشافوش.

عادت تجلس في مقعدها باسترخاء تفكر وحين تنحنح يذكرها
بوجوده همست دون تركيز:

- متشكرة يا سيد روح الحسابات، حاكلهم دلوقتي حتلاقي اللي
اتفقنا عليه مستنيك.

- المهم تكوني راضية عني!

صرفته بيدها واليد الأخرى تنقر فوق هاتفها تصوغ بكلماتها ما
وصل لها له، هو المطالب المذكور بنصيبها من الجرم.. فمهمتها
المعلومات وأتمتها ولترك له هو التخطيط والتنفيذ تلك المرة
ولتنتظر، فيبدو أن ما أطالت انتظاره سيسقط أخيراً بين يديها!

لا يمكن نكران الدفء حين يكون بصحبتهم حتى وإن كان
منقوصاً، فبعد أن أصرت حورية على أن يتناولوا العشاء معهم
وحتى حماته تواجدت ورغم تغيب هشام والخالة أحلام ويارا
المتعلقة إلا أن الدفء مازال موجوداً حتى وعصام يبدو متباعداً

لا يرغب في الحديث معه وحتى رغم أنه يبدو واضحاً للأعمى
أن هناك ما يسوء بالأجواء

فهي تشع فرحة وهي تتباهي بحداثتها ذي الماركة العالمية
الجديد هدية زيد..

التقارب جعله يراقب بنهم تلقائيتها، عفويتها، وإكماله لبقية
جملها يثير به ما لا يفهم رغم معرفته برابطتهم الأخوية إلا أن
اهتمامها الموجه له وحده يثير حنقاً بداخله لا يستسيغه.. ورنين
هاتفه قطع تأمله لهم ليجد رقم باسل.

استأذن ليرد على هاتفه بعيداً عن أسماعهم على الشرفة المفتوحة
وما إن انفتح الخط حتى وصله الصخب وأصوات الموسيقى
العالية، لينعقد حاجبيه:

- باسل أنت فين!!

والضحكات العالية الناعمة وصوت باسل يسأله بعث:

- أنت اللي فين؟.. الناس بتسأل عليك ونفسهم يشوفوك.. ما
تيجي شوية، تعالى نرجع أيام زمان.

ازداد انعقاد حاجبي إِياد مجيباً:

- أنت عارف أنا فين!!.. أنا مع مراتي في زيارة عائلية، أنت اللي بتعمل ايه عندك؟

- إيه!.. أصحابي ووحشوني ما أشوفهمش يعني!

- من إمتي؟

زفر باسل مجيباً بسخرية:

- من زمان.

صوت ضحكاتها المختلطة بضحكات زيد المتعالية جعلته يدمدم:

- باسل قوم فوق وروح البيت.. آه بالمناسبة ابقى كلم خطيبتك تعبانة.

"لا يا زيد.. لا بقولك"

والهتاف الصارخ بمرح جعله يقفل هاتفه مسرعاً معيداً تحذيره:

- روح يا باسل.. روح.

عاد للداخل ليجد ميلا تقفز تحاول الوصول لزيد بطوله لتنتزع منه هاتفه على ما يبدو فوقف وعقد حاجبيه دون تفسير لسمع كلام حماته العزيزة السيدة أمال ناهرة ابنتها:

- بس بقى يا ميلا ما يصحش كده.. اقعدى ما بقتيش صغيرة

لينعقد حاجبي ميلا بنزق وهي تنظر بنفس اتجاه نظرات أمها لترى إياد المراقب بصمت وتتحول ابتسامتها المرححة الطفولية لابتسامة بطيئة ومتشفية وهي تحدث زيد:

- زيدو هات بقى الموبايل علشان خاطري.

ليرفع زيد حاجبيه باندهاش ليس من طريقتها المكشوفة في استفزاز غيرة الصامت هناك ولكن لما تحتاج لذلك فجاراها:

- أنتِ تؤمريني.

وحين مدت يدها لتأخذ الهاتف أبعدته ثانية وهو يراقص حاجبيه بعبث:

- بس برضه مش حتمسحي الصور.. دول تاريخ.. تااريخ.

والنظرة المتوعدة منها تخبره ألا يتلاعب بها فقط جاريها
باللعب:

-زيد!

- ما تخافيش.. مش حاوريه صورك وأنتِ صغيرة وكلبوظة.

- ما تشجعهاش يا زيد لو سمحت..

والكلمة الباردة القارصة جعلته يلتفت ناحية خالته أمال وبابتسامة
هز رأسه:

-حاضر..

التفت للجميع بابتسامة هادئة:

- معلى اعذروني محتاج أدخل أرتاح شوية.

والتفت لميرا مكماً بحنو:

- ابقى طمني.

وبعد أن إعتذر من إياد خرج من المنزل وحين عقد إياد حاجبيه
بتساؤل وضحت ميرا:

- زيد بيحب يريح فوق في الرووف.. بيرتاح أكثر.

هز رأسه متفهماً وعاد يناظر الوجوه الصامته أمامه والحديث يدور بهدوء بارد.. ربما كان موجوداً من البداية والدفء لا يشع سوى من الجالسة جواره وسؤال واحد يناوره ماذا يحدث هنا؟! *

وحتى إن أجمع كل الصخب بالعالم سيظل الوحيد وحيداً، وستظل غربة نفسه بلا وطن، عاد ولم يعد، ماكث بينهم بجسده وروحه بعتمتها تبحث عن نور..

ماذا فعل بنفسه!.. لم أتى؟!..!

إن كان رغبة بهروب فلماذا هرب عقله لداخله غائباً عن حوله؟!.. لا يعلم لمَ حدث إياد!.. ربما رغبة في زجر أو إفاقة، ولمَ كانت كلماته موجعة!.. ربما لأنها تخبره أن لا منزل له.. لا أحد ينتظره.. والأخرى مريضة، ابتعد عن الصخب سيحادثها للاطمئنان:

- إياد قال لي إنك تعبانة؟

- لا.. بس مرهقة شوية بس.
- اممم.. ألف سلامة، من ايه؟
- وتنهيدة طويلة جعلته يضيق عينيه، أتلك التنهيدة تلقائية نفس!!..
- أم إغراء متقن وردھا:
- دماغي مشغولة شوية مش أكثر.
- ونصف ابتسامة ساخرة:
- وياترى ايه اللي شاغلك؟.. ولا في حاجة ناقصاكي محتاجاها
- ومكسوفة تقولي.
- لا مافيش الحمد لله.
- يمكن نفسك في حاجة ومش طايلها!
- حاجة؟.. حاجة ايه؟.. أنا زيد وهشام مش مخليني نفسي في
- حاجة.
- مش كل حاجة الأخوات بيقدروا يوفروها.. ساعات الحبيب أو
- الصديق هو اللي يقدر!

- أنت بتقول ايه يا باسل؟

لهجتها المستنكرة الشبه غاضبة دوماً تجعله يتراجع، كلما حاول التيقن تارة بالتقرب وتارة بالاستجواب وأخرى بالاستفزاز وكل مرة نفس التعبير المستنكر الشبه غاضب دون غضب حقيقي ملموس وتتركه محاولاته في شك أكبر:

- ولا حاجة.. بس أصلي مش مركز بس.

- سلامتك.. طب ارتاح.

- ياريت، النوم مخلصمني.. ماتعرفيش طريقة تريحني!

وعاد من جديد لمحاولاته وردها كان غريب:

- اممم.. جرب تاخد شاور وتنام قدام الموفي المفضل بتاعك، أو إلب رياضية لحد ما تتعب والنوم حيجري وراك.. أو حتى إشرب فنجان قهوة مضبوط.

عقد حاجبيه:

- فنجان قهوة قبل النوم؟

- دي طريقة هشام المفضلة لما يبقى مش جايله نوم.

- طيب سلام دلوقتي.

- مع السلامة

ومع إغلاق الخط عاد هو لشكه المتعاضم وحاول الانغماس بالأصوات العالية والنغمات فربما يستطيع الصخب أن يعلو على صخب الأفكار.

تكره هي المناسبات الاجتماعية وحين تتعلق بعملها يزداد مقتها لها.. فرغم أنها استطاعت محادثة مروة والاعتذار عن عدم حضور الاجتماع المرحب بالبروفيسور الايطالي للنهاية إلا أن هذا الاعتذار كلفها فرصتها بالتملص من الاحتفال به في إحدى البواخر النيلية الشهيرة.. وطاولة مخصصة للبروفيسور وأعضاء الفريق الذي سيعمل معه الفترة القادمة..

وهي تجلس بتململ، أكثر ما تكره تلك الابتسامة البلاستيكية التي يتوجب عليها الحفاظ عليها باستمرار أو شكت له عضلات

وجهها على الاعتراض.. وكالعادة الهروب هو الحل، استئذان منمق مرتب وهروب سريع نحو بوابة الخروج وبطريقها للخروج من الباخرة لمحته.. باسل بهيئته المميزة وتابعته بفضولها المعتاد، تتابعه وهو يتحدث وتعاقب السخرية والغضب والحنق وأكثر ما أوجعها نظرة قلة الحيلة على وجهه..

مع من يتحدث!!.. وغضبها واشمئزازها منه تعالى بسرعة فاقت سرعة تعاطفها معه وهو يتجه ناحية كازينو وبار تتعالى منه الأصوات الصاخبة جعلها تعقد حاجبيها، تتجه ناحيته وتدخل من الباب لتراه يجلس بين مجموعة أشخاص لا تمت للاحترام بصلة!

هو مريب ولتحل عليها اللعنات لو لم تحذر الغافلة بمنزلها، فهي لن تحتمل خيبة أمل جديدة.. فكرت الاتصال بمروة وإخبارها بما رأت لكن صديقتها غارقة في حيرتها دومًا.. القط والفأر، عصام ومروة، دافعها الأول لتعلم رياضات الدفاع عن النفس كان أن تدافع عن نفسها ضد سخافات وإذ كانت لم تتعد اللفظ.. وحين زاد في سخريته زادت في تفوقها واستماتتها.. لم تظن

يوما بصديقتها، تحمل أي مشاعر تجاه عصام غير الأخوة.. ربما
هي الأخوة متأثرة بجرح أنوثتها منه دومًا!!

العقل يقول الاختيار السليم بالر، فنظراته العاشقة لها لا تخفى
حتى على الأعمى.. لا فهي تظن حتى لو هشام رآه لن يفهم،
لن يشعر.. فلو كان يرى لرآها وشعر بها منذ زمن..

أفاقت من فوضى افكارها على نفير سيارة أجرة يحذرنا من أنها
تعب الطريق دون وعي.. لتزفر وتوقف أول سيارة أجرة قافزة فيها
ولم تستطع أن تكبح خيالها:

ماذا لو يوما ما شعر بها هشام!؟

لا تعلم لم العودة لا تحمل لها نفس السعادة أو الراحة التي
تكنها لبيتها القديم!؟.. الفارق واضح.. حتى وقت الخصام،
لكن أن تشعر بانحسار السعادة بين جنبات روحها وتصدر القلق
والتوتر واعتلائهم وجهها كلما اقتربت من منزلها الجديد أو
الحالي أيًا كان المسمى أو ما تفضله هو "بيت الحديدي"

تنهيدة تستلهم منها قليلاً من الصبر وقوة الاحتمال حينما عبروا من بوابة الفيلا وارتعاشة واضحة والطفلة الصغيرة داخلها تناديها بالتمرد، وربما افتعال مشكلة ولتعود لكنف محبيها، قدماها تأبى وعقلها يرفض أن ترفع الرايات.. فليست هي من ستسحب أولاً..

دخلت للبهو الأنيق لتجد مصدر التنغيص بحياتها يجلس بالصدارة، فمنذ يوم المواجهة بينه وبين إياد أصبح عبد العزيز يختار أوقات نفثه في وجهها بدقة وعناية.. لولا باقي تعقل لظنت أنه يخشى مواجهة ابنه، تنهدت بصوت عالي وهي تتوجه لدرجات السلم وإياد مشغول طوال طريق العودة بمكالمة عمل مهمة، مكالمة عبر القارات، اعتذر منها بعينه وأشار بتحيةة مقتضبة وسريعة لأبيه واتجه للمكتب لينهي محادثته وترك الاثنان وحدهما في مواجهة أحدهما الآخر، ميرا تجاهلت حتى وجوده ملقيه بتحيةة:

- مساء الخير.

واستمرت قدماها باتجاه السلم الداخلي وما كادت ترتقى أولى درجاته حتى جاءها صوته:

- واضح إنه مساء مثمر جدا ليك.. امممم، شانيل وجوتشى وإيف سان لوران!

واكتست لهجته بسخرية واضحة وبنظرات مستعلية أكمل:

- واضح إنك ما بتضيعيش وقتك، بس للأسف من إمتى الفلوس ولا الماركات بتعمل هانم!.. الهانم بأصلها وأخلاقها وسمعتها وعيلتها.. ودول ما بيتباعوش في باريس أو ميلان.

انقبضت قبضتها بقوة على الأكياس، كانت تفكر بشتى الألفاظ والكلمات التي يستحقها شخص بدنو تفكيره وانطلق لسانها:

- أنت عارف أنت اااا.....

- مساء الخير عليكم.

قاطعهم صوت فتح باب الفيلا ودخول حماتها السيدة منيرة وخالتها أحلام التي لم تكد تقع أعينها عليها حتى فتحت لها

ذراعيها تطالبها بالهرب لأحضانها، تعدها بالسند، بالقوة
والمؤازرة..

ولم ترفض ميرا العطية فقد أسرع لحضن خالتها شبيهة أمها
تحتضنها بقوة دون دموع أو نهات ضعيفة لا تليق بها.. فقط
دفع واحتواء وأحلام أعطتها ما تحتاج بلا حساب..

ترفع عينيها لمنيرة التي توجه نظرات لائمة لزوجها، ونظرات
حرجة لصديقتها التي أصرت على دخولها لشرب فنجان من
القهوة قبل أن ترحل لمنزلها، ليتها لم تصر عليها تخشى أن تكون
سمعت كلماته ضد كنتها وبدلوماسية ابتسمت أحلام ابتسامه لم
تصل لعينيها:

- معلى بقال لي كثير ما شوفتهاش وكانت وحشاني قوي..

تربيتة من كف أحلام على كتف ميرا تشد بها من أزرها، تخبرها
بوجودها وحين رفعت ميرا عيونها من حضن أحلام ولمعان
دموع حبستها بإرادة فولاذية وعيني خالتها تتوعدها بعقاب إن
تركتها تفلت منها أو تريهم ضعفها:

- شكلك لسه جاية من برا.. اطلعي ارتاحي يا حبيبتى أنا حاخذ قهوتي وأمشي على طول.. اطلعي أنتِ..

هزت ميرا رأسها وتهادت بخطوات بطيئة تلملم الأكياس التي ألقته وهي في طريقها لحضن خالتها.. ألقّت تحية المساء على حماتها وتحركت للأعلى وصوت خالتها يصدح بنفس علو صوت عبد العزيز من خلفها:

- آه ميرا.. ما تنسيش تطمني زيد أخوكِ على مقاسات الهدوم، لأحسن كان قلقان ليطلعوا غلط.. بس الجزم هو متأكد منهم..

وأنهت كلامها بابتسامة قوية مشجعة وإيماءة رأس من ميرا بابتسامة وكلمات حملت نبرة الافتخار:

- زيد عمره ما جابلي حاجة ومطلعتش مضبوطة.. ما تقلقيش يا روكا.

غمزتها روكا بغمزة خفية وأدارت رأسها ترفع حاجبها وتتوجه ببطء مدروس باتجاه عبد العزيز، جلست جواره بتأن وهي تبتسم:

- ايه يا منيرة فين القهوة!.. أنا كده حاتأخر قوي.

- ثواني يا روكا.. حاوصى البنات عليها.

ومع خطوات صديقتها المتباعدة رفعت رأسها لعبد العزيز اللامبالي بوجودها، لا يهمه سمعت أم لا.. فهو رجل بمهمة استرداد حق مسلوب منه، ولا تهمة العواقب.. وحين وجهت له الحديث لم يصدق ما سمعه منها:

- آسفة على الازعاج يا عبد العزيز بيه.. بس أصل منيرة عزمتمني على فنجان قهوة عندكم.. لازم أشربها قبل ما أنام.

جاراها بحديثها:

- غريبة!.. وما بتسبلكيش أرق؟

ابتسمت ابتسامة باردة:

- إطلاقاً.. دي عادة من أيام جدي الله يرحمه، ومن بعده والده وأنا اللي ورثت العادة دي منه أو اتشربتها منه بالأصح مع حكاياته عن جدنا الكبير ونضاله ضد الفرنسيين واللي خلاه يلجأ لاسكندرية ويزرع جدوره من جديد، علم والدي إن

الفلوس مش كل حاجة، عمره ما قبل يطبع مجلة ولا اعلان خليع
 مهما كان حيكسبه فلوس.. جدي ما سابش فلوس.. ساب أثر،
 اسم مشينا في ضله لحد النهاردة.

صمت لثوان وظنها انتهت لكنها عادت لتكمل:

-والدي بقى كان تاجر بطبعه، يقدر يشوف الفرصة ويستغلها..
 عنيد، اهتمامه بالتجارة ما خلاهوش نسي أبداً يحافظ على
 مطبعة أبوه ويصرف عليها العزيز والغالي علشان تفضل مفتوحة..

عادت منيرة بالقهوة وهي تستمتع لباقي الحكاية فتقبلتها منها:

-تسلم إيدك..

وأكملت:

-يااااااه.. أحكي لكم ايه ولا ايه!.. ذكريات وتاريخ مادد لسابع
 جد.. أفتخر بكل شخص فيه، أصل يا منيرة في ناس تاريخها
 فلوس ولا ألقاب كانوا برضه بيشتروها زمان بالفلوس.. لكن إحنا
 تاريخنا وطنية وكفاح وشرف كثير ما يتشراش بمال قارون.

والرسالة وصلت، ونظرة عينيها حينما أنهت عبارتها كانت
الدليل.. فهي سمعت وردت وأجابت، بنظرها عبد العزيز
معذور.. أب يخشى على ولده الوحيد وعذره الوحيد جهله!
لم يعرفهم، لم يعرف من صاهر!.. ولذا وجب رفع العذر ومحو
الجهل، وحينها فقط يستحق العقاب حين الخطأ..
فهي لن تترك ابنتها فريسة سهلة مقيدة باحترام واجب وأصول
مفروضة.. فها هي عزلت أسلحة العجوز ولتري ما بجعبته.

ظلت تراقب ابتعاد إياد وميرا بسيارة زوجها ربما لجأت لذلك
لتبتعد عن آمال فهي لا ترغب في الانفراد بها وإلا ستديقها من
سياط لسانها ما لا يرضيها..

عيناها تصاحب ميرا وعقلها غارق بين يارا المتوترة بالفترة
الأخيرة رغم مواظبتها على العلاج، ابتسمت نصف ابتسامة
ساخرة أظنوا أنها لن تلاحظ المواعيد المحددة لخروجها

وعودتها براحة واسترخاء، تطور حالتها وتقاربها مع الناس
بسلاسة دون الخوف المعتاد..!

هي تعلم أنها تتعالج وتشك في ذاك الطبيب الذي أحضروه
العين السخنة لا تتذكر اسمه عز، عزيز، أو ربما معز المهم أنه
هو....

كانت معترضة قديماً لكن مع ما تراه من تطور صمت وتركتهم
يصلحون ما أفسدته هي وأخوتها؛ آمال العنيدة ذات الرأس
الصلد وكلماتها الحادة أخرجت زيد وأثارت دهشة زوج ابنتها
ولا تحادث يارا إلا لماماً وتنتظر اعتذاراً لن تحصل عليه،
والأخرى مروة ابنتها الصبانية تأتي بعريس يحمل في طياته
الابتعاد لبلد أخرى ويفرق بينهما بحار.. كيف ستتركها تبتعد؟!
كيف تفرح؟!!

كانت تخشى تقاربه منها لذلك السبب بالذات وتحققت مخاوفها
كانت تتمنى أحد أولاد أختها زوجاً لها؛ لتضمن وجودها في
محيطها لكن الواقع يقول زيد رحال لا يتحمل القيود، تمت
هشام أو عصام وحين وجدت هشام يأخذ مروة تحت جناحيه

كفتاته المدللة الصغيرة، علقت أمالها على عصام الذي يثبت لها كل يوم عن الآخر أن الغباء صفة متأصلة بالرجال.. الأحمق سيتركها تبتعد

تنهيدة أخرى ليجذب نظرها سيارة تعرفها جيداً سيارة... باسل أسرع تخرج من المنزل وتنزل لتري ووجدته هو باسل نائم على مقود سيارته وحين رفع رأسه لها انخلع قلبها.. اليتيم الكبير الذي دخل قلبها منذ رأته محمول على أكتاف الأولاد وجرح نافذ في جبينه كلما قضت معه الوقت دخل قلبها؛ طفل كبير متعطش لأم وهي دوماً كانت تتمنى ولد سند تصبغ عليه ما لديها من حنان..

ربت على كتفه برفق تناديه بقلق:

- باسل مالك يا ابني ايه اللي مقعدك هنا؟

ومع لمستها وهمستها أفاق والتعجب والحيرة بعينه، منذ ترك أصدقاءه وهو هائم دون مرساة؛ فكلما تمادى بمحاولة الاندماج

شعر بالاختناق.. شعر بنفسه يغرق أكثر في وحدته دون مغيث
فأسرع بالمغادرة.

كيف وصل لمتزلهم هم بالذات وأمامه الخالة حورية تلك المرأة
الممزوجة بالحنان والراحة تلثم أمام عينيها التي تتفحصه بقلق
أم:

-أصل أصل إياد كان قالي يارا تعبانة قولت اعدي اسأل عليها
ولما وصلت حسيت الوقت متأخر وضهري شد عليا شوية قلت
اريح وبعدين اروح واجي بكره.. أنا آسف أنا آسف

ارتعاشة حدقتيه واحمرار عينيه ورعشة لاحظتها بيده جعلها تميل
تنزع مفتاح سيارته مرددة بحزم أم تعاقب:

-انزل ما فيش مرواح الوقت اتأخر وشكلك تعبان انزل حبات
عندنا

ارتفع حاجباه وهي تفتح باب سيارته وتشدده من يده وهو
مندهب مستسلم لها فقط لسانه أبدى اعتراض:

-بس ازاي مش حينفع

رددت بحزم وهي تتأكد من غلق سيارته:

- ما تقلقش في أوضتين وليفينج متجهز فوق في الرووف حتام
فوق مع عصام مش أنتوا أصحاب

هز رأسه بتأكيد ولسانه معقود واكتسحته بحنان أم هو في أشد
الحاجة إليه

تراقب شاشة هاتفها وتنبأها بتعدى الوقت منتصف الليل بكثير
كثير جداً وهشام كالعادة مخفي وهي تنتظره وضعت هاتفها
بجيب فستانها المنزلي، اليوم لن تنام دون أن تراه أسبوع كامل
لم تر منه سوى لمحات فقط، لمحات لا تغني.. حتى اتصاله
الصباحي بها بعد ذهابه للمكتب انقطع تماماً.. صارت الهواية
ملل وجلسات العلاج ضيق واختناق حتى معتر أخبرها أنها نزقة
هذا الأسبوع رغم وجود زيد ومؤازرة عصام إلا إنه ترك فراغاً لا
يملئ..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

هي تفتقد بعضها زمت شفيتها وهي تفرك كفيها ببعضهما البعض هو ابتعد والآخر اقترب.. باسل يواظب على اتصاله بها صحيح اتصالاته غير مفهومة، تارة عادية وبسيطة وأخرى تشعرها بالتوتر.. بالقلق، نزع أحياناً، غامض كثيراً... ومتوتر دائماً

وجوده أصبح يوترها وكلمة خالتها حورية الدائمة ده غلبان تحمل ضميرها ذنب لا تتحمل وطأته، ومروة كلما حاولت محادثتها تخبرها دومًا أعطيه فرصة لم يبدو منه ما يسوء؛ لكن بداخلها شيء رافض قلق حذر معه لذا هي تحتاج من سيفهمها، من سيشعر بها دون الحاجة لكلمات وحروف منمقة..

لن تلقي بالأنا بنصيحة معتر المتحدقة أنها لن تشعر بخطيبتها دون أخذ الإذن من هشام هي لا تحتاج لإذن هي تحتاج للاطمئنان لبوصلتها الآمنة..

ما أن رأت سيارته تدخل الجراج لم تصدق نفسها دقائق قلبها تتعالى وابتسامة ارتسمت على وجهها وانتظرته....

يوم آخر.. عمل مجهد رغم بشارة الأمل اليوم بخبر تحسن حالة زيد إلا إنه مازال يشعر كأنما يحمل على أكتافه حملاً ثقيلاً،

رأته عام

شغيب وريح

يتحرك بحكم العادة يغلق المأرب ويصعد درجات السلم والباب متوجهاً لغرفته مباشرة، لا يرغب برؤية أحد أو حتى الحديث حتى أتاه صوتها:

- هشام.. حمد لله على السلامة

يرى خيالها بباب الشرفة المفتوح قابعة في الظلام

- مساء الخير

- أنا كنت مستنياك

أغمض عينيه لا يستسيغ الكلام معها وهو يخفي عنها سراً فهي دوماً وأبداً الأقرب إليه

لا يستطيع النظر إليها دون أن يداعبها كما تعود..

هو يعلم أنها مجرد عادات، ولن يكسرهما سوى عادات جديدة، فما كان يصح سابقاً عاد لا يصح الآن

- خير؟

نطقها بصوت مختنق

- محتاجة اتكلم معاك

ومن الكلمة الأولى نسي قراره بحتمية الابتعاد ووضع الحدود
والحواجز وأولاها كل اهتمامه..

أسرع إليها يقف أمامها يسألها بقلق:

- خير في ايه؟ حد ضايقتك؟ حاجة زعلتك؟ سمعت حاجة
ضايقتك؟!

هزت رأسها وداخلها ينتشر بداخله ببطء دفء يذيب الصقيع
المتنامي حولها منذ فترة سمعته يردف بقلق:

- باسل عملك حاجة ضايقتك؟

وصمتت وفي الصمت ثارت زوابع قلقه وقبل أن يتحدث
همست:

- أنا حاسة أنني تايهة ولوحدي مش مرتاحة

- فهميني بس حصلك ايه ما تقلقنيش عليك

لم تكن تحتاج سوى هذا خوفه وقلقه واهتمامه

لذا ارتمت بأحضانته تحتاجه، تحتاج دفئه وراحته المطمئنة، حين
اكتنفها بين أحضانها لم تصدق حين شدد من احتضانها لها، لم
يبعدا، لم يلفظها كارهاً أو متباعداً ببرود، حين أطالت بحضنه
لم تطلق سوى تنهيدة ارتياح حينها فقط تلاشت الأسئلة
والمخاوف، يداه تنغمس بخصلتها الناعمة برفق افتقدته:

- أنت ليه بتبعد؟

ابتلع ريقه وهمس، لم يعرف كيف نطقها ولم يشعر بلسانه يتحرك
دون إرادة منه عقله ينبئه بضرورة الابتعاد يدق ناقوس الخطر
ولسانه وجسده بوادٍ آخر:

- علشان مش قادر أقرب

- بس أنا كل أما أقرب أنت بتبعد!

وصمت ماذا يخبرها أنه افتقدتها افتقد حديثها الصباحي معه،
افتقد وجودها أمامه على طاولة الطعام، اتصالاتها القلقة حين
يتأخر، أم جلساتها الضاحكة بالشرفة!!

وأمام صمته ناشدته خوفاً من ابتعاد جديد:

- أنا محتجالك قوي.. قوي ما تسبنيش لوحدي

وعيناها تتوسله تناجيه

واقترب حتى تلامست الأنفاس ..

اقترب حتى وإن كان بالاقتراب هلاك

اقترب دون أن يملك إرادة الابتعاد

وكما اقترب وما إن دخلت أنفاسها بصدرة بتلك النكهة المسكرة

حتى فزع من نظرة عينيها الذاهلة أمامه.. لم يقبلها هو كاد أن...

ابتعدت مرتعشة مذهولة مرتجفة أنفاسها تعلو بصدورها بعنف

وقسوة تشعر...

لا.. هي لا تشعر.. هي ليست موجودة.. وهذا مجرد كابوس..

كابوس ستفيق منه..

أغمضت عينيها.. ستفيق.. هشام سيقبلها

ستستيقظ.. هشام يشتهي منها قبة..

أخوها سيقبلها وهو يناديها صوته ما زال مرفأً أمان عادت تفتح
عينها تسيطر على ارتجافها:

- هشام! ... أنت!!.. أزاااي!.. ازاي!!!.. أنت أخويا.. أنت...!

والنظرة اتهام والنبرة حكم بالإعدام والرجفة اعتصار روح لا
نجاة منه ومن تسحب منه الحياة له الحق بالدفاع:

- إحنا مش إخوات يا يارا... مش إخوات

ودوماً كان للتبرير حدود لكن أن يتجاوز حقائق الحياة!.. ينفي
أخوة سنين من أجل شهوة لحظة!!.. ألا يعلم كم تعني لها
أخوته؟!.. وجوده لجانبها طوال سنوات عمرها؟!..!

- بس اسكت.. اسكت.. ما تنطقش.. بطل كذب.. أنت
بتكذب.. أنت..

ومع شراسة كلماتها:

- يارا.. افهمي.. اسمعي.. احنا مش اخوات.. ده سر إن روكا
عايزة تمشي، وزيد بقى بيبات فوق هو وعصام.. وأحلام

وخالتك حورية وزعلها مع أمك وأمي.. افهمي أنا... أنا!!!.. مش
 عارف.. أنا ما كانش ينفع اقرب منك.. مش أختي افهمي
 تفهم! هل ما يقوله يُفهم.. أم تسمع؟.. تسمع ماذا؟!.. ماذا
 بعد؟..

ألا يكفيه دمار ماضيها بأكملها..

أسرعت للداخل تصرخ بعلو صوتها وبكاء منهمر:

-لا.. لا.. اسكت مش عايزة اسمع.. اسكت

وأسرعت وهي تجري تلقفتها خالتها آمال:

-في ايه مالك؟!.. في ايه؟..

هي ترتجف وتصرخ والأخرى تعلو بصراخها المندهبش ترغب
 بالسيطرة عليها ولم تستطع سوى أن تستنجد بابنها تسأله:

-مالها فيها ايه؟.. فهمني..

والاجابة جاءت باكية مترجبة:

-احنا مش اخوات يا خالتو؟.. أنا وهشام مش اخوات؟

- وفيها ايه؟.. اخوات ولا مش اخوات!.. بتعيطي كده ليه؟..
تفرق في ايه يعني؟.. ما تجمدي شوية كل شوية مناحة شكل.

- ماما!!

وصرخته الزاعقة بدهشة وغضب جعلتها تشعر بأنها غريبة بين
أناس لا تعرفهم هو ليس بهشام ملاكها الحارس، وهي ليست
بأمها الثانية.. هي ليست ببيتها..

وصاحب تقهقر خطواتها هروب

وأسرع هو خلفها لتعرضه أمه:

- رايح فين؟.. تعال هنا فهمني.. في ايه؟.. قولتها ليه؟.. مش
حتنزل إلا لما افهم

وهو يناظرها بغضب مخلوط بذنب وتأنيب ضمير ولم يلفظ
سوى:

- واضح إن ما ورثتش منك إلا القسوة والأنانية يا آمال

لتتهالك يدها من حوله بحزن وصوت خالته حورية المتسائلة
بفزع:

رايك عالم

شغيط ورنج

- في ايه؟! .. ايه اللي بيحصل!؟!

ولم ينتظر هشام فقط هرع للخارج وراء الهاربة

تعدو بكل طاقتها بالشارع لا ترى إلى أين تذهب أو إلى أين
ستهيم بها خطواتها..

هي ترغب في الابتعاد عن محيطهم.. عنهم جميعاً.. هي فقط
تهرب..

تهرب من أخ ليس بأخ.. ومن أم ذقت منها قسوة واشمئزاز من
ضعفها..

تصرخ من أهل خدعوها جميعاً دون استثناء وغربة روح دون بر
أمان،

قبلها أخوها!.. قبلها!!

لا.. هو ليس بأخيها.. كيف!؟!

إن ضاع هو فإلى من تستند؟.. إلى من تلجأ؟!..!

رأيتك عالم

شغيف وورث

إن كانوا هم صخرتها الرابضة بأمواج خوفها فتلاشوا.. وهو
بوصلة أمانها من مهد دربها للحياة دمرها بقبلة.. اشتها..
ظلت تعدو وتعدو بأقصى ما بها من قوة فكابوسها يتجسد
حرفياً..

السواد والفقْد والغربة والعدو نحو اللاهْدَف.. نحو اللاحياة..
والخوف يتربص بها.. والظلام يفتك بروحها ولم تتخيل بأشد
خيالاتها سوداوية أنها ستهرب منه هو..!

اختلط النحيب بالشهقات طلباً للهواء دون أن تلتفت لتلك
السيارة التي تقترب منها.. تقترب منها باصرار وصاحبها يترجل
يعدو تجاهها وهو لا يصدق مدى حسن طالعه الليلة..

فهي أخيراً وحدها بشارع دون شواهد أو قيود وستسقط بين يديه
داخل أحضانه كما ينبغي لها أن تكون..

الفصل العشرون

يقال أن بالحياة لحظات لا تنسى
 لحظة انتصار أو هزيمة نكراء
 وأخرى لا تحسب تمر مرور الكرام
 ومنها قد يكون الفارق بين الموت والحياة
 فبلحظة قد تتغير أقدار

وتلك كانت هي لحظته التي انتظرها منذ أعوام.. ثمانِ أعوام
 بالتمام والكمال لا يمر يوم منذ خرج من المشفى وانتهى تعافيه
 واختفت آثار غباء ابن خالتها من على وجهه وهو لا يبارح
 مراقبتها..

كلما رأى خوفها.. انتشى..

كلما رآها ترتعب من مجرد الخطو خارج المنزل.. اغتبط..

فهي مازالت له أسيرة..

مازالت ملك يمينه وإن انفصم عقد الامتلاك..

مازال يمتلك قبلتها الأولى..

مازال يمتلك لمستها الأولى..

مازال أستاذها بعالم الغرام..

لم تنهره ولم تعترض كانت تنفذ دون نقاش، وهو مفتقد لمتعة امتلاك روحها بين أصابعه يقولها كما شاء، لذا أسرع خلفها بسيارته يتابعها بنهم وحين تيقن ابتعادها بجنوح عن محيط أمانها ومنزلها ترك سيارته وترجل خلفها وبداخله تتصاعد نشوة الفوز وعقله يصرخ..

أخيراً.....

وكاد أن يلمسها، بل كاد أن يستشعر خصلاتها بين يديه.. فقط لمح لسيارة حمراء كبيرة تعبر الشارع بسرعة رهيبة باتجاههما.. كاد أن يصرخ منبهاً إياها لولا أنها أسرعت أكثر بعدوها وخاف

هو لتعرض السيارة طريقه واقفة أمامه وبغضب حاول تخطيها
حتى سمع من داخلها يناديه:

خالد الملاح!؟!

اسمه الذى دوى بصوت خشن أمر استرعى انتباهه

انحنى بجذعه يرى مناديه ليقابله شخص عريض البينة ضخمة
أسمر اللون يكشف عن اسنان بيضاء وابتسامة غير مريحة ولذا
وجب السؤال:

- أنت مين؟

- اركب.. لو عايز مصلحتك اركب

والقلق تصاعد..

"من هذا؟"

لم يره من قبل ولم يزر بيت عائلة الإدريسي لذا لم يهتم بيارا!!

يارا!!!

وقتها تصاعد غضب ناري

"أليارا دخل بالموضوع؟!"

وجملة خالد اللامبالية:

- ما يهمنيش ابعده عن طريقي

وبنفس اللحظة تخرج من سيارة كبيرة سوداء أربع رجال ضخام
يبدل سوداء

والضحك بداخل السيارة يخبره بلهجة ساخرة:

- لا حتيجي يا بمزاجك يا غصب عنك

وبحسبة صغيرة ونظرة للطريق الذي اختفت فيه الهاربة جز على
أسنانه وهو يفتح الباب ويستقل السيارة بجانب الضخم ليسأله:

- اديني ركبت.. و ممكن أعرف أنت مين وتعرفني مين؟"

- تسمع عن مقولة عدو عدوي صديقي؟

انعقد حاجبي خالد وبدأ الكلام يسترعى انتباهه والضخم يكمل:

- أعرفك بنفسي.. أشرف... وباقي الاسم ما يهملكش! المهم أن
مصلحتنا واحدة

وضغط دواسة وقود سيارته بقوة وخالد يهتف:

-بس عربيتي ؟

-رجالتي حيجيبوها ورانا

وارتست ابتسامة ظفر على وجه أشرف فأخيراً بين يديه المصدر
شخصياً الذي سيسلمه مفتاح الهزيمة الختامية في حربه مع ابن
الحديدي.

أجمل ما بالمدن البعيدة عن قلب العاصمة هو الهدوء والسماء
بنجومها المشعة متعة لكل متأمل وهي متعة تعشقها.. هي دوماً
على شاطئ البحر منذ الصغر برفقة أبيها ومنذ أتت للقاهرة
استبدلت الشاطئ بالشرفة وظلت السماء بنجومها كما هي متعتها
السرية لكن الليلة كانت غامضة مصممة الأنوار والقمر وحيد دون
نجوم تؤنسه كما عاشت هي حياتها وحيدة..

رائد صالح

شخيط ورنج

تركت عيناها شاردة بالقمر وملامح الحزن المرتسمة على وجهها
وعقلها يتذكر فتاتها الصغيرة ميرا، دموع عينيها المتحجرة جعلتها
تثور.. فلا عاش من يبكي صغيرتها الجميلة المتمردة..

كانت تتمنى يوماً أن تكتسب ابنتها يارا شيئاً من قوتها وصلابتها،
كانت تستنكر عنادها علناً وتؤازرها سراً فبشرقنا القوة في الأنثى
عيباً لا يغتفر

تنهدت بحرقة كم تمت لو تملكنت هي بعضاً من تلك القوة..
شعرت أنها اقتربت من منزلهم.. الليلة تأخرت كثيراً عن موعد
عودتها المعتاد..

لفت انتباهها صوت فرامل حادة وسباب عالي من سائقها الشاب
وحين استدارت تشاهد مصدر الصوت لمحت بطرف عيناها
سيارتين؛ حمراء وأخرى سوداء كبيرة يقطعان الطريق وحينها
انقبض قلبها بقوة شهقت لها.. استغفرت وتسارعت أنفاسها
مغممة

"خير اللهم أجعله خير"

أتاها صوت سائقها:

-وصلنا يا مدام

أسرعت تنقده أجرته وقلبها يرتجف وقبل أن تعبر الطريق لمحت
سيارة هشام تسرع من الجراج وانتفض قلبها ويقين اكتسحها
بخبر سيء قادم بالأجواء

"الله يسامحك يا أنصاف... كان لازم كرنب النهاردة!"

غمغمها حمدي_عين ليث على خالد الملاح_ مخبر قديم عمل
تحت إدارته طويلاً وتسببت شهادته في صالح ليث باكتسابه
للكثير من العداوة بين الكثيرين من الأكابر والمهمين لذا حين
ترك ليث عمله بالشرطة وعرض عليه العمل معه كان ممتن
للفتحة..

تنهد وهو يرمي السلام على أحد حارسي العقارات الساهرين
يستأذنه الحمام وما كانت إلا دقائق معدودة حتى انتهى وحين
عاد ضرب كفه على جبينه بهلع مردداً

"منك لله يا أنصاف! هو راح فين؟"

فالسيارة اختفت ولم تأتِ السيارة الأخرى التي تتولى مراقبة
النهار أيكون شيئاً هام قد حدث؟

طرد قلقه واستقام بوقفته مراقباً من وراء الشجر الوارف وهو
يدعي بكل قوته ألا تتسبب لحظة اغفاله في تفويت أمر هام حين
مرت به سيارة حمراء مميزة وتبعها سيارة سوداء كبيرة وعقله شرد
"

أين رأي تلك السيارة من قبل؟ أين؟ أين؟

حين تدمر كل ثوابتنا لحظة

حين تغتال أماننا

يصبح التيه هو العنوان

وهي تجري دون حساب في الظلام.. تحيا كابوسها الحي وتعبر
الطريق والمباني تتوالى حولها ولا تبالي، لا تسمع أي أصوات
فقط شعور مريب بأن الخطر يلاحقها يحثها على الاسراع.. لم

تكد تري سيارة الاجرة البيضاء اللون حتى توقفت أمامها وقبل
أن يسبها السائق الشاب ويصفها بالجنون هاله منظرها المشعث
ووجها الباكي

فقط فتحت الباب الخلفي واستقلت سيارته دون كلام فكان
السؤال:

- مالك يا أنسة خير؟

أخبرته بنبرة مترجية:

- اطلع.. أرجوك.

وفورة شهامة وغضبة انتباهه:

- في حد مضايقتك أو بيجري وراك؟

واعتدل بجلسته ينظر حوله ليرى مشهد لم تلاحظه الباكية؛ سيارة
تعترض شخص وسيارة أخرى يخرج منها أربع رجال ضخام
الجثة، ولم يتوان فالكثرة دوماً ما تغلب الشجاعة لذا انطلق
بأقصى قوته بالفتاة الهاربة وبداخله يردد..

"سلم يا رب.. سلم.. واسترها معانا"

لم تكن تدري إلى أين ولم تهتم إنها بصحبة شاب رجل وبعد
منتصف الليل وحدها.. لم يعد يهم..

وبعد عدة دقائق سألتها:

- على فين يا آنسة؟

نظرت له بضياع..

ففسر مشفقاً:

- يعني اطلع الدائري ولا سكتك فين علشان اعرف؟

- وديني مصر الجديدة

وهو كان مقصدها.. لم تعلم لما؟ ولماذا؟

لكنها تحتاج أن تستوعب.. أن تفهم فمن خير منه يفهمها تصرف

ملاكها الحارس!

أنهى عبد التواب أرجيلته ونوى أن ينهي الليلة سيدخل العدة
ويحضر بطانته ويسترخي على كرسيه أمام الباب ليقتضي آخر
ساعات الليل في الحراسة كما عادته يومياً...

وقبل أن يعاود الخروج من غرفته سمع صوت سيارة تتوقف
وباب يغلق وشخص يحاول الدخول من البوابة..

أسرع عبد التواب يغلق الباب على أسرته النائمة وتفاجئ بمنظر
الفتاة والسائق المنتظر

خبطات قوية على الباب ببكاء هيسيري جعلته يدمدم:

- بسم الله الرحمن الرحيم!.. في ايه أنت مين؟

- دكتور معتر.. عايزة دكتور معتر..

والقلق تحول لخوف غريزي من سيرة دكتور المجانين.. فبسمل
وحوقل وتشجع مخبراً اياها

- دكتور ايه! ده روح من بدري العيادة مقفولة... انتي عارفة

الساعة كام دلوقتي؟!!

وانهارت جالسة امام الباب مدمدمة بكلمة واحدة:

رأيتك

شخصية ورسمة

- حاستناه!

- - يا آنسة امشي..

رفعت وجهها إلى السائق وهي تلهث بين جيوبها عن مال
لتخبره:

- آسفة..

ونظرت للحارس برجاء وتلك الحمية الصعيدية ظهرت وهو
يغمغم من بين أسنانه:

- حسابك كام يا اخينا؟

وبعد أن دفع عبد التواب نظر اليها بريبة مخبرًا اياها:

- يا آنسة.. ما يصحش كده تستني قدام الباب.. روعي وتعالى
في المواعيد.

هزت رأسها برفض قاطع ودموع تتطاير:

- حاستناه!

زم شفتيه واسرع لهاتفه يتصل بطبيب المجانين وهو يبرطم:

"أنا قلت دكتور مجانيين في العمارة مش حيجي وراءه غير
المشاكل والخلل"

ونقر هاتفه بأصابع غاضبة يلعن اليوم الذي جاء به السمسار
للعمارة كله

"مبلغ التاكسي وها هي دقائق ثمينة وكله بسبب دكتور
المجانين!"

رنين هاتفه المتصاعد أخرجه من حمامه مهرولاً فمن سيتصل بعد
الواحدة ليلاً إلا لو مصيبة أو كارثة

وحين رأى اسم حارس العمارة التي بها عيادته عقد حاجبيه وهو
يرد:

-الو.. ايوه يا عبد التواب.. خير في ايه؟

-يا دكتور ما يصحش العيانين بتوعك يجوا بوقت متأخر كده!
تعالى مشيها الله يخليك.

عقد حاجبيه وهو يستوضح منه:

رأى اسم حارس

تخفيف ورنين

- أنت بتقول ايه! عيانين مين؟ .. ومين اللي حامشيها دي؟
وبكلمات غاضبة مستنكرة لخص له الوضع فتاة جميلة باكية
تجلس القرفصاء على درجات بوابة العمارة حتى أنه اضطر لدفع
٦٠ جنيه عدداً ونقداً للسائق الذي رماها عليه واختفى

عقد معتر حاجيه وسأله عن اسمها

- ما بتقولش غير مستنية الدكتور معتر

- شكلها ايه؟

ومع بداية وصف عبد التواب أدرك انها يارا لذا أسرع بارتداء
ملابسه من جديد هاتفياً بعبد التواب:

- خليها قدام عينيك وما تخليش حد يجي جنبها لحد ما أجي

وفي غضون دقائق كان يستقل سيارته وينطلق بها مسرعاً وهو
يحاول الاتصال بعصام فلا مجيب، وزيد هاتفه يدخله في وضع
الانتظار، وهشام إما غير متاح أو رنين بلا مجيب..

وصل سريعاً لأن الساعة تعدت الثانية بعدة دقائق فالطريق كان
شبه خالي..

لم يصدق حين رآها جالسة كما وصفها عبد التواب تحتضن
ساقها، لا بل تحتضن كلها وتدفن رأسها بين ركبتيها وموجات
شعرها منسدلة تخبيء وجهها عن العيون..

ما فهمه من لغة جسدها احتار له عقله.. اقترب يناديها:

- يارا!!

وبعد عدة نداءات متكررة رفعت رأسها بوجه محمر وعيون
متورمة من أثر البكاء ودموع لم تجف، فلم يتمالك نفسه وهو
بجلس القرفصاء أمامها يسألها:

- في ايه؟.. ايه اللي حصل؟.

- أنا بقيت لوحدي

ومع الكلمة رفع حاجبيه والقلق يشتد

"ماذا حدث؟ أين أخوتها؟ أين هشام؟"

وتحت عيون عبد التواب المراقبة أخبره وهو ينقده ما دفعه
وبزيادة:

- خد يا عبد التواب..

وهو يسندها يساعدها على المشي متحاملة على يديه ويلجم
لسانه بصعوبة والسؤال لا يرحم خلايا عقله

"ماذا حدث؟"

هو يكاد يجن لم يتأخر سوى ثوان... ثوان فقط وحين وصلت
أقدامه المهرولة إلى الشارع تلفت يبحث عنها ولم يوجد أي
دليل.. أسرع للمرآب يخرج سيارته وظل يلف بالشوارع..

مر بسيارتين متوقفتين بجانب الطريق فكر أن يتوقف ويسألها
عنها، ولكن حينما لاحظ أنهم رجال عرف أنها لو لمحتهم
لجرت بالاتجاه الآخر.. وأسرع يفتش بين الطرقات عينيه تبحث
بهلع بين الظلام ومؤقت الساعة على تابلوه سيارته يلتهم الأرقام
ويتعاضم شعوره بأنها ضاعت.. ضاعت منه.. يصرخ بقوة وهو
يلطم مقوده بقسوة:

- أنتِ فين؟ فييييين؟؟

رأيتك

شغيب وورح

تذكر هاتفه حينها وأسرع يبحث عنه بين جيوبه ليجده صامت
 كما أصبح يتركة دوماً حتى لا يسمع رنين اتصالاتها ويضعف
 بالاجابة فلم يرفض يوماً اتصال منها.. وحين رأى اتصالات
 معتز العشر به قبضة اكتنفت قلبه واعاد الاتصال مسرعاً مغمضاً
 عينيه يتمنى أن يكون خبر عنها.. ولكن يا الله ليكن خبراً جيداً
 يا رب

دعاء روحه بابتهاال

"يا رب تكون بخير يا رب"

وجاءه صوت معتز ودون سلام:

- هشام هو ايه اللي حصل؟

وأجاب هشام السؤال بسؤال:

- أنت تعرف حاجة عن يارا؟

- يارا عندي في العيادة منهاره وبتعيط.. أنا بجهز لها حقنة
 دلوقتٍ تهديها.. وما فيش علي لسانها غير بيقولي مش أخوات..
 مش أخوات

أغمض عينيه متألماً شاداً على نواجذه متوعداً نفسه بأقصى
عقاب.. فقط ليطمئن عليها أولاً:

-المهم هي كويسة؟

فعقد معتر حاجبيه لنبرة محدثه:

-من الناحية الجسدية سليمة، لكن نفسياً أعتقد انها في حالة
صدمة

ولم يمهل ليكمل فهتف هشام مقاطعاً:

-أنا جاي مسافة الطريق.

وأسرع إليها.. يجب أن يطمئن.. أن يتأكد أنها بخير..

داخله يزأر بجوع الحاجة للاطمئنان عليها وبعدها فليجلد نفسه
إن شاء لا يهم.. المهم هي

حين تشعر بالوحشة.. بالوحدة والغربة تفتقد حضن أم كان ملكاً
لك وحدك.. وحين تجرح من أقرب الناس إليك تكون تلك

لحظة الاحتياج أشد لحظات النفس ضعفاً وجوعاً والاحتياج
لالهاء أقساها وأي إلهاء أشهى من امرأة وخاصة إن كانت
ناريمان!

اتصل بها مرة تلو الأخرى وهي لا تجيب..

ثلاث مرات وحين يزداد دلال الأنثى تستوجب قسوة رجل..

لذا رسالة سريعة بها امر واحد صريح

"ردى على التليفون حالاً..... يا حورية القمر"

وأنها الأمر بالدلال..

وما إن اتصلت ثانية حتى اجابت بغضب إنثوي:

- افندم عايز ايه؟

- عايز اتكلم معاكِ

- ليه؟

- أنتِ غيرتِ لون شعرك ليه؟ ولا ده لون شعرك الطبيعي؟

- أنت مش شايف أنك بتسأل أسئلة شخصية ما تخصصكش!

- اللي حابب يفهم ويقرب بتهمه التفاصيل مهما كانت شخصية!!

- وأنت حابب تقرب مني طبعاً؟

- اممم.. لا حابب أقرب من حورية القمر.. لسه موجودة بسحرها

وغموضها ووحدتها ولا راحت مع النيولوك؟

ابتعلت ريقها وهي تعقد حاجبها تسترخي بجلستها أكثر تسأله:

- كانت عجبك؟

عقد حاجبيه وهو يرد بصراحة:

- كانت أوضح!

- شايفني غامضة؟

- شايفك وحيدة

وكلمته استقرت بقلبها وتردد صداها بعقلها وبدا الحديث طويلاً

بينهما بتفاصيل وأحلام دون قيود.. مغرقاً إياهما بليلة طويلة..

حورية وفارس وشاهدهما القمر

"في ايه!! ايه اللي بيحصل هنا؟؟؟"

صرخت بها حورية ترغب بإيضاح بعد أن اندفع هشام تاركاً أمه
ذاهلة.. فمهما اشتد بينهما الجدل والاختلاف لم يهنها يوماً، لم
يؤذها بحرف.. والليلة كانت لحظة الانفصام.. لحظة لن تنساها
ما حيت فابنها.. كبيرها تركها وغادر بعد أن رماها بكلماته
القاتلة..

رفعت عينين متألّمة لحورية:

-سمعتِ قالي ايه؟.. ابني هشام قالي ايه؟!.. يا رب تكوني
ارتحت.. أهو جري ورا بنت محسن.. هو ذنب نفضل شايلين
ضعفها ده طول العمر!

والرد شهقة صاحبتها صفة وكلاً من أخت مختلفة؛ فالشهقة أتت
من الباب المفتوح بعد ذهاب هشام حملت صدمة أحلام..
والصفة جاءت من الكبرى من حورية..

-اخرسي... ذنب ايه! أنتِ ليكي عين تتكلمي!.. واضح أنك
محتاجة تتربي من جديد

- بنتي فين؟؟؟

ألا يقولون قلب الأم دليلها.. وهي تعرف أن سبب القبضة.. يارا،
والمشادة أساسها.. يارا.. والتفت لها توأمتها بغضب باكٍ صارخ:

- بنتك عرفت أنهم مش اخوات وقلبتها مناحة ونزلت تجري في
الشوارع واخذت وراها ابني

لتلطم أحلام خديها وهي تدمدم بخوف:

- بنتي!!... بنتي فين؟

لتسرع لها حورية تحتضنها وهي تصرخ بالأخرى:

- ادخلي يا آمال اوضتك وما تطلعيش منها.. أنتِ فاهمة على
جووووه

أسرعت حورية تهدأ أحلام وتطمئنها أن هشام لن يتركها وحدها
أبدأ..

غمغمت أحلام:

- زيد.. كلمي زيد.. عرفيه ينزل يشوف أخته

عقدت حورية حاجيها وعضت على شفيتها:

- مش حينفع يا أحلام!

وقبل أن تسألها:

- باسل بايت فوق مع عصام وزيد ومش حينفع اللي حصل ده
يوصله كده جوازة البنت تبوظ.

- تبوظ ولا تتفرکش ما يهمنيمش هاتيلي ابني يشوف أخته

ظلت تهدئ أختها وتطمئنها أن هشام الآن سيتصل سيخبرنا أنه
عائد بها ومضت الدقائق ولا جديد حتى استوحش القلق بقلب
حورية ودمدمت:

- لا كده كثير.. حاكمهم واللي يحصل يحصل.

وبعد محاولات كثيرة بالاتصال بزید أسرع حورية للأعلى
لتجده يتحدث فى الهاتف بخفوت فنهرته بغضب:

- أنت شاغل تليفونك وما بتردش عليا ليه؟ ها؟؟

فزع زید:

- في ايه يا حورية مالك ؟

-أختك عرفت أنكم مش اخوات في الرضاعة ونزلت منهاره
بتعيط وهشام نزل وراها

عرفت! عرفت ازاي؟ مين اللي قالها؟ مش قولنا- ..

قاطعته بنزق:

-- وقت تحقيق هو!! اقل التليفون اللي في ايدك وشوف حل

وحين أنهى مع ناريمان بكلمات مقتضبة

وجد على هاتفه اشعارت بمكالمات كثيرة من معتر

"ايه ده دكتور معتر اتصل بيا!"

أسرع يتصل به أمام خالته ولم يجد منه رد لذا اتصل بهشام الذي

جاوبه بصوت مخنوق:

- ما تقلقوش على يارا.. هي عند دكتور معتر في العيادة وأنا

مستنيها تحت.. ما تقلقوش.

-أنا جايلك هو ايه اللي حصل؟

ابتلع غصة وهو يرد بصوت مختنق:

- خليك معايم.. هديهم وأنا حاجيها واجي بعد ما تخلص مع
معتز

والنبرة اقلقت زيد:

- مالك يا هشام؟

هل يمكن أن يخبره هو بالذات ما به؟.. ما يشعر به؟... وما
يفتك به من داخله؟؟

زفر بعمق:

- زيد.. أنا مش فايق لأسئلتك لما نرجع ابقى اسأل براحتك..
سلام

وامام عيون زيد المندهشة أغلق الخط!

نقل لخالته باقتضاب ما أخبره به هشام وتبادل الاثنان نظرات
قلقة وكلاهما ينظر تجاه الباب بداخلهم أمنية أن لا يشعر النائم
بالداخل بأي مما يحدث..

عاد معتر لغرفة مكتبه التي تحوي يارا المرتجفة وبيده حقنة
المهدئ وعقله كطبيب يخبره بوجوب استخدامه أما غريزته
فطالبته بالتمهل والانصات أولاً قبل تغييبها بعالم الصمت

-اهدي يارا.. اهدي..

وعاد معتر بصوته يخبرها:

-اهدي ووقت ما تحسي أنك عايزة تتكلمي اتكلمي.. أنا موجود
وسامعك

هزت رأسها وهي تمسح دموعاً لم تنته بعد:

-مش عايزة اتكلم

-أومال جيتِ ليا ليه؟

ومع السؤال رفعت عيونها إليه أتكون جاءته دون أن تدري
لتحكي لتبوح بما بها!!

رأيتك دائماً

شخصيات ورواية

ضمت شفيتها وعينها للوحة القارب والصيد لتهدأ يراقب عينها
ويعلم أنها استعدت دون إرادتها ذكرى دافئة توازرها وانسابت
الكلمات:

-قالي احنا مش اخوات... كلهم عارفين أننا مش اخوات..مجرد
ولاد خالة.. وخبوا عليا.. أنا الوحيدة اللي ما تعرفش.

-مين اللي قالك؟

-هشام..

نطقها بوجع بغضب بعتاب بحزن وانكسار

-وفين المشكلة؟

والسؤال جذب اهتمامها من حالة التوهان:

-تقصد ايه؟

-اقصد ايه اللي مزعلك؟ حتفرق ايه؟

-تفرق كثير.. تفرق أكثر مما تتخيل.. تفرق لما يضيع منك أهم
شخص في حياتك.. الشخص اللي لو الدنيا كلها جت عليك هو

وجوده كفاية.. الثقة، الأمان، السند.. الشخص اللي في عز
 ازمتي وجوده كان مطمئني.. ده حتى كوابيسي كانت بتختفي
 بوجوده.. عرفت تفرق ايه؟.. تفرق كثير.. تفرق عندي حياة أو
 موت..

رنين هاتف قاطعها فاستئذنها للرد وتكلم أمامها:

-ايوه يا هشام هي هنا.

وهنا علا صوتها:

-مش عايزة اشوفه

سأله معتر وهشام معه على الخط:

-ممكن تبعت زيد أو عصام؟

فعدت تصرخ بغضبٍ باكٍ:

-مش عايزة حد فيهم هنا.. مش عايزة حد!

وحينها ردد جملة هشام له:

-أنت طالع تاخدها يا هشام؟

-لا.. لا.. لو جه أنا حامشي.. وما حدش حيعرف طريقي..
فاهمين.. لاااا..

وأغلق معتر الهاتف مسرعاً حين تحول صوتها لصراخ.. حينها
جاء أوان الحقنة وحين هدأت أخبرها:

-لو مش عايزاهم فكرتي حتروحي فين؟

دون أن تدري أدخلت يدها بجيب فستانها المنزلي ثم مدت له
يدها بهاتفها تخبره:

-اتصل بديما.. كلم ديما وقولها اني محتاجاها

وفعل والاجابة رغم تأخر الوقت الشديد فاجئته:

-ممكن تديني العنوان؟

وبعد أن دونته أخبرته بصرامة:

-قولها مسافة السكة وحاكون عندها.

قابع بسيارته مازال الهاتف بيده ومازال لا يصدق..

رفضته!.. رفضت رؤيته!!

غضبها.. نبرتها العالية..

"لوجه أنا حامشي"

لا يعرف كيف حدث ما حدث أو حتى أوشك أن يحدث!

يقبلها!.. هي!!.. يارا..!!!

تلك المشاعر التي شعر بها وهو يحتضنها لأول مرة منذ عرف الحقيقة، لا بل كانت أول لمسة منه لها دون حجاب دون حواجز أو موانع..

أين كان عقله؟ هل جن أخيراً؟

أيمكن أن تنتهي حياة بلحظة فلتت منه بدون حساب؟

الحيرة تقتله فما أوشك أن يحدث لا يجد له تفسيراً.. حتى تلك الكلمة الغبية

"مش اخوات"

كيف جرؤ على التلفظ بها!؟

كيف أمكنه اغتيال أمانها وثقتها بهم وبه هو؟!!

بدأ يمسد جفنيه ووجهه فرغم أنين ضميره وصراخ عقله الغاضب وتأنيب روحه تظل تلك اللحظة التي تشاركها معها مختلفة لم يشعر بها من قبل تجاه أي أنثى ذاك الضعف الذي أجتاحه على غفلة من أي تعقل او حكمة.

نفض رأسه من الاستماع لاحتجاج قلبه فمشاعره ليست بالميزان من الأساس بل هي ما يهم مشاعرها وأحاساسها ومقابلهما تفريطه بأمانة علقت برقبته منذ الصغر.

هي ترفض رؤيته هو..

زفر بحدة لتدخل الأنفاس حادة قاسية.. يسأل نفسه بقسوة

"لما تتعجب أليس هذا ما كنت تفعله؟.. تبتعد وتبتعد بأقصى طاقتك.. تصم أذنانك عن ندائها المتكرر باسمك.. تهرب من طوافها حولك طلباً للاحتواء.. تغلق عينيك عن عينيها المتوسلة للاطمئنان؟"

وكما كان الابتعاد عنها قاسياً صارماً

كان الارتداد لها صادماً مكتسحاً

حين نادته أحثاك..

صدمته.. فقبلها أو أو شك أن يقبلها، ولولا عيناها لما علم متى
كان سيتوقف.. لم يصدق يوماً أنها ستنظر له بعين الخوف
والرهبة.. سيحدثها بعد أن تهدأ.. سيفهمها خطئه وسيعتذر ولو
قضى عمره كله يعتذر..

يعلم أنه ليس بحب أو هوى.. هي لحظة ضعف أو افتقاد فهي
أبعد ما تكون عن فتاة أحلامه وسيعوضها عنها.. سيفعل فقط
لتعود معه لأمان منزلهم..

وسينتظر...

ظل ينتظر حتى أشرق الشمس ليفاجئ بخيال يعرفه وذهل حين
رأى ديما تسرع لداخل العمارة وتساءل

"لما أت ديما لما؟؟"

دقائق امتدت لساعات حين رآها منذ تلك اللحظة تستند على
كتف ديما التي تسندها لسيارة معتر وتقابلت العينان رغم

المسافة.. التقت النظرات نظراته المعتذرة الحانية والمرتجة
ونظراتها المتهالكة الغاضبة المعاتبة.. تلومه تأنبه.. تستنكر
وجوده بمحيطها وتخشاه.. وحين وصله خوفها تهالك بمقعده لم
يستطع الحركة ليخرجه رنين هاتفه ويفاجئ برحيلهم وصوت زيد
الغاضب الصارخ:

- أنا عايز أفهم ايه اللي حصل؟ ايه اللي ديما قالتة ده! هو في
ايه؟

عقد حاجبيه بتساؤل نطقه لسانه:

- تقصد ايه؟

ليخبره:

- ديما اتصلت تبلغنا أن يارا مش راجعة البيت ورافضة تشوف
حد فينا.. يارا مش راجعة البيت يا هشام.. مش راجعة..
وحينها سقط الهاتف من بين يديه لقد فقدها.. فقد صغيرته
وضيع أمانته.. فقدها وأسدل الستار قبل البداية.

ليلة أخرى باردة قضاها مع زوجته ولا يعلم السبب.. وبين تقلب
برودها ونارها يتقلّى هو.. وبسبب طول سهره بتفكيره فيما
يحدث بينهما بين شد وجذب استيقظ متأخراً جداً..

ولقد سأم جذبها لاهتمامه وشغلها تفكيره بحد أصبح يضايقه
لذا تحاشاها وسارع ليتجهز للعمل سريعاً..

وحين خرج وجدها صامته على طرف الفراش شاردة بحزن أقلقه
فسألها دون اكتراث:

-خير مالك على الصبح؟

لم تصمت ولم تكذب فقط أخبرته الصدق دون موارد:

-يارا سابت البيت ومشيت، وروكا مصممة تمشي من البيت..
وخالتو حورية بتتخانق مع ماما.. وهشام مش لاقينه.

وصدمة الصراحة دون موارد أنبأته بوطأة الكلمات، عقد حاجبيه
وجلس بجانبها يربت على كتفها مستفهماً:

-بتقولي ايه؟؟

وكل ما احتاجته حواجزها لمسة لتنهار بالبكاء..

وكانت تلك المرة الثانية منذ عرفها يراها تبكي.. دموع تغرق
وجهها دون شهقات فقط دموع..حتى عبراتها المتألّمة تختلف
حاول طمأنتها:

-اهدي بس.. خناقة وزعل وحيدي

رفعت له عيونها الباكية بلحظة ضعف ودموع منهمرة مازال لم
يعتاد رؤيتها بعينها..

وتنفي برأسها طمأنته لها ووقتها اقترب محتضناً وهي تشبث
بقميصه تبكي مرددة:

- هشام مش لاقينه.. هشام بعث لخالتي حورية رسالة يقولها..

أنه مش راجع البيت وما يدوروش عليه

عقد حاجبيه بشدة مستنكراً ولسانه يترجم افكاره:

-ايه الكلام ده! مستحيل طبعاً! ازاي!! وشغله والشركة!؟!

ولمحة أمل تألقت بعينها فهو محق منذ متى تخلى هو عن
أحماله ومع نفحة الامل جاء رنين رسالة بهاتفها والمرسل هشام،
فتحتها مسرعة عيناها تلتهم الكلمات لتشهو يبكاء حاد أشبه

بالنواح جعلت عيني إياد تتسع باندهاش فاخذ منها الهاتف
ليقرأ محتواها

"علاء المحامي معاه توكيل مني لعصام ولميرا بالإدارة الكاملة
لشركة الإدريسي

أنا فشلت في مهمتي وماعدش ليا مكان بينكم.. أنا مسافر ومش
راجع
أنا آسف"

حين انهي ارسال الرسالة لكل إخوته ولزيد أسرع بطريقه بعيداً..
كان يغلق هاتفه ويلقيه فالقرار لا رجوع فيه، بعد أن أنهى حديثاً
طويلاً مع معتر كاشف به روحه ونفسه سيبتعد عن الجميع، لقد
خان الأمانة وضيع وصية جده وصار بلحظة في نظرها هو وخالد
سواء.. لحظة وحدة دمرت سنوات.. دمرت حياة..

لم يتخيل يوماً أن تنتهي.. لم يصدق نفسه كم أصبح يشبه أمه
الآن.. لن يستطيع النظر بعيني خالته أو زيد ولا حتى حورية ولا
أي منهم...

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

لقد علم من رسالة عصام بمغادرة خالته النهائية... لقد فشل
وانتهى..

سيغادر بلا رجعة وللأبد.

الفصل الحادي والعشرون

لأنك السند فحين تغيب أضيع
 لأنك الأمان فحين تبتعد أخشى
 لأنك الوجد فحين تنكسر أهيم
 ولأنك الأب. ولأنك الاخ.. ولأنك الصديق..
 وأن مضيت العمر أعدد لن أفيك
 فأنت العمر بما مضى
 والحاضر بما حوى
 والمستقبل بما سيكون
 لذا فبغيا بك انقصم العقد
 وصار الكابوس واقعاً

- يعني إيه مش عايزة ترجع؟! فين بنتي؟! وإيه اللي وداها للي
اسمه معترده؟؟ جرالها إيه؟

جملة اخترقت الصمت المترقب والقلق المخيم عليهم؛ زيد
جالس يفرغ توتره في اهتزاز قدميه

ومرودة تنقل عينها بين الجميع دون قدرة على تفسير ما رددته
لتوها بعدما أنهت محادثتها مع ديما..

خالتها آمال مكفهرة الوجه تكاد نيران الغضب تنبثق من
مقلتيها، وخالتها أحلام وأمها جالستان بتوتر تقفزان جرياً على
الشرفة كلما سمعتا صوت سيارة تقترب لتعودا بعدها بخيبة أمل
وكلمة تطيب خاطر وتصبر الروح بحتمية عودتها قريباً
وحين أبلغتهم مرودة:

"يارا مش راجعة البيت، حتطلع من عيادة دكتور معتر على
إسكندرية وبتقول مش راجعة ومش عايزة تشوف حد منا"
والرد جاء من توأماتها الغاضبة بلهجة مستنكرة :

-آدي آخرة الدلع.. يعني إيه مش عايزة ترجع ومش عايزة
تشوف حد منا ليه قتلنا لها قتل؟!!!

صرخت بها أحلام بغضب ونبرة تحمل غضب مكتوم:

-مش عايزة أسمع منك حاجة أنتِ فاهمة ولا نص كلمة على
بنتي...

التفت لابنها تتشبث بعضده بعينيها رجاء وقلبها ينتفض رعباً:

-شوف لي أختك فين يا زيد.. إيه اللي جرى لكل ده!..

التفت لحرورية :

-حد يفهمني فين هشام؟ هاتولي هشام هو مش كان معاها!!

وبنبرة غاضبة زافرة جاءها الرد من توأمتها :

-ما تقولوا لها فين هشام... قولوا لها تعبان طول النهار في الشركة

وسهران طول الليل بيلف ورا الدلوعة.. الدلوعة اللي بتخبوا علينا

وبتودها لدكتور تتعالج من ورانا قولوا لها أصل مش عاجبها

كلامي

وبملح البصر كانت أحلام تقف مواجهة توأمتها آمال ترغي
وتزبد تخبرها من بين أسنانها:

-أخرسي أنتِ إيه ما بتفهميش بقولك مش عايزة أسمع صوتك
... أنا مش قاعدة دقيقة واحدة في البيت ده..

-اهدي يا أحلام مش وقته الكلام ده

التفت أحلام لحرورية بعيون تنضح ألماً وغضباً :

-لا ده وقته اتأخر من زمان... حامشي أنا وبنتي اللي تعبها قوي
.. حاروح شقتي ولا أحصل بنتي على إسكندرية بس من
اللحظة دي يحرم عليا بيتك

-ده بيتي زي ما هو بيتك فبطلي هبل وعصبية وخلينا نشوف
الهانم فين.

طال الصمت بينهم والتوأمتان تتصارعان بنظرات العيون والهزيمة
كانت من نصيب آمال، رجفة جفניה صاحبت نبرات أختها
الباردة:

-أنا داخلة ألم هدومنا واللي لينا هنا.

التفت لزيد مكملة:

-وانت افهم لي حكاية أختك إيه

واندفعت بخطوات غاضبة وحواجب معقودة لغرفتها دون أن
تلين ملامحها..

ما أن أغلقت باب الغرفة حتى ارتمت بظهرها عليه تغمض
عيونها ولامحها الغاضبة الصارمة تحولت للامح بائسة ودموع
تنهمر بشهقات مكتومة..

دقائق توات وهي تترك لعينها العنان قبل أن تعادل تفتح
الخزائن، تجذب الحقائق وترمي بها كل ما تقع يدها عليه دون
تركيز فرؤيتها غائمة من كثرة الدموع. واستمرت حتى شعرت
بانقباضة قوية بقلبها جعلتها ترفع يدها سريعاً تجاه قلبها تمسده
وعينها تتجه صوب الباب وصرخة عالية باسم توأمتها ترج
الاجواء .

أحياناً نحتاج لزلزلة الفقد الأكيد حتى نفيق من غفلتنا، حين نتعالى على ما لدينا زاهدين تصدمنا الحقائق لنتمنى لو كان بالإمكان إدارة عقارب الزمن للوراء والتشبث بما لدينا من البداية بإعزاز وتقدير

كانت تبحث بعينها بين وجوه الحاضرين؛ زيد بملامحه المتألّمة، ومروة بملامح مندهشة، وحرورية بملامح مزيج بين الغضب والشفقة..

وفاجأها أن عصام وباسل كانا من الحاضرين وانكشفت أمامهما الحقيقة :

تساءل معقود الحاجبين:

- هو في إيه!.. يارا مالها؟

ولا رد..

صمت وهروب ماذا يخبرونه!؟

خطبتك

هربت!...

ليتكسر السؤال على لسان عصام بترقب أكبر

رأيتك

شغيب وريح

والجواب لا مفر له جاء على لسان حورية :

- يارا تعبت شوية وسافرت إسكندرية .

انعقد حاجبي باسل بضيق وقبل ان يبدأ عصام بوصلة من التقرير والتساؤلات رنين وصول رسالة لهاتفه جعله ينتبه إليه؛ اتصالات عديدة من معترز وأخرى من هشام.. ورسالة من هشام التهمت عيناه حروفها فامتقع وجهه لها رفع إليهم عيون ضائعة حائرة..

- هشام مش راجع
نطقها بعدم تصديق يبحث بين عيونهم عن إنكار لتقاطع أمه
بنبرة زاجرة:

- إيه الهبل اللي بتقوله ده! مش وقت هزارك السخيف يا عصام
دلوقت!

أقرنت حروفها بخطوات حازمة قطعت المسافة بينهما لتختطف
منه الهاتف تقرأ بنفسها كلماته بصوت عالي..

يسمع الجمع كلمات ابنها البكري برسالة وداعه...

هل تدور بها الأرض؟ أم خذلتها قدامها بعد كل هذا العمر!
فابنها من ربه على يديها، خرج ولن يعود، يودعهم بكلمات
معدودة، هي أكثر من تدرك أنها ان خرجت منه تلك الحروف
لن يعود.....

وصاحب الكلمة اليقين... لن يعود .

ثواني وتعال صرخات باسمها وهي تتهاوى بعتمة مريحة وربما
تلحق بطيف من تركها وغاب.
أسرعت إليها حورية ترفعها من الأرض هلعة وانتفض عصام
يستقبلها بين ذراعيه مساعداً خالته وزيد يعاونهم في حمل خالته
أمام عيون باسل المنعقدة بعدم فهم

- مالها آمال؟
صوتها اخترق تجمعهم وهي تترنح بوقفها يدها تمسك قلبها،
تراقب توأمتها محمولة على أيديهم للغرفة ومروة تقترب منها
تحتضنها مرددة بخوف:

- هو إيه اللي بيحصل!! إيه اللي بيحصل!!!
التفتت لزيد تسأله:

-إيه اللي حصلها؟

جاوبتها مروة بعيون حائرة :

- هشام مش راجع يا خالتو سابنا وساب كل حاجة ومشى...

لترنح بوقفها تحاول الاستناد على أقرب مقعد وانقباضة قلبها
تزداد بعنف وحمورية تراقب بوجوم فالعقد انفرط بلا رجعة.

-متأكدة أنك مش عايزة تروحي لهم البيت أكيد محتاجينك
دلوقتِ؟

ارتخت في جلستها بالمطعم العائم على ضفاف النيل الذي
اصطحبها إليه بحجة عزومة على إفطار متأخر وهي تهز رأسها
بنفي قاطع

هي لا تحتاج لبكاء ووعويل وتشت أكثر مما بها، هي ترغب في
التركيز، في التفكير بعمق، ترغب في التعامل مع وجع فقدانها
أخيها وحدها

رأيتك

شغيف وورع

هي تعلم أن هشام ليس بشخص يطلق الكلمات جزافاً فهو رجل يلتزم بكلمته وإن قال لن يعود فهو لن يعود....

وقدر ما تؤلمها الكلمة قدر ما ترغب بمعرفة لما لم تفهم كلمات زيد عن إنهيار يارا وتدهور حالها ولجوءها لدكتور معتر وقضاؤها الليلة بعيادته وما ينخر بخلايا مخها ويقف غصة في حلقها شيء ما حدث بين الاثنان يارا وهشام سبب كل تلك الإنهيارات بالعائلة..

تعلم أن زيد وإن لم ينطق تلك الفكرة فهي تدور بعقله مثلما تدور بعقلها لكن ما الذي حدث؟! ماذا؟

لما ترغب بالعودة للإسكندرية؟ هل تعاقب الجميع أم تعاقب نفسها؟!

أخرجها من حيرتها صوته الهادئ:

- أنا طلبت لك الفطار على ذوقي بيعملوا كروك مسيو حيعجبك.

ابتسمت ابتسامة مبتورة مغممة :

- أي حاجة.

اعتدل إِياد بجلسته يواجهها بكلماته:

-ميرا.. أعتقد أن الكلام اللي بعته هشام ده وليد انفعال، إحباط
أو لحظة غضب وحيتراجع عنها أكيد ..

نظرت له نظرة متعبة فأكمل مطمئناً :

-لو فكرتِ شوية، الشغل وإلتزامات الشركة تجاه عملائها ما
أعتقدش شخص زي هشام ممكن يرمي كل ده ورا ظهره بسهولة
ابتسمت بتهكم لا محل له من الإعراب :

-ما تقلقش الشركة وإلتزاماتها حيمشوا، هو سايب لينا توكيل
بكامل
عاتبها بنظرة عينه فغمغمت :

-آسفة

واختنق صوتها مشيحة بوجهها بعيداً عنه مكملة:

-ده حتى سايب وصية تتفتح في حالة موته.

تحاول السيطرة على غزو الدموع لمقلتها بصعوبة شديدة حتى تكاتفت عليها فانهالت على وجنتيها بصمت وهي تكمل كمن تتحدث مع نفسها :

- هو الفترة الأخيرة كان متغير، سهام سكرتيرته دائماً كانت بتشتكي من عصبية الشديدة وتوتره الدائم تنهدت بعمق قبل أن تكمل :

- افكرت إن مشاكل ماما وخالتو سوا هي السبب لكن واضح إن الموضوع أكبر من كده بكثير.....

- امم طب ليه يارا تسيب البيت؟! مش غريبة شوية ولا هي متعودة على كده!؟!

اعتدلت تمسح وجنتيها ببطء تعلم أنه سمع ترددها لبعض الجمل في مكالمتها مع زيد ويبدو أنه استطاع بمهارة إيصال النقاط

مدت يدها تتجرع بضع رشقات من العصير المثلج تحاول إلتقاط أفكارها..

رأيتك عالم

شغيف وورحة

هل تخبره؟.. فباصل يعلم..

أم تتكتم سر ابنة خالتها؟.. فهو لا يخصه بالأساس

تذكرت كيف علمت بموضوع علاجها.. شكها من خروجها
المنتظم مع زيد وهشام وما تطلبه منها الأمر من جر زيد بالحديث
حتى اعترف لها وكتمت معرفتها منذ ذلك الوقت

بضع لحظات من الحيرة حسمتها :

- يارا ما بتخرجش من غير ما يبقي حد فينا معاها

وأمام حيرة عينيه ونظراته السائلة المندهشة أكملت بتفسير
واجب:

- علشان كده فكرة أنها تسافر لوحدها لازم يكون السبب فوق
احتمالها ودكتور معتز ده دكتور نفسي أصل...

تلجلجت وشعرت أنها أفضلت بالكثير فصمت ليكمل هو:

- بتعالج عنده من اكتئاب ولا حاجة تانية؟

بساطة سؤاله جعلتها تجيب:

-خوف مرضي

هزة رأسه المتفهمة وهدوء نظراته أدهشها بوضوح فأكمل:

-مالك مستغربة ليه؟ 90% من البشر محتاجين طبيب نفسي بس بيكابروا والطب النفسي مش سبة ولا عيب ولا حرام.. بره بيتعاملوا مع الموضوع ده عادي جداً واللي بيستنكر أن النفس البشرية بتتعب وتحتاج لطبيب مختص يبقى غبي وحيعيش طول عمره مريض

لمعة مرت بعينها فما تراه بزوجها لم تره برجل آخر، دموع ترقرت بمقلتيها جعلتها تبتسم:

-يا ريت الناس بتفكر زيك كده، لكن للأسف اللي يزور دكتور نفسي ما بيخرجش في نظر الناس عن نطاق الجنون ويبقى علاجه النفسي توقع منه على نهاية حياته الطبيعية بين الناس
هز رأسه موافقاً فمهما كانت أفكار البعض منطقية وعاقلة فالاغلبية العظمى كما قالت وزيادة لذا سألها بهدوء:

-هو باسل يعرف!؟!

رأيتك عالم

شخصية ورسمة

نظرت له بعينها بحزم لائم:

- من قبل الخطوبة وده كان شرطها للموافقة عليه أنه يعرف كل حاجة ولو سمحت نغير الموضوع.

عقد حاجبيه بدهشة إذاً باسل يعرف ومن البداية كل ما يخص خطيبته

تاht أفكاره عما يسمعه عن يارا الآن فقط استطاع تفسير تلك الاختلاجات التي لاحظها؛ ظنها خجلاً وواضح أنه الخوف المرضي خاصتها من الرجال أو الغرباء عنها، ترى هل خوفها المرضي هو مسبب التذبذب والبؤس بحياة صديقه أم بالأمر ما خفي؟؟

وصل الطعام وتعالى صوت الموسيقى حولهما..

يختارون المقطوعات المفضلة له واليوم فالس الربيع ابتسامته المستمتعة قاطعها صوت تقزز ميرا :

- إيه ده! بيض!! هي فيها بيض ونص سوى!

عقد حاجبيه:

- أول مرة أعرف إنك ما بتحبيش البيض!

ازدادت ملامح التقزز فأشار للنادل:

- ممكن تغيره بطبق تاني من فضلك ويكون كامل التسوية؟

أسرعت تصحح له :

- لا ياريت من غير بيض خالص، من فضلك.

- أنتِ تعبانة؟ تحبي نقوم نمشي أو نغير المكان؟

- لا أنا أصلاً لما بأتوتر معدتي بتتعب هو إحنا حنخلص ونطلع على الشغل؟

- لا النهاردة أجازة.

اتسعت ابتسامتها فهي لا قبل لها بمواجهة أحد ولم تشعر بنفسها إلا وهي تسأله :

- إياد أنت تعرف ناريمان من زمان؟

عقد حاجبيه يتطلع لها مستكشفاً قبل أن يجيبها ببساطة:

- من واحنا صغيرين.

-آه علشان كده باين أنها قريبة منك قوي

كبح ابتسامة ترغب بغزو وجهه فما بينه وبين ناريمان إن قورن
بما بينها وبين زيد فلن يسمى قطعاً بقرب أو حتى معرفة عابرة :

-إطلاقاً بس بحكم إننا كنا مخطوبين في فترة من الفترات
فتلاقينا فاهمين بعض كويس.

وحصل على رد الفعل المرغوب؛ دهشة، وتعجب، وتواري القلق
والضعف واشتعلت جذوة النار بعينها مرددة:

-مخطوبين!!

لا يحب مشاهد الغيرة المبتدلة وهو لن يصدقها فهي تهتم به
كزوج نعم لكن كحبيب الوضع مختلف تماماً:

-جوازنا ما مرش بمراحله الطبيعية خطوبة وتعارف فطبيعي إن
في معلومات ما نكونش عارفينها عن بعض بس أعتقد إن أنا
وأنتِ عندنا تفهم واضح إن الماضي بره حسابتنا مش كده

هزت رأسها

إذاً الغندورة كانت خطيبة سابقة وعروس محتملة..

اممم.. تصرفاتها الآن منطقية ترغّب برد لاذع تجيبه به لكن
ذهنها مشّت لا تستطيع التفكير بوضوح بأي شيء إطلاقاً فغيابه
الذي لم تمر سوى بساعاته الأولى تأثيره مدمر فأثرت الصمت
وإراحة عقلها فاليوم يبدو أنه يتطور من سيء إلى أسوأ

توقفت دموعها حين تناهي إلى مسامعها هدير الأمواج وارتسمت
ابتسامة خجولة حين اشتمت رائحته، فالبحر له معها حكايات
كلها دفء وحنان وأمان ذكريات ساطعة تتوافد على عقلها تزيح
ظلمة أفكار تتلبسها

تتذكر أول مرة تعلمت فيها السباحة كان يحاوطها رغم أنه لا
يكبرها سوى بشهور معدودة إلا أنه هو من علمها بعد أن فقدت
خالتها حورية الأمل في تعليمها، تتذكر التنزه معه على كورنيش
البحر كلما ضاقت نفسها، تتذكر يده التي علمتها ركوب الدراجة
فحين انشغل العم منصور بتعليم مروة وميرا هو من كان يهمس
لها

"ما تخافيش"

"وأنتِ معايا مش حتوقعي"

كان معها وحولها بكل مكان بكل ذكرى تحاول اللجوء إليها
لتخرج من ضيق أفكارها تجده كيف تهرب منه إليه!

بكل لحظة من حياتها له بها مكان ، تسارع تنفسها وغضب
غريب يكتنفها سخط كيف يجرؤ على تحطيم عمر كامل
بينهما؟.. كيف!؟

أغريب أنها ترغب في لطمه بقوة!! بالصراخ بأعلى صوت في
وجهه!!

لما لم تفعل؟.. لم؟

-وصلنا حمد لله على السلامة

نطقها ديما وهي تربت على كتفها لتخرج الشاردة من أفكارها
فهي تراقبها جيداً طوال رحلتهم من القاهرة للأسكندرية

رغم إرهاقها الواضح إلا أنها ابتسمت بوجه يارا ومدت لها يدها
لتساعدتها على الترجل من السيارة حيث منزلها القديم...

لا تعلم لما أصرت على الحضور لهننا على وجه الخصوص!!

قدمت :

- تعالي نطلع البيت عندنا يا يارا

هزت يارا رأسها برفض واضح:

- لا ديما أنا عايزة أبيت في بيتنا القديم

عقدت ديما حاجبيها :

- بس يا يارا البيت مقفول من سنين حنقعد فيه ازاي؟

- خالتو حورية كانت مواظبة على تنضيفه مرة كل شهر فحيبقى
نضيف

ردت ديما بعملية واضحة:

- حتى لو كلامك صح طنط حورية بقالها شهور عندكم في
القاهرة هي ومروة فأكيد ماحدث نضيفها الفترة دي.

استندت يارا بجسد متعب منهك على جسم السيارة وهي تكرر
بإصرار:

- حابات في بيت جدي في بيتنا القديم

وأمام إصرارها أذعنت ديمًا وبعد اتصال سريع بمروءة وسؤال عن المفتاح عاونتها على ارتقاء درجات السلم حتى منزل الجارة أم منى لتسألها على مفتاح الطوارئ الذي أخبرتها عنه مروءة

ولم تصدق الجارة العجوز رؤية يارا وانهاالت عليها بالأحضان والقبلات والاسئلة عن حال الجميع بلا استثناء..

وأحياناً تصبح صلافة ديمًا الاجتماعية ذات فائدة عظمي حيث قاطعت الجارة بحزم:

- معلش يا طنط احنا لسه جاين من سفر ومحتاجين نرتاح ممكن مفتاح الشقة الاحتياطي من عندك

تلعثمت السيدة وبدأت تتحرك لأول جارور بدولاب قريب من الباب مغممة:

- آه مفتاح شقة حورية

- لا مفتاح بيتنا مفتاح بيت جدي

صوت يارا المنهك أجابها فنظرت لها بتعجب وهي تمد لها يدها بالمفتاح المطلوب:

- بس يا بنتي الشقة

قاطعتها ديما بنزق ونفاذ صبر:

- الشقة مقفولة وطنط حورية بقالها كثير ما نصفتهاش عشان مسافرة عارفين وحتصرف شكراً.

واسرعت تتأبط ذراع يارا وتتجه بها للشقة المقابلة وضعت المفتاح لتديره بثقب الباب لتجد أنامل يارا الرقيقة المرتعشة توقفها وبدون كلام مدت يدها تمسكت بالمفتاح وأدارته هي وفتحت الباب ودخلت برهبة للبيت

رغم أن البيت لم يسكن منذ ما يقارب العشرة أعوام إلا أن المكان كما هو لم يتغير كما لو أن الزمن هابه فتوقف على عتباته مدت ديما يدها لمفاتيح الكهرباء تعيد الأضواء للحياة رغم طبقة التراب الرقيقة ورغم الهجران إلا أن البيت يشع بالأمان

بعض البيوت يسكنها أشباح ماضيها بكره أو انتقام

وبعضها يعيش الحب والدفء بين جنابته فيصير منارة للتائه والحيوان

وهي عادة،

عادت يارا ذات العشر سنوات تجري تارة لتتعلق برقبة جدها
وتارة أخرى لتتعلق برقبة عمها منصور تنتظر منه الحلوى..

خطت للبيت برهبة وسكينة تغلف قلبها

عادت لنقطة البداية للمكان الذي استقبلت فيه الحياة وشاركته
الطفولة والشباب،

هنا سمعت خبر وفاة الأب وصكت باليتم، استمعت لجور العم
وانترعت من حزن عائلتها.. وهناك وافقت على الخطبة بعد
مزاومات.. وهنا حين استسلمت دون شرط.. وهناك حين كشف
لها هو جسامه خطأها..

قدمها تحفظ الخطوات كراحة يدها فقادت لغيرتها القديمة
مباشرة ودون أن تهتم خلعت نعلها البيتي وأزالت غطاء السرير
المترب بعيداً وألقت نفسها بأحضان فراشها القديم..

ارتمت عليه لينتفض وتتعالى خصلاتها وفتانها من حولها
لثانية مثيرة الحياة في محيطها ثم عادت لتستقر بسكون

أغمضت عينيها تدعو أن يكون نومها بلا أحلام.

تابعتها ديما بعينيها بشفقة وحنان وبعض التمني..

كم كانت تتمنى لو لديها القليل... القليل فقط من الذكريات مع أمها وأبيها قبل الوداع، لكن الموت كان أسرع منها ومنهما لا تعلم أخطأ أن تعود بها لبيتها القديم أم هو عين الصواب!

تكره تلك الأمور

المشاعر التي لا تستقيم بقاعدة وتتموه فيها الخطأ من الصواب..

تنهدت تنفض عن رأسها تلك الأفكار وعينيها تجري على ما حولها تعد قائمة بخلايا عقلها عما يجب فعله وشرأؤه حتى يغدو البيت صالحاً للحياة

مدت يدها لهااتفها المحمول تتفقده فجدها لم يسمع منها منذ حادثته مقتضبة بأنها ستعيد يارا للأسكندرية وهو يقلق بشدة عليها وهذا خطر على صحته

عقدت حاجبيها فهاتفها الصامت استقبل العديد من اتصالات زيد، والخالة حورية، ومروة، وجدتها، لذا تنفست بعمق وجلست على أقرب كرسي وبدأت جولة الاتصالات

طمأنت جدتها واستمعت لتساؤلات جدتها الفضولية وحمدت الله على أن جدها فهم أن بالأمور ما لا يجب أن يقال فاطمن وأغلق معها سريعاً.

وبدأت بمحادثة الخالة حورية دقائق وتحولت المكالمة لاجتماع عبر مكبر الصوت عصام، زيد والخالة أحلام كلهم يسألون وهي تجاوب قدر معرفتها البسيطة، فمعتز لم يخبرها سوى بانها عصبية بسيط تحتاج للراحة وعدم الضغط على أعصابها لفترة.. وأخبرتها عن موضوع أن أخوتهم كذبة وأنها صدمت بأنهم جميعاً كذبوا عليها وبالكاد أقنعتهم أن د. معتر نصح بأن تبعد عن الأشخاص المحيطين بها وعن منزلها لفترة، وشجع سفرها..

وما أن انتهت حتى أسرع تحادث مروة فهي من ستفهم منها كل شيء ولما وصلت يارا لحالتها تلك.

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

انتهى أخيراً من مقابله مع المسمى بخالد الملامح، ودون عناء استطاع أن يقرأه؛ شخص متملك وبعينه جذوة جنون ستفيده إن استطاع اللعب على أوتاره الصحيحة ستصب في مصلحته فالمعلومات التي عرفها منه مهمة وإن كانت لا تمثل هزيمة حقيقية لإياد لكن مع القليل من البهارات الصحفية لمهرة ستبدو كقنبلة تهز عرش الحديدي بقوة وقد تزيحه من السلطة تماماً ويخلو له المجال

أرسل رسالة استدعاء واجبة التنفيذ لمهرة لتأتي له، والآن عليه فقط أن ينتظر ويترك بياده تقوم بتمهيد الطريق لإزالة خصمه من طريقه ولتبقى له لذة الضربة القاضية.. لذا سيحافظ على المدعو خالد تحت عينيه وتحت سيطرته الفترة المقبلة ولا يجعله يقترب من يارا زوجته السابقة إلا حين يتأكد من أنه قضى على إياد..

وقتها فليشبع بها لا يهتم

- يعني إيه مش راجع

أكدت مروة بتكرار:

- زي ما بقولك هشام بعث رسالة بيقول مش راجع ده حتى زيد
وعصام لما اتصلوا بعلاء محامي الشركة أكد لهم الكلام ده وأنه
حتى

- إيه انطقي

زفرت ودموع تمتلئ بعينيها:

- حتى ساب وصية تفتح لو مات

أسرعت ديما :

- بعد الشر عليه فال الله ولا فالك

ساد الصمت بينهما قليلاً حتى قطعتة ديما :

- أنا مش مصدقة أن اللي بتتكلمي عنه ده هشام

شخصت بعينيها وهي ترد بشرود:

- اهو ده اللي حصل

- اممم اكيد اللي خلاه يعمل كده حاجة تخص يارا تفتكري
حاجة حصلت بينهم!؟

عقدت حاجبيها والاستنكار نضح من صوتها:

- بينهم ازاي يعني قصدك إيه؟

- مش عارفة.. والله ما عارفة.. ايه اللي اقصده أو ما اقصدوش..
يارا نفسها تعبانة قوي.

- هي عاملة ايه دلوقت؟

- فاكرة يوم صدمتها وخناقها مع هشام بسبب الزفت خالد
همهت بايجاب فأكملت ديما:

- هو نفس اليوم بس أضعاف زي ما يكون هم سنين وركب على
أكتافها مرة واحدة تفتكري يكون عرف حاجة عنها وعن
خطيبها؟

- باسل!؟ يا بنتي كان بايت عندنا امبارح ويارا ما شافتوش أصلاً

- يمكن هشام شاف حاجة و.....

- ديما بطلي هبل وبعدين كان بايت فوق في الرووف مع عصام
وزيد واللي فهمتوا من كلامهم أن زيد كان سهران طول الليل ما
نمش وباسل ما صحيش إلا الصبح

- أو مال إيه اللي حصل؟! معلىش يعني أفهم أنها تزعل تتقمص
من موضوع الأخوة ده بس مش للدرجة دي.. في حاجة ناقصة
- ما هي عندك ما تقرريها يا كولومبو

زمت ديما شفتيها بحنق:

- تفتكري لو أعرف ما كنتش عملت بس للأسف لو شفتيها
حتعرفي أنها مهدودة

- معلىش يا ديما أنا مش حينفع اسيبهم دلوقتِ خالتو آمال تعبت
فحنتقل عليكِ شوية تستني مع يارا كام يوم

- يا بنتي ولا يهملك بس المشكلة في الشغل والبروفيسور اللي
جاي وأنا المفروض من أعضاء الفريق بتاعه

تنهدت بعمق مكملة:

- بس أنا حاتصرف المهم ما تتأخرش عليا ماشي

- ماشي خلوا بالكم من بعض

- ماشي وأنتِ أي جديد عن هشام طمني
أغلقت مع ديما الهاتف وهي تتحرك للخارج ترغب في سؤالهم
عن إن جد جديد في موضوع هشام لتستمع لعصام :

"يا بنتي والله ليكي عندي علبة شوكولاته من الكبيرة وعزومة
غدا في المكان اللي بتحبيه، بس عرفيني ماسابش رقم تليفون؟
وسيلة اتصال عند علاء؟.. ما هو مش معقول يغطس كده!!"

لم تسمع الرد حاولت التقهقر دون صوت ليأتيها صوته:

"سهام أنتِ عارفة معزتك في قلبي قد ايه أرجوكِ أنا محتاج لك
دلوقة قوي"

عقدت حاجبيها وعادت تمشي باتجاهه تخبط على كتفه من
الخلف هاتفة بغیظ وحنق:

- بالذمة وقت غراميات وأخوك مش لاقينه أنت ما بتحسش!

ألقت جملتها وأكملت طريقها تجاه غرفة الجلوس تجاه أمها
تخبرها بصوت عال :

- ماما.. أنا لازم أسافر اسكندرية دلوقتِ ديما مش حتعرف تقعد
معاها أكثر من كده عندها شغل وأنا خلاص أجازتي طولت قوي.
نظرت لها حورية بترقب :

- فجأة كده!!

سالها زيد بخوف :

- يارا جرالها حاجة وأنتِ مش عايزة تقولي؟

نظرت له بحزم :

- أنت عارف أنا مش بتاعة حوارات لو في حاجة حاقول
واطمنوا يارا نايمة في أوضتها في بيت جدي وأنا حاروح أقعد
معاها.. لازم أسافر دلوقتِ

- دلوقتِ امتي؟؟ الدنيا ليلت يا بنتي

- معلى يا ماما أنتِ عارفة بحب أسوق بالليل وكمان ديما عندها
شغل الصبح

عادت أدراجها لتجده واقفاً بطريقها يخبرها بحزم :

- مش حتمشي دلوقتِ استني للصبح وحاوصلك.

غمده بنظراتها من أعلى لأسفل قبل أن تتفاداه وتتعمد أن
تخبطه بقوة بكتفها قبل أن تكمل طريقها لغرفة يارا

"ناريمان"

اسمها ظهر على هاتفه وهو يستمع لمناوشة عصام ومروة التي
يبدو أنه أغضبها ولا طاقة لديه للسؤال حتى ماذا حدث بينهما

تنفس بعمق ورد عليها :

- أهلاً.. ازيك؟.. آسف إنني قطعت معاكِ المكالمة بس ظروف

حصلت

- لا أبداً خير؟!!

- شوية مشاكل عائلية مش أكثر

- آه علشان كده إياد ماجاش الشغل النهاردة هو وميرا!

نبرة صوتها سببت عقد حاجيه لكنه أجابها:

- مش عارف الحقيقة

- طيب أنا كنت باطمئن عليك

- متشكر جداً أول ما أفضى حاكلمك.. اوكيه.

وأنهى محادثته معها والتفت للداخل يحاول اكمال سلسلة اتصالاته بأصدقاء هشام جميعاً والرد واحد

"لا خبر عنه"

- يا أحلام مش وقت ده تمشي فيه وتسيبي البيت وأختك
تعبانة.. اسمعيني بس..

- يا حورية الحمد لله الدكتور بيقول ضغطها وطي فجأة مش
أكثر وحامشي مش حاقعد هي خلصت وكفاية لحد كده

أزاحت يد أختها الكبيرة حورية لتتحرك تجاه الباب تسلم
الحقيبة الكبيرة لابنها وتلفت لعصام الواقف بذهول غير مصدق
يسألها بصوت مشروخ وعينيه تحمل رجاء :

- حتمشي وتسبينا يا روكا؟

ابتسمت وبعينها دموع محتبسة ربت على صدره ولم تنبس
سوى :

- خلي بالك من نفسك ومن أمك وصالح أختك ما تغلطش
غلطتنا بلاش تشيل في قلبك ناحيتها.

وأسرعت تغادر المنزل وعصام ينظر لخالته حورية كطفل يفقد
كل ذويه فحأة ودون مقدمات :

- اعملي حاجة يا حورية ده أنتِ الكبيرة قولها حاجة

هزت حورية رأسها بقلة حيلة وتركته مجيبة :

- سيبها تبعد الكلام ماعدش منه فايده دلوقتِ سبها تجرب

دقائق ووجد مروة مغادرة أيضاً:

- لا كده كثير.. قوت مافيش سفر بالليل ما هو مش معقول أنتِ
كمان ماشية!

لم تنظر له.. لم تهتم حتى بالرد عليه، اتجهت لأمها تحتضنها
مدمدة بكلمات بسيطة:

- أنا ماشية دلوقتِ لازم علشان ديما عندها شغل بدري ومش
حينفع تاخذ أجازة ومش حينفع نسيب يارا لوحدها.. لا إله إلا
الله

- مع السلامة يا بنتي خلي بالك من نفسك وطمني محمد رسول
الله

وغادرت بخطوات سريعة دون أن تنظر حتى خلفها لينظر عصام
لخالته التي جلست تمسد رأسها بقوة :

- حسيبها تمشي هي كمان!!

صمت لدقائق طويلة قبل أن ترفع عينيها له مجيبة بسؤال:

- وهي قعدتها حتفيد يايه؟

تلعثم واحتارت عيناه ولم يجد رد سوى دمدمة بصوت مكسور:

-البيت فضي

"محظوظ دائما محظوظ"

جملة ظل يرددتها لنفسه وهو ينهي عمل اليوم المتراكم بسبب
عدم حضور إيراد للعمل وأيضاً بسبب حضوره متاخراً فبعد مفاجأة
الصباح واكتشافه أن خطيبته المصون هربت وابن خالتها وأخيها
الأكبر أيضاً هرب..

أصبح لديه شبه يقين أن كلام العم صحيح وإلا فلما تهرب!
هو المغفل الكبير ذو الحظ المريع دخل الأسرة يبحث عن
دفء، حضن آمن ليتحطم الحزن ويتفكك بكل إتجاه ولا يجد
سوى الصقيع، حين قرر إعطاء حياته فرصة جديدة صدم بفرصته
الجديدة ترفسه دون رحمة، حتى محاولاته للعودة لباسل القديم
فشلت فشل ذريع..

الخلاصة هو محظوظ ولم يتبق له سوى العمل وإلا سيجن من
التفكير

لذا عاد إليه مفرغاً به كل طاقاته متنقل من مكتب لآخر، ومن اجتماع للتالي دون كلل، لن يفكر في أي أحد أو أي شيء، سيعود كما كان لوحدته الفارغة فهي أرحم من خيبة الأمل، فالحياة صبحت تبدو كعقاب مستمر طويل لا نهاية له

وبنهاية اليوم الطويل جلس بصوفا بمكتبه يمدد قدميه وحين تعالى اعتراض ظهره العليل، يده أسرع لتبحث عن حبات المسكن صديقه القديم ليفاجأ أنه نفذ منه!! لقد تناول شريطاً كاملاً على مدار يومين فقط ومازال يتألم!!!

شهران مرا..

ستون يوماً طويلة مرت بكل ما فيها ولم يتعود بعد لا على فراشه الجديد ولا على بيته الجديد، وكالعادة مر بنوم متقطع.. افتقد كل شيء؛ صوت الغناء العذب من الراديو صباحاً، بخور الصباح، والدعوات، والافطار الشهوي، والتناوش..

افتقد كل شيء؛ افتقد الاستيقاظ على صوتها الحنون بدلاً من صوت المنبه اللحوح ورغم كل ما تبذله أمه من طاقة في جعل المنزل الجديد بيتها الخاص رغم الرقة والرقى والجهد لم يشعر به يوماً بيتهم

جلس بفراشه يستعد لوصلة تظاهر؛

هو سيتظاهر بنوم مريح ومزاج رائع، وهي ستظاهر بالسعادة والابتسامة دون روح..

ربما لا يراها وهي تمسح عيونها من ألم الافتقاد لتوأمة الروح، لا يراها ترغب في السؤال وتأبى كرامتها ووجعها من شقيقة الروح..

تظنه لا يشعر بسؤالها اليومي..

لا ليست وحدها، سؤال الجميع؛ هل من جديد عن هشام؟

ويجيبها ككل يوم؛ لا.. لا جديد فهو اختفي دون أي دليل على مكانه وهو اضطر لينزل العمل يتعلم بسرعة من ميرا وعصام لكن

دخول مكتبه وهو ليس به مر كالعلقم، واليوم وراءه اجتماع هام جداً..

استيقظ ليري هاتفه يرن يالبحاح...

آه ناريمان توقظه وستذكره بالاجتماع..

- صباح الخير

- صباح النور

- لسه نايم؟

- لا

- طيب عموماً بافكرك بالاجتماع مش أكثر

- طيب تمام

- زيد.. أنت ليه متغير معايا في طريقة كلامك؟

زفر ومسح على وجهه ما ذنبها هي لتنال منه ضيقه وغضبه :

- مافيش شوية مشاكل مش أكثر

- آه بخصوص غياب ابن خالتك هشام مش كده ؟

لا يعلم لما كلما سألته عن هشام يشعر بالقلق يشعر باستجواب
غريب لذا أجابها :

- الشغل كثير وجديد عليا مش أكثر.. معلى حاقوم أجهز علشان
ما اتاخرش.

- اه سوري شكلي عطلتك.

لهجتها ونبرتها المتضايقة جعلته يبتسم ابتسامة غير كاملة :

- لا أبداً ايه رأيك نتعشى سوا النهاردة؟

ابتسمت مغممة :

- نخليها غدا أحسن؟

فزادت ابتسامته بخبث :

- قولتك الغدا دائماً محجوز هو العشاء take it or leave it

تعالت ضحكتها ببطء:

- اوكيه يبقى عشاء

أنهى محادثته معها فعلاقته معها غريبة؛ لقاءات على العشاء،

أحياناً مكالمات متفرقة يتحادثان في كل شيء ما عداهم، لا يسألها ولا تسأله، فضفضة من النوع اللطيف وإلهاء مرحب به.

أسرع يستعد لاجتماع اليوم الطويل رغم وجود عصام وميرا إلا أنه يقلق بشدة فهو يدير مجال عمل لا يفقه فيه الكثير

- اووف

تأففت لا وقت لديها لهذا الزحام يجب أن تقابل ميرا ضروري قبل الذهاب لعملها حتى يمكنها إعطاؤها الأمانة التي أعطتها لها يارا في زيارتها الأخيرة لها

يبدو أنها تتحسن؛ زيارة الدكتور معتر لها الأسبوعية بالأسكندرية تبدو أنها مثمرة ولو أن الحال ظل كما هو فقط ما تغير هو محادثة يارا لأمها ولزيد فقط بالهاتف

تنهدت حين نظرت لساعتها وهي تخطو عبر بوابات مؤسسة الحديدي، لقد تأخرت جداً وبالنهاية وجدت نفسها تنتظر لأن ميرا باجتماع هام لا يمكن مقاطعته..

ظلت جالسة تحاول الانتهاء من بعض التقارير على حاسوبها
المحمول حتى جذب أنفها رائحة مألوفة رفعت رأسها لتراه؛
باسل..

حاولت أن تغوص بكرسيها أكثر وتتخفى خلف شاشة حاسوبها
فهو آخر شخص ترغب برؤيته ولا تأمن لسانها معه..
تحدث مع الفتاة الشقراء بعث انعقد له حاجبها إذاً هو من
الصف العاشر

ظلت زيارته تتكرر على مكتب السكرتيرة الذي تجلس هي في
ركن قصي منه ولاحظت ما جعلها تقوم من مكانها مرة واحدة..
اقتربت منه لتأكد وهو يدخل يده بجيبه مرة أخرى :

- إيه اللي انت بتبلعه ده!!
رفع حاجبيه مستديراً لتلك التي اقتحمت عليه خلوة أفكاره:
- أفندم ... نعم
عقدت حاجبها وبعينها تحدي عنيد:
- أنت سمعتني كويس وعازرة إجابة واضحة

رائحة عالم

شغيف ورائحة

اقترب منها باستهتار وسخرية حادة بعينه:
- ما يخصكيش

جزت على اسنانها بحنق وضيق عينيها :

- أنت بتاخد drugs؟؟

رفع حاجبيه لجرأتها :

-ديما الناس لما بتشوف بعض تقول صباح الخير مساء الفل

لكن drugs جديدة دي.. لا بس ايه الحلاوة والشياكة دي!!

لترفع إحدى حاجبيها في استنكار :

-آه دي باين عليها عليت معاك قوي! تصدق أنت تستاهل

عادت لحقيبتها تتزع منها شيء ما وعادت له تنقر الأرض

بغضب، مدت يدها تسحب يده بقوة وتضع بكفه شيء ما مرددة

بقسوة :

-بتقولك ما فيش نصيب.. ربنا نجدها

الله عالم

شغيط ورنج

وأمام دهشة عينيه الغاضبة التفت لتغادر، تلملم حاجياتها ومرت به وهو على وضعه المندهش فغممت له قبل أن تغادر:

- على فكرة الجملة الأخيرة دي من عندي أنا.

وغادرت دون أن تعرف أنها بيدها ألقت عليه القشة القاصمة .

الفصل الثاني والعشرون

نتحمل حتى تنهار الحدود

نتناوش بشراسة الفهود

نعاند بصفاعة الجهول

وبوقت الحقيقة تنكشف النفوس

كل بنو آدم عرايا ضائعون

بين قشة نجاة وربما هلاك..

أو ستر ورقة توت!

وكم من حكاية تتلخص

بمن منا متشبث بالقشة!

ومن يتواري بخبأ التوت

"حابدأ من بكرة"

"لازم صورة"

"علشان ضميري يستريح"

"ملكي أنا وبس"

"كله إلا سيرة الواحد.. أطول من العمر"

"إحنا حنفضل إخوات"

"أنت السبب الله يسامحك"

تتعمد هي الحضور باكراً عن موعدهم الأسبوعي، أصبحت المقابلات المتكررة عبأً عليه لكنه يقتنص لها يوماً كاملاً من جدول مواعيده المزدحم ليراها، وأفضل ما بتلك الترتيبات أنها على أرضها.. نعم على شاطئ يقابله أمواج حقيقية وليست مجرد صورة مؤطرة تهرب اليها حين يشتد وطيس الحوار!

رذاذ البحر المتناثر على وجهها ولسعة الهواء التي تتسلل لخلايا جلدتها تنعشها ورغماً عنها تغمض عينيها وأذنيها تنتظر صوته الدافئ ينشر الدفء بأوصالها، ولمسة يد حنون على كتفها وباليدي الأخرى يحمل لها إحدى مفاجآته.. قد يكون كوب شاي بحليب لا تعلم من أين يأتيها به، وقد تكون حلواها المفضلة أو جلاسة مثلجة، المهم أنه سيعطيها ويفاجئها.. وحين طال الانتظار غمغت لنفسها:

- ما بقاش موجود!

لتفتح عيونها التي تنافس أمواج البحر بزرقتها وتضغط على أسنانها فهي لن تبكي.. ليس بعد الآن، فكلمات ديما لها يوم عادت لمنبعها تتردد بقوة في عقلها وكل جوارحها تتذكر استيقاظها على صوت ديما القلق:

- يارا.. قومي، يارا.. أنتِ بتعيطي!.. قومي.

قامت من نومها دون أن تدري أنها ترتجف والدموع تجري على وجهها، انتظرت الدفء ولم يأت.. لقد وقفت ديما كما هي تنظر لها بعمق حتى سألتها بتلعثم:

- في إيه يا ديما؟

عقدت ديما حاجبيها وجرت أقرب كرسي لتجلس عليه وهي
تناظرها بحواجب مرفوعة:

- كنت بتعيطي!

- أنا بردانة.

لم تتحرك ديما قيد أنملة بل عقدت حاجبيها وتراجعت تستند
بكرسيها مردفة:

- الجو مش برد درجة الحرارة معتدلة وأنت ما عندكيش أي
علامات للبرد..

- بقولك بردانة.. برتعش!

هزت كتفيها وهي تعقد ذراعيها مكلمة ببرود:

- ما أعتقدش إن في حاجة هنا في البيت ممكن تدفيك.

وقبل أن يندفع لسانها الساخط بتوضيحات لاذعة عن مكان
تخزين وعدد البطانيات رفعت لها حاجبيها بنظرة واضحة وهي

فهمت.. فمع ديما كانت دوماً كتاباً مفتوحاً أكثر من اللازم، لذا كانت أول من طالبها خالد بل أصر على قطع كل صلة لها بها..

ابتلعت يارا ريقها، والبرد لا تتصنعه.. تشعر ببرد شديد ينخر بدواخلها لذا بدأت تشدد في احتضان نفسها تمرر كفيها بقوة على ذراعيها وقدميها وهي تجذب غطاءً خفيف تتدثر به تاركة الصمت يسود بينهما، مدت ديما يدها لجيب بنطالها لتخرج هاتفها وتلقي به لها:

- مامتك وكلهم عايزين يتطمنوا عليكِ.

- مش عايزة أكلم ولا أشوف حد فيهم.

ضيق اعطلى ملامح وجه ديما وغمغمت بسؤال مستحق:

- مش حتقولي لي في ايه؟

تهربت يارا بعينيها من ديما وهي تلهي نفسها بالغطاء:

- ما أنا قولتلك.

- اممممم.. براحتك، على فكرة هشام مشي.

لا تعلم لما رمت بما تقوله الآن لكنها تتبع عقلها وعقلها يقول
أنها تحتاج للمعرفة وإن كانت العين فاضحة؛ فعيون يارا مرآة
صافية.. لقد ارتعشت ورفعت عينيها لها بغباء وعدم فهم:

- أنتِ بتقولي ايه؟! -

- زي ما سمعت.. هشام مشي.. إختفى مش لاقينه!

وانفتح فمها دون استيعاب وعينيها أعطتها الجواب.. ما حدث
لها أيا كان يخصهما وله علاقة بالاثنان.. وبدأت تبكي وترتجف
بقوة ملحوظة أمام عيني ديمما التي ارتجف قلبها على منظرها
والقلق اكتسح البرود الذي تتسلح به معها.. فكت ذراعها،
كادت أن تهب لتحتضنها تبثها الأمان الذي تحتاجه ولكن بقايا
غريزة ممزوجة بمنهجية عقل تتبعها دوماً جعلتها تتراجع وتجلس
لتخبرها بصوت واضح عال:

- على فكرة الدموع مش حتحل حاجة.. لا حتمع اللي جاي ولا
حتهون اللي راح.

لم تسمعها وزادت فخشيت الأخرى أن تنجرف لهيستيريا لا
تستطيع التصدي لها فما كان منها إلا أن هبت وسددت لها صفة
صدي ارتطامها بصدغها جلب الصمت.. ويارا المندهشة
المدعورة تناظر ملامح ديما الباردة الجامدة وعيون باكية لا تفهم
وعيون قلقة بدموع محتبسة لتخبرها ديما بصوت واضح:

- كفاية ضعف.. كفاية رثاء على نفسك.. أكثر من كده مش
كفاية!!.. تسع سنين!

قامت لتخرج من غرفتها بلغة جسد غاضبة وما إن وصلت للباب
وقبل أن تخرج التفت لها بجانب وجهها وخصلاتها الشقراء
تبعثر:

- يمكن تكوني مريت بتجربة صعبة أفقدتك حاجة غالية؛ بس
بتصرفاتك حتفقدني الأعلى، أنتِ مش قادرة تحسي بالنعيم اللي
أنتِ فيها وغيرك بيتمنى ربعها!

تركتها وخرجت صافعة الباب، ليلتها صمتت يارا.. ظلت ساهرة
أسيرة الأفكار والنوم يجافها وهي لا تشتهي، ومع إشراقة الصباح

انتهت برزمة قرارات وخرجت لتفاجأ بمرورة وعلمت بعودة ديما
للقاهرة فليها عمل..

لم تتألم والأهم أنها لم تبكي من يومها ولا دمعة واحدة.. فما
أعطته لها ديما يومها كانت ما تحتاجه من تسع سنين..

"على فكرة بقالي ٢٦ دقيقة بالظبط قاعد جنبك وأنتِ ولا هنا"

تفاجأت بصوته وانتفاضتها وجلستها جلبت لملامحه البسمة
والاعتذار ذا الابتسامة الحرجة منها متوردة الخدين متلعثمة:

-د. معترز!.. أنا آسفة ما أخذتش بالي.. كنت سرحانة.

هز رأسه مؤكداً متمتماً:

-لا ما هو واضح.. سرحانة في إيه؟.. ممكن أسأل؟

ابتسمت نصف ابتسامة وهي تجيبه:

-في ديما.

هز رأسه بتفهم وسؤال لا يمل منه كل مرة قابلها فيها على مدار
الشهرين الماضيين:

-كلمتِ حد من عيلتك!

واليوم فاجأته بهدوء:

-كلمت ميرا وعصام الأسبوع ده.

كتم تنهيدة راحة كادت تخرج منه، فهو يستشعر تقدمها الحثيث..
فهي بعد أول أسبوعان من لقاءاتهم كانت قد استطاعت كسر
حاجز الصمت الذي استثنت منه مروة وديما وهو بالطبع..
واستطاعت أن تتواصل مع أمها وزيد.. ولكنها ظلت حادة مريرة
تجاه بقية أفراد أسرتها..

رفضت ترشيحه لطبيرة صديقة، أقرب لمتابعة علاجها النفسي
معها وأصرت عليه هو، لذا بدلا من أن يجعلها تحضر له كان
يأتيها مرتين بالأسبوع.. أول اسبوعان وحين بدأت بالتحسن
صار يأتيها مرة بالأسبوع.. يوم يخبر والدته أنه بأجازة دون أن
يعلمها حقيقة أنه يسافر للعمل ومرة تلو الأخرى كانت تحكى
تفضي بمكنونات قلبها..

لا يعلم لمَ الآن؟.. لمَ لا تنتظر أسئلته!.. إنما هي تسأله، تستفسر، تستوضح منه عن كل ما يؤرقها، ربما هواء البحر وحريته، ربما وجودها بمحيطها الطبيعي!.. لا يعلم، لكن تطورها الملحوظ سيجعله يضع باعتباره مكان معالجة المريض وتأثيره على تطوره بالدراسة التي يحضر لها.

تحكي عن تفاصيل اتصالها بهم، سؤالاتها عن حالة خالتها، وعن توتر صوت ميرا الذي أقلقها.. وافتقاد عصام لمرحه المعتاد، ودوماً تتحاشاه هو.. تسقطه من كلماتها وحكاياها، تقتطعه من تفاصيلها بمهارة تثير تعجبه:

- وهشام!

- ما اعرفش..

اعتدل على كرسي البحر الذي يجلس عليه وسألها:

- يارا أنتِ مش قلقانة عليه؟.. مش عايزة تعرفي أخباره؟

التفت له بلهفة كان ينتظرها وسؤال بسيطة:

- أنت تعرف عنه حاجة؟

طال الصمت وهو يحدق فيها بتركيز قبل أن يجيبها:

- أنت بتعمدي تقصيه من كل حاجة بتحكيها وده غريب!

رفعت له أحد حاجبيها بتعجب:

- ليه غريب؟

- لأنه النقيض..

والإجابة قاصمة، دون موارد أكمال موضحاً ما تعرفه هي:

- لأن ما كانش فيه جملة مفيدة بدونه، ذكريات وحكايات

ماضي وحاضر كله لو ما ابتداهش بذكره كان لازم ينتهي بيه.

تركها تستوعب ما قاله فهو لم يأت به من خيال أو تخمين، هو

ببساطة ألقى أمامها حقيقة ما تفكر به كل ليلة لتخبره:

- أنا اشتركت في دورة للتصوير الفوتوغرافي وحابدأ من بكرة.

لن يتعجلها فهو يعلم من المختفي ما حدث بكل تفاصيله، لذا

سيصمت ويتركها تخبره أين العصفورة!.. سيتغاضى ويندمج

بحوار تهرب له باسمه فالأوان لم يأن وهي مازالت هشة بهشاشة

القشة التي تتمدك بها.. وهو يخشى أن تنكسر، لذا ستركها
تتعلق بها حتى حين.

شهران تغير فيهما الكثير، الكثير من ثوابتها بالحياة نسفت،
سندها رغم أنها لا تحتاجه لكن مجرد المعرفة بوجوده كانت قوة
أوهنها غيابها..

أعباء عمل تزايدت حد الطوفان وهي التي لم تشتكي يوماً بدأت
تئن، أمها مريضة والتشخيص نفسي بحت.. ليس مرض داؤه
أقراص.. ضعف يتلبسها تبغضه وتعانده وحماها العزيز يبدو
كالضواري منذ استشعر الضعف!.. صار يكثف ضرباته، لم تضع
تصميماً واحداً جيداً ترضى عنه.. و تركيزها المشهود في خبر
كان..

والسبب غير معلوم المكان!!

فمنذ فقدت هشام دون أثر وحياتها اختلت، لم تعلم أن لوجوده
كل هذا الأثر!.. عصام أصبح يحادثها وان كانت نبرته تشي

بغضبه المكبوت، وزوجها إياد قصة أخرى.. يقدم لها الاحتواء
كما يفهمه الرجال، احتواء ليلي ساخن لا يقبل بابتعاد..

والليلة كمثيلاتها السابقات.. يتفنن أبيه بحرق دمها ليأتي هو ليلاً
يسعى حثيثاً دون كلل لاقتراب، ولا يقبل بابتعاد.. أعطته ظهرها
تحاول إغماض عينيها ولكنه يأبى، كيف تنام وهو يعيد رسم
ملامح ظهرها بأطراف أنامله حتى ارتخى كتفاها!!.. اقترب
يلامس نبضها المتقافز من عنقها مشيراً جنونها..

لا.. هي لا ترغب!

وهو لا يقبل بلا.. يواصل اللمسات والهمسات دقيقة تتلو الأخرى
حتى وجدت نفسها بين يديه وجهاً لوجه ينتزع من شفيتها أنين
الموافقة...

"ميرا إلحقي"

انتفضت سريعاً من غفلة أفكارها تحديق في زيد الجالس أمامها
بابتسامة واسعة وهو يردد:

- مش قولتلك.. لما بتبقي سرحانة كده لازم تخضها.

ارتخت بكرسيها تزفر بحنق:

- بطل حركات العيال دي.

أغاظها بحواجب مرفوعة وابتسامة سينمائية يعلم أنها تغيظها
وناريمان تردد بتهكم:

- واضح إنها تعبانة، شكلك ما نمتيش كويس.

كتم زيد ابتسامة متلاعببة مازحة وناريمان مثله والرد القاطع كان
لعيون تحدق بصرامة:

- أظن كفاية هزار وتضيع وقت.. ممكن نركز في الاجتماع!

التفت ينظر بجانب عينيه لزوجته، هو تأكد أن تنام متخمة بالرضا
والابتسامة المعتادة على وجهها، ربت على يدها الموضوعه على
طاولة الاجتماعات بجانبه.. وباليد الأخرى يرفع سماعة الهاتف
الموضوعه على طاولة الاجتماعات المصغرة بمكتبه مردداً بحزم:
- تعالى المكتب.

وبغضون دقائق كان يدلف لمكتبه ساعي مكتبه الخاص:

- تحت أمركم.

فأشار له على الجلوس:

- شوفوا تحبوا تشربوا ايه يخليكم فايقين ومركزين.. في الشغل!

وآخر كلمة خرجت يضغط كل حروفها بتحذير مبطن استقبله الجميع، فأسرعت ناريمان مبددة الحرج:

- أنا حاخذ كابتشينو وكابتن.. أقصد أستاذ زيد حياخذ اسبريسو مش كده!

أنهت جملتها بابتسامة ناعمة تخصه بها، قابلها بارتفاع حاجبيه ونظرة مغازلة والجواب حازم:

- كابتن زيد بيشرب الصبح قهوة مضبوطة ومن البن الغامق بتاعي.

نطقها ميرا بحزم وبساطة وتحدي اشتعل في العيون الرمادية بزرقه يقابلها حدقتي الشقراء المخضرة والتفت ناريمان تسأل زيد المؤازرة ليتنحى زيد وبعينه نظرة غامضة لناريمان موجهاً حديثه للساعي:

رأيتك حازم

تخفيف ورنج

- زي ما قالتك مدام ميرا.. ويا سلام لو في فنجان من بتوعها!
وسدد ابتسامة لميرا ارتسم صداها على وجهها باسترخاء على
كرسيها أمام عيون إياد المراقبة من تحت جفون شبه منغلقة،
لتكمل ميرا باسترخاء:

- واسبريسو دو بل لإياد بيه وأنا حاخذ قهوة مضبوطة.
وشبح ابتسامة ارتسم على وجه إياد وظل الساعي بالانتظار
للتأكيد وجملة من إياد:

- ما تتأخرش وزى ما المدام قالت لك.. دلوقت أنا قلقان لأن
الحملة اللي كانت في إيد هشام غير مرضية بالمرّة!

انتهى المزاح وبدأ الجد وزيد يرزخ تحت وطأة عمل هشام،
يحاول بجهد بث الثقة، قد تنطلي واجهته الهادئة على العاملين
بالشركة بعد فزعهم من غياب هشام الفجائي وعلى ناريمان وأمه
وخالته لكن من الصعب الإفلات بتلك الواجهة الواثقة دون
أساس على رجل مثل إياد أو ميرا أو عصام.. لذا بابتسامة
دبلوماسية يتقنها بدأ بالتوضيح، داخله يشعر بالقلق وما يطمئنه

وجود ميرا التي تنبهه حين السهو وتوجهه حين تشعر بشروده عن المضمون، فميرا لا يستهان بها رغم أنها تبدو ليست بأفضل حالاتها!!

لم يصدق حظه حين انتهى الاجتماع بموافقة انتزعتها بصعوبة من إياد لترك له مهام هشام المتعلقة بمؤسسة الحديدي، فهو يعتبر عمل هشام أمانة، عهدة برقبته سيحافظ عليها مهما كلفه الأمر حتى يعود صاحبها.. قبل أن يخرج غمغم بهدوء:

-ميرا لو سمحت.. كنا محتاجين نتكلم.

رفعت عيونها لزيد مدققة مجيبة بسرعة:

-آه طبعاً.. تعالى نكمل كلام في مكثبي.

وخرج الاثنان وقد بدأ بالتهامس وناريمان تتباطأ بشكل ملحوظ، وبمجرد أن أغلقا الباب خلفهما:

-هو باسل فين مظهرش في الاجتماع!

رد إياد بلا مبالاة:

- أصله معذور برضه.

وتركت المجلة تقوم بالمهمة وأسرعت تخرج.. وقبل أن تغلق الباب ارتسمت على وجهها ابتسامة بمكر أنثوي تتنفسه كما الهواء..

خبر مصحوب بصورة غير واضحة لباسل يحتفل بصخب، صورة لا تؤكد ولا تنفي فقط كافية لتحريك المياه الراكدة.

"هروب خطيبة الذراع الأيمن لأحد أكبر المؤسسات الاقتصادية بالبلد"

اختفت الأنسة "ي. م." بظروف غامضة تاركة وراءها خطبتها من الأستاذ "ب. ا." الذراع الأيمن لمؤسسة من أكبر المؤسسات الاقتصادية بالبلد، والذي كان نجم الأخبار منذ شهور قليلة بسبب صورته الحميمية المسربة من حفل خاص.. وأتبعها خبر زواجه الصاروخي من صاحبة الصور السيدة "م. م." التي تعمل بنفس المؤسسة.. والجدير بالذكر أن الخطيبة الهاربة هي ابنة خالة العروس..

رأيت عالم

شغيف وورع

وباقى الخبر تفاصيل قديمة وأخرى مصاغة ببعض البهارات الصحفية التي يعلمها جيداً.. رمى بالمجلة بعيداً بنزق فباصل خلال الشهران الماضيان لم يكن كنفسه وهذا يقلقه عليه والأكثر إثارة للقلق أن ما يحتويه الخبر يفوح وبشدة برائحة مهرة!!.. لذا لم يكن لديه سوى رقم هاتف يلجأ إليه.. فالأمور تتطور لمنحنى يقلقه!

"إيه لعب العيال اللي أنتِ ناشراه ده!.. إحنا بنهزري يا مهرة؟!"

تلعثت مهرة أمام هجومه الهاتفي الضاري عليها، ابتلعت ريقها وصرفت من كانوا لديها بالمكتب فالיום هو نهاية الأسبوع واجتماعها بفريق عملها هو الأهم ولكن تخشى أن يتعدى صوته الهاتف أو يرى احدهم لمحات من ضعفها.. بإشارة من يدها انفض الجمع، التقطت أنفاسها بعمق قبل أن تنطق بصوت ثابت:

- أنتِ إزاي بتكلم معايا كده؟

- نعم!!.. هو ايه اللي إزاي؟.. لا فوقي، أنا مش واحد حتسكتيه
بكلمتين ولا حتاكلي عقلي بحواراتك.. فين اللي اتفقنا عليه؟..
ها إيه الخبر التافه اللي أنت منزلاه ده؟

عقدت حاجبيها ترد بصوت قوي رغم ارتجاف الشفاه:

- ده اللي عندي.. قولتك مش حانشر حاجة إلا ومعايا دليل،
ولحد دلوقت أنت ما ادتنيش حاجة، صورة باسل دي جات في
إيدي بالصدفة.

- مهرة الخبر لازم ينزل بكرة.

النبرة الغاضبة المحذرة لم تمنعها من الاستنكار بعلو صوتها:

- بكرة مين وإزاي!!.. بروفة بكرة جهزت خلاص ما ينفعش،
وبعدين قولتك مش حانشر حاجة من غير حاجة في إيدي
تسندني.

- أنت خايفة من إياد؟

ساد الصمت لثوان معدودة سادت فيها الأنفاس المتهدجة منها
الغاضب والآخر المرتعب:

- أبقى غبية لو ماخوفتش.. أنت عايز تعاديه ومش فارق معاك
بس أنا عايزاه ومش من مصلحتي أعاديه.

- يقولوا الشخص الذكي اللي يعرف يحدد أولوياته صح
..الأهم فالمهم!

عقدت حاجبيها من نبرة صوته الممطوطة الخبيثة فسألت بتوتر:
- تقصد ايه؟

- أقصد إن قدامك اختيار من اتنين.. يا أطلع أنا اللي عندي
وتبقي سمعة الصحفية المشهورة بنت العملاق الصحفي في خبر
كان ووقعة مش حتقومي منها؛ يا إما تنفذي اللي اتفقنا عليه
بكرة!

- أنت بتهددني؟

- أنا بوعيك.. لأن واضح إنك نسيتِ أنتِ بتتعاملني مع مين؟
والاختيار مر..

حلم عمرها من الزواج بإياد الشريك الأمثل لامرأة مثلها أو
الفضيحة ودمار ليس فقط لها ولكن لأبيها أيضاً وسمعتهما
سويًا.. وكما تعود دائماً له الكلمة الأخيرة:

-بكرة الصبح ألقى الخبر حقيقي في أمان.. ما لقتوش ادخلي
على اليوتيوب وحاخليكِ نجمة الأخبار بلا منازع.
ابتلعت ريقها تهتف به قبل أن يغلق:

-هاتلي صورة.. من غير صورة مش حانشر الخبر، ده آخر كلام
عندي.

رنين متعالي من جهته جعله يصمت لثوان استجمعت شجاعته
فيها.. فالفضيحة لن تكون لها وحدها وهي لن تسقط بهدوء:

-ما فيش صورة ما فيش خبر!

-عايزه في الصفحة الأولى.

ابتلعت ريقها بقرار خرج أشبه برجاء أخير:

-لازم صورة.

أغلق الهاتف دون أن يرد وهي تغلق سماعة الهاتف مرتعدة..
 لقد دخلت جحر الثعابين ملتحفة بثعبان ظنت أنه سيحميها
 وتخرج بمكافأاتها دون ضرر، والآن ثعبانها يلتف حولها يخنقها،
 يهدد بالإطاحة بكل ما بنته يوماً.. حتى يقتنص هدفه، وهي تكاد
 ترى إياد يبتعد أكثر وبالحالتين هي الخاسرة..

وبالميزان أمنية قلب أم حلم وتعب سنين والقرار محسوم..
 ستتشبث بكلمتها فهي لن تدمر نفسها وتاريخ أبيها، همست
 دون وعي:

-لازم صورة.

صورة تقيها غضب إياد وشر مقربين سلوكها غيور ومجتمع
 يشكك بأمانة ونزاهة ويهدد مركزها المحفوظ.. فهي بالأخير
 يحق لها ورقة توت!

الغبي صاحب النصف عقل يبعث له برسالة ويخبره أنها الإنذار
 الأخير!!

هو أشرف يتلقى تحذيرًا من مجنون مثله.. أجن!! لكن هو
خطؤه.. الاعتماد على نصف رجل تحكمه شهوة بامرأة في
الإيقاع بخصمه!

صر على أسنانه مضطرباً.. سيستعيد ما كان بيده، سيكون هو
رئيس مجلس إدارة المؤسسة دون منازع، لا بل ستسلم له على
طبق من فضة راجين قبوله بعد أن تنفذ الحمقاء الأخرى المنوط
بها.. فهي تتحداه، غبية.. هي خاسرة دون شك لأن هدفها لا
وجود له، فقصة زواج مهرة وإياد وحب واندماج القوة بالنفوذ
والمال لن تحدث.. فالآخر لا يراها كما تراه، وهو لا يهتم..

يده تجري على مفاتيح الكتابة بهاتفه يبعث برسالة مطمئنة مهدئة
له كي يصبر وينفذ له ما يحتاج، زفر.. لم يحتاج لامرأة ملكها
يومًا من قبل؟.. فالشهوة عند الرجل ضعف.. بعث الرسالة
واتصل بأحد رجاله ليراقبه عن كثب دون أن يغيب عن عينيه.

"إهدا واصبر.. قولتك حاجيبها لك لحد عندك، المهم دلوقت
عايز صورة ليك مع ميرا منصور بأي شكل وبعدها حوصلك ليها"

من أين خرج له هذا الأشرف..!!

شهران منذ تركها تفلت من بين أصابعه حرفياً والفضل له، وهو يصبره بكلمات جوفاء، فحتى الآن لا يريد أن يخبره أين هي!.. وهو نفذ صبره وتشتت جهده، يراقب الشركة فلا خبر والمنزل القديم لا جديد أما منزل أمها وأخيها الجديد لم تطأه بقدمها!!
أين هي؟..

آخر ما استطاع رجاله الوصول له هو أن الأهل يقولون سافرت لكن إلى أين؟.. لا تجرؤ على خطوة وحدها وهو متأكد أينما تكون سيكون هو.. لذا كثف بحثه عنه والنتيجة صفر.. وهو سيجن، لقد نفذ صبره وانتهى.. كانت ستكون بين يديه، بفراشه، تحت أقدامه، وملك طاعته..

والآن يخبره أن يقترب من ميرا ويضحى بحريته، فأمر عدم الاقتراب مازال ساري المفعول.. لكنه انتهى من اللعب معه، رمى هاتفه بعيداً ليتوجه لأحد رجاله بخارج منزله وهو يهتف بعلو صوته بغضب ناري:

- هاتولي مرتضى، ساعة زمن ويكون عندي.

عاد للداخل بغضبه المكتوم وبقايا عقل تخبره ألا يفقد كل الخيوط!!

لذا عاد لغرفة مكتبه، يبحث بين ملفات حاسوبه.. يبحث عن ملف صورها التي يصبر نفسه بها، كم تمنى لو رضخت لطلبه بتصويرها عارية لكنها رفضت بعناد رأس جميل سينسفه ما إن تأتيه..

وها هي الصورة، صورة يطوقها بذراعيه وبجانبها ميرا وبجانبه تجلس مروة بحفل الخطبة.. وأخرى وهو يراقص ميرا.. وأخرى وهو يراقص مروة.. ارتسمت ابتسامة خبيثة هامساً بسخرية:

- مرحلة التودد والسيطرة..

بعث له بالصورتين، صورة تجمعهم مع يارا وميرا والأخرى وهو يراقص ميرا فقط!

سخر بشبه ابتسامة كانت بالفعل مرحلة التودد للجميع حتى يحصل عليها وفعل، صورة قديمة منذ ما يقارب العشر سنوات

لكن لا يهم.. هذا ما لديه، ليتوقف على إحدى صورها معه،
يراقبها، يتشبع بملامحها..

تمنى لو دماغها بتفاصيل تعلن ملكيته الحصرية لها اشتعل بعينه
جذوة جنون.. نيران تملك لن ترضى بقربان سواها.. هي فقط
ولا أخرى ستطفئ لظاها.. يراقب صورتها بعينين تكادان تضيئان
بلمعان مخيف، يتلمس بأصابع يد وبالأخرى يزيد تكبير الصورة،
تمتم بفحيح:

"ملكي أنا وبس"

أصوات ضاحكة تتسلل لمحاولته التركيز فقام من مكانه ليستطلع
الأمر ليجد سهام تحاول اختطاف شيئاً ما من يد عصام المرفوعة
عالياً وهي تتقاذف حوله مما جعله يرفع حاجبيه لأعلى مدى
مهسهاً من بين أسنانه:

- أنت بتهب ايه أنت وهي؟

رأيتك دائماً

شغيف وورع

أسرعت سهام السكرتيرة تبتعد عن عصام تحاول تنظيم أنفاسها
ومداراة حمرة وجنتيها وتنحنح ضاحك من عصام:

- ابن حلال.. كنت لسه حاسأل عليك.

استند زيد على إطار باب المكتب ورفع حاجبيه بسخرية:

- لا ياراجل!!.. اتفضل.

تابعه وهو يتنحنح، يميل على مكتب سهام يلتقط لفافات ورق
كبيرة ويترك لها شيئاً ظناً منه أن زيد لن يلمحه، فعرض زيد على
شفتيه من عبث ابن خالته اللامنتهي وتقدم أمامه وما إن دخل
حتى اعتدل زيد ومسح كل علامات المزح موجهاً كلامه لسهام:

- مش حاقولك الكلام ده إلا مرة واحدة.. صحيح صاحب الشغل
غايب لكن من حقه علينا نحافظ على تصرفاتنا وحماسنا للشغل
واهتمامنا كأنه موجود..

تركها تتخبط بالإحراج والخجل ويدها تتلمس الشيكولاتة
المفضلة لها التي يأتيها بها عصام:

- أنت مالك بقيت جد كده ليه؟

نطقها عصام بقليل من العبث ليرد زيد بلهجة موبخة:

- علشان النهاردة أكبر عقد تمتلكه الشركة دي كان حيصع لولا
ميرا وعلشان أمانة حطيتها على أكتافي.. أنا مرعوب أكون مش
قدها، ولأن الشركة ناقصها أهم واحد من مصممين الدعايا..
المخ الرئيسي بتاعها.

صمت قليلاً يلتقط أنفاسه وعيون عصام امتلأت بالذنب مردفاً:

-المسؤولية كبيرة علينا كلنا مع إننا كنا بنشتغل معاه يوميا، لكن
ماحدثش كان متخيل إن الحمل بالتقل ده!.. وبعدين تعالى هنا،
أنت إزاي مروحتش تتغدى في البيت مع روكا؟.. احنا مش
قولنا وسط اليوم حتروح تريح ساعتين وتتغدى!!

انعقدت عيون عصام بتحقيق موجه لزيد:

-زيد.. أنت خدت الدوا بتاعك ولا لا؟

لوح له زيد بيده:

-نسيت.. اتلخمت، حاخده دلوقتِ.

-أنت أصلا رححت جلسة العلاج بتاعك النهاردة؟

خبط رأسه بكفه:

- ياه نسيتهأ حأجلهأ لبكرة.

- أنت بتستهبل صح!.. أنت أصلا مأجلهأ من يومين.

انعقد حأجيه بضيق مكملأ:

- أنت حتقوم تروح حتى لو ظبطهم في العيادة.. فاهم؟.. وأنا حأكمل بدالك.

تحرك تجاه زيد ليرفعه من على المكتب، فرفع زيد حأجيه سائلأ إياه بسخرية:

- حتقعد تقابل أستاذ إبراهيم بتاع شركة ترافيلأ وتظبط معاه بنود العقد؟

عقد عصام حأجيه وهو يتراجع سائلأ:

- هو علاء فين؟

- محامينا الهمام بيقابل عملاء من ساعة ما عرفوا إن هشام مشي ومش راضيين يدفعوا المستحقات اللي عليهم.

عقد عصام حاجبيه:

- حاقعد معاك و ننجز و بعدين نطلع على العيادة.

دقائق مرت و عصام يعرض على زيد التصميمات لمجرد العلم
بالشئ فقط ليستمعوا لأصوات غاضبة تتعالى بالخارج فنظرا
لبعضهما مغمغمين:

- هو في ايه برا؟

هز عصام كتفيه وهو ينهض:

- حاشوف.

ومع اقترابهما من الباب بدأت الأصوات تتضح و انعقد حاجبيهما
وزادت سرعة زيد ليفتح الباب وهو يهتف بنبرة غاضبة مندهشة:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

- البنت دي مش راضية تدخلني.. أقولها عم المدير تقولي
استأذنه!

عقد زيد حاجيه فجلبة دخول عمه مشيرة للعجب، منذ متى كان
بهذه الجرأة السافرة ومن أين علم أنه أصبح عم المدير؟!
أسرع عصام لاحتواء الموقف مطيباً خاطر سهام:

- خلاص يا سهام حصل خير.

والتفت للعم مرتضى محدثاً إياه بسخط:

- وحضرتك اتفضل على المكتب.

دخل مرتضى وهو ينظر حوله مغمماً:

- ماشاء الله ما شاء الله.. مكتب فخم جدا يليق بيك يا كابتن
زيد.

فرد زيد بهدوء وصبر وهو يتحرك ليجلس على أحد المقاعد أمام
المكتب تاركاً مقعد المكتب فارغاً وحذا عصام حذوه ليجلس
مرتضى بعيداً على أقرب صوفا:

- المكتب لايق بصاحبه.. أنا مجرد ضيف.

نظر له مرتضى بامتعاض ولسان حاله يردد بعقله:

"فقري زي أختك"

ولكن لسانه نطق:

- يرجع بالسلامة.. أومال هو فين؟

- سفرية شغل طويلة شوية.

- أيوه سفر فين يعني؟

رفع عصام حاجبيه زافراً:

- ويهمك تعرف في ايه؟

ولاحقه زيد بسؤال:

- خير يا عمي عايز ايه؟

- يارا..

كلمة واحدة جعلت الاثنان يلتفتا له بقلق وتوتر وهتفا سوياً:

- نعم!

استدرك مرتضى:

- أقصد عايز أطمئن عليها، عرفت أنها مشيت وسابت البيت..

واستجمع صوته تأنيب وغضب مصطنع بوضوح:

- إزاي بنت أخويا تسيب البيت وتهرب وأنا ما أعرفش؟

عقد زيد حاجبيه والتفتت له ببطء مستفهم:

- مين اللي قالك الكلام ده؟

قام مستأسداً يكمل تقريره بغضبه الزائف ملوحاً بمجلة يخرجها

من معطفه يلقيها ممعناً فى اعلان غضبه:

- عرفت من المجلات.. إزاي تسيب أختك؟.. أنا لازم أكلم يارا

دلوقتِ وأعرف هي فين!.. إزاي توافقوا على كده؟.. هي سابته

فعلا والا كلام جرايد.. ليكون هربت معاه.

- ما تحترم نفسك يا راجل أنت.. اتجنت!!.. مين دي اللي

تهرب مع واحد؟..

كان عصام يهتف بكلماته بغضب ممسكاً بتلابيب العم وزيد يقرأ

المجلة بتركيز وعقله يعمل وهو ينظر لمرضى وهب حين رأي

عصام يكاد يخنقه فخلصه من بين يديه:

- اهدى يا عصام استنى يا أخي.

زفر عصام:

- أستنى ايه ده خلاها خل!.. ليه عين يسأل عليها!!

- أنا مش حاسكت ولا أهدى غير لما أعرف هي فين وايه
الحكاية بالظبط؟

وظل يصرخ بصخب مريب وهو يدلك رقبتة جعل زيد يخبره:

- يارا في اسكندرية

وما إن دوت الجملة حتى صمت مرتضى بذهول:

- بتقول إيه؟.. رجعت لوحدها؟

زفر عصام من بين أسنانه واستنفر للفتك به مرة أخرى وهو يزفر:

- لا طبعاً.. في بيتها ومع بنت خالتها.

وأردف زيد بتأكيد:

- واحنا كلنا رايعين جاين عليها كل يومين.. وهشام بيتابعها
بالتليفون.

- يعني هشام بيتابعها؟

أكد زيد وهو يضيق عينيه في عمه:

- أيوة.

- وعريسها إزاي يوافق على كده؟.. هي سابته فعلا والاتكونوا

جوزتوها من وراانا!!

تلفظ عصام بسرعة:

- لا اطمئن هي سابته.

التفت زيد ومرضى الاثنان بدهشة لعصام الذي استطرد بتوضيح

مبطن:

- ما فيش نصيب ما اتفقوش.

فأسرع مرتضى:

- يبقي الحق رجع لاصحابه والبنت من نصيب ابن عمها..

حاكلمه وكلها شهر ويجي يتجوزها وتسافر معاه.

وباللحظة تلك فقد زيد أي تعقل كان يجمع غضب السنين
المكتوم منه:

- ده على جشتي.. ابنك ده لو قرب من أختي حاقتله.. أنت
فاهم؟

وأسرع عصام يبعد بينهما وهو يتلفظ بألفاظ بذئية يسب بها العم
وأمثاله مبدعاً في وصفه بالعلقة الماصة للدماء الكلب المتشمم
للنقود وطلبها منه صريحة:

- عرفت أختنا فين واطمنت!.. ما نشوفش وشك قربها ولا قريب
مننا أنت فاهم؟

عدل مرتضى من ملابسه وهو يحذر زيد:

- ماشي ماشي، بس اعمل حسابك أختك من اللحظة دي خطيبة
ابني رامي.. والكلام حيبقى بين كبار البلد وكلمتهم حتبقى
واجبة على كل حد فيكم.

وانطلق غاضباً ليزفر عصام بغضب:

- طلعلنا مينين ده؟.. هي كانت ناقصاه!.. زيد مالك!

توتر زيد سبب له انعدام توازن فأسرع عصام يتلقفه يجلسه
أيسرع بجلب الماء إليه وزيد مسترخي الجسد وغريزته بالخطر
تزار بجنون:

"في حاجة غلط.. في حاجة مش مضبوطة"

"تمام يا باشا كده!!"

ضرب خالد كفيه بمقود سيارته:

- أنت متأكد؟.. قالوك اسكندرية في البيت القديم؟

- أيوة متأكد..

أكد مرتضى بحماس وخالد بذهول فهو آخر مكان يمكن ان
يتوقعه:

- مش معقول تكون رجعت ولوحدها!!

وردد عقله:

"كأنها مستنياني"

رأيتك دائما

شغيفتي وارتية

التفت لمرضى يتأكد منه:

- وقالوك سابت خطيبها!

هز مرضى رأسه بتأكيد:

- خلاص هانت.. حالا حاكلم رامي أجيبه وأكلم الكبار في العيلة
ونخليه يكتب كتابه عليها.

طارت قبضة خالد لعنق مرضى تخنقه فتمتم مرضى مهدئاً إياه:

- يا باشا على اتفاقنا.. هو حيمضى قدام الناس بس حنكون
مضبطين مع المأذون إن إمضائها تبقى جنب إمضتك والصور
حتتغير ما تقلقش.. واهو نستغل إن اللي اسمه هشام مسافر
ونخلص وبعد ما ياخذها ويسافر يجيبها لك لحد عندك وتبقى
مراتك رجعتك وعداني العيب.

نفض خالد رقبة مرضى من يده وهو يخبره وهو يتلذذ بلفافة
ذات سمك مشير للاهتمام:

- ماعادش له لزوم.. انسى الحوار القديم ده.

فزع مرضى فأماله تنهار:

- لا أنسى إزاي؟.. أنت وعدتني بالأرض وبعدين كده حيبقى في عداوة والناس في البلد حتاكل وشي لو جوزتها لنفس الراجل اللي اطلقت منه وما تأخذنيش كان في مشاكل وكلام الناس عرفوه.

نظر له خالد بتهكم:

- ايه ما بقتش قد المقام!؟

- لا العفو.. بس الواحد عايش بين الناس بسمعته، ولو عايز كبار العيلة والبلد في صفي لازم أحافظ على صورتي قدامهم.

- ولما ابنك يسلمني العروسة حتبقى صورتك حلوة؟

اصطنع مرتضى الحزن:

- ابني الغلبان بعد ما جه على نفسه واتجوز بنت عمه المتطلقة فضحتنا وسابته وطلبت الطلاق ورجعت تاني لجوزها الأولاني بمزاجها.. ايبيه آدي آخرة المعروف في الزمن ده..

ليقهه خالد بضحكات عالية مستمتعة وهو يدير سيارته مصفقا:

- أنت شيطان.. شيطان يا مرتضى..

صمت مرتضى وهو يغمض عينيه فقد كان قاب قوسين من
الخسارة لكل شئ.. الأرض والأموال ونفوذ الملاح والأهم
بالنسبة له صورته أمام الناس.. فغمغم:

"كله إلا سيرة الواحد.. دي أطول من العمر"

"قومي يا أمال كفاية نوم.. اتغدي علشان تاخدي الدوا"

وأمال الصامته على حالها منذ غابت عن وعيها يوم غاب عنها
ابنها، سندها بالحياة.. وحين فتحت عينيها سألت عنه أخبروها
لا جديد.. سألت عن توأمتها وحين قالوا ذهبت صمت..

لقد تركتها وهي بأشد الحاجة إليها..

صمت لا يلينه إلا سؤال عن هشام وآخر عن أحلام، وتتركه
يغلف باقي الأيام.. كم مضى من أيام؟.. شهر، اثنان أو ربما سنة
لا تعلم!

كل ما تعلمه أنه مر وقت طويل والوحيدة التي تراعيها هي حورية، ابنتها تزورها يومياً إما قبل العمل أو بنهاية يومها وتغادر، وعصام زيارة صباحية وأخرى مساءً وباقي يومه لا أثر له.. هي تُرِكَت وحيدة..

لا تصدق أنه لم يسأل عليها!.. لم يقلق، حتى علاء محاميه وصديقه القديم جاءها ليسأل عليها ويطمئن وهو لم يأتِ، لم يظهر وهاتفه مغلق، تماسكت أمام أختها الكبيرة وهي تضع على حجرها صينية محملة بطعام صحي مكرر تبعاً لأوامر الطبيب وتحت مراقبة عيون حورية تتناول فقط ما يقيم أودها وتكتفي، وحورية لا تزيد، لا تطيب خاطر، تعلم أنها غاضبة منها وحنانة ولا تحادثها إلا لطعام أو مواعيد الدواء.. ومازالت تتحملها.. غادرت حورية الغرفة بجملة معتادة:

-تصبحي على خير.. لو احتجتِ حاجة اندهيلي.

غادرت ليعود الصمت كما كان.. بيت لم يتجرأ الصمت والبرود على الاقتراب منه من قبل، كان يشع بالدفء، بالحياة والصخب،

رأيتك

شغيفتي وورثتي

بدموع ومشاعر وضحكات.. واليوم صامت كالقبر وهي ساكنته
الوحيدة!

أزاحت غطاؤها وتحركت بقدمين متيبستين من قلة الحركة نحو
مرآة زينتها، تجلس تتطلع لوجه تكالبت عليه الهموم، بأيام من
كان يراها هي وأحلام كان يظنهن بأوائل الأربعينات لا أمهات
لرجال يخطون للعقد الرابع من عمرهم، تتلمس وجهها بغربة.. لا
تعرف تلك العيون ولا تلك التجاعيد ولا عتمة الوجه!

ابتلعت ريقها وحدقيتها تهربان من نظرات روحها المتسائلة.. أين
هي!.. هربت لآخر جارور بمزيتها، درج بمفتاح.. فتحته لتخرج
منه صندوق يحوي الكثير.

زهور مجففة، صور عديدة لمنصور، وتساقت أول دمعة وغيرها
الكثير.. لهشام ويارا، لا صورة لأحدهما إلا مع الثاني.. ودمعة
أخرى..

وبقاع الصندوق قبع أول الحكاية، وردة بغلافها وخطاب
فتحته.. خطاب من محسن، تتذكر بخفوت كان قد رآها قبل
الفرح بكثير، رآها ورأته لن تكابر.. وانتظرها المرة الثانية رمى

بيدها خطاب على أولى عتبات سلم البيت، وأسرع حتى لا يراه أحد ابتسمت فها هي المغامرة حتى بابها تأتيها.. مرغوبة ومعشوقة وليست مجرد زواج، واجب عائلي مفروض..

رغم هيبة ابن العم ووسامته إلا أن بالقلب رغبة أن تكون كإحدى فتيات عبد الحليم والخطاب كان قصيدة حب نزارية وبالنهاية توقيع بأنه قادم لها.. واليوم التالي كان الفرح وذهبت هي وأحلام وروكا.. من كان اسم تدليلها تيمنا بالكاريوكا، فتنت كل السيدات برقصها حتى هو وحين جاء، جاء لها وانتهت الحكاية قبل حتى ان تخط كلمة البداية..

كان يعرف أن صاحبة الجواب ليست روكا ومع ذلك تراقص فرحاً حين طلبها والمرارة ابتعلتها هي والسر قبع بسواده بقلبها، واكتفت بالابتسامة وتركت ابن العم يتزوج ويطيب الجرح، يظنونها لا تحب منصور!.. هي عشقته، من يمكن أن تعيش بكنفه ولا تعشقه؟.. لكن ظل بالقلب مرارة لم تستطيع التغلب عليها..

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاح

عزت ما حدث بعدها لحالته النفسية المتقلبة ودون شعور عاقبت
 أحب المقربين لقلبها توأمة روحها، تركتها وأولادها جميعهم
 الغاضبة برقتها والمتمردة برفض صارخ بعينها وحتى الغائب
 بعقابه الذي فاق الحمل والمتوتر الذي يداري غضبه منها ومنه
 بمزاح يقطع القلب ولا يرويه..

همست وهي تدمر الخطاب وتمزق الوردة لفتات ودموعها تغسل
 وجهها تموه صورتها فلا تراها:

"الله يسامحك.. أنت السبب"

وتبقي شماعه الذنب أقدم ورقة توت!

"علشان ضميري يستريح"

رددتها ديما بخفوت لجدها وهي تحادثه بخفوت وعلى مراحل،
 فكيف تقنعه وهي التي سافرت بنصف الأسبوع للاسكندرية
 بأنها ترغب بالسفر مجدداً غداً وستعود مع بداية الأسبوع
 وعقبها الوحيدة الجدة:

- جدتك مش حتوافق يا ديما.. موضوع السفر زاد قوي.

استعطفته ديما:

- ما قولتلك يا جدي يارا محتاجانا اليومين دول، وبعدين هي كانت مدياني أمانة أوصلها وأنا حاسة إنني غلطت وغلطة كبيرة كمان.

تتذكر الشرود والنظرة المكسورة وصوت جدها يسألها بخفوت:

-ليه؟.. ضيعتها ولا ادتيها لشخص غلط ولا ايه؟

زفرت بغضب:

-لا بس لساني اتدخل يا جدو.

مط الجد شفتيه وتألق الفهم بعينه:

-طيب ما تقوليش حاجة.. وأنا حاتصرف وسافري بكرة بس

مافيش سفر الأسبوع الجاي.. فاهمة!

اختطفته يده تقبلها بابتسامة وجدتها دخلت بتوجس:

- إنتموا بتعملوا إيه؟.. أنا باقلق أما بتحطوا راسكم في راس بعض
وتتودودا كده!

نظر الاثنان لبعضهما وضجا بالضحك وبعد أن تدبر الجد الوسيلة
للسفر دون تقريع الجدة ظلت تردد:

"علشان ضميري يستريح"

أخيراً وصلت لبيت يارا، ستخبرها بما فعلت مع باسل فهي تشعر
بشعور سيء وغريزتها حينما تتفق مع عقلها وتنذر بخطر فهي لا
تخطئ أبداً!!

الفصل الثالث والعشرون

احذروا الأمل فهو كحد السكين..
 كما يقطع لك الفرحة من الحياة..
 يمكنه أن يدميك بجرح لا دواء له!
 احذر أن تتوه معالمه وتتلاشى حدوده..
 فيسقطك بقاع يأسٍ لا قرار له..
 احذروا داء الأمل؛ فلا ترياق له!

جلسة فتيات تعالت منها الضحكات الصاخبة من مروة وديما
 بقهقهتها ويارا بضحكات ناعمة، لم تصدقا أن تعود ديما بتلك
 السرعة من القاهرة ولم تشتكيا.. لذا بعد التناوش وصراخ ديما
 المتهلل بخبر بداية يارا لكورس التصوير أتبعه عشرات الاثنتان

الكارثية بالمطبخ؛ طردتهما يارا بقرار نهائي لتعد هي طعام
العشاء السريع ويتحلقوا حوله ومروة تتساءل:

- أنتِ إزاي تيته فوقية سابتك تيجي تاني الأسبوع ده صحيح؟!!

تلاعبت ديما بحاجبيها ياغظة:

- مش أي حد يا بنتي.. استخدمت قدرات إقناعي الفائقة.

وأكملت يارا بابتسامة ساخرة:

- قصدها استعانت بجدو محمد.

فمطت ديما شفيتها بسخط وهي تتناول حبة بطاطا مقلية
مغممة:

- دائماً فقساني.

ارتشفت يارا القليل من الماء قبل أن تضع كوبها على الطاولة
وتنظر لديما بتركيز مردفة:

- طب كويس إنك عارفة.. ها إيه بقى المهم اللي خلاكي تغيري
مواعيدك وتيجي الأسبوع ده؟

فيارا تعلم أن ديما بكل تشعثها لا تقبل أن تحيد عن جدول
مواعيدها المحدد لكل ما تقوم به في حياتها بصرامة، إلا لأمر
جلل.. وحين اختفى المرح من وجه ديما وحل محله علامات
الذنب تأكدت من ظنها وهي ترد بصراحة:

-أنا وصلت لباسل الأمانة بتاعتك!

وحين سمعت مروة اتجاه الحوار همت لتقوم وتترك لهم القليل
من الخصوصية عندها سمعت ديما تكمل بذنب ينضح من
الحروف:

-بس حاسة إني عكيت.

عادت مروة لتجلس بقلق مراقبة وهي تغمغم:

-لا ما دام فيها عكيت يبقي آدي قعدة.

لتسألها يارا بحذر:

-عملت إيه!؟!

ابتلعت ديما ريقها ورفعت عيونها بنخجل:

- أصل هو استفزني وأنا والله والله كنت ناوية أديها لميرا وأمشي
بس استفزني ولقيته ماشي يعاكس في كل ما انتهى بتاء تأنيث
في الشركة بتاعتهم.. قمت خبطته كلمتين وأنا باديهموله.

وأمام تبديل لهجتها من بداية كلامها بالذنب الخجل لتنتهي
بيقين بصواب فعلتها عقدت يارا حاجبيها وسألتها:

-و...؟

تململت ديما في جلستها تنظر للاثنتان بتوتر:

-قولته إنه يستاهل إنك سبتيه، وإن ربنا رحمك منه ومن أمثاله.

مع كل حرف من حروفها الخجلة صوتها يتباطأ ويخفت وتتسع
عيون مروة بذهول وأغمضت يارا عينيها بألم وصوت مروة يتردد:

-الله يخرب بيت لسانك يا شيخة، ليه كده يا ديما؟.. ليه هو
ناقصك؟

ظلت يارا على صمتها لدقائق وحين فتحت عينيها كان الألم
يخيم بهما معاتبة:

-ليه يا ديما كده بس!!.. أنا قولتك تعملي كده!؟!

تجلس بثبات تتلقى تقريعهما، فما لديها أعظم وما زال ما تبقى
بجعبتها أظلم.. لذا تفرك كفيها تحت الطاولة، تتجلد لتتحمل
جزاء لسانها المنفلت، وهي تغمغم باعتذار واجب:

-أنا قولتلكم من الأول إني عكيت وحاسة بتأنيب ضمير..
خصوصاً لما شفت النظرة اللي على وشه لما قولتله كده، كأن
واحد الدنيا اسودت في وشه مرة واحدة.. نظرة ضياع!..
وأكملت بداخل نفسها:

"مش غريبة عليا"

هزت رأسها وعقلها شرد وكأنها تتذكر ملامحه المصدومة بحزنها
بكل تفاصيله ولسانها يكمل:

-إحساس زي ما أكون بأسلمه بإيدي صك نفيه عن الحياة.. مش
عارفة قلبي وجعني.

أخرجتها مروة بخبطة قوية على المائدة هزت كل ما عليها
بغضب:

-وهو أنتِ ايه اللي كان سحبك من لسانك أصلاً؟

لتكمل يارا بألم:

- مش كفاية عليه يا ديما اللي عملته فيه!.. ظلمته معايا، إديته
أمل وهو في الحقيقة كان مجرد سلمة ليا علشان أخرج من اللي
أنا كنت فيه!

عقدت ديما حاجبيها وهي تدمدم:

- مش للدرجة دي يا يارا، ما تحمليش نفسك ذنب مش ليها..
هو مش صغير وطلبك بإرادته وهو عارف كل حاجة..

عضت على شفيتها وهربت مقلتها من مواجهتهما، مما جعل
الفتاتان تتوتران ومروة تترجم القلق بكلمات حادة:

- ديما في ايه تاني!؟

استجمعت كلماتها:

- أعتقد كده إن باسل مدمن.. بيضرب كيميكالز!

اتسعت عينا الاثنتان بذهول مرددتان بنفس واحد:

- ايه!؟

بتأكيد عينيها ونبرتها الواثقة:

- زي ما باقولكم كده، أنا شاكة.. لا أنا متأكدة إنه بيأخذ حاجة.

هتفت بها مروة:

- أنتِ أكيد اتجنتِ.. باسل!!.. مش معقول.. مش ممكن..
أنتِ ايه اللي مخليكِ واثقة كده!؟

التفت مروة لكف يارا الذي أمسك بقبضتها المضمومة بغضب
تضغط عليها بتحذير لم تفهمه فرفعت عينيها لعيني ابنة خالتها
باستفهام لتجد تحذير وأمر بالصمت، وقبل أن تقرر الانصياع أو
المطالبة بالفهم تردد صوت ديما بنبرة حزن غريبة على حروفها:
- صدقيني لما أقولك أنني أقدر أعرف أي حد مدمن من شكله،
من حركاته، ومن نظرة عينه..

وصمت مروة أمام نظرة الألم المبلة لمقلتيها، تعلم أن بماضي
ديما ما لا يعرفه سوى يارا.. ويارا فقط!

ابتلعت يارا ريقها وزفرت براحة حين تخلت مروة عن عنادها
الشهير واستجابت لها وتوجهت باهتمامها لديما وهي تمسك

بقبضة مروة بين يديها تخشى أن تفلتها وينفلت معها عقال لسان
مروة فتؤدي ديما عن جهل:

- أنتِ متأكدة يا ديما؟! .. أنتِ ما تعرفيهوش كويس!

نظرت لها ديما وتنهدت بعمق قبل أن تسرد لها:

- اللي ما تعرفيهوش إنك ما شوفتيش الناس اللي ملموم عليهم..
ولا نسبة تركيزه اللي الواضح إنها قلت بشكل ملحوظ لدرجة إنه
يدخل المكان بنفس الفايل ثلاث مرات ومش عارف إنه معاه!

وصمتت للحظة أكملت بعدها بتأن:

- نظرات زايفة وضحكه ومعاكساته للبنات اللي كانت بتترسم في
عينهم نظرات دهشة واستغراب.. لأنه واضح إنه مش متعودين
على كده منه!!

صمتت تؤنب نفسها حين فاتتها تلك العلامات وقت غضبها
وانفلات لسانها وأردفت مكملة:

- وما شوفتيش ده.

أرقت كلماتها بجذبها لهااتفها، وبعد عدة نقرات أحضرت الخبر الذي انتشر كالنار في الهشيم على المواقع الالكترونية.. لتظهر لهم الصورة، وعنوان الخبر جعل مروة تسب بسباب لا يخرج من فتاة ويارا يشحب وجهها من العنوان فأسرعت تشد انتباههما:

-سيبكوا من الخبر.. ده فرقة صحفية، إعلام قائم على الفضائح.. ركزوا في الصورة.. في باسل.

ومع تكبير الصورة ظهرت الحفلة والصخب وظهر مدى عدم براءة الحفلة لتضع يارا يدها على فمها بهلع:

-أنا السبب..

فعقدت ديما حاجبيها وهي تردف بتوضيح واجب:

-لا مش أنت.. ولا أي حد.. هو السبب، هو اللي مسئول عن نفسه، ما حدش حيتحاسب على نفسه وحياته غيره.. ما تعمليش نفسك شماعة ليه.

-طب وبعدين!.. إيه الحل!؟!

نطقها مروة وهى تفرك جبينها بحيرة وتترك الهاتف على
المائدة وعيناها تشرد فردت ديما:

- حل إيه!!.. أنا بس حبيت أعرفكم الوضع علشان ما تلوميش
نفسك يا يارا لو حاجة حصلت.. لكن إحنا مالنا!
ردت مروة عليها بحدة:

- يعني ايه مالنا؟.. لو ظنك ده في محله حورية ممكن يجرالها
حاجة، دي بتعزه جدا.. وبعدين لازم نتأكد علشان نساعد
ونلحقه.

عقدت ديما حاجبها وهى ترد بتعجب:

- تساعدي مين!.. هو انتوا ناقصين؟.. مش كفاية اللي فيكم.

وتلك المرة الإجابة جاءت من يارا بحزم هادئ:

- نساعده علشان دخل البيت واعتبرناه واحد منا، علشان
محتاجنا ومش حنديله ضهرنا، علشان في يوم اتقاله إننا بقينا
عيلته.

- يارا أنتِ عارفة إن أي مساعدة منك يا حتديله أمل يقتله في الآخر!.. يا حتشير فيه العناد والرفض ويمكن تدفعه للأسوأ..

نطقها ديما بموضوعية وتحليل بسيط للموقف فأردفت مروة:

- ديما عندها حق وأنا معرفتي بيه مش قوية برضه.

ساد الصمت بين الثلاث وعقلهم يفند الاحتمالات ويحسبها من كل الاتجاهات حتى هتفت مروة:

- أنا لقيت الحل.. عرفت مين.

ودون نقاش هبت مبتعدة تبحث عن هاتفها دون إيضاح فتساءلت ديما بفضول:

- تفتكري حتكلم مين؟

هزت يارا كتفيها وبداخلها ارتعاشة أمل غادرة أو ربما أمنية خفية مدفونة وعقلها يتساءل:

"ترى هل تتواصل معه؟.. هل تعرف أين هو!.. هل ستلجأ له ومن غيره يستطيع؟!"

"إياد.. مهرة هي اللي ورا النشر"

عقد إياد حاجبيه وصوته ببرود قارص:

- زي ما توقعت بالظبط.. السؤال من نفسها ولا ليها علاقة بحد؟

- مش لوحدها.

وإجابة ليث كانت الفصل، فطغى الحنق على نبرة إياد:

- أيوة وبعدين!.. حتنقطني بالكلام؟.. ما تقول على طول اللي عندك.

بهدوء هو طبيعة ثانية له ونبرات أجشة وضح:

- أنا ما بديش تقرير بتحركاتي لحد يا إياد، بس النتائج والخلاصة؛ مهرة هي اللي كانت بتدور ورا المدام وهي اللي ورا تسريب الصور والخبر.

تذكر ليث مخبرها الذي ظل يتبعه لأيام وتذكر حين افتعل ارتطامه به وأسقطه بعفوية متعمدة ليضع جهاز تصنت صغير على

شكل عملة فضية بملابسه وانتظر حتى قاده لمهرة بعدها بدقائق..

لكن ما الصلة بين تلك وذاك هذا ما يحيره!!

زفر ليث بحق فترك مخبره المراقب لمركزه أمام منزل عائلة الإدريسي لتلك الدقائق الثمينة فوت عليهم فرصة لا تعوض بمعرفة أين اختفى خالد الملاح فجأة ودون مقدمات!!.. لذا رد من بين أسنانه:

-اللي متأكد منه من مصادري عندها في الشغل أنها بتشتغل بأوامر من حد.. وقولتلك الشخص ده هو اللي يهمننا نوصله.

هز إياد رأسه وغريزته تنبئه بألا ينتظر لكن عقله يناشده الانتظار فهو يكره التخبط في الظلام دون معرفة عدوه، وإن كان يشك لكن لا ينفعه شك.. يحتاج لدليل كي ينسفه دون ذرة ندم أو مراعاة لأحد.

-عايزك تراقب أشرف.

عقد ليث حاجبه سائلاً:

رأيتك عالم

شغيب وورح

- أنت شاكك فيه؟

ثوان احتاجها عقله لينصاع لغريزته التي لطالما أحسنت توجيهه:

- راقبه.. مش عايزة الهمسة تفوتك.

- تمام.. لازم تعرف بس إن في خبر منتظر، مهرة مدياهم أوامر بمساحة فاضية وعلى الغلاف كخبر رئيسي في عدد بكرة بدون أي معلومات ومجهزة بديل لو اللي مستنياه ماجاش قبل ميعاد الطباعة..

صمت لثواني ليكمل بتوضيح:

- في المجلة بتاعتها المرة دي.

زفر إياد مغمغماً:

- خليك مع أشرف.

- تمام.. وموضوع الخبر مش حنقدر نعمل حاجة ونوقفه من غير ما نكشف إننا وراهم.. فلازم نسيبه ينزل أيا كان يا إياد.. فاهمني.

وللأسف إياد مضطر.. لأنه بتلك المعلومة أصبح واضحاً للعيان أن مهرة ستبارزه علنياً تلك المرة.. ولو شك ليث بمحله سيكون الخبر متعلق به، وإن خالج شكه بعض الأمل ببقايا صداقة.. لكن غريزته تنبئه أنه ليس بشك، لا بل شبه يقين أنه سيتعلق تلك المرة به هو وامرأته!!

أغلق وهو يرسل رسالة لأحد معاونيه يكتب عنوان أشرف بالتفاصيل التي يحفظها عن ظهر قلب، ويبعث له بصورة له ويشدد عليه بضرورة مراقبته حتى لو اقتضى الأمر دخول منزله.. وذكرى جعلت وجهه يسود من الغضب والضيق، ذكرى لامرأة منتهكة انتشلها من بين برائثه منذ زمن ليس ببعيد.. ذكرى ذكرته بمدى دناءة طرقة وانحطاطه.

الصورة بين يديها والخبر بصياغة نارية وخطوط تحمل بطياتها مفاجآت سترزل حياته الزوجية مع تلك الميرا ومازالت بداخلها ارتعاشة مؤلمة..

لا تستطيع التصدي لتهديد أشرف لها فهو حرفياً بلا ضمير،
سيشهر بها دون أن يظرف له جفن وإياد حلمها منذ شبت عن
الطوق، إياد حلمها الخاص جداً..

تتمسك بهاتفها تنظر لرقمه وبخطوة غير محسوبة وجنونية اتصلت
به، حين أتاها صوته المرحب أغمضت عينيها تتشبع به:

- مهرة.. أهلاً.

ابتلعت ريقها:

- وحشتني!

- اممم.. لا ما هو واضح، إيه آخر أخبارك؟

تنهدت بعمق:

- يهكم تعرف أخباري!

تتمنى لو ترى عينيه وهو يحادثها.. لكن نبرة صوته الثابتة دون
تأثر تثير سخطها:

- أكيد.. إحنا أصحاب من زمان، زي ما بيقولوا عشرة عمر يا مهرة.

أغمضت عينيها تحاوره بروحها..

"أتعلم ماذا سأفعل بعشرة العمر أو ربما مدى قيمة حلم العمر أمام مستقبلها وحياتها العملية.. السمعة التي واظبت على بنائها من سنين!"

- أكيد..

نطقها بلهجة تقطر سخرية وأكملت:

- سيبك مني.. أخبارك وأخبار جوازك ايه؟.. ندمت ولا لسه؟!

ورغم لهجة السؤال بمرح شبابي متعارف عليه لكن خالط النبوة أمل.. أمل عنيد ينبش بجوفها وردة:

- وأندم ليه؟.. فيها كل اللي أنا محتاجه، عقبالك يا مهرة لما تلاقي اللي أنت محتاجاه.

دون أن تشعر انهمرت عبرة من عينيها، عبرة وحيدة هي عزاؤها
الخاص على أمل عاش بداخلها لسنين والليلة لحظة موته
الرسيمة:

- ما اعتقدش حيبقى أنا وأنت.

- ليه لأ؟.. خلي عندك أمل يا مهرة..

وصوته المبتسم ذبحها، لم اتصلت به من الأساس؟.. لم ينبغي
لها أن تتألم وحدها وهو يتنعم مع تلك العلة المتسلقة؟.. لذا لن
تكون مهرة دون أن يموت أملها بلا نزال:

- تـؤـ.. ما بحبش أندم، خصوصا لو اللي سلمته قلبي ما
يستاهلوش.

- التجربة يا مهرة هي الفيصل.

ضحكت بصوت مبالغ فيه:

- يا سيدي.. أنت مجازف، رجل أعمال.. لكن أنا لأ..

- كنتِ عايزة ايه يا مهرة؟.. أقدر أساعدك في ايه؟

ابتمست وهي تهديه حروفها الأخيرة عن يقين:

- كنت حابة أسمع صوتك وأسلم عليك.

- بس!

وعبرة أخرى تتساقط وهي تغمغم:

- مش باقولك وحشتني!

صوت ميرا من الجهة الأخرى تناديه وهو صامت فقدمت
بخفوت:

- مع السلامة يا إياد.

- مهرة.. أنا موجود لكِ دائماً بحكم الصداقة اللي بينا.

- روح لمراتك يا إياد.. وآسفة كلمتك في وقت متأخر.. سلام.

أغلقت الهاتف، أيكون قد علم بشيء؟.. ولكن من أين؟.. لو
علم كان سيتوعد ويرغي ويزيد.. لا يكلمها بالحسنى!.. رفعت
قلمها وقلم أبيها من قبلها ووقعت بالموافقة على الخبر واتصلت
بمساعدها:

- تعالي خدي البروفة الأخيرة لعدد بكرة..

بكل خلية من خلاياها تشعر أنها وقعت على نهاية حلمها ليعيش
أملها بمستقبلها المهني ناصع البياض دون شائبة والثلثن.. هو!

الوحدة رغم مضي الأيام لا تفتري، وهي رغم أنها جربت من قبل
الحياة وحدها دون أخوتها ولمة أسرتها إلا أنها اليوم تخلف
بجوفها مرارة لا تستطيع تقبلها..

تبتسم بوجه ابنها وابنتها بعيدة بأميال، تشعر بكلماتها البعيدة
اللائمة، لم تصدق يوم رضت بأن تحدثها.. بكت كما لم تبك
من قبل، كم اشتاقت لتسافر لها ولولا رفضها الذي أتبعه انغماس
زيد بعمل الشركة وإرهاقه الدائم.. لذا رضخت لرغبتها وبقيت مع
ابنها الذي غادرها للشركة للعمل حتى يوم الإجازة.. وحين
سأله باستنكار:

- حتى يوم الأجازة يا زيد؟.. ده هشام ما كانش بيعمل كده؟!!

رد عليها بنص ابتسامة:

رأيتك عالم

شغيط ورنج

- هشام ده جبل.. وما تنسيش إنها مش شغلتي ولا مجالي،
ادعيلي بس أعرف ألصم الأمور لحد ما يرجع..

تنهد وهو يقبل جبينها ويدها قبل أن يغادر، عادت ترتب غرفته،
رغم كل ما يحاوله من مزاح ليرفه عنها وكأنما يشعر بما يعتمل
بها، رغم الابتسامة، تنهد بفوضى زيد المعتادة..

تلتقط ملبسه المبعثرة على الأرض، حتى التقطت بنطال لتسمع
صوت ارتطام لعلبة من البنطال.. انحنت تلتقط العلبه لتجدها
علبة دواء بكلمات انجليزية عديدة، حاولت قراءة النشرة الداخلية
لكنها كلها باللغة الانجليزية التي تفوق قدراتها..

وأتبع اكتشافها للعلبة تفتيش دقيق لباقي الغرفة.. لست علب
أخرى، نغزة قوية ألمت بقلبها وأسرعت ترتدي ملبسها.. تعلم
أن ابنها وصل لمرحلة تناول دواء دون أن يعلمها، وتوقف عقلها
عن العمل وهي بسرعة تنهي ارتداء ملبسها.. ودون أن تدري
قادتها قدماها لمن افتقدتهم تطلب المشورة..

لحضن حورية..

رأيتك
رأيتك

شغيفتي وورتي

أجازة نهاية الأسبوع أخيراً.. ورغم ما كان يفكر به ويخطط له من أجازة مستحقة له ولها كان يرغب بالتخفيف عنها.. فذلك واجبه هو!

يسمع تأوهات بكائها حينما تظنه نائماً.. ويرى لمسات يدها السريعة الماحية لدموع منفلتة من عقال قوتها.. ويجاريها هو بتظاهر أنه لا يراها..

دوماً كان يشعر بالحسد لباسل وعلاقته بأخته المتوفاة، لكنه لم يستشعر مدى ما يفتقده حتى رأى افتقاد زوجته لأخيها.. ورغم كل ذلك إلا أن الأمور المستجدة تستدعي التأجيل، فحين يرتبط العاجل باسم باسل المختفي منذ البارحة يستلزم منه وقفة..

مكالمة مروة له وشكها سخي، استهزأ به ظاهرياً وأثار قلقاً عميقاً بداخله، أيمن لباسل أن ينحدر لإدمان؟.. يعلم مدى قوة المسكنات التي كان يتناولها وبعد ما أغلق معها واعدأ إياها أنه سيتولى الأمر؛ عقله عاد يرصد تلك الإخفاقات المتتالية بعمل باسل..!

أخطاء لا يخطئ بها مستجد بالعمل أو متدرب، فما بالك بباسل ذراعه اليمنى العاقل الرزين؟.. حتى في أشد أوقات شبابهما عبثاً؛ كان العاقل المتمسك بزمام نفسه، أيكون أحبها لتلك الدرجة؟.. وحين تركته إنهار؟.. أم كانت هي القشة التي تعلق بها بالحياة كأمل أخير..!

فأحياناً يكون الأمل هو البذرة الأولى لليأس..

الأخطاء والصورة وإصابة باسل القديمة والتطورات الغريبة بتصرفاته جعلته يحاول بجهد أن يصل له دون فائدة وكعادته أرسل رسالة لليث:

- باسل مختفي من إمبراح.. مش في بيته ولا مع حد أعرفه، هاتهولي من تحت الأرض.

حينما أتاه تأكيد باستلام ليث للرسالة تنفس بعمق وعاد لتناول فنجان قهوته..

عقله يطالبه براحة وعيناه تطالعان النائمة بعمق أمامه، تتدثر بغطاء حريري نبذي اللون ينعكس على برونزية جسدها باغواء

طبيعي.. ما زالت تغط بنوم عميق!.. أصبحت تنام كثيراً تلك
الأيام وتتأخر!

خصلات شعرها المتمردة بكل اتجاه، ابتسامة متلاعببة ترتسم
على وجهه ببطء وهو يراقب تكور شفيتها وأنفاسها الهادئة،
تحرك بخفة مقترباً منها يجاورها بالفراش موزعاً قبلاته على
جفنيها ووجنتيها وأرنبة أنفها حتى تملمت من دفء أنفاسه
فأتبعها بهمسات مغوية مداعباً أذنيها ولم يتوان حتى فتحت
عينها:

-صباح ال...-

واقتنص باقي تحيتها الصباحية بين شفتيه بتحية خاصة يتقنها هو
مبتلعاً همستها المكتومة باسمه.

صداع يفتك بخلايا عقله لا يصدق كم العمل الذي لا ينقص
ويبدو أنه يتكاثر بشكل غريب..

رائحة
الدم

شغيف
وردة

لا يعلم كيف كان هشام يتحملها وحده دون معين!.. فعلاً الإدارة فن وموهبة وهو للثنين فقير..

حظه الحسن جعله يصل بسرعة لفيلا الحديدي فهو بحاجة لاستشارة ميرا في بعض العقود المتراخين وفكرة مجنونة تناوش عقله للعمل ولم يطاوعه قلبه على أن يقطع عليها يوم إجازتها بجلبها للعمل وربما يستطيع الانفراد بها ليصل لسبب إرهاقها البادي على عينيها..

فربما تستطيع مداراة إرهاقها الدائم عن الجميع ببعض الحيل التجميلية للفتيات لكن هو الأدرى بجذوة عينيها والإرهاق يعيش بهما منذ فترة ليست بالقصيرة وكأنها تحمل هم أو حمل ثقيل

وصل سريعاً ولم يستغرق سوى لحظات حتى أوصلته الخادمة للدور الأرضي ليكتشف أن بفيلا الحديدي حمام سباحة كبير فاخر وراقٍ

وتفاجئ بالحضور السيد عبد العزيز والسيدة منيرة والمفاجأة ناريمان الذي انعقد حاجبيه لمرأها بلباس سباحة وتلك القماشة

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

الملفوفة بها لا تداري الكثير بل تحفز الكثير والكثير من
الخيال..

انتبه على صوت السيدة منيرة ترحب به:

- أهلاً ازيك يا كابتن أهلاً وسهلاً بيك اتفضل

وبعد ترحيب مقتضب من السيد عبد العزيز ابتسم مغمماً:

- معلى أنا آسف اقتحمت عليكم يوم الاجازة بس كنت محتاج
ميرا في شغل مهم وماشي على طول

كيف فاته الاتصال وأخذ موعد أو حتى إبلاغهم بحضوره!

لا يصدق نفسه وبنفس الابتسامة سأل باحراج:

- هي ميرا مش هنا؟

ليرد عبد العزيز بيه بجمود:

- لا لسه ما نزلوش لحد دلوقتِ أكيد أنت عارف كسلها مش
مترين سوا

رفع زيد أحد حاجبيه بدهشة من تلميحات عبد العزيز وحاولت
السيدة منيرة الابتسام بحرج حتى انطلق لسان ناريمان:

- معلى يا أونكل بقى مصيره يتعود

فزمجر عبد العزيز بسخط:

- مش عارف أنا ايه العادات الغريبة دي! الكسل ده أول طريق
الفشل في الحياة نفث بغضب جعل زيد يدافع:

- غريبة فعلاً يا عبد العزيز بيه، ميرا عمرها ما كانت كسولة أبداً
أنشط واحدة فينا.. وبنصف ابتسامة أكمل:

- واضح أنه تأثير الجواز عليها بقى

والتفت لناريمان يسألها:

- بس صدفة سعيدة يا ناريمان.. ماقولتيش انك جاية هنا؟

ابتسمت ياغراء وأسبلت عينيها تلاعب طرف القماش الحريري
الملتف بحميمية حول جسدها:

- كلنا عندنا التزامات مهمة في الحياة يا كابتن

ومالت على عبد العزيز مغممة بابتسامة واسعة:

- وأنا ما اعرفش اعدي أسبوع من غير ما اشوف طنط وأونكل
فأول ما عزموني اقضي اليوم معاهم على البسين جيت على طول
شعور غريب بعدم الارتياح تنامي بداخله ليبدده على الفور
صوت ميرا المرحب بدفء حقيقي تسرع ناحيته بحبور:

- زيد بجد! مش مصدقة ايه المفاجأة الحلوة دي
رفع لها يده مداعباً:

- بس من غير هدايا المرة دي

فلكرته بكتفه بدعابة ومن خلفها صوت إياد:

- أهلاً يا زيد

فابتسم له بدبلوماسية وهو يلاحظ ملامحه الهادئة بغموضها
المعتاد ونبرات صوته الباردة:

- آسف على الإزعاج محتاج ميرا في شغل مهم
أسرعت ميرا وكأنما انتهزت الفرصة:

- آه طبعاً طبعاً.. تعالى نطلع الجنية ونتكلم

لوح للجميع بابتسامة معتذراً وتأببت ميرا ذراعه وتحركا مبتعدين
تحت أنظار الجميع وما أن اختفيا حتى صرح عبد العزيز:

- ايه قلة الذوق دي! ازاي يجي من غير ميعاد سابق!!

رد إياد ببرود دون أن يرفع عينيه عن هاتفه الذي يبحث فيه
بتركيز:

- أخوها ومرحب بيه في أي وقت.

لتعقد ناريمان حاجبيها وهي تتحدث:

- أوه نو!! هو أنت ما تعرفش

لم يلتفت لها إياد فما وقع بين يديه أكثر أهمية من كلماتها
الفارغة فالخبر انتشر أسرع مما ظن وأساء مما تخيل فموقع
المجلة الخاص بمهرة اكتسح الأخبار بصورة زوجته تراقص
المسمى بخالد الملاح والخبر ببساطة كارثي

"فضيحة علاقة سرية بين حرم رجل الأعمال المعروف وزوج ابنة
خالتها"

قرأ كثيراً عن مصطلح غليان الدم وربما فورانه لكنه الآن يشعر به حرفياً دون مبالغة.. سخونة ترشح من كل مسامه ورؤيته يلونها لون أحمر

لن تصمد محاولته الليلة الماضية بخبر مضاد عن أعمال الشركة وصفقات جديدة وتقدمها في الحد من تأثير هذا الخبر..

ليته لم ينتظر.. ليته استمع لغريزته وافترس مهرة!

- ايه اللي أنت بتقوليه ده يا ناريمان ما يصحش أبدأ الكلام ده

اللهجة الغاضبة المستنكرة لوالدته لفت انتباهه وجذبه من تفكيره العميق ليرى لمعة بعين أبيه أقلقته وهو يسألها:

- أنت متأكدة من الكلام ده يا ناريمان؟

ردت ناريمان وبعينها لمعة ظفر لا تخطئها عين خبير:

- طبعاً يا أونكل متأكدة جداًاأ بقولك مش اخوات في الرضاعة ولا حاجة هما قراب وعايشين سوا بس مش أكثر

هل يمكن أن يزداد غضبه عن ما كان عليه!

لما هذه الرغبة بالتحطيم بداخله الغضب الفائر بأعماقه يرغب
 ويزيد لذا أغمض عينيه لثوانٍ ورنين هاتفه قدم له المخرج
 المناسب أمام الجميع

هب من مقعده وقبل أن يقف فتح عينيه ببرودهما المعتاد يناظر
 ناريمان بنظرة تكتنفها من أعلى خصلاتها لأخمص قدميها وعلى
 ملامحه اشمئزاز ونصف ابتسامة:

- دائما بترمي نفسك في السكك الغلط يا ناريمان، موضوع مش
 جديد بالنسبة ليا

ومط شفتيه بسخرية:

- وما يفرقش.. عن إذنكم تليفون مهم

وبخطوات واثقة وثيدة هادئة وابتسامة ساخرة مرتسمة على وجهه
 اختفي أمام نظراتهم لتتبدل ملامح الفرح والنصر على وجه
 ناريمان لضيق وغضب وهي تعض على شفتيها بخسارة آخر أمل
 لها في هزيمة إياد وكسر هامته..

آخر كارت لها حرق ولم يكسبها حتى ذررماده

- أنا بافكر ألغي العقود دي بجد يا ميرا رأيك ايه؟

عضت ميرا على شفيتها:

- مش عارفة.. أنا قلقانة العقود دي تبان مردودها صغير لكنها من أقدم العقود اللي عملها هشام ووجودها مش بس لمردودها المادي يا زيد، وجودها مهم علشان تبان مستقرين وبنكبر والوفاء بالتزاماتنا فمش حينفع أوافقك في الفكرة دي ممكن تبان في ظاهرها صح لكن باعتبارات السوق غلط كبير

تنهد زيد بتعب:

- أنا قلت ما حدش حيفيدني إلا أنتِ حتى عصام نصحني آخذ رأيك الأول

غصة اكتنفتها وهي تغمغم:

- منصب هشام في الشركة مش مجرد مكان حيتملي، ده وتد لحياتنا من وهو عنده ١٢ سنة.. عمر بحاله شايلنا وفجأة اختفى

رأيتك عالم

شخصيات ورواية

مش ذنبك ومش مطلوب من حد منا أنه يملاه لأن ببساطة ما
فيش حد فينا يقدر

ذهل زيد من الدموع التي تجري على وجنتيها فهتف بها بفرع:
-ميرا انتي بتعيطي!؟!

هزت رأسها بنفي يكذبه عبراتها المتساقطة ويدها التي تحاول
مسحهم بقوة رافضة للضعف ولكن مهما حاولت لا تتوقف لا
ترغب بالتوقف

فهتف زيد بلوعة وقلق:

-ميرا مالك اهدي

وكأنما بكلماته انفجرت سدود حزن تكتمه فأصبحت تشهق
وتبكي دون حساب لم يستطع سوى أن يجذب رأسها لكتفه
يربت على رأسها بحنو وقلبه يدمي على حالها وهي تشهق بين
بكائها:

-مش عارفة مالي بقيت باعيط من أقل حاجة.... هو راح وخذ
قوتي معاه يا زيد .. أنا ما بقتش عارفة نفسي

- بس بس اهدي وبطلي كبت لنفسك عيطي طلعي كل اللي
جواك

وتركت نفسها لتخرج كل انفعالاتها دون وعي لعينين تراقبهما
تغيم بها عاصفة غاضبة لا يؤتمن هبوبها على الاطلاق
عاد إياد يستمع لمحدثه وقدماه تقوداه بعيداً عن المشهد السابق
فالأخبار التي وصلته عن باسل تستدعي اهتمامه العاجل وكما هو
مبدأه الأهم فالمهم والأهم الان هو باسل الذي يحتاج لتدخل
سريع

عادت بخطواتها المتراخية ترغب العودة للطابق الأعلى والنوم
من جديد لا تستطيع الاستمرار بعد تفريغ شحنة البكاء بداخلها
كأنما استنفذت طاقتها بالكامل

ووجود ناريمان وحماها العزيز بالأسفل لا يشجع على الاطلاق
لذا فسحراً للأصول والمفروض والواجب ستذهب للراحة
والاسترخاء

وليشرب من البحر من يرفض..

لم تكذ تخطو بضعة درجات حتى وجدت صوته الغاضب
المشمئز:

-الواحد يتوقع ايه من قذارة زيك ومن البيئة اللي طالعة منها
بكل صفاقة؟.. رامية نفسك في حوضن واحد في بيت جوزك
وفي وجوده!

التفت له بذهول وبأعين متسعة.. فحتى بأسوأ محاولات لإهانتها
لم يصل لتلك الدرجة من الفجاجة:

-أنت اتجنت؟.. أنت بتكلمني أنا!!

غضب تزايد في عينيه وأسرع متخطياً الدرجات الفارقة بينها
وبينه ليقف بمواجهتها:

-هي دي الطريقة اللي تكلمي بيها حماك؟.. فعلا بيئة واطية..

ولم تصدق ما جرى بعدها، كل ما شعرت به أن وقفها اهتزت
وسخونة تكتنف وجنتها اليسرى بالم..

لقد صفعها!!

ارتفعت له عينيها المحمرة من أثر البكاء لتسمعه يجهز عليها:

- قليلة التربية عديمة الأصل.

وحينها يدها قررت الثأر وليهد المعبد على رأس الجميع لا
تبالى.. رفعت يدها ترد له صفعته ولكن صرخته باسمها
باستنكار، بغضب، بتحذير عاصف جمدت يدها بالهواء

وأمره التالي:

- إطلعي فورا على أوضتك.

وهو يسرع ليواجه أبيه، ترددت ويدها لم تتحرك أمام عيون عبد
العزیز المستفزة المحترقة، ضمت قبضتها بارتعاشة غضب
واستدارت تخطو ببطء للأعلى لغرفتها دون أن تنبس ببنت
شفة..

أول محاضرة لها بين العديدين.. مختلف الأعمار، ذكور وإناث
وهي تجلس بخجل فطري وابتسامة مترددة، تتنفس بعمق،
تجيب أسئلة من حولها ببساطة واقتضاب وبدأت المحاضرة

البسيطة والمحاضر المصور "كريم" يتجول بينهم بخفة موضحاً
إمكانيات كل كاميرا من كاميراتهم ثم طالبهم بأخذ صور حرة من
نوافذ القاعة..

حينما وصل إليها غمغم بمداعبة:

- أنتِ متأكدة إنك مصورة مش موديل؟

عقدت حاجبيها مع احمرار وجنتيها مما جعله يسرع موضحاً:

- أنا بهزر ice breaking .. مش أكثر!

فابتسمت له ابتسامة مقتضبة تريه ما التقطته وبدأ بتعديل
الإعدادات لها وتوضيح نقاط الضعف والقوة والأخطاء بحرفية..
وحين تلامست أصابعه مع أصابعها جفلت وكادت تسقط
الكاميرا فالتقطها بسرعة متمماً:

- خلي بالك..

انتهت المحاضرة وخرجوا جميعاً.. أحد الشباب الصغار هاوي
تصوير ناداها:

- يارا.. يارا.. ما تيجي معانا رايعين نقعد في كافيه ونتعرف
على بعض أكثر!

ابتسمت بخجل:

- لا مش حينفع.. أصل مش معرفاهم في البيت إني حاتأخر،
خليها مرة تانية.

وحين عادت لطريقها لتخرج من باب المركز جاءها نداء آخر:

- آنسة يارا.. لحظة لو سمحتِ

وقفت بقلق وأصابها تشبث بحزام كاميرتها بقوة، ردت
بخفوت:

- نعم!!

- أنا بعذرلك مرة تانية.. لو حسيتِ إني تجاوزت حدودي، بس
أنا كنت شايف حركاتك متوترة وقلقانة وحبيت أخفف الجو
عليكِ شوية مش أكثر.

- حصل خير ولا يهملك.. عن إذنك.

ابتسم لها مرة أخرى وتلك المرة عاجلها بصورة قبل أن تبتعد
وأمام دهشتها
أردف بمرح:

- جنون مصورين.. حتتعودي عليه ما تقلقيش.. ما ينفعش يفوتنا
لقطة أو كادر حلو.

ابتسمت بمجاملة وودعته وانصرفت، تمشي تستشعر نسمات
الشتاء الباردة بانتعاش وسعادة.. أمل وليد بداية حياة طبيعية
دون منغصات أو خوف..

لا ينغص عليها سوى شعور ينمو بداخلها أنها مراقبة لكنها لن
تهتم، ولن تلتفت حتى للتأكد.. ستمضي تنظر فقط للأمام..
فقط لو دقت النظر للجهة الأخرى من الشارع لتأكدت أنه ليس
مجرد ظن أو شعور، بل حقيقة مرة وقاتلة لكل أمل بداخلها..

الفصل الرابع والعشرون

تتكالب الأحزان على ذوي الجلد
حتى تنوء بحملها الأكتاف
تبارزنا الخطوب وقد تهزمتنا الظروف
ويبقي بالنهاية كلاً منا مسئول
عن كل حزن.. وفقد.. وانكسار
فبيدنا نكسر الأحبة ونخسر الصحبة!
نجرح الأخلاء.. نحن من نخيب الرجاء..
فلا ترمي الزمان بصنيعك؛ وهو منها براء..

صوت ضربات متتالية واحدة تتلو الأخرى بتتابع مستمر متعالي جعلها تعقد حاجبها حينما فتحت باب شقتهم، مطت شفيتها حين اكتشفت النور المطفأ بالشقة كلها، أصابعها اتجهت لمقبس النور توقده بتلقائية من تحفظ البيت إنشأً وإنشأً وعقلها تائه مع الغاضبة بالداخل!

خلعت حذاءها وأتبعته بكاميرتها وحقبتها ثم اتجهت للغرفة التي تتخذها مروة مأوىً لها حتى عودة حورية من القاهرة..

دخلت لتجد مروة تسدد ضربات متتالية بقدمها لكيس ملاكمة مسكين مرقع من عدة جوانب وكل الترقيعات تلازمت مع الشهران المنصرمان.. أوقدت النور بحركة سريعة هاتفة:

- تاني يا مروة في الضلمة.. يا بنتي في حد يتمرن في الضلمة كده؟

تأففت مروة حينما فاجأها الضوء، فهي كانت مستغرقة بأفكارها لدرجة أنها لم تشعر بعودة يارا من الخارج وردت بسخط:

-قولتك تمرين مهم علشان التركيز وصفاء الذهن.. أنتِ إيش فهمك أنتِ؟

رفعت يارا حاجبيها باندهاش فمروة بالفترة الأخيرة دوماً فوق صفيح ساخن جاهزة للانقضاض، استندت على إطار الباب:

-يا ستي ميرسي.. بس أنا خايفة عليك، ممكن لو فقدت تركيزك لثانية واحدة تلاقيه في وشك.. مش حتلحقي تفاديه في الضلمة وساعتها ممكن تتأذي.

مطت شفيتها وهي تجلس على طرف الفراش تفك الرباط من على كفيها، فعودة يارا أنهت تمريناتها لليوم.. أردفت بسخرية هازئة:

-يا ستي مش حتفرق كثير يعني.

لثوان احتارت يارا في جملتها قبل أن تتألق عيناها بالفهم وتميل برأسها للجهة الأخرى، دقيقة واحدة واتجهت نحوها بخطى واثقة لتجلس على كعبيها مستندة بكفيها على ركبتَي مروة تسألها بأهتمام:

- ليه بتقولي كده؟!.. تفرق قوي إن المناخير الجميلة اللي الناس بتدفع آلاف عشان تعملها عندك رباني..

وأتبعت كلماتها وهي تمرر يدها على خطوط وجه مروة محددة بأصابعها بنية وجهها العظمية وهي تكمل:

- الوجه المنحوت ده ولون بشرتك البرونزي الجميل.. كل ده ومش حتفرق و..

صمت حين تطلعت لعيني مروة المبللة بدموع محتبسة وابتسامة مريرة:

- هي.. خليكي واقعية، أنا مش بجمالك ولا بإثارة ميرا ولا حتى بنعومة بسمة أختي.. أنا على رأي ناس أعرفهم فاضل لي شنب وأتمحي من سجلات الإناث.

ارتسمت ملامح الاستنكار على وجه يارا:

- ايه الهبل اللي بتقوليه ده؟!.. أنتِ جميلة وجميلة جدا كمان...

قاطعتها مروة وهي تقوم من مكانها مما جعل يارا يختل توازنها واقعة على الأرض:

رأيتك حالم

شغيط ورنج

- مش حنضحك على بعض.. أنتوا شايفيني حلوة لأنكوا أهلي..
لكن غيركم مالوش إلا الظاهر.

اعتدلت يارا في جلستها متربعة على الأرض وهي ترفع أحد
حاجبيها تسألها بتفكه:

- وهو بالركان شافك من جوه برضه زينا؟

- يارا قفلي على الموضوع ده لو سمحت.. موضوع بالراتقفل
وخلصنا.

هتفت بها مروة بغضب وضيق جعل يارا تصمت وتعض على
شفتيها بقلة حيلة وغيظ!.. فإلهانم رفضت بالردون مبررات
سوى جملة مقية:

"خلينا أصحاب أحسن"

وحين ساد الصمت لدقائق نظرت لها مروة بجانب عينها لتراها
جالسة متربعة على الأرض تستند بوجهها على قبضتها
المضمومة تراقبها فمطت شفتيها وهي تتوجه لها بخطوات رشيقة
تمد لها يدها مغممة:

- آسفة

فابتسمت لها يارا بحنان:

- ولا يهملك.. بقولك حاروح أجهز كوبايتين شاي بحليب ونقعد
أحكملك كل اللي عملته النهاردة.. إيه رأيك؟

فابتسمت مروة بترحيب:

- تمام.. أكون خدت شور سريع.

غادرت يارا غرفتها وعقلها بحالة ذهول وتحسر على مروة وقلة
ثقتها بنفسها التي اكتشفتها.. وقبل أن تتماذي خطواتها تجاه
المطبخ لفت انتباهها لمعة خاطفة من شراع الشرفة الموارب..
عقدت حاجبها في تساؤل واتجهت إليها بسرعة مضيقه عينها
علها تتأكد وهي تنادي على مروة بصوت عالٍ فأتتها متأففة:

- في ايه؟.. لحقت!.. ده أنا مالحقتش أدخل الحمام أصلا.

لتلكزها يارا وهي تشير للشرفة المقابلة لشرفة منزلهم سائلة إياها:

- هو في حد ساكن في الشقة دي؟

نطقتها وأتبعتها بخطوات سريعة تفتح الشرفة لتدقق النظر يامعان
وسمعت مروة تقف بالداخل وراء الشراع تتدارى به وهي تسبها:

- أنتِ عبيطة؟.. أنا واقفة وراكِ؛ مش تنبهيني إنك حتفتحيتها!

تمتت يارا باعتذار وهي تغلق أحد ضلفتي الشراع خلفها قدر
الإمكان وعيناها لا تفارقان الشرفة المقابلة.. حث مروة على أن
تجيبها فردت مروة:

- لا ما فيش حد من ساعة ما طنط مامة الباشمهندس أحمد ما
اتوفت من سنة وهو خد مراته وبناته معاه السويس ومابقاش
بيجي هنا.. بس بتسألني ليه؟

- أصلي اتخايلت بنور تقريبا.. مش عارفة يمكن بيتهيألي!

لتدمدم مروة بصوت عالي:

- أهلا.. هي وصلت لتهيئات!.. صبرني يارب.

عادت يارا إلي الداخل وهي تعيد غلق الشرفة، ترد عليها بسخرية
وعبث مماثلين.. ولم تلاحظ تلك النظرة في الظلام من العين

المراقبة بالشرفة المقابلة وتلك الشفاه التي ارتسمت بها نصف
ابتسامة!

تتحرك بتوتر في جميع أنحاء غرفتها حتى نفذت منها الخطى
فتمادت بخطواتها لباقي جناحها عليها تفرغ القليل فقط القليل
من فوران غيظها.. فهي لم تستطع أخذ حقها منه!

لم تكبلها صرخة زوج تحمل بطياتها الوعيد، بل ما كبلها هو من
تتمسك بصورته الآن بين يديها؛ أبيها منصور.. لا تخشاه بل لا
تخشى أياً منهم، هي فقط تخشى من نظرة خيبة أمل تغم على
الراقد بقبره!

ولكن الألم موجود، الغضب يتفاقم، وإحساس أنها الطرف
الأضعف خانق.. يجعلها تصر على أسنانها كأنما لو تفتتوا
سترتاح، تتنفس بعمق شهيق.. زفير.. يبدو أن كظم الغيظ يزيد
من ضغطها أو يخفضه المهم أنه المسؤول عن ذاك الثقل
بعقلها..

سحقاً لكبت الغضب وللأدب والأخلاق.. لمَ لم تمزقه بأسنانها
وهو يستحق؟..

زاد انعدام التوازن والإحساس بأنها قاب قوسين من الإغماء
جعلها تجلس على طرف أقرب مقعد منها تتمسك بحافته..
تتجلد، لن يجدوها مريضة مهزومة فاقدة الوعي أبداً..

ثوان أو ربما دقائق أو يمكن ساعات لا تعلم فقط تشعر أنها
انسلخت رغماً عنها ولم تتيقظ وتنتبه إلا بصوت الباب يفتح
بقوة وزوجها المبجل ابن الحديدي يطل منه..

ناظرته بعيون جريئة لا لوم.. لا ضعف، فقط عيون تطالب بالثأر
وهو البرود متجسد بإنسان.. ملامح وجه عادية وعيون نصف
مغلقة وأيدي ترتاح بجيوب بنطال إيطالي فاخر الصنع كصاحبه..

وحين طال الصمت والتحديث دون سؤال بادرته:

- عملت ايه معاه؟

ربما تكون بسيطة تلك الكلمات لكنها تلجمه، تقيده، تشعره
بعجز لم يخلق له.. أو لم يقابله يوماً بمدارك الحياة..

صامته تجلس باسترخاء غريب تناظره بنظرات أبعد ما تكون عن
 موجة البكاء الحارة المذروفة على كتف الأخ المزيف كأنما
 أبدلها حزنها بقوة وهنا اختلجت خلاياه، عروق رقبتة يتراقص
 النبض بها.. وهو يجاهد باستماتة ليحافظ على قشرة بروده دون
 مساس ولذا قابل السؤال بسؤال:

- ايه حدود علاقتك بخالد الملاح؟

ونجح كما ديدنه بجذب انتباهها إليه بعيون متسعة متسائلة
 تطالب بتوضيح:

- خالد الملاح؟!.. ايه اللي جاب سيرته دلوقت؟

والرد كان فعل بخطوات قوية واسعة ليقف أمامها عارضاً غلاف
 المجلة وصورتها وهي بين أحضان خالد الملاح والخبر بالبونط
 العريض..

"أسرار العلاقة السرية بين زوجة رجل أعمال مهم وخالد الملاح
 التي كانت سبباً في انتهاء زواجه من ابنة خالتها..."

التفاصيل بداخل العدد

رأيتك عالم

شغيف وورث

عيناها المتسعتين تصارعان لتبقيا مفتوحتين، الإغماء يبارزها بشراسة وهي تحتاج للفهم.. الصورة قديمة بحفل خطوبته على يارا، تتذكر جيداً.. فبالصورة مازال جسدها يحمل كيلوجرامات مراهقتها الزائدة التي سعت بعد ذلك للتخلص منها..

أكملت قراءة الخبر بسرعة صاروخية وحين انتهت رفعت عينيها تبحث عنه لتجده يعطيها ظهره يطالع الحديقة من نافذة غرفتهما بجمود غريب فضيقت عينيها تسأله وفكرة مجنونة تتقاذف بعقلها المجهد:

- ممكن أعرف بتسأل ليه؟

التفت لها بجانب وجهه يحدجها بنظرة ساخرة مجيباً ببرود يخالطه شيء ما لا تستطيع وضع يدها عليه:

- يمكن لأني جوزك وأي كلمة عنك تمس سمعتي أو يمكن لأن أن الأوان أسرارك تتكشف كلها..

عاد لتسديد نظره من النافذة غير مبالٍ بها مكملاً:

- والأهم علشان أقدر أحد من خسايرنا.. عرفيني إيه حدود
علاقتك بيه وحكاية الصورة حالاً؟

رن بعقلها أسرار وسمعة وكلمة تتعلق بالخسائر وكلها تتعلق
بكبرياء رجولي بحت.. نصف ابتسامة ساخرة ارتسمت وهي
تجيبه:

- الصورة قديمة من خطوبته على يارا.

- متأكدة!.. يعني مافيش صور تانية حالاقها منشورة في
المجلات بكره؟

- لأ.. هو ما يقدرش يقرب مني أصلاً وإلا أسجنه.

- ليه؟

ابتلعت ريقها.. عقلها مشوش ومحاربته للإغماء تحولت لألم
سخيف وهو يجرها لمنطقة شائكة تحتاج للتركيز:

- لأنني عاملة له محضر بعدم التعرض ليا.

- ليه؟

وقفت ثائرة وهي تفور من الغضب.. فأحساس الغضب المتفجر
أفضل من الاستسلام للضعف:

- ما يخصكش.. وما يخصش أي حد.. وما تفتكرش إنه ده
حيليني عن اللي عمله....

التفت لها مقاطعاً بحدة لم تظهر بنبرة صوته:

-ميرا.. أومال ايه اللي يخصني لما اعرف أخبار عن ماضي
مراتي من المجلات؟!.. لما أعرف إنها عايشة في قشرة أخوة
كدابة علشان تبيح لنفسها تعمل اللي علي مزاجها من غير حساب
ولا رقيب!

هبت من مجلسها دون وعي تسأله:

- أنت بتقول ايه؟

- أنتِ وزيد مش أخوات ولا حاجة مجرد ولاد خالة..

بهتت حين ألقى بوجهها ما بجعبته وسؤال صرخ بعقلها ونقله
لسانها:

- مين اللي قالك؟

لمحة من ألم.. ربما خيبة أمل مرت بعينه قبل أن يكمل بسخرية
تقطر مرارة:

- ناريمان.

اتسعت عيناها بصدمة ولم تشعر بنفسها إلا وقد استشاطت غضباً
وحاولت أن تؤلمه.. أن تؤذيه..

صدق الحرياء!!.. لا بل ظن بها.. لا مازال يظن بها؟!..!

الآن فقط فهمت سر همجية عبد العزيز السافلة الحقيرة.. كيف
علمت؟!.. ونغزة ألم أصابتها حين دخل احتمال أن زيد من
أخبرها أوجع قلبها:

- آه إحنا مش أخوات بالرضاعة.. لكن ده ما يمنعش إنه أخويا
وأقرب صديق ليا من يوم ما اتولدت.. فأني تليح قدر يمس
أخوتنا مش مسموح بيه.. اللي يهمني دلوقتٍ حقي.. أنا عايزة
حقي منه.

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

طلب أو إقرار أو ربما تحذير؛ لا يهم.. فالمعني من الكلام لا يستطيع هو المساس به مهما رغب بذلك.. أجابها ببرود من جديد:

-حق!.. عايزاني أعملك إيه يعني؟.. أضربه!

سخر مكماً:

-عموماً حَقك محفوظ.. اللي يهمني موضوع الصور.. لازم أعرف حكايتك مع خالد بكل تفاصيلها مهما كانت تافهة وده دلوقتٍ أهم أولوياتي.

كلماته كانت كسياط تنهال عليها دون رحمة، صدرها أصبح يعلو ويهبط بتدافع وهي تكشر عن أنيابها بشراسة قطة تدافع عن نفسها حين استشعرت وحدتها بين وحوش:

-مش أنا اللي جريت وراك وقلبت الدنيا علشان أوصلك.. لو كنت متجوزة راجل كان عرف ياخدلي حقي، يصون اسمي ويحفظ كرامتي.. بس ملحوقة.. ليا أهل وابن خالة حي جيولي حقي.

كانت الحروف تتراص والكلمات تتدافع وغمامة الإغماء
تنكمش رعباً من غضبها أو ربما من قرارها وأطرافها الأربعة
بدأت تنفذ حيثيات القرار قبل حتى النطق به.

يدها تسحب حقيبتها القديمة التي جاءت بها، يدها تجذب ما
تقع عليه عينيها من ملابس.. وشنطة أخرى تجذب بها أحذيتها
وتكوم شنطتها الأثيرة المحملة بأوراقها وأقلامها التي ابتسمت
نصف ابتسامة ساخرة مرددة لنفسها بسخرية:

"كان عندي حق لما قلت مصيري أرجع"

وجدتها ترفع وجهها المتعرق بإجهد غريب ويدها تتصل
بأحدهم.. سمع صوتها بنبرة مبحوحة:

- تعالي خدني.. أنا محتالك.

- أنتِ بتعملي ايه!؟!

والآن فقط سأل!.. يدها دون أن تدري وهي تلتفت له ضربت
أحد الأدراج فتساقط بدوي مبعثر ما بأحشائه ومن ضمنهم

مظروف أصفر عملاق وصور كثيرة بأوضاع مختلفة تعلمها جيداً..

انسحب اللون من وجهها وهي تقترب من الأرض.. تجذب الصور.. ارتكزت على ركبتيها ترفع له يدها بالصور وبعينيها سؤال واحد:

-الصور دي معاك من إمتي؟!!

رفع لها أحد حاجبيه دون رد فأكملت بإصرار:

-الصور دي معاك من إمتي يا إياد؟.. من قبل النشر ولا بعده؟

والجواب كان قاصماً مؤلماً وكأنه ختم بالموافقة على قرارها دون أن يعلم:

-عندي من قبل النشر.

وقفت وهي تستند على يديها فوق الأرض.. رغم الثاقل، رغم تجاسر الضعف عليها، هي لن تنهار.. ليس أمامه على الأخص وليس بمكان غريب عنها!

وقفت وتركت الصور تنسال من بين يديها.. لقد اكتفت وستخط
هي تلك المرة النهاية وهي لن تتوانى بتوجيه ضربتها القاصمة
الأخيرة له.. فإن لم تأخذ حقها من أبيه بنفسها فابنه لها خصم
كفاء لا يستحق رحمة..

رفعت يديها خصلاتها بعيداً عن وجهها، ترسم ابتسامة ببطء
على شفثيها تخبره قرارها:

-الاتفاق ولا الصفقة أيا كان اسم اللي بينا ده انتهى.. اعتبره
لاغي لأنك ببساطة ما بقتش كفو ليا..

واندفعت تجاه باب الجناح وحين ناداها بغضب غريب على
نبراته:

-استني هنا.

ودون أن تلتفت له أردفت بصوت قوي:

-طلقني!

نطقت قولها الفصل وغادرت بخطوات تشي بضعف.. دون أن
تلتفت له ولو حتى لبرهة..

صمت اجتاحه وهي تغادر.. أزيز هاتفه المتواصل أجبره على الالتفات للهاتف ليجد اسم ليث وتقفز لعقله صورة باسل ففتح الخط ورد بصوت فاجأه أنه متحشرج مرير، صوت لم يكن له ونبرة لا تخصه:

- لقيته يا ليث؟

وليث بغموضه وردوده المقتضبة:

- لقيته.. معايا.

ابتلع إياد ريقه وأغمض عينيه لثانية يشعر بسخونة مقلتيه وهو يتجه للنافذة من جديد ويسمع أصوات الخادومات تستأذن للدخول، يحملن حقائبها ويغادرن بها.. أعطاهن ظهره دون رد وهو يسمع صمت ليث فطالب بمحادثة باسل مجدداً ورد ليث حيره:

- ما ينفعش تكلمه دلوقت.

- باسل فين يا ليث؟.. هو كويس؟.. جرى له حاجة!.. أنتوا فين؟

- إحنا في العربية وجاين ما تقلقش.. هو إلى حد ما كويس..

صمت لثوانٍ زافراً بحنق قبل أن يكمل:

- حافهمك لما أجيلك.. أنا في الطريق.

أغلق الهاتف وعقله يضج بالاحتمالات وقلق يتعاضم على باسل؛ حتى رآها تتحرك بخطوات بطيئة.. خصلاتها التي ضجت بصخب وحيوية بالصباح، التي انسابت من بين أصابعه مع أنفائها اللاهثة وهو يتترع أناتها وابتسامتها الناعمة.. كانت مبعثرة متهدلة تفتقد لجموحها..

لم لم تخبره بسبب المحضر وعلاقتها به...!!

وصوت ضعيف بعقله يخبره؛ ربما لو أخبرتها بأن حقها المطلوب أخذ قدر ما يستطيع كانت ستتجاوب معه..

يتذكر الغضب والضيق وذاك الشعور الخانق الذي اكتنفه حين رآها تستند على كتفه تبكي.. ولأن منظرها شتته ولأنه يدري أن

ما بينهما لا يتجاوز الأخوة وإن كانت دون جذور.. لكنه شتته
ولسانه لم يسعفه وكان يحتاج للتركيز مع محدثه أحد أعضاء
مجلس الإدارة القلقين من الأخبار وتأثيرها على الأسهم..

ظل يراقبها من النافذة وعقله يكافح لتهدئة الرجل وحين غادرها
وابتعد أغلق المكالمة الطويلة بتزق وحاول أن يلحق بها..
سيعاقبها، سيستجوبها، وحينها رأي اليد المرفوعة سمع الإهانة
والألم ضربه بمقتل..

لم يستطع اللحاق به، لم يستطع حمايتها.. وكرجل شرخته
الحقيقة من العمق ويداه مكتوفة.. فالمعتدي أباه، لم يصدق
حين استكانت لتحذيره وأمره.. وغضبه وجهه لأبيه:

- أنت اتجاوزت حدودك يا عبد العزيز بيه.

عقد أبيه حاجبيه:

- عبد العزيز بيه!؟!

أصر إياد على أسنانه، قبضتيه مضمومتين تكاد تدميان كفيه في
جيبى بنطاله:

- الأب اللي ما يراعيش حرمة مرأة ابنه ويمد إيداه عليها أيا كان السبب ما يستحقش الاحترام اللي هي عاملتك بيه.

بهت أبيه وربما ابيض وجهه وشعور غادر من الرأفة ضرب جوفه ولم يستطع أن يستمع له:

- أنت بتقول لأبوك الكلام ده؟.. ليا أنا!.. وعلشان خاطر دي!

وأشار بيده باستهزاء مشمئز لأعلى:

- دي تبقي مراتي.. شايلة اسمي.. وصدقني لما أقولك هي أنصف ميت مرة من اللي اسمها ناريمان.. وفصل الكلام، أنا لا بقى لازمني بيتك ولا فلوسك ولا شركاتك..

تركه وابتعد لأعلى صاعداً الدرجات وشهقة أمه تلاحقه باسمه، وشحوب ناريمان بذهول وأبيه يشعر بانقباضة بقلبه وبمحاولة أخيرة عنيدة:

- بتهرب بعد ما الهانم خسرتنا سمعتنا؟.. بتهرب زي الجبان من المركب قبل ما تغرق بعد ما مجايك دمرت شقى العمر اللي حافظت عليه بروحي لابني!

رأيتك

شغيط ورنج

توقف إياد بجمود والتفت له ببرود كاذب وشت به عيونه
المتألّمة وبابتسامة ساخرة:

- ما تقلقش.. مش حاسب الشركة إلا وكل حاجة أحسن من
الأول.. لكن موضوع ابنك ده تنساه.

وغادره ومنيرة تسرع لزوجها الواقف بجمود على درجات السلم
تناظره بدموع:

- ليه كده يا عبد العزيز؟.. ليه كده؟..

ومن بين شهقات بكائها ودموعها أخبرته بصرامة:

- إياد لو ساب البيت أنا حامشي يا عبد العزيز.. فاهمني!.. مش
حاعدلك فيها ثانية واحدة، فاهمني!..
وتركته هي الأخرى وغادرت..

رآها إياد وهي تلحق به، تترجاه، تتوسله العقل.. تعده بوعود لن
تقدر عليها ولن يقبلها هو لأبيه:

"ما تسيناش يا إياد.. حاجيبه يعتذر لها ويبوس راسها.. حاخليه
يعمل اللي يرضيك ويرضيها.. عارفة إنه غلط، بلاش يا إياد"

وهدهد أمه بتربيتة كتف دون كلمات، رافقها حتى غرفتها وتركها
بكلمة واحدة:

"خلي بالك من نفسك"

وغادرها لغرفته.. لتغادره ناريتة..

اقتحمت ذاكرته سيارة لم تغادر سوى من فترة قصيرة.. زيد!

اتصلت بزيد دوناً عن أي من أهلها.. هو من أخبرته أنها
تحتاجه!.. ودون أن يشعر كان قد سدّد قبضته لمزهريّة فاخرة
يحطمها بعنف، ولم تكفه.. أزاح الطاولة والكرسي معها وعاد
ليرى الآخر يتلقفها.. يكفكف دموعها.. ويربت على كتفها
ويجلسها بمراعاة أصابته برعشة غضب حانقة..

ثوانٍ وغادر بها حاملاً معها مقتنياتهما ليجد نفسه ينظر بانعكاس
وجهه بالنافذة بوجه لا يعرفه!.. وجه مكفهر وعيون محمرة من
الغضب وعقله يزأر:

"لا لم ولن تخلق امرأة تتخلل تحت جلد إِياد"

رأيتك حالم

شغيف وورع

هي تشتت الآن ولديه ما هو أهم.. وموضوع هرطقتها بالطلاق
سيراها حين يجد له مكان على جدول أولوياته..

تابع سيارة سوداء قاتمة بغموض كطبع صاحبها تدخل من بوابة
المنزل فأسرع يفيق نفسه بالحمام، يلغي تأثير غضب غريب
وشعور بالاختناق..

فما لديه أولى وأهم!

"ما يمكن تكون فيتامينات أو شوية مقويات.. الولد فعلا وشه
كان مصفر شوية الأيام اللي فاتت دي"

نطقها حورية وهي تططب على كتف أختها أحلام الهلعة التي
تبكي بين أحضانها وقلبها لا يصدقها.. فمنذ بداية النهار وهي
تستشعر بخطب ما يقترب منهم وقلقها تلاشى حينما تلقت تلك
المكالمة من حماة ابنتها الكبرى بسمة تعزمها بإصرار على خطبة
آخر العنقود وتصر عليها هي ومروة بالحضور..

ومن وسط تبريكاتها واعتذارتها متعلقة بمرض أختها ووجودها
بالقاهرة أجابت رنين باب المنزل لتفاجأ بأحلام توشك على
البكاء وبلهجة متوسلة:

"الحقيني يا حورية"

أنهت حديثها مع حماة بسمة ووعدت بذهاب مروة بدلاً عنها
وحين التفتت لم تحتج أحلام لسؤال.. سارعت بسكب ما لديها
من أفكار ومخاوف بين يدي أختها وأنهتها:

- أنا خائفة يكون في حاجة وحشة بعد الشر ومخبي.. حاموت يا
حورية لو جراه حاجة.. حاموت.

لتنهرها حورية:

- فال الله ولا فالك..

وأبعتها باقتراح أنها ربما بعض المقويات لتتدارك بكاء المنهارة
بين أحضانها.. استغفرت ربها وهي تعمل عقلها مغممة:

- طب ما نسأل صيدلي.. أكيد حيدلنا.. أصلا ابنك مادام ما قالش يبقي مش حيقول إلا بمزاجه وحيلف ويدور.. استني ما يمكن عصام ولا حد من البنات يعرف حاجة!!

رفعت لها أحلام عينيها بأمل وهمست من بين دموعها:

-تفتكري؟

هزت حورية رأسها بتأكيد واسم عصام يظهر.. تلميحاته، متابعتة لزيد كظله وتلميحاته بطعام صحي كلها تراصت بوضوح متممة:

-أكيد عصام عارف.. أنا متأكدة، طب نكلمه نسأله.

هتفت بها حورية بحزم:

-لا نستنى لما يرجع أحسن علشان ما يفلتش..

قاطع كلماتها رنين الباب المتعجل لتلمع عيناها:

-أكيد هو.. اهدي وسيبيني أنا أتكلم.

مسحت خديها وعيونها بسرعة وحين فتحت حورية الباب
تفاجأت بهوية الطارق فعقدت حاجبها بعجب تبدل لذهول
حين رأت زيد يحمل حقائبها خلفها:

-ميرا!!!

ابتسمت ميرا بضعف وهي تدخل من باب المنزل:

-ماما نايمة ولا صاحية؟

-إيه الشنط دي؟

سألتها حورية باستفسار قلق:

-شششش

أشارت لها ميرا بالهدوء:

-وطي صوتك مش عايزة ماما تعرف.. هي مش حتستحمل.

-إيه اللي حصل يا ميرا؟

سألتها خالتها أحلام التي أتت متسائلة وهي تفتش بعينها وجه
ابنها بقلق، تبحث عن دلائل وقرائن لشكوكها!

تعجب الاثنان من رؤية أحلام تأتي من الداخل فنظرا لبعضهما
بعجب ونظرة واحدة بين أحلام وميرا جعلت أحلام تتساءل
بغضب:

-اللي اسمه عبد العزيز ده ضايقك تاني ولا ايه؟.. عرفيني بس
وأنا أمسحلك بيه الأرض!

حاولت رسم ابتسامة هادئة فخرجت مرتعشة:

-ماعادش ليه لزوم يا روكا.. أنا خلاص قفلت صفحتهم من
حياتي.

-قبل ما تقفلي صفحة من حياتك مش لازم أعرف!!.. ولا
خلاص مابقاليش لازمة بينكم؟

والشهقة الثلاثية من ميرا وحوارية وأحلام برؤية آمال بشعرها
الذي غزته شعيرات بيضاء تعقد ذراعيها أمام صدرها تناظرهم
وتطالب بتفسير.. تخبرهم بكل وضوح أن عصر استكانتها قد
ولي دون رجوع..

بكلمات بسيطة صاغت لهم ميرا ما حدث واكتشافهم لموضوع
زيد والصورة والإهانة والصفعة ولفظ الحيوان صدر من أحلام
بينما صمتت هي والرد كان من أمها:

- وجوزك عمل ايه؟

حاولت أن تبتسم لا بل جاهدت لتبتسم بلامبالاة وفشلت:

- ولا حاجة.. عنده أولويات أهم.

سألته حورية بتعجب:

- عرف منين موضوع الأخوة ده؟

والنظرة المعاتبة كانت من نصيب زيد الذي ذهل منها وكلمتها
كانت صفقة مؤلمة أوجعته بحق:

- ناريمان اللي كانت خطيبته قبل مني بتحاول تنتقم مني..
فاكراني خطفته منها.

سخرت بضحكة هازئة.. والرسالة وصلت لزيد واضحة.. هم أن
يغادر، لا يستطيع الاعتذار وماذا يقول:

"آسف لتخريب حياتك وبؤسك الذي ينضح من خلاياك!"
 ابتلع ريقه وحاول أن يعتذر ويغادر ولكن جملة خالته التي
 وجهتها له لأول مرة منذ شهران:
 - استنى يا زيد.

عقد حاجبيه متعجباً واستجاب جالساً من جديد وهي تناظر ابنتها
 بنظرات متفحصة تشملها من أعلى رأسها لأخمص قدميها:
 - بصي لي يا ميرا.

رفعت ميرا عينين مجهدتين لأمها بتساؤل:

- أنتِ عايزاه ولا خلاص نويتِ تفارقي؟

ترددت عينيها ولسانها وهي لا تفهم.. ألم تسمع أمها؟

ربما لأنها صاغت مأساتها في الشهور المنصرمة من زواجها
 ملخصة إياها ببضعة كلمات لم يشعروا بها.. ربما لأنها لم تشتكِ
 يوماً ظنوا بها التخاذل والضعف أو الدلع كلمة أمها المفضلة!..
 حاولت أن ترد برد فاحم غاضب وأمها سارعت مقاطعة إياها:

- ما تجاوبنيش دلوقتٍ.. وجودك هنا مش حيرحك.. روحى
لبنات خالاتك.. ارجعي البيت القديم يوم، اتنين، أسبوع..
ومهما حاول يوصلك أو يكلمك ما ترديش عليه.. فهماني!؟!

رفعت ميرا حاجبيها بتعجب.. أتظن أمها أنها ستساق وتنفذ
الأوامر وهي لم تفعلها منذ شبت عن الطوق!؟!

- اسمعي كلام أمك يا ميرا.. روحى للبنات، غيري جو وفكري..
وعبد العزيز ده تسيهولنا إحنا.

- أنتِ بتقولي إيه يا خالتو بس!.. هو أنا عيلة حتمشوني على
مزاجكم؟

تلك المرة قامت أحلام تحتضنها تنظر بعينها بحنان:

- أنتِ تعبانة.. مستنزفة يا بنتي، وأنتِ قلتِ ليا أهل وحيجيولك
حقك تالت وملت.. روحى فوقي وارجعي ميرا القوية..

استكانت لرجاء خالتها فهي أكثر من رأّت وسمعت منهم..
وشعورها بالوهن والتعب جعلها تهز رأسها واستكانت لذراع

خالتها تساعدها للدخول لغرفتها القديمة لترتاح.. فهي بأمس
الحاجة للنوم.

وحين اختفت تنحنح زيد مذكراً خالته بأنه مازال موجوداً.. لا
يعلم ما يتوقع إلا انها فاجأته:
-أولا أنا آسفة..

وأمام ذهول نظرات عيني حورية وزيد.. فأمال تعتذرا!
وشهقة تعجب من أحلام وميرا التي مازالت على مسمع منهم..
أكملت بإيضاح:

-أنت ليك في رقبتي اعتذار وعارفة إنه قليل قليل قوي على
اللي بدر مني في حقكم!

وتلك الدموع الغادرة التي تلمع وتتجاسر للنزول هب لها زيد من
مكانه.. يحتضنها مربتاً على شعرها برفق وهو يغمغم:

-أنتِ أُمِّي الثانية وما فيش أم بتعتذر لابنها يا أمولة..

احتضنته بقوة، احتضنته تفرغ فيه اشتياقها للغائب ولتوأمة روحها
ولحياتها السابقة، احتضنته تتشبث به من وحدة طالت.. رفعت
عينها إليه وهي تسأله وتستحلفه:

-حلفتك بالله يا زيد لتقولي من غير ما تكذب ولا تداري..
الأدوية اللي بتأخذها دي بتأخذها ليه؟.. عايزة رد صريح
ومباشر.

وببساطة أخبرها وأمه تشهق بهلع وخالته حورية تبكي ووجه آمال
يشحب، فزيد الطيار الوسيم مريض بالكبد وتحت العلاج من
فترة.. ولحسن حظه ظهر عصام وحاول قدر الإمكان السيطرة
على دوار من التساؤلات الهلعة وبكاء روكا المتزايد وارتعاش يد
آمال الخائف المتمسكة بكفه..

وحين شعر زيد وعصام بقلّة الحيلة وقرب انفجار الوضع وحوارية
ترغب بزيارة الطبيب بنفسها لتتأكد من صحة كلامهم بتحسّنه لم
يجد عصام بدأ من استخدام ورقته الرابعة:

- هشام كان عارف وهو بنفسه كان معانا.. وسمع إنه اتحسن جدا
والعلاج جايب نتيجة ممتازة..

وأمام عيونهم المشككة أدلى بآخر تصريح:

-تفتكروا لو في شك واحد في المية إن زيد لسه تعبان ولا فيه حاجة؛ كان هشام حسيبه ويمشى مهما حصل؟

ورغم ذكره المقلب للمواجه للغائب الجالب للحزن والافتقاد إلا إن مجرد ذكر اسمه هدأ قلوب الامهات الثلاث ورفع عيونهم بالدعاء والحمد والشكر لله.. فخرجت زفرة ارتياح مشتركة لانتهاء المعركة بأمان منه، ومن زيد!

"فين باسل؟"

عينا إياد تبحثان داخل السيارة الفارغة عنه ولا أثر لصديقه المختفي فرفع عيون متسائلة لليث الذي وقف وقفة متحفزة وهو يتكئ على السيارة مخبراً إياه بنبرة غاضبة:

-لازم تعرف الأول أنا لقيته فين!

-فين؟

رائد صالح

شخيط ورنج

- عند ديلر مخدرات في مصر الجديدة جبته من جوه شقتهم قبل
ما يكبس عليهم شرطة المكافحة بثواني وستر ربنا هو اللي خلانا
خرجنا من غير ما حد يشوفنا من العمارة..

شعور بخلخلة بركبتي إياك اكتنفته واتسعت عيناه بعدم تصديق
ولولا أن ليث حامل الخبر لقتل حامله بيده المجردة كله إلا باسل
ليس هو...

مخدرات !!..

باسل !!..

وتابع ليث دون رأفة به:

- للأسف واضح إن بقى له فترة بياخد مسكنات قوية جداً
ترامادول وخلافه بس شكله الفترة الأخيرة ما بقتش تجيب نتيجة
فقرر يتجه للبودرة

- لأ

نطقها إياك برفض.. باستنكار.. بغضب.. بصوت تمنى أن يكون
صراخاً عله يخرج بعض مما فيه

تنفسه تسارع والغضب يتزايد بداخله بدرجة مدمرة حارقة
والسؤال:

- هو فين؟

أصر ليث على أسنانه وهو يشير برأسه لحقيبة سيارته:
- في الشنطة.

نظر له إياد باستنكار..

فرغ له ليث عيون قاتمة:

- مضطرب.. كانت حالته غريبة واضطربت أفاقه الوعي علشان
يتحرك معايا وما ينفعش أمشي في الشوارع بواحد مغمى عليه
جنبي

- إفتح الشنطة

نطقها إياد بغضب هادر وعضلاته تحت قميصه ذو الأكمام
القصيرة تشتد بغضب واضح فحذره ليث:

- إياد.. اهدى هو مش في وعيه.. أهدى

- افتح الشنطة بقولك..

هدر بها إِيَاد بصوت جعل ليث يعقد حاجبيه وهو يناظره بعجب فهو على مدى سنوات معرفته الودية ثم العملية مع إِيَاد لم يره يوماً غاضباً بهذا الشكل..

فتح حقيبة السيارة لتقبض ملامح وجه إِيَاد بألم من منظر صديقه المتكوم وكدمة واضحة تزين ذقنه فنظر لليث بغضب فأخبره موضحاً:

- مش أنا.. كان بيتخانق هناك قبل ما أوصله..

رفعه إِيَاد وساعده ليث ليحملاه وغمغم إِيَاد بغضب:

- على عربيتي.

لم يسأل ليث أو يستفسر فقط، ساعده وحينما أجلسه جواره كانت الخادومات يخرجن شنطة كبيرة من الملابس فوضعها إِيَاد بحقيبة سيارته، بعدما غادروا نظر إِيَاد لليث وسأله بعد ما استعاد هدوئه المفقود:

- وصلت لايه مع مهرة؟

- لسه ما فيش حاجة

زفر إياد بقلة صبر مقاطعاً:

- وأشرف؟

- دخلت واحد من رجالي بيته ومستني منه تقرير آخر اليوم عيني عليه عارف إن الموضوع صعب بس احنا عايزين اللي ورا مهرة سواء كان أشرف أو غيره.. الخطوة الغلط حتكلفك كتير

ثار إياد:

- ما يهمنيش دليل فاهمني أنا صبري نفذ.. قدامك لحد بكره الساعة ٧ الصبح وبعدها حاتصرف ومش هارحم حد.. أنا مش هافضل ساكت.. مش هافضل ساكت وهما بيقطعوا في سمعة مراتي.

عقد ليث حاجبيه باستغراب فما حدث كان شبه متوقع أنه سيمس زوجته، ربما ليس بتلك الصورة المقرزة الفجة..

سأله:

- إياد.. أنت واخد باسل علي فين؟

- على بيته.

- باسل محتاج يتعالج يا إياد

- أنا حافظل معاه لحد ما يفوق

زفر ليث وكاد يسب فاياد لسبب ما يبدو متوترًا وغير مسيطر على
الوضع وبعيد عن صفاء عقله المعتاد فأردف بصبر:

- ده مش كسر ولا علاج طبيعي حتروح تزوره وتشجعه.. ده
بالعربي كده إدمان يعني مراقبة وملازمة وإعادة تأهيل..
الموضوع كبير ما تستهونش بيه

رفع له إياد عيون قاتمة باردة بسؤال:

- قصدك ايه؟

- لو مش حتقدر تقعد بيه ٢٤ ساعة ٧ أيام فى الاسبوع لازم
مصحة.

رفع إياد هاتفه فليث محق وقبل أن يبدأ بأخذ احتياطاته التفتت
لليث المغادر بتحذير أخير:

7-الصباح يا ليث

فهز ليث رأسه بتفهم هو يفكر كيف سيصل لما يريد بغضون
ساعات معدودة فالفشل ليس باحتمال

"أنتِ فين؟"

ردت ببطء مستكشف:

- في البيت ليه؟

- عايز اقابلك؟

- دلوقتِ؟ .. أنت عارف الساعة كام؟

مط شفتيه بابتسامة ساخرة:

- ما اعتقدش أنها مشكلة.. محتاج أقابلك ضروري دلوقتِ

ابتلعت ريقها.. داخلها غزيرة مذعورة تشير لها بالرفض القاطع
وكبرياء أنثوي انتشي بكلمة أحناجك:

- محتاجلك يا ناريمان.. دلوقتِ.

وهزيمة نكراء لغريزتها وفاز الطيار.. بعد ساعة واحدة كانت
تتمايل بخطواتها متبخرة بأنوثة طبيعية تتفنن في تلوينها متوجها
نحوه وهو جالس يناظرها بعينه ومع كل خطوة تقتربها يتراجع
إحساس الظفر ويتبخر الانتشاء..

لا تعلم لمَ ينظر لها تلك النظرات؟.. نظرات رجل يقيم امرأة!..
لا بل نظرات شهوة هي تعرفها جيداً، تحفظها عن ظهر قلب من
كثرة ما رأتها بعيون من حولها ما عداه هو.. لم تزر عينيه يوماً
وهو يناظرها مخلوطة بشيء ما لا تفهمه!

أين الخطأ؟

اقتربت وابتسمت بحلاوة:

- هاي يا زيد.. ازيك.. مالك؟.. قلقتني عليك.

ابتسم بمرارة وهو يسألها دون موارد:

- يا ترى يستحق؟

عقدت حاجبها بتعجب:

- هو ايه؟

- الانتقام

- أنت بتقول ايه!؟

- ارتحتِ كده.. مبسوطه؟

هلع بدأ يتصاعد بداخلها وعقلها يحذرهما باحتمال تخشاه وأكدده وهو يكمل بازدراء:

- أنا مش قادر أفهم ايه الاستفادة من إنك تفسدي بين زوجين!.. للدرجة دي بتحبيه وعائزاه!؟

تلعثت بمفاجأة من هجومه تحاول الصد:

- أنت مش فاهم.. أنا ما بحبوش.. أنا كنت بأخذ حقي..

ردد بصدمة:

- حقك!؟

ولم ينتظر تبرير أكثر فهو غاضب حانق مصدوم قاطعها وهو ينظر لها بعيون تحمل خيبة أمل مغلقة بالألم:

رأيتك حالم

شغيب ورسمة

- طول عمري مؤمن إن لكل ست جمال من نوع مختلف يتشاف
بالعين وما يتحسش غير بالقلب، أول مرة شوفتك شوفت حزن
انكسار استغاثة من أنثى.. ودلوقتِ بس عرفت السبب كان
انتقام..

صمت وهو يصير على أسنانه.. الفكرة ذاتها تثير جنونه؛ أن
تستغفله هو:!

- استغلّيني أنا.. سمعتِ معلومات تخص عيلتي واستخدمتها
ضدهم بحقارة..

وهي حاولت الدفاع:

- افهم يا زيد.. كان لازم يندم انه سابني يوم فر....

قاطعها مجدداً بغضب ساخر:

- عايزاه يرجعك نادم.. فاكراه حيرجع يبصلك؟! مسكينة.. اللي
فى ايده الغالي ما يبصش للرخيص!.. عارفة إن الوصف الوحيد
لشخص زيك هو شيطان.. كنت فاكرك بني آدمة طلعتِ شيطان..

رأيتك حالي

شغيب وريح

ومع حروف كلماته أصابها الخرس فغرت فاهها دون تصديق وهو يتغمدتها بنظرات متقرزة قبض يده التي توخزه مطالبة بقصاص:

- كان نفسي أدوقك من نفس الكأس اللي شربتيه لأقرب إنسانة ليا.. لأختي.. لكن أبوها علمني ما أمدش ايدي على ست ..

بنظره دقق بها وكأنما يبحث فيها عن شئ.. شئ واحد فقط يستحق ولا يجد:

- مبسوة قوي بجمالك؟

ثم نظر لها بعيون حانقة مكملًا:

- اللي أنا مش شايفه جمال.. لا كإنسان ولا حتى كراجل!

جاءه النادل ببساطة مستفسرًا عن طلباتهما وهي أمامه متجمدة مذهولة قام زيد من مكانه رادًا بسخرية:

- لا.. أنت تقدر تشوف الهانم عايزة ايه.. لكن أنا ما يشرفنيش أقعد مع واحدة زيها في مكان واحد ولا أتنفس هوا هي في محيطه

رمى بعدة ورقات مالية على الطاولة وهو يميل عليها قبل أن
يغادر هامساً باحتقار ونبرة تقطر إزدراء:

- أنتِ أقبح أنثى أنا شوفتها بحياتي.. لأن الجمال جمال الروح

وهمس بهسيس غاضب:

- لو قربتِ من ميرا تاني أو أي حد يخصني ما تلوميش غير
نفسك

تركها وانصرف فانهارت هي ببيكاء عاصف دون أن تأبه لمن
حولها وأين هي!

فقد انهار بداخلها ما لم تظن يوماً أنه موجود!!

انكب ليث وكل فريق عمله يحاولون الوصول للمعلومات التي
يحتاجونها

ليث يقودهم بحنكة وتخطيط لا يترك صغيرة ولا كبيرة تشرذ منه
وهم يدورون كالنحل..

قرب الفجر جاءهم تأكيد من رجل ليث المتخفي كخادم داخل منزل أشرف حيث استطاع تفريغ أفلام المراقبة الأخيرة بمنزله..

وقعت المسؤولية على مخبره المعاقب حمدي يجلس بالمكتب منذ شهرين منبوذاً بسبب خطئه الكارثي وهو مكلف بتنظيم الصور والمعلومات التي يحضرها باقي رفاقه والليلة مسؤوليته هي معلومات منزل أشرف

مضى الوقت ببطء مقيت حتى لمحها.. لمح تلك السيارة وقبل أن يتوجه لليث يبشره بخيط رأى صورته هو..

لقد وجدته وهرع لليث يبشره بخيط يحتاجه وقد يرفع عنه الكثير من غضبه ويعود لمنزلته لدي ليث من جديد:

- يا باشا.. ليث باشا.. لقيته يا باشا لقيته وعرفت مين!

الفصل الخامس والعشرون

صورة.. ذكرى.. عشرة عمر.. فرحة أو عبرة

قالوا أن الصورة لا تضيع ففتها

تغنوا أن الذكرى لا تموت فوأدها

أصروا أن عشرة العمر لا تهون فشتها

وأن الفرحة لا تمحي فطواها

وللعبرة أثر بالوجه لا يمحي فطمسها

هو خوف بداخل كل منا أن نغيب بلا بصمة

هو حد السكين الكاوي لكل جرح نازف

هو المتقلب بين طياته أحوالنا بلا توان

هو رحمة وقضاء وفرصة وشقاء

وسيبقى النسيان بطياته

السلاح الأهم بغمد الأقدار

فقط حينما تظن أنك رأيت كل ما بإمكانه إدهاشك بالحياة؛ ثق أنها مازالت تخبيئ بجعبتها ما هو أشد وطأة وأكثر جهامةً وستحرص على أن تبهرك بكل مرة!

لم ينم رغم محاولاته الحثيثة للنوم، عقله يطالبه بضرورة الراحة.. فخلاياه تحتاج للصفاء ليتمكن من المواجهة النارية التي يحملها لها صباح اليوم التالي، إلا أن سلطان النوم لم يرأف بحاله..

ظل مستلقياً على فراش غير مريح نصب له على عجل بمكتب الطبيب المناوب بتلك المصحة الفاخرة ذات السبع نجوم، ظن أنه رأى بحياته ما يكفيه حتى مماته ومازالت الحياة تكيل له ضربات تحت الحزام..

لم لا ينام؟.. ليس من الأشخاص الذين لا ينامون إلا بفراشهم وعلى ما يخصهم.. لطالما كان يأتمر بأمر عقله دون تأخير،

يحتاج للنوم.. يغلق عينيه وينام؛ من أبسط معادلات الحياة حتى اليوم!

لأول مرة بسنوات عمره الثلاث والثلاثون يعاني من الأرق، ربما هو مفتقد.. لا هو قلق على صديق عمره النائم بغرفة مجاورة..!

حين تذكر باسل صديق عمره الذي هاج وماج حين استفاق ووجد نفسه مكبل بسريره وهيجانه من فقدانه لحريته، مازال صراخه الغاضب الذاهل يرن بأذنيه:

- أنت اتجننت يا إياد؟.. أنا تدخلني مصحة!!.. أنا!!

همس إياد بهدوء بجفون نصف مغمضة:

- مش حاتكلم معاك إلا لما تهدي.

صرخ به بغضب:

- أنا هادي.. هادي جداً.. إتكلم.

أغمض إياد عينيه ببطء يحاول أن يستلهم الصبر والطاقة للحديث:

- أنت محتاج مساعدة.. محتاج تتعالج..

- أنا ما عنديش مشكلة.. مين قالك إني عندي مشكلة!؟

تنهد إياد بإجهد:

- باسل.. سيبي من فضلك أساعدك.

- أنا مش محتاج مساعدة من حد، ومش قاصر علشان تحطني

تحت وصايتك..

صرخها باسل بغضب يتطاير، وعيون مغلقة بلون الدم:

- باسل أنا أقرب شخص ليك.. وبقولك أنت محتاج مساعدة..

وأمام عيون باسل العنيدة ومحاولة فك قيوده بالفراش أكمل إياد

بتحذير صارم:

- لما توصل بيك إنك تروح لديلر، لما تبقى مش قادر تركز ولا

تتحرك من غير زفت مخدر، لما تغلط غلطات في الشغل بملايين

ما يغلطهاش مستجد، لما تحط نفسك في أماكن مشبوهة ومع

ناس متراقبة..

وزفر بحرارة:

- كل ده ومش محتاج مساعدة!!.. وعلى فكرة؛ لولا ليث كان
اتقبض عليك وزماني بلف وراك في النيابات علشان أخرجك
منها..

وكأنما الكلمات ضربات اصمتت الغاضب، تحرك إياد مقتربًا منه
وجلس بجواره هامسًا بصدق:

- صدقني أنا حاسس بيك.

ضحك باسل بسخرية مريرة تقطر من حروفه، أغمض عينيه مرخيًا
جسده على السرير:

- هه!!.. حاسس بيا؟.. ليه!!.. ضاع منك أهم الناس في
حياتك؟.. اتسرق منك أبوك وأمك وأختك في غمضة عين؟..
ولا راح منك البنت الوحيدة اللي حببتها بسبب تكاسل وأناانية
منك!!.. ها، قوللي.. قوللي..

خبط رأسه بخلفية سريره بغضب ربما ينفث عن القليل من الألم
الذي يقتله بالداخل ببطء مكملاً:

-ها قوللي.. اتمنيت الموت وصحيت لقيت نفسك شبه عاجز
مجبور أنك تكافح لحياة مش عايزها؟؟.. مالهاش طعم ولا
روح!!.. وحتى بعد ما رضيت بنصيبي من الألم.. برضه الحياة
ما سابتنيش في حالي!!

عاد يصرخ به بألم جريح:

-أقرب الناس ليك آخر ذكرى من أبوك محملك ذنب موته!!..
ولا اترميت في حزن عيلة ولقيت دفا، لقيت اللي راح.. علشان
تفوق فجأة على قلم؛ كله كذب وخيانة والبراءة قناع فارغ!!..
إيه مستكتر عليا آخذ مسكن يغيبيني عن دنيتي شوية؟.. مستكتر
عليا دقائق أغيب بيها عن نفسي واسمي وحياتي نفسها..

وزعق بهيستيريا:

-وسميتها إدمان؟!.. بس حاقول إيه!!.. أنت عايش حياتك
متجوز وفي وسط عيلتك فقول اللي تقوله.. بس بلاش إنك
حاسس بيا دي.

استمع له إياد بصبر وجلد دون ضيق أو حتى عتاب، فقط ألم بعينه على حالة صديق عمره وتلفظ بكلمات بسيطة متتابعة:
- صدقني مش كل اللي بيلمع ذهب.. ساعات بيكون نحاس.

زفر بعمق:

- ما تستعجلش.. لما تفوق حاحكيلك، ما أنا ماليش أخ غيرك.
تذكر حديثه من ساعات مع صديقه قبل أن يهدأ ويتركه لينام مؤجلين النقاش للصباح.. تذكر كلمات الطيب رغم المال والنفوذ فلا صلة مباشرة به ليحتجزوه.. والليلة كانت مجاملة..
يجب أن يقتنع باسل ويدخل نفسه برغبته، ربما أرقه بسبب قلقه عليه أو ربما لافتقاده ل....

لا هو لا يفتقد.. بل ربما يكون غيابها عن المنزل وابتعادها هو القرار السديد، ليس في حاجة لتشتيتها الدائم له.. وربما هي محقة؛ أن لصفقتهما أن تُفض ولحكايتهما أن تُطوى بين رحاب النسيان!

رائع جداً

شغيف وورع

طي النسيان..

جملة لربما قرأتها بضع مرات في عدة روايات أو دروس عقيمة بالمدرسة.. لكن هل يوجد في واقع الحياة ما يطويه النسيان دون عودة؟..

أول ليلة لها، تعود لفراشها، غرفتها الحبيبة التي لطالما شهدت جنونها وتمردھا.. رسومات على الحائط كالصغار حين تأتيها فكرة ولا تجد ورقة.. وأحياناً بقلم حمرة أو كحل..

لطالما كانت غرفتها مصدر فزع للتوأمتين وبميثاق غير منطوق ظلتا خارجها حفاظاً على أعصابهما وعليها هي مهمة تنظيفها.. ومازالت رغم العودة لا تستطيع النوم!

مرهقة، محمرة العينين تشتهي النوم ولا تطاله.. تتقلب بفراشها تبحث عن وضع مريح، تتشمم الوسائد!.. أجنت!.. عن ماذا تبحث؟!..

وبعد أن استقامت جالسة بوسط فراشها مشعثة الخصلات منتفخة العينين، الوقت قارب الفجر والنوم اللعين لا يأتي رغم الإنهاك..

ودون أن تشعر ربما غريزة أو رحمة إلهية قادتها يداها دون تفكير لترص الوسائد بجوارها طولياً لتحتضنها وتنام.. وعقلها يرسم صورة لأحمق ظلت تسبه بأقذع الصفات حتى غابت في نوم عميق..

حين تنال ما كنت تتمنى على طبق من ذهب مطعم بالألماس بعد طول أنتظاراً قاذفاً الهزيمة لطي النسيان مبدلاً مرارتها بحلاوة انتصار لا تجد لزخمة مشاعرك وصفاً أو كلمة يمكنها إيفاء نشوتك حق قدرها..

وهو الليلة متخم بالانتصار القريب الذي يتشمم بشائره بالهواء، لقد ضحى بالكثير حتى يصل له وغداً وقت القطاف.. سيري الفتى الذهبي للأصدقاء الأربعة ابن الحديدي الذي دوماً كان المفضل عندهم لأنه العقل اللامع ذو المستقبل المبشر.. وهو دوماً كان بالمرتبة الثانية..

فحتى باسل كان يتقدمه بالعقل، بالحكمة وبالاحترام وأتقن هو دور العابث المتمرد صاحب الروح القلقة.. منذ سنتين اقتنص

من إياد كل ما يملك، عروسه الجميلة ورئاسة المجموعة وأضاف فوقها الإطاحة بكرامته كتكليل لما بذله من جهد وأبيه رحمه الله هو السبب في عودته لقائمة الخاسر المغضوب عليه..

لو لم يصيبه الضعف والندم حين علم أن أبيه دخل المشفى بأزمة قلبية حادة والسبب كان هو؛ حين علم بما فعله مع ناريمان ابنة شريكه وصديقه وخطيبة ابن شريكه الآخر.. ولولا قسمه حين أفاق وهو بين الحياة والموت إن لم يرجع لناريمان الأسهم التي اقتنصها منها دون وجه حق؛ سيتبرأ منه!

رغم كل جبروته لم يستطع أن يترك أباه يموت وهو غاضب عليه، وكانت المحصلة عاد للبداية بأسهم أبيه فقط والإدارة للفتى الذهبي.. ويبدو أنه كان بطريقه للحياة الكاملة، كالمعتاد.. ابن الحديدي لا يقع إلا على قدميه!

عروس جميلة قوية مختلفة عن ناريمان في الكثير حد الاختلاف بين السماء والأرض وراحة أنه هو من سيضحك أخيراً مسكراً.. لقد سلمه إياد الليلة ما يكفي لطرده خارج المؤسسة بلا رجعة..

حتى أبوه نفسه لن يستطيع أن ينقذه، واتسعت ابتسامه أشرف
الذئبية أكبر وأشرس من ذا الذي يحتاج نومًا وبانتظاره فوز
العمر، ينتظر الصباح بفارغ الصبر ليطبق قاعدة يعشقها ويتقنها
حد الافتراس..

"البقاء للأقوى"

منذ بداية اليوم والتوتر على قدم وساق بالمؤسسة، ومعظمهم إن
لم يكن الكل لا يعلم ما الأسباب!.. لا أحد يجرؤ حتى على
التهامس عن الخبر المنشور البارحة.. فاليوم اجتماع مجلس
إدارة طارئ والمزاج السوداوي المتفجر للسيد إياد، وهم يعذرونه
وما زاد المشهد حيرة وأشعل النائم هو اختفاء ميرا زوجته..
فازدحمت الأجواء بعلامات استفهام كبيرة!!

فمنذ ان خطى بقدميه لمكتبه وتبعته السيدة منى مردداً بحزم نافذ
الصبر:

- الساعة ١٢ سيكون في اجتماع مجلس إدارة طارئ.. مدام منى عايز كل حاجة في الشركة تكون جاهزة قبلها.
والتفت للشقراء:

- ساندي.. عايز تقارير من كل الأقسام بسير العمل، وكل تفصيلا كبيرة أو صغيرة على مكنتي قبل الساعة ١٠ مفهوم!!
وأمام انشدها ملامحها أردف بقلة صبر وتحذير واضح:

- ساندي النهاردة آخر فرصة ليكِ علشان تثبتي أنك تستحقي مكانك.. إديني مبرر واحد لوجودك في الشركة.. أظن كلامي واضح!

وابتلعت ريقها برعب ونظرة راحة على وجه السيدة منى، عاد لتركيزه على هاتفه يجري باقي اتصالاته.. فورائه مواجهة أخرى أشد قساوة قبل مواجهة الظهر..

مكالمة ليث له قرب الفجر مبلغاً إياه بما توصل له وعلى قدر المفاجأة كانت قسوة الحقيقة، قدر ما عقدت الأمور قدر ما زادت وضحاً وانجلاءً!

رائد عالم

تخطيط ورسمة

عقله هو مفتاح نجاته ولأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع؛
سيهاجم بضراوة.. امتدت أحاديثه الهاتفية حتى طلت السيدة
منى مديرة مكتبه بما طلبه من ساندي فغمغم لها:

-وباربي فين إن شاء الله؟

ارتفع حاجبي السيدة منى بتعجب!.. منذ متى يناديها هكذا؟..
ومتى علم من الأساس بتلك التسمية التي لا تناديها بها إلا
زوجته!.. تنحنحت:

-احم.. هي كانت بتكمل تجميع التقارير بس لما حسيت إنها
حتأخر ساعدتها.

هز رأسه بتفهم وأشار لها بالانصراف وقبل أن تغادر تعالى صوته
بصرامة:

-مدام منى.. باسل في أجازة مفتوحة، وأي شغل يخصه يا إما
يجيلي يا يتحول للأستاذ شوقي.. واضح؟

التفت له والدهشة ترتسم بوضوح مناقض لكلماتها:

-حاضر يا فندم.. أي أوامر تانية؟

-شكراً.

خرجت وتركت عيونه تومض بضيق.. فرسالة سائق زوجته وحارسها الذي أرسله صباحاً ليأتي بها، أخبره أنهم أبلغوه بالمنزل أنها مريضة ولن تحضر للعمل..

القلق ينهش أعماقه.. ما بها؟.. أهى حركات بنات حواء المعتادة أم هي مريضة بالفعل!!

تشتت شاب مقلتيه لثوان وربما دقائق قبل أن يجذب انتباهه هاتفه، فالتفت له مرغماً أن ينحيا عن أفكاره بالكامل.. ما بدأه منذ الصباح الباكر يحتاج لتركيزه الكامل دون إلهاءات، لديه من وجب ميقات تحطيمه قبل مواجهة الظهيرة!

طوال الطريق من القاهرة للأسكندرية والصمت يسيطر على أجواء السيارة.. عصام بمزاج متعكر غريب عليه، ربما منذ سمع عن طلب أخته للطلاق من زوجها رغم عدم مباركته لزواجها من البداية!

وربما لغياب هشام!

أو للاستجواب الليلي الذي حاصرته به حورية وأمه!

أو ربما لتلك الفكرة المريبة التي تراوده عن سهام وابن عمها
علاء المحامي!

تنهد وهو يرى رفيقي سفره بصمت عجيب أيضاً.. زيد الذي
يبدو أنه يتفادى حتى النظر لميرا.. وميرا اللاهية المتعبة بشكل
مقلق جعله يردف بقلق ساخر:

- شكلك يعني أستغفر الله العظيم تقوليش طالعة من خناقة.

- عصام!

نطقها زيد بتحذير من صوته وعينه فرغ له عصام حاجباً
متهكماً:

- قال يعني أنت اللي شكلك يسر قوي!!.. ما أنيل من ستي إلا
سيدي.

وكعادتها لسعته بسياط كلماتها المتهكمة:

- ما تخليك أنت في تليفونك ومسيجاتك اللي من ساعة ما
تحركنا ما وقفتش.. إيه!.. الجو قلقانة عليك يا عصعص؟
وتبدلت ملامحه للغيط تزامن مع ضحكة عالية من زيد يخبره
بوضوح:

- أحسن.. تستاهل، أنت لسه برضه بتلف حوالين سوسو؟
نهره عصام بسخط:
- زيد!

فالتفت له ميرا تقيم ظهرها وعلى وجهها علامات غضب يتنامى
وبعينها ارتسمت علامة احترس كبيرة تسأله:
- سوسو مين؟

فغمز لها زيد مردداً دون النظر له:
- وإحنا عندنا كام سوسو في الشركة؟
اتسعت عيناها:

- إوعي تكون سهام سكرتيرة هشام؟

صمت عصام وتشاغل عنها بالرد على رسالة جاءتته فنادته بعناد
شبه غاضب:

-عصااام!!

فاعتدل من اتكائه بالمقعد الخلفي للسيارة مردداً بحزم معاتب
لعيني أخيه وصديقه:

-الموضوع مش زي ما أنتِ فاهمة.. الحكاية بس...

صمت مبتلعاً ريقه وكأنما يراود نفسه عن البوح أو الكتمان وأمام
عينها نافذة الصبر التي تنتظر الانفجار آثر السلامة فاستطرد بنبرة
يشوبها ذنب:

-أنا بس شاكك إن علاء عارف حاجة عن مكان هشام، لا مش
مجرد شك؛ ده إحساس قوي!

عقدت ميرا حاجبيها دون فهم وترجمت حيرتها بسؤال مباشر:

-ايه علاقة ده بدي؟.. مال علاء ومال سهام بهشام؟

مط شفتيه مفسراً:

- مش ابن عمها!!

فردت عليه مضيقه عينها تحاول سبر أغواره:

- يعني علشان ابن عمها حيكشف لها سر مكان هشام؟!..
وأصلاً لو هشام ائتمنه تفتكر حد فينا حيعرف يطلع منه بكلمة!!

ساد الصمت بعد كلماتها فتنهدت وهي تنظر له بشفقة:

- والبنت ذنبها ايه يا عصام؟!.. ولا أنت مواعدها بفلوس أو
مكافأة لو جابتلك اللي أنت عايزه؟

ابتلع عصام ريقه وتململ في جلسته مجيباً إياها محاولاً التشاغل
بهاطفه:

- لا.. الموضوع مش فلوس.. هي بس عارفة إني عايز أطمئن
عليه وهي بتساعدني من نفسها..

وشرد انتباهه بالرد على رسالة جديدة.. ظلت ميرا تحديق به لبرهة
قبل أن تتنهد بعمق وهي تلتفت معتدلة فتواجهت نظراتها مع زيد
الذي كان يراقبه من مرآة السيارة باهتمام دون أن يتدخل..
غمغمت:

- على قد كل الحلو اللي فيكم بس لحد الجنس الناعم وغباءكم
كرجالة ما يختلفش عن باقي جنسكم..

وبعد تلقي تقريع قاسي ومبرح صمت الاثنان وصمتت هي تشرذ
بطريق سفرهم للأسكندرية كمفاجأة للفتيات.. وإصرار حورية
وامال على سفر عصام معهم حتى يعود مصاحباً لزيد كفرد
حراسة أمين.. فمند علموا بمسألة مرضه وفرضوا عليه الحراسة
القصوى وقلبها يتوجع من أجل رفيق صباها.. أخيها!

استرقت نظرة لزيد ذو القلب الماسي، تألم بما يكفي وكم كانت
الحياة معه غير عادلة!.. نغزة قلق طافت بصدرها.. أسياتي اليوم
الذي تراه فيه سعيد؟.. تنهدت وهي تتمنى فقط أن يكون بخير
ومعافى، لكن ما يطمئنها ولو بالقليل ما قاله عصام من قبل:

"لن يختفي هشام ويغادرهم لو لم يتأكد أن زيد بخير ويتحسن"

أغلقت عينيها وسافر وعيها لدقائق ثمينة من النوم المريح دون
أحلام ودون طيف زوج تكيل له اللكمات والضربات
بأحلامها..

رأيتك دائماً

شغيف وورع

لم تشعر متى وصلوا لكنها أفاقت على صوت عصام يوقظها..
مازال النهار بأوله، سيغادر السيارة محضراً فطوراً للجميع مثل
الأيام الخوالي ويعود مسرعاً وليسبقوه هم للمنزل.. دقائق
ووصلوا، ظلت عيناها تلتهم الشارع..

لكل حجر وزاوية بحيمهم القديم ذكريات لا تنسى.. أحلام وآمال
وماسي لا تمحي..

ثوان حتى اكتشفت أن السيارة توقفت وقبل أن تهم بالترجل منها
أمسك زيد بيدها مفيقاً إياها من ذكريات الصغر، التفتت إليه،
بعينه رجاء أو توسل والأكيد اعتذار.. ابتلع ريقه وهو يناظرها
بعينه:

- أنا آس..

لم يكمل، لم تدعه يكمل.. رفعت أناملها تغطي شفاهه عن بعد
دون تلامس وعينيها تحذره بصرامة من مغبة التمادي باعتذار لا
يليق بهما:

- لو قولتلي آسف حادغدغ الشنطة دي على دماغك.

واختفت الصرامة وحل مكانها العتب:

- احنا إخوات.. ما فيش بينا أسف ولا اعتذارات.

تنفست بعمق قبل أن تعيد يدها لتضم حقيبتها، وعيناها تسدد نظراتها لمدخل المنزل بحنين:

- أنا اللي زعلني إنك حطيت ثقتك في حد زي دي!.. إنك اتشدت لغلاف بدون روح. نظرت له من جديد بعمق عينيها:
- صدقني.. أنت تستاهل حد أحسن من كده بكثير.

رده كان ابتسامة صادقة خلاصة من أعماق قلبه وإن مرق بعينه لمحة ألم وربما ندم..

ترجلت من السيارة متجهة بخطوات متمهلة متأملة تجاه منزلهم القديم..

مع كل درجة وكل خطوة ذكرى، كأنما خطت بقدميها لفيلم قديم عنها.. عنهم.. عن أيام لم يفترقوا بها أبداً.. لمحات لم يقدر عليها يوماً النسيان حتى وصلت لباب شقتهم القديمة تلمست بيدها خشب الباب بتعرجاته وبكل تعريجة لمحة، طرقت بهدوء وقابلها

صوت خطوات مقبلة أتبعه فتح الباب وشهقة تعجب وصرخة
تعجب باسمها:

-ميرا!!

مروة لم تصدق عينيها وهي ترى ميرا وأمام صمت وانشده
الأولي جاءت الهاربة مسرعة يدها ملوثة ببقايا عجينة فلافل
خضراء تمسح يدها بعجل بمنشفة وهي تناظرها بقلق وعقلها
يصرخ ميرا هنا؟.. ماذا حدث؟

ثوان ظلت النظرات تمر بين الجميع، أخوة وأصدقاء وما بينهم
أكثر من أن تصفه كلمات.. سؤال بعيني الهاربة قابله لمحة
ضعف مناشدة بالاحتواء من المتمردة واستجابت الهاربة؛
أسرعت يارا إليها تفتح لها ذراعيها تستقبلها بحنو افتقدته منها
منذ سنوات ويارا تغمغم بنبرة مختنقة:
- حمد الله على السلامة.

وصوت زيد المازح:

- وأنا ماليش حزن ولا ايه؟!!

أسرعت له خته تحتضنه وتركت ميرا، ومروة هرعت للدخل
تغطي خصلاتها المبعثرة على عجل عادت ترحب بهم وعقلها
يتساءل:

لَمْ حضروا؟.. وميرا؟.. لَمْ جاءت وأين إياد؟

عادت لتجدهم جلسوا متجمعين وميرا تسترخي على صوفا بعد
أن نزعت حذاءها تبدو مرهقة لكن مم؟

- يا أهل الدار.. جيبلكم فطار إنما إيه!.. وصاية زي بتاع زمان.

صدح صوت عصام المرح لتنتفض يارا مسرعة:

- يا نهاري الفلافل حتتحرق..

وهرعت للمطبخ ملقية بترحيب سريع لعصام وهو يضحك على
منظرها وهي تجري ويتحرك تجاه مروة الصامته:

- ايه مافيش حمد الله على السلامة!.. وحشتني!.. منور!

لتنظر له بتحديد لا عنوان له، وتمد يدها تتناول منه الأكياس
التي أحضرها متممة ببرود:

رأيتك دائما

شغيف وورح

- أهلا.. حمد الله على السلامة..

وتحركت من أمامه متجهة للمطبخ متحاشية النظر إليه، ساعدت يارا بصمت وسرعة وما هي إلا دقائق حتى جهزوا مائدة الطعام وأقبلوا جميعاً عليها وزيد ينظر حوله باشتياق:

- ياااه!!.. بقالنا سنين ما جيناش هنا ولا اتلمينا اللمة دي هنا..

ابتسموا كلهم بحب لدفء ذكرى اكتفتهم جميعاً

تناوش عصام وزيد ومع أسئلتهم المتناثرة عن أخبارهم والأحوال.. تبادلوا الأخبار والنكات وحتى الضحكات..

حتى سألت مروة بفضول يحرقها لترويه:

- أو مال فين إياد يا ميرا؟.. إوعي تقولي إنك جاية غضبانة؟

وتعالت ضحكتها التي ماتت وبهتت أمام صمت الجميع ونظراتهم المتوترة!.. صمتت وعينها تتسع بعدم تصديق:

- لا ما تقوليش!.. زعلانة وساية البيت والحركات القديمة دي؟.. أنت يا ميرا!!

فابتسمت ميّرا ابتسامة واسعة لم تصل لعينيها وهي ترد عليها
بمزاح:

- لا وحاطلق كمان.

عيون يارا اتجهت بحدة لزيد تطالبه بتأكيد بل ترجوه بنفي
وعصام يزمجر بجملّة حسبها طويلاً:

- قولنا من الأول ما ينفعكيش.. بس تسمعوا الكلام ليه لا سمح
الله!

- إيه يا أخي ده!.. دبش مش كلام.. لو عندك كلمة كويسة قولها
ما فيش اسكت يكون أحسن.

نطقها مروة بعصبية واستنكار وقبل أن يرد عليها رد يصمتها به
كعادته

نظرت له يارا عاتبة مردفة بتنهيده:

- نصيب يا عصام.. الحياة نصيب واختيار عمرنا ما حنقتع إنه
غلط إلا لما نمشى سكتنا للآخر.

أسرع زيد يربت على يد أخته يطمئنها وهو ينظر لميرا:

- هو بس شوية زعل وأنتِ عارفة زعل ميرا شكله إزاي.. فترة
وحتعدي وكله حيبقى تمام.

استأذنت ميرا ترغب بالنوم لا طاقة بها لجدال وعصام انشغل
بالرد على الهاتف فاتجه للشرفة بعيداً عن أسماعهم ويارا طالبت
زيد أن يفهمها ما حدث.. بكلمات بسيطة سرد لها ما حدث
متفادياً سيرة ناريمان بالحكاية فمازال يعاني كبريائه المطعون
ولا حاجة به لنظرات شفقة من أخته بعد أن انتهى أكد عليها:

- خالتو آمال بتوصيكي عليها.. بتقول شكلها تعبان وبتقولك
خلي بالك منها، هي بعثاها أمانة عندك.

كلماته أصابتها بشهقة واتسعت عيناها بذهول وعدم تصديق
ومروة تملصت من الجلسة متممة:

- طب أنا حاروح أجيب نسكافيه.. أجيبك قهوة يا زيد؟
ابتسم لها بامتنان:

- تسلّم إيدك مقدماً يا ميرو..

ابتعدت والصمت لف يارا.. خالتها آمال توصيها على ميرا؟..
هي الضعيفة المنكسرة البكاءة دوماً!.. توصيها على الصلابة
القوية المتمردة!؟

لم تنسى صفتها حتى الآن.. لم تنسى كلماتها عن ضعفها..
ابتلعت ريقها فألقى زيد ذراعه على كتفها واقترب هامساً بدفء:
- خالتك اعتذرت.. لو شفيتها حتحسيها كبرت في السن ولا
١٠٠ سنة.. غياب هشام ومن بعده فرقنا كسرهما..

تنفس بعمق:

- ما حدش فينا معصوم من الغلط.. ما حدش فينا ملاك على
طول الخط.. كلنا جوانا شيطان بس مين فينا اللي بيقدر يحجمه
ومين فينا اللي شيطانه بيتحكم فيه!

رأى الحيرة، رأى الألم الذي جلبته الذكرى.. ربت على
خصلاتها بحنو:

- سامحي يا يارا.. سامحيها، هي غلطت بقصد أو بدون؛ المهم
إنها رجعت.

رأى حاتم

شغيف وورحة

ابتلت عيناها بدموع وارتعشت شفتاها وهي تحاول التنفس
 بعمق، تحاول منع دموعها من الانهيار، تحاول الاحتفاظ
 بعهداها؛ لن تبكي بعد الآن.. لذا حاولت أن تبسم
 قبل أن يكمل:

- وخالتك حورية بتسلم عليك.. بتقولك كلميها وحشها صوتك.

هزت رأسها غير قادرة على التفوه ببنت شفة ومروة تحضر
 الأكواب تناولهم إياها وزيد يسأل يارا عن أخبار دورة التصوير
 الفوتوغرافي التي التحقت بها..

تركتهما يتكلمان وهو يحتضنها، واشتياق اكتنفها لطفولة مرت
 بها لاستكانة بحضن الكبير في صغرها..

حين يغضبها عصام تهرع لكتف هشام، تحن لتأييد هشام لها
 حين رغبت بتعلم رياضة الدفاع عن النفس بل هو من شجعها
 وصاحبها في التمارين حتى أقنع أمها على مفضل..

حملت كوب عصام له بالشرفة تحاول ترك مساحة لهم فيارا
 باحتياج لحضن أخيها وهي بحاجة لاستنشاق نسمات تحمل
 جينات الغائب..

اقتربت من الشرفة فتناهى لسمعها صوته الهامس:

- والله باقولك الجو ناقصك.. لسه بوادر الشتا فالجو رائع.

استنشق بقوة مغيظاً محدثه، استكانت تستمع.. عقلها يخبرها
 أنها تتصنت وأنه لا يليق بها لكن قدماها تسمرتا ورغبة أخيرة
 بالإيعاز من عقلها:

- سهام وصلتِ لأي حاجة؟.. عرفتِ تكلميه وتقنعيه!؟!

والرجاء بصوته أرسل الارتعاشة لجسدها:

- سهام أنتِ عارفة أنا حاسس قد ايه بالوحدة في البعد الإجباري
 ده!.. من حقي أقرب وأشكي وأحكي.. أنا تعبت يا سهام
 ومحتاجك تقفي جنبي.

تنحنحت وهي تتقدم لداخل الشرفة تقف جواره، أجلت صوتها
 قدر المستطاع:

رأيتك

شغيب ورنه

- افضل النسكافيه بتاعك زي ما بتحبه.

حاولت أن تبتسم وهي تناوله إياه وهو يتمم بشكر هامس دون حروف خوفاً على مشاعر محدثه.. هزت رأسها بتفهم وعادت للداخل..

أن تنصت بإمعان لكلماته كان ما تحتاجه لتطويه من بالها، كلماته المازحة.. استرخاء وقفته.. انفتاح روحه بالحديث عن مكنونه لأخرى؛ كان كختم بالشمع الأحمر على حكاية لم ولن تبدأ يوماً! حكاية أن لها ان يطويها النسيان.

يتراأس طاولة الاجتماعات وباقي أعضاء مجلس الإدارة يجلسون أمامه تنبض ملامحهم بالتوتر والقلق وهو صامت بغموض ينتظر ضيفه الأهم...

بدأت السيدة منى بتوزيع نسخ التقارير المعدة بحرفية وقبل أن تنتهي انفلت لسان أحد الأعضاء بحنق:

- احنا مش جايين هنا علشان تقارير وأنت عارف يا
باشمهندس.. فبلاش مماطلة.. أعتقد وصلك خسارة أسهمنا
النهاردة في البورصة والسبب معروف ومحتاج تبرير!

سدد له إياد نظرات قاسية تحمل الصقيع بطياتها ودون أن يعيره
اهتمامًا شكر السيدة منى وصرفها قبل أن يوجه كلامه للجميع:

- أولاً: أنا ما باماطلش بس لسه ما اكتملناش... ثانياً: التقارير
اللي موجودة قدامكم دي بتوضح كل خطوة ونجاح حققته
المؤسسة بكل فروعها ولو ركزتوا فيها حتلاقوا الخسارة محتملة
متوقعة وتحت السيطرة... ثالثاً: وده الأهم حياتي الشخصية
ملكي ومش حاسم لحد يجيب سيرتي وسيرة اللي يخصوني
في الموضوع.. ده خارج حدود المناقشة.

التفت الرجل لعبد العزيز الحديدي الأب مستنكراً:

- عجبك الكلام ده يا عبد العزيز بيه!!.. هو مش عارف أن
السمعة الشخصية تأثيرها على الشغل وسوق المال زي الرصاص
ممكن تيجي في مقتل.. واضح أننا غلطنا لما سلمنا رقبنا
لابنك.

رد عبد العزيز بقوة متحاشياً النظر لابنه:

- الإدارة الناجحة والقوية ما بتبانش إلا وقت الأزمات.

- غريبة!!.. بس ده ما كانش رأيك يا عمي من كام شهر فاتوا
لما بعثلي مرسالك تطلب مني اتدخل لغيابه!

نطق الجملة صوت جهوري قوي تنضح منه الشماتة والتشفي
وبابتسامه ساخرة خطأ أشرف بجسده القوي الضخم لداخل قاعة
الاجتماعات جاذباً الأنظار والهمهمات كما تعود دومًا

- أهلاً.. اتاخرت ليه؟.. كنت مستنيك!

نطقها إياد ببطء وبساطة جعلت الأنظار كلها تتحول إليه..

ناظره أشرف بسخرية وجلس مقابله:

- قولنا بقي يا ترى حتعمل ايه في الفضيحة!.. آه.. آسف أقصد
الأخبار والصور اللي ما بتتقطعش من الصحافة.

قاطعها إياد بصرامة:

- مع أنني لسه موضح إن حياتي الشخصية خط أحمر مش مسموح لحد يتخطاه بس علشان خاطر ك أنت حاعمل استثناء؛ الصور قديمة من أكثر من ١٠ سنين تخص حدث عائلي يخصهم والباقي إشاعات فارغة وأبشركم أنا في انتظار حكم قضائي مستعجل بوقف الصحفي صاحب الخبر.. لا والمؤسسة الصحفية حيتم مسألته قدام المحاكم.. موضوع الخسارة المالية بقى.....

شعور عارم بالغضب اكتسح أشرف أمام صمت باقي الأعضاء وكلمات إياد المالية وترتيبات عقله الداھية تدس لهم الوعود محملة برائحة المال فتناسوا الواقع، فحلولة قوية وواثقة..

وارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهه معقباً:

- امم حل قوي ومبشر لو عرفت تعمله...

ووجه حديثه لباقي الحضور:

- جزء مهم من الإدارة الناجحة اللي اتكلم عنها عبد العزيز بيه هي اختيار الاستاف اللي شغال معاك.. والباشمهندس رغم

كلامه ووعوده اللي زغللت عيونكم عن الواقع، عنده مشكلة كبيرة

وبحركة مسرحية يعد لها منذ ساعات رمى بصور عديدة لباسل الفاقد الوعي والمُخدر واحتفاله العايب بوضوح..

بدأوا يتناقلون الصور بهمهمات غاضبة ومستنكرة وأخرى مندهشة متألّمة..

الكل يتناقش بوجوم واستنكار وعيني أشرف تراقب نظرة عبد العزيز الفرعة بتسلي وهو ينتظر النفي أو التاكيد من ابنه عن ابن صديقه الراحل..

وأكمل:

-المعلومات اللي عندي أنه مش بس طيش شباب لا ده دخل في سكة إدمان

-احترم نفسك وأنت بتتكلم عن النائب بتاعي.. على الأقل احترام للي ماتوا

رفع أشرف ذراعيه فوق رأسه بسخرية:

- آسف يا سيدي.. فين بقي الاستاذ النائب!.. ذراعك اليمين
يجى ينفي اللي شايفينه في الصور.. ولا المصححة اللي بيت معاه
فيها ما بتديهومش إذن بالخروج؟

كان الأعضاء كمتابعي مباراة لتنس الطاولة أنظارهم تنتقل بين
ضربات الكلمات بينهما وحين انتهى أشرف رد إياد ببرود:

- مش حقيقة كلها إشاعات وكلام مالوش أساس شوية صور
متفبركة على أخبار صفرا.. باسل مسافر أجازة راحة.. تعب الفترة
اللي فاتت في المؤسسة وأظن الكل عارف إرادته وقوته كفاية أنه
في خلال سنة خرج على رجله من حادثة زي اللي حصلت له
وبعدين مش كل واحد مبسوط شوية ومسافر أجازة مع خطيبته
وأهلها يطلع عليه إشاعات مش حنخلص.

واتبع كلامه بثقة عن عمل باسل وتفانيه وحقيقة أنه من حامل
الأسهم المهمين بالشركة.. ومع بوادر الإقتناع على وجوه
الأعضاء اعترض أشرف بشراسة:

- كذب.. كل اللي بتقوله كذب.. باسل في مصححة.

- اثبت

نطقها إياد ببرود وبساطة وثقة جعلت أشرف يثور، يشعر بتسرب
فرصته من بين يديه، سيفوز إياد من جديد..

لا على جثته ولو اضطر للقتل حتى!

وضح إياد:

- هات لي إثبات على اللي بتقوله ولحد ما يحصل موضوع
باسل مقبول.. أظننا متفقين؟

صمت ساد بين الحضور، ونظرات متوترة حتى نطق أبوه بصرامة
عينه تتفحص الجميع:

- ماشي يا إياد.. حنقل الموضوع مؤقتاً وحنستني نشوف نتيجة
خطتك المالية للحد من الأضرار وقدامك فرصة لاجتماع مجلس
الإدارة الجاي.. لو الأمور ما اتحسنتش حترغمنا نختار حد تاني
لمنصب الرئيس.

وقبل أن يعترض أشرف أكمل أحد الأعضاء:

- أشرف لو عندك دليل هاته وساعتها نبقى نتكلم.

انتهي الاجتماع بشق الأنفس لصالح إياد مما جعل ملامح
أشرف مكفهرة بغضب ناري ورغبة مسعورة تتجسد بعينه تجاه
إياد والذي ظل على جلسته والحضور يغادر:

- فلت المرة دي بس مش حتطول تقدر تعتبرها حلاوة روح
مط إياد شفتيه بسخرية:

- عيبك أنك ما بتتعلمش.. جربت وسائلك القذرة دي قبل كده
وخسرتك كثير ولسه حتخسر.. لا.. دائماً حتخسر
هب أشرف من مقعده وعينه تتقد:

- أنا ما بخسرش وحاشوف يا ابن الحديد.. الأيام بينا
وخبطتي الجاية حتطلع بالدم

لمحة قلق طرقت صدر إياد برعونة ولم يظهر علي ملامحه أي
تأثر بل أكمل بهدوء وهو يغادر لمكتبه:

- حنشوف.. عموماً انجوي يور تايم في الشركة للمرة الأخيرة
لأن المرة الجاية حتبقى بره رسمي.

تركه بخطوت واثقة وحين أغلق باب مكتبه خلفه أسرع انامله
تتصل بليث

مردفًا بحزم:

- باسل لازم يطلع من المصحة

- عايز مصحة تانية؟

- مش عارف المهم يكون مكان أمان.. الأهم مش عايز أي أثر
لباسل هناك ولا كأنه راح من الأساس

- اعتبره حصل.. عملت ايه مع مهرة؟

- مهرة آخرها أسبوع ومش حتعرف تلاقي شبر تكتب فيه كلمة
وكلها كام شهر والمؤسسة تتعرض للبيع بسبب التعويض

- وحتعمل ايه في اللي وصلنا له.. علاقة أشرف بخالد؟

- ده اللي مكلمك عشانه.. عايز منك خدمة وأنت شخصيًا اللي
تقوم بيها أي حاجة تانية تتأجل إلا ده.

واستمع ليث لطلب إياد وبداخل إياد غريزة تخشى تهديد أشرف
على ما ربما يكون نقطة ضعفه الوحيدة

تلك الطرقات تتعالى من جديد طارقة دماغها.. رغم عدد
ساعات النوم المهولة تبدو على حافة الانفجار فيبدو أنها كلما
نامت أكثر كلما ازداد إرهاقها أكثر.

خبطة أخرى عالية جعلتها تفرع وتقفز من سريرها ستفتك بأي
من كان سبب تلك الجلبة..

الصوت قادها لغرفة تتخذها مروة فتحت الباب لتجدها تتمرن
بقوة والعرق يتفصد من عضلات جسدها الرشيق.. غضب..
ألم.. إحباط ينضح من عضلاتها...

هي شبه نائمة فعلاً لكن ليست بمغيبة..

مروة لا تتمرن، هي تفرغ إحباط!

تقدمت لمنتصف الغرفة ووضعت يديها بوسطها ورفعت أحد
حاجبيها:

- حد يتمرن في ساعة زي دي مش في ناس نايمة؟!!

لم ترد عليها مروة ولم تلتفت لها حتى والسبب توضح بأسلاك سماعات تسد أذنيها فاقتربت منها وبعلو صوتها:

- أنتِ يا بنتي!

فزعت مروة والفتت لها بذعر:

- ااايه ده! أنتِ هنا من امتي؟

مطت ميرا شفيتها وعادت لتجلس على طرف الفراش ترتكز على يديها وتمد قدميها أمامها مجيبة بسخرية:

- من ساعة ما كيس الملاكمة الغلبان ده اشتكى.. مالك.. مين غايظك؟

رفعت مروة يديها للأعلى وهي تصر على أسنانها:

- أنا عايزة افهم ما فيش استئذان؟.. ما فيش خصوصية؟.. بتدخلوا كده اوض الناس!!

رفعت ميرا أحد حاجبيها:

- اووووه.. واضح إن الموضوع كبير، مين اللي داس على ديلك
قولي بس!

حاولت مروة كبت ابتسامتها قدر الإمكان وتعمد السخط لكن
ميرا عادت:

- لا ما تقوليش بالرفاق لنفسه وسحب عرضه الكريم بالجواز!
رفعت مروة حاجبها وهي تعقد ذراعيها أمامها وقبل أن تلقي لها
برد لاذع تستحقه اقتحمت يارا المشهد:

- بس يا ميرا ما تضايقيهاش زيادة

وجلست بجوار ميرا متربعة ومالت برأسها لتكمل بتأمر مفضوح
وصوت واضح:

- أصل مروة مضايقة.. شايفة نفسها وحشة وفاكرانا بنجاملها لما
بنقولها أنها حلوة.

نظرة عين التقت بين ميرا ويارا ثم اتبعتها ميرا بإدارة رأسها لمروة
تنظر لها من أعلى رأسها لأخمص قدميها مطت شفيتها بنظرة
خبيرة:

- شفايف ناشفة ومشققة شايفاها من عندي، ضوافر ما شافتش
باديكير من أيام حتشبسوت، وشعر ينشك في قلبه اللي قصه...
القصة مش قصة جمال القصة قصة إهمال

ملامح الانشدها على وجه مروة كادت تجلب الابتسامة لوجه يارا
لكنها صمدت بجدية زائفة مغممة:

-والحل يا سيادة الخيرة؟

لمعت عين ميرا وقامت من جلستها المسترخية تقترب منها وتناظر
عيني مروة التي تواجهها بتحدي غاضب:

-MAKEOVER

أمسكتها من كتفها تنظر في عينيها بقوة:

-حنخرج المزة اللي جواها!

وقاطعت الاعتراض بجريها لغرفتها تحضر العدة للمهمة بحماس

- أنتوا اتهلثوا صح! أنا غلطانة أصلاً...

قاطعت يارا كلمات مروة الغاضبة ببراءة:

- اششش مروة.. معلىش تعالى على نفسك مش شايفة حالتها!..
 من ساعة ما وصلت نايمة.. شايفة الحماس اللي في صوتها؟..
 سيبها وبعدين ده شوية مكياج ولما تخلص ابقى اغسلي وشك
 يا ستي

نظرة العناد والتحدى لمعت بعيني مروة ويارا لمع بعينها رجاء
 متوسل متممة:

- علشان خاطري.. علشان خاطرها هي

وعادت ميرا بالعدة وبدأت مهمتها بإعادة تعديل وإخراج الأنسة
 مروة الأنثى للحياة.. ومروة مستسلمة.. ويارا متأهبة لتهدئة
 الأمور ونزع الفتيل قبل أن تنفجر إحداهما

ساعات مرت وميرا مستمتعة بل وجلسة التجميل والمظهر الجديد
 طالتهن جميعاً وتحولت لجلسة فتيات ضاحكة لم يقمن بها منذ
 زمن بعيد..

اتصال سريع بأقرب صيدلية وفكرة مجنونة وقررت تفتيح
 خصلاتها السمراء وبعد رجاء حار من يارا ومروة

تطوعت مروة ككباش فداء والنتيجة حين بدأت بشائر الليل
بالظهور كانت إبهار؛

مروة وخصلاتها القصيرة باللون الفاتح العسلي الذي عكس
برونزية وجهها ولون عينيها بلمعان مثير وماكياج ناعم ..
كانت مروة تقف أمام المرأة لا تصدق النتيجة..

كانت كنجمات السينما ببساطة!

وميرا تعض شفيتها مغممة:

- تصدقي بجسمها ده طلعت صاروخ!.. أنا عايزة أقص شعري

احتضنتها يارا وهي تحبس ضحكاتهما قدر المستطاع:

- اهدي يا حبيبتي اهدي بس.. لو قصتيه في فورة جنون ممكن
نصحى بكره الصبح نلاقي اسمك في الجرايد.. امرأة تقتل بنات
خالتها لتركهم لها دون منعها من قص شعرها الغالي

تعالت الضحكات بصخب ودموع من كثرة الضحك طفرت
بالعيون وهممت يارا:

- مش خسارة كل الجمال ده وفي الآخر حنتفرج على التلفزيون
وننام!

لمعت عين ميرا بخبث وهي تبتم:

- مين قال!!

وحين نظرتا لها بتساؤل أجابت بابتسامة واسعة ونظرة عين
مشتعلة:

- خالتو كانت موصياني نروح فرح أخو جوز بسمة وأنا كنت
ناوية اطنش بس أنتوا شجعتوني دلوقتِ ناقصنا نلبس ونروح
نهر الكل.

تعلقت عينا الاثنين بمروة.. فمروة تكره حماة بسمة التي لا
تتواني بمناسبة ودون بمقارنتها بابنتها والتعليق على مظهرها
وعدم طرق الخطاب لبابها

ومع تأملها لنفسها لمعت عيناها بموافقة وتحدي..

وساد الهرج بالمتزل!

فكلاً منهن تبحث عما يناسبها والوحيدة المستعدة دائماً هي
ميرا.. تحوي حقايبها كل ما تشتهيهِ فتاة، ظلت ميرا تعرض
عليهن الفساتين المناسبة للسهرة والرفض من جرأة أو قوة
الفساتين جلبت الضحكات لوجه مروة والاحمرار ليارا والاثنتان
اشتركتا بالرفض:

- فساتين جنابك محتاجة فستان فوقها.. لا أنا أوت الحمد لله،
حالبس فستان من بتوعي.

غمغت بها مروة بممصصة شفاه تستفز بها ميرا وأتبعها يارا
بتمتمة على استحياء:

- مش حينفعني الفستان ده يا ميرو.. قصير

عقدت ميرا حاجيبها بتنمر:

- حتلبيه.. ما عندكيش غيره هنا..

وقد كان.. ارتدت يارا فستان أبيض اللون مطعم بورود حمراء
بارزة على ذيل الفستان، بالكاد يتعدى ركبتها وحزام أحمر

يحدد خصرها الضيق.. ولكنها لم تشعر بالارتياح لكتفيها ويداتها العاريتين..

كادت أن ترفضه، تخلعه.. حتى لو ستبقى بالمنزل، حاولت ميра إقناعها ولما نظرت لشكلها بالمرآة أصابها التردد، وكل ما بعقلها:

"لم يكن هشام ليوافق عليه مطلقاً لا لها ولا لميرا"

لذا عقدت حاجبيها وسألتها:

- فين باقي الفستان؟

عقدت ميра ذراعيها بصمت ويارا تناظرها من خلال المرآة:

- ميرا!!!

مطت ميра بشفتيها بسخط مغممة:

- طيب طيب.. عقد زي إتش بالظبط.

وأخرجت من الحقيبة جاكيت قصير بنفس لون الورود والحزام يغطي الذراعين والصدر، اختطفته يارا وبعينيها لمحة انتصار،

ارتدته حين دخول مروة تعقد حجابها بأناقة فوق فستانها الليلي
الذي حضرت به فرح ميرا، وعيناها تتألقان بجمال واثق..

وميرا ارتدت فستان من الدانتيل، مبطن بمكر بلون كريمي وظهر
مفرغ.. واتسعت ابتسامتها وهي تتخيل أن يراها السيد زوجها
الذي كلما مر يوم من زواجهما يتشدد أكثر وأكثر بخصوص
ملابسها..

صاغت مروة ما تفكر به:

-آه لو ابن الحديدي شافك!

اتسعت ابتسامتها ميرا وهي ترفع حاجبها متممة بعربية فصحي
وبنبرة هزلية:

- فليمت بغيظه.

وانطلقت الضحكات وهن يسرعن للمغادرة، فليس من العدل أن
تقضين كل هذا الوقت بالتجمل، ولا تستطيعن التباهي به إذا
وصلن متأخرات..

وبالفرح كانت المفاجأة!.. فبعد أن وصلن والتفتت لهن الأعناق؛
هتف صوت بدهشة مقترَّبًا:

- يارا!!

في الظلام تقبع.. هاتفها لا يتوقف عن الرنين حتى قامت بفصل
قابسه فهي حديث اليوم للجميع..

الصحفية التي سقطت بين مطرقة وسندان الحديدي وصدق
حدسها لقد انتهت..

تجلس بركن مظلم لا ينيره سوى ضوء النهار المنصرم، تتأمل
ورقة بيدها لا حاجة لها بقرائتها فهي قد حفظت حروفها عن
ظهر قلب؛

قرار بمنعها عن العمل بالبلد وإحالتها للتحقيق بالنقابة لخرقها
معايير العمل الصحفي..

ارتسمت نصف ابتسامة ساخرة فإياد بارع في ضغط الأزرار
الصحيحة وقتما شاء وكيفما شاء

والليلة هي فريسته ولا تشك أن أشرف هو صاحب الدور القادم
على المقصلة

تدير بيدها كأس مشروبها الروحي النبيذي اللون، تتذوقه، تبتلع
مرارته ولذوعته دون شعور فما بداخلها مرارة أشد وأكثر قسوة..

مكالمة أبيها الغاضبة منذ دقائق عدة وخيبة أمله لتحطيمها عمله
ومؤسسة ظل يبنها عمراً بأكمله ..

لقد انتهت مهرة الصحفية اللامعة ..

دوماً كان لديها ما يكفي من الذكاء لتقلل خسائرها ولو أطاعت
واستكانت وتقبلت عقاب إياد فربما تستطيع إنقاذ مؤسسة أبيها
من الانهيار تحت وطأة تعويضات لن تنتهي ومشاكل لن تنضب..

تناظر حقيبتها الجاهزة بجانب الباب وآخر ضوء للنهار ينسحب
ببطء تاركاً الظلمة تكتسح محيطها.. ظلمة نهائية تسدل الستار،
سواد يحيط بها.. يخنقها.. سواد لا يرحم عبرات ندم.. ولا
يشفع له ارتعاشة خوف..

يرتعد له جسدها، فالיום ليس مجرد نهاية يوم وسيأتي بعده آخر
بل نهايتها .. نهاية كل حلم وأمنية طافت بمخيلتها يوماً.. سقوط
بلا قرار وهروب للمجهول، لغربة بلا اسم ولا سند.. لقبرص بحثاً
عن فرصة بالعمل الوحيد الذي تجيده دون مال أو واسطة..

زاد الظلام حتى استوحشت عيناها النور ابتلعتها ظلمة قرارها
وأخر عبرة أعلنت السقوط التام في طي النسيان.

تعالت الضحكات من الفتيات وهن يودعن المدعو كريم الذي
أوصلهن حتى المنزل مصاحباً زوج بسمه كما قال خشية على
جماليات مثلهن..

وبعد ما ترجلن وأغلقتن باب شقتن..

أسرعت يارا ترميها بحقيبتها غاضبة محمرة الوجنتين ساخطة
وهي تتمتم:

- أنتِ وهي وربنا حاوريكم.. أنا تتريقوا عليا طول الطريق!!

والفتاتان تتعالى ضحكاتهما المستمتعة بنوبة غضبها الطفولية
التأثير ومروءة تتمم:

- الله واحنا مالنا بس!! مستر كريم بتاع الكورس كان لطيف..
بس ما قولتليش إن عنده غمازات!

لتبدأ ميرا بعث وهي تزيل حذائها تغني إحدى الأغنيات الشهيرة
بالغمازات حتى تلقت أحد الوسائد من يارا فهتفت بها بسخط:
- ايه واحنا مالنا إذا كان الأستاذ معجب!!

احمرت وجنتي يارا بشدة حتى لظن من لا يعرفها أنها تعاني من
خطب ما وهي تهمس وتداري وجهها:

- بس.. بس بقي

وعادت ميرا تناوشها مكلمة وهي ترفع حاجبها وتثني رجلها
تحتها:

- يا بنتي مش أنا اللي بقول كله بيقول، من ساعة ما عرف أنك
قريبة صاحبه العريس وهو سابهم ولزق لنا بغرا إنجليزي ممتاز
الصنع الحقيقة.

وانطلقت ضحكات مروة وهي تغمغم بجذل واستمتاع:

- لا بس شوفت نظرة طنط إقبال حماة بسمة كانت مش طيقانا

لتردف ميلا بزهو أنثوي ودلال:

- طبعاً كنا النجوم.. أكلنا الجو من بنتها اللي كانت بتتنشق على

عريس.. أصلاً ما فيش وجه مقارنة

سحبت مروة حجابها وأخذت تعبث بخصلاتها أمام المرأة وهي

تتحرك يمناً ويسرى بإعجاب:

- بس أنت إيدك تصنع المعجزات الحقيقة

أدارت ميلا عينيها باستهزاء:

- أنا أظهرته مش أكثر.. الأساس موجود، بس اللي يقدر

هزت مروة رأسها بتقدير واستيعاب لكلماتها وأشارت لهما

يارهاقها ووجوب استيقاظها مبكراً لذا ستذهب للحمام ثم النوم

وميرا وافقتها أنها ستفعل المثل بعدها ويارا مازالت صامته مطرقة

شاردة

- مالك! لا أسكت الله لك حساً

- تفتكري بجد حد أخذ باله؟

- اممم تقريباً كل اللي كانوا موجودين، ده واحنا ماشيين جه وصلنا يا بنتي.

عقدت يارا حاجبها بقلق فسألتها ميرا بتركيز:

- في ايه؟؟؟

- خايفة أكون اتصرفت تصرف يديه انطباع غلط عني.. أنا كنت حادة وواضحة معاه في الكلام.. ممكن أكون عملت ايه يخليه يحطني في دماغه!؟

ابتلعت ميرا ريقها وأدركت أن ابنة خالتها مازالت تحارب شياطينها الخاصة.. فقامت لتجلس جوارها وهي تلعن بداخلها خالد سبب فقدانها الثقة بنفسها:

- أنتِ مش محتاجة تعملي حاجة.. هو الورد ليه يد في جنون عشاقه!

نظرت لها يارا بحيرة وخوف فأردفت:

- يارا.. ثقي في نفسك، أنتِ ما تعمديش جذب انتباهه.. أنا
واثقة من ده

وأمسكتها من كتفيها مرددة بصرامة كتعويدة تلفها بها:

- ما حدش يقدر يقربك وأنتِ مش عايزة زي ما قولت لعصام
الصبح؛ أنتِ مشيتِ سكتك وجربتِ اختيارك وغيرتيه.. اتمسكي
بالصبح اتمسكي بحياتك زي ما أنتِ عايزاها.
هزت رأسها لها بابتسامة امتنان.

إياد يتآكله القلق؛ فزوجته سافرت دون أخذ رأيه للأسكندرية..
يتذكر مكالمته مع زيد وكيف أجابه ببرود حين سأل عنها بشكل
عارض وخفي في مكالمة عمل..
جز على أسنانه.. ماذا يفعل بها حتى وهي بعيدة عنه بأميال
تشتت تفكيره بجدارة لم تستطعها غيرها!!

زفر بحنق وهو يدير مقود سيارته بعنف جلب له نظرات مستنكرة
من القابع بجانبه بنظارة سوداء وظلال سوداء لذقن لم تمر عليها
شفرة لعدة أيام..

أصابه تنقر المقود بغضب للدقائق حتى استقر رأيه بأنه
سيحادثها..

اتصل بها لعدة مرات ولا رد، فقرر اللجوء لمروءة..

قام بالاتصال بها ولم تخيب رجاءه فردت من الرنين الثاني:

- مساء الخير يا مروءة.. آسف على الإزعاج.. ميرا عندك؟

رفعت مروءة إحدى حاجبيها من لهجة إياد المتعجلة:

- اممم.. أولاً: الحمد لله ازيك أنت.. ثانياً: ولا يهكم ما فيش

ازعاج.. ثالثاً:.. آه موجودة يا إياد

- طب استقبلي الفيديو كool بتاعتي!

وأغلق الخط..

نظرت مروة لهاتفها بدهشة ورفعت عينيها لمن جذبها الفضول
منذ نطقت اسمه مرددة:

- أنتِ جنتِ الوادِ صح! لا حول ولا قوة إلا بالله

- ليه ماله؟

ثوان ورنين هاتفها بمكالمة فيديو فحذرتها ميرا:

- مش عايزة اشوفه

زفرت بحنق وضغطت بقبول المكالمة وهي تعدل قلنسوة منامتها
تغطي بها خصلاتها باحكام بسرعة وصدح صوته:

- مروة من فضلك بلغي ميرا أنها مش مسموح لها تتحرك من
مكانها من غير ما أعرف.

عقدت حاجبيها تسأله:

- في ايه خير يا إياد؟؟

زفر بحنق ووضح:

- أنا رجل أعمال وليا أعداء كثير، ما ينفعش تتحرك من غير ما أعرف هي فين، أظن كلامي واضح وهي سمعتني مش كده؟ هزت رأسها بموافقة ولأول مرة منذ قابلت إياد تقابله غاضباً؛ عينيه مخيفتين، جعلتاها تبتلع ريقها وهو ينهي المحادثة بسلام سريع مرددة بعقلها

"ماذا فعلت ابنة خالتها لتخرج شياطينه!!"

التمردة التي تثير جنونه وتعيث فساداً بسيطرته الأسطورية على جماح نفسه فقط عيناها وشفثاها...

- احنا رايحين على فين؟؟ مصحة تانية؟

جذبتة العبارة الملول من صديقه من شروده بها كالمعتاد:

- ايوه.. للأسف ما فيش حل تاني، بس المرة دي مصحة من ترشيح ليث.

- ايه اللي خلانا مشينا من الأولانية أصلاً؟؟

نطقها باسل بتأفف وسخط، زجره إياد بعينه وبنبرة غاضبة:

- علشان أشرف عرف اللي وصلت له وحاول يسوء سمعتك
لمجلس الإدارة.. لا وبالصور كمان

نظرة فزع أطلت من عين باسل فمجلس الإدارة مجموعة من
أصدقاء ومعارف والده القدامى.. ماذا سيظنون بأبيه!

هل وصل به الحال لتمريغ اسم أبيه بالتراب!!

سأل إياد بوجوم:

- حصل ايه؟

رد إياد ببرود:

- بقولك حاول.. وطبعاً فشل بس محتاجك تفوق لنفسك

ولأن الرجل قرار وإرادة؛ عقد حاجبيه بتحفز..

سيتعافى..

فرغم الغيبوبة المحببة والمسكنة لوجع روحه إلا أنه كله يهون
ليظل اسم أبيه آخر ما تبقى له منه بأمان..

وناصع البياض

الوقت قارب على منتصف الليل وهي تجهز حاجياتها للغد
فلديها بالغد موعد مع د. معتر

وبعدها لديها كورس وستقابل المدعو كريم

والقلق زاد بداخلها.. لا تعلم لم ارتدت سترة خفيفة فوق منامتها
المنزلية وغادرت الشقة بخفوت وخطوات متسللة مراعية ألا
يستيقظ أحد...

ولأن ليست كل الأمانى تدرك والحذر لا يمنع المكتوب..

ما إن أغلقت الباب حتى فتح باب الغرفة التي تحتلها ميرا وهي
تعقد حاجبها فرغم العودة للجذور إلا أن النوم يعاندها بشكل
غريب رافض المرور بمقليتها ولو لمجرد الزيارة كعابر سبيل..

تنفست بحنق وظلت تتقلب بفراشها تعاند عقلها وتتحداه أن
يستحضر صورته بإصرار وتحذر روحها من تذكر النوم بعمق في
فراش غادرته بإرادتها..

ابتلعت ريقها حين سمعت طرقات على الباب..

غادرت مسرعة فراشها تتعجب من الطارق رغم تأخر الوقت وبعد لحظات وجدتها الجارة أم منى:

- ايه ده!! حمد لله على السلامة يا ميرا يا حبيبي نورتِ

ابتسمت ميرا ببرود فهي بغنى عن حديث "أم منى" والذي يتعارض مع كل قوانين الفيزياء فهو لا ينضب ولكنه يستحدث من العدم.. تثأبت بوضوح وتمثيل مقنع أسبلت عينيها:

- أهلاً يا طنط ازيك معلش كنت نايمة

فاعذرت الجارة وهي تخفض صوتها بشكل مثير للريبة:

- آسفة يا حبيبي.. يقطعني بس أصل أنا شفت نور وسمعت دبذبة رجلين من شقتكم اللي فوق شقتي فجيت أسأل البنات.. بس مادام أنتِ هنا يبقى أكيد حد من الشباب هناك

عقدت ميرا حاجبيها بفضول وتبخر النعاس الذي تمثله بسرعة الصاروخ وهي تجذب من جانب الباب مفتاح المنزل مغممة بحزم:

- بس ما فيش حد فوق.. تعالي معايا يا طنط نشوف في ايه

- طب استني اجيب المقشة من الشقة ليطلع حرامي
أدارت ميرا عينيها بقنوط وهي تهز رأسها بقلة حيلة فماذا ستفعل
لهما عصا المقشة لو كان بالفعل لص؟

لا تعلم لم استيقظت وكيف!.. كل ما تعلمه أن هناك ما أيقظها
بقوة من نومها يسمونها حاسة الأنثى أو غريزة مقاتلة هي تستشعر
خطأ ما.. هناك خطأ

قامت من سريرها تستمع لبضع خطوات تحاول التخفي بمنزلها..
عقدت حاجبيها وهي تلتصق أذنها بباب غرفتها تستمع يانصات..
واحد.. اثنان.. ثلاث..

ثلاث أشخاص بنبرات صوت هامسة مختلفة يعبثون بصالة
المنزل..

اتسعت عيناها بقلق ميرا! .. يارا... !

دقات من الفرع غزت قلبها وقبضة من حديد اعتصرت أحشائها
أيكون هذا ما حذرهم إيراد منه؟!!

انتظرت حتى ابتعدت الهمسات عن محيط باب غرفتها وفتحها
برفق وخطت للخارج ستدافع عن بنات خالتها حتى الموت..
لن يظفروا بإحداهن وهي موجودة..

ارتسم العزم والثقة على وجهها وبالفعل اقتربت لتلاحظ أن نور
الشقة تم قطعه بالكامل وشخص متسربل بالسواد يقف جوار
غرفة ميرا.. فتأكد ظنها..

أسرعت بخطوات مدروسة وضربة موفقة على نقطة حساسة من
العنق والفضل بتحديد لها لبصيص النور القادم من الشرفة..
وتكوم ولكن قبل أن يسقط تأوه وضاع عنصر المفاجأة..

لتجد رفيقه يلتفتان لها وبدأت معركة حقيقية؛ تتحرك بأطرافها
الأربعة بتناغم حركي وتوافق عضلي مذهل، تسدد ضربة لذاك
وركلة لهذا..

ضخام الجثة يبدو أنهما معتادين على قتال الشوارع دون قوانين
وهنا يسقط الفن أمام اللاقواعد، ضربة قوية جعلتها تشهق..
الوحيدة التي طالتها لكنها أوجعتها كالجحيم.. ترنحت للحظة
وبالأخرى استعادت تركيزها فشعرت بمن يكممها من الخلف
ومندبل مبلل برائحة نفاذة تسللت لأنفها بلسعة واختل وعيها..
احتاجت الكثير من طاقتها لتظل واقفة على قدميها تسدد
الضربات بقوة..

أسقطت أحدهما ووعيتها يختفي تركيزه بسرعة دبت الخوف
بأوصالها، تشحذ طاقتها وتركزها حتى آخر ذرة منه هيأ لها أن
صوت ضربات أخرى تداخلت معها..
وسقوط آخر وهي تحارب تلك الرائحة المدوخة..

تحاول أن تتشبث بوعيتها قدر المستطاع ولأن لكل طاقة حد
استنزاف..

استنزفت هي طاقتها بإسراف

تدافع عن نفسها ووعيتها ينسل من بين أصابعها كالماء

ستقع بين أيديهم أو يد من تبقي منهم..

لا مفر

والهلع فطرة الأنثى حين تخسر النزال..

بدأ ينتشر بداخلها

أنفاسها تتسارع ولسانها يثقل رغم ذلك تحاول الجهر بإستغاثة

لمن يكثرثون

هشام بجنون غضبه لو رأى ما يحاولون..

فانسابت عبرة..

زيد بقلقه الأخوي لو شعر بضعفها.. وتبعثها أخرى..

عصام سيفديها بروحه دون شرفها....

وانهمرت أخرى

ضعفت مقاومتها أكثر وأكثر وصارت محض هراء

أمها وخالاتها وبكاؤهن

وإياد وتحذيره الغاضب

وتلا صورته الغاضبة..

ضعف وظلام..

وسقطت بين يديه..

وسقط معها سيل من العبرات

الفصل السادس والعشرون

كلا منا يبحث عن نواقصه
 مبتغياً كما لا لن يدركه
 لا يهمله زماناً أو مكاناً
 يفتش عن حب أو امتلاك..
 شهوة و ربما احتواء.. أو انتقام
 أو حتى صك غفران لذنوبٍ أثقله!
 وتدور به دوائر الدنيا تتوهه..
 منهم ذو الحظ.. يهتدي
 والأغلب يظل بالدوائر شاردًا
 في وقت الشدائد نلجأ لثوابتنا بالحياة..
 لذكرى دافئة..

لسند متين تلجأ إلى دفء خياله
وهي ليس لديها إلا هو !

لذا دون أن تدرك، قادتها خطواتها إلى الأعلى، إلى منزله.. وإلى
غرفته بالتحديد.. ارتعشت يدها وهي تدخل مفتاح شقتهم
وتديره، تدخل متسللة لأكثر الأماكن ألفة لها بحياتها !
خطوة.. اثنتان، وتعثر !

رغم الزمن والذكريات ظلت تتعثر في تلك القرميدة البارزة
بستيمترات كعادتها دوماً بمنزل خالتها القديم، انتظرت
ضحكاته وهبوبه إليها ليتلقفها.. فلم تجد سوى نفسها لتستند
عليها تلك المرة، واعتصر قلبها البعد ..

اعتدلت وأنارت الضوء وعيناها تتشربان من المكان، من ذكريات
تراها حية، ضحكات وعبث وجري هنا وهناك.. وليالي مذاكرة
طويلة وطول باله عليها.. تنهدت واتجهت لغرفته تفتح بابها
بخشوع، وعيناها مغمضتان.. وارتعاشة مرت بجسدها حين

خطت أولى خطواتها إليه، إلى ذكراه التي تحمل عبقها كل
جنبه من جنبات الغرفة ..

مكتبه، طاولة رسمه الهندسية المغبرة، فراشه ذو الملاءات
البيضاء التي تحميه، حتى رف ميدالياته بالسباحة مترب !

مرت بعينها بسرعة لم تتعد ثوان على كل ذلك، وما استوقفها
طويلا وما ضج قلبها بالنبض حين رأته؛ هو وجهتها.. رفوف
بمحاذاة أطراف نافذته الواسعة تحمل إطارات مصورة، كل صورة
بذكرى بينهما، هو وهي فقط ..

أول فوز له ببطولة الناشئين للسباحة، أول شهادة تفوق لها، أول
يوم بالمدرسة لكليهما، أول عيد ميلاد وآخر عيد ميلاد وبينهم
فصول من حكاياهم سويا.. وتحت إطار النافذة السفلي دولاب
يحوي كل هداياها له ..

انحنت على الأرض المغبرة تفتح جوارير الدولاب الصغير،
تخرج الكثير والكثير مما كان بينهما.. ابتسامة هنا وتنهيدة
هناك، وارتعاشة هنا خفقة هناك، والقاسم المشترك الوحيد هو..
الافتقاد !

رأيتك دائما

شغيفتي وارتع

تفتقده بشدة وإن أخفت عن طبيعتها، تفتقده حد الألم من ذكر
اسمه وهي تعلم أنه لن يأتيها مجيباً ..

لم تشعر سوى برطوبة على وجنتيها، وعبرة مالحة تقاقل لتعبر
شفتيها.. رفعت يدها بذهول!.. هي تبكي !

لا.. هي تبكيه !

اليوم، الفرح واقتراب المسمى كريم جعلها ترغب بالهرب.. ولم
تجد ملجأها الآمن.. فمن كانت تهرب من نفسها إليه ذهب ولم
يعد، ارتجفت حين سمعت خطوات وهمسات من الخارج..
أسرعت تمسح وجهها بسرعة تعيد الهدايا لداخل جوارير
الدولاب بسرعة وتخرج مسرعة..

لتفاجأ بالجاراة أم منى وميرا تقفان بمنتصف غرفة الاستقبال
بشقة خالتها، ميرا تضع يدها بوسطها وأم منى ترفع مقشة خشبية
متقشرة الإطار فوق رأسها والتحفز الخطر يرسم ملامحها.. دهشة
وتساؤلات تطايرت من النظرات وبالنهاية تنحنحت يارا بسؤال:

-انتوا بتعملوا ايه هنا؟

عقدت ميرا ذراعيها على صدرها وهي تدقق فيها النظر، كأنها
ترد إليها السؤال بسؤال والإنقاذ جاء من لهجة أم منى:

- ياه يا يارا خضتيني يا بنتي.. شوفت نور وسمعت صوت
خطوات جريت اطمئن وافتكرتك حرامي!

قالتها أم منى وهي تستريح بجلسة على أحد المقاعد مزيحة
ملاءة بيضاء متربة، وملقية تعليقاً رفع منسوب ضغط الدم لدى
ميرا بوضوح:

- تَو تَو تَو حرام تسيبوا البيت يتبهدل بالشكل ده.. شوفي
الصالون ده يجيله دلوقتٍ بالشيء الفلاني.. مش حرام!

ومصمصة شفتيها جعلت يارا تسرع وهي ترى ميرا تستعد لهجوم
لفظي:

- معلش يا طنط.. ما احنا كنا مش موجودين.

ولم ترتجع الجارة بل زادت:

- لا بس أنتِ زدتِ يا ميرا وتخت.. إوعي تسيبي نفسك تتخني
بعد الجواز.. خديها مني نصيحة.

لتبدأ ميرا تنفث غضباً يتصاعد من أنفها بكثافة، فالنصيحة تأتي من جارة تعدت الـ ١٠٠ كيلو جرام منذ زمن بعيد.. وقبل أن ترد وجدت يارا تحتضنها مربتة على ظهرها ببطء تهديها والجاراة تسأل بفضول:

- ما قولتيش.. كنتِ بتعملي ايه يا يارا في الوقت المتأخر ده!
تلعثت يارا والحل جاء بانقطاع الكهرباء مع شهقة الجارة ببسمة وحوقة فزعة ورجرجة صدر ميرا بالضحك بين يدي يارا.. فالجاراة أم منى تخاف الظلام كطفلة في الخامسة وجاءهم صوتها المتلثم:

- هو مافيش شمع ولا كشاف في البيت ده ولا ايه؟
والرجفة واضحة والخوف منبثق من حروفها لتعاجلها ميرا:
- لا مافيش.. انزلي تحت ونوري اللي أنتِ عايزاه.

- والمرسي أبو العباس ما يحصل إلا لما النور يجي.. عايزاني أموت ولا أتلبس يا بنت آمال!.. خليكوا معايا، منى زمانها في سابع نومة.

والتفتت ليارا برجاء:

- حبيبتي شوفيلي أي حاجة تنور ..

وبقلة حيلة رفعت يارا هاتفها وأضاءت إنارته لتجلس الثلاث
بانتظار حكم الإفراج بعودة النور من جديد متحملات ثرثرة
طويلة لا تنتهي!

يقال: هي دقائق قد تكون الفاصل بين الحياة والموت وأحيانا
بين النجاة والسقوط !

وماهي إلا لحظات حتى سقطت بين يديه، تلقفها بنزق فخصمه
كانت فتاة !

أهي مرتزقة؟

فضرباتها قوية رغم الخدر.. لكنها تفتقر لدناءة قتال الشوارع !!

أم ربما إحداهن !

وعلى بصيص الضوء الآتي من الشرفة المشرعة رأها!.. خصلات
عسلية قصيرة مبعثرة، ولمعة برونزية مثيرة على وجهها المنحوت،
وشفتان لامعتان بوردية مغرية.. صورة أبعد ما يكون عن خياله
لوجه يقف خلف قوة ضرباتها!

هي إحداهن.. يتذكر تلك التقاسيم، لذا ابتلع ريقه متأماً
وهمهمة ألم صادرة من أحد الملقون أرضاً نبهته أنه شرد.. عقد
حاجبيه وأسرع بحمله يتفقد باقي الغرف بسرعة ورشاقة فهد..
وبالدقيقة الثالثة كان يحمل حمله الثمين ويغادر مسرعاً.. قدماه
تنهبان السلاالم بسرعة، ينتوى الهروب بها..

وأنة ألم صدرت منها، ورفرفة رموش مع ضوء متسلل من شرفات
الباب القديم لبوابة المنزل.. ورآها هضاب بنية بلمعة ذهبية،
ثوان فقط وأغلقت رموشها من جديد.. عقد حاجبيه.. للمرة
الثانية يشرد!

وهو يسمع خطوات من الأعلى، وقبل أن يخطو خارج المنزل
للشارع الهادئ النائم بخمول لكمة قاسية دفعته للخلف بضعة
خطوات.. شدد من إحكام ذراعيه حول جسدها المتراخي وقبل

أن يعتدل كانت ذراع عضلية تعتصر عنقه وبلهجة نارية من الغضب والسخط سمع مهاجمه:

-آخر يوم في عمرك النهاردة..

تضاءلت ذرات الأكسجين التي يحتاجها.. ويديه مشغولتان بالجميلة الفاقدة للوعي.. لذا بسرعة ارتكز على مهاجمه بجذعه وسدد له ضربة قوية في فخذه جعلت مهاجمه يتأوه.. وماهي إلا لحظة، لحظة واحدة فقط حتى تراخت قوة الذراع القابضة على عنقه واستغلها هو بمهارته لينسل بعيداً ويسدد ضربة تتلو الأخرى لمهاجمه.. وما إن تحرك بدفع ضرباته للخلف وأضاء وجهه بصيص النور حتى هتف بسخط وذهول:

-أنت!

والآخر استغل المفاجأة والدهشة وعاد يحاول تسديد ضربة له يدفعه الغضب.. لذا ابتعد الآخر وهو يحاول الابتعاد عن مرماه بينما يهتف به بسخط:

-اهدى.. أنا ليش.

والاسم كان كزر توقيف، فتوقفت قبضته بالهواء قبل أن تمسه
والثاني يتساءل:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

- مش وقته.. لازم نمشى من هنا بسرعة !

وصوت الخطوات تتسارع من الأعلى فهتف به ليث بقنوط:
- حالاً.

وانصاع الآخر يقودهما خارج المنزل، وعينه معلقة بالأعلى
وألف سؤال يدور بعقله: كيف ومن والأهم أين؟!

جنون ..

ما يحياه هو الجنون بعينه !

صوته يتعالى بغضب وضربات سوطه تلسع أجساد الضخام
المكبلة أمامه والملقاة تحت قدميه.. صرخاته تصدح بجنون

وعيونه المحمرة تشي بقدر لا بأس به من المخدر الممزوج
بغضب ناري:

-أغبيا.. مشغل شوية أغبيا..

يزفر بصعوبة وصدره لا يستطيع استيعاب سرعة تنفسه القاسية،
فلتت من يده للمرة الثالثة أم الرابعة اليوم!.. كان يراقبها بصبر
منتظر، ولكن حين رآها بفستانها الأبيض بتلك العينان الخجلتان
والوجنتان المتوردتان بخجل وربما باعجاب بذاك الطويل الذي
كان يقف بجانبها.. للمرة الثانية الذي يراه معها!..

ورغم تشبث أناملها بابنة خالتها المثيرة ميرا وكأنها تحتمي بها؛
رسم ابتسامة على وجهه.. مازال تأثيره عليها لم يخفت رغم
الأيام.. لكن حين وجد اللزج يصاحبهن بالسيارة؛ يحادثها
وتضحك له؛ ثار جنونه!..

ستكون الليلة ملكه، وتحت وطأته بعقد أو بدون.. سيعاقبها ثم
يتلذذ بتوردها، وتلك المرة سيكون من صنع يديه.. منه وله
وحده!

رأيتك دائما

شغيفتي وورثتي

والآن يأتي هؤلاء الأغبياء متحاملين على السائق، لا يكادون
يستقيمون وقوفاً.. والمبرر فتاة قاتلتهم بشراسة رغم تخديرها!
وحتى التبرير المقيت لا يعقل.. لا يصدق!.. زعمهم أن هناك
من ساعدها، من أين أتت تلك المساعدة؟.. فهن وحدهن!..
يتلفت حول نفسه، يشد خصلات شعره:

-أغبياءا..

هدر بها صارخاً ملتفتاً إليهم ليلسعهم بسوطه مرة أخرى، هبط
على كعبه يشد أحدهم من خصال شعره.. يسأله بعينين متسعيتين
بجنون مطبق:

-أنا مش قلت تجبيوهم لي كلهم!.. وبالमित تجيبولي مراتي
وبنت خالتها ميرا!!.. تيجولي متشالين!

-يا باشا كان في حد بيساعدهم

والرد كان طرق رأسه بزفير متعالي بالأرض مرة تلو الأخرى حتى
نشج الدم على وجه الرجل الصارخ..

- أنا مشغل نسوان مش رجالة.. ٣ بنات مش عارفين تجيبوهم لي!!

- ماكانش فيه غير بنت الجنية اللي بتضرب ولا الرجالة ياريس بس..

أين!.. أين ذهبن؟ ..

يلف ويدور حول نفسه بجنون.. أين أفلتت منه تلك المرة؟.. أين؟

أزيز هاتفه قاطعه برقم المسمى أشرف.. اللعنة عليه، هو السبب المرة السابقة في انفلاتها من بين أصابعه.. وبالطبع يتساءل عن السيدة ميرا التي اتصل عليه مؤكداً أنه لم تشملها خطته تلك الليلة التي مازال لا يعلم من أين علم بها؟

فبعد ساعة من اختطافه ليارا سيكون عند الشرطة وأهلها كل ما يحتاجونه من معلومات ليصلوا له.. صرخ من جديد ملقياً هاتفه بالحائط ليسقط محطماً لقطع وصدرة يعلو ويهبط!

رأيتك دائماً

شخيط ووردة

علا صراخه بجنون قاطعاً صمت تلك المنطقة المهجورة مفزِعاً
الحيات بجحورها:

- راحت فين!.. فلتت مني فين؟

وعياها يعود ببطء، ببطء مستفز.. عضلاتها تتحفز، تحاول
الاستعداد، رغم بدء انقشاع السواد وسماعها لبعض المجادلات
العالية لكن بالنهاية ساد صمت مريب!

استيقظت، ورغم الرائحة المألوفة لم تفتح عينيها، ظلت مغمضة
العينين، أصابعها تتلمس الفراش، تحاول تحريك معصمها بغية
التأكد من عدم وجود قيود.. ولمفاجأتها هي حرة!.. قامت
بالتجربة مع كاحليها والنتيجة واحدة؛ لا قيود!

استمرت تحاول السيطرة على تنفسها واسترداد الباقي من وعياها
قبل أن تقرر ماذا ستفعل؟.. وحينها سمعت همسة دافئة ساخرة
بصوت أجش عميق أرسل ارتعاشة لأطراف جسدها:

رأيتك حالم

شغيب وورع

- أنتِ صاحبة.. قومي اقعدني علشان مافيش وقت لشغل الأفلام ده.

افترق جفناها بسرعة وهي تستعد للقفز وضربة بسيف يدها تتوجه بقوة لعنق من همس بأذنها.. لتتعالى شهقة منها وهي تتعرف عليه وسيف يدها يقع بسهولة تامة بين قبضته.. بينما تغمغم وترمش عدة مرات دون فهم أو استيعاب:

- أنت.. أنت صاحب إياي!!

أسبل عينيه بما يفترض موافقة أو تأكيد لم يتكلف حتى هز رأسه وهو يردد:

- ليث شوقي.

عقدت حاجبيها وحذر كسا ملامحها ونبراتهما:

- إزاي أنا مش فاهمة!.. أنت كنت جاي تخطفنا؟.. تخطف ميرا؟

نطقتها وعيناها تتسعان بعدم تصديق ودهشة، وهو ارتسمت على وجهه معالم دهشة من ألمعية فكرتها.. هو يخطف زوجة

صديقه!.. عبقرية تلك الفتاة، تبهره وهو لا يدهش بسهولة.. لا بل لا يدهش إطلاقاً:

-استنتاج عبقري ..

والسؤال الحقيقي أين الهستيريا والبكاء والضعف الأنثوي المعتاد؟

ذاك الصوت المصاحب.. تلك الضربات المساعدة التي ظنتها وهماً كانت هو:

-أنت كنت بتساعدني مش كده؟.. طب مين دول!.. وكانوا عايزين مين؟ يارا؟

عقد ليث حاجبيه واكفهرت ملامحه.. فهو مازال حتى الآن لا يصدق إهماله في توثيقهم وتراخيه في القبض عليهم حتى يستطيع استجوابهم.. والسبب هي!

لقد هرب بها، كل ما شغل عقله إنقاذها وتغافل عن البقية.. لكن يارا؟.. أيمكن ان يكون خالد!.. وأشرف بعيد عن الموضوع!.. يشك..

- ما ترد عليا أنت ساكت كده ليه؟.. إحنا فين والبنات فين!..
انطق.. رد عليا.

فزعت حينما اكتشفت وحدتها معه في غرفة غريبة وعلى فراش
غريب.. على فراش مع رجل لا تذكر عنه سوى رؤية ملامحه
لمرة أو اثنتان!.. تسارع نبضها وهو ينظر لها بشكله الغارق في
السواد شكلاً وملبساً وروحاً.. عيناه تفتحمها، تثير القشعريرة
بجسدها، وإبهامه تشعر به يلامس نبض رسغها المتقافز.. تحاول
نزع يدها من قبضته فغريزياً شدد من قبضته عليها ليفاجئهم
صوت:

- ما تخافيش يا مروة.. هو هنا علشان يحميها مش يخطفها.

وصرخت وصدرها تسارعت أنفاسه وهي تنظر للقادم يحمل
أكواباً تحمل مشروباً ما.. ودموعها دون أن تدري جرت مجرى
السيول وهي تنتزع يدها وتهرع نحوه بهمس متحشرج كان
أقصى ما خرج من صدرها باسمه:

- هشاااام

ترمى نفسها بأحضانها باكية شاكية بدموعها.. وهي تسدد له ضربات بقبضتها على صدره معاتبة، مصاحبة لنشيجها الباكي .. وهو يهدد ويكفكف دمعها، وزمها شفيتها بطفولة، يعيد قلنسوة منامتها فوق خصلاتها مدارياً ما انكشف منها في جريها إليه.. أمام عيون الليث السوداء التي تعاقبت بها الدهشة.. من تحولها المستأسد، للضعف والبكاء بين أحضانها بحميمية غريبة ..!

حميمة مستفزة لأبعد حد!

أنهى إدخال باسل بتلك المصححة أخيراً، ولم يصدق تلك الرسالة صاحبة الرجاء أو المسمى الأصح التوسل !

تفكير لم يأخذ منه سوى ثوان حتى قرر أن يراها، فرسالة مهرة رغم ما حملته من توسل ورجاء حملت بصياغته بموهبتها التي يعترف بها فضول بين طياته.. وتلويح باستسلام، ولديها ما يهمه !

عقله يئن من شدة ما يمر به، ودون وعي أرسل لها تأكيداً
بحضوره، سيقابلها بالمطار قبل أن تغادر.. فهي ستغادر البلاد
بشكل نهائي ودون رجعة تلوح في الآفاق ..

عقله يحاول جره لتلك المثيرة صاحبة الخصلات السوداء،
متمردته الخاصة، صاحبة مذاق العسل الحار، ليتذكرها جسده
بوضوح.. يتذكر تعلقها الليلي به حتى تنام بعمق، برائحة
خصلاتها المسكية وملمسها بين يديه وعلى...

نفير معترض أيقظه من خيالاته ليزفر بحنق.. الليلة التالية لغيابها
وما زالت تقتحم أفكاره بقوة.. زفر بسخط ويده تضغط أزرار
هاتفه، سينحيا عن باله وعقله وحتى عن جسده.. ليس هو من
ينحني لامرأة!

جاءه الصوت الهادئ الرقيق:

-إزيك يا حبيبي.

-إزيك أنتِ؟.. أخبارك ايه!.. مرتاحة عندك؟.. مش كان أحسن
تقعدني معايا؟

ابتسمت ببساطة.. مازال النوم يجافئها، فهي منذ كانت مراهقة لم تفترق عنه قط ولو يوماً واحداً حتى أصبح للفظ عشرة العمر بينهما مذاق مختلف خاص بهما.. والآن بعد كل تلك السنوات تغادره غاضبة أمام دهشته، أمام غضبه وهيجان ثورته الراضية للضعف أو حتى للاعتراف باحتياجه أحدهم.. حتى أتاها صوت ابنها من جديد متسائلاً:

-ماما أنتِ لسه معايا؟

زفرت تحاول حقن نبرتها بقدر من الفرحة أو الراحة وفشلت:

-أنا كويسة ومرتاحة هنا.. أحلام شيلاني على كفوف الراحة، على الأقل هنا بالاقى اللي باكلمه ويكلمني.

ابتسامة مرتعشة ارتسمت على وجهه، أحلام خالة ميرا.. تنهد، فمهما حاول الابتعاد تعود له من جديد:

-أنتِ متأكدة من قرارك ده؟.. أنتِ عارفة ظروف صحته وضعف قلبه!

صمت لثوان قبل أن ترد بقوة ولوم:

- عارفة.. بس هو كمان كان لازم يعمل حساب قلوب الناس
وكرامتهم اللي بيدوس عليها ..

تنهدت وهي تحاول تغيير الموضوع:

- عملت ايه مع مراتك؟ .. كلمتها اعتذرت لها؟

رفع أحد حاجبيه باستهجان.. اعتذار!.. هو؟.. ولمن؟.. هي
تلك الحمقاء المتمرده المندفعة!.. جز على أسنانه:

- ماما ده موضوع مش حابب أتكلم فيه؟

ساد الصمت لدقائق قبل أن تقطعه أمه بتحذير:

- إوعى يا إياد تخسر قلبك قصاد كبرياءك.

عقد حاجبيه وهو يتمتم بخفوت:

- ما تقلقيش عليا.. مش عايزة حاجة أو محتاجة حاجة؟

- لا يا حبيبي ميرسي ..

تلعثت لثوان مترددة قبل أن تكمل:

- إياد.. ابقى حاول تظمن على باباك وتظمني.

ابتسم.. فرغم كل مساوئ عبد العزيز بيه إلا أنه حصل على حب وإخلاص وتفاني أمه.. وهو يتعجب كيف طمأنها وأغلق معها الهاتف وملامح وجهته تلوح أمامه ..

ما هي إلا دقائق وكان يترجل متوجهاً لها، يقابلها بأحد المقاهي الراقية خارج المطار.. يواجهها!

كانت تتأمل قهوتها، تقلب سطح رغوتها بملعقة فضية مرة تتلو الأخرى في المقهى الفارغ تماماً من الصحبة.. حياتها هنا انتهت، بمعنى أدق تدمرت دون رجعة.. ولكنها لن تغادر دون أن تساعد للمرة الأخيرة، لم تصدق حين اخترق صوته محيطها:

- خير يا مهرة؟

ابتلعت ريقها وعيناها تلتهمه دون خجل فتلك آخر مرة ستراه:

- حتو حشني.

عقد ملامحه بتكشيرة غاضبة وهتف باسمها محذراً:

- مهرة!

فهزت رأسها بتفهم وتلعثمت باعتذار:

-آسفة ..

تنفست بعمق وهي تجذب من حقيبتها ظرف متخم وناولته إياه،
ظلت تمد يدها دون متلقي.. فأباد كان يناظرها بعيون ضيقة
باردة فاضطرت لترك المغلف على الطاولة بينهما وأردفت
بتوضيح مستحق ومنذ زمن:

-في الملف ده حتلاقي اللي أتمنى إنه يساعدك تخلص من
أشرف..

وأمام جمود ملامحه وبروده سألها سؤال واحد يدور بعقله منذ
زمن:

-ليه؟

رفعت له عيون تحبس دموعها في انكسار:

-غباء ومحاولة فاشلة ورا حلم ضايع.

نظر للملف بلا مبالاة ويسألها بعينه:

-هو ده كل اللي أنتِ طلبتيني علشانه؟

يعلم أن بالامور ما يزيد ويخفى عن مظروف كان يمكنها إرساله إليه بأي طريقة دون إذلال أخير لها.. وانتظر ولم تخيب ظنه:

-لا.. عندي اعتراف أخير...

تلعثمت وابتعدت بعينها عنه وهي تسرد أمام ملامحه المندهشة والمتقرزة:

-ناريمان ما كانش عندها علم بالصور، وما كانش عندها أي نية إنها تتمادى في علاقتها بأشرف أصلاً.. أشرف أقنعها بالعافية إنها توافق على الجواز العرفي علشان يجبروا باباها يوافق بسهولة..

هب إياد واقفاً مقاطعاً بحزم:

-ناريمان ما بقتش تخصني و...

قاطعته تتمسك بعضده بأناملها تكمل ما بدأت من اعترافات:

-ناريمان ما كانتش في وعيها.. أشرف خدرها وصورها معاه، كانت فاقدة الوعي تماماً مش بمزاجها ولا برغبتها يا إياد..

عقد حاجبيه واستنكار طل من عينيه وصوته بحذر يرجو نفي
سألها:

- أنتِ عرفتِ منين الكلام ده؟

صمتت ليمسك هو بيدها المتشبثة به يهزها بتوقع أسود:

- بتتكلمي بثقة كده إزاي؟

تهدل كتفاها وأرخت رأسها بذنب واضح للأعمى:

- أنا كنت هناك ..

تشنجت ببكاء خافت :

- أنا اللي صورتها بإيدي ..

ولم تتخيل الصفعة التي طالت وجهها منه صفعة مدوية قاسية
غاضبة.. صفعة مريرة وبلهجة تقطر ناراً لاهثة:

- ازاي عملي كده؟.. ازاي في بنت زيك؟.. ازاي؟

غطت بكفها مكان صفعته ودموعها تنهمر علها تغسل خطاياها
بحبه، رفعت له عيون مذنبه:

- أنت السبب.. أنت فضلتها عليا.

- أنا عمري ما وعدتك أو فكرت حتى فيك.

هزت رأسها بموافقة، هب من مكانه بقرف واضح وهو ينتزع
المظروف من أمامها وقبل أن يغادرها انحنى يهمس بهسيس
غاضب:

- ذنبها في رقبتك.. ذنب اللي حصلها واللي لسه حيحصلها في
رقبتك أنت.

استقام واقفاً وقبل أن يبتعد طل كبرياءها المهزوم من مكمته:

- مش في رقبتى لوحدي..

حين نظر لها أكملت بحدة باكية:

- أشرف عمل كده علشان يوصلك أنت.. علشان يأذيك أنت..

أنت السبب.. أنا وهي كنا قدام أشرف مجرد فرص لأذيتك.

ألقتها بوجهه.. حقيقة بسيطة وواضحة ومريرة!

كل من يقترب منه سيطاله أذى

سواد القلب من أشرف بحقارته التي لا تتوقف، تلك الدقيقة التي صدمته بها الحقيقة استغلتها مهرة بالنهوض وجذب حقائقها وهي تغادره، تقف بمحاذاته وجهها لباب المقهى وهو مازال واقفاً متيبساً ووجهه لنافذة المقهى.. تنظر له بجانب وجهها تتشبع بملامحه عن قرب وهي تهمس له:

- أنا حاولت أحذرك وأطهر نفسي باعترافي.. أنا مش راجعة تاني.. بس باحلفك بأي يوم وقفت معاك وجنبت فيه.. والدي وشقا عمره مالهمش ذنب في اللي أنا عملته.. ارفع إيدك عنه وعن المؤسسة يا إياد..

- ده أمر ولا طلب!

- ده توصل.. أشوف وشك بخير.

وتحركت مطرقة الرأس وقلبها يئن وضميرها يصفق مشجعاً.. تركته خلفها واقفاً بوجوم جملتها الأخيرة :

"كل من يقترب منك هو فرصة لأشرف ليؤذيك!"

وقرار مجنون يتجمع بعقله!!

أخيراً النور عاد وميرا أسرع ما إن أضاء المكان نحو الباب..
فعقلها لا يستطيع تحمل تلك الثرثرة التي لا تنتهي فسارعت:

- أنا تعبت والنور جه أهو يلا ..

فتحت الباب وانتظرت خروجهما منه، وحتى على السلالم القليلة
لم يتوقف الحديث بين الجارة أم منى وردود يارا المراعية
الخبلة، مطت ميرا شفيتها وهي تزفر.. وما إن وصلن لشقة أم
منى حتى شهقت:

- يالهوي.. بسم الله الرحمن الرحيم.. هو باب شقتكم مفتوح ولا
أنا بيتهألي؟! !

اجتازتهما ميرا بسرعة وهي تظن.. لا هي متأكدة أنها أغلقت
الباب خلفها.. أغلقته فعلاً؟

وحين دخلت لتنير الإضاءة وتتفاجأ بمنظر المنزل المبعثر كساحة
قتال، ارتعاشة وانقباضة قوية بقلبها اجتاحتها وهي تصرخ
باسمها:

رأيتك دائماً

شغيفتي ووردي

- مروة.. مروة أنتِ فين؟ .. ردي عليا ..

صراخها جذب أم منى ويارا للداخل وهي تبحث بسرعة جنونية بين الغرف، تبحث عنها هنا وهناك ودون رد، دون أي اثر لها.. تقابلت عيناها مع عيون يارا الهلعة الغير مستوعبة وهي تتمم دون وعي:

- مش لاقياها مش هنا.. خدوا مروة يا يارا.. خدوها.

أنهت جملتها لتسقط مغشياً عليها على الأرض، فأسرعت الاثنتان لحملها والجاراة تبسل وتحوقل.. تتحسس صدغها ونبضها ويارا تسندها حتى الصوفا الكبيرة، تعيد جولة البحث من جديد بين الغرف دون أن تعرف سبب أو مبرر!

تبحث وعقلها متوقف من أخذها؟ .. أين مروة؟ .. مروة.. من! .. ستتصل بمن؟ ..

أسرعت لهاتفها تضرب أرقامه وتنتظر رنين، رنين متواصل دون رد.. دون مجيب.. تبكي دون انقطاع وهي تجثو بجوار ميرا الفاقدة الوعي، وأم منى التي تحاول إفاقتها وتطمئنها أنها ربما

رأيتك عالم

شخيط ورنين

تكون هنا أو هناك.. وهي تدعو، تتوسل أن يرد عليها، أن يفتح
الخط ويجيبها.. مرة تلو الأخرى دون توقف.. عينيها متعلقة
بشاشة هاتفها ..

أين هو؟.. أين هو؟

ويد أم منى تربت على كتفها مهدئة:

- اهدي يا بنتي اهدي بس.. وخير إن شاء الله، يمكن كانت
بتدور عليكم ..

هزت رأسها دون وعي وتعيد الاتصال مغممة :

- برضه ما بيردش.. برضه مش بيرد..

- استهدي بالله يا بنتي بتكلمي مين؟

- هشام.. هشام ما بيردش يا طنط.. أجيبه مين؟

- لا حول ولا قوة إلا بالله.. كلمي زيد ولا عصام يا بنتي.. ولا
أقولك؛ كلمي مروة الأول يمكن نطمئن!

والاتصال برنين تصاعد من غرفتها أثار قلقهن وأم منى تهمس
وهي تفيق ميرا:

-سلم.. يارب سلم.

يُست من رده على هاتفه لجأت لزيد تتصل به وهي تهمس
باكية:

-زيد إلحقنا.. مروة اختفت مش لاقينها.

وأمام صوتها الباكي جاءها تأكيد زيد أن تنتظره وهو سيأتي لها
فوراً..

وفجأة ظهر صوت أجش عميق بالمشهد وهو يوضح:

-مالوش لازمة.. مروة كويسة وبخير.

لترفع الجارة ويارا أعينهما للباب، لتجدا مروة التي تستند على
عضد ليث، تبتسم بخفوت وإرهاق واندفعت لها يارا تحتضنها
بقوة مقبلة:

-مروة حمد الله على سلامتك.. كنتِ فين؟.. حصلك ايه؟ ردي
عليا طمني.

أفاقت المغشي عليها بعد محاولات حثيثة من أم منى لتجد مروة
فتهتف بها بغضب:

- كنتِ فين يا هانم؟ .. ها.. روحِ فين؟

فأسرعت أم منى تحذرهما:

- اهدي يا بنتي بالراحة عليكِ وعلى اللي في بطنك.. كده غلط .

لتنظر لها بدهشة وتستقيم بجلستها مبتعدة تهز رأسها عن جنون
تلك المرأة!.. تواجه مروة، ثم عقدت حاجبيها وهي تراه واقفاً
بجمود بجانب الباب وبملامحه الغامضة:

- ليث!.. أنت بتعمل إيه هنا!؟!

تنفس ليث بعمق.. فأمامه شرح سيطول ويطول وهو ليس برجل
تصادقه الكلمات.

أن تتكاتف الأحلام معها فهو ظلم..

وأن تشتاقها حواسه رغم ساعات الفراق هو غدر..

أما حين تتربص به بين ثنايا عقله فذلك جور!
دقائق معدودة من النوم ذلك كل ما حصل عليه بين سهاد يوم
آخر...

اللعنة.. يحتاج لصفاء عقله وتركيزه اليوم.. فأشرف حانت
نهايته، سينفيه من حياته بلا رجعة

وفجأة حارسه الخاص "حارس زوجته سابقاً"

اخترق الغرفة بالمصحة التي ينام على صوفتها متدلي القدم
بصوت محذر:

- إياد بيه.. رجالة أشرف بيه وصلوا للمصحة ويحاولوا يوصلوا
لرقم الغرفة أو أي معلومة عن باسل بيه ..

قفز إياد واقفاً وهو يجذب باسل_الذي فتح عينيه بسبب
الضحيج_ من على سريره

- يلا يا باسل.. اجهز

نظر له باسل بحيرة غير واعية:

- ايه!.. في ايه!؟!

- رجالة أشرف هنا.. مش عايزهم يلمحوك.

أبعد باسل يد إياد عنه وهو يجلس يسأله:

- وايه المشكلة!.. أنت مش قلت خلاص حتكشفه قدام مجلس الإدارة و....

فزفر إياد بعصية وأعصاب منفلته:

- أنا حاخلص منه.. لكن تقدر تقولي لو وصل لأي إثبات عن وجودك هنا اسماً أو صورة بس ساعتها تقدر تقولي حتعمل أنت ايه؟

قام باسل بسرعة مقتنعاً يرتدي أقرب كتزة رياضية مغمماً:

- حنروح على فين؟

سؤال لم يدر بخلد إياد فتمس جبينه بتوتر متمماً من بين أسنانه:

- نمشي من هنا الأول وبعدين نتصرف.

حين توجهها للخروج من الغرفة وقف أمامهما حارس إياد وخرج
قبلهما يراقب لهما الطريق وهما يتلمسان طريقهما حول المكان..
وباسل يتأكد من تغطية وجهه جيداً بقلنسوة كتزته الرياضية.. لم
يكادا يصلا لسلم يصل إلى الحديقة الخاصة بالمكان حتى
أوقفهما الحارس

- إياد بيه.. لازم أنا وأنت نمشي من الباب الرئيسي.. عربيتك
هنا وده اللي عرفهم طريقنا ونسيب باسل بيه يخرج من الجنية
ونتقابل بره.

عقد إياد حاجبيه وعقله لا يسعفه فقط كل ما يدور بعقله هي
جملة ميرا

"كل من يقترب منه يتأذى"

يتأذى باسل!... وماذا عن ميرا??

- إياد بيه؟

هز رأسه بموافقة لیتجه باسل للحديقة متوارياً وإياد يتحرك مع
حارسه..

هي فقط لحظات حتى أيقن مدى غباء الفكرة فشتم بلفظ نابي
أذهل حارسه:

- لو شافوني هنا حيتأكدوا إن باسل هنا أو ما هو أسوأ.. روح
خُد عربيتي وخرجها من هنا، وأنا حامشي مع باسل لازم لا هو
ولا أنا نظهر..

وبعيني نظرة تأنيب يوجهها لنفسه قبل حارسه كيف سمح
لذكائه أن يخونه هكذا!.. أسرع يتلمس خطي باسل ليراه من
بعيد يقف مع فتاة ورجل عجوز..

فتاة مألوفة له.. مألوفة جداً!!

خطواته تتدافع بغضب مكتوم.. منذ متى أصبح يُساق للأفعال
مثل مسلوب الإرادة!!

سحقاً لغيوبة ألم سحبت منه حق الاختيار

سحقاً لراحة عقل صوحت بفرض وصاية

سحراً وألف سحر لحياة لا يرغبها ويستमित دفاعاً عن نقائها
اسماً

تنهد حين ارتطم دون قصد بشخص..

شخص ذو صوتٍ عالٍ غاضب فتاة محجبة يعرفها جيداً
بتعجب وعينين تتفحصه من أعلاه لأخمص قدميه بنبرة تحمل
خشية من إجابة تثقلها بذنب سالت:

- أنت!.. أنت بتعمل ايه هنا!؟!

- أنتِ اللي بتعملي ايه هنا!؟!

رد سؤالها بسؤال يحمل الدهشة والاستنكار وبانعقاد حاجبين
يتوقعان الأسوأ

والرد جاء ممن اقتحم المشهد بصرامة تخفي قلقاً يطوقها بيديه
فارضاً حماية من مجهول طالباً جواب:

- مين ده؟

هزت كتفيها وهي تنظر لجدها بحيرة غير واعية تخشى الافصاح
عن اسمه وتتساءل هل ظنها حقيقي لدرجة مصحة!!

وعرفتهما بتوضيح:

- باسل خطيب يارا يا جدو، أقصد اللي كان ..

وتلعثت مكملة:

- جدو محمد.

نظرة واحدة شمله الجد بها من رأسه لأخمص قدميه وهو يردد
بخفوت:

- أهلاً يا ابني

ليقاطعهم صوت إياد المتعجب:

- ديما! أنتِ بتعملِ ايه هنا؟؟

زفرت ديما يا حراج..

أما جدها الذي رفع حاجبه يسألها من هذا أيضاً!!

ابتسمت:

- جدو.. ده إياد جوز میرا

فهز الجد رأسه بتفهم مرحباً به

ليسألهم إياد:

- أنتوا بتعملوا ايه هنا؟

رد الجد محمد:

- احنا متطوعين هنا يا ابني.. وأنتوا؟

لم يهتم إياد بالرد فقط تلفت حوله ثم سألهما باهتمام:

- معاكم عربية؟

رفعت ديما أحد حاجبيها باندهاش وجدها يرد باهتمام وكأنه

استشعر خطورة ما:

- آه.. له!؟!

- طيب.. ممكن توصلنا معاكم ضروري؟

وبدقائق معدودة كانوا الأربعة بالسيارة منطلقين من بوابة خلفية
بالمكان.. لاحظت ديما محاولة باسل التخفي بعيداً عن النوافذ
فاستدارت تسأل إياد بلا مواربة:

- هو في ايه يا إياد؟.. ممكن أفهم بقى!

حدق بها جدها باستنكار وتحذير يعلم فضول حفيدته القاتل
وإياد يتشاغل عنها بالاتصال بهاتفه دون رد تسمعه يهتف بغضب
صارخ لاعناً، ولأول مرة ترى خروج ابن الحديدي عن بروده
وهدوئه المعتاد..

صراخ وغضب وتقريع ينصب على رأس محدثه وبالنهاية أغلق
محدثه الخط وحين وعى لوجودهم فوجئ بباسل وديما يتابعاه
بدهشة والجد مركزاً على طريقه متأففاً من ألفاظه..

استند برأسه على يديه فسأله باسل في خفوت:

- هو اللي كنت بتزقق معاه وتشتمه ده ليث؟

- إيوه سي زفت

اتسعت عيون باسل وكاد ينفجر ضحكاً..

إياد يفقد أعصابه!.. ومع من؟!..!! مع ليث!!

- في ايه؟

- أنا آخر من يعلم!

صمت باسل لا يفهم وإياد سأله مغيرًا الموضوع كعادته:

- محتاجين مكان ليك.. معاك مفاتيح بيت عمك القديم؟

عقد باسل حاجبيه مغمغماً:

- يااه.. بيت ايه!!.. ده باعه من زمان..

- لازم مكان تقعد فيه.. وما ينفعش لا بيتك ولا مصحة ولا مكان يخصني.

والصمت ساد بينهما بتفكير حتى قطعتة نحنحة الجد:

- احمم.. آسف للمقاطعة بس أعتقد أن عندي الحل لمشكلتكم

فالتفت له الأنظار بدهشة ولهفة ووعي لوجوده

وزوج عينان تسأله ألا يفعلها!

الفصل السابع والعشرون

لحظة واحدة قد تكون كل الفارق
 لحظة تفرق الغث من النفيس
 قد تتحكم بنا شهامة متأصلة
 أو يشق صدورنا رغبة دفينه بتكفير ذنب
 أو حتى يتلبسنا دين قديم واجب السداد
 فرص ثانية تنبع من نفس صافية
 ترى ما نجى من صدأ نفوسنا البالية
 لحظات تترك لك كل الحلول مطروقة
 ولك حق الاختيار وعليك مجبة العاقبة
 فأعد للحظتك عتاد قلبك واقتنصها
 فصدق من قال: "العمر لحظة"

بعد أن انتهى الجد محمد من جملته ساد الصمت، فعرضه كان لا يزال غريباً.. فهم بالنسبة له لاشئ.. مجرد معرفة لأصدقاء حفيدته، فأين مصلحته من وراء ذلك!؟

ظل عقل إياد يفكر بضراوة وهو يشعر بتمزق بين خلاياه، تتشتت وراء الغائبة قلقاً وبعضهم يحاول الجلد أمام غضب ما علم به من تطورات، وأخرى تجاهد للتحلي ببعض التركيز للتخلص من التهديد الكبير.. والبعض يئن ألماً على حال أخ.. فباصل بعد عرض الجد انسحب ليشخص بنظره من النافذة دون أن ينبس ببنت شفة..

هو يستشعر ما بصديقه من هوان غريب عليه رغم ما مر به من صعاب!

لم يستغرق الطريق طويلاً بل على العكس عدة دقائق لم تتجاوز الثلاثين وكان العجوز يصف سيارته بجوار بناية راقية ملتفتاً بابتسامة هادئة:

- اسبقينا أنتِ يا حبيبتي وخلي جدتك تستعد علشان الضيوف وإحنا طالعين وراك على طول.

رأيتك دائماً

شخصية ورائحة

نظرت لجدها بجانب عينيها وهي رافضة، حين حاولت فتح فمها للاعتراض عالجها بنظرة صارمة واحتفظ بابتسامة شفوية كما هي، فما كان عليها سوى الطاعة مغممة باعتذار للجالسين خلفها وخرجت من السيارة مسرعة.. حين اختفت بمدخل البناية التفت لهم الجد وبنظرة هادئة ولهجة واثقة:

-أعتقد إن من حقي تفسير وإيه مدى المشاكل اللي متورط بيها الأستاذ باسل مش كده؟

أنهى سؤاله الواضح دون موارد بنظرة مستفهمة تجاه باسل بقلنسوته والظلال السوداء تحت عينيه ونظرة سريعة مسترقة بين الصديقان جعلت إياد يرد بحذر:

-بصراحة يا حاج إحنا عندنا شوية مشاكل في مجلس إدارة مؤسستنا.. تقدر تقول أحد خصومنا حابب يلعب بقذاره ويستغل تعب أعصاب باسل ضدنا ويأذينا بيه.. وإحنا بس كنا محتاجين مكان باسل يريح أعصابه فيه من غير ما حد يوصله.

نظر إليه الجد محمد بعيون مدققة فاحصة:

- اممم وده فيه خطورة يعني!.. ولا مجرد حسابات أموال
وأسهم؟

رد إياد عاقداً حاجبيه بلهجة متعجبة:

- لا طبعا مجرد صراع على إدارة المؤسسة والأسهم مش أكثر من
كده.

- بقالك قد ايه في المصحة؟

والسؤال تلك المرة وجهه مباشرة لباسل الصامت.. رد إياد
مسرعاً:

- لسه امبارح بس وما لحقناش زي ما حضرتك شفت.. عموماً
أنا مقدر جميلك وإنك ساعدتنا؟؟ إحنا حنزل دلوقتٍ و...

- عندك مكان أمين يقدر يقعد فيه؟

سأله بوضوح مباشر:

- ما تقلقش أنا حاتصرف و...

قاطع بوضوح وبساطة قاطعة:

- يبقى أنا بجدد دعوتي ليه، يقدر يفضل عندي في البيت لحد ما...

صمت قليلاً وهو يناظر باسل الذي يبادلُه النظرات الصامتة وأردف:

- لحد ما أعصابه تتحسن، وعموماً أي حد معرفة لعائلة الإدريسي يا أهلا وسهلا بيه.

ثوان مرت بينهم و إياد ينظر لباسل ينتظر رأيه ليجد باسل يفتح باب السيارة ويترجل منها ببطء مهزوم، أسرع إياد بالخروج من السيارة ملتفاً لصديقه يمسكه من كتفيه:

- باسل.. لو مش عايز أنا أقدر أحلها وأوفرلك مكان تاني تقعد فيه!

رفع باسل عينيه إليه مغمماً بسخرية مريرة:

- وحيفرق ايه هنا عن أي حته تانية؟.. في كل الحالات لازم أستخبي، أختفي.. وهنا رغم غرابة الموقف لكنه أفضل حل، ماحدث حيفكر يدور عليا هنا..

رأيتك دائماً

شغيفط وورح

ربت على يد صديقه المسكة بكتفه مطمئناً يزيحه من طريقه
برفق مكملاً:

- صدقني مش فارقة كثير.

لحظات تعمد بها الجد التأخر بداخل سيارته ليترك لهما المجال
وحين انتهى وخرج ووجد باسل يقف أمام البوابة منتظراً ابتسم
برزانة:

- اتفضلوا اتغدوا معانا وبعدين لو تحب أوصلك أي مكان.

ابتسم له إياد معتذراً مشيراً للخلف لسيارته الخاصة التي توقفت
للتو أمام البناية وودع صديقه بجملة سريعة:

- أنا جبعتك شنطك مع السواق، يومين يا باسل بس وحاكون
ظبطت كل حاجة، اديني يومين.

تلك المرة التربيطة جاءت على كتفه من جد ديما وهو يبتسم له:

- ما تقلقش عليه.

لأول مرة منذ أيام يبتسم إياد نصف ابتسامة ممتنة للعجوز
متمتماً:

- مش قلقان.

وابتعد.. فباصل دون أن يدري اطمئن ولو مؤقتا..

لا يعلم كيف أو لماذا؟.. لكن رؤية الجد يستقبله بتلك الأريحية والشهامة التي لا مبرر لها ولا منطق يصوغها؛ أَلقت بقلبه قليلاً من الأمل والمزيد من الإيمان بالحياة.. ويعلم الله هو في أشد الحاجة لهما لمواجهة القادم.

الكل يتوقع نفس النتائج رغم اختلاف المعطيات، نتوقع الهيستريا والبكاء والرعب عند الصعاب؛ حتى وإن اختلفت الشخصيات!.. لذا بعد ذهاب ليث وتأكيده لهن أنه سيظل بالجوار فلا داعي للقلق.. لكن أن تنام مروة قريرة العين بعمق وابتسامة على محياها هذا ما فاق التوقعات!

جعل فضول ميرا يتعاضم.. فلقد أعدت نفسها لليلة طويلة لتطمئن وتهدي وتهدد مروة، والعكس هو ما كان.. والغريب أنها أصرت بالنوم في غرفة يارا ذات الشباك المطل على الشارع..

هي ويارا ظلنا قلقتين حتى الصباح، تتبادلان الهمس والكلام وأحياناً تكتفیان بالإنصات لتنفس إحداهن لمزيد من الاطمئنان.. وبعد أن أشرق النهار فاض الكيل بميرا وهي تعتدل متأففة بسخط متممة من بين أسنانها:

- هي واخدة منوم ولا ايه؟!.. ما هو مش معقول كل النوم بالعمق ده بعد اللي حصل إمبراح!؟

عقدت يارا حاجبها بتفكير قبل أن تهز رأسها مجيبة باستنكار مؤكداً:

- لا لا ما أعتقدش.. مروة ما بتاخدش الكلام ده، بس...

صمتت للحظات وهي تبتلع ريقها برد بنبرة خجلة:

- بس هي مختلفة، مروة قوية مش ضعيفة.

لترد ميرا بتأكيد حائر:

- ولو اللي مرت بيه صعب مهما كانت قوية.. بصي لها، دي ولا كأنها اتخانقت مع حرامية واتخدرت وراحت للمستشفى!

بللت يارا شفيتها بطرف لسانها وهي تتساءل بقلق غريب ما زال
ينبش بداخلها منذ لحظة اكتشافهم لإختفاء مروة:

- أنتِ مصدقة اللي قاله اللي اسمه ليث ده!

صمتت ميرا للحظات تتذكر نبرة صوته وجمله المقتضبة..

"كنت جاي لأن إياد بعثني أطمئن عليك، ولقيت مروة مغمى
عليها في الصلاة؛ خدتها المستشفى ورجعتها على طول أول ما
فاقت.. اللي فهمته منها إنه كان حرامي وهي وقفتله، حب
يخدرها.. وتقريبا نجح بس لما حس بوجودي خاف وهرب"

فعلقت ميرا بتأكيد:

- لا مش مصدقاه.

- تفكري ايه اللي حصل؟

لم ترد عليها ميرا بل بدأت بنغز النائمة بعمق عجيب وهي
تغمغم:

- وأنا حاحير نفسي ليه!.. أنا حاصحيتها وأسألها.. قومي يا أختي
قومي.

حاولت يارا منعها لكنها تأخرت.. فبعد ثوان كانت مروة تتأفف مستيقظة وهي تبرطم عن عدم الإحساس المتأصل بميرا وعدم تقديرهما لحاجتها للراحة.. ولم تمهلها ميرا فبادرتها بالسؤال:

-قومي.. ما هو أنا لازم أفهم، مش معقول تبقي ضاربة حرامي وخذرك وتنامي ولا البيبي ولا كأن حاجة حصلت.

حاولت مروة فتح عينيها وأبت رموشها أن تطيع، فغمغمت باستظراف ساخر بصوت يحمل من آثار النوم الكثير:

-نايمة زي البيبي!.. على أساس إنهم بيناموا؟.. ما هو اللي ما يعرفش.. بس مسيرك تخلفي وتعرفي نوم البيبي إزاي!

ابتلعت ميرا ريقها، فجملة مروة الساخرة ذكرتها بحديث أم منى.. تلك الثرثرة، حمل.. طفل.. والآن...!!

قشعيرة مرت بجسدها وفكرة تراودها، نفضت رأسها من تلك الأفكار لتركز على مروة:

-بصراحة كده أنا مش داخل دماغى الفيلم اللي حكااه ليث ده!

هزت مروة كتفها كرد مبهم وهي تعتدل، فهي تشعر أنه حان وقت الاستجواب ويارا جالسة على طرف السرير قلقة منصتة والأخرى تتحداها أن تكذب!.. وبالأصل هما تعلمان جيداً أنها فاشلة بالكذب، حتى لو توقفت حياتها على كذبة ستتكشف وبجدارة لذا راوغت:

- ايه الغريب في اللي قاله؟

- في حاجة مش منطقية في الكلام و... الأهم حالتك دي!

وأشارت لها بيديها وعجز لسانها عن التوضيح، فابتسمت مروة وهي تمشط خصلاتها بأطراف أصابعها تهذبها قدر الإمكان:

- ايه هو لازم أعيط وأصرخ وأنهار يعني!!.. مش لازم على فكرة.. طريقتي في التعامل مع المشاكل غيرك غير يارا.

وعند تلك الجملة حاولت يارا النهوض ونظرة لوم وجهتها ميرا لمروة التي أسرعت تتمسك بها تجلسها مردفة بإيضاح:

- يارا اقعدى.. أنا ما قصديش حاجة.

- أنا كويسة..

والتفت لميرا تكمل بثقة:

- صدقوني حاسة إنني عمري ما كنت كويسة في حياتي قد النهاردة..

لترفع ميرا أحد حاجبيها تجابها بشك ويارا تربت على يد مروة بابتسامة هادئة:

- يارب دائماً.. أنا حاسيكم علشان ورايا ميعاد مع معتر النهاردة، وورايا بعده كورس.. فما تعلقوش عليا لو اتأخرت شوية.

انتظروا للحظات حتى أخرجت يارا حاجياتها من الغرفة وغادرت لترتدي ملابسها بغرفة مجاورة، وما إن أغلقت الباب حتى عاجلتها ميرا:

- بت أنت مخبية ايه عننا؟

ردت مروة ببراءة كاذبة:

- أنا حاخبي إيه يعني!.. ولا حاجة.

ضيقت ميرا حاجبها وصمت لحظات قبل أن تسألها بوضوح
وصراحة:

- كان حرامي ولا حد جاي يأذيني؟

التفت لها مروة وانتصبت بجلستها تجيب سؤالها بسؤال:

- ليه بتقولي كده؟.. واشمعني أنتِ؟

- علشان وجود ليث.. إياد مش حبيته ورايا إلا لو في حاجة!

ابتعدت مروة بعينها عن ميرا تناظر شباك الغرفة التي أصرت على
البيات فيها مغممة:

- وليه مايكونش حد عايز يأذي يارا!؟!

ارتجف قلب ميرا بين ضلوعها وشحب اللون من وجهها مرددة
بخوف:

- خالد!!

نهرتها مروة بصرامة:

- وطي صوتك مش عايزاها تعرف حاجة.

- فهميني؟

وبكلمات بسيطة حكمت لها الحقيقة دون تجميل أو نقصان، بل احتفظت بجزء صغير أقسمت على حماية سره عن الجميع وستحافظ على ثقته بها دون مساس، وميرا حالها يتغير.. الشحوب يختفي والخوف يتبخر ويحتلها بدلاً منهم الغضب الناري، سمعت بنت خالتها وهي تهسّس من بين أسنانها:

- الكلب الحيوان السافل....

وأكملت قصيدة سبابه بما جادت به قريحتها من ألفاظ جعلت مروة تضحك فسدت لها نظرة نارية وكأنها اكتشفت شيئاً ما:

- وسايباها تخرج لوحدها؟

- ما تخافيش.. وراها اللي بيراقبها ومتابعها خطوة بخطوة.

وقبل أن تسأل أو تحاول أن تتأكد مما فهمته أسرع مروة تغير الموضوع ببراعة:

- أنا مش عارفة آخرتها ايه مع اللي اسمه خالد ده!.. مش ناوي يجيبها لبر.

- ربنا ياخده.

- آمين..

نطقها بتنهيدة وهي ترتخي بجلستها، تسند رأسها على ظهر الفراش ممددة قدميها مكملة:

- فاكرة أول مرة شوفناه فيها يا ميرا؟!.. لما جه يتعرف عليها!

وحدت ميرا حذوها، تنهيدة فاستلقاء جاورتها به وصوت اكتست نبراته بغضب حزين:

- يومها كان ولا نجوم السينما.. أنا فاكرة إنك تنحت أول ما شوفتيه.

لكزتها مروة هازئة بسخط:

- مش لوحدي.. الله يرحم اللي كانت أول ما تشوفه تفضل تضحك وتحمر لحد ما يمشي!

تنهدت ميرا:

- كنا صغيرين، انبهرنا بشكله وكلامه وتعامله معاها.. كانوا الكابل اللي خطفوا عينا وطلعوا التنهيدة من جوانا..

ليرتعش صوت مروة وهي تتذكر:

- وعلى قد ما رفع أحلامنا وآمالنا للمستقبل لفوق السحاب؛ على قد ما كسر رقبتنا لسابع أرض لما شفنا حقيقته، عرفنا وهم الحب.. كان فارس جواه شيطان.

صمت ساد بين الاثنتين، فكلاً منهما صُدمت وكان لكل منهما رد فعل مغاير بالاتجاه..

نظرت لميرا التي أصبحت "الفيديت" الجميلة الجريئة التي يتسابق الجميع لرضاها ولا ينالوه مهما حاولوا، يرغبونها دون أن تحاول ولا يرقى أحدهم ليأخذ حيزاً من محيط نظرها.. ورغم ذلك قادها قدرها لزوج وبيت رغماً عن أنفها..

وعند تلك الفكرة اعتلت نصف ابتسامة متأملة حين تذكرت عنادها ونبرة صوته الغاضبة وعيونه التي كانت تبحث عنها.. لا تدري أترفق بها القدر أم قسا!

وشردت من جديد بما أصبحت "الفتاة المسترجلة" تعلم ما يطلقون عليها وكانت لا تبالي، قوية لا يشوبها ضعف ولا ينقصها قلة حيلة، لا تعطيهم أي اهتمام أو حتى نظرة ثانية وإن ظل في القلب رغبة بيت يوماً ما وطفل شبيه بحمزة ابن أختها..

مشاعر ورغبة أنثوية مازالت تتنفس بداخلها، وحلم بعيد قديم مراهق بيت مع من تربت معه، مع من لن يؤذيها، لن يجرحها، ابن خالتها اللاهي عنها.. وبالأمس القريب أغلقت ذاك الحلم ودون انتظار لإشعار آخر!

وانتشلها من شرودها صوت ميرا الهادئ وهي تتمتم:

- فعلا.. الحب وهم.

"صباح الخير.. قومي يلا مجهزالك فطار مفتخر"

اتسعت ابتسامة منيرة الهادئة وهي تحاول التفكير بعذر مقنع ليأتيها صوت أحلام:

- ما تحاوليش.. أنتِ بقالكِ يومين ما بتاكليش كويس وما
ينفعش، أنتِ مش ضيفة.

- ماليش نفس يا روكا والله.

توقفت أحلام عن حركتها بالغرفة والتفت لها مبتسمة بحنان:

- أنتِ مش متعودة على بعده!

وارتعشت ابتسامة منيرة محاولة التماسك وإدعاء قوة لا تمتلكها:

- لا.. مش متعودة على زعله.

اقتربت منها روكا وجلست تجاورها بالفراش بصمت، تركتها
تتنهد وتخرج زفراتها وهي تكمل:

- ولا يوم واحد نمنا متخانقين.. ولا متخاصمين، ومن يوم
ولادتي لإياد كنت حاموت ومن يومها ما سابنيش لوحدي..
تعب، مستشفى، سفر.. لازم نبقي سوا.. أنا أنا...

تلجلجت وضاعت منها حروفها فربت روكا على ركبها
الممددة:

- زمان أخذت قرار، جريت ورا إحساسي، حاسة أنك اتهورت في قرارك!

رفعت لها عيون غائمة بدموعها وهي تتمتم وتترك لدموعها العنان:

- بالعكس.. حاسة إني اتأخرت كثير، كان لازم أقف وأقول لأ.. أقول غلط، أقول مش موافقة.. وأنا شايفاه بيحاول يسيطر على كل حاجة لدرجة كانت حتضيع ابني مني.. لحد يوم...

ابتلعت ريقها تتفادى الإشارة لما حدث مكملة:

- يومها ابني فعلا من نظرتة حسيته ضاع مننا، وصمتي وخنوعي كانوا السبب.

- قومي قومي نقعد في التراس ونفطر.. حتعجبك القعدة قوي يلا.. وربنا حيحلها من عنده.

قامت تتحرك ببطء وقبل أن تخرج التفتت لها بابتسامة:

- مش معنى أنك واخدة موقف أو زعلانة منه إنك ما تطمنيش عليه.

وغادرت والأخرى تتهد بعرق ويدها تداعب هاتفها المحمول..
 فأحلام أعطت كرامتها المخدر المثالي لتريح عقلها وقلبها
 المجهد باتصال هاتفها حمل لها مفاجأة من العيار الثقيل!!

تتأفف وهي تقود سيارتها فهي لم تغادر المنزل منذ لقاءها معه..
 احتقرها وحقر روحها وكل ذلك بوقت لم يتعدَ العشر دقائق!
 كسرهما وغادرها دون أن يلتفت..

أفرغت كل ما بقلبها، مرارة، خديعة، وثقل.. غباء مراهقة وغرور
 أنثى وحتى سلاحها الوحيد؛ جمالها وفتنتها كانت ذر بعثرها
 اشمئزاه منها..

بعد أن أنهت انهيأها بمطعمها المفضل وهي تعلم يقيناً أنها
 ستصبح حديث طبقتهم المخملية بسبب المشهد الكارثي
 والغريب، إلا أنها لم تبالي.. أنهت بكاءها ثم مدت يدها لمحارم
 على الطاولة، مسحت عينيها بأناقة وغادرت..

ظلت حبيسة غرفتها، أغلقت هاتفها وظلت وحدها.. لا أبيها انتبه لغيابها ولا أمها انتبهت لعزلتها.. وهي لم تهتم، تعودت على وحدتها بمنزلهم بين المربيات المتمرسات الخبيرات يوم قرر أبيها الاستقرار أخيراً بالقاهرة، حينها فقط أصبح لها صديقات ومعارف وحياة اجتماعية تخصصها وحدها.. وليتها ما كانت!

إياد الوسيم الغامض جرفها بطوفان الفتى الأوسم ذو المستقبل الباهر المقبل، نظرة استحسان كانت كافية كموافقة لترك له المجال ليقرب.. وكمكافاة اقتنصها ووضعها على حائط إنجازاته جنباً الي جنب مع شهاداته، وكل اهتمامه ووقته لعمله ولصديقه في محنته وهي كم مرفوع حتى الحاجة إليه..

تنهدت بعمق وهي تتنفس ألماً.. عينيها تراقب المرأة الجانبية لسيارتها ولمحت انعكاسها.. بشرتها، لون شعرها، وعينيها.. عيان كادتا تتوهان عنهما في خضم بحثها عن مثالية مظهر عقيم.. ونصف ابتسامة ساخرة ارتسمت على وجهها حين تذكرت منذ ساعة مضت تعابير وجه أمها حينما رأتها مع سخط مفاجأة:

- إيه اللي أنتِ عاملاه في نفسك ده؟ .. فين اللينسز؟ .. وشعرك
إزاي سايباه كده؟

رفعت لها عيون لامبالية، ترفع كوب قهوتها مغممة:

- صباح الخير.

تلون وجهها بالأحمر غيظاً:

- صباح الخير.. أنا عايزة أعرف..

قاطعتها ناريمان وهي تتحرك بعيداً عن مائدة طعام الإفطار:

- عن إذنبك.. بابا عايزني في المكتب.

حتى أبيها حين توجهت له بمكتبه عاجلها بتحية متعجلة:

- ناريمان.. عايزك تعدي على عمك عبد العزيز في الفيلا

واطلبي منه الملفات دي، هو عنده خبر إني عايزها..

وناولها ورقة دون أن يكلف نفسه عناء النظر إليها فسألته برود:

- أنا مش أوفيس بوي.. ممكن بيعت لك اللي أنت عايزه مع

سواق لكن أنا....

رأيتك حالم

شغيف وورح

قاطعها بصرامة:

-لازم حد ثقة.

فرفعت حاجبيها بدهشة وعدم تصديق!

وها هي انتهت بسيارتها وبمهمة محددة لإحضار ملفات، وصلت لفيلا الحديدي وبداخلها رغبة تتعاضم بالهرب.. لا ترغب بأي مواجهة.. لا إياد ولا السيدة منيرة وبالطبع ليست ميرا.. قبل أن تدق جرس الباب فوجئت بأصوت عالية غاضبة.. زفرت تشجع نفسها وضغطت الجرس..

أصوات عالية لأقدام تقترب حتى رأت زينب الفتاة الخادمة بعيون باكية محمرة جعلتها تسألها معقودة الحاجبين:

-صباح الخير.. إزيك يا زينب!

لترد الخادمة وهي تدقق بها النظر:

-صباح النور يا هانم.. أي خدمة؟

رفعت ناريمان حاجبيها بدهشة:

-زينب.. أنا ناريمان.

شهقت زينب وتداركت نفسها باعتذار متلعثم:

-آسفة يا هانم اتفضلي.. ما عرفتش حضرتك، اتفضلي.

خطت ناريمان وعلى وجهها ابتسامة متهكمة للداخل، تراقب
بطرف عينها عيون زينب التي تتغمدتها تحاول استيعاب شكلها
الجديد..

تنهدت.. هي تعلم أن تلك اول قطرة من غيث ما ستقابله من
نظرات كتلك وربما أسوأ لكنه قرار اتخذه وستلتزم به حتى
النهاية..

لتنفض الاثنتان على صوت جهوري:

-ايه القرف ده؟.. فين القهوة بتاعتي؟.. أنا طلبت قهوة.

-بس يا عبد العزيز بيه المدام كانت موصية..

-فين المدام؟.. أنتِ شايفة حد!.. مافيش حد هنا.. وكلامي هو

اللي يمشي.. أنا اللي بدفع مرتباتكم والأكل اللي أطلبه يتعمل

والقهوة وقت ما أحب اشربها ألاقها جاهزة..

وصرخ من جديد يسمع حجارة المنزل حجراً حجراً:

- فاهمين ولا تحبوا أفهمكوا؟

- عمو عبد العزيز..

نطقها ناريمان وهي تسرع إليه فوجهه اشتد احمراره وعروق رقبته نفرت بوضوح مرعب جعلها تحاول تهدئته، تربت على كتفه.. عيناها تدور من حولها تبحث عن أحدهم.. أي أحد!

- اهدى يا عمو بس اهدى.. ولو سمحتِ هاتيله عصير ليمون.

ليصرخ من جديد:

- لا.. أنا قلت قهوة يعني قهوة فاهمين.

- خلاص قهوة..

وغمزت للخادمة الكبيرة بالسن لتسرع للداخل بكوب أعشاب طبية اعتادت منيرة على تجهيزها له كل صباح

- عمو.. أومال طنط منيرة فين؟

- ما أعرفش!

والكلمة خرجت بصوت مذبوح مشروخ يتصنع اللامبالاة
والجمود.. ومن خير منها ليميز تلك النبرة، عقدت حاجبها
وقلبها يدق بعنف وصدرها تتسارع أنفاسه:

- طب إياي ولا مراته!

- مافيش حد هنا.. كنت عايزة ايه يا ناريمان؟

تلعثت ناريمان وشعور غريب يكتنفها.. شعور غريب مرير
يذكرها بمرارة ذاقتها على يد من كان لا شيء ليصفعها كاشفاً
عن عينها غمامة فوجدته أهم شيء!

- كنت جاية بابا طالب من حضرتك الملفات دي..

وأعطته الورقة..

زفر عبد العزيز ملتقطاً منها الورقة يقرأها وحاجبيه ينعقدان بسؤال
لنفسه أكثر من أن يوجهه لها:

- الملفات دي قديمة.. عايزها ليه؟.. ليه ما طلبش من إياي أو
مدام منى أو حتى عمك شوقي يجيبوله نسخة من الشركة؟!

هزت كتفيها بحيرة وعقلها وعيناها يبحثون عن إشارة تكذب ما
فهمته بالفيلة الفارغة مغممة:

- مش عارفة!

زفر وهز رأسه وقام من مقعده متثاقلاً يتحرك ببطء مرهق مهدود
فسألته بمراوغة:

- ممكن تخلي إياد يوصلهم لينا بالليل يا عمو.. تكون أخذت
وقتك في تجهيزهم، شكلك تعبان.

التفت لها وعناد آل الحديدي الشهير ينطق بكل ملامحه:

- أنا كويس، دقايق وأجيبهم لك..

وسخر بشبه ضحكة مكملًا:

- لو استنيت إياد يبغي أبوك مش حيستلمهم في سنته.

غاب بمكتبه وانتهزت فرصة حضور زينب بمشروب ضيافة،
سؤال والثاني جر الثالث لتحصل على مرادها..

- البية الصغير ومدام ميرا والهانم الكبيرة سابوا البيت من كام يوم.. ومن ساعتها ما حدش لاجه ولا اتصل.

اقتربت منها زينب وبعينها رجاء:

-آنسة ناريمان.. لو تعرفي توصلي لمنيرة هانم تخليها ترجع.. البية حالته صعبة، رافض ياخذ الدوا ولا منتظم لا في أكل ولا في نظام رياضته.. أنا خايفة عليه.. هي وصتنا قبل ما تمشي ومش عارفين نوصلها.

هزت ناريمان رأسها تبتلع ريقها المتحجر وعينها تلمعان بدموع وهي تهز رأسها مطمئنة.. شهقت تعب من الهواء فشعور بالاختناق داهمها.. دومًا كانت ضحية، دومًا كانت هناك مبررات ومسوغات تساق لتهدئة روح قلقة تبيح لها ما تبغي.. لكن الآن لأول مرة ترى مغبة تصرفها على غيرها..

كانت تلعب لعبة انتقام والنتيجة أسرة كاملة تشتت!

تنفست بسرعة لعدة مرات وبدأت تطرف بعينها لتبعد دموع غادرة من الهطول، بماذا سيفيد البكاء؟.. زفرت بعمق مرة

أخرى وتوجهت بخطى واثقة لمكتب عبد العزيز وفتحت الباب
بابتسامة واسعة وإن لم تصل لعينيها:

- ها يا عمو!.. خلاص ولا لسه؟

غمغم وتركيزه منصب على خزانة كبيرة تحتل حائطاً.. تتراص بها
ملفات عديدة، فرغم كل حداثة التكنولوجيا التي أدخلها إيراد
لنظام الحفظ بالشركة إلا أن أبيه العنيد مازال يؤمن بالأوراق
القديمة والملفات..

- دقائق يا ناريمان بس.

- اممم طيب إيه رأيك عقبال ما تخلص أعزم نفسي على الغدا
معاك لآحسن نزلت من غير فطار..

رفع رأسه عن الأوراق متعجباً من نبرتها.. مطيلاً النظر إليها
فأسرعت تحته بمداعبة:

- إيه!.. أنت مش عايز تغديني ولا إيه!؟

هز رأسه موافقاً بنصف ابتسامة فغادرته وهي تناوشه بمرح:

- طيب.. حاروح أبلغهم والغدا حيبقي على ذوقي.. ماشي!

تركته يعود لملفاته وما إن أغلقت الباب اختفت ابتسامتها..
 وحين خطت أولى خطواتها للمطبخ سمعت السيدة العجوز
 تتحدث في الهاتف بخفوت وحين نادتها انتفضت:

- ناريمان هانم!.. خير في حاجة؟

رفعت ناريمان أحد حاجبيها:

- أنا وعبد العزيز بيه ناويين نتغدى.. ممكن تجهزولنا الغدا.. ولو
 سمحت ياريت تركزي على الأصناف اللي تناسب صحته.

فغرت العجوز فاهها دون فهم لتضيق ناريمان عينيها وهي تنظر
 للهاتف بيد العجوز مشيرة بتخمين:

- دي طنط منيرة؟

هزت العجوز برأسها بإيجاب فأشارت لها ناريمان بيدها لتعطيها
 الهاتف:

- مساء الخير يا طنط، أنا ناريمان.

وتحركت بالهاتف للخارج بعيداً عن مسامع الخدم أمام عيون
 الخادمتان المندهشتان..

وسؤال يدور دون بوح.. من تلك!?

ترتشف كوب الشاي بالحليب صنعة يارا بتلذذ مستمتع، لم تكن يوماً ممن يستمتعون بالجلوس بالشرفة ورفاهية الراحة والاسترخاء.. دوما كانت صاحبة الجدول المشحون على الدوام، بين تمرينات وتدريبات ودراسة ومذاكرة، حركة دائمة.. وتلك الفترة التي قضتها بالقاهرة أورثتها كسلاً جديداً على جسدها..

راقبت بعينها يارا التي تتحرك بالشارع بخطى رقيقة خجلة هادئة بطريقتها لدرس التصوير وعدت واحد اثنان ثلاث...عشر..

هاهو!

اتسعت ابتسامتها براحة وهي تراه بقامته المشدودة وكاب رياضي يخفي شعره ويظل ملامحه المرهقة، تتذكر هالات عينيه وفقدانه لبعض الوزن.. تنهدت وهي تلاحظه يرفع رأسه تجاهها للأعلى.. ابتسمت ملوحة له بسعادة حتى عاد للانتباه لطريقه..

تتعجب ميرا من نومها قريرة العين دون قلق!

لو علمت لما احتاجت لسؤالها، فهو أخبرها "سيظل ساهراً مراقباً
فلا تخشى شيئاً وإن أياً منهن لم يكن ليمسها سوءاً"

رفعت عينها للشرفة المقابلة لتنتفض فالآخر الغامض يقبع هناك
جالساً وبيده مشروب ما.. مطت شفيتها وهي تهز رأسها إليه
بتحية صامته فرغم كل شيء هي مدينة له.. لم يتحرك ولم تعلم إن
رآها أم لا !..!

تلك النظارات السوداء تمقتها.. لا تعلم أين هي عيناه؟

زفرت.. هبت لتخرج لكنها عادت لتقف مرددة التحية بصوتٍ
عالٍ:

- صباح الخير

ولم يتحرك أيضاً بجلسته المسترخية ولا تحرك وجهه البارد
المستفز..

صوت رسالة على هاتفها فتحتها ليطالعها رقم غريب على تطبيق
الواتس آب مرسلًا لها كلمة.. "صباح النور"

عقدت حاجبيها.. أيكون هو !..!

رفعت عيناها له لتجده بنفس جلسته دون تغيير..

رسالة أخرى..

"أيوه أنا"

ردت عليه برسالة سريعة..

"جبت رقمي منين؟!"

والرد جاءها بوجه أصفر مستفز بنظارة سوداء!

لترفع حاجبها بسخط وسألته بصوت عالٍ:

- يعني ايه مش فاهمة!

ورسالة أخرى..

"شششششش وطى صوتك.. وإلا الناس حيفتكروك بتعاكسي ابن

الجيران"

احمر وجهها تنظر حولها تتأكد ألا شهود على اندفاعها..

ليفاجئها صوت ميرا مطلة برأسها من الداخل:

- أنا نازلة ومش هاتأخر.. ورايا مشوار مهم، ماشي!

هزت مروة رأسها بشرود وعقلها يفكر برد مفحم للغامض بسلامته
الجالس أمامها بجمود وما إن التفتت لتنظر إليه وجدته اختفى !
رفعت أحد حاجبيها بتعجب وقبل أن تفكر حتى.. صوت رسالة
جديدة

"ما تخرجيش النهاردة وما تفتحيش لأي حد لحد ما أرجع"

ليرتفع حاجبيها بعجب !

أيعطيها أوامره الآن؟!!

"مدام ميرا.. اتفضلي من هنا"

التفتت ميرا للشخص صاحب التي شيرت الأسود والبنطال الجينز
الاسود والنظارة السوداء الذي همس من خلفها بأذنها منبهاً
فالتفتت له بسخط تمط شفيتها:

- مش محتاجة بودي جارد.

ابتعد عنها لسيارة سوداء رياضية فرفعت أحد حاجبيها باستهجان وهو يغمغم ببرود يشبه برود صاحبه:

- وأنا مش بودي جارد وأظن الأمن إنك تكوني معايا الفترة دي.

كلمة بإيحاء مقصود ارتعش لها جسدها.. فذكرني ما حدث لمروة ليست ببعيدة والآخر تركها دون أن يفتح لها حتى باب سيارته فوقفت تحديق به باستهجان.. فتح باب سيارته من جهة السائق وهو يغمغم لها بلهجة شبه ساخرة:

- أنا لا بودي جارد ولا سواق ..

وتركها ودلف لسيارته فزفرت ببطء قبل أن تفتح باب سيارته وما إن جلست حتى أخبرته بنبرة مستفزة:

- مستشفى السلامة التخصصي.

رفع أحد حاجبيه وهو ينظر لها وهي تجاهلته بكل بساطة.. ودون سؤال قاد بها لهنالك فهو قد لا يكون حارس وبالطبع ليس بسائق خاص لكنه لن يترك زوجة صديقه دون حماية حتى وإن كان صديقه مستفزاً عنيداً..

يقال بالأثر :

"ارمي همومك بالبحر يبتلعها البحر دون قرار، ويترك خالي
 الوفاض رائق البال مستعداً لتحمل المزيد من الحياة"
 وهي اتخذت من البحر صديقاً منذ عادت للأسكندرية، ترميه
 بهمومها وتغادر خفيفة كالريشة وتعاود الكرة مرة فمرة حتى وإن
 صاحب البحر أذن منصتة وعقل مدرك متمثلاً بطبيبها معتر،
 الذي فاجأها هذا الصباح رغم عدم وجود موعد محدد من قبل
 بأنه قادم ويرغب برؤيتها للحديث ..

لا تعلم أهي تصاريف القدر أم حظ حسن بدأ يداهنها !!

فبتلك اللحظة هي تحتاج وبشدة للحديث لإخراج ما بداخل
 جعبتها من قلق وتوتر صاحبها بالأمس.. وما إن رآته حتى
 استقبلها بابتسامة واسعة ورغم الإرهاق الواضح على ملامحه
 اهتم بالسؤال عن حالها:

- عاملة ايه النهاردة يا يارا؟

- الحمد لله.. ما تعرفش ازاي كنت محتاجة أتكلم.. أنت ايه اللي جابك النهاردة اسكندرية؟

نطقها بابتسامة متعجبة وبنفسية مرتفعة فهي أبدعت اليوم بدرس التصوير وحازت صورها على إعجاب زملائها..
ابتسم نصف ابتسامة مغمضاً جفنيه..

- جاي أقدم خدمة لصديق.. وقلت أسأل عليكِ بالمرّة..
- ده من حظي.

وانطلقت تحكي.. تخرج كل الخوف والقلق والتوتر الذين عاشتهم وهو يفند تارة ويطمئن تارة أخرى، تسرد تفاصيل ما حدث وإفلاتها منه فلولا الحظ بآخر لحظة لكانت فريسة سهلة بأيديهم:

- ايه اللي طلعتك فوق؟

سؤال بنظرة مستقصية من عينيه جعلتها تنتبه لتفاصيل ما تحكيه وتبتلع ريقها بخفر، استحثها بسؤاله لمرّة ثانية:

- يارا كنتي فوق بتعملي ايه؟ .. بشقة خالتك القديمة؟ .. تقصدي بيت والدته هشام صح؟

وهروب بعينها واحمرار وجنتيها أهدياه الجواب، وصمت منتظراً
إيضاحاً وتلعثمت هي:

- أصل كنت بدور على حاجة ضايعة مني..

وأمام نظرة عينيه المتعجبة أوضحت بلعثة أكثر:

- أقصد حاجة افكرتها وكنت بادور عليها قلت يمكن ألاقها فوق.

- ولقتها؟

- مش عارفة!

وظل محققاً بها لدقائق طالت وهي تتشاغل عن مراقبته بمراقبة
البحر فسألها:

- مافيش أخبار عن هشام؟

وتنهيدة عميقة هزت رأسها بالرفض وهي ترد:

-لأ.. حتى هما بطلوا يدوروا عليه.

-أنتِ عايزاهم يلاقوه؟

وبنظرة من عينيها تحمل أملاً ببريق داعم وارتجافة اكتنفتها لم تغفل عنها عيناها:

-أنتِ بردتِ!.. تاخدي الجاكت بتاعي؟

ودون صوت رددت بداخلها.. اشتاقت لدفع لا يعرف سره إلا هو.. فهزت رأسها بنفي ورغبة تتعاضم بالرحيل وبعد دقائق تعللت بمروءة..

أنهت معه جلستهما الغير اعتيادية لتغادر مسرعة متحججة بالقابعة بالمنزل والتي تعرضت من المفترض لصدمة.. غادرت وهي تهز رأسها عجباً.. التي كادت أن تخطف أو يصيبها مكروه.. جالسة بالمنزل تسترخي ونامت ملء جفنيها وهي التي لم يمسها سوء لم يغمض لها جفن!

أسرعت تعبر الطريق تعدو ويدها تحاول تأمين الكاميرا المعلقة بجانبها لتكتشف أنها نسيته.. لا كله إلا تلك الكاميرا!!

توقفت بالحارة الأسمنتية بمنتصف الطريق تحاول التذكر أين تركتها؟.. أين، أين!.. وحين هب القليل من رياح الشتاء لفت انتباهها قبعة رياضية تطير وحين قادت عيناها لصاحبها ارتدت للخلف من المفاجأة وكادت تسقط بعرض الطريق..

هو، وهي.. بأحضان بعضهما!؟!

خمس ساعات مرت كدهر طويل وحين انتهت الطيبة من الفحوص السريعة التي طلبتها هي انتهت بنتيجة واضحة محتمة وقائمة من الممنوعات وأخرى باللازم عليها إتباعه.. والخلاصة!

"هي حامل"

ممن تركها مهانة من أبيه، حامل ممن رماها بشك مع المدعو خالد، حامل ممن تزوجها تحت التهديد، حامل ممن تركها دون محاولة جادة لصلح أو حتى فكر برد حق مسلوب!

كانت ترغب بالصراخ بأعلى صوت ودون أن تدري دلفت لسيارة
ليث دون كلمة وببيدها ملف كامل يحمل اسمها ولم تجد منه
سوى جملة واحدة..

- على فين؟

- وديني البحر.. أي حته فاضية على البحر.

وقاد دون تعقيب حتى قادها لشاطئ هادئ وتركها تترجل وظل
يراقبها هو من السيارة.. ظل يلازمها بعينه، اهتزاز كتفيها أفشى
بانهايار باكٍ منها.. تركها حتى أفلت الشمس بغياب فحتى
الشمس بكل بهاءها ابتلعها البحر..

عادت باستقامة ظهرها وحركتها الواثقة لتجده يتكئ على سيارته
ينتظرها، وحين عادت مد يده لها بزجاجتين إحداهما عصير
والأخرى مياه

هز رأسه سائلاً باقتضاب:

- أنتِ كويسة؟

هزت رأسها بشرود وابتسامة:

- حابقي كويسة.

تركها والتفت ليركب السيارة وحين استوت على مقعدها مغلقة
باباها سألها:

- تحبي أكلمك حد يبقى معاك؟

ابتسمت بسخرية وهي تنظر له:

- تصدق أنا خدت اللي كنت محتاجاه فعلا!.. وديني البيت.

تركته واستندت على الكرسي.. هي احتاجت لبكاء دون سؤال أو
تحقيق.. دون أحكام وشعارات.. دون أن تحاسب على مشاعر
خوف انتابتها أو رغبة بالصراخ..

صراخ من طفل رغبت فيه ولكن حين أتى شكت بسلامة القرار!
عن فرض لامتهان كرامتها سيحدث حين يعلمون بوجود طفل..
وستظهر شعارات

"الزوجة ليس لها إلا بيتها"

"الولد يربي بين أمه وأبيه"

وهي المفروض أن تستجيب، أن تنصاع بهدوء.. هي احتاجت
للتفريغ حتى تستعد للقادم فإن ظنوا بها خضوعاً فليفكروا مجدداً
وليفكروا جيداً دون استهانة بها..

"يا عمو أنا تعبت خلاص.. لازم أروح"

رفض عبد العزيز بعناد يشيها ويجبرها على الجلوس لاستكمال
دور الشطرنج العاشر ربما:

- لا اقعدي.. لسه بدري، حتروحي ليه؟.. الورق وبعته مع
السواق ولا أنتِ وراكِ مشاوير مهمة!

- ماتفكرنيش.. ده بابا كان مصمم إن أنا اللي أجيبه بنفسي مش
عارفة وافق إزاي!

- أبوكِ ما وافقش.. أنا حطيته قدام الأمر الواقع.

ارتفعت ضحكتها الصاخبة وهي تحرك الرخ بحركة مفاجئة
مرددة:

- طب كش ملك.

رأيتك حالي

شغيط ورنج

- تَوُّ تَوُّ تَوُّ استعجلتِ .

وبحركة هادئة من فارسه قضى على تهديدها لملكه، قاطعهما
صوت الخادمة زينب:

- نحضر العشاء يا بيه؟

- آه طبعا حضريه.

نظقتها بتأكيد وعينه لم تتوانى عن رقعة الشطرنج، وناريمان
بلمسة يدها تبعث برسالة سريعة من هاتفها:

"ما تقلقيش اتغدى كويس ومشي في الجنية وخذ الدوا ومش
حامشي إلا لما يتعشى وياخذ الدوا كمان"

رنين برسالة وصل لهاتف المعنية جعلها تقرأ ورأسها تهتز بحيرة
يخالطها حنين وقلق مما جعل رفيقتها تسألها بخفوت:

- إيه!.. لسه ما اطمنتيش عليه يا منيرة؟

هزت رأسها بحيرة:

- بالعكس.. بس خائفة.

- من ايه؟

- مش عارفة ايه اللي ودى ناريمان هناك؟.. وايه اللي مخليها
تفضل معاه وأنا عارفة عبد العزيز لما بيبقى في غضبه عامل
إزاي.. بيبقى لا يحتمل.. وده مش طبعها.

- مش بتقولي متربية مع إياد؟

هزت رأسها بتأكيد:

- ايوه طبعاً.. في فترة الأجازات ومن ساعة ما استقروا هنا
بس... عمر الاهتمام بالغير ما كان طبعها!

ابتسمت لها أحلام ببساطة:

- ماحدث بيفضل على حاله.. كلنا بنتغير، بس بنحتاج الدافع
المناسب.

هزت منيرة رأسها بموافقة متممة:

- فعلاً.. ماحدث بيفضل على حاله .

وعادت تنغمس بحديث تتلاهي به عن قلقها المتنامي على
العنيد زوجها والأعد من ابنها!

واسترسلت مع أحلام بالحديث دون أن تفتنا لشخص آخر
منصت مستمع من وراء الباب ونفسه تحاول مراودة عقله.. فهل
من مجيب؟! *

بالعمر لحظات تفرق ..

فرق الحياة من الموت.. منتهى الألم يفرقه لحظة عن قمة
السعادة.. وأحياناً تضحى قراراتنا وليدة اللحظة هي جوهرة
أعمالنا.. وقد تكون الشرارة الكافية لدمارنا الشامل!

ببذلته السوداء القاتمة عائد من مهمة ثقيلة !

ومرارة الفقد حتى وإن كان ليس بقريب منه لدرجة الألم لكنه
يوقن بقلبه أن لإزهاق أرواحهم صلة وثيقة به ..

رأيتك حالم

شغيف وورع

انتهى اليوم وواراهم الثرى دون وداع.. وفراق وضربة جديدة هو سببها، وشعور بالذنب يثقل كاهله وعقله طوال العزاء، يدور بضراوة عنها ولها وبها!

ولأنه يكره الإِجبار، لا يعترف به بقاموسه هو يجبر ولا يجبر.. هو يفرض ولا يفرض عليه.. لذا لقد اتخذ قراره وانتهى.. سيفعلها سيغلق بابًا فتحه برعونته وهو أذكى وأوعى من ألا يفعل.. ترحل من سيارته يفتح زر قميصه طلباً لبعض الهواء..

رفع عينيه يقرأ اللافتة بالخط الأسود العريض ..

"المأذون الشرعي للقاهرة الجديدة"

ليرفع هاتفه ينقر أزراره وبمجرد أن رد عليه محدثه أخبره باختصار حاسم:

- حاطلقها!

الفصل الثامن والعشرون

حين تجأ روحك تفتش عن الوطن!

من منا لم يتمنَ يوماً أن يعود بالزمن!.. دقيقة.. ساعة.. يوم..
وربما سنين!

ليصلح خطأً، يعدل مسارًا، يتراجع عن قرار.. وربما يقوم باعتذار
أو ليتشبث ولو لبرهة بمن غاب!

والعودة ستكون لساعات.. قبل الفقد البعيد القريب، قبل الإفاقة
الجبرية من التوهان..

دلفت للمنزل بملامح شاحبة، ترتجف كورقة مصفرة، تتلاعب
بها رياح خريفية.. صفقت الباب بعنف، أنفاسها تتردد
بصدرها.. يعلو، يهبط والصوت جذب مروة من المطبخ لتفتح
عينها على اتساعهما..

فيارا غاضبة!!

يارا والغضب لم يتقابلا من قبل يوماً!.. تراقبها.. رمت حقيبتها
على الأرض، تتنفس بثقل، ثم رمت حذاءها من قدمها بعنف..
فردة تتلو الأخرى، سألتها مروة بتوجس:

- يارا.. أنتِ كويسة؟.. مالك!؟!

رفعت لها يارا عيون محمرة.. فاقتربت منها بتمهل قلق، وفاجأتها
يارا من بين أسنانها برد لم يكن بالحسبان:
- حاسة إنني عايزة أكسر حاجة.

فغرت فاهها واتسعت عيناها لتتحول ملامح مروة للوحة سيريالية
لفتاة تقابل مريخي لأول مرة!

ودون أن تشعر، تناولت أقرب إناء بلوري مقتربة منها، ناولتها
إياه فاختطفته يارا من يدها بعنف قبل أن تلوح به ليتناثر شظايا
على الحائط المقابل.. اقتربت منها مروة تسأل بانبهار:

- يارا.. أنتِ في حاجة مضايقاتِ؟

ورغم طفولية سؤال من لم تجد كلمات تعبر عن غرابة الموقف
أجابتها الغاضبة:

- عايضة أضرب حد، أكسر حاجة.. عايضة.. عايضة...

وظلت تتلفت حولها تبحث عن دليل لما تريد علَّها توصل ما بها من سخط ونيران مشتعلة، فيبدو أن عدوى تيه الكلمات أصابتها من مروة.. اقتربت منها مروة أكثر وأمسكتها من يدها تقتادها للغرفة التي استوطنتها، توقد النور وأشارت لها وهي تسحبها للداخل:

- اتفضلي.. فشى غلك في مهند.. تقدري تفرغي فيه كل اللي جواك ومش حيعترض..

وبخطوات سريعة ألبستها قفازات التايكوندو خاصتها وتركتها بالغرفة وذهبت.. واقتربت يارا لتلطم كيس الملاكمة أو مهند لكمة ثم صفعة ثم ركلة وتوالت ضرباتها واحدة تتلو الأخرى رغم أن ضرباتها لم يهتز لها حبله؛ لكن كل لكمة وركلة تخرج ما بداخلها من ضعف، من استكانة، من وجع!

وجع لم تتخيله يوماً!.. نيراناً لم تستشعرها يوماً.. فهي اليوم رأته!

رأت الغائب، وشعور عارم بالدفء اكتنفها، انتشر بخلاياها..
رغم برد النسومات مجرد رؤيته أشعرتها بالحياة، حتى لو من ظهره
ومع تمشيته لخصلات شعره الثائرة، تلتقت لكمة بأحشائها كادت
توقعها..

فهو يحتضن بين يديه، فتاة بشعر بني محمر.. وهي تتشبث به،
تغلق عيناها وكأنها تستمتع بوجودها داخل أحضانها!
وبالثانية التالية تعرفت الفتاة.. سارة خطيبته القديمة!

واشتعلت هي.. فوران متفجر من شيء لم تشعر به من قبل يوماً..
إحساس غريب جعلها تزفر من أنفاسها هواءً ساخناً، ترنحت على
قدميها وقبل أن تسقط استقامت مستديرة تعبر الشارع.. لا ترى
أمامها، تحملها قدماها للمنزل دون وعي أو رؤية حقيقية لما
حولها.. غشاوة حمراء اللون تلفها بحرارتها..
أهكذا يكون الغضب!

لكمة..

يحتضنها.. يقترب منها وأنا؟

يغيب عني ليبقى معها هي!
 يحرمني من دفئي وأماني لتتنعم بهما هي!
 ينبذني وحدي أقابل شياطيني ليعيش حياته هو!
 يتركني أفتقده، أشتاق وجوده، أتمس ماضياً يحويه..
 وهو..!

هو يعيش مستقبلاً لا يحويها!
 أخرى تفوز بتربيته شعرها هي!
 تتنعم بأمانها هي!

عضت على شفيتها وقشعريرة تنتاب أوصالها، ظنته يتلظى بندمه،
 ظنته خجلاً منها، آه منها.. لكن ليس مع غيرها، ظنته حولها
 ينتظر إعلان صفح منها ليعود..

كيف؟.. كيف طاووعه قلبه على الابتعاد والنسيان؟.. كيف تركها
 وحدها دون سؤال أو اطمئنان!

كيف يمنع عنها وجوده وهو من كان دوماً وجوده من
المسلمات؟

وطن آمن وسط هياج الحياة..

لمن تلجأ حين تبغي الأمان!

أ يكون مل!

أ يكون قد تاب عن ذنب مسؤوليتنا!

أ يكون قد فاق من وهم مشاعره نحوها!

وحينها هاجمها شعور لأول مرة.. أنه لربما ابتعاده لا يصاحبه
عودة، ارتعدت.. هطلت دموعها وتتابعت الشهقات وكفا يديها
يكيلون لكلمات ضعيفة واهنة لكيس الملاكمة حتى توقفت تمامًا
تتشبث به، محتضنة باكية.. قلبها تفتك به الأمنيات وعقلها يعلن
التوقف والعصيان.

حين تجأ روحك ترجو الترياق!

"محمد الولد نايم من ساعتها.. مش حياكل حاجة؟"

سألت الجدة السؤال ببساطة وتلقائية عند تجمعهم على طاولة طعام العشاء؛ جعلت ديما تزفر بحنق ماطة شفيتها بسخط.. فرفضها لوجود الضيف المفاجئ واضح للضيرير.. ظنت أن جدتها ستقف بجوارها وترفض ولكن نظرة واحدة لوجه الأستاذ باسل رحبت جدتها هدى به، واحتفت به كفرد من العائلة عائداً بعد غيبة طويلة..

نظرة زاجرة من جدتها تعلمت على مدى السنون ألا تتجاوزها قط فوضعت عينيها بطبقها وتناولت طعامها بصمت غاضب مكبوت واستمعت لجدتها:

- سيبه ينام براحته.. جسمه الفترة دي محتاج الراحة.

فهزت جدتها رأسها بتسليم:

- عموماً أنا حاسيله صينية أكل جاهزة على التسخين، علشان لو صحى وأنا نايمة.

وهز الجد رأسه باستسحسان مكافئاً إياها بابتسامة وتربية كف
حنون، هبت ديما من مكانها حانقة.. لقد فاض الكيل:

- عن إذْلكم شِبت.

وهرعت لغرفتها بسرعة دون أن ترى نظرات الحزن التي احتلت
مقلتي جديها سوياً!!

دخلت غرفتها تشعر بمرارة غريبة في حلقها، كيف يعاملونه بتلك
الطريقة وبذلك الاحتواء؟.. كيف يتقبلونه وهو أتى من مصحة
إدمان؟.. ألم يتعلموا من الماضي؟.. أيأمنوا لمن لم يعرفوه
يوماً؟

ظلت تتلوى على فراشها والأرق يصاحبها.. نبذت الفراش وظلت
تتحرك بغرفتها يمناً ويسرة دون هدف، كيف تخرجه من هنا!..
كيف لن تؤذى مرة أخرى من أمثاله!.. يكفيها ما جرى!

قررت التحدث مع جدها قبل أن تلمس يدها مقبض الباب
تذكرت منامتها الخفيفة وخصلاتها الشقراء الشعثاء، عادت

تبحث بدولاب ملابسها متأففة تبرطم بسخط ويدها تبحثان..
فملابسها البيته أنثوية لدرجة أن الحجاب معها يصبح عبث!
وما ذنبها!

لم تكن تعلم يوماً أنهم سيستضيفون بمتزلهم غريباً مدمناً!..
حينها فقط ارتطمت يدها بتلك البذلات الرياضية فشدت
إحداهم بامتنان ولسانها يتمتم:

- أخيراً فائدة لاقتراحات أم دماغ ناشفة.

والمذكورة مروة قررت منذ فترة حين انتشرت ظاهرة التحرش أن
تعلم ديما كيف تدافع عن نفسها.. أصرت عليها بشراء بذلات
رياضية واسعة فهي ستدربها بالمركز الرياضي الذي تعمل به،
وهي لا ترغب بلفت الأنظار إليهما.. لذا انصاعت ولكن شهر
واحد كان كفيل بتسليم كلاهما أن ديما حالة رياضية ميثوس
منها.. فهي سهلة التشيت ولا ينجح أحد في جذب اهتمامها إلا
بورقة وقلم أو شاشة حاسوب.. والرياضات القتالية تحتاج
لتركيز.. انتهت النزوة بحصولها على بذلات واسعة ملقاة داخل
الدولاب.. انتهت من ارتداء إحداها بلون وردي فاتح وغادرت

تعديل وشاحها تقصد الشرفة التي يجلس بها جدها حتى الشروق..

- جدو ممكن أتكلم معاك شوية؟!!

وابتسامة حنون صاحبت نظرة الجد وتربيتة يد على الكرسي المجاور له..

تقبلت دعوته جالسة وهي تفرك يديها، فلطالما كان بينها وبين جدها تفاهماً من نوع خاص.. تفاهماً أوجده فقدمها معاً.. ابتلعت ريقها تسأله:

- هو حيفضل هنا لإمتي؟

وجاءتها الإجابة بغموض:

- للوقت اللي يحتاجه.

- قد ايه يعني؟

- مش أقل من شهر.

زفرت بغضب:

-إحنا ما نعرفوش.. إزاي..

قاطعها جدها بهدوء:

-شخص واحتاج لنا.. نقفل بابنا في وشه؟

-ده مدمن!

قاطعها جدها بصرامة:

-بيتعافى يا ديما.. اسمها بيتعافى من إدمان مسكنات.

مطت ديما شفيتها بسخرية واستهزاء:

-وهو بقى اللي قالك كده؟

نهرها الجد بنبرة صارمة:

-أنا مش صغير علشان يضحك عليا يا بنت.. ولا مقاليش

حاجة.. أنا طلبت من دكتور عزت في المصحة يبعثلي ملفه

والفحوصات اللي عملوها ليه وقرأته ودرسته.

-حتديله فرصة تانية مش كده!

نطقها ديما باتهام وعيون غاضبة:

دالة عالم

شغيط ورنج

- كل إنسان من حقه فرصة ثانية وثالثة ورابعة يا بنت مصطفى.
- كويس إنك فاكِر مصطفى.. فاكِرِه يا جدي.. و منى مراته!..
- أمي فاكِرها!.. فاكِر ماتوا إزاي ومين كان السبب في موتهم؟
- ابتلع الجد ريقه واكفهر وجهه بذنب قديم:
- ولا عمري في يوم حانسي.
- هزت ديما رأسها بألم لمجرد الذكرى:
- مش باين يا جدي.
- بتلوميني على حبي لابني مش كده؟
- اعتذرت ديما وعيناها تغزوها دموع، وارتعاشة ضعف اكتنفتها وهي تتمتم:
- أنا مش عايزاه هنا.. أنا مش حارتاح وهو موجود هنا..
- وخرجت بسرعة من الشرفة تجري لتحتمي بغرفتها وتسكب وراء بابها المغلق كل ما بروحها من الآلام وافتقاد..
- وأحلام فتاة بالعاشرة فقدت زويها بلمح البصر!

حين تجأر روحك تتلمس الإنصات!

العطش يفتك به وخجله من وجوده ببیت غريب عنه يقيدہ رغم استقبال الجدة هدى البشوش له وتعاملها بطيبة وحنان وكأنه ابنها الغائب.. إلا أن برود ديمًا ونظراتها الكارهة ألزمته واقعه المرير..

العرق يتفصد من جسده، والأرق يلازمه الصداق يكاد يفتك به.. وهو لم يحضر معه أي أدوية من المصحة.. ظل يتصنع النوم خلال جولات الجد التفقديّة، مرة أدخل حقائبًا أرسلها له إياد.. ومرات دخل يتحقق من نبضه ويدثره كطفل وهو نائم.. لكن العطش جعله يتلمس طريقه للخارج يبحث عن المطبخ.. يعلم أن الوقت تأخر لكنه مضطر!

سيخرج ويعود لغرفته دون أن يشعروا به.. ودون أن يدري لمّ التقطت أذنه حديثًا هامسًا جذب انتباهه وسمعها.. سمعها بكل وضوح:

رأيتك دائما

شغيف وارتج

- انا مش عايزاه هنا.. أنا مش حارتاح وهو موجود هنا.

سمع خطواتها المقتربة فتدارى بداخل المطبخ حتى غابت بغرفة يظنها غرفتها.. تنفس بعمق ولكن زفرة نفس آلمته كسكين ثالم..

ترفض وجوده ومعها حق وألف حق.. هو نفسه لا يستسيغ سماحة الجد وإدخاله له منزله بعد خروجه من المصحة.. نسي الماء وتناسى العطش ودخل غرفته ينتوي الرحيل.. إلى أين!.. سيعلم بعدما يخرج من هذا المنزل..

أبدل ملابسه بسرعة وتناول الحقيبة التي لم تفض واتجه للباب ينتوي الخروج أو الهرب لا فارق.. حتى لمح الجد بجلسته بالشرفة المفتوحة عدل اتجاهه سيشكره ويعتذر منه ويغادر بما تبقى له من أشلاء كرامة:

- احم احم.. أنا آسف على إزعاجك.

- لا أبدا افضل يا ابني.

بدا الجد جملته بترحيب تبدل حين أمعن النظر بباسل المرتدي
ملا بس للخروج ويجر حقيبة خلفه للتجهم:

- على فين؟

- معلى أنا عارف إنني تقلت عليكم ومالوش لزوم أخرجكم أكثر
من كده.

أطال الجد النظر إليه وباسل يتململ؛ فالصداع والعطش ومزاجه
الناري يتقاذفون عقله ككرة فرغ منها الهواء:

- اقعد يا باسل.

جلس باسل على طرف المقعد الذي سبق وغادرته ديما:

- أنت عارف أنت رايح على فين؟.. وما تكذبش عليا من
فضلك؟

لهجة الجد وبساطته وكرم أخلاقه جعلوا من المستحيل على باسل
أن يرمي بوجهه الكذبة التي اعدّها عن خال بعيد فابتلع ريقه
متهرباً بعينه:

- حاتصرف.

- ما تزعلش منها يا ابني.

والصراحة المباشرة جعلت باسل يرفع عينيه إليه وحين قابلته
عيون الجد المعتذرة تتمم:

- مش زعلان.. هي عندها حق.

مال الجد ناحيته يربت على ركبته بحنان أبوي جعل باسل يتتبع
يد الجد بعينه وهي تربت عليه ودفء أبوي افتقده منذ زمن
يسري بأوصاله مستمعاً لصوته الهادئ:

- اعذرها يا بني.. على فكرة أنا عارف المشكلة اللي بتعاني
منها، ولازم تعرف إن ربنا بيحبك لأن مشكلتك هينة يا ابني.
ابتسامة ساخرة ارتسمت على وجه باسل..

"هينة"!!

وكانما الجد قرأ ما بعقله، تراجع جالساً باسترخاء بكرسيه متنهداً
بعمق:

- خليني أحكيك حكاية واحد أعرفه.. دكتور كبير مشهور صيته
مسمع بمصر كلها فنى عمره في شغله حتى بيته وولاده كان

بيشوفهم زي الغريب.. الولاد كبروا، اللي بقى مهندس واتجوز بنت عمه وخلف كمان واللي في طريقه إنه يبقى دكتور.. وهو في الساقية بيدور، عيادة مستشفيات جمعيات خيرية أبحاث دراسات وآلاف بيسمعوله.. لحد ما في يوم جاله خبر إنه ابنه الكبير ومراته وابنه الصغير عملوا حادثة.. الخوف والانتظار برا باب العمليات، ثلاثة هما كل اللي ليه في الدنيا وجاله قضاء ربك بموت الكبير ومراته والجنين اللي في بطنها كمان.. أول يوم يحس إنه إنسان وعنده دموع!.. اسودت الدنيا بوشه لولا بنت بشعر أصفر ماسكة في رجله وخايفة.. حفيدته الوحيدة وهي بتططب عليه بتقوله ما تخافش يا جدو أنا جنبك..

صمت يبتلع ريقه مغمضاً عينيه لثقل الذكرى:

- ويشاء ربك يزيد في ابتلائه.. فيجيله خبر إن ابنه الثاني الفحوصات أثبتت إنه مدمن وإن تعاطيه للمخدر هو السبب الرئيسي في الحادثة...

عقد باسل حاجبيه متمتاً:

- لا حول ولا قوة الا بالله.

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاح

فتح الجد عينيه ينظر لباسل بألم:

- عارف عمل إيه؟.. استغل معارفه واتصالاته وخرج ابنه الثاني براءة من تهمة قتل الكبير وعاش معاه في رحلة علاج بين المصححات، وكل مرة يبقى أسوأ من الأول.. وما فقدش الأمل لحد ما ابنه رفضت المصححات تستقبله، مستقبله كدكتور ضاع وكل هم صاحبنا ينقذ حياة ابنه.. ساب شغله وقعد بيه يراعيه ويعالجه ويطلبه.. بس الولد دوامة الذنب اللي كان غرقان فيها كانت أكبر من كل المحاولات.. وبالنهاية انتحر.

زفر الجد بعمق وهو يردد من جديد:

- صدقني هينة.. ثق أنت بس بقضاء ربك وارضى بيه.

شرد باسل ولم يمهله الجد إلا وأخرج من جيبه شريط دواء معطياً باسل منه حبة واحدة وهو يردد برجاء:

- قوم يا بني ادخل أوضتك وخذ، ده مسكن للصداع وحيساعد في آلام الظهر شوية ويخليك تعرف تنام.. ولو ظهرك تعبك أو

لسه الصداع شديد تعالى ليا تاني وأنا حاتصرف.. أنا بقعد هنا
لحد الفجر.

لا يعلم لم أخذ القرص من يد الجد ولا لم انصاع لرجاء الجد
الآمر!.. ولا كيف تحرك للغرفة مستلقياً علي فراشه يعيد كلمات
الجد وحزن عينيه وهو يفتح له قلبه!.. يدلي أمامه بمكنون
روحه.. غافله النوم ليحلم بطفلة بخصلات عسلية تقف جواره،
تمسك بينطاله وهما معاً.. وقفا يشاهدا سيارة تحترق وجثث
دامية تتراص.. كابوسه المعتاد، لا جديد!..

أبوه وأمه وأخته والمختلف وجود اثنان يكاد يجزم أنهم أبو وأم
الطفلة.. لا صراخ.. لا عويل.. فقط عبرات تحفر طريقها
بالقلوب، وحين أيقن بهويتها تهاوى على ركبته يحتضن الفتاة
الباكية وتشاركها بكاء الروح..

حين تجأ روحك تبحث عن الحبيب!

يقف بمكانه الأثير على مدار شهرين ونصف.. يراقبها كل يوم وكل لحظة من خلال شروخ نافذة الغرفة الخشبية، يراقبها وهي تتوجه للسماء تداري عن رفيقاتها ضعفها.. وهي تتجلد تمنع عن نفسها البكاء!

يظل يراقب ويراقب حتى يسود الظلام غرفتها من خصائص نافذتها فيطمئن قلبه أنها تنام بأمان.. لم يظن يوماً أنه سيصاحب الظلام، ارتعشت أنامله؛ فرفيقه الوحيد طوال تلك الفترة هو صورتها.. اللمحات التي يتشبع بها وهو يراقبها بالطريق، بطريقها لدروس التصوير التي تأكد أن تصلها منهم دعوة على شكل إعلان بهاتفها فصيده القديم صاحب المركز أسدى له تلك الخدمة دون عناء يذكر..

حين يشاهدها تطوق خصلاتها بعناد لذيذ مع هواء البحر الجامح، حتى مع رفض معتر المستفز لأعصابه لمشاركته ما تخبره به.. جز على أسنانه.. هناك من يحتفظ بذكرى منها بعيداً عنه، حتى وإن شاركها مراقباً..

تنهد بقوة.. يتذكر محادثته مع معتر تلك التي كشفت له ما بداخله، هو يقر بأنه جيد جداً بما يفعل.. فهو تركه بمواجهة صعبة مع دواخله، مواجهة استلزمت منه الكثير من الوقت ليتقبل حقيقة أنه يعشقها.. يتذكر يوم غابت عن عينه تركب تلك السيارة مع ديما حتى ترجل مسرعاً لمعتر متسائلاً يطالب تفسير:

- هي راحت على فين مع ديما يا معتر؟

التفت له معتر مندهشاً من وجوده، مترجماً تلك الدهشة لسؤال مضيقاً عينيه:

- أنت هنا من أمتي؟

- من لحظة ما عرفت إنها عندك؟

ارتفع حاجبي معتر بدهشة وهز رأسه مغمغماً:

- طيب اتفضل معايا شوية يا هشام فوق.. محتاجين نتكلم.

أمسك هشام بيده متسائلاً بعينين مرهقتين:

- طمني عليها بس.. هي كويسة؟

ربت على كتفه وهو يسوقه مطمئناً:

-حَتبقي كويسة ما تقلقش.. تعالى معايا، محتاج أدرش معاك شوية.

وبغضون دقائق كان هشام يجلس بمقعد مريح ومعتز يجلس جواره بجلسة شبه ودية ومعتز يمد له كوب قهوة ويتناول خاصته.. ومازالت الدهشة تكتنفه من تصريح معتز بالمصعد:

-هي سافرت اسكندرية!

عادت للمنزل القديم وتوجع قلبه، أتهرب منه لِمَاضٍ مَوجع!

ماذا عن خالد؟

أفضلت أن ترمي بنفسها لاحتمال ظهوره عن وجودها معه بنفس المنزل!!

شحب وجهه بقوة يشعر بثقل الضربة الموجهة له..

أخرجه معتز من دوامة أفكاره بسؤال بسيط بكلماته كارثي بمعانيه:

- ايه اللي حصل بينكم؟

رفع له هشام عيون مستنكرة متسائلة!.. أتكون حكت له؟.. ماذا سيظن!.. أنه منحرف يشتهي أخته بالرضاع!

- هي قالتك ايه؟

- قالت إن إنتوا مش أخوات.. ده حقيقي يا هشام؟

ابتلع هشام ريقه وهو يومئ برأسه مؤكداً فأعاد معتر سؤاله:

- أنت تعرف الموضوع ده من إمتي؟

- اتفاجئت بيه من فترة قريبة.

هز معتر رأسه بتفهم:

- كان رد فعلك ايه؟

رفع هشام له عيون محتارة غير مستوعبة!.. بما ستفيده تلك المعلومات والأسئلة التي لا تدور حولها هي؟:

- حيفيدك بايه رد فعلي؟

ارتشف بعضاً من قهوته مغمغماً:

- بندردش شوية علشان أعصابك تهدى.. وحتكلم عنها زي ما
 تحب بعد كده.. قولي بقى رد فعلك كان ايه على خبر زي ده؟
 زفر هشام وأجابه مرتشفاً بعضاً من قهوته:

- غضب.. إحساس بخيانة الثقة.. بالكذب عليك من أغلى
 الناس عليك.

الغضب نضح من عضلات جسده بوضوح التقطته عيون معتر
 فسأله بمرح زائف:

- قولي.. أنت حبيت قبل كده؟

وارتفعت له عيون هشام.. تاه عنها الغضب وحلها التعجب:

- نعم!!

- جاريني.. بندردش، جاوبني علشان أجابك.

وضح معتر مذكراً إياه:

- حبيت قبل كده؟

زفر هشام هازماً رأسه بسخرية وأجابه:

- لا ما كانش عندي وقت للكلام ده.. كان عندي عيلة ومذاكرة
وشغل.. ما كانش في وقت للمراهقة دي.

- ولا مرة!

- ولا مرة.

- مش معقول ما يكونش ليك فتاة أحلام!.. حد تتمنى في يوم
يكون لك سكن، شريك في الحياة!
زفر هشام مبتلعاً ريقه:

- لا في.. بس كانت مجرد صفات، حد أرتاحله ويشدني..
يفهمني ويتحمل مسئولياتي..

- ودلوقت!

نظر له هشام باستفهام فوضح معتر:

- أنت قلت كانت مجرد صفات.. ايه اللي اتغير؟.. بقي لها
صفات جسدية!.. وجه معين مثلاً؟

ارتعشت حدقتا هشام ووجه انتباهه لقدح قهوته، فمند صاحب
وجهها أحلامه كان يبتعد.. يبتعد بأقصى ما يمكنه، يمنع يده
عنها ولو بلمسة أخوية.. أصر عليه معتر فجاوبه بتمتة هاربة:

-حاجة زي كده.. وأنت؟

ابتسم معتر وجاوبه بمرح:

-لا.. أنا حبيت واتحبيت في مراهقتي واتجوزت وطلقت كمان.

-لسه بتحبها؟

قهقه معتر بصوت عال وهو يخبره:

-بحب لها الخير.. أنا رجعت مصر أصلا علشان أحضر فرحها..

وذكرى سمراء بخصلات حالكة.. انتشل نفسه سريعاً من ذكراها
التي أصبحت تراوده كثيراً مؤخراً وأردف بتوضيح:

-زمان كنت باسب عقلي يقودني.. بس طليقتي علمتني إن
حسابات القلب ما ينفعش نستهن بيها أبداً.. مش حترتاح إلا لو
قلبك ارتاح، خدها من واحد خبرة.

دالة عالم

شغيط ورنج

وانطلقت ضحكاتها تبدد قليلاً من التوتر والقلق:

- حتى لو القلب مطالبه جنونية مستحيلة وراحته تعدي حدود المنطق!

- اسمع له، ناقشه، وحتلاقي إن جنونه هو عين العقل..

وحينما حاول سؤاله عن يارا اعتذر بكياسة متعللاً بقسم مهني على سرية ما يدور بينهما.. فقط طمأنه بغموض:

- هي متلخبطة.. الصدمة وواضح إن في حاجة حصلت زادت من شدة الصدمة، كسرت جواها باب كانت قافلة وراه كثير.. نصيحتي المهنية؛ ما تضغطوش عليها.. سيبوها براحتها تماما لحد ما هي تطلب منكم التدخل أو حتى إنها تشوفكم.. بلاش تفرضوا نفسكم وهي مشوشة، إدوها مساحة تتقبل فيها نفسها وتتصالح مع المكسور جواها.. المهم انت يا هشام محتاج تبقى صريح مع نفسك.. محتاج تسأل قلبك وعقلك السؤال الصح ويكون عندك الشجاعة تتقبل أجابتهم..

وكانت لحظة الانكشاف..

رأيتك عالم

شغيف وورح

هو يحبها بل يعشقها منذ وعى عقله عن معنى الحياة
لم يفكر يوماً بحبيبة لأنها كانت هي دوماً..

غضبه، ضيقه، ابتعاده يوم خطبت للمسمى خالد لم يكن له
تفسيراً سوى عدم ارتياح له..

حمل بداخله عتاباً لأنها أطاعت وانصاعت وهو من سلمها له
بيديه..

يجب أن يبتعد فبالقرب هلاك!

وقد كان.. تركها وقرر ألا يعود إلا بعد أن تسمح له هي بالرجوع
حتى وإن كلفه عمره بأكمله.. وضع وصية تحسباً وترك لهم كل
شيء وعاد وراثتها، معها.. لا يهم..

مكالمة أخرى لصديق وبغضون ساعات وصله مفتاح شقة صديقه
المهندس أحمد، ربما يكون أحد حسنات حياته كثرة أصدقائه
الصادقين.. تخفى واختفى وحرص ألا يعلم أحد مكانه حتى أمه
وأخوته.. صحيح أن الذنب المكمل كتفيه ثقيل، لكن هو بأكثر

من قادر على الاعتراف به.. وتحمل أي عقاب يرتضوه.. لكنه فضل أن يجنبهم الصدمة، اختار عقابه ونفذه دون تهاون.. أن يتركها.. هي وحدها دون أن يكون معها.. حولها.. أن لا يطمئن على أمه في وعكتها إلا عن طريق علاء المحامي صديقه القديم..

أن يترك أخيه بمرضه وحده حتى وإن كان الممرض الذي ينقده المال بشكل شهري عن طريق علاء؛ يمدده بكل أخباره أولاً بأول..

عن أخته ذات الوجه الواجم والملامح المرهقة.. دون أن يستطيع معرفة أي تفاصيل!

وقت أن حدث وشعر بأصوات ومشاكل من بين خصائص شرفتهن فأسرع إليهن..

يتذكر حين رأى المدعو ليث يحمل مروة كاد أن يقتله.. وفتك به الغضب والذعر وتشتت عقله وقلبه لولا أن أخبره ليث أن كل المعتدين فاقدى الوعي.. والفتيات لسن بالأعلى وهو يعلم.. هو

كذب عينه حين رأي نورًا بغرفته بالطابق الأعلى.. قلبه أخبره أنها هي وأنها هناك.. لذا أسرع بليث ومروءة الفاقدة الوعي للشقة القاطن بها..

تنهد وهو يتذكر مراقباً عقارب الساعة، تجاوزت منتصف الليل بكثير.. وما زال نور غرفتها مضاء.. وجملة معتر التي أخبره بها اليوم حين قابله ترن بعقله:

- أحيانا يا هشام بيكون اللي محتاجينه من كتر ما هو قدامنا بتتوه عنه عيننا.. بنحتاج نبعد، نفقده؛ علشان نحس بقيمته.

ترى هل يمكن!

هز رأسه.. خيالات، أحلام وأماني.. فشبه لمسة لها جعلتها تنفر، تهرب.. ابتلع ريقه يتذكر أخرى.. لم يصدق حظه وهو يراقب يارا ككل مرة، يجدها تقف أمامه بملابس سوداء تبتسم وعيناها تتعلقان به بحنين يعلمه جيداً.. فهو يصاحب عينيه كلما نظر للغافلة عن وجوده الراضة له:

- سارة!

- هشام.

ولم يشعر إلا وهي بين يديه تحتضنه، أذهلته.. فاجئته وغافله
الهواء البارد نازعاً قبعته أيضاً.. ظل يمسد خصلات شعره يحاول
الخروج من الموقف بأقل الخسائر، فهو لا يرغب بجرحها:

- سارة.. ما يصحش كده من فضلك.

أفلتته وابتعدت باحمرار وجه خجول، ربما تؤنب نفسها.. ربما
تخجل من اندفاعها:

- أنا آسفة اتكعبلت و...

تلعثمت وأنقذها هو:

- ولا يهملك.. أنا زي أخوك.. حصل خير، تعالي نقعد.. أزيك
وأزاي عمي مهاب وطنط بقالي كثير ما كلمتوش.

تنهدت وهي تجاوره في وقفته تتأمل بعينه بأشتياق مفضوح:

- بابا نفسيته تعبانه شوية علشان وفاة عمي الكبير
وحين تتمم بتعزية واجبة أردفت:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

ودون أن يشعر أخبرها:

- كنت مع خطيبتِي.

والصدمة على وجهها جعلته يسب نفسه بداخله، ولكن لا تراجع عما قال الآن.. ابتسم لها مؤكداً يقابل عينيها الغير مصدقة!

ابتلعت ريقها وهي تعتذر وهربت بسرعة من أمامه، لم يتسنَ له الوقت حتى يسألها عن العنوان .. تنهد والتفت يبحث عن طيف يارا الذي غاب عنه فأسرع خلفها ولم يرها منذ وقتها..

بدأ يذرع الغرفة قلقاً.. لن يستطيع أن ينتظر.. وبهاتفه اتصل بمروة، الجندي الخفي له.. أتاه صوتها الخافت:

- أيوة يا إتش.

- ما تخليش حد يعرف إني بكلمك.

- تمام.. آه ثواني.

ثوان ووجدتها تخرج للشرفة وعيناها تتأملان النافذة القابع خلفها:

- عاملين ايه؟

تنهدت:

- الحمد لله.. كان قلبك حاسس.

- في ايه؟

سألها بتوجس:

- ميرا راجعة من برا شكلها متغير.. متضايقه، ويارا.. لا يارا حوار تاني خالص!

- ميرا مالها؟.. وماتهربيش.

- زعلانة مع إياد مش أكثر.

هي لا تستطيع الكذب مهما حاولت، وتخشى أن تعلمه بما حدث حقيقة فيسوء الأمر.. تنهدت تقطع عليه استجوابه:

-مفتقداك.. كلنا مفتقدين وجودك يا هشام.. أنت فاكر غيابك

سهل علينا؟

زفر متنهداً:

-غصب عني..

سألها مكملًا بتوجس:

-ويارا مالها!؟!

-عارف جملة تشتعل من الغضب!.. هي دي يارا.

عقد حاجبيه بعدم فهم وهي تردف:

-تخيل عايزة تكسر ودخلت ضربت مهند الغلبان.

وكل ما بتفكير هشام؛ ماذا فعل لها معتر لها ضايقها؟.. هل

تعرض لها أي شخص بطريق عودتها؟.. سب نفسه لسماحه

لسارة بتشتيت تركيزه لدقائق غابت هي عنه:

-ادخلي شوفها وطميني.. هي ما نامتش.

حادت عيناها للنافذة التي تجاورها ورأت الضوء المنير من
خصالها فابتسمت وهي تردف:

-حاضر.. أنت تؤمر.

أغلقت معه الخط وقبل أن تخطو للدخل رن هاتفها برسالة لفتت
انتباهها..

لتجده السيد الغامض!

.....

"سهرانة ليه لحد دلوقت؟"

رفعت مروة نظراتها لتجده أمامها متكئاً على سور الشرفة المقابلة
يراقبها بعيونه السوداء وملابسه السوداء

"على فكرة في ألوان تانية غير الأسود"

"ما برتحش غير فيه"

"اسمجلي أقولك.. كئيب"

والرد بوجه أصفر يحمل ضحكة صفراء مثله

"ميرا أخبارها ايه؟"

والسؤال حفز كل طاقاتها الدفاعية

"بتسأل ليه؟.. هي راحت فين معاك؟.. اوعى تكون ضايقتها!"

"مجرد اطمئنان... ومش من حقي أقول! اسألها"...

"اسألها برضه!"

ثم جزت على أسنانها

"هو ما ينفعش ترد رد صريح ومباشر أبداً"

"اسألني صح وأنا أجابك"

تنهدت هي ورائها مهمة وهو يعطلها

"تصبح على خير الوقت أتاخر"

"عايز اطلب منك طلب؟"

عقدت حاجبيها ترفع عينيها له وتهز وجهها مستفهمة فأرسل

رسالة أخرى

"عايزك تدرييني"

بالرسالة

جيداً

النظر

دققت

"أدربك على ايه؟" !

"هو انتِ بتدربي ايه" !

"ايكيدو!! بس أنت مش محتاج"

"عندي فضول"

"ما فيش مشكلة تعالى المركز واتفق على ميعاد وحادربك"

"ما فيش مكان غير المركز؟ مكان خاص بيكِ أنتِ؟"

"لا ما ينفعش.. يا المركز يا شوفلك حد غيري" !

"أنتِ بتعملي ايه عندك؟"

والصوت جاء غاضباً مستنكراً من عصام الذي اقتحم المشهد فما كان منها إلا أنها انتفضت وعينيها حادت للشرفة المقابلة وليث يستقيم بوقفته ويتجهم وجهه هتفت به:

- عصام!! أنت جيت هنا امتي وازاي؟

رد بسخرية وعينه تنتقلان منها ومن هاتفها للقابع بمقابلها
بالشرفة المقابلة:

-جيت بالعربية مع زيد

وارتبكت كالمتلبس بذنب وخطت للدخل لينظر هو بغضب
للواقف أمامه عاقداً ذراعيه ببرود فهتف به:

-خير في حاجة!

ولم يرد ليث ظل عصام يحدق به ، هو يعرفه.. رآه من قبل لكن
أين؟ أين؟

تذكر ولمعت عيناه فسأله بتلويحه من رأسه:

-أنت صاحب إياد مش كده؟

لم يجاوب فقط شبه ابتسامة ارتسمت على وجهه وحين طال
التحديق رفع له إصبعيه السبابة والوسطى محيياً بتحية عابرة
ودلف للدخل وعصام ازداد غضبه ماذا كانت تفعل معه
الحمقاء؟

فهتف وهو يخطو للدخل:

- مروووووة

وحين دخل وجد الحوار محترم وحامي بين زيد وميرا
هي تعاتب، تلعن العمل الذي لم يجعلهم يأتون بأسرع ما عندهم
إليهن وترغي وتزبد بماذا لو...

عصبيتها فاقت كل ما رآه منها سابقاً وعيناها تحتشد بها دموع
قلق، غضب، قلة حيلة..

دموع غريبة على عيون أخته وباتت تستوطنها

زيد يحايل يبرر ومروة تهدي الموضوع مرددة:

- حصل خير ليث كان موجود والموضوع اتلم

وثارت نائثرته وهو ينظر لها شزراً بما يفيد أن حسابها معه لم ينته
وهي لا تهتم..

جز على أسنانه ويسمع أخته تهتف بغضب:

- تنحرق الاجتماعات احنا أهم.. احنا..

وشهقت شهقة والتالية كانت بين ذراعي أخيها عصام يحتضنها
بقوة يهتف بها بصرامة:

-اهدي اهدي احنا هنا.. اهدي

وانهارت للمرة الثانية على التوالي أمام عيونهم المندهشة وزيد
يسأل مروة بخفوت:

-هي مالها؟

هزت كتفيها بعدم فهم وأعاد سؤالها:

-فين يارا؟

لتتذكر مروة مهمة هشام فأشارت لغرفتها وصاحبه وتركت ميرا
تتعلق بحضن أخيها وعيناه تصاحبان خطوات مروة بغضب ينتظر
الانفجار

دخل زيد ليجد يارا جالسة فوق سريرها تناظر النافذة برجاء
غريب وعيون محمرة تشي بقدر لا بأس به من البكاء

اقترب منها حتى جاورها ولم يصدر منه سوى جملة
"أنا جنبك"

لترتمي بأحضانة..

ترغب بالبكاء، ولا تجد دموع
ترغب الصراخ، ولسانها معقود

تتشبث بقميص أخيها ترتجف تشعر بضياح لم تشعر به من قبل

- مالك بس فهميني فيه ايه؟.. ما تخافيش

زاد من احتضانها وزادت من تشبثها به
كيف تخبره أنها تحتاج لطمأنة أنه سيعود من أجلها.. سيعود
ليكون حولها تحتاج لطمأنة لا يستطيعها سوى هو!

حين تجأ روحك ترجو احتواء!

حين ينتهي اليوم بأمل مفاجئ يجب أن يكون سعيداً متفائلاً

باسل آمن بعيداً عن يدي أشرف..

وأمه بخير عند السيدة أحلام خالة ميرا..

وميرا رغم مكالمتها الحادة الغاضبة مع ليث واتهامه بأنه لم يعد
منتبهاً كفاية لأداء مهماته، فما زال لا يصدق كيف غفل عن
توثيقهم والإمساك بهم لاستنطاقهم!

منذ متى يتشتت تركيزه بتلك السهولة!؟!

ولكن يعترف أنه ما زال وجوده هناك يطمئنه على زوجته
تحرك بمنزل باسل الفارغ من صاحبه يتذكر مكالمة العم مراد
والد ناريمان له بالمكتب عن مستندات ووثائق ستنهي أشرف
للأبد من إدارة الشركة، يبدو أنه منذ آخر إجتماع لمجلس إدارة
المؤسسة وجد أن المجلس لا يوافق على طريقة أشرف في
النبش وراء الحياة الخاصة لإياد، خاصة مع استقرار الأسهم
 ووضع المؤسسة نجى من الفضائح الأخيرة دون خسائر تذكر..

لا يستطيع النوم فمند غادر منزله أصبح النوم يجافيه لا يعلم ما
يقصده عمه مراد بمعلومات تنهي الصراع لصالحه ولكنه تركه
بفضوله ضارباً له موعداً بالرابعة عصر اليوم التالي ودون أن
يدرري حاول أن يتصل مرة تلو الأخرى بزوجه وهاتفها مغلق..

زفر بسخط لا يرغب بالاتصال بليث فهو لا يحدثه اتصل بمروة
ولم تخب ظنه ردت بسرعة وبعد التحية سألتها بوضوح:

- هي عاملة ايه؟

ابتعدت للشرفة من جديد بعيداً عن صوت شهقات ميرا الباكي:

- كويسة الحمد لله

- متأكدة أنها كويسة؟

عقدت حاجبها بتعجب أشعر بها وبضيقها؟

أيشعر بيكائها؟

لكنها أوصتها ألا تخبره بأي شيء عنها بأي وقت يتصل بها وإلا

فلتقابل غضبها:

- اه.. بتسأل ليه؟

وزفرته وصلها لهيبها الساخن رغم الأثير فأردفت:

- أنت قلقان بخصوص اللي حصل؟.. موضوع الخطف هو ليث

ما قالكش؟

-قالي.. لسه قايلي النهاردة الصبح.

-ومادام عرفت ما جيتش ليه؟

تنهد:

- ورايا شغل مهم واجتماعات ما ينفعش تتأجل وليث طمني.

وفهمت مروة كلمات ميرا الغاضبة عن العمل ولعناتها.. لم تقصد بها زيد وعصام قصده هو.. تعلم أنه لن يتخلف عن عمله ليكون بجوارها أو يطمئن عليها.. أغمضت عينيها تهز رأسها فابنة خالتها عاشقة.. عاشقة حتى النخاع ولم تجد ما تقوله فهي فاشلة بتلك الأمور:

- أنت أدري بأولويات حياتك ايه يا إياد.. واطمن هي كويسة حتى لو مش كويسة هي بينا وراحتها عندنا أهم حاجة اعتذرت مسرعة لتغلق الهاتف ولم يتركها تغلق إلا بعد أن وعدته عند احتياجهم لأي شيء أن تتصل به

هزت رأسها غاضبة هو يفتقدها وهي تحبه..

غباء في غباء..

رأيتك عالم

شغيط ورنج

الحب غباء مؤلم..

رن هاتفها من جديد لتزفر ما باله هاتفها لتجد رقم هشام
فغمغت بسخط:

- هو أنا اتقلبت سنترال ولا ايه!!

وحادثته تطمئنه، تهدئ من قلقه بما أمكنها من كذب وقلبها
يدعو ألا يكتشفها عبر الأثير.

حين تجأ روحك تبحث عن السند!

"أنا حال البنات مش عاجبني.. خالتك عمالة بتتصل كل ساعة
مش مقتنعة بحوار الرحلة الأجازة اللي قولتها حاطلها معاك
دي واتحججت علشان مامة إياد تاخد راحتها.. ميرا ما صدقتش
لما عرفت إن مامته عندنا غضبانة من يوم ما مشيت حسيته
ارتاحت"

نطقها زيد بقلق وهو يجالس عصام بغرفة الاستقبال بالمنزل،
وعصام يهز قدمه بغضب يعرض على شفثيه فمظنر مروة مع

المدعو ليث لم يجعله ينام ما بقي من الليل بعد أن هدات ميلا
ونامت.

- عصام.. باكلمك أنت فين؟

- اللي اسمه ليث بيعمل ايه في شقة أحمد؟

- شقة أحمد!!

نطقها زيد متعجباً ليفسر عصام بكلمات بسيطة..

- ايوه شقة أحمد زميل هشام الشقة اللي قصادنا.. اللي اعرفه انه

نقل من هنا خالص بس ايه اللي وصل ليث ليها مش فاهم؟

فهب زيد من مكانه يصل بعض النقاط ببعضها؛ رواية مروية

عودتها، ظهور ليث وشعر بوجود حلقة ناقصة..

فهب من مكانه:

- انا نازل شوية وجاي

- رايح فين فهمني؟

- لما ارجع حتفهم

وغادره والآخر يتلظى من غضبه فليتها هنا!

فالهانم ذهبت للمركز الرياضي من الصباح الباكر ولم يتسنَ له
فرصة استجوابها ماذا كانت تفعل معه بعد منتصف الليل
بالشرفة؟

"هو حيفضل قاعد في البلكونة كده كثير؟"
مضطرة هي أن تواجهه على الإفطار.. فجدها أصر أن يقوم
ليتناول فطوره معهم ولكنه استولى على الشرفة!
-اووف

نفخت بحنق حين واجهت عيون جدها المحذرة وعيون جدتها
المستنكرة وهي تغمغم من بين أسنانها:

-ديما!! جراك ايه!.. ده ضيف عندنا

رفعت ديما يديها باستسلام ملقية لهم جملة:

-ميرا تعبانة ومحتاجة أسافر لها، فبعد إذنكم أنا حاسافر لها بكره
هز الجد رأسه وهو يمسك بكف زوجته يوقفها عن الاعتراض..

رأيتك حاتم

شغيف وورحة

هبت من مقعدها وغادرت للعمل مسرعة ملقية نظرة ساخطة على باب الشرفة وحين أغلقت باب المنزل دخل هو مبتسماً للجدين وهو يجلس ببساطة على الطاولة مغمغماً

"صباح الخير"

وبدأ يتناول إفطاره أمام دهشة الجدين وابتسامتهما

"جاهزة نروح؟"

التفت مروة بدهشة واضحة تناظر عصام الواقف أمامها بأريحية غريبة مغمغمة:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

- كنت قريب من هنا قوت أعدي عليكِ ونروح سوا

"للأسف مش حينفع"

والصوت المقاطع قاتم أجش عميق..

والتفت عصام بحاجب مرفوع مستعداً للعراك ليجده ليث

وابتسامته ناصعة البياض يقف أمامه:

- أصل في بينا ميعاد دلوقت!.. مش كده يا مروة؟!
ابتلعت مروة ريقها وتمالكت نفسها من دهشتها مسرعة وهي
تمتم:

- آه فعلاً.. اتفضل يا ليث، أنا جاهزة ومستنيك!
وأمام عيون عصام المندهشة تمت:

- معلىش يا عصام.. آسفة مش حينفع!.. روح أنت، ورايا تدريب
وغادرتة بخطوات واثقة نحو أرض التدريب وليث يرميه بنظرة
غامضة متمماً:

- ما تقلقش أنا حاروحها معايا

وتبعها ليث ووقف هو يراقبهما يقتربان من بعضهما؛ توجهه
ويستجيب، تعلمه الضربات والأحمق الأسمر سريع التعلم بشكل
مغيظ، ويسقطها أرضاً معتلياً إياها! وقبض عصام قبضتيه بغضب
يرغب في كسر يده المطوقة إياها..

ومرات أخرى تسقطه هي، يتضحكان!

وهنا لم يعد يحتمل.. قطع المسافة ووقف بينهما يهمس لها من بين أسنانه:

-ايه المسخرة دي! لمي نفسك ويلا على البيت!!
ومروة على أرض الملعب تتلبسها روح قتالية لا تمت للأنوثة
بصلة رفعت حاجبها لعصام تسدد له سبابتها بوسط صدره:

-أنت اتجنتت صح! اخرج من ملعبى حالاً.. حابب تتفرج
اقعد، مش عاجبك مع السلامة.. مش حاقبل بهزار في وسط
تدريبي، أنت فاهم؟

وظلت أعينهما تتصارع هو بغضب وهي بحزم لم يره بعينها قبلاً
والتفت عصام مغادراً يتوعدها بالمتزل فقط ما إن تعود..

ظل ينتظر وينتظر والساعة قاربت على السادسة ولم يظهر وهاتفه
غير متاح أيكون قد خلا به!.. فا بالنهاية ما جعله يصمت كل هذ
السنين هو خشيته من أن يفضح أشرف ناريمان..

الآن فقط فهم لما اختار ناريمان لأذيته.. فهي بالنسبة له هدف
ثمين يمسك أبيها تحت رحمته ويقضي على كرامته..

لم يصدق ما أخبرته أمه من تغير ناريمان ووجودها بجانب أبيه
البارحة واليوم..

لا يعلم لم يشعر أنه مديناً لها رغم كل الأذى المتبادل إلا أنه
يدين لها!

اقتحمت المكتب السيدة منى مدير مكتبه بعيون باكية جعلته
يهب وأسوأ الاحتمالات تمر بعقله وهي تشهق:

- باشمهندس إياد.. مراد بيه ومدام إيمان

توجس قلبه شراً مقبلاً فسألها بتوجس مترقب:

- مالهم؟

- عملوا حادثة وفي مستشفى.... الدولي وحالتهم خطيرة..
السواق لما حاولنا نكلمه بلغونا في المستشفى.

شهقت بالبكاء وهو يهرع من مكانه للخارج
الأفكار بعقله تتوالى؛ كيف؟ ومتى؟

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاحي

التوقيت!! التوقيت مريب..

أ يكون القدر موالياً لأشرف؟..

أ يكون!!

دقائق مرت وهو واقف بباب غرفة العمليات وحين خرج الطبيب
معلناً

"البقاء لله"

ذهل.. وشعر أنه بدوامة غريبة؛ دوامة الفقد.. حتى وإن كانوا
أشخاصاً ليسوا بقريبين منا..

إجراءات..

وأصعب اتصال قام به لأبيه يبلغه.. لم يصدق حين سمع صرخة
ناريما على الهاتف عبر الأثير..

أغمض عينيه لا يستطيع أن يتخيل إحساسها الآن أبداً!

دقائق أخرى مرت ليجد الاثنان يستندان لبعضهما البعض؛
ناريما تمسك بأبيه، وأبوه يستند عليها فوق الفقد عليهما

الله عالم

شخصيات وروايات

عنيف ثقيل.. أبوه فقد أحد أصدقائه المقربين، رفقاء الحياة
لثالث مرة؛ الأولي: أبو باسل بحادث السيارة، والثانية: أبو
أشرف بذبحه قلبية حادة، والآن صديقه الثالث بحادث سيارة
كارثي آخر..

لم ينطق أبوه سوى بجملة واحدة:

- عايز عمك مراد ومراته يدفنوا النهاردة، فاهم؟.. لا تشرح
ولا ثانية تأخير.. اتصرف

وأمر أبيه نفذه بالحرف الواحد.. وبغضون ساعات كانت كل
الإجراءات قد تمت..

وها هو يخرج من المقابر يمشي في عقب أبيه يخشى عليه من
الوقوع.. يشعر بقدمي أبيه ترتعش ولكنه متماسك أمام الجميع..

الكثيرون حضروا رغم ضيق الوقت بانتظارهم عزاء نصب بقصر
المرحوم وحين اقتربوا من السيارة الجالسة بها ناريمان بشرود
وعيون زائغة غير مستوعبة خرجت من السيارة مسرعة عند
اقترابهما:

- خلاص دفتوهم!.. خلاص يا عمو حنسيهم هنا لوحدهم
ونمشي!!.. حد يرد عليا!!
وتهالك عبد العزيز يستند بيد على ركبته ويد على السيارة
وتلقفها إياد يضمها وبعيونه دموع غريبة تلتمع ويكافحها
بكل ما لديه بقوة وهي تصرخ تنادي عليهما بوجع.. بنبرة
طفلة تتألم، قبضاتها تعارض الاحتضان، الاحتواء ترغب
بوجودهما حتى لو كان بالاسم.. ليست مستعدة بعد
لفراقهما

ليس بعد.. ليس بعد
يقيدها بذراعين قاسيتين يحاول إدخالها السيارة وهي تصرخ
وتبكي.. وحين شعر بفلاش كاميرات أسرع بإدخالها بالقوة
بالسيارة ثم أتبعها بأبيه والتفت يشير للأمن المستجد المرافق وهو
يقود السيارة بنفسه..

فما زال لديهم الكثير من المهام؛ يجب عليهم تلقي العزاء بصبر
واحتمال..

بعد الانهيار خارج المقابر صمتت ناريمان وكأنها تركت صوتها هناك..

توافدت نساء الطبقة المخملية يقدمن واجب العزاء بهدوء وبرود، حولها خيالات من ملابس سوداء تذهب وتأتي وهي تهز رأسها تمد يدها وقت أن تجد يداً ممدودة لها..

لم تميز من أتى ومن لم يأتِ هي غائبة..!

كل نصف ساعة يطل إياد يراقبها يطمئن عليها وكل مرة يجدها بصمتها بنفس جلستها؛ أصابعها تحتضن بعضها بحضنها.. وليست بهذا العالم..

فرك وجهه بضيق وفقدان للأمر.. لا يستطيع تقديم أكثر مما قدم فهو أبعد ما يكون عنها وقربها الآن من أبيه خطر على كليهما.. فأبيه يصر على أن ناريمان ستغادر معه للمنزل.

وحين انفض جمع المعزين رفضت هي بإصرار..

وأبوه وافق على مفضل حين أخبرته أنها ستأتي بعد أن تنتهي أيام العزاء وخارج القصر سأل إياد أبيه:

- أنت كويس؟ محتاجني أوصلك؟
رفع له عبد العزيز عينين منهكتين ولم يجبه فقط أشار لسائقه
وغادره دون كلمة..

ربت السيد شوقي المحامي صديقهم الرابع على كتف إياد
مغمغماً:

- معلى يا ابني.. اعذره الصدمة صعبة.. أنا حاروح معاه
ومش حاسيه لوحده.. بس بلغ أنت والدتك هو محتاجها
دلوقتِ أكثر من أي حد فينا.

وتذكر إياد من نسا هم بخضم الأحداث

استقل سيارته يقودها مكملاً اتصالات بالبقية الذين لم يعلموا
بموت العم مراد وعلى رأسهم أمه..
ولم يصدق رسالة التعزية الوافدة من رقم غريب
"البقاء لله ابقى طمني على ناريمان... مش قولتلك أشرف مش
حسيب حد خلي بالك من نفسك ومن عمو وطنط يا إياد...

مهرة"

يقال أن بالأزمات نتخذ أغبي القرارات، حين نرزح تحت الضغط.. حين نخشى على من نحبه؛ تتوقف الخلايا السليمة عن العمل ويتصدر المشهد الهلع والخوف على كل من يهمننا بالحياة..

لذا لم يجد سوى صديقه ليثبه قراره الأخير:
-حاطلقها!

نطقها إياد بلهجة غريبة على مسامع باسل الذي سأله:

-حتطلق مين؟

زفر إياد بنفاذ صبر:

-هو أنا متجوز كام واحدة يعني!

بسخرية هازئة رد باسل:

-مش عارف!.. أنت أدري، بس ما تخيلتش أن أنت بتتكلم عن

ميرا اللي نعرفها!

زفر إياد وهو يصعد الدرجات للدور الرابع الكائن به مكتب

المأذون متخلياً عن المصعد:

- مافيش غيرها.. أنا مش حينفع أسيبها متعلقة بيا وأشرف ورايا..

- ايه اللي جد يعني؟

صمت إياد لدقائق قبل أن يردف بصوت متحشرج:

- عمك مراد ومراته اتوفوا النهاردة.

صرخ باسل باستنكار:

- ايه!! حصل امتي الكلام ده وازاي؟

- من كام ساعة ولسه مخلصين عزا ودفن.

صرخ باسل بذهول بصوت هامد النبرات:

- ولسه فاكر تقولي دلوقت!!.. ايه مش صاحب أبويا ده!!.. مش

له حق عليا أكون هناك!!.. آخذ عزاه وأقف جنب بنته!!

ورد إياد جاءه بصرامة محذرة جارحة:

- أنت حالتك ماكانتش تسمح أنك تظهر النهاردة، بالرغم من أن

الوقت متأخر وسرعة حركتنا الصحافة حصلتنا على المقابر

وصورونا هناك

قبض باسل يده بقبضة أدمت كفه وصمت لثوان يتمالك نفسه
قدر الإمكان وهو يتساءل:

-وناريما ن عاملة ايه وعمي عبد العزيز؟

ابتلع إياد ريقه:

-منهارين وهي حالتها تقلق بس مش في ايدي حاجة أعملها.

طرق باسل الجدار بيده لكمة ثم الثانية وهو يتألم من داخله
يتنفس بثقل:

-أشرف؟

زفر إياد بحيرة حقيقية يشوبها عدم تصديق:

-مش عارف.. بس التوقيت مريب، تفتكر ممكن توصل بيه
للقتل؟

-فين ليث؟

تنهد إياد مجيباً:

- لسه في اسكندرية مع ميرا
ومع ذكر اسم ميرا عادت الفكرة المقيمة للظهور خاصة وأن طابق
المكتب اقترب وباسل يسأله بصوت قاتم النبرات:

- أنت ناوي تطلق مراتك بجد؟

- ما عنديش حل تاني يا باسل.. مش حينفع أسيب نقطة ضعف
ليا تحت رحمة أشرف.

نطقها إياد بتبرير غريب على نبراته المعتدة بنفسها دوماً..

فجاءه رد صديقه بسخرية لا جدال فيها:

- مش محتاج شهود!.. على الأقل زي ما شهدت على جوازك
أشهد على طلاقك كمان!!

- أنت بتتريق؟

- آه.. علشان أنت غبي، مش حاسس بالنعم اللي في إيدك
وحتضيعها بعنادك

صرخ بها باسل فقابله إياد هاتفاً باستنكار:

رأيتك حاتم

شغيف وورحة

- ايه يا باسل ما تخلي بالك من كلامك!
 أكمل باسل بسخرية وبنبرة سوداوية :
 - اقولك ايه بس! أبوك ومقاطعته وأنت السبب في أنه وصل
 لجبروته ده، بدل ما تحتوي خوفه من فقدان ابنه الوحيد وتقربه
 من مراتك داخلين لعبة عناد.. ولا واحد فيكم حاسس بنعمة
 وجود الثاني في حياته.. مراتك يا أخي لقيت اللي شبهك، أنت
 ما كنتش بتشوف نفسك وأنت جاي الشغل الصبح من أول
 السيكيورتي لحد المديرين كانوا بيعرفوا أنتوا متخانقين ولا
 متصلحين، لمعة عينك وابتسامتك ومزاجك الرايق وهدوء نفسك
 وأنت معاها.. جاي تقولي أطلقها!!... وماله روح طلق مراتك
 وسيبها للي يستاهلها يحافظ عليها.. للي لو حس أنها في خطر
 يشيلها مش يرميها في أقرب فرصة وهي تعبانة.
 - تعبانة!!.. مين قالك انها تعبانة؟

نطقها إياد بوجوم قلق وهو على باب المأذون الشرعي ليأتيه
 صوت باسل ساخر:

- كمان مش عارف!

تنهد مكملًا:

- سمعت ديمًا بتقول أنها تعبانة لدرجة أنها حتسافر لها.. عمومًا أنت حر.. أعمل اللي يريحك، بس خليك فاكِر، مش أشرف اللي بيدمر حياتك.. أنت قايم بالمهمة على أكمل وجه.. ده اختيارك وأنت اللي حتشيله.

أغلق الهاتف في وجهه وترك إياد صامتًا مذهولًا وكل ما يدور بعقله..

مريضة!!.. ما بها؟

ولمَ لم تخبره مروة؟

اتصل بليث يحادثه وبعد التحية والتعزية فهو علم من أبيه السيد شوقي ويعلم مقدار معزة أبو ناريمان لدي ليث:
-ميرا مالها؟

رد ليث عليه بغموض بارد:

-مالها؟

هتف به إياد بغضب محذر:

- ليث.. مش وقت غموض!
صمت ليث لثوان قبل أن يرد بإيضاح كاذب:

- طلبت مني أوديتها المستشفى وقعدت هناك فوق الأربع ساعات.

وصرخ به إياد:

- وجاي تقولي دلوقتِ!.. مالها؟.. فيها ايه؟

- ما يخلصنيش أسأل.. أنا مش جوزها!

واغلق إياد الهاتف في وجهه غاضباً بعد سباب مشين شنف أذانه به وهو يعود أدراجه لسيارته..

سيقتلها لأنها لا ترد عليه ولا تخبره بتحركاتها.. سيظمن عليها ثم يحبس أنفاسها حتى تتوب عن عنادها..

حين تجأ روحك بحثاً عما يظنيك

تبحث عن كتف تتحمل فيضان بكائك باهتمام
عن عضد يستقبل شهقاتك اللاهثة دون أحكام

عن صدر يدفئ ارتعاش قلبك المكلوم باحتواء
عن أذن تنصت لبعثرة حروفك دون امتهان
عن أنامل تسابق عبراتك تمحُّها بإعزاز
تفتش عن حُضن يذيب عظامك صاهراً
لتولد من جديد رائق الوجدان!

الفصل التاسع والعشرون

دوائر الحياة لا تنتهي

صدمة ، صدمة أو مفاجأة.. وأحياناً صفة!

بكل الأحوال هي تحمل لك المزيد..

مهما تخيلت أنك رأيت منها ما يكفي..

ثق أن بجعبتها لك الأكثر إبداعاً وتفرداً

كالساحر الذي لا تنضب شراكه..

وبانعدام عدلها، ومرارة صفعاتها..

وسخرية صدفها، وحيل طرقها..

تظل هي أصل السواحر الأكثر إبهاراً

فهي الحياة المخادع الأمهر

صوت طرقات تحمل رتمًا غاضبًا من خلف الباب الخشبي للشقة
انتزعته من مكمته المراقب لنافذتها عاقداً حاجبيه بحيرة..
متسائلاً من قد يكون؟.. فليث غادر منذ وقت ليس بقليل، لذا
استبعد أن يكون عاد بتلك السرعة!

تعالى صوت الطرقات النافذة الصبر جعله يسرع وكانت المفاجأة
بنبرة تحمل اسمه:

- هشام!

نطقت بمزيج مشاعر غريب!.. نطقت بدهشة، بسخط، بآلم،
بحيرة!.. والأکید بغضب..

بهدوء بالغ رد:

- ادخل يا زيد.

فمنذ أن اكتشفت مروة وجوده بجوارهن ومكوث ليث معه وهو
يعلم أن المسألة مسألة وقت لا أكثر حتى يكتشفوا وجوده.

- أدخل فين؟

نطقها وهو يخطو للدخال والتوتر ينضح منه كهالة تتألق بشراسة من حوله، يشير بيديه للبيت الغريب عليهم عاقداً حاجبيه، ونظرات عيونه كانت قصة أخرى.. يواجهه بتساؤل ربما أكثر منه اتهام:

- أنت بتعمل ايه هنا؟.. ها.. له مختفي؟.. لا وألاقيك مختفي هنا قصاد بيتنا القديم!

وصحح:

- بيتك القديم!.. فهمني يا هشام.

أغلق هشام الباب وخطا خلفه بتمهل يحتاجه ليرتب أفكاره، فأمامه أول من توقع أن يكتشف وجوده وآخر من يود مواجهته الآن.. أشار له متمتماً:

- اقعد يا زيد واهدى.

وكانما تلك الجملة استفزته ليعلو صوته مخرجاً إياه عن طوره، وكان غضب وتوتر ثلاثة شهور آن له أن ينفجر أخيراً:

- سايب شغلك وبيتك وأهلك وأخواتك ليه؟.. علشان ايه؟..
 أمك اللي كبرت في السن ١٠ سنين فوق عمرها من ساعة ما
 اختفيت؟.. بلاش، أختك اللي حياتها متعلقة بقشاية وأنت ولا
 هنا؟.. أخوك اللي حيتجنن عليك وما بطلش ثانية يدور
 عليك؟.. بلاش، الناس اللي مسؤوليتهم في رقبتك.. موظفينك يا
 بيه؟.. رد عليا.

ومع محاولات هشام بأن يمسك عضده في محاولة لتهدئته
 وعيني هشام تنضح بدمع وتأنيب ضمير نفضه زيد بغضب بعيداً
 عنه، ابتعد عنه وهو ينفث أنفاساً ساخنة.. لم يظن يوماً أنه عندما
 يراه سيحمل بداخله كل هذا اللوم والتقريع والغضب من
 الهروب.. ليس هو من يهرب!.. ونطق ما بداخله:

- ايه.. حملنا ثقل ولا زهقت فهمني؟

المرارة بنبرة زيد اعتصرت قلب هشام:

- وهو لو أنا كنت تعبت ولا زهقت كنت حتلاقيني هنا!

رأيتك

شغيب وورع

خلل زيد خصلاته البنية بأصابعه بحيرة وصمت لثوان يفكر..
وحين رفع عينيه لهشام وجدته يتحاشى النظر له طويلاً:

- ذنب ايه اللي بتكفر عنه يا هشام؟

سؤال كان يخشاه، سؤال إجابته مدمرة وهو لا يعلم إن كان آن
أوان إفشائها أم لا!

ولم يعلم أهو الحمل أو نفاذ صبره من الاحتمال.. لكنه أخبره
برأس منكسة وبضعة كلمات.. أخبره أنه خان الأمانة وكاد
يقبلها!

ورد فعل زيد كان لكمة وثانية وثالثة لوجهه، لجذعه، وبعد
الرابعة توقف.. فهشام واقف أمامه مستسلم، يتحمل بجلد عقاباً
يبدو كمن كان يتمناه وينتظره!

مجهود تلك اللكمات والتوتر تصاعد على زيد، جعل جذعه
ينثني، يستند على ركبتيه بيديه ويتنفس بسرعة وقوة.. هرع إليه
هشام جزعاً:

رأيتك دائماً

شغيف وورع

- زيد مالك!.. زيد أنت بذلت مجهود كبير وبتفوت جلسات كثير
ومش منتظم في العلاج.

ونظرة دهشة اعتلت وجه زيد وهو ينظر له، وعيون لمعت بدموع
أبت أن تنهمر وهشام يحتضنه إلى جذعه ..

من قال أن الرجل مهما بلغ من العمر لا يحتاج لكتف يستند عليه
وقت ضعفه !

ساعده هشام على الجلوس بمقعد وثير وأسرع للمطبخ وزيد
يمسح وجهه ونوبة الغضب هدأت وتراصت القطع جوار بعضها
بتناسق جعل عيناه تتسعان ..

فالآن فقط فهم كل شيء.. وبوضوح تام.

اقترب من المنزل والعنوان الذي استخرجه من الملف السابق
الذي بعثه ليث له حينما طلب منه التحريات عنهم حين قدموا
عرضهم ..

تذكر حين رأى عيناها التي تتبدلان لرمادية عاصفة حين تنفعل
وتغدو زرقاء رائقة حين تكون بحالة هدوء واستكانة نادرة..
وصل أخيراً، صف سيارته وراء سيارة ليث وخرج للشارع قبل أن
يكتشف أيهم منزلها!.. ورغم تأخر الوقت فوجئ بأن باب المنزل
مفتوح على مصراعيه.. تلفت حوله علّه يرى ليث أو أحد رجاله
ولكن لا أحد..

شتم ببذاءة متوعداً ليث والحمقاء بالأعلى بحساب عسير، لم
يكذ يتخطى عدة درجات حتى وجد من يناديه:
-إياد.

التفت ينظر منعقد الحاجبين متعرفاً على الصوت وبداخلة غضب
متسائل: ماذا يفعل هو هنا؟
-زيد.

وبادره زيد بجمود:

- حمد الله على السلامة.

هز إياد رأسه مغمماً:

-الله يسلمك.. ميرا فوق مش كده؟

-آه هي فوق.. بس أنت محتاج تيجي معايا.

انعقاد حاجبي إياد ازداد:

-على فين؟

وبغموض زيد أعلمه:

-في حد عايز يقابلك ضروري وحالاً.

الفضول تصاعد بعقل إياد.. من يكون؟

ورحلة قصيرة عبر الشارع لمتزل مقابل، بضعة طوابق وأمام باب خشبي قديم طرق زيد الباب ولمفاجأته فتحه ليث.. وابتسامة مريبة ارتسمت على وجه صديقه، ارتفعت حواجب إياد بدهشة!

"ليث يبتسم!"

تلك ظاهرة خارقة للطبيعة ولا شك!

دلف للدخل وقبل أن يتساءل وجد صوتاً يرحب به، صوتاً افتقدته تلك العائلة منذ شهور:

-اتفضل.. أهلا وسهلا.. منور اسكندرية.

سيطر إياد على دهشته وتعابيره وواجه الأخ الأكبر ذا الاختفاء الكارثي وتذكر بكاءها بين ذراعيه:

-أخيراً ظهرت!.. بس ايه جو الغموض ده؟.. أنتوا اتعديتوا من ليث؟

ونظر تجاه صديقه الذي سدد له نصف ابتسامة ساخرة ورفع كفه معلناً انسحابه، وشعر إياد بسبب حضوره.. سيمنعونه عنها واستعد:

-اقعد يا إياد بيه.. محتاجين نتكلم.

نظر إياد بساعته متعجلاً:

-أنا جاي من سفر ومش فاضي دلوقت.. ممكن نتكلم وقت تاني؟

-لا.. حنتكلم دلوقت.

نطقها هشام بصرامة وحزم وزيد يراقب دون تدخل:

رأيتك حالي

شغيفتي وورتي

-خير.. ايه اللي ما يتأجلش؟

-ميرا أختي.. مراتك اللي اتهانت في بيتك ومن والدك..
مسئوليتك اللي رميتها وما اهتيمتش وجاي تفكرها النهاردة.

ابتسم إياد بسخرية سوداء:

-أنت بتحاسبني أنا على الاهتمام والمسؤولية؟

وضحكة ساخرة عالية أعقبها:

-الموضوع بيني وبينها.. وأنا مش مضطر أقدم تبريرات لأي
حد.. لا حصلت ولا حتحصل.

ووقف يهندم بذلته ليهم بالخروج واستوقفه صوت هشام
الغاضب:

-استنى عندك.. بينك وبينها قبل ما تخرج من باب بيتك،
خرجت وجات لأهلها يبقى آسف مش حتشوفها إلا بإذن مني..
ولحد ما تبرر وأنا يا أتفهم يا لأ.. آسف مش مسموح لك تقابلها.

وجنون غاضب اشتعل بعيني إياد:

- أنت ما تقدرش تمنعني أشوف مراتي.

ورفع هشام له عيون متحدية وجسده ينضح بغضب:

- أختي في بيتها.. لما أبقى اشوفك أهل لها نبق نتكلم.. تقدر تشوف أنت رايح فين.

اندفع إياد له غاضباً نحوه يلكزه بصدرة:

- أنت اتجنتت ولا هروبك نساك بتتعامل مع مين!

ودفعه هشام بيده بقوة بهسيس غاضب:

- أنا أختي ما حدش يمد إيده عليها.. ولولا سن والدك كان زمان بقى ليا تصرف تاني.. ولا كان حيهمني اسم ولا غيره.

وهب زيد يفرق بينهما هاتفاً فيهما بغضب:

- اهدوا.. في ايه!

ولم يلتفت الاثنان ل،ه تقارع الاثنان بالألسنة.. إياد يردد بغضب
منفجر:

-مراتي وأنا حر.. ورايح آخدها وماشي وأعلى ما في خيلك
اركبه.

وهشام مصر:

-على جثتي لو شوفتها حتى مش تاخدها.. إلا بموافقتي
ورضاها.

وازداد الغضب ..

حاول زيد إبعادهما ونادى على ليث ليظهر في الثانية التالية
وكأنه كان بانتظار دعوة ليدخل مقيداً هشام بين عضديه يدفعه
للدخل بعيداً وزيد يلجم إياد هاتفاً به:

-اهدى بقى واسمعي.

نظر له إياد بنظرة غاضبة نارية، نادراً ما انفلتت منه أعصابه وأمام
من!.. هم!.. لكن ضغوط اليوم كانت أكثر من طاقته كبشر، حثه
زيد على الجلوس ليجلس على أقرب مقعد وهو يزفر:

-أنا ما بتهددش وماحدش يقدر يفرض عليا حاجة.

وزيد يجيبه بهدوء:

- ولا حتى ميرا؟

ونظرة غاضبة من إياد.. أهي من طلبت ألا تراه؟.. وزيد يكمل:

- لو فاكرا إن ميرا حتعانده هشام وتروح معاك تبقى غلطان .

تنهد زيد وهو يسترخي بجلسته :

-الوحيد اللي ممكن كان يوقف جوازك منها بكلمة لأ؛ هو هشام.. فإنك تخسره يبقى أنت أكيد بتخسرها.

صمت لثوان يتأمله قبل أن يكمل:

- ده لو هي تهملك فعلاً.. ما تبصليش كده ما فيش واحد مراته تهمة وفارقة معاه ويسيب أي حد مهما كان يمد إيده عليها.. ولا يسيبها بالأيام ما يعرفش حالتها ايه؟

-أنا عرفت إنها تعبانة.

-وده بس اللي جابك!؟!

نظر له إياد ولأول مرة منذ عرفه يرى عيونه مجهددة لثانية.. قبل أن يغمض جفونه لحظة وتعود عيونه ببرودها المعتاد.. فزفر بهزة رأس قانطة، الاثنان أعند من بعضهما البعض ..

وعلى بعد خطوات دار حديث من نوع آخر تماماً، كان هشام بالغرفة المجاورة يتحرك بخطوات غاضبة عصبية وليث يقف أمام الباب كطود أسود الملبس عاقداً ذراعيه ينتظره أن يهدأ وسمعه يتمتم:

-حاطلقها منه.. هو فاكر نفسه مين !

أغمض ليث عينيه بسخط، هو يكره تلك العلاقات الشخصية واشتباكات المشاعر.. يكرهها ويفضل دوماً أن يظل خارج الصورة، لكن بداخله شئ يدفعه للحديث:

-ده رأيها؟

نظر هشام له بحدة مضيقاً عينيه مستفسراً عما قاله فأعاده ليث بوضوح:

-هو ده رأي أختك؟.. هي عايزة تتطلق من جوزها؟

السؤال الأهم كان يجب أن يطرح وللأسف هو الوحيد الموجود والآخر أمامه يعلم أن الجلسة الطويلة التي تعدت الـ ١٠ ساعات وتجاوزت منتصف الليل مع ابن خالته الطيار تركته يروح تحت ظل إحساس عميق بالذنب، رأى بعين خبرته عقل هشام يدور والتفكير يتلعه ويهديء من فورة غضبه لذا سارع بقوله ببطء متعمد:

- أعتقد إن حالتها النفسية والصحية الأخيرة لازم كمان تكون في حساباتك .

هشام سمح لعقله أخيراً بالعمل للتفكير بصالح أخته، كلام الغريب الذي لم يجاورهم سوى لأيام معدودة سليم ..

أخته تحب المغفل بالخارج وهو يعلم كل التفاصيل من زيد الذي سامحه، لم يعلم حتى الآن كيف ولم يعلم عن تركه للمنزل وعن ترك والدته اعتراضاً على ما حدث لها.. لكن ما يثيره تركه لها تغادر دون سؤال!.. دون اتصال!..

ماذا لو لم يكن موجوداً ويراقبها؟.. كيف يستأمنه عليها من جديد!.. والأهم هل كانت الغضبي لكرامته أم لكرامة زوجته؟ ..

رأيتك دائماً

تخفيف وراحة

والسؤال كان يجب أن يوجه للقابع بالخارج.. لذا بخطوات واثقة
وبنفس هادئة تحرك تجاه الباب وتوقف أمام ليث يبادله
النظرات ثوان استغرقها ليث بالنظر بعينه ثم أفسح له المجال
ليغادر..

وقف أمام إياد وبحزم أخبره:

-إحنا محتاجين نتكلم .

والهدوء الذي نطق به جملته جعل زيد ينهض وهو يغمغم معتذراً
ليستبقيه هشام:

-استنى .

سدد نظراته لإياد وظل الاثنان يطالعان بعضهما أحدهما بنظرات
مصرة والآخري بيروده المعتاد :

-ايه سبب المشكلة بينكم؟

-لو هي ما حكيثش يبقى أفضل يفضل بيني وبينها .

-صورة خالد !

صارحه هشام دون مواربة :

-إشاعات صحافة وكلام فارغ .

رددها إياد بحزم، تأمله هشام:

-ورد فعملك ايه على الكلام الفارغ؟

رفع له إياد عيون غاضبة:

-أنا ما شكيتش فيها.

-أنت كنت عايز تشك فيها؟ !

نطقها هشام بنبرة تتأرجح بين الغضب والاستنكار!

عقد زيد حاجبيه يشعر بأن شئ ما ناقص، فضل الصمت حتى

ينتها، تنهد إياد:

-في حد عايز يأذيني في شغلي وبيدور على أي حاجة صح أو

غلط علشان يعمل شوشرة مش أكثر ووالدي غلط في تقدير

الأمور.

-تقدير الأمور!!

تنهد إياد بقنوط:

- عايز تسمع مني ايه؟ .. إن والدي غلطان؟ .. أختك حترجع على بيتها مش على بيت والدي.. ولو سمحت أنا لسه راجع من سفر وعزا ويوم ربنا وحده اللي عالم كان إزاي.. ممكن أروح أشوف مراتي ولا في استجوابات تانية؟

ظل هشام ينظر له دون جواب يقيمه وإياد على وشك الانفجار به من جديد قبل أن يشير له هشام تجاه الباب:

- اتفضل بس على الله ترضى تقابلك .

جز إياد على أسنانه متحكماً بغضبه وهب من مجلسه تجاه الباب، قبل أن يعلو صوت هشام خلفه:

- مش محتاج أقولك لو اتكررت تاني والكلام المعتاد ده.. لأنني مش حاسم بأي تكرار يا إياد بيه.. ساعتها حسابك معايا وهي حتبقي بره الموضوع بمزاجها أو غصب عنها .

والتصريح واضح أمام ليث وزيد، واصل إياد سيره للباب الذي فتحه له ليث فالتفت تجاه ليث متوقفاً:

- عرفت بالحادثة .

تمتم ليث:

- البقاء لله.. هي عاملة ايه دلوقتِ؟

هز إياد رأسه دون كلمات فكانت أبلغ إجابة.. سأله إياد:

- أنت عرفت حاجة لازم أعرفها؟

أمال ليث رأسه قليلاً وعينه ضاقتا محدقاً بمعالم وجه إياد المنهكة:

- ليه هو الموضوع محتاجني؟

أجابه إياد بإيجاب وإغماض عينيه موضحاً:

- كان فيه ميعاد بيني وبينه بخصوص ورق يخص أشرف والحادثة كانت قبله بساعات .

اكفهر وجه ليث واشتعلت عيناه بغضب وتمتم بجملته واحدة:

- أنا حاهتم بالموضوع بنفسني .

هز إياد رأسه بتفهم وغادر المنزل دون أن يلتفت أو يلاحظ زيد
الذي تبعه ممسكاً بكتفه متمتماً بصوت خفيض:

- تعالي معايا محتاجين نتكلم .

اتسعت عينا إياد بغضب وسخط وقبل أن ينبس ببنت شفة أكمل
زيد مفسراً:

- صدقني اللي عندي يهكم.. وأظن إنك لازم تعرفه قبل ما
تقابلها .

وبعد عدة دقائق كان زيد يجلس مع إياد الحديدي على مقهي
بجوار المنزل شبه فارغ من رواده بسبب جو الشتاء ..

قطع زيد الصمت بتصريح:

- واضح إنك ما تعرفش ايه أصل الحكاية بين ميرا وخالد
الملاح؟

هناك شيئاً ما يستفزه ويشيره بخصوص زيد، لذا لم يقاوم إياد الرد
بعنجهية وبرود:

رائع حالم

شغيف وورح

- تقصد موضوع المحضر اللي اختفى والكشف الطبي اللي
اتبخر من السجلات؟

ردد زيد الكلمة:

- الكشف الطبي؟! .. أنت عرفت مينين.. مش من ميرا؟! .. مين
اللي حكى لك؟

عقد إياد حاجبيه وانتبه كيف عرف أنها ليست ميرا من أخبرته
ودون تفكير طويل أو ما زيد بفهم:

- ليث مش كده؟! .. ما تجاوبنيش أنا ظني كان في محله، أنت
محتاج تعرف الحقيقة واللي متأكد إن ميرا استحالة تقولها لك
في يوم .

وأنصت إياد:

- الحكاية بدأت من ساعة ما عرفنا حقيقة اللي اسمه خالد
الملاح؛ مخدرات وميول منحرفة.. وقررنا إن يارا لازم تتطلق منه
لأنه كان كاتب كتابه عليها.. أبوه غني عن التعريف، فلوس
ونفوذ وحصانة برلمانية خلا حياتنا جحيم.. واضطر هشام

ياخذهم ويسافر للقاهرة بعيد عن نفوذه.. لحد ما في يوم جه هشام البيت بدل ما يروح مقابلة شغل لو وظيفة علشان يلاقي الحيوان ده بيتهجم على يارا بيحاول يغتصبها.. بس الحمد لله لحقها .

انقبضت أنامل إياد بغضب وتوتر من القادم وسأله:

-والحيوان ده؟

زيد أكمل بنبرة خشنة:

-دخل المستشفى من كتر الضرب اللي أخده من هشام.. المهم عصام اتصل بدكتورة من زمايله وجات كشفت عليها واديتها مهدئ وشخصتها إنه انهيار عصبي.. اتفاجئنا بأبوه بيطلب بيه على عتبة الباب وبعد ما اترجانا نسيبه ياخده يتعالج واحنا صدقناه ما فاتش ساعة وهشام كان فى القسم بتهمة التعدي عليه والمحامي قال دون إثبات باللي حصل مالهاش فرصة قدامه.. ساعتها كان لازم حل، ولأن حالتها كانت صعبة ورافضة حد يقرب منها، أنا وقتها كنت فى رحلة تدريب عملي وللأسف ما بلغونيش إلا بعد ما عملوا اللي اتفقوا عليه.

رأيتك عالم

شغيفت وارتاح

سأله إياد:

- هما مين وعملوا ايه؟

- عصام ومروة وميرا.. مروة كانت عندنا مع خالتو حورية كانوا يجيبوا لوازم فرح أختها الكبيرة بسمة، واتصلوا بيها تجيلهم من غير ما حد يحس منهم.. وفعلا راحتهم ولقت ميرا وعصام بيتخانقوا.. ميرا قررت إنها تعمل محضر إن خالد حاول إغتصابها هي مش يارا، وكده تبقى تهمة يتحاسب عليها وتبقي ورقة يضغطوا بيها على الملاح علشان يبعد عن هشام، وعلى خالد علشان يطلق يارا.. اللي متأكد منه إن مروة رفضت بس ميرا أصرت ونفذت اللي في دماغها.. طول عمرها دماغها ناشفة .

والتقط نفساً عميقاً أكمل بعده بتوضيح:

- اللي ضرب ميرا كانت مروة.. ضربتها علشان بيان إنها أثار اعتداء ومقاومة وراحت مع عصام عملوا المحضر والكشف الطبي كان متفبرك.. هشام ما عرفش إلا لما خرج، رفض وثار

بس كان خلاص اللي حصل حصل.. خدوا منه طلاق رسمي موثق وتعهد بعدم التعرض وخاصة لميرا .

- وطبعاً هو وافق علشان سمعته فى المجتمع !

نطقها إياد بقرف واضح من الملاح وأمثاله وشعور داخلي بأن مشكلتهم مع خالد الملاح اصبحت تخصه من الآن، وشعور بتقدير واحترام عميقين لزوجته.. تلك العنيدة، خالجه بعض من الضيق أنها لم تثق به كفاية لتخبره بنفسها .

أنهى حديثه مع زيد وغادر.. كانت تباشير الفجر قاربت على الانبلاج لكنه لن يغادر قبل أن يراها ويحادثها ويطمئن عليها .

طرقات تعالت من على الباب والمتحفزة منذ ليلة الحادثة مروة كانت على الباب بعد دقائق معدودة تمسك بهاتفها على وضع الاستعداد لطلب المساعدة وبنفس الوقت تسأل من لتجد صوت إياد:

- افتحي يا مروة أنا إياد الحديدي .

عقدت مروة حاجبيها وهي تسرع بوضع قلنسوتها على خصلاتها
وتفتح الباب باليد الأخرى، دخل بابتسامة:

- مساء الخير .

- قول صباح الخير .

شاكسته

مروة:

- فين ميرا؟

- ميرا في أوضتها .

وأشارت له دون فهم أو تركيز ليتبع إشارتها دون استئذان :

- هاااي.. إنت رايح فين؟

- داخل لمراتي .

حكّت رأسها وهي تتمتم لنفسها بتساؤل شبه نائم:

- هو أنا كان لازم أقول لها الأول ولا عادي !

حاولت تخيل رد فعل ميرا الناري لو دخوله غرفتها لم يقابل مزاجها!.. ثم هزت رأسها وعادت لفراشها الوثير وهي تهزكتفيها:

- وأنا مالي !

دلف مغلقاً الباب خلفه بهدوء، لتهاجمه رائحة عطرها بضرابة.. استنشقتها بجوع أرسل ارتعاشة لقلبه المتعطش، اقترب من السرير ليرى معاناتها مع الوسادات التي تعصرها.. لقد افتقد كلاباتها المتعلقة بجسده ورائحتها التي تسيطر على نهاره حتى يفارقها لمكتبه..

ابتسامتها ونعومتها وخصلاتها المشعثة صباحاً، جنون أفكارها، ثورتها النارية.. حتى انهيارها باكية متكورة بين أحضانه حين تسمح له بذلك، خلع قميصه وتحرر من حذائه وساعته واقترب منها.. يقبل أذنها برقة يداعب خصلاتها بوجنته، لقد إفتقدها بسهولة..

رفع يدها وقدمها من على الوسادات ورماهم بعيداً وانسل هو بمكانها، واستمتع برؤيتها تتعلق به، تدس أنفها بصدره العاري

رائحة عطرها

شغيف وريح

وابتسامة دافئة ارتسمت على وجهه.. ورغم كل ما يقبض صدره
 ويعيث شراً بخلايا عقله، ورغمماً عن كل شيء اجتاحه النوم
 بطمأنينة وهو الأحمق كما أخبره باسل كان سيطلقها!..

سيحرم نفسه من نعيم وجودها حوله!

والآخر كان يرغب في انتزاعها منه!

بأحلامه ..

رائحته كانت تملأ حواسها.. تبثها دفناً تحتاجه، حلم!.. هي
 متأكدة من ذلك، لكن حلمها كان واقعاً بدماء حارة وقبلات
 مسكرة تثير نبضها، فقط حينما أصبحت اللمسات تجوب بجرأة
 جسدها شعرت أن هناك شيء ما خاطئ!

الحلم يتحول لواقع مألوف، مألوف جداً، فتحت عيناها بدون
 استيعاب لتجد شفتاه تلتهم شفثها بتوق، حين استوعبت وجوده
 دفعته بيديها تبعده عنها وهي تهمس بأنفاس متهدجة:

-إياد!.. أنت بتعمل ايه هنا؟

-وحشتيني .

همسها بصوت خشن أجش :

- لسه فاكر؟! !

- أول ما عرفت إنك تعبانة ما قدرتش أنام من غير ما اطمئن عليك .

وساورها شك.. أياكون قد علم بحملها؟.. لكن ممن وكيف؟..
ربما ليث؟ ..

تذكرت إشارته لتعب وليس لحمل :

- شوية إرهاق .

أخبرته ببساطة وأكملت:

- وبعدين ده ايه علاقته بموضوعنا؟.. إحنا بينا أمور ما خلصتتش
يا إياد .

- ميرا.. ممكن ننام دلوقتٍ ونتكلم الصبح؟.. أنا لسه جاي من
سفر وعزا عمي مراد.

نطقها إياد بتعب وإرهاق، شهقت من المفاجأة:

- أبو ناريمان اتوفى .

هز رأسه :

- هو ومامتها في حادثة عربية .

يدها المتشددة بينهما ارتخت قليلاً وربتت على صدره مغممة:

- البقاء لله.. إمتى حصل الكلام ده؟

- إمبرح .

- وجيت على هنا؟

- كنت محتاجك أكثر من أي حد في حياتي .

جملته جعلت عيناها تتسعان، رعشة سافرت على أوصالها..

تركته يجتاحها بقبلاته ولمساته، يدفن نفسه بداخلها باشتياق

بادلته إياه ولم تصدقه وهو يتمتم بكلمة:

- بحبك .

مراراً وتكراراً حتى استكانت بين ذراعيه، ودون أن تنطق همس

لها وهو يقبل رأسها.. يريها صوراً على هاتفه المحمول:

- دي صور شقق.. اختاري اللي يعجبك منها علشان أول ما نرجع
القاهرة تجهزيها زي ما تحبي .

رفعت له عيون متسعة غير مصدقة وهو ينظر لعينيها مكملأ بينما
يقبلها من جديد:

- حيبقى لينا بيت لوحدنا .

- بس ...

- شششششش

أسكتها بقبلة أخرى واحتضن وجهها بين كفيه ينظر لها، كلمات
باسل وشعوره بالخوف عليها حين علم برحلتها للمشفى..
والأنكأ كان محاولة هشام تفريقه عنها ..

وقتها فقط عرف مدى غبائه ..!

سيفقد من تكمل كيانه:

- ميرا أنا مابشكش فيك.. لازم تفرقي بين الغيرة والشك.. ولازم
تتأكدي إن كرامتك من كرامتي .

رائد صالح

شغيف وورح

وتلك كانت لديها أغلى وأثمن من كلمات الحب التي أغدقها
على مسامعها .

أسبوع كامل مر وهي بين روتين حياتها الذي لا يهدأ.. دراستها
للماجستير وبعد الظهر تمارينها مع فرق الفتيات حتى أنها
وافقت على أخذ ضعف المواعيد التي كانت تأخذها من قبل
فقط لتتلاشى وجودها بجوار المتفجرتان بالمنزل..

- That's it

نطقها بوضوح وصرامة لتتواصل الفتيات بانتظام أمامها لتقوم
بتحيتهن بانحناءة متعارف عليها وهن بالمثل.. واستدارت
تعطين ظهرها تعدل من قفازاتها.. تتنفس بقوة.. تستعد.

هي بالكاد انتهت من آخر تمارينها للفتيات اليوم.. رفعت عينها
للمرأة العملاقة التي تحتل حائطاً كاملاً بصالة التدريبات في
محاولة لرؤية انعكاس الساعة العملاقة بالحائط المقابل.. وما إن
توقف عقربها على الساعة الثامنة؛ فتح باب القاعة ودخل بقده

الطويل.. بينطال أسود ومنشفة سوداء حول رقبته وقميص دون
أكمام أسود..

سمحت لعينيها بأن تلاقي عيناه لبرهة لتجد عيناه السودوان
تناظرها محدقة بابتسامة لانعكاسها بالمرآة.. مطت شفيتها
وانحنت ترتشف القليل من الماء تمهل به نفسها الفرصة للسيطرة
من جديد..

فمنذ أسبوع فاجأها أنه حجز آخر موعد لديها بجدولها لمدة
شهر.. مر منه أسبوعاً..

هو قوي ولا يحتاج لتلك التمارين، وبالأخص أنه يأتي قبل
الموعد بثلاث ساعات يقضيها بقاعة الجيم الرياضية الملحقة
بالمركز الرياضي الخاص الذي تعمل به، لذا دوماً مواعده معها
منضبط كحد السكين.. ربما بعض التقنيات والحركات.

ولفت انتباهها الشارد صوت شهقة خافتة وضحكات على
استحياء صادرة من فتياتها المملكات بجانب القاعة، أدارت
عينها بسخط قبل أن تلتفت برأسها تنوي تقريعهن.. فوجوده مع
هرموناتهم المراهقة مزيج متفجر وهي من عليها أن تتعامل

معهن.. لكن هي تعذرهن.. فأكبر منهن سناً ويفعلن أكثر منهن..
 فمند ظهوره بالمركز ولاحظت زيادة عدد المهتمين بالأيكيدو..
 فالرجل بجسده وعضلاته يبدو كإعلان مجسد متحرك للياقة
 البدنية الممتازة!

ما إن أدارت رأسها حتى فوجئت بما رأته.. فالبك المتباهي خلع
 قميصه الذي لم يكن يستر شيئاً بالأساس سوى القليل من جذعه
 ليظل بالبنطال ويرتدي قفازات التدريب بكل براءة.. جزت على
 أسنانها ومالت تنظر للمزبهمات على جانب القاعة رافعة أحد
 حاجبيها.. بادرها:

- مساء الخير .

نطقها بابتسامة، اقتربت منه برشاقة تحديق بعينه بصرامة تتقنها
 مع متدربيها:

- مساء النور.

- جاهزة؟

- وأنت كده.. لا.

- وماله كده؟! !

وتعبير بريء على وجهه ناقضه نظرة خبيثة بعينه لم تفوتها..
وقفت أمامه تجابهه وهي تعقد ذراعيها بصرامة:

- حل من اتنين؛ يا تلبس باقي البدلة بتاعة التمرين.. أو ترجع تي
شيرتك تاني، يا إما بره ملعبى.. ما فيش تمرين.

- أنا مرتاح كده.. ممكن نبدأ؟

نطقها بحزم وعينه بهما ضحكة.. يتسلى على حسابها!.. فكرت
ببساطة ورفعت سبابتها تربت بها على شفيتها مضيقة عينيها:

- في حل تالت.. رهان!

ألقت له التحدي ونجحت في رفع أحد حاجبيه بدهشة وعدم
توقع.. كادت تبسم ولكنها سيطرت على انفعالاتها وأكملت
أمام تعابيره المنتظر:

- لو وقعتك على ظهرك حتلتزم باللبس على الملعب.

- ولو أنا اللي وقعتك؟

سألها وشبه ابتسامة تداعب ثغره الغامض وجاءه جوابها وهي تقرب منه بشدة قولاً وفعلاً:

- ابقى البس اللي يعجبك .

نطقها ولم تكذ تنتهي حتى أخذته على حين غرة وفجأة وجد نفسه أرضاً على ظهره وهي تثبت يده وركبتها تبعد مجرد سنتيمترات عن رقبته..

نظرة المفاجأة على وجهه أنعشتها بشكل غريب وارتسمت نظرة انتصار واسعة بعينيها.. حادت بركبتها عنه لتهبط بها أرضاً بجواره ومالت مقربة منه هامسة:

- قدامك دقيقة، تلبس وورايا على التمرين.. وإلا عقابا ليك حالغيه وأمشى .

استقامت ومدت يدها له لتساعده ولم يرفض، التقط يدها بكفه ضاغطاً عليها بقوة وقبل أن تبعد عنه أكملت:

- آخر مرة تجيلي التمرين نص عريان.. أظن مفهوم!.. راعي في بنات صغيرين في المكان .

وابتعدت أو على الأقل حاولت أن تبتعد وهو لم يسمح لها.. لم يترك يدها من كفه بل على العكس تمسك بكفها واقترب يهمس بجانب وجهها بهمس خشن:

- دي آخر مرة حاسمحلک توقعيني فيها.. كفاية عليك كده.

عقدت حاجبيها.. لم تشعر أن جملة تبطن أكثر مما تظهر!

وكان تمرينهما اليوم مختلفاً قاسياً قوياً مشيراً للتحدي.. وانتهيا منه متعرقين رغم جو القاعة المكيف، وبالفعل انتقم مسقطاً إياها العديد من المرات حتى تساءلت عن مدى حاجته فعلاً للتمرين! وإحساس متقافز يخبرها أن تلك السقطات لم تكن منه إلا..

البداية!

الفصل الثالثون

حين تتوه خطانا عن الطريق
 تكن لنا الأيام خير دليل
 يحملنا مد ساعاتها للبعيد
 مسترشدين ببوصلة قلبنا العليل
 نمضي دون هواده أو إرادة
 بجسارة ، برعونة أو بخوف كسير
 تشدو قبلتك موضع شرك
 وطن لن يملأه سواك
 فحتى أنت بشروخ روحك
 لك وطن لن يملأه إلاك
 فدوائر الحياة يا عزيزي

لا تمل لا تهدأ لا تهزم
ولا تنتهي إلا بالحياة

مر الأسبوع بأيامه، طويلاً حاملاً من تغيرات النفس بداخلها أكثر مما حملته سنوات عمرها بأكملها..

فكل يوم يبدأ بأمل مع إشراقة ضيائه وينتهي بخيبة مع عتمة ليله؛ فمنذ استيقاظها باليوم التالي بعد نومها بين أحضان أخيها زيد، بدأت تشعر بغضب فرغم حنان زيد ووجوده إلا أنها مازالت تشعر بالنقص..

ومن ليلتها بدأت تمر بين الطرقات التي ضجت يوماً بخطواته تتبعها بحثاً عنه، تبدأ بالمطبعة القديمة ترمي السلام على العجوز محفوظ تداعبه وتشاكسه تنتظر لساعة أو اثنتين متعلقة بالحنين، تداعبه بالكلمات وكل يوم تسأله وتدعي النسيان لجوابه المعتاد

"لم أره"

بتنهيدة قلب مثقل تستمر برحلتها سيراً إلى الشاطئ رغم بعد
المسافة لكن لعلها تصطدم به من يعلم!؟

تصل للشاطئ مكان جلساتها المختار مع طبيبها النفسي، شاطئها
المفضل وشاطئه المفضل أيضاً

تذره جيئة وذهاباً لا تلتفت لموج ولا سماء فقط الوجوه تبحث
تفتش..

وتجري بها عقارب الساعات ولا أثر له..

وبالنهاية تنهي طريقها بمقهاه الأثير؛ عيناها تختلس النظرات
بجراحة مرة وعلى استحياء مرات تنقب عنه وتعود لها عيناها خالية
الوفاض..

لما لا يظهر!! هي مستعدة الآن.. ترغب بسؤاله ترجو عتابه،
تشتهي أمانه، تتوق لدفع تاه عنها بغيابه..

وتنهي يومها بوصولها لمنبع البداية؛ منزلهم..

باليوم الأول كان هناك الغضب منه ومن تصرفه الذي لم تنسه،
وبالثاني ظل الغضب وإن كان منها وليس منه.. كيف تركته حين
رأته دون استجاب! دون سؤال!

ونامت تنعت نفسها بالغباء

وبالثالث جاء الندم قاسي ليته تحملت صدمة رؤيته.. ليته
هرعت إليه بدلاً من ان تهرب منه..

وبالرابع جاء الإصرار؛ ستجده، ستراه، سيظهر وإن كان رغماً
عنه..

وبالخامس والسادس والسابع كانت مسألة بقاء؛ تمسك بوجود
لماضي ومستقبل وحاضر لن يستقيم إلا بوجوده

واليوم كان الثامن ورفيقها لا يكف عن الكلام فاليوم اضطرت
لتعطيل نفسها لثلاث ساعات مدة درس التصوير قبل أن تهرع
خارجاً لتكمل بحثها..

هرع خلفها كريم يسألها عن سبب غيابها المرة الماضية والرد
بغموض كان:

-ظروف

سألها عن وجهتها، وأخبرته عن اسم الشاطئ..

وسألها أن كانت ترغب بصحبة، وافقت دون جدال

لما؟! لا تعلم... بل هي تعلم جيداً لما ظل يتحدث عارضاً آراء
لا تأبه بها واكتفت بإيماءة رأس أو هزة كتف وربما ابتسامة
مجاملة وبعض من نعم على القليل من بالطبع.. وعيناها وعقلها
بوادٍ آخر تنقب دون هواده حتى مرت بجوار المقهى

استنشقت بعمق تهییئ نفسها وبابتسامة هادئة أخبرته بعطشها
حينما تزامنت خطواتهما أمام المقهى الشبابي وأشارت له على
المقهى واكتسبت هي فرصة مواتية للدخول مع رفيق آمن لتنبش
أغواره بعينها مفتشة عنه وبالنهاية انتهى اليوم كسابقه، دون
هشام شكرته بلطف حين أوصلها للمنزل ودلفت له لتسمع صوت
غاضب النبرات ساخر:

- حمد لله على السلامة أخيراً واحدة منكم شرفت

رأيتك عالم

شغيف وورع

زفرت يارا بحنق فهي بمزاج غاضب غريب طيلة الأيام الماضية
ومزاج ميرا المتفجر منذ تركها إياد لا يساعد على تهدئتها بالمرّة
:

-ميرا.. أنا مش فايقة لك، أنا تعبانة ورجلي متدغدغة ومحتاجة
ارتاح

نطقت جملتها وهي تتحرك بالفعل تجاه الحمام حتى توقفت
مقطبة تسأل بقلق:

-هي مروة لسه برضه ما جاتش؟

مطت ميرا شفيتها بتبرم :

-زي كل يوم من ساعة ما بدأت تدرجاتها مع مان إن بلاك
"Man in Black" وهي مواعيد رجوعها باظت

ابتسمت يارا على لقب ميرا الجديد لليث وبالثانية التالية رفعت
إحدى حاجبيها وبلهجة قلقة:

-تفتكري في حاجة بينهم؟!!

تراقص إحدى حاجبي ميرا بنظرة ساخرة مجيبة :

-تفتكري أنتِ إن ما فيش!!

ضحكت بأنوثة العالمة ببواطن الأمور وهي تكمل أمام نظرة يارا
المندهشة :

- أومال المكالمات اللي طول الليل بتجيلها وتستأذن للبلكونة
بعيد عننا علشان تتكلم حتكون من مين؟

-بس بالسرعة دي!

هزت يارا رأسها والقلق بصوتها مكملة :

-لازم نقعد ونتكلم معاها ونظمن نطقها بحزم وهي بطريقتها
للحمام من جديد..

طريقتها جعلت ميرا تفكر بشرود فيارا تغيرت منذ أسبوع بالضبط
منذ يوم انهيارها الباكي دون سبب بين ذراعي أخيها بعد فورة
غضب كانت أكثر مما تتحملها أعصابها الرقيقة وحالها تبدل تارة
تصحو بعيون محمرة كمن كانت تبكي طوال الليل، وأيام أخرى
بلمعة إصرار غريبة لا تعلم لها هدف أو مسبب وبنهاية الأيام تعود
بلمعة حزن وغضب تتطلع لتخرجه على أي من يقابلها وبالعادة

تكن مروة المسكينة من تتحمل لظاهما هما الاثنتان تبدل حالها
تبدل حال عاشقة وانقبض قلبها..

عشق وحب لمن؟؟؟

أىكون يتلاعب بها طبيبها النفسى؟ أىستغلها؟!

كشرت بغضب هي كادت أن تقتنع بأن مازال هناك من يتحلى
بالنزاهة والنبيل أىكون خان رسالته بتقريبه من ابنة خالتها
مريضته؟

يبدو أنها ستحتاج لتكلم معها هي أيضاً..

رنين هاتفها يتعالى لتسحبه ببطء وصورة أحمقها على الشاشة
حدجته بنظرة تقدر غيظاً لترمي الهاتف بجوارها دون رد..

تزم شفيتها تضغط بقسوة على ريموت التلفاز؛ الأحمق مر
أسبوع منذ غادرها مسرعاً بعد رسالة وصلته، فبعد أن استيقظت
بين ذراعيه ولأول مرة منذ أيام تنام ملء جفنيها متنعمة بالراحة
أخيراً بعد فجر يوم متفجر بالعاطفة قضته بين أحضانه يوقظها
مقبلاً رأسها متمماً باعتذار:

- لازم أسافر دلوقتِ القاهرة علشان أحضر باقي أيام العزا واقف
جنب ناريمان ..

تردد قليلاً هو يقترب منها يحيط وجهها بكفيه متعمقاً في رمادية
عينها مكملأً :

- والأهم محتاج أنهي موضوع لازم يخلص علشان أعرف أرتاح
ومن جديد إلتهم شفيتها بشوق لا يرتوي وطالت القبلة لدقائق
وكلما أراد الابتعاد اقترب أكثر.. وكما المجر ابتعد أخيراً تاركاً
اياها بأنفاس لاهثة تداعب وجنتيها

تذكر حيرتها والكلمة الوحيدة التي تلفظت بها :

- إياااا.. احنا لسه ..

قاطعها بإبهامي كفيه مغلقاً شفيتها يمسدها من تورم مشير شابها
مكملأً لها بنبرة خشنة :

- لسه بينا كلام محتاج يتقال.. أسرار محتاجة تتكشف.. ونقط
تتحط على الحروف.. عارف.. بس مش وقته، صدقيني اللي
حيبعدني عنك دلوقتِ هو أنتِ

قبلها من جديد بعمق ليتها بأفاس لاهثة وهو يكمل ارتداء
ملاسه فاستقامت ترتدي منامتها الملقية بإهمال أرضاً، فهي
تحتاج لسائر من نظرات عينيه التي تعيث بنبضاتها فوضي لا
تستسيغها

عقدت حاجبها بضيق حين أخبرها ببساطة :

- ممكن تقومي نطر سوا قبل ما أمشي ولا لسه مرهقة؟

عقدت ذراعها ألا يكفيه اتخاذه لكل القرارات دونها والأكثر
لحظة ظهوره اكتسحها من فوق الأرض ردت بتبرم :

- مش جعانة

وناقضتها معدتها تزار جوعاً ونصف ابتسامة خبيثة ارتسمت على
وجهه وهو يقترب منها بابتسامة تتراقص في عينيه وهي ترفع
إحدى حاجبها تحذره:

- حتعمل ايه خليك عندك أنا مش جعانة واتفضل سافر بالسلامة
وانتهت محمولة على كتفه يتجول بها بغرفة المعيشة وهي تهمس
من بين أسنانها به بسباب أن ينزلها..

سيفضحهما الأحمق.. وشهقة الخجل جاءت من يارا، والفم
الفاغر من نصيب مروة، وهما تشاهدان المتمرده محمولة على
أكتاف إياد المسترخي وهي تلكمه بنزق وخصلاتها تهتز برعونة
وضحكات مروة المكتومة كانت الفيصل فهددته :

- لو منزلتنيش دلوقتو حالاً يا ابن الحديدي أنت حر استحمل
بقي

اتسعت ابتسامة إياد بمرح وصفعة منه على مؤخرتها صاحبت رده
:

- ما بتهددش يا بنت منصور ومش حتزلي إلا على السفارة قدام
الفتار

ونظر للفتاتين بأكثر نظراته إغراءً وعدوبة :

- ممكن نفطر؟

فأسرعت الفتاتان تقفزان من على الصوفا للمطبخ بوجنات
محمرة وخطوات متعثرة من الخجل ولم ينزلها إلا لتجلس على

قدميه مقيداً إياها بقبضته وهي تضيق عينيها وقبل أن تعترض
قبلها من جديد..

تنهدت وأخرجها من شرودها رنين هاتفها من جديد لتمتم:

-أحسن تستاهل علشان تبقى تكسفيني قدام البنات تاني!

لم ترد عليه لأسبوع تتركه يتلظى وتستمع بعقابها له..

لا دخل لعقابها باستياها من استسلامها التائق له ليلة ظهوره
فتلك هرمونات ليس إلا..

ولا دخل لعقابها له بصوره المنتشرة وهو يحتضن ناريمان بالعزاء
وأمام المقابر

نفث بحنق وقدمها تهتر دون وعي منها..

ولا دخل لعقابها له بأنه تركها من جديد في العتمة بوضع
الانتظار كمن لا حول لها ولا قوة..

ولا دخل لعقابها له بأنه غادرها ليقف بجوارها هي دون عن
غيرها آخذاً معه زيد، حتى ليث سافر معهما

هي دوناً عن غيرها "الفيديت"

توعده بسرها..

مطت شفيتها بحنق تفرغ غضبها على التلفاز فمروة ليست
بالجوار

وما إن فكرت بها دار المفتاح بالباب ودخلت مروة بوجنة
متوردة فعاجلتها :

- أهلاً.. أهلاً.. حمد لله على السلامة

أغلقت مروة عينيها فها هي من جديد أمام المزاج المتفجر لميرا
فردت بابتسامة ثابتة :

- معلى.. ليث مش عارف اسكندرية كويس فخد ملف غلط
واتأخرنا في الطريق الزحمة

رفعت ميرا حاجبها بمكر أنثوي :

- ليث!! يتوه!!

وغمزتها مكملة :

- لما تدوري على مبرر شوفيلك حجة تتصدق

هتفت بها مروة بحدة وشبه تحذير :

- ما فيش حاجة تستدعي تبرير.. بس حبيت أريحك وأنتِ بقيت

شبه أم منى بقعدتك دي

شهقت ميلا باستنكار :

- أم منى! ... أنا!!! ...

كبت مروة ابتسامتها مكملة:

- آه قاعدة تطلعي نرفزتك علينا.. وأول ما هو يظهر تطيري

القلوب ونقلب هيسيح عبال

والضحكة العالية جاءت من خلفهما من يارا :

- عبال!! إياد بقي عبال!

تلقت كلا منهما وسادات متطايرة من يد ميلا وهي تزجرهما

بنزق:

- أبو ابني ما يتقالش عليه عبال

والذهول قطع الضحكات ويارا هرعت لجانبها :

-ميرا أنتِ حامل؟؟؟

اتبعتها مروة بملامح دهشة وانبهار لتجلس بجوار ميرا من الجهة الأخرى واضعة يدها على بطن ميرا :

-بجد يا ميرا حامل من إياد؟

فصفتها ميرا على مؤخرة رأسها زاجرة برد وعيون دامعة ويارا تضحك :

- ما تحترمي نفسك!

وشاركتها يارا بوضعها كفها هي الأخرى على بطن ميرا تنظر لها بمقلتين يلمع بها العبرات :

-حُبقي أم يا ميرا.. وأنا حابقي خالة

هزت ميرا رأسها بتأكيد وفرحة ابنتي خالتها صديقات الصغر أشعرتها بفرحة لم تشعر بها يوم عرفت بالخبر..

حتى مروة رغم أنها مرت بتجربة سابقة مع حمزة ابن أختها
الكبرى بسمة إلا أن ابن ميرا سيكون له مذاق مختلف
-إياد عارف أنك حامل؟

طرحت مروة السؤال وحين لم يأتها رد صمتت وهي ترفع عينيها
ليارا والاثنتان يوجهان نظراتهما لميرا بتساؤل حذر
-لا ومش حيعرف... على الأقل دلوقتِ

سحبت مروة يدها بسخط مؤنبة ميرا :

-أنتِ بتهزري صح! ازاى ما تقوليلوش على حاجة زي كده؟

صمتت لثوان قبل أن تشير لها بأدراك مفاجئ :

-أنتِ عرفتِ اليوم اللي قضتيه بره مع ليث مش كده؟

وإيماءة ميرا الموافقة جعلت مروة تزفر بسخط مرددة بتهكم:

-وناوية تعرفي البيه امتى إنك حامل؟ ولا حتخبي عليه أنه

حبيقي أب وتعملها له مفاجأة يوم الولادة!

وكان التهكم عدوى انتقلت لميرا :

- والله فكرة برضه... وما اعتقدش أنه حيهتم قوي ولا حيفرق
معاه

ضمت مروة أصابع يدها بقوة وهي تصر على أسنانها، فميرا
يتلبسها غباء الحب المقيت فهي واقعة لأذنيها بحب ابن
الحديدي وتكابر فنظرت ليارا هاتفة بسخط:

- اتكلمي مع بنت خالتك وعقليها علشان هي مرارة واحدة
وتركتهما واتجهت لملجأها مؤخراً الشرفة

وما أن اختفت وقبل أن تنبس يارا بكلمة أشارت لها ميرا بهزة
رأس :

- مش قولتلك أهى جريت على البلكونة

تنهدت يارا وهي تنظر لميرا بعمق عينيها وظلت النظرات بينهما
ممتدة حتى ابتلعت ميرا ريقها وهي تلتفت للتلفاز مغممة :

- تتفرجي معايا على الفيلم ده حلو!

ولم يكن سؤال ويارا لم تجب..

بل اقتربت من ميرا تحتضنها بلطف بين ذراعيها تربت على
 خصلاتها تمسدها وبعد تصلب جسدها لدقائق استكانت
 مسترخية..

أحياناً يكون الصمت هو الحل الأمثل لترك ميرا لهروبها
 المؤقت فغريزتها تنبأها أن تصمت وهي ستطيع ..

وميرا شردت من جديد بنظرة عين لمحتها قبل أن يغلق الباب
 ويغادرها منذ أسبوع، نظرة عين تذكّرها أرسل رعشة بكامل
 جسدها..

تفكر لما تركها هنا مادام يحبها؟! لما؟؟؟

مر أسبوع طويل عليه منذ أن رآها، لمسها، ارتشف من ناريتها
 الملهبة لحواسه

سبعة أيام لا بل ثمانية على وجه الدقة لآخر مرة استمع لصوتها،
 فتقريباً هي تعاقبه والمثير للسخرية أنه يعذرهما

فعلى الأقل أصبحت كل الأمور له واضحة؛ السر الخفي بينها وبين خالد الملاح، لم يكن يصدق لأي مدى ممكن أن يصل الوفاء والتضحية من فتاة بعمرها في وقت الحادثة لحماية ابنة خالتها وأخيها

قبل أن يحدث زيد كان ينوي أن يجعلها تخبره بكل ما بجعبتها من أسرار مهما كانت سوداوية أو مخجلة، كان ينوي أن يبدأ معها صفحة جديدة بكشف كل الأوراق..

وزيد وفر عليه تلك التجربة معها؛ قدم له آخر صك ليمنح لقلبه الإذن بحبها كما كان يشتهي منذ البداية

كلمات باسل أورثته الشك بقراره، أرعبته من أنه حين ينتهي من أشرف ويقرر أن يعيدها فربما لن تعود

كلمات ليث عن مرضها الذي احتاج لزيارة مشفى أفقدته الحذر وجعلته يهرع إليها فقط لكي يطمئن

كلمات هشام بمواجهته جعلت جزء من قلبه يرتجف بخوف أنه إن فقدها الآن حتى وإن كان لحمايتها لن تعود

له.. لذا ولأنه ليس بأحمق تمسك بها..

كان سيطلقها حماية لها إبعاداً لها عن خطة المواجهة خوفاً و...
عشقا..

لكن أحياناً يكون القدر بنا رحيم.. ينقذنا من هلاك اختياراتنا
التي قد نظنها بمنتهى الذكاء لنجدها بحقيقة الأمر غاية الغباء
والحمق

تنفس وهو يمارس اتصاله الرابع لليوم بمخبرته السرية فرغم أنها
لا ترد عليه تعاقبه بحرمانه من سماع صوتها إلا أنه لن يكون إياد
الحديدي أن لم يصل لها

وصوتها المتأفف يرد والمثير للسخرية للمرة الثانية أنه يعذرها هي
الأخرى :

- نعم يا سي روميو خيرا!

ابتسم إياد :

- أخبارها ايه؟

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

- كويسة زي القرد. ز بتكاف فينا ومطلعة علينا جنانها كله الحمد لله

اتسعت ابتسامته :

- صحتها أحسن؟

تنهدت مروة فأصراره لطيف ولهجته لم تعد متعالية كالسابق أو باردة بل تكاد تشعر بالدفء يملأ صوته حين يتحدث عنها تلك الحمقاء :

- بخير ما تقلقش

وساد الصمت يرغب بسؤال تعرفه ولكنها تعرف كبريائه الرجولي المتضخم لذا لن يسأل وهي حاشا لله أن تتبرع برد فهي لا تقوى على جنون النارية بالداخل إن علمت أنها تحادثه مفشلة عقابها الغريب لزوجها

- معلىش بازعجك كل شوية

والرد منمق تفرضه قواعد الذوق والتربية :

- لا ما فيش إزعاج ولا حاجة أي وقت أنا موجودة

عضت شفيتها قبل أن يغلبها لسانها بكلمات تتحرق لقولها :
 -بس مش شايف أن بدل ما تتصل بيها وتطمئن تيجي تفهم
 وتعرف مالها ايه السبب

زفر بقوة هو يعلم السبب فهي لن تغفر له أن يضعها على الرف
 جانباً وفي المقابل صورته وناريما وتلك الإيحاءات بين سطور
 الأخبار.. متأكد أنها وصلتها..

لكن الآن هو بين شقي الرحي فقط ليتخلص من أشرف الذي
 يضيق الخناق بحثاً عن باسل، يثير القلائل بين أعضاء مجلس
 الإدارة ومالكي الأسهم سؤالاً عن الغائب وميل لتصديق قصة
 إدمانه بدأ يلوح بنبراتهم، وذنب والدي ناريمان في رقبتة عمه
 مراد الذي لم يجدوا أي أثر لأي أوراق مهمة حتى بمكتبه
 الخاص وكأنه قد تم تنظيفه على يد محترفين قبل حتى أن يصلوا
 للفيلا بعد مراسم الدفن

الهم الوحيد الذي يشعر أنه انزاح عن كاهليه هو هم ناريمان
 وباسل والفضل يعود لأسرتهم فيه أيضاً

لذا هو لن يتوانى عن إرضائها وتهدئة مخاوفها والفتك بأي
اعتراض منها على طريقته الخاصة فقط لينتهي من الشيطان
القابع بحياته يسعى لتدميره

-إياد.. أنت معايا؟ الو

أفاق من دوامة أفكاره مردداً بخفوت :

-آه.. معلى اتشغلت لثواني معلىش يا مروة اللي حاصل هو
الأحسن للكل هي في وسطكم وتحت عين ليث.. كنت أتمنى
تبقى قادرة تعذرني في الوقت ده، تحس بأني مضطرا سييها مش
بمزاجي بس قريب قريب جداً.. المهم لو احتاجت أي حاجة
كلميني ولو ماعرفتيش توصلي لي

رددت ورائه بملل من جملته المعتادة :

-اتصل بليث.. عارفة، أنت وهي أعند من بعض مع السلامة
أسيك لشغلك

أغلق معها الهاتف وهو يفكر بدوامته طوال الأسبوع الماضي بين
إلتزام بعمله وحيداً دون صديقه وذراعه الأيمن ومتابعة حالته من

بعيد دون قدرة على زيارته ومسؤوليات العزاء والإجراءات القانونية كلها التي تحتاجها ناريمان لاستلام ميراثها التي أصر أبوه أن يتابعها السيد شوقي محامي المؤسسة ومعه إياد بأنفسهما مع ظهور أعمام لها مهاجرين منذ زمن وما بين البحث الحثيث خلف أشرف الذي يفضي دوماً لطريق مسدود ويبقى أمله الأخير

ليث

أسبوع مر وجسده يأن من الإرهاق فمند عاد مع إياد للقاهرة بالصباح لاداء واجب العزاء لناريمان فهو يدين للعم مراد بالكثير من الفضل في حياته، رؤيته للحزن المحفور بملامح عبد العزيز الحديدي الأبية، وملامح الحزن بملامح أبيه وكأنه تذكر فقدهم الغالي أمه

فمند عاد وعلم من واحد ممن يعملون معه بفريقه الأمني أن السيارة تم التلاعب بها عن عمد وبدأ البحث يسافر بالنهار يوكل مساعديه بكل الأمور الخاصة بعمله وعقوده الأمنية المتعددة، وهو يتفرغ لأشرف..

ولأنهم يعلمون بعضهم جيداً فالآخر حذر كلما ظن أنه أمسك عليه خيطاً تسرب من بين يديه منسلاً، لذا فبعد عودته يفرغ كل طاقة حنقه وغضبه بالصالة الرياضية بساعات عدة قبل أن يقابل مروة بالتمرين فهو يخشى أن يصيبها بأذى لو أطلق غضبه الصراف عليها وهي لا تقصر باستفزازه وتحديه..

يستمتع بها غالباً وتثير سخطه أحياناً وتثيره دوماً

تلك الفتاة تركيبة لم يقابلها من قبل؛ ضعف واستكانة لم يرها سوى أمام ابن خالتها رفيقه بالشقة..

عنيدة قوية أمام كل من يجابهها، قادرة على العناية بنفسها في أحلك الظروف وهو شهد ذلك بنفسه رؤى العين، عادية الملامح ربما لكن بين لمعة عينيها ووجنتيها المنحوتتين وشفتيها الخالية من أي مستحضرات جاذبية من نوع لا يفهمه لكن يشده بانجذاب جعله يضغط على حدود جسده ليسافر يومياً ويتبع رحلة السفر بتدريبات عنيفة لأربع ساعات متواصلة وينتهي بعد ذلك برحلة ايصالها للمنزل يتفنن في إطالتها كل مرة بحجة مختلفة؛ يتذكر حين أخذته لأحد أشهر محلات شطائر الكبد

بالأسكندرية، محل صغير بحارة ضيقة وهي لم تخجل من طلب
عدد من الشطائر قارب ما طلبه لنفسه ولم تحرم نفسها من التحلية
من لفائف القرفة بعدها، فتاة تستمتع بطعامها ولديها من الجرأة
للأكل بالشارع بتلقائية أسرت اهتمامه

ذكري اليوم مازالت حية بذاكرته، غضبها منه، قربها برائحتها
الأنثوية الخالصة دون روائح مصنعة، تهديدها، نظرتها لجسده
بامتعاض، تحذيرها له، والأكثر لذة كانت ضحكاتها حينما تصنع
الالتفاف الخاطئ الذي كلفهم ساعة ونصف زيادة على موعد
عودتهما ضحكاتها من خطئه مازالت تطرب أذنيه..

تلك الفتاة متفردة باختلافها

يحادثها كما يحادث صديق.. لا تخشى التعبير عن رأيها
بصراحة، وضوح أفكارها دون مورابة أو مآرب مختلطة..
والأكثر إثارة هو حينما تقتنع بخطأ رأيها، لا عناد لا مكابرة
معها ما تراه هو ما ستحصل عليه

لمعة مشيرة مرت بعينه

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

عقل صديق ممزوج بعذرية مشاعر بشخصية أمازونية يحتضنهم
قوام نحيف مكتنز المنحنيات..

هي خلطة مثيرة باقتدار تستحق وقته واهتمامه عن جدارة حتى
يتوصل لقرار

فعلى الرغم أنه عين ثلاثة أشخاص ليحلوا محله صباحاً وقت
السفر أو حين انشغاله معها لمراقبة الأخريات ورغم جهوده وهو
بالقاهرة إلا أن الوقت ليس بحليفه تلك الأيام.. ضيق يتلاشى
بسرعة صاروخية يحتاج لوقت أطول معها ويحتاج لوقت أطول
ليصل لأشرف الذي لا يمهل الكثير ليسد عليهم كل السبل
لهزيمته ..

فعلى عكسهم أشرف لا يترك نفسه للإلهاءات ولذا كان الحل
الاستعانة بمن يستطيع التركيز أكثر منه إن لم يكن يفوقه
ألا يقولون لا يفيل الحديد إلا الحديد

ورغم تحذيرات والده من أن يبتعد عن مهند ولا يشركه بعمله
إلا أنه لم يستطع.. يحتاجه..

رأيتك دائماً

شخصية ورائحة

لذا باتصال سريع لجأ لآخر كروته وأهمها؛ أخيه مهند بعد رنة
واحدة جاءه صوته :

-البوص حبيبي! أنت فين بقى لك فترة؟

-موجود شغل في اسكندرية بس بأجي كل يوم القاهرة

-آه يا عم. اسكندرية وشتا ربنا يوعدنا

-عايزك في موضوع مهم

وانتبه مهند لنبرة أخيه الأكبر :

-أمم.. هنا؟

والرد حاسم سريع مقتضب عملي:

-لا

وجاء رد مهند وهو يسمع صوت خطواته مكماً :

-على فكرة بابا قالي أنه شافك في عزا عمي مراد.

-اه

رد ببروده المعتاد

رأيتك حاسم

شغيط ورنه

زفر مهند وهو يسمع صوت أصابعه على اللاب توب الخاص به
تنقر بسرعة :

-مش حينفع العلاقة اللي بينكم تستمر بالشكل ده هو
ساكت وأنت عنيد هو عمل اللي يقدر عليه.. وأنت محمله ذنب
مش ذنبه

عقد ليث حاجبيه فالوحيد الذي يتجرأ على فتح هذا الموضوع
بالذات معه هو مهند أخيه الصغير:

-مهند.. مش عايز أتكلم

ومهند لا يرتدع لا يهابه فهو قد مل من البرود بين أبيه وليث منذ
وفاة امه :

-لا مش حاسكت.. هو عمل اللي عليه باع اللي وراءه واللي
قدامه علشان يعالجها... ما تحاسبوش أنه رفض يمد ايده يستلف
من عمي مراد ولا عمي عبد العزيز علشان يعالجها ... ما
تحاسبوش أنها رفضت تتعالج بفلوس ما نملكهاش
-مهند!!

نطقها ليث بزمجرة شرسة تنبأ بنفاذ صبره مع أخيه

لم يتراجع مهند بل استمر مثل كل مرة يحادثه أخيه يسمعه نفس الكلمات وحين يزمجر أخيه بتحذير يصمت خشية أن يفقده هو الآخر لكن اليوم لن يصمت نظرة الحزن في عين أبيه، الكلمات الصامته عن خوفه من أن يموت دون أن تصفو الأمور بينه وبين ليث، عن الوجد بنبرته حينما عاد من ليلته التي قضها مع أبو إياد عمه عبد العزيز خوفه من الموت..

فأكمل وأصابه تتوقف عن العمل:

- ما تحاسبوش يا ليث وتجلده على قرار أمنا هي اللي اخدته...
كانت عارفة أنها بتموت ورفضت تسبينا من بعد موتها في ديون وكسرة قدام أي حد مهما كان.. هو مش قادر ينسى اللي قولتله فوق قبرها.. أنت ما بتسمعوش لما شوية سخونية يجوله ويهلوس كأنه بيشكيلها كرهك ليه

ساد الصمت قبل أن تخرج نبرة ليث باردة كقبر مظلمة بذنب :

- كان يقدر يحاول ويعافر.. لا كان لازم يعافر.. كان ممكن ينقدها هو اللي تخاذل وده حيفضل بيني وبينه طول العمر.....
صمت ساد لثوان أخرى فناشده مهند :
-ليث..

قاطع ليث ببرود وعملية معتادة منه :

-أمنت الخط؟

تنهد مهند وهو يصل كابل من حاسبه الشخصي بهاتفه المحمول :
-

تمام يا ليث

-اسمعي كويس وما حدش تاني غيرنا يعرف اللي حاقولهولك ده وبالأخص بابا... عمك مراد مات بفعل فاعل والفاعل ده احتمال ٩٠% يكون أشرف الراسي

-أنت بتقول ايه مستحيل !!

زفر ليث ومهند يكمل بعدم تصديق :

- أشرف صحيح طرقة قدرة ومجنون بفكرة أنه يتفوق على إياد
 مهما كانت العواقب أو الخسائر بس مش لدرجة أنه يموت عمو
 مراد صاحب أبوه.. لا يا ليث هو مش بالسواد ده.. لا..

تهكم ليث فلا أحد غير إياد وباسل وهو وأبو ناريمان يعلم بمدي
 حقارة أشرف على أرض الواقع :

- صدقني لما أقولك أنه يقدر

- طب واياه المطلوب مني؟

- تهكر حساب أشرف الشخصي

اتسعت عين مهند وهو ينظر خلفه لباب الغرفة يتأكد من أن أبيه
 لن يستمع لحديثه وإلا سيجن جنونه :

- بس أنت عارف بابا..

قاطععه ليث:

- عارف.. لولا أن ما قداميش حد تاني أثق فيه وفي قدراته
 غيرك ما كنتش جريتك معايا للموضوع ده. ز بس أنا محتاج
 دماغك

- بس أنا لازم أوصل للاب حتى ولو لاسلكي لازم أقرب منه وأنا
ماليش علاقة مع أشرف ...
قاطععه ليث مجدداً برفض :

- لا أنت مش حتقرب من أشرف.. جهاز اللي أنت عايزه وواحد
من رجالي حيوصلها لأقرب مكان من لاب أشرف، لكن أنت
حتبقي في مكنتي بين رجالي وأنت بتشتغل مفهوم؟.. وما
حدش حيعرف أنت بتعمل إيه إلا محمد ذراعي اليمين..
مفهوم؟.. ولا جنس مخلوق يعرف.. لا جوه مكنتي ولا بره.

- حاضر.. حاضر.. عايزني أعمل ده امتي؟

- بكره الصبح وأنت نازل للجامعة محمد حيستناك على أول
الشارع

- تمام.. وأنا حاجه نفسي.. خلي بالك من نفسك يا ليث

نطقها مهند بقلق أخوي متوتر

ليجيه ليث بدفء:

- ما تخافش.

انهى اتصاله بأخيه رغم خوفه على أخيه وغضب والده حينما علم بمهارة مهند اللامحدودة والعبقرية باختراق أي حاسب وهو يخشى أن يتهور لكن للضرورة أحكام

صوت رفيقه بالغرفة يتعالى بضحكة رائقة ودون أن يكلف نفسه عناء التفكير في السبب رفع قامته من الموقع المسترخي عليه تجاه باب الشرفة ليراها واقفة هناك؛ مازالت بملابسها التي عادت بها تشارك الضاحك بالداخل ضحكاته بقهقهة عالية استقرت بصدرة وارتسمت على شفثيه ابتسامة مماثلة وهو يراقبها، فعلاقتها بابن خالتها هشام مميزة أخوية دون شك حتى مع زيد علاقة هادئة باحترام..

هو فقط من يثير حيرته ابن خالتها الآخر؛ عصام..

يتذكر المشهد المزري الذي وضع نفسه به بصالة التدريب حين وضعت له حد قاطع وبالتأكيد يتذكر نبرات صوتها العالية بعد ما عادت يومها بدقائق فذاك العصام مختلط الإشارات.. تارة يشعر به معجب بها وتارة أخرى مجرد أخ مهتم..

الله عالم

تخفيف ورنج

زفر وهو يخرج للشرفة كما يفعل كلما لمحها بالشرفة يسارع
لاقتحام وقتها وزرع نفسه بداخلها..

ألم يقل هي تجذبه بشدة وهو سيطارد انجذابه حتى النهاية حتى
لو عنى سحق المدعو عصام..

سيسحقه

مر أسبوع منذ عاد للقاهرة بمنزلهم الحالة بين خالتيه حورية
وأحلام مع أمه بدأت في التحسن والفضل لا يصدق هذا!

لكن الفضل لناريمان فتلاحق الأحداث منذ أعلن إياد في
الصباح الذي نزل به للإفطار بيت جده مع الفتيات ومفاجأته
بإياد جالسا بجوار ميرا بل يكاد يكون ملتصقا بها وتكشيرة
ظهرت على وجهه الآن مثلما ظهرت وقتها..

الحمقاء ما أن ظهر أمامها حتى عادت له!

زفر وهو يتذكر إعلانه اضطرار سفره لحالة الغزاء..

منظر ملامح وجه زيد وانسحاب اللون من وجهه حينما سمع من إياد بحالة ناريمان النفسية بسبب موت والديها جعلته يقرر العودة مع إياد، وبعد مكالمة هاتفية سريعة أعلن إياد أن ليث قادم..
ووقتها أعلن عصام أنه يجب أن يبقى مع الفتيات حتى يعود ليث..

يتذكر الغضب الذي حدج به مروة فهو لم ينسَ بعد ما حدث بينهما من مشادة بسبب تدريبها مع المدعو ليث..

قربها منه تلامسهما حينما دخلت من باب المنزل

لم تكد تغلق الباب حتى جذبها من يدها بقوة يعنفها :

-اللي انتِ بتعمليه ده يوقف حالاً .. تعتذري عن التمرين معاه..
تلغيه تبطلي خالص مش مشكلتي لكن اللي اسمه ليث ده مش
حتقدي معاه تاني ولا تقابليه لوحدكم

نظراتها المندهشة الغير مصدقة وهي تنظر له وليده التي تقيد عضدها.. التوتر الناضح من مسامه فرفعت إحدى حاجبيها وهي تحاول التحكم في غضبها :

- سيب ايدي حالاً

نطقها بتهديد جعل عصام يزداد غضباً :

- أنتِ سمعتِ اللي قولته ولا لأ؟.. يتنفذ فاهمة!

صرت على أسنانها تحاول مواجهته ببرود لا تتحلى به للأسف:

- آه سمعت وكأني ما سمعتش.. عارف ليه؟.. لأنك مالكش

صفة في حياتي!.. مالكش عندي أكثر من صلة الرحم وبس يا

ابن خالتي.. وصلة الرحم دي مافيهاش أي بنود تقول تتحكم فيا

وفى حياتي.. وسيب ايدي ما تخلنيش اتهور عليك

كلماتها، نبرتها، نظراتها المتحدية أمامه وهو يتذكرها بين يدي

الآخر تلامسه تقترب تتضحك معه أثارت غضبه فهتف بها :

- أنا تقوليلي سيب ايدي وهو ما كانش بيسيب ايدك وتقريباً

كنتِ في حضنه

وبالثانية التالية كانت يدها حرة وهو يواجه الجدار وهي تشني

ذراعه بشدة تسيطر على حركته بعنفوان لم يره منها من قبل..

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

وهي تلكمه على ذراعه المشئية لينتشر ألم قاس بذراعه وهي تهتف به بغضب :

-اخرس.. أنت متخلف وما بتشوفش إلا اللي عايز تشوفه وأنا مش مضطرة أبرر لا لك ولا لأي حد.. أنا مش واحدة من إياهم اللي بتصاحبهم حتمشيتها على مزاجك ولا تمسكها من أيدها وتعرف تستقوي عليها.. فوق أنا مروة.. الذكر اللي ناقص له شنب ولا نسيت!

نفضت يده بحنق حينما خرجت يارا مفزوعة من غرفتها هي وميرا تتسألان بقلق:

-في ايه اللي حصل؟

مرت بهما مروة والغضب يشع منها تخبرهما:

-ولا حاجة ما تشغلوش دماغكم بتفاهات

وقبل أن تختفي بغرفتها حدجته بنظرة واضحة تضعه بقالب غريب عليه

- من هنا ورايح تلتزم بحدودك معايا ويوم ما تتجاوزها صدقني
مش حاكون متسامحة زي النهاردة تاني.

يتذكر صوت صفعها لباب غرفتها انتفضت له الفتاتان ونظرات
ميرا واقترابها الحاني منه لم يفهمه..

لم يفهم لما تربت على كتفه وكأنه قد أخطأ!

أين خطئه فهو يخاف عليها من رجال أمثال إياد وليث..

لا يفهم..

لا يفهم لما يشعر بتلك النيران المشتعلة كلما مرت عليه الساعة
الثامنة وهو يعلم أنه معها يلمسها يضاحكها والأكثر أنه يوصلها
للمنزل كما علم من أخته..

لا يعلم لما لم يعد يستسيغ الحديث مع سهام ولا مراسلتها
برسائل مثل قبل ربما لأن احتياجه لها انتهى..

فقبل أن يسافروا أخذه زيد للعمارة المقابلة دون أن يفهم لما
ولماذا فهو لم ينبس ببنت شفة عن أينما اختفى البارحة..

ظل يفكر بشرود ساهراً وفي الصباح كان كمن تبدل..

ابتسامة واسعة على وجهه وكأنه عاد زيد القديم المرح
المسترخي وعاد لشروده حين سمع بخبر الوفاة يجره خلفه وهو
يكاد ينفجر لولا مرضه لقام بلكمه مفرغاً غضبه.. دقائق وقف
أمام باب ودق جرس الباب..

فأصررت من بين أسناني:

- أنت جررتني وراك على فين؟ وبعدين فهمني ايه حوار استنى
لما ليث يرجع وبعدين ارجع؟!.. ها من امتي بنسيب البنات مع
أغراب و...

صمت.. بهت.. صدم..

سموها ما شئتوا فأمامه يقف أخوه بابتسامة حمقاء معتذرة
وتجمد هو..

هشام أمامه بخير وكان على بعد خطوات طوال الفترة الماضية
يحدق بأخيه بغضب بشوق بعتاب بألم وتشوشت رؤيته بدموع
امتلت بها عيناه فهو لم يستطع أن يتخلص أبداً من خوفه من
مفهوم الوصية أنه ربما لن يعود..

الاحتمال كان يقتله من داخله ابتلع ريقه وهو يشير له :

- أنت كنت هنا من ساعة ما سبتنا؟!!

سؤال أم تقرير لا يهم..

المهم هو ألم افتقاده المتدافع بعروقه والممزوج بدموع فرحته برؤيته لم ينتظر هشام.. تقدم منه وأخذه بين ذراعيه محتضناً إياه..

تصلب بالبداية.. حاول التملص منه، لكن الدفء المشع منه غلبه.. افتقاده اكتسحه ليترك نفسه بين يدي أخيه يتشبث بقبضتيه بظهره ويغمض عينيه مطلقاً سراح عبراته القليلة على صدر أخيه الأكبر وتاهت الكلمات بين عتاب غاضب وعودته عاد ولم يعد يراقب الفتيات يطمئن عليهن جميعاً من بعيد والسبب مجهول لم يفلح باستنطاقه ولم يعد يصدق أن غضبه من أمهم هو السبب الأوحده..

الفتيات فقط هن من ظلن بعثمة افتقاده..

تنهد وعاد لتدليك رقبتة من جديد رغم عودة أخيه لتولي الأمور
ولو عبر الهاتف فقط فهو لم يعد للقاهرة إلا ليلة العزاء أدى
واجب العزاء وعاد لمكمنه..

ظنه كان بمحله علاء محاميهم وصديقه كان السر هو من يطمئنه
عليهم، يحمل له أخبار العمل أولاً بأول، ويحمل توصياته مقدماً
إياها على أنها توصياته الخاصة هو.. العمل عاد بقوته وانتظم
وبدأت تعود أحوال الشركة للاستقرار بمجرد انتشار خبر توليه
الأمر من جديد ولو عن بعد.ز

ما يشغل باله حقاً هو متى سيعود للظهور بطبيعية متى سيعود
فحالة زيد تقلقه فرغم طمئنة زيد له لكن الشحوب والإرهاق
المتواصل والسريع له عند بذل أي مجهود يربعه وهو ينتوي
مصارحة أخيه بمخاوفه ضارباً بعرض الحائط طمئنة زيد له
الواهية فحالته مقلقة..

مقلقة جداً.

سبعة أيام لم يصدق أنهم انتهوا متمسك بحافة حوض الحمام
يفرغ ما بمعدته، فالدواء الجديد يسبب له الغثيان الشديد ولكنه
مضطر للمواظبة عليه لعل وعسى..

انتهي بصدر يعب الهواء بسرعة رش قليلاً من الماء على وجهه
ليفيق قليلاً منذ أن قابل هشام ويبدو كأنه جذب بداخل دوامة لا
تهداً..

الغضب والافتقاد استهلكا طاقته ولكن ما أن سمح لغضبه
بالانفجار، ذاك الغضب فكره بمراهقة قديمة..

تنفس بعمق ما أن أطلقه حتى احتل عقله القيادة لحظات من
التفكير وأصبحت أمنية البارحة المستحيلة، متاحة، لا موانع، لا
قيود، طوع الانتظار

سؤال يسأله لنفسه أيمكن أن يتحقق ما يفكر به؟

لكن كيف لم يجد وقت كافٍ مؤخراً لتنفيذ ما فكر به فخبر
موت والدي ناريمان وحالتها النفسية السيئة قبض قلبه وأصر على
السفر مع إياد المندهبش من إصراره وساعات تلتها مقابلة عصام

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاح

بهشام ورحلة الإياب للقاهرة المجهددة له وحين وصلوا لمشارف
القاهرة لم يذهله إصرار أمه وخالاته على الذهاب للغزاة..

حين وصلوا للغزاة منزل فخم يكاد يكون مشابه للقصور حين
دخلوا لقاعة الاستقبال بالمنزل تفاجأ..

لم يجدها!!.. أين ناريمان بجنون جمالها المعتاد!؟!

بحث بين الوجوه ولم يجدها ليصدم بإياد يذهب لفتاة تتوسط
الغزاة بجانب السيدة منيرة أم إياد؛ فتاة جالسة تحتضن كفيها
تتشبث ببعضها كمن يخشى التداعي، ترتدي السواد بنطال
وقميص متواضع وخصلات شعر عسلية مسدلة تغطي ملامحها
الشاردة..

ربما قريبة أو أخت لها لا يعلم عنها..

وكلما اقترب كلما اضطرب، بها شيء غريب ومألوف..

واقترب مقدماً نفسه لمن جاورها من سيدات وحين اقترب منها
كانت كمن يرتعش ترفض مصافحته حتى حثتها السيدة منيرة :

-سلمي يا ناريمان ده كابتن زيد ابن خالة ميرا مش فاكراه!

وبصعوبة استطاع كبح شهقة الاستغراب؛ خصلات عسلية عادية
وبمقدمة رأسها خصلتان كبيرتان فضيتان بوضوح..

تمد له أنامل مرتجفة.. اتخشاه؟

فلم يتمالك سوى أن شد على أناملها مغمماً مقترباً :

- ناريمان بصي لي

واستجابت باستكانة رفعت له وجه برئ الملامح دون أي تبرج..
وعيناها ... لديها عين مختلفة عن الأخرى؛ إحداهما زرقاء
والأخرى عسلية شبه ذهبية.. لم يفهم مظهرها الحالي وبعينها لم
يجد قناع..

كانت هي دون دروع أو تمثيل..

حورية القمر متميزة على الدوام تتم لها :

- البقاء لله..

ولم يستطع الاكمال فأمه وخالتيه اكتسحنها بأحضان ومواساة لم
تنج منها إلا بعد أن انفجرت باكية..

تبكي متعلقة بأحضان أمه بحميمية غريبة، تدفن رأسها بصدرها
وتبكي ملء جفניה..

وهو جلس مشدوه لا يرفع عينيه عنها..

من بعيد يراقبها تنهار تتفتت وخالته حورية كمن شعرت بها
تحتاج للحنان للاطمئنان؛ احتضنتها هي الأخرى وأصبحت
الاثنتان تحيطان بها كشرنقة.. ولم تتركها إلا بعد أن انتهت من
عبراتها حتى وإن استغرقهما طوال الأمسية

وبعد نهاية العزاء صار بينهما عراق حورية وعبد العزيز
الحديدي، حين يتواجه الكبار.. كانت مواجهة فاز بها عبد
العزيز فقط ما أن قررت السيدة منيرة انهاءها بتصريحها :
-أنا حاخدها معايا البيت..

ونبضة غادرة تواثبت بقلب زيد فقد ظنها ستأتي بها لمتزله
ولكن حين اكملت تهالكت تلك النبضة بفرحة لم تتم

-حتبقي مرتاحة في الفيلا عندنا هي واخدة عليها ومش
حاسيها أبداً

هزت ناريمان رأسها بإجهاد..

يتمنى لو كان له سلطة أي صفة ليأخذها من بين الشفقة المحيطة بها..

تلك الفتاة المتميزة بجمالها الفريد الضعيفة المكسورة تتسلل لحواسه..

ومن يومها وهي بند أساسي من بنود يومه؛ ما بدأ اليوم التالي للغزاء مكالمة بسيطة تفاجئ منها أنها تستعد لزيارة قبر أبويها فأصر على مصاحبته، ومن وقتها وهو يصاحبها يوماً في رحلتها اليومية قبل أن يفكر بالذهاب للعمل، ثم يظهر ليلاً يراقبها بيثها طمأنينة يدعمها من بعيد

اليوم لن يستطيع، مضطر للذهاب لموعد الطبيب فالعلاج الأخير ينهك جسده يشعره بالتعب سريعاً وعصام يراقبه كصقر يلاحظ كل ما يجد على صحته أسرع مما يلاحظها هو على نفسه..

ابتسم بتهكم سيضطر لإلغاء مواعده معها فطيبه سيراه على وجه الاستثناء فقط إن أتاه باكراً

أسرع يرتاح على طرف فراشه يستجمع شتات نفسه حتى يستطيع
مواجهة أمه دون أن تفتن لحقيقة ما به..

ما أن ردت عليه جاءه صوتها بهدوء:

- أيوه يا زيد

ابتسم لا يعلم كلما سمع نبرة صوتها الهادئة يبتسم :

- اخبارك ايه النهاردة ؟

يكاد يرى ابتسامتها وهي ترد بخفوت :

- الحمد لله أحسن ...

صمت لثوان قبل أن تكمل:

- حاكون جاهزة في الميعاد مش حأتاخرزي امبارح

اغمض عينيه لكن الدواء الجديد متعب لا يستطيع التأجيل :

- ناريمان ... أنا مش حينفع أجي النهاردة .. عندي ميعاد مهم

تلعثمت ونبرتها ثقلت أنفاسها فأغمض عينيه وهو يسمعها:

- آه طبعاً طبعاً.. أنا آسفة أنا أخذت من وقتك كثير وعطلتك..
 آسفة أنا بس تخيلت ... ولا يهكم أنا عطلتك سوري بجد
 قاطعها متنهداً لقد أخرجها مضطراً ولهذا طعم مرير بقمه :
 - أنا آسف بس الميعاد مهم مع ...
 قاطعته بسرعة :

- أنت مش محتاج تبرر لي.. صدقني.. مش مديون لي بأي
 أعذار.. أنا اللي آسفة
 ساد الصمت بينهم دون رغبة من ايها سألها :
 - أنتِ حتروحي برضه؟

- آه مع السواق.. ما تقلقش ... أنا لازم أقفل مش عايزة أتأخر..
 سلام

- خلي بالك من نفسك لحد ما اشوفك بالليل
 أنهى اتصاله بها وهو نادم لاعتذاره فلهجتها الممتنة ألجمته..
 كان بجانبها وهي تذهب متماسكة وتعود دامعة باكية..

أول مرة دموع دون كلمات..

يوماً بعد يوم حلت عقدة اللسان وأصبحت رحلة العودة تبكي
بدموع وتخرج ما بقلبها من كلمات مطمورة منذ سنوات..

بسبعة أيام أصبح يعرفها كما لم يعرفها حينما كان يحادثها
لشهور..

غربتها المتبوعة بوحدتها، ثم شكلها المختلف المرفوض،
ومحاولاتها باستماتة للتكيف لترقى لتوقعات والديها وطبقتها
المخملية..

تنهد من سيسمعها اليوم بغيابه..

صوت أمه الذي يحثه للقدوم للافطار جعله يسرع لها مستعيناً
ببعض المرح:

- صباح الفل يا أحلى روكا ايه كل ده

حدجته بتضيق عينيها :

- بلاش تضحك عليا وافطر كويس وشك مش عاجبني

رأيتك عالم

شغيط ورنج

هز رأسه بقله حيلة مغمغماً :

- أنتِ من ساعة ما عرفتِ موضوع الدكتور ودايماً شكلي مش عاجبك مع أنك بتيجي معايا وبتطمثني بنفسك ولا العيال الصغيرة!

هزت رأسها بحيرة :

- مش عارفة.. صحيح الدكتور بيطمثني قبل ما تاخذ العلاج لكن قلبي مش مطمئن.. مش عارفة جرى لكم ايه! اتحسدتوا ولا ايه.. إن كان أنت ولا عصام اللي مسهم اليومين دول لدرجة خالتك حورية قلقانة عليه.. ما تعرفش ماله؟؟

هز رأسه بعدم معرفة فحاولت مرة أخرى :

- صحيح أنت حتروح لخالتك بعد الشغل؟

هز راسه بأيجاب :

- بيقلوا معرفة لوالده من زمان.. أنا مش عارف ايه لزمته!!..
باسل وقاعد عند جد ديما ضيف، نقوم نكبس عليهم احنا!!
خالتو حورية اما بتعند بتقفل خالص

تنهدت :

- هي قلقانة عليه.. الولد دخل قلبها من يوم ما شافته.. طاوعها
ما تضايقهاش بس هو ماله تعبان شكله مجهد؟

ونالت هزة رأس بعدم معرفته لتعض علي شفيتها مكملة :

- عارفة مش حطلع منك بجملة مفيدة.. أنا مش فاهمة جرى لكم
ايه!! أنت ما بقيتش باشوفك، وهشام اللي ما ظهرش من ساعة
الغزا تاني، وخالتك أمال كاتمة في قلبها وساكتة، ولا أختك اللي
مش عارفة أشوفها بقي لي شهور، وبنت خالتك ميرا قلبي
واجعني عليها خايفة تقع في اللي وقعت فيه والعند يضيع لها
حياتها

غمغم وهو يتجرع العصير الطازج :

- ما تقلقيش كل حاجة حتبقي زي الفل بس ادعي لهم أنتِ
دعوة من دعواتك الحلوة

رفعت يداها وعينيها للسماء تدعو من أعماق قلبها :

-ربنا يشفيك يا ابني من كل شر، ويهديك يا عصام ويريح بالك،
ويهديك يا ميرا لجوزك ويهدي جوزك ليك، ويطمني عليك يا
يارا أنت وهشام ويردكم لينا عاجلاً وليس أجلاً يا اارب
مال مقبلاً يدها وهو يسرع للخارج فمعدته لن تحتمل لقمة زائدة
يتمني فقط أن تستمر تلك اللقيمات بها حتى يصل لطيبه

-حتقابل ناريمان برضه؟

استدار لها مضيقاً عينيه بشقاوة اعتادتها منه :

-صحوبيتك مع طنط منيرة دي حتيجي على دماغى مش كده
... عموماً لا مش النهاردة عندي ميعاد مهم

وخرج يحمل في أثره دعواتها ورقياتها له المعتادة وابتسامته
تخفت مفكراً بمن ذهبت تقابل من رحلوا وحدها

أنهت معه اتصاله ولم تستطع منع عبراتها من الهطول دقيقة اثنتان
ثم مسحتهم تَوْنِبَ نفسها بصوت عال :

-فوقي يا ناريمان مش مجرد حركة جدعنة وشفقة يبقى مهتم أو
يبقى قدر يتقبل شكلك على حقيقته

رفعت عينيها لمرأتها تناظر عيناها ذات اللون المختلف التي دوماً
حرصت أمها أن تخفيها عن عيون الجميع.. خصلتي شعر
فضيتين ورثتهما عن جدة أمها الهولندية مع بشرتها الكريمة
المشوبة باحمرار دون جهد منها، والاسم شيبة منذ صغرها..
وأمها تقوم بصباغتها باستمرار أولاً بأول..

بصغرها اسمتها تجميل وبشبابها اوضحت لها الحقيقة؛ كل ما
اختلف عن المألوف مكروه ستكون مسخ، أضحوكة مجتمع..
واستدامت هي على نهج أمها، بل أتقنته وبعد أن أجادت
الكذب بطبيعية متقنة تاقت للإبهار.. أصبحت تتفنن بمظهر
جديد كل فترة لتظل محط الأنظار..
كل يوم.. كل ساعة..

وجاءتها اللطمات؛ الأولى: من أشرف، امتنها حرفياً من أجل سلطة، وإياد أطاح بها رغبة في انتقام استحقتة عن جدارة، وبالنهاية كانت اللطمة الكبرى هو زيد..

وما أن عاد لحياتها ذاك الإحساس بأنه مازال لديها شخص ما، إحساس كانت تخشاه بالبداية، ولأنه مثل حد التوق تشبث به ليفقها اليوم..

لم تتوقف.. أسرع بخطواتها وبعد تحية سريعة مقتضبة أسرع للخارج وبغضون ثوان كان السائق يحملها لوجهتها..

شردت بتفاصيل رحلتها اليومية كوب القهوة كما تحبها ومعجنات فرنسية من محلها المفضل، تتذكر أنها أخبرته قديماً عنه.. ويدخل معها ملقياً السلام قارئاً فاتحة الكتاب وينهيها بدعواته بالرحمة ويغادرها.. يتركها بحرية تحتاجها فهي لم تشعر يوماً بقربها من أبيها كما الآن.. هي تحكي الآن دون أن تقاطع، دون أن يوقفها، يقاطعها، يهتمما بما هو أهم منها..

الآن هما مجبران على الإنصات..

وهي تخبرهما بمدى كرهها للتظاهر، للتلون، بمدى وحدتها
وهي بين أحضانها، عن غربتها بوطنها
تحكي وتحكي دون توقف..

واليوم كانت حكايتها عمن اشعروها بالفارق:

-عارفين.. كنت قاعدة وسط ناس من عيلتك يا ماما وطنط
منيرة.. كنت حاسة ببرد غريب برد من جوايا وحدة رغم زحمة
الوجوه حواليا.. وفجأة ظهر هو.. شوفته.. عارفة يا ماما اتكسفت
أنه حيشوفني على حقيقتي.. لما كنت بكامل قناعي وشافني
على حقيقتي من جوه وحشة كنت خايفة.. نبرة صوته طمنتني..
نظرة عينه حسستني كأنه شايف لوحة نادرة.. لمعة عينه ناحيتي
شبه لمعة عينك يا بابا ناحية لوحة بيكاسو اللي دفعت دم قلبك
ولفيت وراها من بلد لبلد علشان تحطها في مكتبك.. ما اقدرتش
أصدق بعد ما ساب أيدي وبعدها حسيت بالبرد بيزيد جوايا
بيخنقني وفجأة لقتني في حضن دافي وصوت حنون بيهمس في
ودني عيطي ما تكتميش جواك.. وعيظت.. بكيت بكل اللي
جوايا من حزن وقهرة ووحدة.. ما زهقتش، ما ملتش، ما

بعدتش.. كل ما كان صوتي بيعلى كانت بتحتويني أكثر وأكثر..
 عارفة دي مين؟.. مش خالتو يا ماما.. ولا حد من أعمامي.. ولا
 عماتي اللي مظهروش لحد دلوقتِ إلا ببرقيات عزا شيك وواعد
 بالحضور قريب.. دي مامته هو دون عن أي حد.. مامته!.. ليه
 حرمتوني من حضن زي ده وأنتوا عايشين؟ ليه؟؟...

قاطع صوت بكائها ونهنتها العالية لمسة يد قوية على كتفها :

-كوكيز

انتفضت على الكلمة التي دوماً كانت تسمعها من رفقتها وهي
 صغيرة؛ إياد، وباسل،

أ يكون باسل!!

فالتفت له لتشهق بصدمة أوقعتها ارضاً على عقبها تستند
 لشاهدي قبر واليها تستجير بهما فمن أمامها آخر شخص ترغب
 بأن تراه بالوجود :

-أشرف!

أسبوع مر منذ أن قرر أن يذهب ولو رغماً عن الجميع لعزاء عمه
مراد يواسي ناريمان ولو ليوم واحد لكنه لا يستطيع.. يكفيه أنه
لم يكن موجود وقت مراسم الجنازة..

لا يصدق مدي تغير حياته من يومها خرج من غرفته مرتدياً
كامل ملبسه مستعداً ليجد جد ديما الدكتور محمد جاهز بغرفة
الاستقبال يخبره أنه سيأتي معه لن يتركه وحده وأتبعها بتأكيد
أنها ليست بحراسة أو عدم ثقة فقط قلبه أنبأه أنه سيحتاج لمن
يتكأ على كتفه حين العودة وهو يظن أن صديقه قد يكون مثقل
بما فيه الكفاية..

لا يعلم الجد كم أدفأت تلك البادرة قلبه..

ذهبا معاً وحين السؤال عن الصلة أجاب الجد مرتباً على قدميه
بأنه صديق قديم للعائلة يعرف والده معرفة قديمة ولم يحالفه
الحظ إلا مؤخراً ليراه من جديد..

لم يصدق حال ناريمان؛ وجهها، شعرها، ملامحها المختلفة؛
كأنها ناريمان جديدة تنبثق أمامه من رماد تلك المتباهية اللامعة
على الدوام.. ناريمان أكثر بساطة وهدوء وانكسار أدمى قلبه

فمن خيراً منه ليعلم ألم فقد الكل.. كل ما لك.. كل ما يربطك
بالحياة فيصبح رباطك بها واهي كالدموع التي تظل تتساقط رثاءً
للغائبين..

هو يحمد الله كل يوم على ظهور أم إياد والخالة حورية؛ الاثنان
قدما لها ما تفتقده وارتعشت ابتسامة دافئة ممتنة على وجهه،
فالخالة حورية حين رآته لم تتركه.. عاتبت على ابتعاد واشتكت
من قلة سؤاله.. تلك المرأة بقلب رؤوم يتسع لكل محروم..

استفسرت عن سوء حالة جسده، عن انطفاء لمعة عينيه،
امتعضت من قلة غذاء وارهاق واضح على هالات عينيه..

وديما تلك الفتاة شوكة بخاصرته لا تتقبله ورغم مرارة الفكرة هو
يعذرهما هو يذكرها بأسوء ما مر بها

كل يوم تتأخر بعملها يكاد يكون متعمداً..

لم تسافر الإسكندرية بسبب ارتباطات عملها..

سمع شيئاً عن بروفيسور إيطالي يؤخرهم بالعمل..

الجد أصيب بدور برد قوي جعله يبتعد عن عادته بالسهر
بالشرفة للفجر لذا استغل هو الفرصة للسهر وحده..

كانت كلما رآته ساهراً تعود لغرفتها صافعة الباب بغضب.. يوم
والثاني حتى بدأت تتحداه؛ تجلس أمامه.. وتتحاشاه يومين..
ولم تتحمل هي تجاهلها له..

اتسعت ابتسامته فهي ورثت من جدها المباشرة والصراحة لا
جدال..

وعلى ما يبدو اكتسبت القليل من عقلية جدها العبقريّة وإن
كانت بمجال الجيولوجيا.. سألتها عن عملها أثناء اجبارها له على
مشاهدة برنامج وثائقي على قناة ناشيونال جيو جرافيك وكأنه
شاعل فتيل!.. لم تكتفِ من الحديث وهو وجد مدخل لها..
فكلما شعر أنها أوشكت على الصمت يثيرها بسؤال جاهل من
جديد.. تثور.. تمتعض.. تنهر.. ولا تكتفي إلا وقد أوضحت كل
الأمر بموضوعية..

وهو جالس ينتظر ظهورها الليلي المعتاد لمشاهدة برنامج وثائقي
ما أو برنامج علمي وسيألفها.. فاليومان الأخيران أصبحت تتقبله
ولو بالقدر اليسير..

اليوم ألفت عليه تحية الصباح مما أذهله وأذهل الجددين وتربيته
الجد المبتسمة مخبراً إياه :

- أياً كان اللي بتعمله استمر فيه شكله جاب نتيجة

وهو لن يتراجع الآن.. يحافظ على نقاء جسده، الجد يساعده
بمسكنات خفيفة المفعول وعلاجات طبيعية من أعشاب وزيوت
لتقليل الألم وتشتيته عن التركيز فيه، يركز على طعامه، روتينه
الرياضي، يشعر أنه تحسن والجد يحفزه ويخبره دائماً ألا
يتعجل..

وما زال يعاني الأرق فقط

صوت باب يفتح وراها تخطو وما أن رأته حتى تنهدت باستسلام
:

- سهران برده النهاردة!

رأته حالم

شغيط ورنج

-الأرق

نطقها وهو يهز رأسه بقلة حيلة..

جلست فمد لها يده بالريموت ببساطة تناولته فسألها مغيظاً :

-برنامج ولا ديكومنتري "فيلم وثائقي" المرة دي؟

فرفعت إحدى حاجبيها باستهزاء :

-لا فيلم interceller

تنهد من داخله.. أخيراً شيء قابل للمشاهدة الطبيعية..

فؤجئ بها تمد يدها له بقطعة من حلوي الكراميل من جيب بذلتها الرياضية وتقبلها منها بابتسامة..

يشاهد معها الفيلم ولم يرَ ابتسامة الجد وهزة الرأس الناهرة من الجدة مغممة :

-أنا مش عارفة أنت ناوي على ايه؟.. حتمثل دور البرد ده كثير!!

فرغ سبابته :

- اشش.. وطي صوتك..

وهو يراقب من خلال الباب النصف مغلق البعيد الاثنان وهما
يجلسان على كرسيان متقابلان يشاهدان التلفاز بصمت وبعض
التوضيح من ديما..

ونظرة لامعة اعتلت عينيه

طرقات تعالت على باب المنزل وسلوى تتبرم ناهرة الطارق :

- طيب.. طيب.. يا اللي على الباب هي الدنيا حتطير!

جاءها صوت مرتضى قلقاً بخفوت محذراً :

- بصي من العين السحرية الأول قبل ما تفتحي

نفذت ما أخبرها به لتشهق وتسرع تفتح وهي تصرخ بفرحة :

- مش معقول رامي ابني حبيبي

استقبلته بالأحضان والقبلات.. وأبوه من خلفها..

ما أن وقعت عينه عليه دون سابق انذار عقد حاجبيه :

- أنت ايه اللي جابك؟؟

دخل رامي بعد أن أطلقت أمه سراحه يبدو على وجه السخط :

- يعني مش عارف!! مش أنت اللي ورا أنهم نزلوني أجازة
بالإجبار

تشارك سلوى ومرتضي بنظرة غير مستوعبة وغمغم مرتضى :

- ما حصلش ...

وقاطعه أزيز هاتفه برسالة أسقطته متهاكاً على مقعده..

لقد عرف الآن من أحضر ابنه على وجه السرعة ولأى سبب.

الفصل الحادي والثلاثون

في شريعة البشر للاحتضان أحكام
 حُضن كظل.. تختبئ فيه من الحياة
 أو تجنح لدفته زاحفاً تشكو النكاية..
 وحُضن الخليل.. احتواء وعين الحماية..
 وحُضن الظالم.. قهر القيد والسيادة
 أو حُضن أم.. كنف السند والكفاية..
 أو حُضن العاشق.. وطن الهداية..
 فأيهم ساقته لك الأقدار.. مثابة..

تلك الوحدة وذاك الضعف شعوران صارا صديقا طفولة وندىما
مراهقة لها.. عادا إليها بقوة رغم الصحبة التي تلحفت بدفثهم
طوال الأيام المنصرمة، هي وحدها تحتمي بشاهد قبر لوالدين لم
يكونا هنا لحمايتها بحياتها فما تراب قبورهم بفاعل!.. ولكن
لكل غريق قشة توهبه ترف التمسك بالحياة.. هو بظلامه رغم
وسامة ملامحه.. لم أتى؟.. لم ظهر الآن؟.. بعد أن تفادها على
مدى سنتان!.. ابتلعت ريقها ورعب دواخلها نقلته عيناها دون
نقصان لتراه يمت شفثيه عاقداً حاجبيه:

-ايه اللي انتي عامله في نفسك ده؟.. والمفروض اللوك
الغريب ده يبقي ايه؟

والإهانة جعلتها تفيق.. تغمض عينيها لثوان تستجمع قوة عناد
اكتسبتها عبر السنين من مواجهة أبيها وأمها.. تحبس دموع
خوف وتكتم نوبة هلع وترفع رأسها له.. عيونها تحرق به بصلافة
ورفعة حاجب مستنكرة عندما لاحظت تفحصه الدقيق في حنايا
جسدها الملقى تحت أقدامه، أسرعت تستقيم بتؤدة تنفض عنها
غبار القبور مغممة ببرود:

- أنت ايه اللي جابك هنا؟

- ايه جاي أعزي.. دول برضه مهما كان عشرة عمر.

- تعزي وعشرة عمر!!.. لسه فاكر؟!!

نطقها بتهكم متعجب فأجابها بتحذير:

- المهم إنني جيت أعمل الأصول.

مطت شفيتها بسخرية وبنبرة تقطر مرارة:

- لا والله فيك الخير.. طول عمرك تعرف الأصول.

- بتعملي ايه عند ابن الحديد في البيت؟.. ايه لسه بتجري ورا

الحصان الخسران؟

تعدل هندامها، تتفادى النظر بعيونه بحجة ذرات تراب نفذت

من على ملابسها، لن تجادل.. لن تتركه يجرها لمواضيع لا تعلم

مأربه من خلفها.. فلأشرف دوماً أهدافه الخاصة وهي معه في

العراء وحدهما دون حماية لها منه:

- سعيكم مشكور يا أشرف في حاجة تانية؟

لم يرد لدقائق طالت جعلتها ترفع عيناها له باستفسار عن صمته المريب واقترب هو، اقترب منها وهي شبه متجمدة يكبرها ببضع سنوات ويفوقها طولاً بإنشآت عديدة.. اقترب حتى صار ما يفصلهما مجرد أنفاس وهو ينظر بعمق عينيها بعينه السوداوين:

- ايه علاقتك باللي اسمه زيد محسن ده؟

ارتجفت حدقتها.. أيراقبها؟!!

ابتلعت ريقها وعقلها يللم شجاعة لا وجود لها للمواجهة:

- أعتقد ده شئ ما يخصش حد غيري.

- ايه بتلعبى على الاتنين!

والدفعة أتت من كف يدها لصدره تبعده عنها، تبتعد عن سواد ظنونه وأفكاره:

- اخرس.. امشي من هنا مش عايزة أشوف وشك تاني.

ولصغر حجمها وهشاشة تكوينها الأنثوي لم تؤثر به دفعتها الواهنة فقط احتبس يدها على صدره بقوة يقبض على أصابعها بقسوة موجعة ويده الأخرى أمسك مرفقها بقبضة ستترك علامة

على جلدها الكريمي، يقربها منه وعيناها تطالع عيناه.. يشوب
حدقاته الجنون.. تكاد تراه رؤى العين:

-خلي بالك وأنتِ بتكلميني أحسنك.. ولو نسيتِ أنا مين ما
عنديش مانع أفكرك بالقديم.

اقترب وكأنه سيقبلها عنوة لتتبخر واجهة الشجاعة الواهية، يحل
محلها الهلع والرعب، تحرك رأسها يمناً ويسرة مبتعدة وهو
يتحكم فيها بسهولة بقبضتيه حتى اقترب من أذنها هامساً:

-بلاش الشو بتاع الرفض والأخلاق مش لايق عليك.. لو عايزك
كنت خدتك وبمزاجك وهنا..

مشيراً برأسه لشاهدي القبرين خلفها وأكمل بقتامة:

-أنا اللي عايزه منك حاجة تانية خالص مالهاش علاقة بجسمك
خصوصاً بلوك البلياتشو اللي عاملاه في نفسك ده.

هي ترتعد بين يديه.. ترتعد فعلياً خشية منه.. مما هو قادر عليه..
مما يدور بعقله!

"ناريمانا.. ايه اللي بيحصل هنا؟.. مين ده؟"

تلك الجملة المقاطعة المحمولة على نبرة صوت عالية غاضبة
مستنكرة جعلتها تستجمع شظاياها وتنفض قبضتي أشرف اللتين
تهاوتا وهو ينظر لخلف ظهره يشاهد الدخيل وهي تهتف
باستنجاد:

-زيد..

وهرعت بعيداً عن مجال أشرف تتوجه إليه.. وهو رغم الغضب
مما رآه من قرب لا يفسر وحميمية تثير الحمية؛ لكن ما إن رأى
وجهها المرتعب، عيناها المليئة بالدموع حتى فتح لها ذراعيه
وهي لجأت له.. وتلك التنهيدة التي أطلقتها على كتفه ولا مست
بأنفاسها عنقه جعلته يشدد من قبضته عليها وهو يناظر ذاك
الأسمر المراقب لهما بغضب بتساؤل مستنكر والآخر يلقي
باستفسار خبيث:

- مش تعرفينا يا ناريمان!.. يصح كده؟

والانتفاضة لجسدها بين يديه لثانية وبالتالي استقامت تبتلع ريقها
وعيناها تحديقان بالأرض، تخشى الحقيقة، تخشى أن يعرف هو
دون غيره ماضٍ ظنت أنه مات.. واكتفت بهمسة:

- أشرف الشاذلي..

وقاطعها أشرف ماداً يده لزيد:

- صديق للعائلة وصديق طفولة وشريك كمان بمجموعة
الحديدي ..

وأكمل بابتسامة:

- تقدر تقول ليا أنا وناريمان تاريخ طويل ما أعتقدش ده المكان
المناسب لشرحه.

وارتجافه جسدها حينما انتهى لم تغب عن عين زيد، مد زيد له
يده دون ابتسامة، فقط تحديقه مقيماً له.. لا يرتاح له ولا يرتاح
لتلك الابتسامة أبداً:

- كابتن زيد محسن.

ابتسم أشرف نصف ابتسامة:

- غني عن التعريف.. أنا حامشي بقي لأنني اتأخرت .

نطقها وهو يناظر ناريمان بسخرية، واقترب من ناريمان يحتضنها وهي شهقت من المفاجأة.. متصلة منكمشة لكنها لم تجرؤ على الرفض، على العصيان.. لتتسع ابتسامة أشرف وهو يهمس لأذنها:

- كلامنا ما انتهاش.

وغادر أمام عيون زيد الغاضبة ملقياً بجملة أخيرة:

- فرصة سعيدة يا كابتن.. ومتأكد إنها مش الأخيرة.

ألقي كلماته بكل ما حوت من سموم واختفى، ولم تغب عن أذنيه شهقة الراحة ولا دموع عينيها المنسكبة.. التفت لها يسألها باهتمام يشوبه بعض الحدة:

- أنتِ كويسة!.. مالك؟

هزت رأسها فالغصة التي تحكم إغلاق حلقها قاسية مسنة، وسؤاله التالي كان ما لا تمنى يوماً سماعه:

- مين ده يا ناريمان؟

ارتجفت شفتاها وكادت تتهاوى فأسندها بقلق وكل ما تردد على
لسانها:

- عايذة أمشي.. عايذة أروح.. روحني يا زيد.

وانتفض قلبه لنبرتها الجريحة المتألمة..

أسندها حتى سيارته وساد الصمت، وهي ما إن جلست حتى
تركت العنان لعبراتها تجري برحابة على صفحة وجهها، تستند
برأسها لباب مقعدها حتى وصلا لفيلا الحديدي.. ورغم غفلتها
لم يقطعها، لم يفقها.. تركها تستجمع أنفاسها وشتاتها المبعثرة
حتى ظلا ساعة متوقفين أمام البوابة دون كلمة واحدة.. وانتبهت
أخيراً لسكون السيارة:

- إحنا وصلنا!!

- من ساعة.

نطقها باقتضاب وهو يراقبها بعينه:

فتحت فمها ترغب في إيضاح لا تعلم كيف تصوغ حروفه!..
فأشار لها بأصابعه متمماً بحزم:

- انزلي ارتاحي يا ناريمان ونتكلم بعدين.

وقبل أن تغادر السيارة التفتت له تسأله:

- أنت جيت ليه؟

رفع حاجبيه بدهشة غاضبة لها فاستدركت متلعثمة:

- لا.. أقصد أنت اعتذرت و...

رده جاء مقتضباً بارداً بنبرة لا تشبهه:

- ميعادي اتلغى فقلت أجيلك.

- ليه؟

نطقتها بقلب موجوع، بنبرة مترجية تستجدي الأمان والاهتمام..

وهو لم يضمن عليها:

- فكرة إنك لوحذك في المقابر ودموعك اللي بتنزل وأنتِ راجعة

من غيري خلتنى ما أعرفش أروح مكان غير عندك.

تنهدت بألم ناطقة باسمه بوجع:

- زيد..

هز رأسه برفض ورعشة يده تشي بمقدار سيطرته على نفسه:
- انزلي يا ناريمان مش دلوقتِ.. نتكلم بعدين وحافهم كل حاجة
من الأول للآخر.

نزلت واطمأن أنها دلفت من البوابة والتفت أمامه تاركاً للغضب
المجال ليشتعل دون كوابح.. فقد كانت حرفياً بحضن آخر
حينما ظهر، لقد ألغى موعد طبيبه متحملاً أيام أخرى ألمه فقط
لأنه لم يستطع تخيلها تبكي وحيدة، تقف دون مساندة، أو
كتف.. يتركها تشعر بوحدة ليجدها بين أحضان آخر!

ضرب المقود بيده بغضب والهمسة التي همسها الغريب لم
يسمعها، لقد همس لها بأذنها هو متأكد، تسارعت أنفاسه وزاد
ارتعاش يده غضباً.. يتعجب من نفسه، من تلك الرغبة بالقتل
التي انتشرت بعروقه حين رآهما سوياً..

فلمتى ستظل ناريمان تفاجئه؟.. سواء بخبايا حياتها أو بمشاعره
تجاهها!.. من هو وما علاقته بناريمان؟.. تلك الابتسامة التي
تقطر خبثاً والنظرة التي تحمل شرًا لا يؤتمن صاحبه.. ولم
تخفه!.. من هو أشرف الشاذلي بحياتها؟..

من؟! من!

منذ الصباح تجلس مع أختيها بتوتر مخيم على الأجواء ..

أمال تبدو كالبعيدة القريبة شاردة منذ الصباح وحوارية تنظر لساعتها كل ربع ساعة تتحرق للذهاب للاطمئنان على المنضم حديثاً لقبيلة قلبها باسل.. ترميها كل ساعة بكلمة متدمرة عن تأخر زيد وهي بقلبها قلق على وليديها ..

الغائبة التي تصارع مخاوفها وحدها، والآخر الذي يصارع مرضاً تتوسل ربها أن ينجيه منه.. فهناك قبضة قلب كلما فكرت فيه، تنهدت وهي ترتشف بعضاً من القهوة وحوارية تقف بالشرفة تنتظر زيد وأمال صامته ..

هي تعذر أختها.. فبعد الغياب الطويل الذي هد عزيمتها وأفقدتها قواها، تراه يدخل عليها العزاء معزياً!.. لم تتوقف دموع آمال عن الهطول منذ اللحظة التي لمحت بها حتى اقترب منها محتضناً بقوة.. وقتها فقط توقفت تلك العبرات وكأنما امتص منها

الضعف والألم وأبدله قوة.. ربت على كتفها، قبل جبينها.. وكرر ما فعله معها مع خالتيه بحنان جارف وقوة تنبعث من خلاياها.. رؤيته أجمتها، لم تستطع أبداً أن تخبره سوى بجملة واحدة وكأنها تستنجد به:

- كنت فين يا ابني؟.. شوفت يارا؟.. عرفت اللي حصلها من بعد...

ومقاطعته كانت أعذب ما سمعت يوماً بحياتها بصوت خافت همس بأذنها:

- ما تخافيش عليها.. عمري ما حسيها .

ودفعة راحة فورية انتشرت بأوصالها، وحرورية تلقفته منها قبل أن تستطيع أن تتبين منه القصد!.. تدمرت حرورية من ابتعاده، بل صفعته على مؤخرة رأسه متوعدة إياه بعقاب.. وقبلته بحنو هو سمتها محتضنة إياه.. لم تنبس آمال بكلمة واحدة وهو لم يفعل.. فقط حين اقترب موعد الرحيل تركوا حرورية تتصارع مع عبد العزيز على من يتولى رعاية ناريمان اليتيمة لتقترب من ابنها تسأله بهدوء وصرامة:

- راجع البيت ولا لسه؟

وإجابته بنفس الهدوء والصرامة:

- لا لسه.

هزت آمال رأسها وكم ودت لو هرعت لتوأمتها يومها تدفنها بأحضانها، تبثها مؤازرة تحتاجها.. ولكنها يومها اختفت، غادرت للسيارة مباشرة مغممة أنها ستنتظرهم هناك ..

ودعت الفتاة والسيدة منيرة وغادرت واليوم نفس نظرة الألم بعينها والاشتياق.. قامت من مكانها أحلام ودون كلام احتضنتها بقوة، تصلبت آمال بالبداية ثم استكانت واستشعرت هي النهنهة على صدرها فشددت من احتضانها حتى انهارت كلياً بحضن أختها.. تتبعثر فوق لسانها الكلمات، باعتذار، بندم، بوجع، افتراق عن بكرها.. عن حب لم تصرح به يوماً لزوج غادر الحياة، عن ذنب حملته لمن لا يستحقوه، ولم تتركها أحلام فقط أزرتها.. شددت على احتضانها وشاركتها البكاء ..

لم تشعرنا بحورية التي وقفت تراقبهما دون تدخل لأكثر من ساعة ولا لزيد الذي حضر وامتلات عيناه بالدموع دون أن تتجاوز جفنيه.. سمعتا همهمة صوت حورية وانغلاق الباب وظلتا على وضعيهما حتى انتهى العتاب وفرغت المقل من العبرات وتنعمتا بعودة لفطرة الاحساس ببعضهما البعض دون منغصات.

ما إن سمعت إطارات سيارته تزأر على الطريق من خلفها حتى انهارت عبراتها من جديد ببطء واستمرارية من لم ولن تنضب دموعه يوماً..

سمعت دون تركيز تحية بعودتها، دعوة لتناول الطعام، وأخرى للجلوس، وربما دعوة ذكورية من عمها عبد العزيز لهزيمة مستحقة يحضرها لها لدور من الشطرنج.. ولم تعلم سوى أنها اعتذرت متعلقة يارهاق نفسي وأقدامها تسرع لدخول غرفتها.. ووراء باب غرفتها انهارت أرضاً..

الماضي لا يموت !

الماضي يظل مطارداً حاضرك ومستقبلك حتى ينهى أي أمل
 بحياة تلوح بأفقك !
 هي أخطأت ..

تھاونت في حق نفسها قبل أن يطالبها أي أحد بحق له لديها ..
 تبكي، تشهق للهواء، وألم الذكرى، الهوان، الفضيحة والمهانة
 من نظرة عين أبيها حين رأى الصور.. الانكسار وتهدل كتفيه
 بهزيمة لم تستطع أعتى العقول الاقتصادية أن تمنيه بها ..
 هي استطاعت بجرة قلم بثقة !

ثقة وُضعت فيمن لا يستحق، بقلب تصحر من ظماً الاهتمام حتى
 وإن كان سقياً ظمأه ماء آسن لكنها تبقى ارتواءً.. حضنه لها
 ذكرها بكل ما كرهت.. بقهر فرضه على روحها.. بعلامة عهر
 نالت جبينها منه.. من يمكن أن يصدقها إن كانت معه تنتظره أن
 يغير ملابسه ليذهبوا لأبيها بعد أن انتهوا من مقابلة إياد !

كانت تشعر بتأنيب ضمير من الألم الظاهر بعينه.. عادت معه
 لمنزله ولم تشعر سوى قنينة ماء ورشفتان من عصير فواكه تناولت

منها القليل حتى تاه الواقع وانبثقت ألوان الخيال.. دفء
وحميمية تمنيتها يوماً ووعدها بها أشرف..

كانت تراه بعين خيالها يخلع عنها ملابسها، يقبلها باشتهاء دوماً
تخيلته، يلامسها مرة تتلو الأخرى ولكن دوماً كان ينتهي الحلم
باستيقاظ.. تلك المرة الإفاقة كانت بسيارة متواضعة ونبرة صوت
غاضبة حانقة زاجرة ومع أول لمحة من الرؤية وجدت نفسها
بمقعد السيارة الخلفي لليث!.. ببذلة عمله الرسمية، يحدق بها
بسواد عينيه، دوماً كانت تخشاه.. أفاقت وتلعثمت وهو لم يعطها
حق الحديث.. فقط أوضح لها بكلمات بسيطة مقننة كما عادته
منذ وفاة والدته بحقيقة أنه انتزعها من بين يدي أشرف انتزاعاً
وهو يوشك على استباحتها بالكامل..

ولم ترتعش شفتها سوى بكلمة

"متجوزين"

وغص لسانها بتعريف الزواج كـ "عرفي"

وعلمت ناريمان أنها أخطأت وقتها وهو يرمي لها بستره تخصه
 داري بها عرياً طال ملابسها بتمزق.. وساقها حتى بيت أبيها..
 مازالت جملته الوحيدة بعد الصمت الذي أتبع تصريحها"

"احمدي ربنا إنه نجاك النهاردة.. اللي أنت فيه يا ناريمان ستر
 بفضل خير والدك بيعمله ما تستهونيش بيه.. وعلى فكرة لو
 أشرف ناوي جواز بجد ما كانش فكر يعمل معاك كده"

جملته كانت وقتها ترن بأذنيها باستمرار رغم أنها لم تصدقه
 بالبداية.. ظنت أن شغف ورغبة أشرف خرجت عن نطاق
 السيطرة ولكن اتصالاتها العديدة به وعدم اهتمامه وتلاها
 فضيحة الصور!

لقد صورها !

وانهار الحلم بحب، باحتواء، باهتمام.. ارتعشت أكثر مرتجفة
 بشدة مسرعة للحمام، دلفت تحت مياه المرشاش علها تزيل
 رائحته العالقة، لمستها ليدها، امتهانها لكرامتها.. تلك الذكرى
 القريبة، ذكرتها قسوة حضنه بناريمان السابقة.. ما قبل زيد !..

رأيتك عالم

شغيف وورع

ناريما كانا اامنا أن اناها بااعواة لكان الماضى لا يموا..
بعء اءة ساعاا اءعءا بها بشراها من كراة مكواها ااا
المىاه اساااعا أن اناق، انااا من ملابساها المبللة وارااى
منامة اناولة علهاا انابا علبها بعضاً من برااة انااها كساا..
اااا بزىء، باجملة باا كموعا وناوعا.. سىمهلها فقط لىفهم
لااا.. أساااا انا أن انااراه بااابها القناى؟

وبىن الأفاكار سماعا صوا الباب ىفاا فأعماا عىنلها لا
اااا باماااا أى بشر.. اناااا علبها السىءة منىرة، ااااا
وقبلا رأسها بااان وعاااا كما أاا بهاا.. وناىن أاعلق
الباا فااا عىنلها اناااا قباة مشابهاة وأااان مشابهاة أكاا
ااا.. اناااا انااا الذى لبااا إلبه، الأمان من سماع صواا،
ووااا وابااااا قبل أن انااااااا علب وناها عااا
شفااها من الأاا.. صااااااا انااااااا لأجل نارىمان المراة انا
كانا سعاا لانااااااااااا لمان ولبكان أىساما نارىمان
الغرة انا فرطاا بارااة بااا رعاا عااااا لمان!

أىاا بناارىمان انا قهااا أب وعااااا باااa

أيمكن أن... ..

قاطعها أزيز هاتفها على وضعه الصامت والرقم المجهول أثار قلقها، غريزتها تخبرها أن تتركه دون رد وعقلها يطالبها بالرد بقوة ووأد الفضول.. فسارعت برد حذر ليأتيها صوته وتلعن نفسها لعدم استماعها لغريزتها:

- شكلك لوحدك.. ولا حبيب القلب في الحمام؟

إهانات استحققتها بغباء سابق.. لم تمنع صوتها المتحشرج:

- أنت أدرى واحد إنى لوحدى وعمر ما كان فى حبيب قلب فى حياتى.

قهقهة ساخرة أتبعته كلماته الهامسة الأجشة:

- لا مش ده اللي فاكره.. فاكرك وأنت بتتمسحى فى زي القطة من أول كلمتين حلوين سمعتيهم.. فاكر كلامك وتسليمك ليا بدون حساب.

حسية مقرزة شابت نبرته فأسقمته فردت دون موارد بازدراء:

- طول عمرك واطى وجبان يا... ..

- أنا باحذرك.. لو غلطتِ مش حارحمك.. أصلاً مش عايز منك
اللي في دماغك، في ورق ليا عند والدك وعايزه.

أغمضت عينيها.. دوماً اشرف له مصلحة خلف كل خطوة
يخطوها ومأرب شخصي وراء كل كلمة:

- ما اعرفش حاجة عن أي ورق.. لو حاجة مهمة كلم عمي عبد
العزيز أو إياد هو اللي تولى كل أمور مكتب بابا ..
وبسخرية مقصودة:

- ولا قلقان تكلمه!؟

- ايه الورق اللي اخدته للحديدي يا ناريمان؟

عقدت حاجبيها وبدأ الاهتمام وشئ ما يعبت بداخلها:

- ورق ايه؟

وحين داهمها التذكر قفزت من الفراش واقفة تقبض بيده الثانية
على قلبها تخشي الفهم.. تسأله:

- أنت عرفت مين إنه بعثني بورق لعمي عبد العزيز؟

-عرفت لأني ببساطة أشرف الشاذلي مش عيل من اللي بتعرفيهم.. واللي يهمني فين الورق يا ناريمان؟

-فيه ايه الورق ده؟.. يخلصك في ايه؟

صمت ساد لبرهة قبل أن يكمل بغموض:

-ورق يخص صفقة شغل مهمة وكنت باخد رأي والدك فيها.

كادت أن تصرخ "كاذب".. لن يساعده ولن ينظر بوجهه إلا لمظاهر اجتماعية، هناك شيء ما خاطئ فقررت أن تلاعبه بحذر:

-آه افكرت الورق.. بس أنا رجعت له لبايا في نفس اليوم.

زفر أشرف بقوة وضيق:

-مش أنت.. السواق اللي رجعه، نسخة الورق اللي كانت معاك مش موجودة.. الورق ده اتعمل منه ثلاث نسخ.. اتنين معايا والأصل وفاضل نسخة اللي طلعت معاك.. وعايضا يا ناريمان فاهماني!؟

رعب اكتنف أوصالها وهي تستمع إليه.. هو يعرف تفاصيل منزلهم، تحركاتهم، وحياتهم.. حتى أوراق خرجت من مكتب والدها!.. فهتفت به بتوتر:

-الورق ده فيه ايه يا أشرف؟

-اللي فيه ما يخصش غيري.. وعائز، صفقة مهمة وسرية مش لازم حد يعرف عنها حاجة لحد ما تتم.

تذكرت كلمات عمها فتأكد لها كذبه، أبيها كان يبحث بملفات قديمة وليست حديثة:

- ما اعرفش هو فين!

- من مصلحتك تعرفي وتجيهولي.. أنتِ فاهماني؟

ونبرة قوة استشعرتها ألقها بوجهه.. فما يدور بعقلها يجعلها تتمنى حرقه حياً:

- ما عنديش ورق وأعلى ما في خيلك اركبه.

- ما تتحاميش بالحديدي وابنه.. الواحد ما يضمنش الظروف ويا عالم مين يموت ومين يعيش.

سقطت أرضاً تكتم شهقة عالية بفمها مرددة بذهول:

- أنت.. أنت بتهددني بيهم!.. أنت.. أنت السبب في اللي حصل لبابا مش كده؟.. رد عليا ده قصدك؟.. أنت موتهم!!

صمت لدقائق وكل ثانية ترسخ ما توصلت ليه وهو يرد بسخرية:

- أنا؟!.. حاشا لله.. ده عمر، أنا بقول أوان موتهم جه.. لا عرفوا يحموا حد ولا يوقفوا في وش حد.. وما تخليش الغرور ياخدك بأمان وهمي بينهم، ممكن يروحوا هما كمان في لحظة زي اللي راحوا.. وللأسف ما يفضلش قدامك غيري.

دون أن تشعر ردت بألم رافضة أن يمسك عليها نقطة ضعف:

- إياك استحالة يسبك تمس باباه ومامته بأذى.. إياك مش ضعيف.. أنت عمرك ما قدرت عليه أصلاً.

- شكلك نسيت زمان.

- لا ما نسيته.. المرة اللي فاتت أنا اللي كنت ضعيفة، المرة دي إياك اختار.. صح اتجوز واحدة قوية.. علشان كده متأكدة انك مش حتقدر عليه أبداً.

رأيتك

تخفيف وزنه

استطردت بنفس الغضب والألم والرغبة بكسره:

- تصدق إنك عملت فينا معروف.. لو كنا كملنا كنا يمكن دمرنا
بعض.. صحيح صدقت طنط أحلام؛ في باطن كل ابتلاء رحمة.

صمت وسمعت زفراته الغاضبة، عقدة طفولته للتفوق على إياي
تهلكه، تستنفذه ولأول مرة تستشعر اليد العليا عليه:

- طنط أحلام مش دي مامة الكابتن برضه؟

عقدت حاجبيها بقلق وهي تتحرك بغرفتها دون رد ولم يحتججه
هو:

- عايز الورق يا ناريمان.. بلاش حد يدخل ما بينا ويتضرر.

- مش فاهمة تقصد ايه؟

- لا فاهمة.. ولو مش هامك فعلا اللي متحامية فيهم.. أعتقد إن

الكابتن ومامته بقت لهم معزة خاصة قوي عندك مش كده؟

وتلك المرة خانتها شهقتها وليتها رأيت لمعان عينه الظافر وهو

يزيد بضغطة:

- تخيلي يعرف الماضي اللي بينا؟.. أو يشوف الصور القديمة إياها؟.. وهو الحقيقة كان مهتم يعرف.. تفتكري رد فعله حيكون إزاي؟

صمت لدقيقة يترك كلماته تتغلغل بها ثم أكمل بفحيح:

- تفتكري نظرته ليكي حتبقى ايه؟

تلك الحشرة الباكية أنبأته.. لقد وصل لمبتغاه، ناريمان ستنفذ ما يطلبه، ستكون عبدة مطيعة لقلبها، فألقى لها بأوامره:

- الورق يبقى عندي فى غضون يومين بالكثير.. معاكِ أو مش معاكِ يجيلي.. اتصرفي.. ووعد مني أحافظ لك على الكابتن من الناس المؤذية.. اتفقنا يا كوكيز؟

أغلق الهاتف لتدور حول نفسها دون هوادة، ترمي هاتفها بعيداً عنها، تتلفت حولها وتتذكر تلك الحقيبة التي أصر والدها على أن تأخذها معها حين تحركت للذهاب ككل يوم لتقضى اليوم مع عمها عبد العزيز!..!

ملف كبير بأوراق متعددة لم تفهم منها شيئاً.. ولكنها على ما يبدو أصبحت الحائل الوحيد بين من تحب وبين مصير يشابه ما آل إليه كل من أحبت!

احتضنت الملف وتعالقته شهقات بكاءها وهاتفها يضيء بأزيز من جديد، هرعت إليه تتأكد من المتصل لتجده يحمل صورة نقطة ضعفها باسمه الحبيب.. وكان القرار، أخفت الملف بحقيبتها مغلقة الدرج بالمفتاح، وتركت الهاتف يستمر بأزيزه.. فهي لم تستطع فعل شيء لمن فاتوها لكن على الأقل يمكن أن تجنبه لعنة أشرف المتعلقة بأذيالها.. ستبتعد عنه مشفقة عليه من عبء الحقيقة ورحمة بنفسها من ذنب جديد!

عادت من جديد للظلمة، لانعدام النور، وبدأ كابوسها القديم بالظهور.. كل نفس، كل حركة.. وكأنها تشاهد فيلماً يعرض بالبطيء.. لكن دون فزع، دون قلق، دون خوف بهيم.. تدقق النظر، ترى نفسها تعدو وتعدو دون هدف، متخبطة الخطوات، كيف ترى نفسها رغم الظلمة!.. لا تعلم..

هي بفستان أبيض تعدو، تعلم مشاعرها كل لحظة.. كل التفاتة..
 بما شعرت ألم يكن كابوسها المعتاد على مدار ٩ سنوات؟..
 حتى وقعت تبكي.. تشدو بعينها الأمان وانتظرت الآن أن يظهر
 بصيص النور والصوت المعتاد لتفوق....

وطال الانتظار.. لم يأتها الصوت المنير؟.. أين هو؟.. أين؟
 - يارا فوقي.. يارا اصحي.

استفاقت بانعقاد حاجبين، تتصبب عرقاً.. لا خوف لا فزع فقط
 شعور رهيب بالافتقاد..
 حتى بكوا بيسها تفتقده!!

تربيته ميرا على كتفها جذبت انتباهها فتلعثمت برد وحلقها
 جاف:

- في ايه يا ميرا؟

فعدت ميرا حاجبيها:

- أنا اللي في ايه؟.. مالك!.. أنتِ كنتِ بتحلمي حلم وحش ولا
 كابوس ولا ايه؟

اعتدلت يارا بالفراش تدلك ذراعيها.. تهز رأسها بحيرة:

- مش عارفة.. أغرب حلم شوفته بحياتي.

جلست ميرا أمامها بتقرير:

- أنت أصلا كان شكلك غريب قوي وأنتِ نائمة.. مش عارفة
أوصفلك.. يارا هو في حاجة أنتِ مخياها عليا؟

رفعت يارا عينان مذنبتان لابنة خالتها وفسرت الأخرى نظرة
الذنب بنبضة هلع من قلبها.. أصدق ظنها؟!.. التزمت ميرا
بقناع هادئ لتتمكن من فهم الخبايا، وابتسمت في وجهها بشبه
ابتسامة:

- يارا.. ما حدش يخاف عليكِ أكثر مني.. وصدقيني مهما كان
اللي جواكِ حاسم من غير أحكام ولا نقاش بس فضفضي.

وعقدت يارا حاجبيها تناظر ميرا، ميرا مهتمة ترغب بالتواصل
والاستماع دون تأفف دون غضب من ضعف أنثوي تبغضه
دوماً:

- مافيش حاجة بس حاسة ببرد فظيع.

همت ميرا لتناولها غطاء ثقيل ملقى بإهمال على آخر الفراش
فأوقفتها يارا بإمساك يدها بهزة رأس رافضة موضحة:

- مش برد يمحيه غطا.. أنا حاسة إن في حاجة ضايعة مني يا
ميرا.. مش عارفة أعيش من غيرها .

وبدأت الدموع الليلية بالهطول واحتضنتها ميرا بعينين قلقتين،
تفتح فمها وتغلقه.. هي لا تفهم ما بها!.. أهي تحب معتر
الطبيب؟.. أم هناك مشكلة أخرى!.. لا تفهم والكلمة التالية:

-مفتقدها قوي يا ميرا.. وحشني.

والهلع قفز من عيون ميرا.. عمن تتحدث؟.. أتتحدث عن
الملعون خالد!.. أبعدها ميرا عن حضنها، تنظر لها بتمعن
مستفسر بعيون على وشك ارتكاب جريمة قتل فقط لو أكدت
ظنها.. ستقتلها ثم ستجعله عبره لمن لا يعتبر بلا شك:

- تقصدي مين بالضبط؟

والبكاء ازداد والنهضة تعالت وعلى إثرها دخلت مروة للغرفة
مرددة بقلق ونبرة ناعسة:

رأيتك عالم

شخيط ورنج

- خير مالكم في ايه؟! مالها؟

ردت عليها ميرا باستعجال فهي على وشك المعرفة للسبب ولا تحتاج لمقاطعات:

- كابوسها القديم رجع ثاني .

والتفت لليارا تستحثها معيدة عليها كلماتها:

- كنتي بتقولي مفتقدهاه هو مين يا يارا؟

رفعت مروة حاجبيها بعد أن جلست على الطرف الآخر من الفراش الشبه مستلقية عليه يارا:

- انتوا بتتكلموا على ايه؟

صرت ميرا على أسنانها بغيظ ونظرة حارقة صوبتها لمروة لتحتج مروة بصمت فقط بهزة كتف مستهجنة ولسانها يردد دون صوت.. "ايه"

عادت تربت، تستحث.. ويارا تخرج ما بجعبتها وكان الحمل بها وحدها قد فاض:

- هشام يا ميرا.. هشام.

والشهقة والارتجاف كانا من نصيب ميرا واتساع العينين
والتحديق وفغر الفاه كان من نصيب مروة!

صدمة بما تحملها كل معاني الكلمة!

إذا بكاء الليالي الماضية كان من أجله هو؟

تقلب أحوالها العاصف كان له هو أخيها؟

التشاحن، الغضب المستجد على مشاعرها.. كان من أجل هشام!

شعور من الراحة ضرب جوارحها فهي تفتقد صديق العمر
ونصفها الآخر ليس إلا..

نصفها الآخر!!

أيمكن أن؟

ابتلعت ميرا ريقها تقرب يارا من أحضانها من جديد.. تنظر
لمروة التي يبدو وكأنها قد انسلخت عنهما فجأة.. تفكر بمعضلة
والظنون عادت تتقاذفها:

- أخبار دكتور معتر ايه معاك؟ .. مرتاحة معاه؟

والسؤال جعل مروة تتنبه، تصغي ترغب في الفهم وهزة رأس صامته من يارا جعلت ميرا تحاول مرة أخرى:

- امم طب واللي اسمه ايه.. بتاع كورس التصوير صاحب جوز بسمه.. كريم صح أخباره ايه؟

ابتعدت يارا تلك المرة من أحضان ابنة خالتها تنظر لها، تحدد فيها من بين دموعها بعجب:

- ماله كريم؟ أنت عايزة توصلي لايه يا ميرا؟

تنهدت ميرا تنظر لمروة تطلب العون والأخرى كانت تسبح داخل خلايا عقلها بانجراف:

- يارا بصراحة كده أنا قلقانة.. قلقانة تكوني اتعلقت بحد ويكون مش مناسب ليك في الوقت ده وأنت لسه ما خلصتيش علاجك!

عقدت يارا حاجبيها وهي تعتدل بجلستها وحدها دون معين وتهمس بخفوت:

يا ميرا

شغيف وورح

- أنتِ خايفة لاقع تاني في حد شبه خالد مش كده؟

نظرت ميلا باستنجد لمروة التي لم تجد بدأً إلا أن تتدخل وهي ترى يارا تنكمش بعيداً عنهما تمسد ذراعيها:

- لا يا يارا مش كده.. احنا قلقانين تتعلقي بحد وأنتِ لسه في مرحلة علاجك.

- على فكرة أنا بطلت الدوا بقى لي شهر ود. معتر قالي مش حاجتاه تاني لأن حالتي اتحسنت جدا.. وقالي حتى إن قريب قوي مش حاجتاه هو شخصياً كمعالج.

ربت مروة على كتفها بابتسامة مغتصبة وميرا تردد بعجب:

- أو مال مالك وبتروحي فين كل يوم؟

عضت شفيتها كمن تحمل سراً، حدقتها تنظران لكلتاها بحذر قبل أن تجيب:

- شوف هشام من أسبوع على الشط وماكانش لوحده.

- ايه؟! !

صيحة الاستنكار من ميرا، ومروءة صمت وانعقاد حاجبيها بشدة..
ويارا تكمل بنبرة ضيق واضحة:
- كان مع سارة خطيبته القديمة.

رفعت ميرا يدها لفمها وساد الصمت بعد تصريح يارا الأخير!
فالأخت المصدومة بغيابه مذهولة بقربه اللا مهتم بها، والأخرى
ابنة الخالة حاملة السر المتكتمة تلعب برأسها الأفكار، تبتلع
ريقها بقلق والثالثة غائبة بين ذكرى حزن أمانها الذي حازت
عليه صاحبة الخصلات الحمراء المشرقة..

- أكيد بيتيالك، مش ممكن يكون هنا وما سألش عليا أو ما
اهتمش يعرف أخبارنا؟ مستحيل!

والإنكار الواثق كان من ميرا، وتنهيدة التخلص من عبء السر
خرجت من صدر يارا ومروءة ظلت على ثباتها وهروب عينيها..
- ممكن برضه ..

رد يارا الهادئ أنهت به الحوار، فمن هي لتحطم أمل أخت
بأخيها !

رأيتك دائما

شخيط وورقة

توقعاتهن لمثل أعلى وجبل صلد يستندن عليه دون تفكير!

تنهدت من جديد لتستكين بجسدها على الفراش مغممة
برغبتها في النوم، متعلقة بالإرهاق ووافتها الاثنتان.. ميرا نامت
بجوارها فأرقها منذ غياب أحمقها عاد بضراوة وهو السبب
الوحيد الذي جعلها تستمع لأنين يارا وهي نائمة.. ومروءة
غادرتهما لغرفتها ورغم نوم ميرا السريع بجانبها إلا أن السهاد
أصابها وأصوات هامسة من نافذتها جذبتها.. اقتربت أكثر لتمييز
صوت مروءة آتٍ من الشرفة على ما تعتقد.. استمعت بحرص
قلق لصوت مروءة تجادل:

- أنا تعبت من كل الأسرار دي.. لازم تعرف، مش حاقدراً أسكت
أكثر من كده.. أنت مش متخيل حالتهم إزاي!؟

ثم سمعت تنهيدتها مكملة:

- حتى إياد لازم يعرف إن...-

عقدت يارا حاجبيها وابتعدت.. رغم فضولها القاتل لكنها لن تتصنت على حديث مروة فهي ابتعدت عن أسماعهما لسبب خاص بها حتى وإن كانت تجهله لكنها تثق بها ..

لكن تحادث من؟ أيكون تخمين ميرا صحيح!.. علاقة بين ليث ومروة؟.. أيمكن؟

همست وهي تستلقى على فراشها من جديد تحيط ميرا بذراعتها:
- طب وعصام؟

ما تحتاجه هوايته هو التركيز المطلق ..

يعشق التحدي الذي تفرضه عليه، تستفزه لاقتحام حصون وهمية، والفوز بغنائم معلوماتية، يدفع البعض الملايين للحفاظ على سريتها ..

هو لا يبيع أو ينتفع بها، هو فقط يستمتع بالتحدي بنشوة الاقتحام وهزم العقول.. أخيه يبحث بين خبايا النفوس وهو يبحث بين أسرارهم الدفينة.. تنهد بتعب، فرجل ليث بمنزل

رأيتك

شغيف وورث

أشرف استطاع وضع الجهاز الصغير الذي سهر عليه بعد مكالمة ليث وهو بالفعل داخل ملفات أشرف لكنها كثيرة متشعبة فقضى يومان يبحث دون كلل، يتغيب عن جامعته ويعود متأخرًا فهو يكاد يحتفظ حتى بفواتير طعامه منذ سنوات.. وهو غارق بين الكثير من التفاصيل حتى اكتشف بالصدفة برنامج شبيه لما يستخدمه عندما يحادثه ليث بخدمة ما ..

برنامج يمنع التسجيل أو اكتشاف رقم الهاتف ..

واستمع، استمع للتلميحات، للصوت المنكوب لناريمان.. وأسرعت يدها للتسجيل قدر الإمكان وعيناه تظلم بشبه قريب لأخيه الأكبر وما إن انتهى حتى جاءته فكرة البحث بتاريخ يوم وفاة السيد مراد.. بل وما قبله بأسبوع أو اثنان وفعلاً وجد الكثير الكثير جداً!

أصوات زغاريد عالية جداً أتبعها صوت طرقات عالية على الباب جعل ميرا تتحرك بنزق وتتوعد بسرها الطارق بما لذ وطاب من قريعتها المتفجرة اليوم.. لو صدق ظنها بأمر منى ستنال منها

رأيتك

شغيف وريح

كلمة، لا بل قصائد تفتت العظام لتجعلها تحرمهم من طلتها
البهية حتى يوم الدين.. فتحت الباب وتوقفت أمام رؤية
الطارقين للباب:

-ميرا ازيك يا بنتي وازي جوزك؟

عقدت ميرا حاجبيها بغضب بقلق متوتر وسلوى تكمل وهي
تدخل من الباب دون دعوة:

-مافيش حمد لله على السلامة؟.. وسعي كده شوية خليني
أدخل اشوف عروسة ابني.. ادخلي يا أم منى يا حبيبتى بيتك
ومطرحك والله ليك وحشة.

واستدارت ميرا تنظر لاتجاه سلوى حيث وقفت يارا المتجمدة
من الصدمة وصوت أم منى الملقى لتحية المساء يشق أذنها وهي
تدخل:

-يا أهلا وسهلا.. نورتوا اسكندرية والله.. والفرحة راجعة بيت
الإدريسي تاني.

ما أنقذها من ميرا هو تلك الابتسامة الصادقة والتربية الحنون التي استشعرتها منها وهي تدخل المنزل، لتعود بنظرها ليارا المذهولة بين يدي سلوى التي احتضنتها تقبلها بمبالغة مقرزة..

وحين انتبهت كان يقف أمامها رامي ابن مرتضى وأبيه كان قد جلس بداخل غرفة الاستقبال.. رفعت حاجبها وبنبرة ساخرة:

-واقف ليه ما تتفضل أنت كمان.. هي جات عليك!

مطت شفيتها تاركة الباب مفتوح لتخطو بتأني وثقة سريعة لإنقاذ يارا من براثن سلوى.. فانتزعتها من بين أيديها وتصدرت هي لها كحاجز بينهما، مدت لسلوى يدها بطرف أصابعها عارضة سلام مضطرة إليه وبابتسامة صفراء:

-أهلا وسهلا.. بس خير ايه اللي حدفكم.. أقصد اللي رماكم..

أوف سوري معلىش أقصد ياتري ايه مناسبة الزيارة السعيدة دي؟

عقد مرتضى حاجبيه فهو لم ينسَ بعد إهانتها لكرامته آخر مرة زارهم بالمنزل ونعتها له بالبواب أو صبي التوصيل:

-جاينين نشوف بنت أخويا وعروسة ابني ولا في مانع؟

والرد المهلل بترحيب كان من أم منى كمندوب سلام:

- يا ما شاء الله مبروك.. ألف مبروك يا حاج .

والتفتت ليارا مكملة التهئة ببشاشة:

- مبروك يا يارا.. ألف مبروك.

والاعتراض أتى من آخر فم يمكن أن يتخيلوه!.. من الجالسة على الصوفا وتلتصق بها سلوى زوجة مرتضى بشكل مقيت وتجاورها ميرا:

- عروسة مين؟.. أنا مش عروسة حد .

ونفضت يدي سلوى المحيطة بها بنزق مستفيقة من جمودها، فبهت وجه أم منى وهي تنظر للوجوه وميرا تجلس باسترخاء تقاطع قدميها مغممة:

- عروسة مين؟.. واضح إن في لبس في الموضوع.. مش معقول تبقي في عروسة ما تعرفش إنها حتتجوز ولا ايه !

وقبل أن يقاطعها أحد مالت بجذعها للأمام وبلهجة باردة أتقنتها من زوجها:

-وبعدين هي الأصول تقول جاينن تخبطوا علينا وزغاريد من غير ما يكون رجالة البيت موجودين؟

رفع رامي أحد حاجبيه وهو ينظر ليارا التي تعترض وعيناه تتأمل قد ميرا بوقاحة واضحة، أمسكت ميرا بيد يارا وحشتها لتجلس ثانية مرددة:

-أظن الكلام ده سابق لأوانه.. وكلامكم المفروض يبق مع أهلها ..

وتوجهت لرامي بسؤال:

-أنت جيت إمتى من السفر؟

فاجأها بإجابته الصريحة:

-إمبارح.

فرفعت ميرا حاجبها باندهاش تنظر لهم بسخرية:

-وصحيتوا الصبح قررتوا إنها بقيت عروسته؟.. فجأة!

أرغي مرتضي وأزبد:

- ايه الكلام الفارغ ده؟.. أخوكِ عارف يا ست يارا من فترة إن رامي راجع يكتب كتابه عليكِ وتسافري معا.. وزى ما قولت لأخوكِ زيد حاقولك.. جحا أولى بلحم توره وابني أولى يلم عرض بنت عمه.

- مين دي اللي تتلم!.. أنت اتجنت بتتكلم كده عن مين؟
- بقولك ايه.. أنتِ وأخواتك وأمك بره الكلام ده.. الكلام بينى وبين ولاد أخويا ولو بتتكلمي على كبير عيلتها يبقى أنا يا.. بنت الأصول.

- صلوا على النبي يا جماعة مش كده ..

نطقها أم منى بهلع محاولة تهدئة الأمور وسلوى تردف بمسكنة:

- شايفة يا أم منى يا حبيبتى!.. جايبين بالخير بيقابلونا إزاي !

وتنهدت تمسح دمة لم تتكون من الأصل مكملة:

- قال وابني الباشمهندس اللي ألف بنت تتمناه يقولي مش مهم مطلقة مش مهم فضيحتها القديمة أنا أولى بنت عمي بدل ما أسيبها تعنس.

ربت أم منى على كتف سلوى وهى تسترضيها ليجن جنون ميرا:
 - مين دي اللي مطلقة وفضيحة يا ست يا مجنونة أنت.. حركاتك
 دي ما تخيلش علينا.. وعموما يتفضل يروح للألف بنت يختار
 منهم شهر يار زمانه ما عندناش بنات للجواز.

وتعالى صوت هتاف وصراخ وإهانات تلقى من مرتضى وسلوى
 وميرا المتصدية لهم بقوة ورامي جالس يناظر السيرك المقام
 أمامه بتركيز وعيناه على الصامته التي تتأرجح بجلستها على
 كرسيها تشبك يديها معاً.. يتذكر جمالها المبهر منذ الصغر ورقتها
 الشديدة وإحساس بالشفقة خالجه حينما رفعت عينها لتواجه
 عيناه قبل أن تتسع عيناه من المفاجأة!

تصاعدت أصوات نقاشهم الحادة وظهرت رغبة مرتضى بأخذ
 يارا معهم للبلد لاستخراج الأوراق وإتمام الإجراءات قبل كتب
 الكتاب الكبير لضيق وقت ابنه وميرا تتصدى لهم وأم منى
 تحاول التهدئة حتى همست ببطء وتلعثم وتكرر الهمس حتى
 أصبح صراخ حاد غاضب:

- بره.. اخرجوا بره.. بره.

واقفة تحديق بهم بشراسة غريبة وغضب متفجر فاجأهم وأرعبهم
تحولها من الاستكانة والضعف المعتاد منذ رأوها.. فتدافعوا
للخروج مع صرختها الأخيرة:

-بره.

وما إن غادروا حتى أسرعت ميرا خلفهم لغلاق الباب وهي تسمع
تنفس يارا الحاد ينبئ بتصاعد صدرها بأنفاس غاضبة ثقيلة
أتبعتها شهقة وصمت جعلها تستدير بسرعة لها لتجدها متهالكة
على الأرض فاقدة الوعي.. صرخت باسمها ويدها تسرع للهاتف
تطلب المساعدة..

اليوم اكتفى بساعة واحدة في صالة التدريب والساعتان الباقيتان
جلس على مرأى منها يراقبها بسكون، تجذبه بقوتها، بخطوطها
الواضحة، مستقيمة جداً ربما أكثر من اللازم ..

ماذا لو علمت عن حقيقة عمله؟.. عن حقيقة بحثه عن
النقائص؟.. عن غوصه داخل الخبث ليحقق عدل بطريقة روبن
هود!

سؤال يلح عليه منذ محادثته مع مهند الأخيرة وذكرى أمه تلح
عليه، أمه أقرب مخلوق له على ظهر الكون، أمه الصديقة
والحبيبة والمعلمة، أمه التي اختطفها الموت منه باكراً جداً فلم
يستطع أن يلبي لها طلبها بفرحة رؤية الحفيد، اختطاف تم
بالتواطؤ مع خذلان أب واستسلامه للقدر فلم يحرك الجبال من
أجلها لتشفى من مرضها اللعين ..

يحمد الله أنها ماتت قبل أن تحدث فضيحة القضية التي تسببت
بإنهائه للخدمة مبكراً.. فافتخارها بإنجازات بكرها الضابط
كانت لتكون أقسى عليه من كل ما مر به ليثبت براءته وينهى
خدمته باختياره وليس إجباراً..

يراقبها تعنف فتاة تعاملت بعنف أكثر من اللازم مع فتى صغير
أثناء التمرين..

بذلتها الرياضية تخبي قدها وحجابها يلثم خصلاتها القصيرة العابثة.. هو أدري.. هو يتذكر حين حملها بين يديه تلك الليلة.. والآن هي منطلقة على طبيعتها، حرة كفرس جامح دون ترويض..

قبل أن ينتهي التمرين فوجئ بقليل من الهرج والضحكات دفعته للنظر بطرف عينه تجاه الباب لتجد صيحة فرحة تخرج من بين شفتي فتاته تستقبل بها الوافد بترحيب جعله يعقد حاجبيه.. يميل بوجهه للباب متأملاً للمشهد وهي تسلم عليه، تشد على يده بترحيب والأطفال يتحلقون حوله منادين "بكابتن بالر"

يراقبها بتمعن تلاحظه وهو لا يتبرأ منه.. تعجبها جرأته لكن لما لم يكمل تمريناته لليوم !

لم يكتفي بالجلوس مرافقاً لها من بعيد؟ ..

حينما تتقابل الأعين يهديها نصف ابتسامة واثقة.. هو كاسمه ليث رابض يراقب لكن ما الغرض؟ هي لا تفهم؟.. دقائق مرت حتى وصلها ضحكات فرحة من عند باب القاعة وحين رفعت عينها وجدته يطل عليها بوجه البرونزي الوسيم المزين بلحية

عسلية اللون وعيون عسلية جعلته صورة حية لمعنى اسمه "رجل
من العسل" .. وما أحلى من فرحة رؤيا صديق قديم وسط كل ما
تمر به تلك الأيام !

هبت إليه ترحب به ومعها تقريباً كل المتدربين فبالر علم مشهور
بوسط رياضتهم وما إن انتهوا حتى اقترب منها سائلاً بفصحاء
اللذيذة:

- كيف حالك؟ .. افتقدتك يا جميلة.

اتسعت ابتسامتها.. شعور بالخجل أرسل الحمرة تزين خديها:

- بالر.. أصبحت مجاملاً على غير عادتك!

- ليست مجاملة إنما حقيقة لا يخفى إلا على أعمى.

وابتسامتها تتسع أكثر وتلاحت بسؤاله:

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟ .. زيارتك لمصر زادت؟

اتسعت ابتسامته وهو يتشرب ملامحها بعينه بطريقة مغازلة
أذهلتها:

- قلبي تركته هنا ولم أعد أطيعك ابتعاداً.

فهمست بخفوت منذهل باسمه:

- بالر!

منذ متى وهو مغازل بتلك الطريقة!.. بتلك الجرأة!.. بتلك
المباشرة!

ابتلعت ريقها لتسمع صوتاً أجشاً رافقها لأيام يتدخل بالحوار
ملقياً السلام..

فبتلك الثواني كان ليث قد التقط من الهمهمات المتصاعدة كلمة
وأخرى لتتراص بعقله معلومة أن بالر بطل مشهور باللعبة وليست
زيارته بغريبة لأنه صديق شخصي لمدربتهم.. مروءة!.. فاقترب
مقتحماً المشهد بخطوات واثقة متريثة وبلهجة هادئة:

- مساء الخير.

التفت له بالر بابتسامة معتادة يقابل بها معجبيه وفوجئ به يوجه
كلامه لمروءة:

- مروءة لو خلصتِ تدريبك مع البنات ممكن نبدأ؟

لم يكن سؤالاً كان إقراراً ..

هي فعلا شبه انتهى وقتها مع الفتيات وهي تحتاج لمنفذ هروب
من هجوم بالر عليها بمشاعره التي استفاضت تلك المرة دون
خجل فغمغمت:

-آه طبعاً.. ٥ دقائق وحاكون جاهزة على اللـ matt ونبدأ.. عن
إذنكم .

وابتسمت لبالر دون أن تواجهه بعينيها:

-حمدلله على السلامة يا بالر.. حابقي أكلمك أما أخلص
تمرين.

والتفتت تغادر قبل أن تسمع من بالر جملة نطقها ببساطة:

-لا مشكلة.. سأنتظرك ونتحدث بطريقنا للبيت.

والجملة جعلت عيون ليث تكفهر، تغيم بسواد لا يعرفه سوى
المقربين منه.. تلك الحميمة والأخرى التي هزت رأسها بشبه
موافقة وغادرت مسرعة ووجه حديثه لبالر:

-شكلكم معرفة قديمة!

نظر له بالر بابتسامة مجاملة:

- نعم أصدقاء منذ سنين.

- اممم وزيارتك سياحة ولا شغل؟

عقد بالر حاجبيه يتأكد من معنى كلماته جيداً.. فالعامية يلتبس عليه بعض مفرداتها وحين فهم أجابه بابتسامة ثقة:

- بل خطبة .

ونظرة عين بالر على مروة العائدة لأرض الصالة الرياضية وهي تبسم له أوضحت له كل الصورة دون المزيد من تفاصيل..

تركه دون اهتمام ليتوجه لتلك التي تستعد لتدريبها معه، وحين اقترب خلع قميصه الرياضي من فوق رأسه بحركة واحدة ليظهر جذعه العضلي المنحوت وحين رفعت حاجبها في استنكار وفتحت فمها تنوي الاعتراض وتذكيره بالاتفاق اقترب من أذنها بلمح البصر يهمس:

- فاكرة رهاننا؟

وقبل أن تجيب كان قد أسقطها على ظهرها ولكن أمسك بكف يدها بقوة يمنع جسدها من الارتطام بالأرض.. لتتعلق بيده قبل الأرض ببضعة سنتيمترات وهي تحرق بسواد عينيه الغاضب وهو يردف ببرود أقلقها:

-I win.. my rules

وبدأ التدريب الذي جعل بالر يقف أكثر من مرة على قدميه يرغب بالتدخل، فليث كان غاضباً وازدادت قوته ومروءة تضاهيه برشاقتها ومهارتها وهو يتعمد أن يقترب بكل مرة، يقترب بشدة ولا يتركها إلا بعد أن تأسر عيناه عيناها دون موارد.. وانتهت الساعة كلمح البصر على الاثنان الغارقان بدوامة غريبة من الاقتراب، وطويلة كدهر على الجالس بعيداً مراقباً.. حياها بانحنائهم المعتادة وليث يتمم بوضوح وعيون لامعة:

10- دقائق وحاستناك على باب الصالة نروح.

لم يترك لها فرصة للرد أو الجدل.. ألقى جملته وما إن التفت له كان قد اختفى.. اقترب منها بالر عاقداً حاجبيه:

- منذ متى تتدربان سوياً؟

رفعت أحد حاجبيها وهي تلملم أغراضها بسرعة:

- لم السؤال؟

صمت بالر وعينه تتفحصانها وهي تقف أمامه متعجبة وفاجأها
بسؤال:

- أرغب برد نهائي على سؤالي مروة.. أرغب بالزواج منك وبناء
حياتي معك ولن أقبل برفض دون تبرير.. سأترك لك فرصة
للتفكير يومان وبعدها أرغب برد أتمنى أن تسعدي قلبي به ..
واقترب دون أن تشعر يمسك يدها بكفيه، يهمس لها وعيناه
تحملان لها عاطفته:

- أعطني فرصة كي أحبك كما تستحقين ..

وغافلها مقبلاً كفيها واستدار مسرعاً، تركها تقف مكانها مأخوذة
بجملته التي لم تتخيلها تلقى على مسامعها يوماً!

لم تنتبه لذاك الواقف بعيداً مشاهداً الموقف، مشاهداً اكتساحه
لها وشعور غريب راوده لأول مرة..

بعد دقائق كانوا بالسيارة..

هو صامت وهي شاردة.. وكلما صمتت كلما ازدادت قبضته على المقود.. دون أن تعترض اتخذ طريقاً أطول للمنزل واكتشف أنها لم تلاحظ إلا متأخراً:

- ايه ده؟.. أنت دخلت من هنا ليه؟.. حنتأخر كده.

أجابها باقتضاب ساخر:

- لسه فاكرة؟.. اللي واخذ عقلك.

احمر وجهها فازداد ضيقه وأردف ببساطة:

- عازمك على العشا.. ما أكلتش من الصبح وابن خالتك ما يشجعش على الأكل.

تنهدت وهزت رأسها بموافقة فعقلها به ما يكفيه.. وهشام أحد ما يشغل عقلها، يارا وانهارها بالأمس، وصمته المريب حين أخبرته أنها يجب أن تعرف.. وبلحظة هاتفهما ارتفع رنينهما سوياً فضحكت بنزق وقابل ضحكتها بابتسامة..

وبالفعل رد الاثنان على الهاتف لتسود ملامح ليث بغضب
وتهتف مروة بقلق مطمئنة:

- ما تقلقيش ثواني وجاية.

وسمعه يردد:

- مسافة الطريق وأكون عندك.

لم تحتج لتتكلم فما إن أغلق الهاتف وصلته رسالة على هاتفه
فتحها جعلته يدير سيارته بسرعة وهو يخبرها باقتضاب:

- واضح إن كان عندكم ضيوف.

- لا.. كان عندنا كارثة في البيت.. ربنا يستر.

لم ترغب بالمزيد من الإيضاح، فهي لا ترغب أن يتدخل هشام
بالأمر.. ليس الآن.. ليس حتى تفهم أكثر!

كان يتحرك بسرعة شديدة متفادياً المرور ومتخذاً طرق جانبية
وحارات لاختصار الوقت وهي تشبث بمقعدها وما إن مرت ربع
ساعة كانت تنزل أمام المنزل فأخبرها بصراحة:

-اعتذري بكرة عن التمرينات كلها.. ولو مافيش حاجة مهمة بلاش خروج لحد ما أرجع .

لم يستأذن، لم يبرر.. ألقى لها بأوامره بجدية وعيناه بهما تحذير عجيب التقطته فسألته:

-التليفون اللي جالك يخص موضوع اللي اتهجموا عليا!؟!

لم يرد.. فقط نظر لها بنظرة لم تفهمها مردفاً:

- ما تتحركوش من غير ما تعرفي هشام فاهماني؟

هزت رأسها بتأكيد وبثوان كان قد اختفى مغادراً وهرعت هي للمنزل لترى آخر نكبة من نكائب المدعو مرتضى!

مكالمة قصيرة بينه وبين إياد بكلمات مقتضبة محددات مع موعده للمقابلة ما إن يصل للقاهرة.. رغم جسامته ما وصل إليه مهند إلا أنهم يفتقدون للدليل والذي على ما يبدو هو بيد ناريمان ..

عقله حمله لتلك الصغيرة.. لم ينسَ يوماً معروف أبيها معه بتوسطه له لإدخاله كلية الشرطة، لدفعه دوماً بتوصيات، بتوفير

منح مجانية لمهند ما إن استشعر نبوغه بعالم البرمجيات.. لن ينسى اليوم الذي اضطرته التحريات للوجود بالمنطقة الملاصقة لمنزل أشرف!

سيارة أشرف الحمراء المبهرة ولم يصدق حين رأى ناريمان عروس إياد تخرج معه وتتوجه معه للبناية التي يقطن بها بكل بساطة وأريحية.. وقتها اقترب من حارس الأمن وبقليل من الأسئلة كان قد عرف الحكاية.. كانت قدماء تهبطان سلالم البناية حين تذكر مواقف العم مراد مع الطيبة، عرضه بعلاج أمه رغم رفض أبيه، مساعدته بكلية الشرطة ومساعدة مهند..

حين يكبلك المعروف عن الماضي قدماً والتجاهل عاد أدراجه مسرعاً للأعلى ضاغطاً زر الطابق وحين وصل للشقة رن الجرس مرة والثانية والثالثة وحين لم يأتِه رد قلق وكان منه اقتحام للمنزل والدخول ليجد الخسيس خائن الأمانة ينتهكها وهي بغير وعيها.. فلم يكن منه إلا ان سدده له قبضة قوية وثانية وحملها وهو يسبه خارجاً..

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتحت

لم يعلم ماذا يفعل!.. يكلم خطيبها أم أبيها أم من يخابر؟..
 وتداعت الأحداث.. الفضيحة، الصور الذي لجأ له إياد ليتأكد
 من صحتها من عدمها، انكسار هامة الرجال، وقتها آمن بضعف
 النفس البشرية وبهشاشة الفضيلة في مجتمع البقاء للأقوى.. لكن
 أن يصل به للدماغ!

أشرف تعدى كل الخطوط ..

لم يشعر إلا وهو أمام بيت باسل الذي يقطن به إياد مؤقتاً وما إن
 هاتفه حتى ظهر أمامه وهو يهسهس من بين اسنانه:

- يعني تفكيرنا كان صح!.. هو اللي عملها؟

أسمعه ليث ما استطاع مهند تسجيله وما إن انتهى حتى لكم إياد
 جانب السيارة بغضب:

- الجبان بيهددها وهي جوه بيتنا.

قاطع ليث:

- لازم نوصل لناريمان قبل ما تخاف وتضعف.

هز إياد رأسه بتزق:

-الوقت اتأخر جدا.. كده حنخاطر إنهم يعرفوا وللأسف من
ساعة ما قولتلي بأكلمها ما بتردش .

صمت لثوان قبل أن يكمل:

-بس ما تقلقش هي كويسة ونايمة في البيت.. كلمت والدتي
وأكدت لي ده.. فحنضطر نستنى للصبح.

-طيب حامشي أنا بقى وأشوفك الصبح.

-استنى بس على فين؟ أنت مروح على بيتكم؟

رد باقتضاب وجمود:

-لا على المكتب

هز إياد رأسه برفض من عناد صديقه وأغلق باب السيارة الذي
قام بفتحه مخبراً إياه:

-لا أنت حتطلع معايا.. تبيت والصبح نشوف اللي ورانا.

رفع ليث أحد حاجبيه وهو ينظر باستنكار ليد إياد التي تمسك
بعضده تمنعه من إكمال ما انتوى فأكمل إياد بسخرية:

-ماهو أنا لو سبتك سابق على الطريق تاني النهاردة تبقى
بتنتحر.. تعالى أنا وأنت ضيوف في بيت باسل.. وبعدين لسه ما
كملناش كلام.

صفق ليث باب سيارته.. هو سيقبل لأنه فقط مرهق وبالفعل
تحرك معه مكملًا:

-على فكرة أنا عينت فريق مراقبة لكل اللي بيشتغلوا في بيت
عمي مراد وفي بيتكم لحد ما نعرف مين عين أشرف وسطنا!
صمت لثوان قبل أن يكمل:

-وساندي ومدام منى من ضمن اللي حيتراقبوا.

توقف إياد لثانية متجمداً فساندي هو يتفهم مراقبتها لكن السيدة
منى!.. نظر لليث وبدون أن ينبس ببنت شفة أردف ليث:

-الكل مدان ومشكوك فيه حتى يثبت العكس.

واستمر بخطواته للأعلى حتى وصلا للمصعد وبين الصمت
المخيم بينهما سأله ليث بفضول:

-هي صحيح في حاجة بينها وبين زيد؟

دوماً تكون آخر قطعة من الأحجية هي ما تلزم لتضح الصورة !
 تأثرها وشهقتها وخضوعها كانوا آخر قطعة.. الآن فهم سر إصراره
 على الذهاب للغزاء وانسحاب اللون من وجهه حين ذكر حالتها
 النفسية وفهم سر البكاء وتعلق عيناها بوجوده أيام الغزاء كأنما
 تستقي منه قوتها ..

هز كتفيه ورفع إياد حاجبيه مجيباً بتعجب:
 - شكلها كده!

وتبادل الاثنان نظرة طويلة.. فما يهددها به أشرف لا يحتمل.. لا
 يحتمل بالمرّة!

"ايه اللي حصل؟"

نطقها مروة وهي تسرع للصوفا المستلقية عليها ابنة خالتها يارا
 الصامته بجمود وميرا بعيون قلقة تهز كتفها بقلة حيلة تفرغ ما بها
 على رأس مروة:

- كل ده عقبال ما تظهري.. أنا مش عارفة أعملها ايه! معتر ما
بيردش.. و...و...

رمت مروة هاتفها على الطاولة أمامهما وهي تجلس بجوار يارا
تبحث في وجهها بقلق تتأكد من أنها ليست بصدمة أو انهيار
عصبي..

فقط شاردة صامته..!

نظرت لميرا متممة بخفوت:

- فهميني ايه اللي حصل! عمل ايه الزفت؟!!!

وبكلمات مختصرة عالية غاضبة لخصت لها ميرا الموقف وأنهت
الكلام:

- مش عايزة أكلم حد، خايفة أكلم زيد وهو تعبان مش ناقص،
وعصام أنتِ عارفة حمقته مش حينفع أسيب حد فيهم يقع مع
مرضى ونظرت لمروة مكلمة:

- حنعمل ايه؟

فكرت مروة لدقائق قبل أن تردف:

رأيتك حالم

شخيط ورنج

- لازم يعرفوا.. لازم يعرف لأن لو نفذ تهديده وجه خدها وهي انهارت بالشكل ده وما دافعتش عن نفسها ما حدش حينفع يوقفهم ده في الأول والآخ عمها الكبير.

مسدت جبينها بتوتر مردفة من بين أسنانها:

- والحرباية اللي اسمها سلوى أنا متأكدة أنها تعمدت تجيب معها أم منى، وكده كل الشارع والمنطقة حيعرفوا اللي حصل بالتفاصيل وحيبقوا معاهم علينا.. لازم على الأقل هو يعرف

نظرت لها ميرا بحيرة:

- مين يعرف؟

تلجلجت مروة وهي تتلعثم:

- حيكون مين يعني! هو طبعا!!

تحركت ميرا بسرعة تجذب هاتفها وتسرع لمحادثة مغممة:

- أنا حاكمه.. أنا حاعرف أوصلها له بهدوء إزاي.

التفتت هي ليارا ومسدت على شعرها تخبرها بحنو:

- اجيب لك حاجة تشربها ماشي علشان تفوقني ونتكلم.. لازم تفوقني ما حدش غيرك يقدر يوقفهم عند حدهم.

تركها مروة للمطبخ وميرا لأحدي الغرف تتحدث بخفوت وتركيز مع زيد وتركوها وحدها وهي تتذكر تلك اللحظة..

لحظة إعلانه قرارها المصيري بالحياة تزويجها لابنه ,

ثورتها والغضب الذي استهلك طاقتها فانهارت فاقدة للوعي..

هي استطاعت طردهم..

كلمات مروة تتردد:

"ماحدش غيرك يقدر يوقفهم عند حدهم"

تنفست بعمق وهي ترى هاتف مروة يرن بخفوت مدت يدها

ترغب بالنداء عليها عله أمر هام لتجد اسمه هو!

ارتعشت يدها وتركت الهاتف على الطاولة وتراجعت بظهرها

مغمضة عينيها..

أيكون هو على تواصل بمروة!؟!

ولما مروءة فقط؟!؟

أم هو تشابه أسماء ليس إلا؟؟؟

من بين أفكارها رأَت مروءة تقترب، تمسك الهاتف، ترتبك،
وتتوجه للشرفة...

الشرفة!!

أسرعت يارا بنشاط لم تعلم من أين بث في عروقها تتوجه
لغرفتها تنظر من بين خصال نافذة غرفتها المظلمة

واتسعت عيناها!!

ذاك الخيال، تلك الهيئة للجسد من خلف النافذة المقابلة،
كلمات مروءة تحكي ما حدث لها، تحاول تهدئة شخص ما!!

هو أم يتلاعب بها عقلها!!

أيكون ليث؟

نظرت للشرفة المقابلة فوجدتها فارغة من خلف النافذة قلبها
يحدثها أنه هو..

رأيتك

شخصية واردة

ستأكد بنفسها..

لن تنتظر..

لن تخطئ نفس الخطأ مرتين أبداً

كانوا يتحلقون حول المونوبولي يلعبون جميعهم ما عدا الجدة
التي أصرت على المشاهدة مستمتعة بكوب من الأعشاب الدافئة
تسمع صيحات ديما المستنكرة:

- ايه ده!! دي مش كلمة على فكرة.. أنت بتغش وبتألف.. أنا
حاقوم

لتتعالى ضحكات باسل بمرح:

- اقعدي يا مهزومة وإلعي

وضحكات الجد لاحقته وهو يخبرها:

- اقعدي بلاش هروب واغلبيه

عقدت حاجبيها وجلست بتصميم تتوعده بهزيمة ساحقة

والجد تتسع ابتسامته ينظر للجددة بطرف عينه لتهز رأسها بتسليم
وصوت طرقات على الباب فاجأتهم جميعاً

قام الجد محمد ليرى الطارق ولم يصدقوا سماع صوت الخالة
حورية!

هرعت ديمًا لتحتضنها:

- وحشتيني يا حورية يا قمر أنتِ

واستمرت بإلقاء السلام والتحية على الجميع حتى وصلت لباس
ولم تكتفِ بسلام فقط؛ عناق طويل تربت على ظهره ..

ألقي زيد السلام بإحراج واستقبلوه بحفاوة وتعالن الضحكات
من الجو الدافئ..

وبين البرهة والأخرى تلتفت حورية لباس كطفلها الصغير تربت
على يده ومرة على ركبته ومرة تسأله باهتمام عن طعامه وتعبه..

- أنتِ شكلك ليه تعبان؟ ضهرك رجع يتعبك تاني؟

هز رأسه بابتسامة:

- لا الحمد لله أحسن كثير من زمان.

دعاءها له بدوام الصحة والسعادة وراحة البال مس قلبه فرفع
يدها المربطة عليه يقبلها مردداً:

- ربنا يخليك ليا يا ماما حورية

دموع غزت عيناها فربت على كفيه وهي تصطنع المزاح:

- حتكبروني وأنا لسه شباب

واستمر الجو الدافئ حتى استأذن زيد لاتصال جاءه وبعدها
بدقائق دخل بوجه متغير الملامح مغمماً باستعجال:

- يلا يا حورية علشان أروحك ورايا مشوار مهم.

وبدأت محاولات الجميع بإثناؤه عن الرحيل وحدها خالته التي
دقت بملامح وجهه وهبت مستأذنة:

- لا كفاية لحد كده احنا أصلاً جينا من غير ميعاد وقاطعنا

سهرتكم

قاطعتها الجدة بعتاب:

رأيتك عالم

شغيب وورحة

- ما تقوليش كده يا حورية البيت بيتك ووقت ما تحبي تشرفي

استعجلها زيد من جديد:

- يلا يا حورية

فأسرعت تسلم على الجميع وتستوصيهم بباسل خيراً وغادرت مع
زيد

وما إن استقرت بجانبه بالسيارة حتى أسرع بتشغيل السيارة
لتبادره بحزم:

- قولي ايه اللي حصل ومن غير لف ودوران يا ابن أحلام

تنهد زيد هو يحتاج لمشورتها هي بالذات دون عن الجميع لذا
أعاد إطفاء المحرك والتفت اليها:

- حاقولك كل حاجة أنا فعلاً محتاج مشورتك يا خالتو

وبكلمات بسيطة أوجز لها كل ما يعلم ولم تتوانَ هي بالسؤال عن
كل التفاصيل وما إن انتهت الساعة التي جلساها سوياً حتى
أثمرت مشورتها لما يرضيه وبقي عليه التنفيذ دون تأخير

تلك الدقات المتعالية النابعة من خافقها النابض تشبه تلك التي
 واجهتها بحلمها المتكرر طوال الاسبوعين الماضيين
 قدماها ترتعش فهي حمقاء ذاهبة دون دعوة أو برهان فقط
 إحساس خفي يجذبها وقررت أن تطيع!

توقفت أمام الباب تناظره بوجل وتوقفت يدها المضمومة مرفوعة
 أمامه فلحظة شك خالجتها
 ماذا لو أخطأت!!

ابتلعت ريقها وكذبة أنيقة ترسم بعقلها ويدها غافلتها طارقة
 الباب مرة والثانية وشدت يدها منسحبة لأبعد ما يمكن عن فرجة
 الباب

صوت خطوات تقترب وهي تغمض عينيها تخشى كينونة
 مجيبها..

تناجي ربها.. تدعو.. تتمنى..

ليطوف بخلدها جملة لطالما سمعتها

يقال

احذر مما تتمنى

وهي تتمناه أن يكون

وتخشاه أن يكون

برهة كانت الفارق

وبين أمنية خيال

وحقيقة لقاء

توالت الهمسات

الهمسة الأولى بنبرة اشتياق مذهول:

- هشام!

والثانية وازتها خطوة باقتراب مشدوه:

- هشام!!

وبالثالثة رافقتها عبرة تتوسل يقين الوجود:

- هشام!!!

والرابعة كانت منه:

- يارا!

وهوت كفراشة تجاه النور

تلقفها صدره..

تشبث به تتأكد من وجوده حقيقة وليس خيال..

تغمض عينيها بارتياح وداخلها يهتف

" وجدته.. وجدته "

وهو كان من الذهول حيث وقع هاتفه من يده دون أن يبالي،

فاكتساح رؤيتها لعينه لجوارحه كان أكثر مما ظنه يوماً..

ارتفعت يده دون إرادة تبغي احتضانها، تطويقها، تخبثها

داخل ضلوعه حتى لا يمسها سوء..

وقبل أن تلمسها أصابعه ويكتمل تطويقه لها تصلبت يداه،
ارتعشت أصابعه، وقبض كفيه في قبضتين قوضت اشتياقه
للمسها..

عقله استعاد السيطرة؛ لا يستطيع أن يحتنضها.. أيخون الأمانة
من جديد!

ترك ذراعيه تعود لتتدلى على جانبيه من جديد،
لن يستطيع..

وخانه وجهه فمال يتنعم بلمس خصلاتها، ذقنه ترتكز عليها
بحنو وصدرة يعبء من هواء أنفاسها ورائحتها..

اشتاق القرب منها.. اشتاق وجودها..

صر على أسنانه حين ابتعدت..

يبدو أنها استشعرت تصلب عضلاته وجمودها

رفعت إليه عينيها البحريتين:

-ليه اختفيت؟ إزاي بعدت!؟

وعيناها تناجيها.. تناجي حلم مستحيل:

- ما كانش ينفع الأبقى بعد ما جرحتك.. سامحتيني؟

نظرت له بعدم فهم..!

أيسألها السماح!؟

وهي مَنْ كان تبحث عنه لأيام!.. مَنْ كانت تمتنع عن ذكر اسمه
فقط حتى لا تفتقده! ولم تستطع سوى الهمس:

- ومن إمتى بعرف ازعل منك!!

- أنا مش قادر أسامح نفسي

زفرها بألم يارتجاف

صمت..

هالها الذنب بعينه..

لا تنكر بداخلها جزء يرتاح لوجود الذنب داخله، وجزء آخر

يؤبىه..

فتحت شفيتها بانشدها وعينها تستجوبه بخوف:

- ارتحت في حياتك بعيد عنا؟

رسمت شفتاه شبه ابتسامة:

- هي تبقى حياة لو بعيد عنكم!

ابتعدت عنه تتذكر سارة بين أحضانه بنفس وقفته تلك:

- أخبار خطيبك ايه؟

عقد حاجيه محاولاً الفهم:

- سارة!!.. مالها؟

أرسلت له نظرة مؤنبة لم يرها في عينيها من قبل.. فأثارت دهشته..

- كنت بتعمل ايه طول الفترة اللي فاتت دي؟

رد عليها ببساطة:

- اللي طول عمري بعمله!

- ما وحشناكش!!

- قد ما الروح بتوحش صاحبها

عيناها تتجول بالشقة دون هدف.. بقلق تجول بداخلها أسئلة لا
تهداً ولا تعرف لها مخرج
وأردف هو:

- تعالي لازم تروحي علشان حيقلقوا عليكِ
رفعت عيناها إليه:

- ليه مروة! اشمعنا مروة هي اللي تعرف أنك هنا وبتكلمها؟!
عقدت حاجبيها:

- ولا ميرا كمان تعرف؟

صمتت لثوان قبل أن تكمل بشبه تقرير:

- الوحيدة اللي ما تعرفش أنك هنا هو أنا مش كده؟ ... أنا برضه
بره حساباتكم ... منبوذة .. الطفلة اللي بتاخدوا بدلها
القرارات.. مش كده!؟!

صدرها أصبح يرتفع وينخفض بعنفوان.. ذاك الغضب الذي
أصبح يزورها مؤخراً كثيراً..

اقترب منها يمسد كتفيها واستكانت للمسته مردداً بقلق:

- اهدي بس اهدي.. مش لوحذك، ميرا كمان ما تعرفش.. ما
حدش كان يعرف إلا بعد حادثة مروة.. اوعي تفكري للحظة
أنك بره الحسبة..

التفت تنظر له بعمق عينيه الشبيهة بعينيها وهو يهمس بباقي
جملته:

- أنتِ أساسها وقلبها وروحها

ظل لدقائق حتى صدح هاتفه برنين متعال ابتعد عنها يبتلع ريقه
مسرعاً للهاتف مجيباً يفتح الخط:

- هي معايا حاجيبها وآجي

مد يده إليها وهي استجابت.. رفعت عينيها إليه وهو يغلق الباب
خلفه.. يجاورها.. يمسك بيدها بقوة..

ابتسامة ترتسم على وجهها بغير إرادتها، ذكريات طفولة وشباب
وراحة تسري بأوصالها وهو يجاورها حتى عاد بها للمنزل..

رأيتك دائماً

شغيب وورع

لم تصدق ميرا دخوله عليها.. تنفست بثقل.. اضطرت للاستناد
على أقرب ظهر مقعد لها وهي تهمس بلا تصديق:

- هشام! ... هشام ... !!

هزت رأسها بلا تصديق واندفعت له وتفاجأ الجميع بلكمها له،
بضربها لصدره بلكمات متعددة..

حاول تهدئتها.. حاول احتوائها وهي ترفض بغضب..

تكيل له اللكمات بقوة، تسبه بعنفوان ناثر وخصلاتها جامحة من
حولها حتى هتف بها بقوة:

- ميرا اهدي

صرخته بها جعلها تتوقف تنظر له بعيون مليئة بالدموع ترفض
الهطول وهي ترفع له إصبعها المرتعش:

- أنا مش حاسامحك على اللي عملته أبداً.. فاهم؟؟.. أبداً...
مش من حقك تختفي وتسيبنا.. مش من حقك تيتمنا بإرادتك..
فاهم؟؟.. عمري ما حاسامحك!

وتركتهم لتصفع الباب خلفها ومروة ويارا المشدوهتين

اندفعت مروة له تطيب خاطره ويارا اندفعت لميرا فهي تعلم بما
يعتمل بها وخطر الغضب والحزن على حملها..
دخلت لتجدها تدرع الغرفة رافعة حاجبيها بغضب وتوتر و..
بقسوة

عيناها آية في الألم

تبكي دون أن تتوقف رغم ملامح وجهها الغاضبة والحادة
والتفت ليارا تنظر لها قبل أن تهتف بها:

-مش عارفة أبطل عياط .. مش عايزة أعيط.. خليها توقف يا
يارا!.. وقفها!!

لتحتضنها يارا، تهددها، تسحبها تجاه فراشها، تربت علي
خصلاتها، تدثرها...

ظلت معها لبضع دقائق قبل أن تردف لها بابتسامة:

- خلاص رجع ومش حنسيه يبعد ثاني.. حاقوم اجيب لك لبن
تشربيه وترتاحي شوية.. حرام علشان البيبي

لم تكذ تبعد عنها وتتوجه للباب حتى سمعت صوت هشام
الغاضب محادثاً مروة:

- أنا مش خارج يا مروة مش حينفع...

- يا هشام بس خلاص كلنا عرفنا أنك معانا وجنبنا يبقي ايه
لازمته البعد؟.. ليه؟ ومرتضى واللي ناويه ليارا!؟!

رد بصوت خشن النبرات:

- لازم يارا ترتبط بحد كويس يراعيها.. لازم يبقي في خطوبة في
أقرب وقت ده أسلم حل علشان نبعد عنها آذاه.

- يعني ايه مش فاهمة!! ده ايه علاقته بعدم رجوعك للبيت
وللعيلة؟

- مش حينفع أرجع قبل ما أطمئن على يارا في بيتها يا مروة.

ارتجافة حادة مرت على جسدها..

ضربات قلبها التي أعلنت العصيان فاستندت على الحائط
خلفها..

يرغب بتزويجها!!

يأبعاها!!!

أنفاسها تصاعدت بتزق، بسخط، بغضب..

وقرار انتوته ولن يرجعها عنه أحد؛ ستحله من القيد..

ستعيده للمنزل حتى لو عنى ذلك غيابها هي!!

الفصل الثاني والثلاثون

الحياة فرص مزروعة بباطن المحن
فقط الجسور من يقدر على اقتناصها
فينول الحياة طيباً بعد مر النائبة..

حين ترسم الخطط بوضوح ودقة تأمل في النجاح، تحرق كل
مراكب إنقاذك أملاً في الوصول لهدف لا بديل لك سواه
لكن القلق الحقيقي؛

منذ متى تسير الرياح بما تشتهي السفن!!
لم ينعم بلحظة نوم طوال الليل من كثرة ما يعتمل بعقله والأهم
من ما هو مقبل عليه وهدوء نسيمات الصباح مسيطر على الأجواء
وغارق هو في ما ينتويه

هل سيستطيع القيام بمهمته أو بيده سيدفع الجميع لأتون
سيهلكهم جميعاً؟!!

وتململ القابع بجواره هو فقط ما ينبهه:

- مش فاهم أنا ايه لزمته المشوار المستعجل ده لاسكندرية؟! هو
في حاجة حصلت أنا ما أعرفهاش؟

تنهد زيد بصمت وغموض:

- دلوقتِ تعرف

حين أدرك عصام أن مرافقه لن ينبس بحرف تأفف بصوت
مخرجاً ضيقه بدواسة الوقود.. وما إن وصلوا لأسفل منزلهم
القديم حتى التفت زيد لعصام مخبراً إياه باقتضاب وتحذير:

- أياً كان اللي حيحصل بيني وبين أخوك ما تدخلش، فاهم يا
عصام؟

عقد عصام حاجبيه بريية وملامحه تشي باستنكار وعدم فهم
فكر زيد:

- فاهم يا عصام؟

أوما عصام برأسه ودون تفسير ترجل زيد تجاه المنزل المقابل
لمنزلهم القديم؛

لهشام..

طرقات على الباب أيقظته من غفوته على الكرسي أمام النافذة،
ليلة كمثيلتها من الليالي المنصرمة.. تنبه على صوت رنين جرس
الباب فرك وجهه محاولاً أن يفيق قدر الإمكان فالبارحة جافاه
النوم وها هو مستيقظ قلبه يستشعر خطأ ما..

خطواته قادته للباب لينعقد حاجباه محققاً بضيفيه:

- زيد.. عصام.. في ايه خير؟

وحانت منه نظرة لساعة يده مكماً بقلق:

- ايه اللي جابكم بدري كده في حاجة حصلت؟ طمنوني..

دخل زيد أولاً ملقياً السلام دون إجابة وحين تبعه عصام للدخل
هتف بهما هشام:

- في ايه؟ أمك كويسة يا عصام؟ حد من خالاتك جرى له
حاجة؟

ربت عصام على كتف أخيه:

- لا.. أنت دماغك راحت فين بس؟.. كلهم كويسين وزى الفل.

عقد هشام حاجبيه وهو يندفع وراء زيد الواقف بتصلب بمنتصف الشقة معطياً اياه ظهره وهشام خمن:

- يبقى أكيد جاي علشان اللي حصل امبارح!

رد زيد بأقتضاب وغموض:

- ايوه بالظبط كده

تنفس هشام بعمق مطلقاً زفرات قلق انتابته حين رآهما فجأة مغمغماً:

- طيب اقعدوا.. واقفين ليه؟

وارتمي بجسده المرهق على أقرب مقعد.

- مش حينفع أقعد ومرتضى بيحوم ورا يارا.

عقد عصام حاجبيه فعلى ما يبدو جد جديد والقلق عاد من جديد لنفس هشام ليرد:

- أنا طول الليل بحاول أفكر في حلول كنت بافكر آخذها
واسافر بس...

قاطعته زيد بحزم:

- أنا عندي حل جذري ينهي الحوار من أساسه
عقد هشام حاجبيه وجلس عصام مترقباً صامتاً كما وعد وزيد
يكمل:

- يارا لازم تبقى في عصمة راجل حد يقدر يحميها وما يقدرش
لا مرتضى ولا غيره يتعرض لها بعد كده.. عقد زواج صحيح
وشرعي هو منفدها الوحيد من إيده.

هز هشام رأسه برفض قلق ورغم ذلك أكد كلامه:

- معاك.. يمكن ده الحل المنطقي بس منين بقي حنجيب
العريس المناسب بالسرعة دي؟

التفت له زيد ينظر له بتركيز وهو يردف:

- موجود.. العريس موجود.

برود مفاجئ استشرى بخلايا هشام وملامح وجهه شابها الجمود
وأثر الصمت منتظراً الإيضاح ولم يبخل عليه زيد:

- واحد من اللي بيدرسوا لها في كورس التصوير... أظن اسمه
كريم

عقد المستمعان الاثنان حاجبيهما بقوة وعصام يعرض على شفتيه
يجاهد نفسه ليحافظ على وعده بعدم التدخل وهشام يسأل
بلهجة غريبة:

- بتظن اسمه كريم!!.. حتجوزها واحد مش متأكد من اسمه؟!..
واحد ما نعرفش عنه حاجة

جلس زيد بالمقعد المقابل لهشام يواجهه بنظراته مردفاً ببساطة
لا تشي بما به أبداً:

- هو صاحب جوز بسمة، وبعدين هي حتفرق هو من غيره!..
المهم أنهم شكروا فيه وفي أخلاقه وأصله

وتنفس بعمق أمام ملامح الاستنكار الغاضبة التي ترتسم على
وجه ابن خالته الكبير وأكمل غير مبالي باشتعال الآخر:

رأيتك دائماً

شغيف وورع

- والأهم أنه حيتجوزها ويسافر.. جاي له منحة في كندا
ومستعجل حياخدها..

صمت لثوانٍ قبل أن يكمل بصوت متحشرج:

- ومش ناوي يرجع تاني قريب

لم يكد ينهي الجملة حتى زأر هشام بغضب:

- كمان!... لا.. آسف مرفوض...

هب من مكانه ليتحرك بغضب اتسعت له عينا عصام وظل وجه
زيد على جمود ملامحه وصرامتها والآخر يرغي ويزبد:

- ايه مش رجالة!.. مش حنعرف نحميها فحزرميها لأقرب
واحد.. عريس ايه وطلع منين!!.. لا وكمان عايز يسافر بيها لقارة
تانية بعيد عن.. عننا.. آسف مرفوض.. نفكر في حل تاني والبيه
طلبه مرفوض.

صمت زيد لدقائق تاركاً غضب هشام ليهدأ قليلاً قبل أن يصدمه
من جديد:

-للأسف ما فيش حلول تانية... ما تنساش أنه عمها ولو حب
يلعب بقذارة مش حيغلب وأنا ما عنديش استعداد أنها توقع
تحت إيده تاني.

زَعق به هشام بغضب بثورة:

- مش حيقرب منها واللي بتقترحه ده مش حل ده هروب.. افهم!
هب زيد ووقف أمامه هاتفاً:

- وهو حل أنك تاخدها وتسافر ده مش هروب!!.. طب لحد
امتي ها؟.. ما مصيرك تحب وتتجوز.. ومصيرك ترجع.
هتف به بغضب متزايد:

- مالكش دعوة بيا.. أنا ما اشتكيتش لحد إن شاء الله عمرنا ما
رجعنا هنا بس مش حارميها لأي حد.

أغمض زيد عنيه بإحباط فمهمته شبه مستحيلة وبداخله يهتف
"أين أنت يا حورية الآن:!"

- وذنّب أمها ايه تتحرم منها! ولا ذنب أمك وأخواتك ايه ها؟..

ولا حنقل نفسنا وحياتنا تاني لبلد تانية؟

حدق به هشام باستنكار هاتفاً:

- أنت فعلاً ناوي تجوزها للي اسمه كريم ده بجد؟!

استجمع زيد كل ما يملك من حزم ناظراً إليه:

- أنا كلمته الصبح وحاقابه قبل ما أرجع القاهرة علشان نتفق

على التفاصيل.

ولم يكمل إلا وهشام ممسكاً بتلابيبه:

- ما فيش تفاصيل.. مش موافق.. أنت فاهم.. على جثتي!

- ما هو يا كريم يا واحد منكم يكتب عليها!

كان ما يحدث أقصى مما يمكن أن يحتمله عصام صامتاً لذا

هتف باستنكار:

- زيد.. أنت اتجننت؟!

والرد كان لكمة من هشام لزيد بقسوة وغضب ناري عاصف يتقد
بملامحه:

- هي حصلت بتعرضها على اللي يشيل! أنت....

وقاطعهم رنين جرس متواصل هلع جعل عصام يسرع للباب
ليفتحه وتدخل مندفة كصاروخ من الباب مروة هاتفة بقلق
وعيناها تبحث بالارجاء:

- هي يارا هنا؟

لم تكذ تنهي سؤالها حتى أسرع لها زيد وهو ممسكاً ذقنه
المكدومة من قبضة هشام:

- تقصدي ايه؟ يارا فين؟

- يعني هي مش هنا!؟

هتف بها زيد قلقاً:

- مروة.. ركزي بتدوري عليها ليه هنا؟

تلعثمت وظلت تفرك جبينها بأحد كفيها والآخر ترتكز به على
خصرها تردف مفكرة:

-صحينا الصبح بدور عليها مش موجودة وهي مش عاداتها تنزل
من غير ما تعرف حد فينا فجيت جري على هنا قوت يمكن
جت لهشام

- ما يمكن نزلت الشط أو راحت المركز أو حتى بتتمشى وجاية
نطقها زيد بتبرير

- مش عارفة!

توجهت عيناها لهشام لتجده واقف بقبضة مضمومة فوق صدره
وغمغمت بقلق:

- هشام أنت كويس!؟

الخوف والغضب يتصارعان بداخله، هذا ما كان يستشعره قلبه
منذ فتح عينيه مستشعراً عدم وجودها بمحيطه..

أيمكن أن يكون قد وصل إليها مرتضى وسبقهم ناسفاً كل
خططهم!!

رأيتك دائماً

شغيف وورح

منذ دقائق كان يحارب حتى لا يتبعد، لتحصل على مستقبل
سعيد تستحقه مع من يهواه قلبها ليس مع من تضطرها الظروف
للإقتران به، مع من تختار بإرادتها ليس بمن يُفرض عليها..
أَيكون قد تأخر وخذلها من جديد؟!

تليفونها الذي تصاعد رنينه جذب انتباهه وصوت ميرا الصارخ
عبر الأثير بصدمة جعل مروة تردد ما قالت له لها بذهول:
--هدومها مش موجودة.. يارا مشيت وخذت هدومها

وساد الجنون

-يا أهلاً يا حبيبي عارفة بقي لي قد ايه ما شوفتكيش؟.. من
سنين.. ينفع كده!
ابتسمت بخجل:

-معلش يا طنط انتِ عارفة الظروف بس وحشتوني قوي والله.
ربت الجد محمد على كتفها بابتسامة واسعة:

- أنا لما ديما قالت لي أنها رايحة تجيبك ما صدقتش!
تعال ضحكات ديما وهي تغمزها بمرح:
- ما شوفتيش شكله وأنا بقوله رايحة أجيبها من السوبر جيت!!
اتسعت ابتسامة يارا متممة:
- معلىش بقي لخبطت يومكم..
ونظرت لديما تحثها مكملة:
- بس أنا لازم أروح علشان ما يقلقوش عليا.
هتفت الجدة باستنكار:
- لا تروحي ده ايه! أنتِ حتغدي معانا وتقضي اليوم.
وما أن همت يارا لتقاطعها حتى أسكتتها بيدها مكملة:
- كلميهم طمنيهم وهو أنتِ عند حد غريب??
أسرعت يارا تنفي بخجل أمام نبرة الجدة المستنكرة:
- لا طبعا أنا في بيتي.. حاضر حاكلمهم

احتضنتها الجدة مقبلة إياها من وجنتيها وهي تبتسم بتردد تتذكر
قرارها بالعودة وبالاعتماد على نفسها..

ستعود لمتزلها بين أهلها لتقاوم

لا هروب ولا حلول وسط لا توضحية من الغير بسببها من جديد

ستعود لمتزلهم الجديد مع أخيها وأمها وهكذا يستطيع هشام
العودة دون مانع وحين وطأت بقدميها القاهرة تذكرت أنها لا
تعلم العنوان الجديد لذا قررت اللجوء لديما وبعد السلامة
والأحضان بدأ الاستجواب من ديما لتخبرها باقتضاب برغبة
عمها وابنه وقرار هشام ورفضها، وفاجأتها بشوق الجددين لها
وتأكيدهما على حضورها لذا وافقت على زيارة سريعة قبل
الذهاب للمتل..

عادت من الذكرى القريبة على صوت الجد يسألها ببساطة:

- خلاص قررتِ ترجعي للحياة من شرنقتك يا يويا؟

رفعت حاجبيها وتوردت وجنتيها ولم ترد واكتفت بابتسامة هادئة
وديما تبرطم بجانبها وقد غادرها المرح:

- لا يا جدو ده اللي ما يتسمى عمها مرتضى الاستغلالي إلهي
يضرب بيته زلزال ١٠ ريختر يخسف بيه وبابنه وبالعقربة مراته
الأرض.. قولوا آمين

-ديما!!

نطقها الجد زاجراً مؤنباً محذراً من جموح لسانها متبعاً اسمها:

- عيب كده ما يصحش.. ده برضه عمها.

حاولت ديما الكلام ربما السباب وتحركت شفتها عدة مرات
دون صوت قبل أن تؤثر الانسحاب للشرفة وهي تضرب بقدمها
الأرض بغیظ..

- ما تزعليش منها يا بنتي أنتِ عارفة صاحبك ولسانها

هزت يارا رأسها مرددة:

- مش زعلانة يا جدو والله وبعدين هي ما غلطتش.

- معلش يا جدي هو المسكن بتاع الصدااع.....

صمت صاحب الصوت المقاطع وعينه تتسع من المفاجأة ثم
انعدت حاجبيه لرؤية الجالسة برحابة بين الجد والجدة جعله
يدمدم باعتذار:

- أنا آسف.. أنا...

ليقاطع الجد منادياً:

- تعال يا باسل يا ابني.. ما فيش حد غريب دي يارا تعالي قولي
عايز ايه؟

الصمت حل على المكان وباسل عينه على الجالسة ببراءة
مستفزة تهرب بعينها لأي مكان سوى عينه وذاك الاحمرار
الذي غزا وجهها جعله يزفر حين ناداه الجد للمرة الثانية مستفسراً
..

أجلى صوته ليغم بصوت أجش:

- مسكن الصداع خلص

- آه استنى حاجيبهولك

لحظات من الصمت المحرج قاطعها باسل بإلقاء تحية ليارا:

-ازيك يا يارا؟

همست بخفر:

-الحمد لله

وعاد الصمت ليخيم حتى عاد الجد بالمسكن ودعاه للجلوس
فكان الهروب هو حله:

-لا أنا طالع البكونة شوية خدوا راحتكم.. عن إذنكم

وبخطوات سريعة كان قد ابتعد عنهم، رؤيتها جالسة بكل تلك
الهالة من البراءة التي تخفي ما يعرفه من آثام جعلت شعور من
الضيق يكتنفه، ولكن من هو ليحاسب ويقاضي ويحكم من
يستحق فرصة أخرى أم لا..

وما ان دخل الشرفة حتى فوجئ بوجود ديما التي تسقي الورود
والزرع وحينما اقترب شك أنها تحاول إغراقهم وليس مجرد
سقاية فتأكد من غضبها لذا نبهها:

-إيه يا ديما أنتِ ناوية تموتِ الورد غرقان ولا إيه!!

التفت له برأسها بحدة ليجد وجنتيها باحمرار واضح وحواجبها
المنعقدة دلائل واضحة حين تغضب أو يضايقها أحدهم
لذا مد يده يأخذ المرشاش يسألها بقلق مهتم:

- مالك في ايه؟

زفرت بعمق مرددة:

- ما فيش.

صمت يجاورها وهي تنفث فتطفل سائلاً:

- يارا صاحبتك هي السبب؟

زفرت من جديد وهي تلتفت له تفتح فمها ثم تعيد إغلاقه، تعض
شفتيها.. هي تحتاج للكلام وأصبحت رغم غرابة الأمر وعدم
منطقيته ترتاح له كصديق قريب مريح:

- لا عمها المتخلف منه لله

عقد باسل حاجبيه وملامحه اهتمت سألها بهدوء:

- ماله؟

نظرت له باستنكار:

- ما أنت أكيد شفته وعرفته وقت خطوبتكم!

هز رأسه وأحد كتفيه:

- الحقيقة هما مرتين بس.

اردفت بسخرية:

- كفاية قوي ... راجل وصولي انتهازي مستغل بكرهه، قال عايز

يغصبها على الجواز من ابنه غصب عنها.

التفت لها من وقفته يسألها:

- ليه؟ ده راجل طيب ومحترم.

والاستنكار تعالى والسباب تساقط من بين شفيتها بشكل اتسعت

له عين باسل باندهاش لتزجره هي غاضبة:

- ما تبصليش كده.. قال طيب!.. لما يخطف بنت أخوه وأخوها

ويبقى عايز يجوزها لواحد عنده ٣٠ سنة قال علشان يضمن ورث

أخوه يبقي راجل محترم! ولا لما يبقى ابن أخوه جسمه لسه لحد

النهاردة معلم من الضرب اللي ضربوه علشان يجبروا أخته
توافقهم يبقى طيب!!.. ولا العم اللي ماهموش اللي حصل من
خطيب بنت أخوه ولا أخلاقه المهم هو حيكسب ايه من
وراها!!.. لا فعلاً راجل طيب ومحترم!!

- ايه اللي أنتِ بتقوليه ده!! حصل امتى الكلام ده؟

- وهي عندها ١١ سنة لما خطفها من قدام البيت وقت عزا....

صمتت ديما فجأة وشعرت أنها كشفت أكثر مما ينبغي فسألته
بانعقاد حاجب متوجس:

- هو أنت ما تعرفش؟!..!! ... هي ما حكيتلكش!!

ومن نظرة عينيه النافية استوعبت فشعرت بالغباء وانفلات لسانها
من جديد حاولت الدخول من الشرفة ليمسك عضدها:

- ديما.. استني أنا محتاج افهم..

وحين نظرت له نظرة قاسية أكمل برباء:

- الراجل ده وصلي كلام معين فمحتاج أعرف هل هو أهل للثقة
ولا لأ؟

نظرت له بتركيز تسأله:

- وده حيفرق معاك؟

- أكثر مما تتخيلي!

صمتت وعيناها تحدد فيه بتركيز قبل أن تجيبه:

- لا.. الراجل ده غير أهل للثقة بأي شكل من الأشكال إلا لو في الموضوع مصلحته.. دور على مصلحته فين وساعتها حتلاقي الحقيقة.

تركته لتدخل وهو يعيد حساباته من جديد..

وانضمت هي للجالسين والجددة تعد يارا بكل ما لذ وطاب مما كانت تعده لهما وهما صغار ويارا صامته بخجل وما أن ابتعدت الجددة للمطبخ حتى هبت مقتربة من ديما تسالها بتأنيب:

- أنتِ ازاي ما تقولوليش أن باسل قاعد عندكم وليه؟؟

هزت ديما أحد كتفيها وهربت بعينيها:

-والده معرفة لجدو من زمان وما حدش سألني، فليه اتبرع أنا
وأقول حاجة ما تخصصيش!

عقدت يارا حاجيها وهي تنظر لديما تسألها باندهاش:

-ديما أنت بتخبي عليا!!

-كلمتيهم طمئنيهم؟

حاولت أن تلهيها ونجحت بسهولة فزفرت يارا:

-لا لسه حاظمنيهم، هاتي موبايلك أنا قافلة موبايلي.

لم تسألها ديما لما، بل سلمتها هاتفها وراقبتها وهي تطمئن
الخالة حورية عن مكانها وتخبرها أن تطمئنهم

وتعجبت حين أخبرتها أن الخالة تريدها ابتسمت ديما ترد بمرح:

-ازيك يا خالتو؟

وعقدت حاجيها وهي تستمع لأوامر حورية متممة:

-ليه؟ ... طيب طيب حاضر.. ما تقلقيش سلام

التفت لصديقتها تغمزها:

-إيه رأيك ندخل الأوضة ونقعد نحكي زي زمان عقبال ما تيته
تظبط لنا الغدوة التمام؟ اتسعت ابتسامه يارا منطلقة معها
للدخل دون أن تلاحظ إغلاق ديما لهاتفها تماماً ونزعها لقابس
هاتف المنزل بطريقها معها للدخل منفذة رغبة حورية بالحرف
الواحد.

هلع رعب يكتنفه وهو يبحث بجنون عنها بكل أرجاء الحي عقله
شبه متجمد لا يفكر إلا بأين ذهبت؟ ولمن لجأت؟. هل طالتها
أذية؟

أو ألم يمر على الطريق الذي كانت قد أدمنته طوال الأيام
الماضية يبحث على الشاطئ بين الطرقات عابراً بالمقهى، ظل
لثلاثة أيام يتابعها من بعيد..

يراها تمشي دون تركيز، يتذكر عينيها الشاردة في الوجوه كتائفة
بالحياة تبحث عن مرساة وأتعب قلبه خطاها..

رأيتك دائماً

شغيف ووردة

لم يتحمل أكثر لعدد لا يحصى من المرات كاد أن يكشف نفسه لها ويتراجع بآخر لحظة، لذا طلب من ليث بخدمة شخصية أن يعين لها اثنين يتابعانها لتبرق برأسه وينطقها لسانه:

-ليث!

التفت له زيد متسائلاً..

فتجاهله وهو يبحث بين أرقام هاتفه ليضغط على الرقم المنشود وكل خلاياه تبتهل أن يجدها.. أي خيط.. أي دلالة تدله عليها وجاءه رد ليث الناعس:

-ايوه؟

هتف به:

-ليث.. فين يارا؟

-حصل ايه؟

-يارا مش موجودة رجالتك لسه بيراقبوها مش كده؟

- من ساعة ما طلبت وهما وراها اديني دقيقتين وحارجع اكلمك.
انهي ليث الاتصال بحزم وبعد دقيقتين بالتمام والكمال رن
هاتف هشام وليث يردد:

- يارا في القاهرة، سافرت لوحدها معاها شنطة هدوم من الحجم
الوسط وأول ما نزلت من السوبرجيت ركبت عربية ومع الزحمة
العربية تاht منهم.. أنا آسف.

نطق الجملة الأخيرة بغضب شديد وحنق وصل لهشام الصامت
الذي يستوعب بعقله كل تلك المعلومات فغمغم:

- تمام متشكر قوي

مغلقاً معه ملتفتاً لزيد:

- اطلع على القاهرة

وردد له بكلمات مقتضبة ما أخبره به ليث فأسرع زيد يحادث
المنزل يسأل عن الأحوال وإن كان هناك جديد ليأتيه رد حورية
السائل عن أحوال الجميع ومن ضمن من سألت عليه كان يارا..

أغمض عينيه وهو يلتفت برأسه لهشام نافياً بهزة رأس وطمأنها أن
الكل على ما يرام وعينيه تناظر الطريق بقلق وهشام يشتعل
بجانبه غضباً قلقاً

بصوت مختنق غمغم:

- حاكم عصام أطمئنهم وأقولهم احنا فين وأفهمه لو حد من
البيت كلمهم يقولوا ايه مش عايزين حد يقلق قبل ما نوصلها.

تمتم هشام بعيون شاردة:

- حوصلها

نطقها يطمئن بها قلبه يهدئ بها روحه ويخدر بها خلايا عقله
الذي أهداها فكرة عن وجهتها..

فإن كان اختفاءها فقط عن محيطه أفقده توازنه فماذا حين تغيب
تماماً عن ناظريه مع غريب يكون له بها حقوق لن تحقق له يوماً

- سافروا على القاهرة عرفوا أنها طلعت على هناك.

نطقها عصام بعد ما أنهى الاتصال مع زيد والتفت ليرى مروة
الغاضبة تتحرك بقلق تتمتم:

- يعني راحت فين المجنونة دي؟ فين بس راحت لمين؟
تفتكر راحت لذيما؟

برقت عينا عصام باستحسان:

-ليه لا! كلميها.

ولم تنتظر مروة رأيه بل سارعت بالاتصال مرة والثانية والهاتف
مغلق جربت هاتف المنزل ليقابلها رنين دون رد، فرمت الهاتف
على الصوفا بنزق مفسرة للقابع أمامها مراقب:

- ما حدش بيرد.

صوت انفتاح باب الغرفة ليجدا ميلا تخطو خارجها وملامح
الغضب على وجهها:

- لاقيتوها؟

وهز الرأس بالنفي كان الجواب الغضب والحدة على ملامحها
كانت أكثر من كافية ليتفادها كلاهما فهي تعاقب الجميع بلا

استثناء وحين تعالي رنين هاتفها ككل يوم باتصال لا تجيبه عادة
لا تعلم لما تلك اللحظة شعرت باحتياج لسماع صوته فردت:

-ايوه يا إياد

وجاوبتها زفرته الخشنة وابتسامة ارتسمت على وجهه:

-أخيراً

وجوابها تنهيدة حارة فسألها بقلق وانتباه:

-مالك يا ميرا أنتِ كويسة؟

هزت رأسها وصوتها مختنق بعبرات لا تسمح لها بالهطول فما
يحدث لها كثير.. أكثر مما تحتمل وتحتاج لشخص ما تتركن
إليه وكأنما تلويح عقلها بضعفها أثار قوتها الكامنة لتصطنع سعلة
ثم ضحكة:

-آه كويسة.. وحشني الشغل.

والرد بدفء نبرة يشابه أحضان صاحبها:

-وأنتِ وحشتيه قوي

واتسعت ابتسامتها مرددة:

- هشام رجع.

والرد حاسم حذر:

- حمد لله على سلامته.

عقدت حاجبيها من نبرة صوته فسألته بتوجس من لا يحتاج تأكيد:

- أنت كنت عارف؟ من امتي؟

- من يوم ما جيت لك

- وما جاش في بالك تعرفني!!

نطقها باستهجان بنبرة غاضبة.

- دي كانت رغبته هو.

قاطعهما صوت عصام هاتفاً:

- يلا يا ميرا جهزي نفسك حنزل القاهرة

عقد حاجبيه مستفسراً:

- في ايه يا ميرا؟

ردت عليه بسخرية باردة:

- سوري مش سري علشان أقوله سلام لما أوصل البيت حاعرفك.

أغلقت الهاتف وأغمضت عينها تستمع لعراك الاثنين سوياً مروة
وعصام

- بقولك حتيجي معانا مش حاسيبك هنا لوحدك.

- أنت فاكرني فاضية! أنا ورايا التزامات ومواعيد.

- بقولك حتيجي لا هشام هنا ولا سي ليث كمان.

وكانما بذكره استدعاه ليتعالى رنين هاتفها فأسرعت له عليها ديما
لتجيب بسرعة:

- ليث! أنت فين؟ عرفت اللي حصل ليارا؟

صوته برزانة:

- يارا كويسة ما تقلقيش عليها، أنت اخبارك ايه؟ أنت كويسة؟

ابتسامة ارتسمت على وجهها وهي ترد:

- الحمد لله

- جاية مع هشام للقاهرة؟

السؤال مقتضب مهتم.

- لا مش حينفع.. أنا النهاردة أخذته أجازة بس مش حينفع
اكثر من كده ورايا التزامات حتى ميرا وعصام عرضوا عليا
ورفضت.

صمت لثوان قبل أن يردف:

- مروة.. أفضل أنك تيجي معاهم النهاردة وما تباتيش لوحك..
ولو عايزة بكره الصبح ترجعي علشان مواعيدك أنا ممكن
أرجعك بنفسى

عضت على شفيتها تفكر ستبيت وحدها تماماً لا حماية مختبئة
وراء خصال نافذة مقابلة ولا ونس صحبة تعودت عليها
فغمغمت:

- لازم أرجع بكره

والصوت الأجلش جاوبها بغموض:

- حترجعي.. ما أنا كمان راجع مش ورايا تمرين لسه ماخلصش
طميني لما توصلي.

حينما أغلقت الهاتف رفعت رأسها لعصام العاقد حاجبيه مكتفاً
ذراعيه بغضب ناري لتعلن بتحدي:

10- دقائق وحابقي جاهزة.

وقبل أن تختفي بغرفتها سمعت صوته الغاضب:

- بقينا بنمشي بأوامر ميري يا مروة.

لم تجبه سوى بنظرة تغمدته من أعلاه لأسفله ثم صفعت باب
غرفتها بوجهه لتركه يتلظى بغضب وحنق لا يفهم له مسبب.

- حنروح لناريمان امتي؟

نطقها ليث بنزق سائلاً إياد الشارد الممسك بكوب قهوته فانتبه
إليه مغمماً بشرود:

- ما طلعتش من أوضتها.. والدتي بتقول تعبانة وعايزانا نستنى عليها شوية.

عقد ليث حاجبيه بغضب:

- ما عندناش وقت للدلع ده كل دقيقة أشرف بيتسرب من إيدنا أكثر.. نروحلها ونخرجها ونكلمها احنا متعلقين بخيط في إيدها هي

- حنكلمها النهاردة بس حنحتاج مساعدة.

عقد ليث حاجبيه بتساؤل فتمتم إياد:

- حتشوف ثق فيا.

وما أن ابتعد حتى عاد ثانية سائلاً:

- هو في حاجة حصلت في بيت الإدريسي يا ليث؟

زفر ليث مجيباً باقتضاب:

- يارا اختفت النهاردة الصبح.

ارتسم الاهتمام على وجه إياد:

- خالد الملاح

هز ليث نافياً بتأكيد:

- لا لوحدها وحت على القاهرة.

فهم إياد صوت ميرا وسبب ردها المفاجئ عليه فمط شفثيه:

- غريبة البنت دي قوي.

ركز ليث اهتمامه بكوب قهوته الذي يسكبه مجيباً بتقرير:

- شخصية هشة، هشة زيادة عن اللزوم والنوع ده بيبي مغناطيس
للمشاكل وأصحاب النفوس المريضة.

ما أن انتهى حتى أردف بتقرير:

- أنا نازل مكتبي حاستنى تليفونك نخلص حوار ناريمان

وبسخرية أكمل:

- أنت والمساعدة!

رفع إياد هاتفه يتصل بمساعدته السرية الورقة الأخيرة التي
ستضمن له تعاون ناريمان لو فشلا هما فتلك المرة لا بديل عن
الفوز

ما أن انتهوا من تناول طعام الغداء بجو دافئ مرح حتى خرجت
يارا للشرفة تلتقط بعض النسيمات تفكر في خطوتها القادمة إلى
إين ستقودها لتجد صوت خشن متنحنحاً خلفها جعلها تلتفت
وابتسمت بتردد تشعر معه بالخجل فهي تعلم شك ديما السابق
وتعلم أيًا كان ما أصابه سواء شك ديما بمحله أو جرثومة بمعدته
تستدعي الرعاية المتواصلة كما قال الجد محمد إلا أنها تعتبر
نفسها السبب..

هربت بنظرة الذنب في عينيها منه واقترب هو يسألها:

- عاملة ايه؟ .. مرتاحة في إسكندرية؟.

- الحمد لله.

خيم سكوت هادئ بينهما لدقائق قبل أن يردف باسل:

- يارا.. أنا آسف.

رفعت عيناها بدهشة ولسانها يغمغم:

- أنت!!.. له؟ أنا اللي آسفة.

رفع يده يوقفها:

- اسمحيلي أكمل من فضلك...

تنفس بعمق مبعداً عينيه عنها مكملًا:

- أنا آسف لأنني في وقت من الأوقات ظنيت بيكِ ظنٍ سوءٍ في

وقت من الأوقات ... الموضوع ما كانش عيب فيكِ ولا حتى قلة

ثقة بنفسي تقدرني تسميها قلة ثقة بالحياة .. ما تخيلتش أن

ممكن الحياة تكافئني بحد برئٍ وجميل زيك..

رفعت حاجبيها بخجل وهزت رأسها بعدم فهم:

- أنا بس حابب أعتذر لك وأقول لك أتمنى ما يكونش في بينا

أي زعل.. اعتبريني أخ من أخواتك وأي حاجة محتاجة مساعدة

فيها اتمني آجي في بالك.. ممكن؟.

ابتسمت له بتقدير ومال يقطف أحد الورود من اصاصيص
المتناثرة بالشرفة واعطاها لها أمام عيونها المندهشة ليخبرها
بابتسامة عذبة:

-اعتبريها عربون صداقة

مدت يدها تتقبلها منه مبتسمة

لينتفض الاثنان فجأة على قوة مقتحمة للشرفة كتلة من غضب
واحباط وقلق تحمل اسم هشام

لا يصدق رؤيته لها تبسم لذاك الباسل بالشرفة وهو من لف
عليها الطرقات بحثاً!

تقبل منه وردة بشرفة جو شاعري رومانسي وهو من كان سيتوقف
قلبه حينما شك أنه لن يراها ثانية ولو من وراء خصال نافذة!!

نظر لها بغضب تذكر صراخه بها تقريره لها أمام نظرات عيونهما
المندهشة وسؤاله لباصل بغضب:

- أنت بتعمل ايه هنا؟

رائع جداً

شغيف ورائع

- أنا عايش هنا

نطقها باسل بتعجب وحاجب مرفوع

نظر لها بغضب وسحبها خلفه مجفلاً إياها لتترك الوردة تسقط
ارضاً أمام عيني باسل المندهشة

تملك أصابعها بين أصابعه بقوة كتمت هي تأوها منها مغادراً
معتذراً بسرعة وقلة ذوق للجد محمد المذهول وغادر.

تجلس بالخلف دموعها تجري تحرق قلبه لذا فاجأهما بإيقاف
السيارة بحدة وهتف مصراً من بين أسنانه:

- بطلي عياط

وكأنما أمره جعل دموعها تزداد فأعاد الأمر بغضب صافعاً
المقود:

- بقولك بطلي عياط مش عايز اشوف دموعك

تعال شهاقاتها ليسب زيد من بين أسنانه وهو ينزل من مقعده
الأمامي ليجاورها محتضناً يتمتم لها بتأنيب:

- ينفع كده قلقتينا عليك.. !

همست باختناق بجوار أذن زيد:

- أنا كلمت حورية وعرفتها.

سمعها زيد ولم يسمعها الغاضب الذي انشغل بإعادة السيارة للطريق من جديد فهمس لها زيد بخفوت:

- اش اش بس.

ما أن وصلوا للمنزل حتى تركتهم وهرعت للبيت وهشام ظل بمقعده وزيد يشرف عليه من المقعد الخلفي بصمت حتى قطع زيد الصمت:

- عارف أنا فعلاً آمنت أن كل حاجة بتحصل في حياتنا لسبب وبالأخص النهاردة الإحساس اللي حسيته لما تخيلت أنها راحت للأبد بشع قاتل ومش حاسم له يتكرر تاني.. كل ده وهي معانا في نفس البلد فما بالك لما يبقى مش من حقنا نشوفها إلا بموافقة جوزها! نظر هشام له بعيون مظلمة..

غاب بين صراع الواجب والحب

بين المفروض والواجب والحلم

تلك الذكرى والوردة والبسمة

الغضب والقلق والافتقاد

جمود عقله وانقباض قلبه حين ابتعدت عنه لكيلومترات

أيستطيع احتمال المزيد؟

أيسلمها لآخر بيده!

شعور غريب تملكه دفعه ليتحرك.. ليلاحظ وحدته..

لم يلاحظ حتى غياب زيد فأسرع خلفهما للأعلى ليستمع لصوتها

تتعالى نبراته:

-قلت لا.. لا مش حتجوز لا كريم ولا رامي ولا غيرهم... أنا

مش لعبة في إيدكم بترموا مسؤوليتها على أي واحد... ويبقى

يوريني عمي حيجوزني ازاي بدون موافقتي.

واقفة عاقدة ذراعيها بتحدٍ ودموعها لا تتوقف عن الهطول تلك

اللحظة شعر برغبة في احتضانها دون عن الجميع..

دلف أكثر للداخل ليجد خالته أحلام بملامح قلقة وأمه متوترة
وخالته حورية بصمت مراقب غريب وزيد يواجه يارا بحدة:

- عمك ما بيلعبش بشرف كل طرقة ملتوية وقذرة لو عرف يضغط
عليك صح حيجبرك افهمي

تهز رأسها برفض وتزم شفيتها بغضب تأبى لذكرى قديمة
بالانبثاق..

ذكرى عنادها الطفولي قديماً الذي دفع ثمنه هو سابقاً مرددة برد
لا يتغير:

- مش حاتجوز.. مش حاتجوز حد

- ولا حتى أنا!

الجملة بصوت قوي جعلت الأعين كلها تتركز عليه وهو يتحرك
ليواجه زيد بقوة:

- ما فيش حد حيحميها ويدافع عنها بروحه زيي.. زمان وأنا
أخوها ومن دلوقت وأنا جوزها

شهقت يارا بصدمة وهرعت للدخل وهروبها جعل الندم والشك
يتسرب لهشام..

هل تسرع؟

هرعت للغرفة قلبها ينبض بعنف يصم أذنيها هشام عرض الزواج
عليها، سيتزوجها هي وكالعادة حل لموقف تضحية بنفسه من
أجلها

- يارا؟

ما أن سمعت صوت زيد حتى هتفت بحنق:

- لا يا زيد مش موافقة لا.. ولو حكمت ولازم اتجوز أي حد إلا
هشام!

اقترب منها والغضب يزداد بعينه مصراً من بين أسنانه:

- أنتِ اتهبلتِ!! بتفضلي مين على هشام!؟

وأمام عناد ملامحها الغاضبة اندفع من داخل الغرفة ليجد هشام
مختفياً والأخوات الثلاث جالسات بترقب فهتف بتزق:

راقه راقه

شغيط ورنه

- اتفضلي شوفي بنتك يا أحلام اتجنتت بترفص هشام

وشهقة من أمه أحلام وخبطة على صدرها مصحوبة:

- يا لهووي!!

والتفت هو لخالته حورية معاتباً:

- ممكن أفهم ما قولتليش ليه لما كلمتك أن يارا عند ديما؟؟

- ايوه هو أنا ما قولتلكش... شكل خالتك كبرت وبقيت تنسى يا

زيد!

نطقها حورية بلكنتها الاسكندرانية بتمثيل متقن وشبح ابتسامه
سيطرت عليه بقوة وزيد عقد حاجبيه حانقاً:

- بقولكم ايه انتوا الثلاثة أنا نطقت الحجر.. خليت هشام ينطق..

شوفلكم حل في أم دماغ ناشفة اللي جوه دي.. صدق عصام أما

سماكم عصابة القناع ... خطط في خطط والآخر فشك... أنا

نازل أجيب المأذون .. كتب كتابهم النهاردة.

نطقها وتركهم ينظرن لبعضهن البعض فقامت آمال بحزم:

- أنا حادخل لها

ومع نظرة تشكك من الأختين أصرت بقوة:

- سيوهالي

واندفعت لغرفة يارا وحوارية تميل على أحلام:

- روكا هي ايه عصابة القناع دي؟

هزت أحلام كتفيها بعدم فهم مجيبة:

- علمي علمك يا أختي!

- ممكن أدخل؟

وقفت آمال على باب الغرفة تنظر ليارا الجالسة على طرف
الفراش شاردة ولم تنتظر سماحها دلفت لتجاورها دون أن تمسها
تسألها:

- مش عايزة تتجوزي هشام ليه يا يارا؟ في حد تاني مثلاً في
قلبك؟

نظرت لها يارا بدهشة وهزت رأسها برفض فسألت آمال يا صرار:

- رفضتِ هشامٍ ليه يا يارا؟

نظرت لها بتعجب وبتهمك أجابتها:

- أنتِ اللي بتسأليني يا خالتو!! علشان حرام.. كفاية عليه لحد كده شاييل مسؤولية مش بتاعته.. حرام أخليه كمان يضحى بمستقبله في صراعات علشان واحدة مجبر يتجوزها لأنه شهم مش أكثر.

هزت آمال رأسها:

- أمم وأنتِ شايفة مين اللي يناسبك علشان تسلميله نفسك

عقدت يارا حاجبها تردد باستنكار:

- أسلمه نفسي!!

- ايوه أنتِ فاكرة الجواز ايه؟.. بتسلمي واحد روحك ومستقبلك وقلبك وهو يا يطلع قد الأمانة يا يضيعها ويضيعك معاها.. شايفة مين قدامك تأمنيه على نفسك؟...

رأيتك حالم

شغيفط وورح

- ويضحى بنفسه المرة دي مش كفاية اللي فات!

مدت يدها تحاوط كتفيها ولم تنفري يارا استكانت لحضن لطالما
لجأت له عبر السنوات وآمال تردف:

- اسألني نفسك يا يارا كل فرحة وضحكة ودمعة عشيتها مين
شاركك فيها؟.. مين اللي لما غبتِ عن البيت غاب هو عن
الكل؟.. رمى الكل علشان يفضل ملاكك الحارس..

مين اللي ياما جت له فرص زمان للحب والجواز حتى هو حاول
لكن سلطان القلب مالوش دوا.

تلك الكلمات أصابتها بقشعريرة تتذكر كل لمحات حياتها أمام
عينها لعب الصبا وشقاوة المراهقة ولحظة الانكسار وحتى وقت
اعتمادها على نفسها كان هو بالجوار

ماذا قالت خالتها؟

"سلطان القلب!"

أيمكن أن يكون!!

فغرت فاهها وتسارعت أنفاسها هل يمكن ان يكون؟

رأيتك دائما

شغيفتي وورتي

نظرت لخالتها التي مطت شفيتها مداعبة وهي تمد يدها تغلق
فمها المفتوح:

-اقفلي بقبك.. اه لو شافك كده ما حدش حيلومه لو غير رأيه
الحمد لله أنه في أوضته

-خالتو أنتِ موافقة؟

وقفت آمال وشدت يارا معها توقفها تمسك من كتفها بكلتا
يديها تثبت عينيها بعيني الأخرى تبثها قوة وإصرار:

-يارا القوية.. يارا اللي رفضت ووقفت قدامنا تدافع عن حقها..
يارا الرقيقة الفراشة بنتنا اللي ربثها على ايدي.. يارا اللي لو
لفيت الدنيا مش حالاقى زيها.. عارفة ليه؟

سألتها يارا مبهورة بالقوة المنبثقة من عيني خالتها واقتربت آمال
تهمس بجوار أذنها:

-علشان هي اللي اختارها ابني وشايله قلبه بين أيديها

شهقت وآمال تقبلها محتنضة إياها بدفء ثم تركتها وغادرت.

تركها تفكر وتعيد حساباتها من جديد ومشاعر جديدة تنكشف
بداخلها تتخذ مسمياتها المفروضة تتوضح دون اشتباك أو
تمويه..

أهو يحبها؟؟

فاقت على شهقة ميرا ودخولها المفاجئ لا تعلم كم من الوقت مر
:

-الكلام اللي بيقلوه بره بجد حتتجوزي هشام!!؟!!

اندفعت مروة خلفها وملامح الفرحة المذهولة على وجهها:

- مش مصدقة.. مش معقولة! ده بجد!! وبعدين تعالي هنا كنت
فين يا هانم؟

أوجزت لهما يارا ما حدث بكلمات سريعة تدل على مدى
انشغال عقلها وسؤال مبهور من مروة:

- هشام شك من إيدك قدام باسل وديما وكلهم!! بجد؟

والذكرى بعد ما سمعت من خالتها أورثتها ابتسامة غادرة وميرا
ضحكت بصوت عالٍ:

رأيتك عالم

شغيب وورث

- والله وطبيت يا اتش ولا حدش سمي عليك.

ومروة تتابع:

- دلوقتِ بس فهمت نظرة عينه لما كان بيتكلم عنك أو نبرة
صوته وهو كل يوم يكلمني بالأربع والخمس مرات يطمئن بس
على كل نفس بتتنفسيه.. قلقه كان شبه إياد في لهفته على
أخبارك

لتنظر لها الاثنان بنظرة ضيقة وهي غافلة تحلل وتفند بشرود ولم
تفق سوى على قرصة ميرا القاسية:

- أنتِ كنتِ شغالة جاسوس ليهم!

فردت مروة متألمة:

- الله!!.. أعمل إيه صعبوا عليا... الحق عليا يعني!

التفتت ميرا ليارا بابتسامة عابثة:

- حتبقي مرات أخويا يلا قومي نشوف فستان حلو علشان كتب
الكتاب.

لتنظر لها يارا بشرود:

- بس أنا لسه ما وافقتش

تجمدت الاثنتان تنظرا لبعضهما بقلق ويعاودا النظر إليها:

- ده زيد راح يجيب المأذون!

توجهت مير ليارا القابعة على الفراش بشرود:

- يارا.. أنا مش حاقولك مميزات هشام اللي أنت أدري مني بيها

.. ولا حامدح في أخويا اللي ما فيش زيه أصلاً... حاقولك

حاجة واحدة لو بتحبيه أو جواك مشاعر ليه ممكن تتحول حب

وافقي.. وأنا واثقة أنك حتكوني سعيدة معاه.. لو لأ بلاش مش

عايزة أخسر حد فيكم وإن كان على زفت مرتضى مش حنغلب

حتى لو اضطرينا نجيب مسترليث إن بلاك

فاجأتهم حورية من على الباب

"المأذون وصل"

قبع هشام بجوار المأذون ويجاوره زيد من الجهة الأخرى وعلاء
المحامي الذي جاء على وجه السرعة وعصام وخالاته وأمه
والمأذون يسأل ببشاشة:

- ايه يا جماعة حد يستعجلنا العروسة.

نظروا لبعضهم فهبت حورية من مكانها باتجاه الداخل لدقائق
طالت، وعادت ومن خلفها ظهرت يارا تتبعها الفتيات، كل
العيون مترقبة بحذر ليارا الصامته الشاردة بشكل مثير للقلق
للجميع وأوجع قلب هشام حين رآها مما جعله يهتف:

- دقيقة واحدة يا جماعة.

رفعت عينيها له..

أتراه تراجع الآن!

لتجده يتقدم إليها يقف إمامها مشرفاً عليها ينظر لها بحنان
افتقدته..

افتقادها لرؤية انعكاسها بداخل مقلتيه شعور جديد يتغلغل
بداخلها سمعته يحادثها بخفوت:

- يارا.. أنتِ مش مجبرة على حاجة، لو مش عايزة كله يتلغي في غمضة عين وما فيش حاجة حتتغير حافضل جنبك وسندك وعمك حالاقي له ميت حل لكن مش حاسامح نفسي أبداً لو وافقتِ عليا مجبرة

همست له بسؤال:

- مجبر ولا مضطر ولا حاسس بذنب ولا مجرد شفقة؟؟

لم يحتاج لاستفهام فهو أدري بها منها اقترب أكثر هامساً بتأكيد ولمعة عيناها بذرت أمل يتلاعب بداخله:

- لا مجبر ولا مضطر ولا حاسس بذنب ولا شفقة

عيناها تخبرها صدقه بصفتهاوعيناها مازالت تطالب ببرهان فسألته:

- او مال ايه؟

اقترب أكثر منها حتى لم يعد هناك ما يفصلهما هامساً:

- حلم!

وثلاثة حروف كانت كطوفان اكتسحها، شهقت طلباً للهواء
واحمرت وجنتاها ومع حمرة الخجل تدارك هو العيون المحدقة
فابتعد وعصام يسأل باستعجال:

- ها ايه خلاص نكتب الكتاب؟

ظلت الأنظار كلها معلقة عليها بتوتر بترقب بأمل وهي عيناها
متسمة بالأرض حتى أجابتهم:
- أنا مش موافقة..

ولم تكد الصدمة ترتسم في عيون الجميع حتى أكملت مسرعة
بخجل:

- إن الفرح يكون كمان أسبوع خلوها أسبوعين

شهقت حورية بزفرة راحة وتعالى زغاريد الفتيات مصاحبة
لأحلام في سيمفونية وحورية بعد الراحة والابتسامة زفرت
بتدمر:

- حسبي الله.. منه له.. كنتِ حتوقفي قلبي يا بنت أحلام

وكتب الكتاب بزيد وكيل العروس وعصام وعلاء شهوداً ويارا
بوجنة تحترق خجلاً وفرحة غير مصدقة بعيني هشام..

فما أن هتف المأذون بكلمة مبروك نازعاً المنديل الأبيض حتى
تملكه شعور بعدم التصديق وخشية من كونه حليماً.. محض خيال
فرغم اليأس وفقدان الأمل التام جاءه الفرج بالأمل والحب
والسعادة مع من يهوى من حيث لا يدري وفتح له باب ظن من
شدة اليأس أنه لم يخلق له بمفتاح

رنين متصاعد على الباب تصاعد بإزعاج بعد أن ودعوا المأذون
وعلاء

توجه عصام للباب ليجد أمامه مرتضى ومعه رجال عدة وابنه
رامي عقد حاجبيه بتوجس تقدم مرتضى الوافدين معه مرحباً
بهم للدخول:

-اتفضلوا يا رجاله.. اتفضل يا شيخ سليم.. اتفضل بيت ولاد
اخويا يعني بيتي وزى بيتكم.. اتفضلوا

رأى رامي

شخيط ورنين

مش حترحب بعمك الشيخ سليم يا عصام يا ابني!

رفع عصام أحد حاجبيه:

- أهلاً وسهلاً

وقبل أن يتقدم أحدهم من الباب وضع يده أمامه محتجزاً هاتفاً بصرامة:

- في ضيوف غرب مع الأستاذ مرتضي خلوا البنات تدخل جوه.

ثوانٍ وخطوات زيد قادماً تعالت أزاح يده وأشار لهم:

- اتفضلوا

بعد ان جلسوا وعرضوا عليهم الضيافة، ابتداءً أكبرهم سناً ومقاماً بالحديث شيخ وقور الهيئة وعليه أمارات الصلاح:

- احنا جاين علشان نطلب إيد بنتنا يارا بنت المرحوم محسن لابن عمها.. وهو أولى بيها من أي غريب والحاج مرتضى جه ووسطني علشان نحل الخلافات اللي بينكم بالخير.. وما فيش خير يحل ويقرب أكثر من الجواز

كاد أن يهب هشام من مكانه غاضباً لولا زيد تمسك بعضده وهو
يتكلم بهدوء وحزم:

- والله كان بودي يا حاج ما اكسفكش بس للأسف اتأخرتوا
قوي

هتف مرتضى وانعقد حاجبي رامي:

- هو ايه اللي اتأخرنا! احنا طالعين من البلد من صباحية ربنا
ومعانا الرجالة روحنا على اسكندرية ومالقناش حد، وجينا على
هنا طوالي.. وبعدين هو ايه اللي اتغير من امبارح للنهاردة؟

ابتسم زيد بغموض:

- كثير

تدخل الحاج سلامة:

- يا ابني وضح كلامك.. احنا عارفين إن اختك لا مخطوبة ولا
حد متكلم عليها يبقي إيه المانع في ابن عمها لحمها ودمها؟
- المانع أنها متجوزة يا حاج...

رأيتك راح

شغيط وريح

"ايه"!!

شهقات الاستنكار والسخط المتوجهة ناحية مرتضى وابنه الذي
هتف بغضب وجزع:

- مين دي اللي متجوزة؟! أنا ما يخيلش عليا لعب العيال ده؟
مش قلت لك يا حاج دول بتوع حوارات ولوع

- بس يا حاج مرتضى ولا والله أقوم امشي

صمت مرتضى مجبراً ليسأل الحاج سلامة بانعقاد حاجيه:

- وضح يا ابني امتى حصل الكلام ده؟ ومن مين؟

هتف هشام ووقف مستأسداً:

- مني يا حاج أنا ابن خالتها ومن نص ساعة ويارا مراتي على
سنة الله ورسوله بعقد شرعي علي يد مأذون وأخوها وليها والأهم
..بموافقتها ورضاها.

ومد يده لجيبه يخرج الورقة التي طلبها من المأذون التي تفيد
بزواجهم شرعاً حتى يتسلم قسيمة الزواج التي تثبت صحة كلامه

رأيتك دائماً

تخفيف الورقة

مناولاً إياها للحاج سلامة وصوت مرتضى صدح باعتراض لاهب
لفت الانظار:

- كداب يا حاج ده أخوها في الرضاعة ما يجوزلهاش.. ده نصب
..بيعدوا الشرع يا حاج

بتلك اللحظة انطلق صوت آمال مصاحباً خطوتها مقتحمة مجلس
الرجال:

- ما حصلش.. ابني وبنت أختي مش اخوات.. ولاد خالة ومتربين
سوا وبس

والصدمة شلت تفكير مرتضى والحاج سلامة يتأمل السيدة
المقتحمة تقف بثبات وعين تناظر الجميع بجراءة صاحب حق
جعلته يعقد حاجبيه وهو يسأل:

- متأكدة؟

- طبعاً يا حاج

- اقل من خمس رضعات يا بنتي افكري.. دي حدود ربنا؟؟؟

- ولا حتى رضعة واحدة.. عمرهم ما رضعوا على بعض

ومع تدفق الحوار بين الحاج سلامة كبير القرية وآمال ظل البقية صامتين ومرضى حدقاته تتحرك بفرع متسائل :

- يعني ايه الكلام ده؟

ردت آمال بقوة ونبرة صارمة موجهة نظراتها لمرضى:

- زي ما سمعت ما حدش فيهم رضع على الثاني من أصله... أنا اللي كدبت من ١٨ سنة فاتوا علشان أحمي اختي و ولادها من أنك تجبرها على الجواز منك

- كل ده بتلعبوا بينا!! بتستغفلونا!

رفعت آمال أحد حاجبيها وهي تعقد ذراعيها متقاطعين على صدرها وهي ترد بحزم:

- كنا مضطرين علشان نحمي الارملة وايتامها.. وبعدين اللي حصل حصل وفات.. ودلوقتِ بنتكم بقيت مرات ابني في عصمته وما حدش له كلمة عليها غيره.

هز الحاج سلامة رأسه مستوعباً ما يحدث أمامه ونظرة متفحصة طالت مرتضى منه قبل أن يوجه نظره للورقة التي أعطاها إياه هشام متفحصاً ثم رفع رأسه بهدوء مناوياً إياها له:

- مبارك يا ابني.. بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير..

اعترض مرتضى بهتاف حاد:

- ايه اللي بتقوله ده يا حاج؟ بعد ما استفلونا السنين دي وضحكوا علينا نسييلهم كده الجمل بما حمل!؟

نظر لمرتضى بنظرة تأنيب وهو يرتفع من مقعده على عصاه بوقار وهو يتحرك مجيباً بحزم:

- انت مش كان كل همك ستر البنت وسمعتها! اهي الحمد لله بقت في عصمة راجل وتغمد هشام بنظرة متفحصة سريعة مكملًا:

- والا أنت في حاجة تانية في نيتك ما نعرفهاش يا مرتضى!؟

شحب اللون من وجه مرتضى وانعقد اللسان أمام نظرات الشيخ المتفحصة ولم يمهل الشيخ بل أشار بيده واندفع الجمع بتهنئة العريس والمباركة متبعين ذلك بالخروج المتتابع من المنزل مصطحبين مرتضى وابنه معهم وهو بحالة هلع ورعب شلت عقله ولسانه، يطلق تغميمات بتهديدات يعلم أنه لا سبيل له من تنفيذها وما أن أصبحوا خارج المنزل امام السيارات يتجهزون للرحيل حتى حادت عيناه لسيارة سوداء كبيرة تراقبه منذ مجئ ابنه ابتلع ريقه برعب وتصنع إغماء متعب ليهرع له ابنه رامي والحاج سلامة نادى بالذهاب للمشفى ومرضى بعد محاولات الافاقة الفرعة رمش بعيناه بضعة رمشات طالباً شربة ماء واتبعها بهمس:

- لا مش عاوز مستشفيات.. ودوني بيتي عايز اروح

واستجاب الجمع المصاحب ومرضى ما ان اصبح بداخل سيارة الحاج شخصياً تنفس الصعداء فحماية وجودهم ستوصله لمنزله بأمان حتى يستطيع تأمين مخرج من مآزقه الأت بلا ريب

وانطلقت الزغاريد من الشرفة بالأعلى مصاحبة لتحرك فوج
سيارتهم تعلن عن الفرحة والحماية
عن انتهاء فرصه مع شيطان ينتظره بجنون
ودون أن يدري أسرع أحد الرجال بالسيارة المراقبة بتوصيل
الخبر أملاً في الحصول على حلاوة البشارة:
-كتب الكتاب تم يا باشا مبروك

مر أسبوعان كلمح البصر؛ عادت أحلام لمنزل العائلة مع أختها
هي وزيد..

والشقة الأخرى بدأوا بإعدادها لتستقبل العروسين بعد أسبوعين
أجواء من الفرح والترقب لليوم الكبير تخيم على المنزل؛ هشام
وزيد وعصام تم نفيهم بفرمان من حورية للرؤوف، والوحيد الذي
لم يعترض هو هشام منذ اختفت يارا بخجل بعد إعلان مباركة
المأذون بإتمام العقد وهو يتفادى رؤيتها يخشى من مشاعره
ويخاف من رؤية ما بعينها..

رأى

شغيط ورنج

يخاف من خوف لو رآه لحطمه يخشى من لمح رعب ناحيته
يرتعب من برود مشاعر يتمناها

والحل كان التفادي بإصرار والحجة متوفرة شقة زوجية وعمل
متراكم

لذا ركز جهوده بإعداد الفرح والشقة وعاد للعمل لمزيد من
التشتيت

زيد يحاول التوصل لناريمان المختفية تماماً.. منذ آخر مرة
وصدامهم مع المسمى بأشرف وهي لم تعد لزيارة والديها
بالمقابر بل على حسب كلمات السيدة منيرة حينما يتصل راغباً
بمحادثتها على هاتف الفيلا أنها لا تغادر غرفتها أبداً رغم
محاولاتهم جميعاً وهو يقمع حيرته وقلقه بداخله لا يسمح لأي
منها بالظهور حتى لا يفسد فرحة الجميع التي طال انتظارها

أسبوعان مرا منذ خاب سعي إياد وليث وباسل بمقابلة ناريمان
رغم كل المحاولات باليوم التالي لاكتشافهم، بررت السيدة منيرة

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاح

رفضها لرريتهم بأكتئاب فقد هي تعاني وترفض السماح لأحد
بالنفاذ لها أيًا كان

لذا ظهرًا غادر ليث محادثاً مروة ليصطحبها للاسكندرية باليوم
التالي كما وعد وغادرت معه

يواصل أيامه بمتابعة أعماله عن طريق الهاتف وحاسوبه يتابع
على مدار الاسبوعان كل صغيرة وكبيرة ولا جديد حول أشرف
ومحاولات إياد تبوء بالفشل يومياً والسيدة منيرة والحديدي
الكبير هم السد المنيع أمام إياد يحولون دون ناريمان منفذين
رغبتها بأتقان وبعد انتهاء يومه وبموعد التمرين يذهب للقاءها
منتظراً لتلك الدقائق التي تتبعه من صحبة تجمعه معها ولم
يصدق حين أخبره مدير المركز بانتهاء الشهر سائلاً

"أيرغب بتمديد؟"

أيرغب بالمزيد أم اكتفى؟

حان الموعد الذي حدده لنفسه ليحسم قراره بالابتعاد دون
التفات أو بالاقتراب حتى النهاية، وقرارها حول بالر يشغل باله

فهو لم ير له أثر منذ تلك المرة وحين أخبرته برغبتها بالسفر قبل
الفرح بيومين أوصلها مودعاً حتى الحافلة لا يعلم لما أخبرها انه
لديه عمل هنا؟! ربما لسماعها تحادث هذا البالر بود دون اي
أشارة لقرارها سواء برفض او قبول؟! ما أن عاد للمنزل حتى
شعر بفراغ شديد رغم وحدته الأيام الماضية لم يشعر بها، ثم منذ
متى كانت وحدته تضايقه؟! هو المتشدد دوماً أن الوحدة كنتز لا
يقدره سوى العقلاء!

لذا يوم الفرح صباحاً قرر العودة للقاهرة وبداخلة نية على الإقدام

مر أسبوعان وهو قابع بمنزله كالجرذان لم يصدق حظه فخالد
كان يظن أن كتب الكتاب لرامي ويارا وظل لأيام يبحث عن
مخرج.. عن أي حل ولا أمل

حتى فوجئ قبل الفرح بيومين بدخول خالد الملاح ورجاله عليه
بالمنزل وغضبه مشتعل سباب بأقذع الألفاظ ولم يتركه إلا بعد
أن أبرحه ضرباً ولم يستطع أحد التدخل لإنقاذه ولا حتى صراخ
سلوى أفاده ولم ينقذه سوى اقتراح من رامي أو ربما هي فكرة

مجنونة لن تكون للآخر لو ترملت يوم زفافها، وعليه تركهم بعد أن أرغم ثلاثتهم على الإمضاء على شيكات بنكية بمبالغ مهولة وغادر تاركاً وراءه رجلين بعظام محطمة ووجوه مدماة وامرأة بح صوتها من الصراخ

مر أسبوعان وميرا غاضبة أصبحت ترد على مكالماته ولكن ببرود واقتضاب، غاضبة وهو منشغل بمحاولة البحث خلف اشرف دون أمل ومع رفض ناريمان الكلام أو اللقاء وأستخدامها والديه كستار كانوا بوضع الانتظار مكبلين وكانوا اسوء اسبوعان مرا عليه بحياته، رغم أن الفترة الماضية شهدت تحسن بعودة باسل للعمل من جديد بتركيز وصحة داخضة لكل الإشاعات

حاولت شاغل بالتركيز على تجهيز منزلهم الجديد والانتهاء منه على قدم وساق فهو قد مل الابتعاد مل الانتظار مل الترقب مل الخصام بعد عرس هشام ويارا سيأخذ زوجته لبيتها الجديد سيتابع حياته بطبيعية كما ينبغي أن يكون وسحقاً لأشرف فالان

كل اتصالاته وتحركاته تحت الرقابة الوثيقة والفضل لمهند
العبقري اخوليث

ابتسم متذكراً هدية في طريقها لها الآن ورغم غرابتها إلا أنه
متأكد أنها ستحمل له معها السلام

أسبوعان مرا بترقب تعلم أنه يتفادها وهي تقدر ابتعاده وتغتاظ
منه تشعر أوقات بفرحة وراحة وأحياناً أخرى بانعدام الثقة والقلق
أفادها حقيقة اقتراح معتر عليها بأخصائية نفسية متخصصة
ساعدتها كثيراً على مدار ثلاث جلسات طويلة بالانفتاح النفسي
على ما هي مقبلة عليه، ولكن بالنهاية تبقي خطوة الزواج قفزة
الإيمان الكبرى خطوة مهما استعدت لها تخطوها بترقب وقلق
أيقظتها البنات بفرحة وجموح فالיום هو عرسها الكبير المنتظر
"قومي قومي ورانا حاجات كثير قبل الفرحة"

هتفت بها مروة بغبطة طفولية مبهجة

وميرا تتحرك هي الأخرى بتقافز فرح فزعت له الفتيات

- البيبي يا مجنونة!!

لتهدأ جالسة بإدراك مفاجئ

الأخوات الثالث اختفى بينهن الشقاق يعملن للفرح على قدم
وساق بفرحة عرس الكبير؛ هشام والفراشة التي ابتسم لها الحظ
أخيرًا؛ يارا

رنين جرس الباب ونداء متعجل لميرا لاستلام شيء ما جعلها
تدير عينيها ماطه شفيتها فزوجها العزيز يعيد لها ذكريات فترة ما
قبل زواجهم بهدايا من الورد والحلوى الفاخرة وتلك المرة
شهقت من الانبهار بالعبلة يكاد يكون أروع حذاء بكعب عالي
رأته يومًا

الكعب العالي مشغول بمهارة صائغ محترف ولونه وشكله لا
يوصف إلا بكتب الحكايات قلبها دق لمراى الحذاء ومع انبهار
نسوة المنزل به جاءها التحذير من شفتي أمها آمال
"أوعي تفكري تلبسيه.. كعب عالي لأ غلط عليك"

رفعت ميرا إحدى حاجبيها بعناد وهي تحتضن الحذاء لصدرها
بخشية:

-ليه بقى إن شاء الله!!

ردت أمها باقتضاب وعيناها تنظر لبطنها بإيعاز:

-أنتِ عارفة ليه

فمنذ عادت للمنزل وحقيقة حملها كانت كالسر المفضوح الكل
يعلم ولا أحد يتحدث كلما مرت من مكان وجدت كوب من
الحليب بوجهها أو شطائر من التي تعشقها لو حاولت الحركة
بسرعة تصدح التنبهات من الأخوات الثلاث فمطت شفيتها لن
تجادل.. ولن ترضخ أيضاً هي تنتوي ألا تضيع فرصة ارتداء تلك
التحفة ولو قتلها ذلك

انتهت المتخصصة بالتجميل من تجهيز العروس وأحلام لا تكف
عن البكاء وآمال تبسم بحبور وسعادة لا تخفى وحرورية تبسمل
وتحوقل وترقي من الحساد

رأيتك حالم

شغيف وورع

فستان أبيض بضي فضي منسدل حول جسدها بدهاء مزين
بالأحجار اللامعة حين تتحرك تحت الضوء تتراقص على ضيائها
الأنوار هدية من أخيها باللحظة الأخيرة ومفاجأة لهشام

دقات قلبها تتصاعد وهي تحاول تهدئته بكفها المفروود على
صدرها وزيد يتقدم منها ببذلة تاكسيديو أنيقة مبتسماً فرحاً
ي ناظرها بافتخار

احتضنها لدقائق يبثها دعماً ثقة بخطواتها القادمة مباركاً يقودها
نحو الدرج

مصحوبان بالزغاريد والفرحة بالعيون والوجوه توجهت لأعلى
الدرج تنظر من تحت طرحة زفافها للقابع بالأسفل منتظراً وما أن
التقت أعينهما حتى ضاع التوتر وتبخر انعدام الثقة

تشابكت نظراتهما ولم تنفصم ولا حتى وزيد يسلمها له ويوصيه
عليها ظلاً ينظران لبعضهما البعض حتى تنحنح عصام

"ممكن ندخل الناس بتتفرج علينا ايه أنتوا جاينين تتعرفوا على
بعض هنا"

وانفصمت النظرات بتورد وجنتيها وبابتسامة على وجهه ودخلوا
للقاعة محاطين بحميمية أحباثهما

وميرا تبحث بين الجموع عن زوجها الذي تأخر عن مواعده
..تأخر كثيراً حتى توجهت لمروءة تسأل بنبرة يشوبها القلق:

- مروءة.. أنتِ شوفتِ إياد؟

هزت رأسها بنفي مجيبة فسألتها من جديد وعيناها تبحث دون
هواد:

- ولا ليث؟

هزت مروءة رأسها بنفي وعيناها تشارك ابنة خالتها بحثها
الحثيث:

- لا مش عارفة أتأخر ليه قال أنه جاي

ظلت تبحث بين الوجوه منهم الفرح ومنهم المنذهل ومنهم
المتهامس بخفوت

بأجواء الحفل الفرحة تتألق بوضوح

وبالقلب غصة تتعاضم تفترسها تقلقها فإياد لم يخلف يوماً كلمته
معها

أين هو؟.. أين؟

انتهى الحفل ولم يظهر أيًا منهما لا اتصال ولا اعتذار وهاتفهما
خارج نطاق الخدمة

رغم الحراسة التي فرضها الاثنان على الحفل مقنعين هشام
بصعوبة

ورغم الاجراءت الأمنية المفروضة من ليث منسقاً مع أمن الفندق
الا أن الاثنان لم يظهر لهما أي أثر طوال الحفل.

قبل الحفل بعدة ساعات

بطريقه للفرح مع ليث كان بمزاج رائع متخيلاً هديته وتأثيرها
على نفسها ومزاجها حينما يعودان للمنزل الجديد سيحرص على
اقتناص شكر منها يرضيه فاجأه ليث بتغيير الطريق فعقد حاجبيه
بوجوم يسأله:

- رايح على فين حنتأخر؟

زاد ليث من سرعته وهو يتصل بمكتبه طلباً لآخر المعلومات

- في حد قدام الفيلا عندكم بيسأل عليك ضروري بيقول
بخصوص فرح النهاردة

توجس إياد بقلق وسأله:

- مين؟

- واحد بيقول اسمه رامي مرتضى وعنده معلومات تهمنا

وبالفعل بسرعة كانا قد وصلا للفيلا وتوقفا عند سيارة المراقبة
الخاصة برجال ليث المتابعين للفيلا ليجدا الرجل المنشود
مكدوم الوجه وما أن رأى الاثنين

حتى أعلن بوضوح دون موارد:

- أنا ابقى ابن عم يارا محسن بنت خالة المدام يا إياد بيه
..اتقابلنا في الفرحة.

هز إياد رأسه وعيناه تسأل بحرص ومكدوم الوجه يتمتم:

-أنا حاسلمكم خالد الملاح وكل اللي تحتاجوه علشان توصلوه
بس بشرط..

ومع لفظ اسم خالد الملاح نظر الاثنان لبعضهما فخالد يمكن ان
يوقعوا أشرف عن طريقه بسهولة وبنظرة اتفقا على الاستماع
للنهاية ، استمر الحديث لساعة قبل أن يهرع ليث وإياد بسيارة
الأول يتمنيا الوصول للحفل قبل أن يبدأ وليث يرمى بتعليمات
صارمة عبر الأثير.

لا يصدق ما حدث وإن تنبأ به له ألف عراف وإن حلم بها له
ألف ولي لم يكن ليصدق يوماً تلك اللحظة..

هو وهي وباب مغلق عليهما وحدهما هي له دون حواجز هي
أمنيته المخفية دون أن يدري بها

وهي ملكه بكل ما لتلك الحروف الاربعة من سلطان؛ ملكه قلباً،
وروحاً ووقرباً

ما يراه بعيونها لم يتخيله يوماً بأعتى أحلامه جموحاً؛ السعادة
 التلهف ممزوج بخجل لا رعب لا قلق بل خدر عذري يليق
 بصفاء عينيها ووردية وجنتيها

- أنا مش مصدقة

والجملة كانت منها وابتلع ريقه يحدق بها نطقها برقة ونادته
 باشتياق:

- هشام

والرد كان فعل جذبها من يدها لأحضانها بقوة..

طوال العرس كان يظنه حلم مجرد خيال حتى حين رقصت بين
 يديه وحين غنت له تصاحب النغمات تهمس فقط لاذناه

يحتاج لأن يلمسها باحتضان..

يحتضنها يتشبث بها بقوة..

وهي شهقت من المفاجأة وليست بأقل منه احتياجاً

مدت يدها تتشبث بظهره العريض تدفن أنفها بصدره وهو
يستمتع بعبير رأسها..

لا يبالي أن تاج عرسها ينغزه بوجهه همس لها بخفوت:

- كنتِ بتقولي ايه في الفرحة؟

ولم يحتج لتوضيح فحين يكون الحبيب هو رفيق طفولة وتوأم
روح

حين يكون حلمك نصفك الثاني الغافل عنه لعمر بأكمله

لا تحتاج لحروف او كلمات

ابتسمت وأغمضت عينيها وللمرة الأولى لا ترى ظلام..

أغلقت جفنيها تتمتع بدفته وتهمس بخجل:

في

عيونك حسيت بأمان

تغرق رأسها وخصلاتها تداعبه أكثر مكملة:

- في عيونك قلبي أنا غرقان

على كيفك وديني على كيفك
 ونادينني وارميني وخليني في عيونك
 لو حد عايزني في حاجة بجد يحلفني بعيونك
 نبرات صوتها تتضح أكثر تبعد عن دفئه تحتاج لرؤية عينيه
 تهمس بحب بعشق لم تعلم عن وجوده.. تهمسها لعيونه بتأكيد
 يستحقه يحتاجه يليق به:

- في عيونك وطني وبلادي
 في عيونك أرضي وميلادي
 وحياتك دفيني وفي ذاتك خبيني
 من العالم واحميني في عيونك
 تسلمه صكها لنهاية الأمد وهو يقترب..
 يقترب وقلبها تتراقص دقاته بصخب
 وهو يقترب لا عقل لا تفكير فهو سترك لقلبه المساق..
 اقترب وأنهى آخر كلماتها بين شفثيه

حين تنال الثمرة المحرمة وشهدتها ينسال بين شفثيك حلالاً لك
وحدك هذا هو مذاق شفثيها

مسكر مذيّب للأوصال شهاء العسل
يتنفسها يتنشق عبير روحها..

أصابعها تستكشف طريقها حول عنقه وللمسة أناملها درب
مرسوم..

برجفة.. بخجل تطوق عنقه.. عينيها ترفرف والقلب يختلج
لرموشها عشقاً..

وسحقاً لهواء يحتاجه ليحيا يبعده عنها لثوانٍ

وقبلات تتناثر على وجنتيها.. قبلة صغيرة تتبعها الأخرى كورد
منثور

وحين شعرت بسخونة أنفاسه تقترب من أذنها قشعريرة أصابتها
بينما يهمس بكلمة لم تسمعها منه من قبل:

- بحبك

انفتحت عيونها بدهشة ووله.. قالها أخيراً ازدانت آذانها بأنفاسه
المداعبة

يداه تترع عنها تاجها تحرر خصلات شعرها بغيمته البنية الناعمة
منساباً فوق كتفيها الوردية..

هناك أنثى بيضاء وأخرى سمراء ربما قمحية وأنثاه هو وردية
بلون قطوف الورد الخجول فستانها لا يكشف سوى كتفيها
فيحتويهما بشوق..

وبعينيها نداء مشتاق لشفتيه من جديد ومن هو ليعاندا!.. وذراعيه
تنحنيان لتحملها لفراشهما..

أنزلها بهدوء وتروي وتواصلهما لا ينقطع، يداه تداعب ظهر
فستانها حين شعرت بلهفة أنامله ابتعدت تعطيه ظهرها.. لحظة
تردد بسيطة شابت عاطفته ولأن في الابتعاد هلاك عاد يتلمس
طريقه إليها وهي تستجيب بحياء..

يديه عادت تداعب أزرار فستانها العديدة؛ زرار يتلو الآخر
 وفستان عرسها يستجيب برحابة وحين شعرت بعري مقرب
 ارتعشت تمسك فستانها مغممة اسمه بخفوت راجي
 "هشاهام"

أجابها بأنفاسه الخشنة وصوت أجش
 "روح هشام"

تلعثت تخبره

-حادخل الحمام أغير

وابتعد على مضض وهربت هي بغيمة بيضاء..

لن يستعجلها.. صارت له وسينتظرها

تنظر لنفسها بالمرآة وأنفاسها تتابع.. تتذكر كلمات الطيبة
 النفسية المختصة كل ما هو أت هي تعلمه عن ظهر قلب.. دقائق
 قلبها تتقاذف وانفاسها تتسارع أهي خائفة؟! وحين سألت السؤال
 بعقلها عيناها المنعكسة بالمرآة أجابتها بلمعة وحمرة اعلت
 الوجنتان.. لا يوجد خوف أو فزع أو نفور فقط اشتياق رغم

الخجل رغم الحياء، لكنها تحبه دون أن تدري هي فطمت على
حبه.. تتذكر كلمات مروة العابثة ووصايا ميرا
وطالع انعكاسها بالمرآة خلفها الغلالة المختارة من الفتيات
هدية..

معلقة بأناقة لا.. لا يوجد غلالة هي تطريز فضي ناعم يُوَطر
اللاشيء طويل كرداء أميرة.. تورد خديها أكثر.. أسرعت تغير
ملابسها وترتدي الغلالة المزعومة وهي تعض على شفيتها
جنوا! بالطبع جنوا..

ستخرج لهشام شبه عارية!!

اهو جنون او قفزة إيمان!!

خرجت لا تعلم ما الوقت الذي استغرقته لكنها خرجت لتجد
الأضواء مغلقة والشموع تنير المكان

لا تعلم متى ومن أين بتلات الورود!

وهو مستلقي على الفراش بينطال بيجاما أسود فقط.. قام مسرعاً
حين لمح طيفها

رقيقة حبيته حتى ياغوائها رقيقة كالحلم..

ومع لمحات الاغواء ببراءتها أيقن الاقبال
اقترب وخجلت وحين اقترب أكثر تعالت الانفاس..

قبلها بوله يحتضنها، يلمسها لأول مرة بلا حائل، وهي بطوفان
مشاعر راغبة بالغرق تسلمه مقاديرها

وشعر بها تترنح فأسرع يتلقفها بين يديه

يمددها فوق سريرهما يبعد خصلات شعرها عن وجهها يرقب
بوجهها أي إشارة خوف أو تراجع سيبتعد

وحين فتحت عينيها رأى صدى ما يشعر به بعينيها..

تريده وتحبه..

هي تحبه.. يارا تحبه..

وضمها من جديد

"بعشقتك"

والكلمة منه بمذاق آخر

وإغماضة عينيها المتألّمة جعلته يسكن.. تراجع مبتعداً يهمس
بخفوت:

"وجعتك؟"

لتهز رأسها بنفي

فأسرع يحتضنها ومعالم أسفه على وجهه

تفتح عيناها الدامعة لتقابلها عينيه المطمئنة

- ما تخافيش أنتِ معايا أنا

غاب قليلاً وعاد إليها بكوب عصير جعلها ترتشفه ببطء ومن بين
يديه رشفة تتلو الأخرى وهو يراقبها بحب.

تعالى السباب من المقيد على الأرض المتربة بذاك المخزن
باللامكان ومن حوله رجاله يتخبطون بوثاقهم كجرذان وما أن
سمع صوت خطوات تقترب بقوة حتى هتف بكبر:

- أنتوا مين؟ وروني نفسكم.. أنتوا مش عارفين أنتوا وقعتوا مع مين؟.. أنا حاوريكم يا كلا... ..

ولم يكمل السبة فقد نال وجهه ركلة قوية أدمت فمه وملأته بالدماء ونزعت العصابات من على الأعين ومع الضوء تألم الجميع حتى تأقلمت عيونهم على الضوء ليفاجئ خالد بمظهر لشخص عريض عضلي الجسد يرتدي بذلة سوداء اللون والقميص دون رابطة يجلس على عقبه أمامه محذراً بقسوة:

- كلمة ما تعجبنيش تطلع منك مش حتشوف مني إلا اللي ما يعجبكش فاهم!

وصوت آخر اقتحم المشهد:

- كنت بتعمل ايه في الفرع؟

ضيق خالد عينيه:

- أنت جوز ميرا مش كده؟

وابتسم بسخرية مكملًا:

- مع أنها ما كانتش في حساباتي أصلاً.. بس كده تدخل وهي
تستاهل الصراحة

نال لكمة جديدة من ليث بصق معها أحد أسنانه وبعض الدماء
هاتفاً:

- بتفرد نفسك عليا وأنا متكتف مش أنت اللي ماشي مع..

اقترب منه إياد مقاطعاً جاذباً إياه من قميصه:

- بطل لف ودوران.. رجالتك قلمين وقالوا انك كنت ناوي تقتله
وتخطفها مش كده؟

ذكر ضعف رجاله وفشل خطته أثار غضبه فهتف بجنون مستعر:

- فاكرين بحركاتهم الهابلة دي حيخلصوها من ايدي حيبعدوها
عني.. دي مراتي أنا.. بتاعتي أنا.. وحاخدها حاخدها.. ما
حدش حياخد حاجة ملك خالد الملاح

عقد إياد حاجبيه ورؤية الجنون البين بعينه أقلقته فيما انتوى
عليه ونظر ل ليث بقلق وشاركه ليث نفس القلق فمن أمامهما
مهووس غير مأمون التصرفات

أردف إياد بنبرة باردة مهددة:

- ايه علاقتك بأشرف الشاذلي ؟

والصمت المتهم من المقيد بمقعده يستفزهم بضحكات
ساخرة:

- مين ده أنا ما اعرفوش..

- أنا عندي ورق يدخلك السجن ما يخرجكش.. وأبوك نفسه
مش حيقدر ينطق وأقل حاجة يعملها لو اتبرى منك علشان ينقذ
نفسه وسمعته.. بلاغ صغير للبوليس والورق وكل اللي يسجنك
بلا رجعة حياقوه حواليك هنا أنت ورجالتك....

نظر له خالد بجنون وشعور بانطباق فخ غير مرئي يحاوطه:

- انا ما بتهددش

وابتسامة ساخرة من الاثنان وجملة مقتضبة من إياد وهو ينفض
يده من المسمى خالد بتقرز واضح:

- ومين قال انك بتهدد .. انا بعرفك اللي حيحصل الساعات
الجاية لو ما اتعاونتش معانا واعترفت بعلاقتك بيه؟

رأيتك عالم

شخصيات ورواية

- ده حيفدني بايه؟

والرد من ليث بنبرة قاتمة:

- حيفدك اننا حنبقى حريصين اقامتك ف السجن تبقى مريحة
من غير مشاكل طول ما انت بعيد عن عائلة الادريسي حنبقى
بأمان

- انا مش حارحم حد فيهم كل اللي ساعدها تفلت من ايدي
حافرمه وحاخذها مراتي حارجعها واروضها من اول و جديد
كلماته نطقت بفحيح وجنون مستعر بعيناه
والرد من إياد بحسم قاطع:

- يبقي انت اللي اخترت.. السجن افضل لعينتك فعلاً .

نطق الكلمات والتفت مغادراً هو وليث فقد اهدرا على
المهووس الكثير من الوقت المفروض ان يقضيه مع حرمه
المصون والاحمق يأبى الانهزام يهتف بجنون:

- مش حاتقدر عملي حاجة.. حأخرج منها زي الشعرة من
العجين .. وخليك فاكرني كويس لان المرة الجاية اللي حنتقابل

فيها حيبقى في إيدي مراتك اللي مش حاسيها إلا وهي ناسية
اسمك وبتصرخ راکعة باسمي أنا تحت رجلي..

ولم يكد ينهى حروفه حتى عاد اليه إياد يكيل له اللكمات
والضرب بغضب ناري وليث يحاول إبعاده عنه بقوة حتى تكسر
المقعد الجالس عليه خالد من شدة الضربات وتهالك أرضاً
مكدوم فوق كومة من خشب المقعد وليث ساخطاً يزجر إياد:

- بس بقي اهدى ما توسخس إيدك.. بدمه اهدئ ده كلب وفي
السجن يخلص بنضافة

يحاول إبعاد إياد المنفعل مهدتاً مخاوفه ولم يلحظ الاثنان
استلال خالد بخبث لمسدس يحمله بجوربه يرفعه بحقد تجاههما
من زاوية شبه مستحيلة وهو يصرخ:

- مش حاسيب ولا واحدة فيهم؛ يارا ملكي.. والاتنين مش
حيفلتوا من إيدي لا ميرا.. ولا مروة

والتفت ليث له بغضب عند ذكر اسم مروة على لسان المجنون
لتنطلق رصاصة وتصيب هدفها بدقة ويسقط أحدهم مخرج
بالدماء ..

دماء تسربت تحمل معها أنفاس حياته الأخيرة..

الفصل الأخير

حين نستشعر الفقد..

ذاك الفقد الأخير!

كلمة الوداع التي لم تُنطق!

نظرات الحب المحتجبة!

والاعترافات المؤجلة!

وقتها فقط تنهار الحواجز..

بين القلب والعقل ليتفقا أخيرًا..

حتى ولو بعد فوات الأوان..

الرعب هو ما كانت تشعر به.. ارتعاش جسدها الذي لم يهدأ
 بجلستها الصامتة، تحاوطها أمها وخالتها التوأم أحلام.. تشعر
 بنظرات أخيها القلقة، تشعر بتوتر ابن خالتها ربيب طفولتها، وهي
 بعزلتها.. تحاسب تشجب، تندم.. مازالت ترتدي حذاءه، حذائها
 هديته لها..

هدية تحمل بصمته ليأسر قلبها، لم تشعر متى توقفت السيارة أمام
 المشفى الخاص، ولا متى ترجلت محاطة بأهلها منظومتها
 الخاصة من الأمان!.. ورغم ذلك تشعر بالضعف، بالبرد، لا تسمع
 ما يقال.. ربما هي كلمات معتادة لسؤال عن مكان المصاب
 لكن كل ما يدوي بأذنها هو:

"الأستاذ إياد في المستشفى مصاب بطلق ناري"

ومنذ تلك اللحظة جمودها ونزع عصام الهاتف منها ليفهم سر
 تجمدها المرعب وهي لا تسمع سوى تلك الكلمات..
 وكلمة أخرى دوت مخترقة عزلتها..

"بأوضة العمليات الدور الرابع"

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتحت

هل هي مستعدة لفقده التام؟.. لإنهائه من حياتها؟.. ماذا عن ابنه..!

هي لم تخبره بعد أن له بالحياة طفل قيد التكوين.. لم تشعر إلا وهي محتضنة من صدر رجولي تعرفه جيداً؛ أخيها عصام يربت على ظهرها يطمئنها.. وما إن وصل المصعد للدور المذكور وخرجت حتى خارت قدماها والتهاتف باسمها من حولها وعصام يخبرها:

"امسكي نفسك"

ضعف.. هي ضعيفة وتلك دوماً كانت كلماتها السحرية لتهز رأسها متممة:

"كويسة.. أنا كويسة"

تستقيم، تستجمع قوة لا تدري من أين لتستقيم فوق كعبيها!.. تتقدم ببطء، تقترب، لتجد العديد من الأشخاص منتظرين أمام مدخل غرفة العمليات.. ودقة خائنة من القلب حين رأت رجل

بنفس هيئته يواجهها بظهره.. واصلت التقدم، السيد شوقي وفتي
شاب آخر وصوت السيد شوقي المندهش:

"ميرا!"

جعل الرجل الشبيه يلتفت بسرعة والعين والعقل والقلب تأمروا
لخديعة الضعيفة فهَيئ لها أنه زوجها.. وصوته باسمها كان القشة
الأخيرة لتقع هي مستسلمة لأول مرة بحياتها.. معترفة بضعف
كينونة جُبلت عليه..

ضعف لا قبل لها باحتماله!

حين الفقد تقع الأمور بنصابها الصحيح..

كل العوامل والمؤثرات، حسابات الكرامة والكبرياء، كله يتواري
أمام شبح الموت.. ويبقي واقع أن ذاك الشخص لم يعد له
وجود!

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

إحساس السيد شوقي حين علم بخبر إصابة ابنه الأكبر، فخره السري بالحياة.. نعم فخره!.. فرغم أنه لم يخبره إياها قط إلا أنه لم يفتخر أب بابنه كما افتخر هو بـ "ليث"

فتاه المتألق بعمله، الذي رفض الرشوة لإخراج ابن واحد من أكبر رجال الأعمال من جريمة قتل ومحاولة تحميلها لحارس مهمش لا صوت له ولا سند.. وليث كان سنده، صدقه ولم يتركه إلا وهو حر وابن رجل الأعمال مكبل بالأصفاد.. ورجل الأعمال أعلنها انتقام بينه وبين الضابط الذي نسي كيف يطبق القانون على الأغنياء!.. وقضية رشوة خرج منها بأعجوبة بعد ما ضحى أحد المخبرين برضا الأكاير عليه ليقف بجانب الضابط الصغير مرشداً عن الخطة الملفقة..

ولم يهدأ فتيل انتقام رجل الأعمال وتلك المرة بتلفيق تهمة ببعض من كيلو جرائمات من مخدر.. وليث كان متجه للحضيض لولا إياد بعقلية رجل الأعمال.. مساومة مع رجل الأعمال

المذكور، تهديدات بلعبة المال.. ولأن المال دومًا يفوز؛ فاز إيراد
بإنهاء حد الخصومة والانتقام..

وكحاوي ماهر فاق هوديني بعصره الذهبي اختفى الحرز،
اختفت القضية والمخدر سكر بودرة.. وقرار التبرئة وعودته
للعمل صاحب قراره..

بالإستقالة!

تنهد يدعو، يبتهل وهو واقف على باب غرفة العمليات
فالرصاصة قبعت جوار القلب بمليمترات والجراحة خطيرة..
شعرة تفصل بين الحياة والموت، لم يشعر إلا بيد فتاة رقيقة
تربت على كتفه تسأله بوجه مضطرب:

- هو حضرتك أستاذ شوقي والد ليث؟

هز رأسه بتأكيد وعيناه بهلع تتأكد من ملابسها أنها ليست ممرضة
أته بخبر النهاية فتلعثمت:

- أنا مروة.. مدربة ليث وصديقة له.. أخباره ايه؟

والراحة التي اكتنفته من تأكده أنها لا تحمل له ما خشاه جعلته
يغمغم بخفوت:

- ادعيه يا بنتي.. حالته خطر.

والغصة عند سماع الخبر تحولت لقبضة تعصر ضلوعها بألم، لا
تفقه له كنهاً أو مسبباً!.. هو فقط موجود.. ابتلعت ريقها بصعوبة
وهي تغمغم بصوت متحشرج تبثه طمأنينة لا تستشعرها:

- خير.. ما تقلقش إن شاء الله حيبقى كويس ويقوم بالسلامة.

ورافقها صوت رجولي آخر يتمم متمنياً للملقى بين يدي رحمة
الله الشفاء والنبرة مألوفة جعلتها تتجه له بعيونها تسأله الطمأنينة
وقابلها جمود عينيه:

- ادعيه يا عصام يا بني.

وبالحائط المجاور يقف آخر.. شاب بجسد نحيف وملامح لا
تميز منها سوى عيان تنبئان بذكاء وتخفي حزنها عوينات طبية
يطار حاد بسيط.. يتأملهم بصمت، غمغمت مروة قاطعة الصمت
تتلقت حولها:

رأيتك حالي

شغيب وريح

- حد كلم هشام!?

والإجابة ساخرة دون حتى شبح ابتسامة:

- صدر قرار بمنع الاتصال بيه تماما.

وأمام انعقاد حاجبيها واستنكار ظل من حدقتها أكمل باقتضاب
شبه غاضب:

- قرار عصابة القناع.

أنانية تلك الكلمة التي سطعت وعضت على لسانها حتى لا
تنطقها.. ماذا لو كان الملقى بالداخل هو السبب وراء سعادتهم
الآن!؟!

ماذا لو كان هو من تحمل رصاصة كانت لتصيب أحد العروسان!!

ماذا لو كان هو المنقذ لها ولهن من بين يدي الأوغاد!!

لا تربطهم به صلة لذا ستركوهما يتمتعان بأول لمحة سعادة
بحياتهم دون تعكير الصفاء، سعادة يستحقانها وإن كانت تعلم
علم اليقين أن هشام إذا علم لن يترك جانبه حتى يطيب..

أنانية!.. نعم لكن متى كانت حياتنا كالحمد المستقيم؟
 وإغماضها عيناها بألم وعبرة واحدة تسقط من بين رموشها ببطء
 حارق أصابت قلبه بالوجع، بارتجاف.. لم تهتم لكل تلك
 الدرجة؟..

فبالنهاية هو مجرد حارس خاص.. أليس كذلك؟

تتوسد صدره، تتدثر بذراعه وبسمة ثغرها وهي نائمة هائلة كانت
 أقصى أمانيه..

إن كان لها مأوى، وطناً؛ هي له روح الحياة.. غصة انعقدت
 بحلقه، كيف استطاع يوماً أن يتخيل تركها لأحد سواه!.. أحد
 يقترب منها مثلما اقترب هو، يلامسها مثلما تملكها هو.. يقتنص
 أنفاسها ولمساتها وحتى عبراتها!

والذكرى القديمة المقبضة أرسلت بجسده ارتعاشه غضب وحنق
 وتعالق دقات قلبه، فقط كلمات صديق أهدته له الحياة دون
 حساب..

رائحة حارة

شغيف ووردة

فقد اهتم أن يحادثه بشكل شبه يومي منذ علم بعقد القران..
 محادثات تبدأ عادية وربما حتى تحمل تقصي الأخبار وبعض
 الثثرة بفضفضة يوم مثل، وما أدراك ما فضفضة طيب نفسي
 كمعتز!

"الماضي للعبرة والانغماس فيه خسارة"

"ما تسيبش الماضي يدمر الحاضر"

تلك الجملة لن ينساها أبداً، ظهرت عادية في سياق حديثهما عن
 موعد متعب مع مراهق دون تفاصيل حقيقية.. فقط أهدها نصيحة
 كوجهة نظر، كنطف الثلج دون اكرات ولم يعلم أو ربما هو يعلم
 أنها استقرت بعمق قلبه..

"مش عارف ازاى الأهل بيقدروا يحملوا مراهق سواء ولد أو
 بنت ذنب مرحلة الاكتشاف.. هما يسيبوه دون توجيه أو احتواء
 تحت مسميات خجل.. إحراج.. الجيل الجديد عارف كل
 حاجة، كلها مبررات أقبح من ذنب التقصير ويكتفوا بدور
 المراقب والجلاد"

كلماته غاصت ماحية الكثير من ضعف نفس رجل شرقي سبق له يوماً أن رأى معشوقته تخنع لإهانة وتستباح بقسوة..

حين ساورته الشكوك بالخطو بعلاقتهم للأمام، حين راودته الأفكار بجعله فقط عقد قران دون زفاف، أو يكمل الزفاف تاركاً لها حرية الاقتراب وقتما أرادت دون دفع أو اضطرار..

ومعتر تلك المرة أيضاً كان له بالمرصاد، حينما حادثه البارحة مساءً قبل يوم زفافه، حينما استشعر قلقه سأله بمرح:

- ايه مالك؟.. صوتك متوتر ليه؟ إوعى تكون ناوي تقصر رقبتنا؟
وبضحكات متتالية منه أكمل بلهجة صعيدية عابثة:

- دي تطير فيها رقاب يا بن عمي.

ورغم التقطية على وجه هشام إلا أنه اندمج معه بالضحك وبعد إن انتهت الضحكات جاذبة معها فتيل التوتر بنفسه سأله معتر مباشرة:

- أنت قلقان عليها ولا منها ولا من نفسك؟

والتهيدة تبعت الزفرة بعمق، حملتا حيرته عبر الأسلاك:

راقب رقاب

تخفيف ورنج

-حتصدقني لو قلت لك مش عارف!.. يمكن ولا حاجة من دول
أو يمكن كلهم مع بعض.

صمت ساد لثواني قبل أن يباشر معتر بالحديث بصوت رخيم
واثق النبرات، يبث حقائق، يطمئن، يهدد روح قلقة:

-كطبيب لا يفترض إن أقول حاجة من دي.. بس كصديق
وشخص جرب الحب واجبك عليا إنك تعرف.. عارف إن رغم
جلساتي معاها على مدى شهور ورغم إنني أول واحد اتكلمت
معاها بعد ما سابت البيت إلا أنها ما فكرتش ولو لمرة تقولي ايه
اللي حصل بينك وبينها!

صمت لثوانٍ جديدة تاركاً جملة تستقر بعقله القلق ثم استطرد
مكماً:

-عارف إنك الشخص الوحيد اللي كانت بتتجنب ذكره في
كلامها ومع ذلك بتلجأ لذكرى وجوده حواليتها!.. عارف إنك
الشخص اللي في عز ضعفها وقلقها وخوفها كانت بتطمئن بيه
حتى في أحلامها!.. عارف إن وقت ما حصل هجوم على
شقتكم كانت هي فين؟.. في أوضتك القديمة.

كانت كلماته تنهمر على روحه القلقة فتغسلها براحة.. بتأكيد
يدركه قلبه إدراكه للحياة.. أن ما يحدث هو ما ينبغي أن يكون:
-أنا خايف أستعجلها فأخسرها.

-المفروض كطبيب كنت أنصحك أنكم تأخذوا فترة تقربوا فيها
من بعض، تتعود فيها على قربك منها وحميمية لمسائك ليها.. ده
لو حالة تانية غيرك أنت ويارا، أنت ويارا حالتكم مختلفة تماماً
علشان كده نصيحتي إنك تسب مشاعركم هي اللي تقود
بدايتكم.. سيب قدرك ياخذ مجراه.

وقد كان.. كانت لمشاعرهم القيادة وأهدتهم البداية لحياة طبيعية
كزوجين، بحميمية لم يتخيلها بأجمع خيالاته..

تململت الراقدة بأحضانها، تلمس بوجنتها صدره ويديها تتشددان
في احتضان خصره مما جعله يجذبها لأحضانها أقرب، يغمض
عينيه بنوم يشتاقه منذ ما يزيد عن ثلاثة شهور..

أو منذ غابت هي عن مدار حياته!

صمت.. سكون.. توقف العقل عن العمل وتولى الجسد قيادة المسار..

ملامح وجه مصمته، يشد من عضد زوجته، يسندها لجسده، خطواتها المتعثرة الهلعة المصاحبة لأصوات بكائها ودعائها بجوار صمته وخطواته المتماسكة..

اقتربا من منصة الاستقبال والنظرة المستفهمة من المريضة المنوطة بالاستقبال قابلها فقدان كلمات وتلجيم للسان.. فإن أجبر قدميه على الصمود؛ والعقل على الصمت دون تفكير؛ وأخرس القلب عن الصراخ؛ فكيف يجبر لسانه بلفظ السؤال عن ابنه الوحيد المصاب!!

حشته المريضة بالسؤال وإجابته كانت متلعثمة كطفل يخشى الكلام، لم يستطع سوى لفظ الاسم:
- إِيَادِ الحِديدي!

وتوتر ملامح الفتاة وتلعثمها وتخبط خطواتها وهي تستقبلهم
بترحيب تقودهم بنفسها بعد أن تبادلت نظرة متوترة مع زميلتها
جعلوا أحشاؤه تتمزق رعباً..

ارتجف للحظة والسند كان رفيقة العمر.. حينما شعرت للحظة
بعدم ثباته تشبثت به ليعود لتظاهره بالقوة، يتبع الممرضة دون أن
يجرؤ على السؤال.. خطوات تتوالى ومع كل انحناء ممر يشعر
بانفلات قبضته الحديدية عن أعصابه، عن قلبه، وحين توقفت
أمام باب غرفة كبير تدعوهم للدخول عقد حاجبيه بعدم فهم!..
ومنيرة لم تنتظر، دفعت الباب وهرعت لتدخل وصرختها الباكية
باسم وحيدهما و"الحمد لله" المتعالية من بين شفثها جعلاه
يجبر قدميه على تلك الخطوتان المتبقيتان لداخل الغرفة.. ليرى
فتاه، وحيداً واقفاً على قدميه، ملابسه مجعدة متربة، وذراعه
اليسرى ممزقة الأكمام ومضمدة، معلقة برقبته فقط..

ليس بغرفة العمليات كما أخبرهم الاتصال!

وتهاوت القدمان بركبتيه على الأرض.. لقد تجاوز حد
الاحتمال..

رأيتك دائماً

شخبطت وارتج

انفلت قبضته أخيراً تاركة قلبه يزأر بنبضات أعلى بكثير مما ينبغي أن تكون، ودموع القلق والتوتر تغزو عينيه، وعقله يرحب بظلام يداري به ضعف الرعب وراحة حين سماع اسمه يتردد بقلق من أحبائه..

"أزمة قلبية.. من الواضح إنه اتعرض لانفعال حاد أكثر من احتمال.. بس ما تقلقوش الحالة استقرت وحيبقي كويس"

تنهيدة راحة من منيرة ملقية رأسها بحضن ابنها يضمها له بذراعه السليمة، يطمئنها ويهددها.. وبعد أن استفاق أبيه هرعت أمه إليه مقبلة وجنتيه:

- حمد الله على السلامة يا حبيبي.

ونظرة عين حانية منه لها طالت ثم بحثت عيناه عنه.. عن سبب اعتلال قلبه وسر وهنه ليجده يقترب، يتشارك معه نظرة طويلة لا تحمل اعتذاراً من أي منهما.. لا تقبل بتبريرات.. ولا تعد بما لن

تفي به.. فقط تقر بقلق ابن علي أبيه وخوف أب علي ابنه..
ومال إياد مقبلاً رأسه متمماً بهدوء:

-ألف سلامة عليك.. الدكتور طمنا.

أطال عبد العزيز بتأمل ابنه، الكثير من الأسئلة الواجبة طافت
بعقله المجهد ليمد يده رافعاً قناع الأكسجين عن وجهه رغم
اعتراضات منيرة وانعقاد حاجبي إياد بقلق.. سأله:

-ايه اللي حصل؟.. ومراتك كانت على سرير المستشفى ليه؟

رغم الضعف والقلق وغياب الوعي لم يفت عبد العزيز أن سرير
غرفة المشفي كان يحمل زوجة ابنه!

وجاءه الجواب من منيرة وهي تزجره بعينها تعيد قناع
الأكسجين لمكانه:

-جالها نفس الخبر بمكالمة زينا ولما جات هنا كانت متوترة
جدا وأول ما شافت إياد حصلها زي اللي حصلك.

ومع ارتفاع أحد حاجبي عبد العزيز أضافت هي:

-لا مش أزمة بس إغماء.. أعصابها انهارت فنقلوها لغرفة هنا.

وضيقت عينها تبثه من بين كلماتها رسالة وصلته كاملة دون نقصان.. ومع دخول حورية وأحلام وآمال للغرفة راغبات بعمل الواجب والاطمئنان على حما ابنتهن وكل عاطفتهن موجهة لمنيرة باحتواء رسم على وجه عبد العزيز شبح ابتسامة من خلف القناع.. وحين توجهت عينه لابنه وجد نفس الابتسامة مرتسمة باكمال!

يداها تهرعان خلال دولاب ملابسها تحاول ارتداء أيا ما كان ما تقع عليه يداها.. فالخبر مفزع!

لم تصدق حين أيقظتها الخادمة العجوز التي رافقتها من بيت أبيها لبيت عمها عبد العزيز وأخبرتها بما حدث تنبهها بواجب الوقوف بجانبهم رداً للجميل.. ورغم أنها فزعت وهرعت ترتدي ملابسها إلا أن عقلها كانت تطوف به الاحتمالات بضراوة مرعبة وكلها تدور حول نفس الاسم..

"أشرف"

ويبدو أن على ذكر الشياطين تحضر كأنه استدعاء!

هاتفها يرن بصوت عالٍ ورقم مخفي يهاتفها، كانت موقنة من هويته ورغم ذلك أجابت الاتصال فبأدورها بصوت فرح شامت:

- ألفت سلامة على إياد يا كوكيز.

- أنت اللي عملت كده؟.. أنت ورا اللي حصله.

لم يكن سؤالاً بل إقراراً..

- تُو يا كوكيز ما تقوليش كده دي أقدار.. عمره خلص لحد هنا.. اللهم لا اعتراض.

والرد المتلاعب دون اعتراف تقززت له مسامعها، وحين استطرد انتفضت دقائق قلبها:

- بس مش إياد دلوقتِ المهم.. أصل زي ما بيقولوا الحي أبقى من الميت مش كده!

- تقصد ايه؟

رأيتك عالم

شخصية ورسالة

نطقها بنبرة مرتعشة وكف مضمومة على قلبها وأزيز بهاتفها ينبئ
بوصول رسالة انعقد لها حاجبها مع صوته الأمر بصرامة:

-افتحي شوفي الرسالة اللي وصلتك أكيد حاجة مهمة جدا
جدا.. يمكن تكون مسألة حياة أو موت.. مين عالم؟

وبأصابع مرتجفة فتحت الرسالة لتجدها من رقم غريب..

صور من بعيد ل.. لزيد في حفل أخته الذي رفضت حضوره،
صور تشبه صور لأحد ما يراقبه!

تعالى تصاعد أنفاسها ويدها تسرع بين الصور المختلفة.. بعضها
تحت منزله والأخرى بعمله والأخيرة ارتجف لها قلبها بعنف..
صورة له خارج حفل أخته مراقبة من سيارة ما ويأطار الصورة
فوق مقود سيارة المراقب كان هناك يقبع.. مسدس!

-ابعد عن زيد يا أشرف.

-أنا ما جيتش جنبه.. لسه.. ويأيدك أشيله من حساباتي تماما
ويأيدك يبقى هو محور الحسبة..

-عايز ايه؟

نطقها باستسلام والجواب جاهز واضح:

-الورق كله من غير أي نسخ تانية ودلوقتِ حالاً.. ولا بدل ما تروحي المستشفى لواحد لا قدر الله ممكن يبقوا اتنين!

والإجابة كانت هامسة مستسلمة تطابقت مع خطواتها المخدولة تجاه الدرج تفتحه، تجذب الأوراق وتتجه للخارج بخطوات مية:

-فين؟

-عندي في البيت.. ما أظنش لحقتِ تنسيه!

والذكرى المقززة واللهجة العابثة أثارت بها الغثيان فأسرعت بغضب:

-أنا رايحة المستشفى لإياد.. عايز ورقك تعالى خده هناك.

وأغلقت هاتفها تماما تدير سيارتها بسرعة تجاه المشفى..

سموها عناداً أو غباءً أو حتى انتفاضة أخيرة.. فهي ستسلمه الورق دون اعتراض إنقاذاً لمن علمها معنى الاحتواء.

بطريقه لغرفتها من جديد تجاوره آمال بصمت وما إن دلفوا
للغرفة ليجدوها قد أفاقت صامته شاردة بعينيها نحو نافذة
غرفتها.. وما ان شعرت بهم والتفت ورأته بعينيها وهتفت باسمه
وعلى ملامح وجهها ارتسمت ملامح زلزلت قلب إياد من
جذوره..

لهفة، اشتياق، خوف، ألم، والأهم حب..

وبدأت بالبكاء وعبراتها منهمرة، جعلته يهرع إليها محتضناً
مطمئناً أنه بخير لم يصبه سوى جرح رصاصة نظيف مرت من
ذراعه.. لم تحتج سوى إلى تقطيب وما إن انتهى من طمأننتها
واستكانت حتى وجدها تدفعه وتتسارع أنفاسها.. تحاول
النهوض بضراوة جعلته يتساءل بعدم استيعاب:

-ميرا.. مالك أنتِ رايحة فين؟

ردت هاتفة بغضب:

- أنا رايحة لمدير المستشفى.. لازم أجيب الحيوان اللي اتصل
بيا من رقبتة وأخرب بيته.. إوعى يا إياد سيبي..

حاولت التملص من ذراع إياد التي تحتضنها إلى جذعه بقوة
كاتماً ضحكة مكتفياً بابتسامة يخبئها بخصلاتها المبعثرة ومع
حركاتها ارتطمت كتفها بذراعه المصابة فتأوه وجفل:

- أنا آسفة أنا خبطتك؟.. طب اقعد ارتاح على السرير.

ظل محتفظاً بوجهها بين أصابع كفه السليمة ينظر بعمق عينيها
الرمادية:

- خفتِ عليا!؟!

ووردية طغت على وجهها الشاحب وضاعت الكلمات وتوارت
الاعترافات.. واقترابه منها إنشأ يتلو الآخر جعلها تغمض عيناها
باستسلام، تفرق شفيتها بانتظار وحين طال انتظارها فتحت
عينيها لتجده يتأملها.. تكاد رموشهما أن تتعانق.. اقترب هو كل
الخطوات وترك لها هي الشعرة الأخيرة..

راية عالم

شغيط وروية

واقتربتها هي مقبلة إياه، مفرغة خوف وقلق وندم تلظت به
لدقائق مرت كسنوات.. ونحنة نسائية من خلفهما جعلتهما
يفترقان ورفع إياد رأسه بتذمر ينظر للمقاطع ليجدها إحدى
المرضات تتمم:

-الحقنة اللي الدكتور أمر بيها للمدام.

عاد ببصره لميرا سائلاً:

-بتخافي من الحقن؟

لترفع هي أحد حاجبيها باستنكار تبتعد عن أحضانه تمد للفتاة
يدها لتلعثم الفتاة مخبرة إياها:

-الحقنة عضل و...

اتسعت ابتسامة إياد وهو يقبل رأس ميرا مغمغماً:

-حاطمن على ليث عقبال ما تاخدي الحقنة وجاي تاني.. عايزة
حاجة؟

طال تأملها له قبل أن تجذب رأسه لها، تقبله قبلة ساخنة ضارية
علمها هو إياها ولم تقطعها إلا حين علا صوت المرضة مذكراً:

-الحقنة!

فهمست له أمام شفتيه:

- ما تتأخرش.

والطلب منها أصبح بعينه وعد..

غادر مسرعاً بخطواته يحاول الاطمئنان على ليث ليجده مازال
بغرفة العمليات وانقبضت أحشائه.. لقد طال مكوثه بالداخل..!

وشاهد الوجوه، السيد شوقي المرتعب على ولده يتلو القرآن..
ومهند الصامت وعيناه المعلقة بباب العمليات.. ومروة بقلق
ملامحها وعيناها الدامعتان جعلتاه يتعجب.. وعصام الواقف
بصمت وملامح غاضبة:

- لسه ما فيش أخبار؟

- لا يا إياد يا ابني ما حدش طلع يطمنا.

ربت إياد على كتف السيد شوقي:

- ما تقلقش.. وبعدين ليث جسمه قوي.. أنا متأكد إنه حيخرج
بالسلامة.

والإجابة كانت دعوة بابتهاال من الأب وعودة لتلاوة القرآن..
وحين التفت ليغادر لزوجته معتذراً:

- مروة أنتِ كويسة؟

هزت رأسها دون جواب فأردف مديراً ظهره راحلاً:

- طب تحبي تيجي تقعدي مع ميرا بدل ما أنتِ واقفة هنا؟

لا.. هي لا ترغب بالابتعاد دون الاطمئنان.. لا ترغب بأشخاص
حولها يطالبونها بالكلام فهزت رأسها برفض:

- لا.. طمني هي عاملة ايه والبيبي؟

سؤال نطقته بعفوية وهي تحاول إخفاء عينيها الدامعتين.. انعقد
له حاجباه، لم يحتج لسؤال غبي أو استفسار.. فقط دقيقة واحدة
تراص فيها كل ما قد كان.. انهياراتها الباكية، قلة النوم
والإرهاق وامتعاضاها من الطعام.. سعادة ودفء التفا حول قلبه،
يدق أبوابه فرحة لم تكن بالحسبان ولكن..

هو لم يحتج لتوضيح بل هو سؤال واحد.. وعينا مروءة الهلعة
ويدها التي أسرع تكلم بها فمها يافشاء سر جعلته يتأكد من
ظنه، يجز على أسنانه بغضب تصاعد بداخله.. اقترب منها واقفاً
أمامها يحدق بها وبسؤال وحيد مقتضب:

- من إمتي؟

اعتدل عصام بوقفته حين رأى اقتراب إياد من مروءة، اقترب
مدافعاً حامياً مستفهماً ليجدها تقر باعتراف:

- من أول أسبوع جات فيه اسكندرية.

زفر بحنق.. لم لم تخبره هي؟.. لم ضنت عليه بفرحة توثقهما
أقرب وأوطد؟.. وكأنما أسئلة عقله انطبعت على مقلتيه ومروءة
أجابتها:

- ما كانتش عايزة يبقى هو ده سبب رجوعكم لبعض.

هز رأسه مستوعباً ورغم الاستيعاب لم يهدأ الحنق والغضب..
وعاد أدراجه لتلك القابعة بغرفة المشفى.. إذا فهي بغضبها منه

منعته من نشوة أن يكون هو أول من يعلم بطفله؟.. ولن يتعجب
 إن كان هو آخر من يعلم!
 ضيق حاجبيه متخذاً قراراً!!

لم تكد تصل لبوابة المشفى حتى أسرع ب جذب حقيبتها
 والأخرى التي بها الأوراق.. وما إن غادرت سيارتها حتى وجدته
 يقف خلفها، يشرف عليها مهيمناً بجسده الضخم.. التفت له
 وطالت النظرة بين العيون، نظرة متقززة رافضة منها ومنه نظرة
 باردة ساخرة..

مدت يدها له بحقيبة الأوراق وقبل أن يأخذها منها ضمتها
 لصدرها تسأله:

- لو خدت ورقك ايه اللي يضمني إنك تبعد عننا؟.. عن زيد
 وإياد وعمو عبد العزيز.. عننا كلنا!

ابتسم بسخرية سوداء وبعيون لامعة:

رأيتك حالم

شغيط وورقة

-تؤ تؤ.. أنا ما قولتش أبعد عن حد غير عن الكابتن بتاعك،
والباقي ما يخصكيش.

زفرت بحنق وهو يقترب منها متمماً بسخرية وهو يمد يده ينتزع
الورق من بين يديها:

-كفاية عليك تحسي إنك عملتِ اللي عليكِ وحميتهم.. ولو
قلقانة على نفسك فما تقلقيش.

وتغمدتها من أعلاها متمهلاً على خصلتها الفضيتين بأعلى
شعرها، وبعينها الغير متطابقتي الألوان ليضيف بصرامة:

-أنا فقدت اهتمامي بيك من زمان.

ابتعد مغادراً لتجد من خلفه سيارتان تحملان رجال حراسته،
وضعت يدها على وجهها لا تعلم ماذا تفعل!.. أصواب ما فعلت
أم سيكون أسوأ أخطائها على الإطلاق!.. والصوت القادم من
خلفها أيقظها من دوامة أفكارها:

-ناريمان أنتِ هنا!؟!

التفت لتجد باسل يهرع إليها وعلى وجهه ملامح قلق مرتسمة:

رأيتك حالي

شغيط ورنج

- أنت عرفت اللي حصل؟

هز رأسه وهو يسرع معها تجاه المشفى:

- أيوه.. عصام كلمني وقالي إن ليث في العمليات بقاله أكثر من أربع ساعات وإياد مصاب إصابة خفيفة وعمي عبد العزيز تعب وجاتله أزمة بس حالته مستقرة.

فجأه توقفت مرة واحدة عن المشى وبهتت ملامحها:

- مالك يا ناريمان وقفتِ ليه؟

- هو ليث اللي متصاب مش إياد؟.. طب وليث ايه علاقته بالموضوع؟

هز كتفيه بنفاذ صبر يمسكها من ذراعها يحثها على الإسراع:

- ما اعرفش.. أما نشوف إياد حنفهم.. ممكن تمدي شوية!

وازت خطواته خطوة والثانية ثم توقفت ثانية ليزفر زفرة حادة عالية:

- ايه يا ناريمان تاني؟

- أنت قولت عصام فوق؟.. اللي هو قريب زيد مش كده؟

تلعثت بسؤال وعينيها مترددة، عقد حاجبيه:

- تقريباً آه.. عصام وميرا وخالاتهم وزيد كلهم فوق.. بتسألني
ليه؟

وقرأ بعينيها رغبة بالهرب، بالاختباء لم يفهمها لوهلة!.. ثم لمعت
عيناه بالفهم:

- ناريمان لو قلقانة من ميرا إنها تتصرف أو توجهلك كلام
يضايقك ما تخافيش أنا معاك.. بس ما ينفعش ما تكونيش
موجودة في وقت زي ده.

هزت رأسها بموافقة.. باسل محق والخادمة العجوز محقة..
المشكلة أنها لن تخشى مقابلة أيا منهم إطلاقاً هي فقط تخشى
لقياه هو!

ولم تقابله بجولتها.. سواء عند عمها عبد العزيز أو بغرفة ميرا أو
حتى أمام باب غرف العمليات عند الأستاذ شوقي.. تتابعهم،

رائد عالم

شغيف ووردة

تتابع قلقهم وقلق تلك المحجبة قريبتهم البادي على وجهها
وكأنما من بالداخل عزيز لها تخشى فراقه..

وظل السؤال يدور بعقلها..

أين هو؟!!

"لازم ترتاح.. أنت عارف إن الانفعال والمجهود الزائد غلط
جدا على حالتك"

أوماً زيد بوجهه الممتع الشاحب موافقاً طبيب الطوارئ الجالس
أمامه وهو على سرير بغرفة الطوارئ يعلق له بعض المحاليل
المغذية والفيتامينات.. واستطرد الطبيب الشاب:

- أنت مدرك لحالة كبك المتأخرة مش كده؟.. ممكن أعرف
أنت بتابع مع مين؟

-الدكتور...

هز الشاب مستحسناً:

-آه كويس جدا.. ده أحسن دكتور في مصر لعلاج الحالات الشبيهة بحالتك.. بس ما أعتقدش إنه سيكون مبسوط لو شاف حالة الإجهاد اللي وصلت ليها دي!

أغمض زيد عينيه يحاول أن يسترخي.. فمجهود الفترة الماضية فجأة تكالب عليه.. مجهوداً قاسياً ليتمموا تجهيز الشقة بوقت قياسي لزواج هشام ويارا.. سفرياته الكثيرة للأسكندرية والقاهرة مع التزامات العمل التي بذل بها جهداً مضاعفاً لعدم خبرته السابقة بها.. ورفض ناريمان التواصل معه بأي شكل من الأشكال حتى حينما زارها بمنزل الحديدي الكبير رفضت مقابلته متحججة مرة بمرض وأخرى بنوم وإرهاق..

وكانت القشة الأخيرة خبر إطلاق النار ورؤية ميرا تنسحب عنهم، لحظتها شعر أنه إن أصاب زوجها شيئاً ميرا ستنهار، وبعد أن رآها تسقط وساعد إياد بنقلها لأحد الغرف شعر بغثيان مريع ودارت به الأرض.. لذا أسرع الخطى لأبعد ما يكون عنهم جميعاً ولم يستطع سوى أن يلجأ لأقرب حمام يفرغ ما بمعدته بألم ورذاذ

دامي.. ليخرج متهاكاً يسأل أقرب ممرضة تمر عن قسم الطوارئ
وسقط مغشياً عليه..

ولم يفق سوى من دقائق والطبيب الشاب يخبره بحقائق مرضه
التي أصبح يحفظها جيداً.. كبده على الحافة ومعه حياته فتمتم:

- ما تقلقش خلاص دلوقتِ أقدر أفضى لنفسي وأهتم بمتابعة
علاجي.. أنا حاقدراً أمشي إمتي؟

- لما تخلص المحاليل المتعلقة دي.. وياريت بكره تروح تشوف
الدكتور ويعرف تطورات حالتك بأسرع ما يمكن.

القلق على ملامح الطبيب الشاب ليس بجديد عليه، فقط ليستغل
تلك الدقائق مسترخياً مستعيداً بعضاً من قواه حتى لا يعلم أيّاً
منهم بانهاره.. فهم بغنى عن القلق عليه هو الآخر.

حينما عاد لغرفتها كان صامتاً مقتضباً وهي استشعرت تغيره
بالثانية التي خطا بها لمحيطها.. أمها تجلس بجانبها وخالتها

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

حورية بالكرسي المجاور وابتسمن جميعاً لرؤياه وظل هو بصمته حتى سأله بتوتر:

- في ايه يا إياد؟.. ليث جراه حاجة؟

والتوجس ارتسم على وجوههن ليرد بهدوء:

- لسه ما خرجش من العمليات.

- أو مال مالك؟.. والدك كويس؟

- الحمد لله.

ظلت عين ميرا معلقة به وهو يعطيها ظهره شاخصاً ببصره من النافذة بصمت جعل الأختان ينظران لبعضهما البعض بتعجب قلق!.. وميرا بين غيابه الدافئ وعودته الباردة حائرة!

والاحتمال.. أيمن أن يكون قد علم بحملها!!

وكان الفكرة ظهرت في عقولهن بنفس اللحظة ونظرة أمها المؤنبة وكأنها الحقيقة.. عضت على شفيتها لا تعلم.. أتطلب منهن الخروج لتسأله أو تتركهن بجوارها حتى تتبين إلام تخطوا!

دخول ناريمان وباسل لفت انتباه الجميع بعد الترحيب بكلاهما وخاصة من حورية.. التفت إليهم إياد وكأنما رؤيته لناريمان كأنه وقع على صيد ثمين، لمعة عينيه وهو يستقبلهما، يجيب على أسئلة صديقه بخفوت وعيناه عليها، وهي تجلس بجوار حورية.. جعلها تعض على شفيتها متوعدة أحمقها وهي التي كانت تفكر كيف ستخبره بمشاعرها المكتشفة وبطفلها القادم..

صبرا يا ابن الحديدي صبراً..

حاولت ناريمان الاعتذار مغادرة مبدية رغبتها بالاطمئنان على ليث:

- استني يا ناريمان أنا جاي معاك.

نطقها باسل ببساطة متجهاً إليها وصوت إياد من خلفهما:

- ناريمان استني.. أنا عايزك.

الأحمق الغبي..

"عايزك"

وأمام عينيها وأنظار أمها وحرورية توجهت فوراً لميرا والمزاج
الناري تأجج بعينيها وهي تشاهد خطواته تجاه ناريمان:
- آآآه..

آهة واحدة متوجعة من بين شفيتها والتفت لها أمها بقلق وغير
إياد اتجاهه واهتمامه لها كلياً مقترباً منها وهي تهمس لآمال
ممسكة ببطنها:

- آه مخص.. ألم شديد هنا.

وأسرع هو يضع يده فوق يدها الممسكة ببطنها والاهتمام بعينه
خوفاً عليها أسرها..

لم يستمع الاثنان لاعتذار ناريمان المحرج ومغادرتها مع باسل..
بل تركت كفه يحتويها لتسحب يدها قليلاً وتشابك بين أصابعهما
الملامسة لبطنها ورغم براءة اللمسة وطبقات الملابس إلا أنها
ارسلت لجسدها ارتعاشة اشتاقت لها فأغمضت عينيها باسترخاء:
- لسه بطنك واجعاك؟

ونبرة سؤاله جعلتها تفتح عيناها بدلال هامسة لعينه:

- لا.. أحسن كثير.

ونظرة عينيه استوعبت دلال أنثاه وقمع ابتسامه عابثة من الظهور
ليبتعد بيده يتمم لحوارية وآمال:

- خلوا بالكم منها لحد ما أرجع.

وغادرهن خلف ناريمان التي ظهرت أخيراً ولن يتركها تعود
لمخبأها قبل أن ينتهي من أشرف.. فزوجته ستحتاج الكثير
والكثير من وقته وانتباهه.. تلك المتلاعبة!.. وسمح لابتسامته
العابثة المقموعة بأن تظهر تحمل وعوداً..

انفتح باب غرفة العمليات ليخرج الطبيب ولم يحتاج لسؤال عن
أهل المريض فبسبب الوقت المتأخر جداً لم يكن هناك سواه،
لذا خلع كمامة وجهه والتفت لهم وهم يتحلقون حوله؛ الأمل
بعيون والخوف بأخرى وسؤاله المعتاد:

- اطمثنوا المريض بخير ... في حد هنا من ؟ واقصد بكده
أقارب من الدرجة الأولى؟

والتفت للسيد الشوقي الذي هتف بصوت مرتجف ويدها تقبض
على مصحفه بقوة ابيضت لها مفاصله المنهكة:

- أنا والده يا دكتور

توجه له الطبيب:

- الرصاصة للأسف كانت مستقرة على بعد مليمترات من القلب
وسببت بعض الضرر لرئته اليسرى بس احنا قدرنا نخرجها بأقل
قدر ممكن من الضرر، هو فقد كمية كبيرة من الدم ورغم ندرة
فصيلة دمه بس لحسن الحظ أن الأستاذ إياد أول ما عرف أن
فصيلة دمه نادرة وممكن نواجه صعوبة لو احتاجناها فهو قرر
يوفرها لنا تحسباً وفعلاً فادتنا جداً في إنقاذ حياته

- يعني هو كويس؟

سؤال مهند متعجل حائق قلق والجواب من الطبيب:

- العملية تمت بنجاح الحمد لله وهو دلوقتٍ حيطلع على العناية
المركزة وحيثحط تحت الملاحظة لـ ٤٨ ساعة وإن شاء الله خير

زفرات الارتياح تصاعدت من الجميع مع خطوات الطبيب
 المغادرة وسجدة شكر من الأستاذ شوقي لنجاة ابنه في حين مال
 عصام وباسل بجانبه يساعده على الوقوف من جديد يشدان من
 أزره مطمئنين له، ومهند أسند ظهره على الحائط زافراً قلق وتوتر
 ساعات وعيناه تدور بالوجوه من حوله ليلمح عبرات راحة مزينة
 بابتسامة على وجه تلك المحجبة الواقفة

تساءل بعقله ما اسمها؟!!!

مروءة!

أليس كذلك؟!!

اقترب إياد من الواقفين أمام باب غرفة العناية المركزة التي
 استقر بها ليث أخيراً.. مازال لم يستفق بعد..

لم يستطع اللحاق بناريمان فقد أخبرته الممرضة بعد خروجه من
 غرفة زوجته أن الطبيب المعالج لحال السيد ليث يطلبه، ليطمئن
 منه على نجاح العملية..

ومازلوا بانتظار إفاقته للاطمئنان..

اتجه لغرفة العناية المركزة ليجدهم وحمد لله ناريمان مازالت هناك وباسل لا يبرح جانبها، ما أن اقترب منهم حتى تبادل بعض الكلمات مع السيد شوقي ومهند مخبراً إياهم بترتيباته لحجز غرفة لهما بنفس المشفى حتى يكونا بجواره

والتفت لها وهي حاولت الهرب لكن بين باسل وإياد لا سبيل..

- ممكن أفهم انتِ بتهربي مني ليه؟ ورافضة تقابليني ليه؟

عضت على شفيتها وهي تهرب بعينها لأي مكان بعيداً عن الاثنين..

وحاول باسل بلطف:

- ناريمان.. احنا بينا عمر وعشرة طويلة وأياً كان اللي كان بينكم زمان خلاص صفحة واتقفلت وما فيش أي داعي تخافي من إياد

هزت ناريمان رأسها:

- أنا مش خايفة من إياد

وصوت إياد الصارم عاجلها:

- او مال ليه بتتهربي مني؟ أنتِ عارفة أنا عايز منك ايه، وعارفة أنه مش لمصلحتي الشخصية، لا.. لمصلحة الكل.. لمصلحتنا كلنا أنه يتحط له حد

رفعت عينيها له برعب متممة:

- أنتِ عارف؟!!

- أيوه يا ناريمان عارف كل حاجة، ويمكن أعرف حاجات ما تعرفيهاش كمان... فين الورق؟

تحركت خطوة للجانب والتقط باسل لغة جسدها؛ هي تنغلق على نفسها بعيداً عنهما فأسرع مسانداً:

- ناريمان.. أنتِ عارفة أنني أكثر شخص حاسس بيك وعاش نفس اللي عشتيه بس على الأقل أنا كانت قضاء وقدر مش غدر، بإيدك ما يبقوش رقم في قائمة ضحاياه ممكن يكون دمهم هو الضربة القاضية ليه.

كلماته لم تضيف لها جديداً..

أيظن أنها لم تفكر بذلك! أيظن أنها لم تسهر ليالي تبكي وهي تتفوق على نفسها خوفاً وهي تبكي وهي ترى رقم زيد يهاتفها مرة تلو الأخرى دون أن تجيب رسائله التي كانت تخشى قراءتها حتى لا تضعف!!

- أنتِ خايفة على زيد.. أنا عارف

والشهقة المتفاجأة جعلت إياد يكمل دون إبطاء:

- أنا ما بحكمش عليكِ ولا ليا اتدخل في أي حاجة تخصك، طول ما هو عارف نقطة ضعفك عمره ما حيعتقك.. أشرف زي العلة لما قدر يتمكن منك مش حيطلع إلا بالدم.

ولفظة الدم أُرعتبها من جديد وهي تسمع كلماته:

- الورق داه والدك مات وهو بيخاطر علشان يسلمهولي كان عايز يجيبك حقك منه يا ناريمان كان عايز يكسره ويفضحه زي ما عمل معاكِ ما تضيعيش تضحيته في الهواء.

تجمدت مع كلماته وما أنبأه أنها مازالت حية ترزق أنفاسها المترددة على استحياء ودموعها التي تنهمر دون انقطاع

والخوف القاطع وصور تعاد مراراً وتكراراً بمخيلتها دون توقف
نظرت له بعيون جامدة:

- أنا سلمته الورق يا إياد!

والهتاف الصارخ والاندفاع القاسي تجاهها منه:

- ايه!! عملت ايه؟؟ امتي الكلام ده ؟

- على باب المستشفى

من ملامح إياد خشى باسل فعلياً أن يصيب ناريمان بأذى أو
يتناول عليها فقام بالحيلولة بينهما يؤمن لناريمان ظهراً تحتمي
خلفه ويقف لصديقه نداءً محذراً مفيقاً إياه من نوبة غضب لم
يشهدها يوماً به

- غبية.. غبية.. سلمته نقطة ضعفه الوحيدة ما حدش فينا
حيعرف يأمن شره لا أنت ولا زيد ولا غيره

قبض أصابعه في قبضتين لا كما أحد حوائط ممر المشفى من
حولهم بغضب واختفى من أمامهما وباسل يغمض عينه زافراً
بعد ابتعاد صديقه ينظر لها بعتاب وهي تتلعثم ببكاء:

- اتفضل قول أنت كمان اللي أنت عايزه غبية وجبانة وضيعت
حق أبويا وأمي بإيدي.. قول

هز رأسه بشفقة لم يرد سوى بيده التي رفعها يربت على كتفها
مغمغماً:

- أنا عاذرك وإن كان على أشرف فاللي زيه مصيره يقع تعالي
أروحك

هزت رأسها بامتنان وقبلت يده التي عرضها عليها استكانت
عليها تاركة لدموعها العنان لا تبالي لمظهر اجتماعي ولا هيئة
فقط تبكي

وبطريقهما للخارج رآته يخرج من أحد الغرف يعيد ترتيب هيئته
وطبيب يجاوره يتحادثان بتركيز وقلبها وقع بقدميها.. تركت
باسل واتجهت له دون تفكير دون حسابات فكله غادر عقلها ما
أن رآته خارج من غرفة الطبيب

- زيد.. أنت بتعمل ايه هنا؟

رأته خارج

شخصية وروية

والتفاته زيد الحادة لها، عينيه المشتاقة لرؤياها بكل بهاء تفردتها
وهاله احمرار عينيها وأثار سهاد وحزن بادية على وجهها واقتراب
منها قلقاً..

وجهه مصفر أم هي الإضاءة!

انقبض قلبها ما به؟!!

أفقد وزناً بالأسابيع الماضية؟!!

عيناها تتفحصه بقلق بخوف ولمحت لاصقة طيبة على ظهر يده
فرفعت عينيها له تقابل اقترابه باقتراب

-بتعطي لي مالك؟

-أنت اللي كنت عند الدكتور بتعمل ايه؟

أحاط وجهها بكفيه، تلمس أثار دموعها بأنامله ماحياً إياها:

-أنا دلوقتِ بس بقيت كويس

ونحنحة رجولية جعلت أنظارهما تلتفت لباسل الواقف يناظرهما
بحاجب مرفوع وزيد يسأله ببساطة وهو يشبك أصابع يده بيد
ناريمان:

- أهلاً يا باسل ازيك، ايه أنتوا لسه جاينين ولا ماشيين؟

- لا ماشيين.. أنت اللي كنت مختفي

- معلىش شوية إرهاق بس من ضغط الفترة اللي فاتت.

- ألف سلامة عليك

ساد الصمت وظل زيد متمسكاً بناريمان يتشبع الاثنان من رؤية
بعضهما بشوق حتى تنحنح باسل من جديد متململاً:

- طيب يلا يا ناريمان علشان أوصلك

وبنفس اللحظة اشتدت قبضة زيد على يدها غير راغب بإفلاتها
مقاطعاً:

- أنا حاوصلها

كان يمكن لباسل أن يغادر ببساطة لكن الحقيقة تقال مظهر زيد
مقلق هو يجزم أنه بالكاد يقف على قدميه فما بالك بالقيادة ليلاً
ابتلع ريقه موضحاً:

- بيتهيا لي مش حتعرف تسبب هنا دلوقتِ علشان ميرا.. وناريمان
في طريقي ما تقلقش مش حامشي من قدام الفيلا إلا أما أطمئن
أنها دخلت وفي أمان

كانت كلمات باسل بسيطة مقنعة ولكنها ليست ما أقنع زيد،
عيني باسل كانت تشي بمدى سوء منظره وحالته الواضحة لولا
أنه يخشى عليها من أن يؤذيها بقيادته وهو متعب لما وافق باسل
على إقتراحه ولكن تلك المرة تأكد من أنها سترد على اتصاله لن
تتفاداه:

- خليه يوصلك

وعيناه تبثها وعيد لفظته حروفه:

- لما اتصل بيكِ تردي المرة دي لو اتحججتِ بمية حجة
حاوصلك وحتكلم

هزت رأسها بموافقة وهي تجاوره وهو مصر أن يرافقهما حتى
سيارة باسل الذي طمئنها أنه سيجعل السائق يحضر سيارتها
بالصباح الباكر

وما أن غادرت السيارة التفت بمقعدها تراقب صورته حتى
غادرت مرآب المشفي

- لو بتحبيه صارحيه.. ابقى جنبه مش تهربي منه
التفت تعتدل بمقعدها:

- وجودي جنبه حفيد بايه تفتكر حيحميه من أشرف؟

- اللي بجد حيحميه من أشرف هو أن أشرف ينتهي بلا رجعة يا
ناريمان مش بعدك عنه.

ظلت طوال الطريق صامته دون كلمات تصارع بداخلها خوف
على من تبقى لها..

بين الصواب والخطأ

حتى وصلوا للفيلا وما أن أوصلها للباب التفت له تطلب:

- ممكن تدخل معايا؟

رفع حاجبيه بعدم فهم فأكملت:

- مش عايزة ابقى لوحدي

دخل معها باسل وهو مستشعر خطأ ما ليجدها ما أن أغلق باب الفيلا خلفهما حتى أسرعرت للأعلى تخبره أن ينتظرها وعادت بعدها بما يشبه ملف ما سلمته اياه:

- أنا أديت أشرف نسخة أصلية من الورق صحيح بس ما يعرفش أنها مجرد نسخة من أربع نسخ أصلية مش ثلاثة
أمام إندهاش عيني باسل أكملت:

- بابا كل الملفات بيعملها ثلاث نسخ أصلية صحيح بس كل الصفقات اللي ليها علاقة بأشرف أو أي شركة من شركاته كانوا بيبقوا أربع نسخ والنسخة الرابعة دي مالمقتهاش إلا في خزنة بنك من الخزائن بتاعته في الوصية ليا.

جلس باسل على أقرب مقعد مندهشاً:

- ليه ما قولتيش لإياد الكلام ؟ ليه ما عرفتيهوش؟

تنهدت بعمق:

- خائفة من أشرف ومترددة أذيله آخر سلاح في أيدي ضده لو
فشل ينهيه، أشرف مش حيرحمنافكنت حابة افضل ماسكة في
أيدي حاجة احمي بيها اللي بحبهم

هز كتفيه بعدم استيعاب وعيناه تتصفح الأوراق بتمعن:

- وليه دلوقتِ؟ ايه اللي غير رأيك؟

هربت عينها بقلق لتجيبه:

- علشان ابقى جنبه ومعاه من غير ما أخاف

ودعته للباب بعد أن أخفى الملف خلف أزرار قميصه توصيه
بتوخي الحذر عند القيادة

وهو يسرع قائداً بحذر يهاتف إياها ليقابله بالمؤسسة فقد حانت
النهاية

رنين الهاتف المتصاعد جعله يفتح عينيه بتذمر وهو يتقلب على فراشه الوثير لتصطدم يده الضخمة بجسد ناعم عاري جواره والابتسامة العابثة اعتلت ملامحه متذكراً ليلة ماجنة قضاها محتفلاً بانتصار بالقضاء على آخر نقاط ضعفه والتفرغ التام لابن الحديدي دون منغصات

ضوء النهار المتسرب من الستارة القاتمة اللون يشي بأن الوقت تعدى نصف النهار مط جسده والتفت لهاتفه الذي لا يكف عن الرنين، يده تعبت بالجسد العاري جواره بمجون والأخرى تجذب الهاتف ليفاجأ بعشرين اتصالاً..

فتح الهاتف لسمع هتاف غاضب مستنكر..

وثمالة ليلة الأمس مازالت تشوش الحواس فهتف بحنق:

- بس اخرس واتكلم بالراحة وواحدة واحدة فيه ايه ؟

واستمع لمحدثه والثمالة تتطاير من عينيه ويحل محلها الغضب الأسود تدريجياً حتى عم السواد أنفاسه يخور كثور أسود غاضب بحلبة مبارزة مشخن بالطعنات، أصابعه تشتد على الهاتف

وبالنهاية انفجر الغضب رامياً هاتفه مفتتاً إياه لأجزاء يتلفت حوله
يمسح وجهه بكفه بغضب ملقياً نظرة على المجاورة له فرفسها
بقدميه وكلما تأوهت ألماً زاد بركلها حتى أفاقت منسلة بعيداً عن
محيطه وصرخ بغضب والكلمات تتردد بعقله:

-لازم تهرب من مصر حالاً قرار منعك من السفر والتحفظ على
أموالك حيطلع ويتوزع في خلال ساعات

النهاية خدعته العاهرة البلياتشو وتعاونت معهم لوضع كلمة النهاية
له لأحلامه لخططه ليصبح المنبوذ خارج الإطار ولن يهدأ حتى
يذيقها من مر نفس الكأس..

مر يومان والأخوات الثلاث تفاجئن بمنظر زيد المجهد عندما
ظهر بغرفة ميرا ليطمئن عليها بعد انقضاء الليلة مختفياً..
تحلقن حوله بالحماية والدلال والرعاية المفرطة..

ويقتنص من ورائهن دقائقاً يقضيها على الهاتف مع ناريمان التي
أصرت أن يرجثا الكلام حتى يتم تعافيه من إجهاده..

رأيتك حالم

شغيط ورنج

يستمتعا بقرب بعضهما دون أن يدري أن عصابة القناع على علم
بمكالماته المتسللة ويضعن له الخطط دون هوادة!

مر يومان والمتمردة تذوق برودة ابن الحديد منذ أن سمحوا لها
بالعودة للمنزل باليوم التالي ودون مناقشة أو كلام أخذها على
منزلها الجديد..

سعادة غمرتها حين علمت من الخادمة بالمنزل أن تلك أول مرة
يطأ بها السيد إياد المنزل فعلياً، هو لم يرغب أن يسكن فيه دونها
وكل سعادتها قابلها بالجفاء..

كلما اقتربت منه بدلال أبدى الانشغال..

كلما أخبرته بأنها ترغب بالحديث معه لأمر هام يسألها التأجيل
فعقله مشغول وهي لا تعارض فهي أخيراً علمت ما كان يشغله
فأخبار التحفظ على أموال أشرف الشاذلي ومنعه من السفر
واخبار صفقات مشبوهة وتلاعبات بالبورصة وأسواق المال

تزامنت مع سبق صحفي بمعلومات تبين تورطه في حادثة الخير
الإقتصادي والد ناريمان

تعطيه عذره لانشغاله لكن لما البرود!

أحمق!!

نعم، لكنه أحمقها الخاص بها

مر يومان منذ بداية زواجهما؛ يتأملها وهي تصنع له كوب القهوة
المفضل له ويجاور كوبه كوب الشاي بالحليب الخاص بها..

يتأملها من باب المطبخ مستنداً على إطاره بهدوء وهي تغني
نفس تلك الأغنية وكأنها أصبحت تعويذة حب خاصة بهما
وحدهما، أغنية غنتها له بصوت خفيض وهما يرقصان بليلة
زفافهما وأعادتها بين أحضانها وشفته العديد والعديد من
المرات..

ليلة زفافهما كانت البداية لحياة مليئة بالعاطفة، بالحب دون حد أو اكتفاء، يقضيان معاً كل لحظتهما بقرب باحتواء بحميمية كحلم خاص بهما وحدهما...

وحدهما لا يعلم لما تلك الكلمة تؤرقه صوت خالته روكا يقلقه فأمه وحرورية يتحادثان دون إسهاب؛ سلام سريع وتحيات عابرة لمجرد الإطمئنان، أما حين يحدث خالته أحلام (روكا) يشعر أنها صامته أكثر من المعتاد كمن يخشى الزلل.. لا يعلم لما، لكنه ظن عدم رغبتهم بالزيارة صباح زفافهما كان لترك يارا تعتاد دون خجل..

اصرارهم على سفرهما مباشرة مبررين بألا يقطعوا من وقت شهر عسلهما ولو دقيقة للسلام..

هناك شيء ما خاطئ وهو يشعر به في أعماقه ويعلم من أين يأتي
بالجواب

مر يومان ومروة زائرة دائمة لليث وعلاقة صداقة لطيفة ربطتها
بالسيد شوقي ومهند الصامت على الدوام..

يذكرها السيد شوقي بأبيها بعزة نفسه بمشاعره بتدينه وإخلاصه..

إجازة من العمل ومن النادي الرياضي وأمها تقف منها بحد
المشاهدة دون التعليق تعلم أن المهلة التي تركها أمها لها
بالصمت دون تدخل لن تطول وإن كانت لن تختلف النتائج
مهما كان الحوار فهي لن تبرح حتى يصبح ليث بخير كما كان

-للأسف هو في غيبوبة مش عارفين ايه سببها لحد دلوقت

كلمات الطبيب صدمتهم وهو يكمل:

-كل معدلاته الحيوية كويسة جداً ما فيش أي مشاكل في
الجرح؛ لا إلتهابات ولا عدوى بيتماثل للشفاء بشكل ممتاز
فالمطمئن أن الغيبوبة مالهاش سبب عضوي

-لا حول ولا قوة إلا بالله.. اللهم لا إعتراض

نطقها السيد سوقي وهو يجلس على المقعد بجوار سرير ابنه
وأسرعت مروة تسنده تربت على كتفه تطمئنه:

- ما تقلقش يا عمو المهم أنه بيتعافي وصحته حتبقي كويسة وإن شاء الله حيفوق قريب خلي أملك في ربنا كبير

- ونعم بالله يا بنتي ونعم بالله

نظرت للنائم بهدوء على فراشه..

خرج من العناية المركزية لغرفة عادية؛ يبدو مسالماً هادئاً.. يبدو كالنائم ليلاً دون هموم ومشاكل..

لما ترفض الإستيقاظ ليث؟ لما لا ترغب بالعودة؟

قاطعها صوت هاتفها برنينه لتستأذن للرد حين رأَت اسم المتصل مصطنعة المرح:

- اتش.. إزيك يا عم!.. أخبار شهر العسل ايه حلوة سهل حشيش؟

- كويسين احنا الحمد لله و يارا بتسلم عليكِ كمان

والحميمية والدفء بصوته والضحكة الرقيقة المجاورة له أسعدت قلبها مطلقاً تنهيدة راحة عميقة

رأته

شغيف وورث

- مروة كنت عايز أسالك...

- على ايه ؟

الرد بتوتر تعلم توصية الخالات ممنوع منعاً باتاً أن يعلم هشام أو يارا بأي مما حدث.. لا فوضى خالد.. لا رصاصة ليث.. لا إصابة إياد..

ابتلعت رقها حين سمعته:

- أنتِ عارفة إنا بثق فيكِ قد ايه علشان كده لما حبيت اطمئن ما اتصلتش لا بعصام ولا بزيد.. اتصلت بيكِ أنتِ... في حاجة حصلت أنا ما أعرفهاش يا مروة؟

- حاجة!!.. حاجة زي ايه ؟

نطقها تحاول الهروب وتتحرك بتوتر في مكانها..

- حاجة لازم أعرفها وأنتوا مخبين عليا

ومع صمتها حثها هو

- مروة أنتِ مش حتكدي عليا!

لم يكون سؤال بل إقرار بحقيقة
وانهالت الأحداث على لسانها دون إغفال لأي تفصيلا مهما
صغرت أو كبرت وصوته المتجهم أخبرها:
- احنا راجعين البيت وخالاتك حسابهم معايا أنا.. ابعتي لي
عنوان بيت ميرا الجديد واسم المستشفى في رسالة.. سلام.
أغلق الهاتف بصرامة غاضبة وهي تعلم أن غضب هشام هو أقل
ما يمكن أن تخشاه فمواجهة الأخوات الثلاث ستكون وخيمة
على رأسها لعصيانها الفرمان.

ما قبل النهاية

مر يومان وباسل غادر منزل الجد محمد وديما لمتزله حزيناً مشحوناً بعبرات الفراق وبكاء الجدة وتوتر ديما الغريب وأسئلتها المتكررة:

"أنت متأكد إنك كويس دلوقتِ علشان تعيش لوحدك؟!"

"طب وألم ظهرك اللي بيجيلك في نص الليل وجدو بيديك المرهم!"

وغيرها الكثير.. أسئلة أدفأت قلبه لكن آن الأوان ليغادر.. دخل منزلهم محطماً مستلماً لضعف وخرج أقوى، أفضل وأكثر وعياً..

انشغل باليومين الماضيين بمساعدة إياد لإنهاء أشرف للأبد ورغم كل ذلك لم ينقطع عن الحديث اليومي مع الجد والجدة وديما..

واليوم هو بطريقه بعد انتهاء عمله ليوصل ديما لبیت میرا
الجديد.. ترغب بزيارتها والسيارة مع الجد لذا عرض عليها
ببساطة أن يوصلها هو ووافقت..

يتجه لمقر عملها وعقله مازال يحاول استيعاب كل التفاصيل..
خالد الملاح ويارا وهشام وليث ومروة وأكبر علامة استفهام !..
ليث ومروة؟ !

أيمكن!.. لكن مروة ليست عادة من نفس النوع الذي اعتاد ليث
قديمًا الإعجاب به!

وها هو قد اقترب من المكان الذي سيفترض به أن يقابلها فيه،
أسرعت بخطواتها وعيناها بداخل حاسبها اللوحي الصغير تبحث
بنهم.. فما قدمه لها البروفيسور الإيطالي عرض لا يرفض..

دعوة للدراسة والعمل بالمركز العالمي للزلازل وفرصة لها لتستمر
بأبحاثها التي تعمل عليها جاهدة بإمكانيات غير محدودة وكل
هذا حدث حينما أخذت رأيه العلمي بأحد أبحاثها التي تعمل
عليها بوقت فراغها.. وبالיום التالي فاجأها بعرضه..

سيكون موقع عملها بأمريكا والتفكير بالعرض مغري.. خطوة، لا بل قفزة وثب طويل لمستقبلها العلمي وحياتها العملية، لذا تحتاج للبحث الجيد عن مكان العمل المفترض، أسعار السكن المتاح، وتكلفة المعيشة.. هل سجلت تلك المنطقة أي تطرفات أو اعتداءات على أساس ديني عامة؟.. أو ضد المسلمات المحجبات خاصة!.. فهي لديها حجابها الذي لن تتنازل عنه ..

منشغلة بالبحث بين صفحات الشبكة العنكبوتية وحصوة صغيرة بالشارع جعلتها تتعثر دون وقوع لتفريق من شرودها وتكتشف أنها ابتعدت كثيراً عن المكان الذي يفترض لباسل أن يقابلها به.. حاولت المشي من جديد لتجد أنها ربما لم تقع ولكن العثرة سببت لها ألماً حاد بكعب قدمها التفتت حولها لتجد مقعد لمحطة أتوبيس خالية اتجهت لها ببطء تجلس تدلك قدمها لتكتشف مدى الضرر وصوت نشاز من خلفها:

- ايه يا مزة؟.. وجه جديدة في المنطقة ولا تايه يا جميل!

نظرت له ديما من طرف كتفها تستكشفه من أعلاه لأخصص قدميه شاب بطول ١٧٠ سم أطول منها.. اممم ميزة بصالحه!

عينان زائغتان لا تستطيع التركيز، لسان ثقيل وجبهة متعرقه
بالشتاء، متعاطي لمخدر.. اممم ويمكن أن يكون حشيشاً بناءً
على كلماته وملابسه ..

يدها التي تدلك بها قدمها تتسلل ببطء لحقيبتها، ولم يستطع
الخوف أن يقترب منها فبالنهاية هو شخص واحد فقط.. حتى
ظهر من جانبها صوت آخر برائحة ثقيلة، شخص مشابه لحد ما
بسلسلة ذهبية تتدلى من عنقه.. اممم اثنان !..

وبدأ القلق يزداد..

تتذكر كلمات مروءة.. ماذا قالت عندما يواجهني شخص مخدر؟

الحركة الكثيرة تشتت انتباهه!.. أم ربما قالت ذلك عن مواجهة
الشخص السكير!.. لا تتذكر.. الفزع والقلق أصبحا يتصاعدان
بداخلها.. الآخر زاوية وجوده حدث من حركة يدها لتصل
لمرشاش الدفاع عن النفس الخاص بها.. أو حتى هاتفها لتتصل
ببأسل تخبره مكانها..

حاول أحدهم الاقتراب ولم تنتظر هي، طوحت بحاسوبها اللوحي
 بوجهه بعنف.. لا يهمها إن تهشم على رأسه ويدها الأخرى
 أسرعت لحقيبتها تجذب مرشاش الدفاع عن النفس وأمطرت به
 وجه الآخر.. وبدأت تحاول التحرك وهما يتخبطان، تتحامل
 على قدمها المتألّمة.. تخطو بصعوبة، تحاول الإسراع تجاه
 المكان المفترض أن تقابل به باسل وأصوات مهاجميها الغاضبة
 تتصاعد من خلفها ولم تكذ تستدير ولم تعلم ما رأته أهو حقيقة
 أم خيال راغب بالإنقاذ!

مع محور أفكاره تخطى المكان المفترض أن ينتظرها به، وما إن
 انتبه حتى سب نفسه لسهوه فالوقت أمسى ليلاً وتلك المنطقة
 هادئة أكثر من اللازم.. لذا استدار بأول شارع قابله ليعود وتفاجأ
 بها تجري على ما يبدو قدم مصابة وخلفها ...

خلفها اثنان، الغضب تصاعد بداخله وهو يزيد من ضغط دواسة
 الوقود ويميل بسيارته ليقطع عليهم الطريق خلفها فاصلاً بينهما
 وبينها حتى أن سيارته توقفت فوق الرصيف ونزل مسرعاً يواجه
 الاثنين غاضبين ثائرين وواضح أنهما غير واعيين!

رأته عام

تخبطت ورحة

الضربات بين الثلاثة تزداد والقلق بداخلها يزداد معها.. تقلق على باسل فهو مازال يتعافي من آثار المسكنات وإصابة ظهره التي أصبحت على علم جيد بها بحكم معيشته معهم ومداواة جدها له.. وضربة تحملها باسل على ظهره أخرجت منها شهقة خائفة لتعقد حاجبها بغضب وأسرعت تخرج المرشاش من جديد تتوجه له مساندة وهي تبحث بعينها على الأرض عن قالب طوب أو حجارة أو حتى لوح خشبي يساندها وهي تتمتم:

- فينك يا مروة لما الواحد يحتاجك!

وحينما حاول أحدهم أن يغافله من خلفه استعانت ببعض الحصى المتسبب في ألم كعبها لترميه عليه، وحين توجه ناحيتها أفرغت عبوتها بعمق عينه حتى صرخ مولولاً كالفتيات والآخر تغلب عليه باسل ملقياً إياه أرضاً ملتفتاً للصارخ فركاً بعينه ليلكمه بضعة لكلمات أخرسته تماما والتفت لها سائلاً:

- حصلك حاجة؟ حد عملك حاجة؟

هزت رأسها بتأكيد نفي والأدرينالين يضخ بأوردتها بضراوة وهي تسأله:

- لا ولا لمسوني أصلاً.. ممكن نمشي بسرعة؟

أشار لها:

- اركبي .

وتحركا من المكان بسرعة فكون أنهما اثنان لا يمنع احتمالية أن هناك المزيد منهم:

- أنتِ ايه اللي خلاكِ بعدتِ من قدام المركز؟

- كنتِ بافكر وسرحانة فما خدتش بالي رجلي موديانني لفين.
فزجرها بعينه وكلماته:

- سرحانة وأنتِ ماشية؟.. أنتِ كان ممكن يجراك حاجة لو
اتأخرت أو ما ظهرتش.

وجدها تتمم من بين شفيتها فسألها:

- بتقولي ايه سمعيني كده؟

- باقول لو كنت سيبت مروة تعلمني الحركات اللي كانت بتزن
عليها بيها كان زمامني ما احتجتش لحماية.

- ده بدل شكرا.. ميرسي.. كتر خيرك؟

نظرت له مضيقه عينها بسخرية وباغته بسؤال:

- أنت ايه اللي جابك الشارع ده أصلاً؟

اعتدل بمقعده متظاهراً بالاهتمام بالطريق فكررت السؤال والإجابة جاءتها:

- كنت بافكر وسرحت وأنا ماشي بالعربية ففوت مدخل المركز.

رفعت حاجبها تنظر له بتركيز حتى أمال رأسه ملتقطاً نظرتها وانفجر الاثنان بالضحك وبعد هدوء عاصفة الضحك:

- أنت ضهرك كويس؟

- لا ما تقلقيش خبطة بسيطة.. كنت بتفكري في ايه بقى يا عبقرينو؟

- بتتريق!.. ماشي.. معروض عليا عرض للشغل في أمريكا وأكمل دراستي وأبحاثي كمان..

وبدأت بسرد باقي التفاصيل بحماس تاهت تفاصيله عن آذان
باسل..

وكل ما يتردد بعقله من كلماتها عرض عمل بأمریکا؟.. والسؤال
مقتضب وأنامله تتشدد على المقود:

- واضح إنها فرصة كويسة وحتوافقي!

- مش عارفة.. لسه بافكر وبادور على...

وللمرة الثانية لم يستمع لما تقول واكتفى بجواب "بافكر" ألدتها
النية بالذهاب للحياة هناك بالفعل؟!.. والسؤال تلك المرة
مقتضب باتهام:

- ويا ترى من ضمن اللي فكرت فيه جدك وجدتك حتسيبهم
لوحدهم ولا ده لسه مش قائمة الأولويات؟

وصدمها سؤاله، ألجمتها نبرة صوته ونظرة عينيه.. جداها كيف
غابا عن ذهنها؟.. أيمكنها أن تتركهما هنا وتغادر؟.. هي ليست
بغرة ولا موهومة لو غادرت لتعمل بأمریکا ففرص عودتها قريباً
تكاد تكون معدومة..

والرد جاء هامساً:

- أنا لسه بافكر.

وساد الصمت.. عقله يفكر بسؤال واحد، لمّ هو غاضب.. لمّ؟..
وعقلها يعيد الحسابات فالفرصة حسابات لمشاعر وقلوب لم
تكن بالحسبان!

مر أسبوعان وكل يوم عن الآخر تزداد علاقتها به قريباً.. صحيح
هو غير واعي لوجودها، تحرص يومياً على أن تساعد الممرضة
على تحريك أطرافه وتجلس تحاوره، تحاكيه، تخبره عن مطعم
زارته وتنتظر أن يفيق لتأخذه هناك.. عن مباراة قوية شاهدها
وأخطاء اللاعبين وتقرأ له ..

من ظن أن ليث رجل المهمات الصعبة يحب القراءة!.. ولمن!..
ليوسف السباعي؟!.. والفضل بالمعرفة لمهند حين أتت بصباح
أحد الأيام لتراه يقرأ له من رواية تبدو قديمة طال غلافها
الثلثيات.. مهند الأخ الصغير الذي تمنته يوماً، شخص متباعد

رأيتك دائماً

شغيفتي وارتاح

صامت خجول، هكذا يبدو حتى تقترب منه أكثر تتعرف عليه..
وعلى مرور أيام الغيبوبة صار بينهما صداقة من نوع خاص..
محورها الغائب عن عالمنا بإرادته.. مد لها يده بالكتاب يخبرها:
- ييحب يوسف السباعي كاتب والدتي الله يرحمها المفضل.. لو
تحبي اقري له شوية وأنتِ قاعدة أنا حاروح أصلي.

وجلست بجواره تخبره أخبارها كالمعتاد، وشردت بالقليل بعودة
هشام الغاضبة والتفريع الذي طالها من الثلاث أخوات حتى
هددتهن إن لم يصمتن ستذهب للمكوث عند العرسان.. لتصمت
الثلاث مجبرات ..

يوميا هشام يزور ليث، يمكث معه وقت ليس بالقليل، وعرض
على السيد شوقي أن يتابع أي أعمال لليث وللأسف لأن ليس له
أي خبرة أمنية لم يستطع أن يساعد.. حتى مصاريف المشفى كان
إياد من تكفل بها بالكامل دون سؤال..

إياد لم يخب حدسها يوماً.. هي ارتاحت له ولصداقته وكان ظنها
بمحله.. بآخر المطاف هو من تصدى لأبي خالد الملاح..
فالرخصة مع القيود التي كانت حول جثة خالد ورجاله كانت

موضع تحقيق ودهشت عندما علمت أن إياد يملك من الصلات والمعارف ما يمكنه من وأد التحقيق بمهده وإخراج ليث من تهمة القتل العمد للدفاع عن النفس ..

تحقيقات النيابة، كان العسكري على باب الغرفة على مدار الأسبوعين الماضيين فقط منعاً للقليل والقال والحماية الحقيقية كانت من رجال ليث أنفسهم العاملون معه..

تنهدت وهي تتمتم:

- عارف إن ميرا خلاص رضيت عني وصالححتني بعد ما عرفت
إني قولت لإياد على البيبي بحسن نية؟.. ما كنتش مركزة كنت
قلقانة عليك.. عارف إنها قالت لي إنهم خلاص حيعتبروها دفاع
عن النفس لأن أبوه قرر يسكت بعد ما إياد جاب شهادات نفسية
بعلاجه النفسي السابق ومشاكل السادية ومقابل صفقة مالية
بملايين حيديهاله وهدده بحسابات السوق وفضائح ممكن تدمر
مستقبل أبو خالد السياسي فسكت وما اعترضش!.. صحيح إياد
بيقول هي دي الحقيقة وانه ما افتراش عليه بس تفتكر الطريقة

اللي أثبت بيها الحقيقة دي صح لو كنت معانا ياليت وفايق
كانت حترضيك ولا لا؟

تنهدت وهي تتلاعب بالخيط المنسدلة من كم بلوفرها الثقيل
تداعب بها أصابع ليث بعث طفولي عليها تدغدغه وهي تتمتم:

-تعرف إني مفتقداك!.. ماما بتزن عليا علشان أرجع لشغلي
وتدريباتي.. بس أنا فعلياً مش عارفة أمشي وأسيبك كده.. تفتكر
ليه؟.. ليه عايزة أرجع اسكندرية زي ما وعدتني إنك اللي
حترجعني؟.. أنا بجد مفتقدة وجودك.

تنهدت من جديد وحاولت فتح الكتاب لتكمل القراءة وصوت
هشام معاتباً يقاطعها بلوم:

-مروة.

انتفضت مروة ودون أن تشعر تمسكت بأصابع ليث الراقده وهشام
يعاتبها:

-ده اتفاقك مع حورية؟

والاعتراض مشروع حين يجافي مطلب الروح:

- أنا ما اتفقتش مع حد.. هي أدت أوامر وانا مش حنقد.

ناداها من جديد باسمها بعتاب:

- مروة مش حينفع الزيارات اللي من غير مسمى دي.. عارف
إنك كنت بتدريه وكننوا أصدقاء قريين الفترة الأخيرة وممكن
تكوني حاسة بالذنب لحالته.. بس كده الموضوع عدى الحدود.

واللوم من من العين قبل اللسان ابتلعت رقها قبل ان تعاتبه:

- أنت اللي بتقول كده يا هشام؟.. ده أنا مديونة له بحياتي ومش
أنا بس و...

قاطعها هشام بحزم العارف بصالحها:

- عارف ومقدر وشايل ده على دماغى من فوق.. وأنا هنا مكانك
مش حاسيه.. كل يوم بازوره و..

صمت لثوانٍ قبل أن يكمل بحزم:

- وأنتِ لازم تحافظي على سمعتك.

عضت على شفيتها.. هشام محق هي تعلم ذلك بيقين، لكن لم
لا تستطيع تركه والعودة لروتين حياتها؟.. لا تدري.. شعور
بالخواء يحاوطها ما إن تخرج من باب غرفته:

- يلا يا مروة علشان أوصلك وأنا خارج له تاني وتجهزي نفسك
تسافري لشغلك بكرة الصبح.

نظرت له.. تستطيع أن تعارض وتعاند وتعلو نبراتها، تسوق
التبريرات والمسببات على الجميع لكن ليس على هشام..
ابتلعت ريقها ودون أن تشعر ضغطت بقوة على أصابع ليث
وصوت السيد شوقي فاجأها:

- اسمعي كلام ابن خالتك يا بنتي.. هو أدري بمصلحتك وعنده
حق .

وابتعدت نظراته منها لابنه مكملًا:

- وهو ما تقلقش عليه.. إحنا معاه وأوعدك يا ستي إن أبلغك
بنفسي كل التطورات.

بدأت أصابعها تنصاع تترك أصابعه وعيناها مغمضة، تتجلد..
 لن تبكي هي ليست طفلة نزعوا منها دبحها الغالي.. ولم تكذ تضع
 الكتاب بجوار يده وتترك أصابعه متممة بوداع:
 - مع السلامة يا ليث.

والتفتت مغادرة لتنجذب من جديد وبنظرة حائرة نظرت لاسفل
 ذراعها ترى مانع رحيلها لتجدكمها معلق بيده، خيوط كمها
 معلقة بين أصابعه، بخجل كسا وجهها بالحمرة حاولت تفكيكها
 لتجد أصابعه ملتفة حول الخيوط بقوة لم تفعلها هي لتشهق حين
 سمعت تمتمة صوت متحشرج:
 - استني .

رفعت عينيها للذي يجاهد بإخراج صوته بعيون واسعة غير
 مصدقة وشفاهها ترتجف:
 - ليث!!

التف أبيه حول فراشه مقترباً بلهفة وتقدم منه هشام وبعينه نظرة
 غريبة غير مصدقة والهمسة الثانية:

- ما تمشيش.

وأصابعه تنثني ببطء شديد حول الخيوط ليغمغم هشام بصوت
خشن:

- أنا حاروح أنده الدكتور.

واختفى من الغرفة والأب مغمض العينين عاجز عن الحديث
فلسانه منشغل بشكر واجب للخالق على استجابة دعائه بحفظ
بكريه جلست مروة ببطء تسأله بلهجة غير مصدقة:

- أنت سامعني؟ .. ليث.. أنت سامعني بجد؟ .. أنت فايق!

هز رأسه بصعوبة وحاول ترطيب شفثيه بلسانه وحينما نظر لأبيه:

- عطشان.

أسرع أبيه يناوله الماء وبعد دقائق كان الفريق الطبي يزيحهم
بالخارج لفحصه والتأكد من معدلاته ورفض هو ترك خيوطها من
بين أصابعه ولفظة واحدة دون جدال:

- هي تستنى.

ورغم رقاده على فراش المرض إلا أن النظرة والنبرة الآمرة أنهت
أي جدال..

نصف ساعة مرت والسيد شوقي فرح قلق وخجل من إصرار ليث
على بقاء مروة معه.. خجل من هشام الواقف بجانبه بصمت..
وما إن خرج الفريق الطبي حتى خرج الطبيب المسؤول يهز رأسه
ممتعضاً:

- بص يا أستاذ شوقي هو كل حاجة تمام.. لا مشاكل ولا أعراض
جانبية كله تمام، هو عنيد وواضح إنه حيتعبنا معاه بس حمد الله
على سلامته .

وابتسم مصافحاً إياهم وغادرهم وهرعوا للداخل..

شبه جالس ورغم جسده المضمد المسجي على الفراش إلا أن
عيناه وكأنما تبثان طاقة وقوة.. لم يعد ممسكاً بخيط أو اثنان بل
أصبح ممسكاً بكفها بين أصابعه وهي تعانده وترجره:

- ليث سيب إيدي أنت جراك ايه؟.. ما يصحش كده..

ونحنحة من السيد شوقي بنظرة محذرة لم تغير وضع ليث بل
بالعكس بادرهم هو بنبرات صوته الصدئة من قلة الاستعمال:
- أهلا يا هشام اتفضل .

الصوت مازال متحشرجاً متعباً منهكاً والابتسامة من هشام:
- حمد الله على السلامة .

واقترب من جهة مروة يرغب بسلامه وليث لم يترك يدها بل على
العكس جذب يده الأخرى ليرد السلام..

أمام عيني هشام المستهجنة الغير راغبة بقتال تنحنح ليث سائلاً
والده:

- أنت تعرف مروة يا حاج مش كده؟

- أيوه يا بني طبعاً دي ما سابتناش ولا يوم من ساعة العملية..

والاحمرار بوجنتيها زاد وهشام عقد ذراعيه مستمتعاً متوقعاً
مجري الحوار:

- طيب ايه رأيك؟.. أنا عايز أخطبها.

رأيتك

شغيط ورنج

وتعالى ضحكة السيد شوقي المتفاجئة وهو يتمتم:

- يا زين ما اختارت.. ياريت يا بني.

ومرورة تنظر لليث بتوعد لا يستطيع معه كتم ابتسامته:

- يا باشمهندس هشام.. أنا باتقدم لطلب إيد بنت خالتك مرورة،

تحب نخلي كتب الكتاب إمتى؟

ليجد قبضة مرورة تلكمه على كفه وهو يتأوه معقود الحاجبين

وتعالى ضحكات الاثنين الآخرين..

أخيراً صرح له الأطباء بمزاولة نشاطه المعتاد وأول ما قرر فعله هو

مصاحبة ناريمان لزيارة قبر والديها.. كانت تشتاق لزيارتها

وطلب منها انتظاره حتى يصاحبها كما اعتادا وبعدها ينهي حديثاً

تأخر..

أوصلها بعد أن تناولا الإفطار بمطعمها المفضل وبعد أن ألقى

السلام قارئاً فاتحة الكتاب داعياً بالرحمة ابتعد عنها لخارج

رأى

شغيب ورنه

بوابة المدفن تاركاً لها ما يكفي من حرية وهي بصوت خافت
بعد الدعاء والسلام:

- بابا.. أنا.. أنا حاقوله النهاردة، حاصارحه بكل حاجة..
بالحقيقة.. تفتكر ممكن يقبلني ويسامحني؟.. ولا حيبعد عني
ويكرهني؟..

صمتت وهي تغمض عينيها للحظات كأنها تنتظر الإجابة ثم
أردفت:

- أنا خايفة قووي.. خليك جنبي، محتاجة قوتك قوي.

التفتت وغادرت ببطء ولم تكذ تصل لسيارة زيد وهي ترفع له
وجهاً مبتسماً بارتباك حتى وجدت عينيه تناظرها بغضب غريب؛
عيونه حرفياً حمراء، تكاد تسمع صوت طحن أسنانه ببعضهم
على بعد خطوات، عروقه نافرة وهو يرفع لها هاتفه بإتهام..

لا تحتاج لذكاء من نوع خاص لتفهم ما يشير له فصاحب السر
دوماً مكسور..

وصاحب التوقيع دون جدال أشرف..

أغمضت عينيها تستمع لهمهمة غضبه:

- ممكن أفهم إيه الصور دي؟.. ردي عليا..

صوته يتعالى مقترباً وهي تبتلع ريقها ودمعة وحيدة تنهمر على
خدها بألم بندم بقهر دين قديم ...

اقترب منها حينما رأى دموعها تزداد:

- دي صور متفبركة صح؟ هو ده اللي كان بيضايقك بيه السافل
ده مش كده؟

الكذب سهل كشرية ماء بيوم حار..

يمكنها أن تكذب وتتوسل إياد وباسل الكتمان، يمكنها أن
تحظى بالحنان، بالاحتواء دون تقزز وجلد للذات، يمكنها أن
تحصل عليه دون عوائل ماضي تلوث مستقبلهما..

وفتحت فمها لتجيب:

- الصور دي حقيقية كلها حقيقة مش متفبركة.

اختارت هي شربة المر شربة خلطتها بيدها وتتجرعها دون رغبة
لآخر قطرة بها..

نظرة الدهول بعينه، الغضب النافر بعروقه، عدم التصديق..

عيناه تقوم برحلة العار منها للصور ومن الصور لها ..

رحلة قاتلة تجلد كل مرة قلبها بسياط الألم

أنفاسه الغاضبة المتصاعدة بعنفوان لم ترعها منه بل عليه..

- انطقي.. اتكلمي.. برري.. قولي أي حاجة.. ما تقفيس صنم

قدامي بتقري بكل بجاجة أن ده أنت.. أنت!

بصوت مذبوح:

- عندك استعداد تسمع؟ وحتصدق؟

- بس اتكلمي.. افهم

صرخ بها من أعماق قلبه النازف.

تنفست بعمق ومدت أناملها تمسح دموعها ترفع عينيها، تنظر له

تقص له الحكاية دون كذب أو تجميل بكل تفاصيلها الدقيقة؛

قصة الجميلة والوحش.. الجميلة التي خدعت بعذوبة لسانه
وتركت الخطيب المنتظر

لتكتشف أنها ما كانت إلا وسيلة إنتقام، وسيلة لقهر الرجال ..
وأدت وظيفتها بنجاح؛

صراع أشرف مع إياد، أسهم أقنعها بكتابتها له تنازلاً حتى يقنعوا
والدها
والهدف كان السلطة..

وبعد مواجهة سحق بها أشرف كبرياء إياد؛ يحمل بيد امرأته
وبالأخرى ما يكفيه من نِصاب ليكن هو اليد العليا ،
النهاية كانت القصة المعتادة بكل الأفلام؛ حجة ساذجة وعقد
الزواج هو خير ضمان..

بكوب عصير برئ المظهر يحمل بجزيائته التوهان وهي الساذجة
الجديدة التي ظنت

أن معها الحكاية ستختلف وتستفيق على غباؤها
أنها مثلها مثل كل السابقات لا اختلاف..

رأيتك عالم

شغيف وورث

اللعبة واحدة والهدف صريح
 وكل الطرق للهدف مباحة حتى الانتهاك
 كان يمكن أن تزيد بشاعة الصور لو لم يقاطعه ليث بصدفة
 إلهية..

بعدها طاردت ثأر غير مبرر حتى تجعل إياد يعود لتصلح كل
 الأمور من جديد
 ويوم زفافها تركها إياد

والمعلومة لزيد جديدة واستمرت تقص وتقص دون كلل
 عن ثأر سعت له بكل الطرق لتصفعها الحياة بحب لم يكن
 بالحسبان

فعدراً لو كنت أعلم بقدمك ما زلت
 لذا أقر أنا وأعترف بأن حبيبتك ليست بعذراء الجسد
 وحينها فقط نفذت منها الكلمات وتلاشت الحروف
 تحررت تكسر قيود ذنب تنسل من عار

وصمتت منتظرة رأيه أو حكمه، هل هناك من فارق؟
 تركها واقفة وغادر، لم يأخذ سيارته بل تركها وسار مبتعداً..
 لم تفهم للوهلة الأولى وحين اختفي عن أنظارها ولم يعد
 وصلها الجواب؛

رغم التحضر مازال بأعماقه شرقي حتى النخاع
 عادت لقبر والديها تبسم بحزن ساخر.. تبكي وتخبرهم دون
 سلام

-رفضني.. سابني ومشى ورجعت تاني لوحدي.

والدموع لم تنهمر، بل تناقصت تباعدت
 والاختلاف ليس بالوحدة ولا بالبعد إنما كان بالحرية من عبء
 ذنب، من ثقل سر أغرقها لسنوات..

ظلت صامته تستمع لدقات قلبها وعبراتها مازالت تسقط بغير
 انتظام.. لم تشعر بمرور الوقت ولا بقرب غياب الشمس متدثرة
 باللامكان فربما لو ظلت على جلستها طويلاً ربما يطويها النسيان
 وهي على جلستها دون حراك..

رأيتك
 راح

شغيب وريح

يد تسللت لكتفها تفيقها من غيمة تجمدها والتفت بلا رغبة، بلا
زخ، م بلا حياة، لتجده هو.. دون غيره هو؛

زيد عاد مغبر، محمر العينين يمد لها يداً لم تصدقها..

وأسرعت تتشبث بها

حلم.. وهم.. أو جان.. لا يهم..

زيد ويد ممدودة دون كذب أو أسرار هي فرصة لن تتركها دون
قتال

- أنا مصدقك وبحبك

- بس أنا مش ملاك

- ومين فينا ملاك!

- حتقدر تسامح وتنسى؟

- بدايتك معايا من يوم ما عرفتك

- مش حتحاسبني؟

- مش من حقي أحاسبك على تاريخ ما كانش ليا فيه مكان

ساد الصمت وهو يأخذ بيدها لسيارته الرابضة بمكانها، يفتح لها
باب سيارته، يجلسها، يقبل رأسها مصطحباً إياها لمنزلها
وتبدأ معه أيام دون حواجز أو أسرار

تنهدت وهي تستمع للخادمة الفرحة على غير العادة تبشرها:

- بشرى وحلاوة ايه!! اهدي بس وفهميني

- جايلك عريس.. بيخطبوك تحت!

عقدت ناريمان حاجبيها عريس من؟

أسرعت ترتدي ملابسها مسرعة تحتاج لتفهم؛ فزيد كما أخبرها
منذ دقائق هو عند الطبيب في مواعده الأسبوعي..

من يكون العريس؟

من!؟

"أنا آسف طلبلكم مرفوض"

نطقها عبد العزيز بصراحة حازمة

جعلت الأخوات الثلاث يشهن من المفاجأة وحرورية تعقد
حاجبها بتعجب ومنيرة تهتف به باستنكار:

- عبد العزيز ايه اللي بتقوله ده؟

- زي ما سمعت يا منيرة دي بنت صديق عمري في مقام بنتي
وأنا عارف مصلحتها

نظرة الألم بعينها وهي تشاهد الماضي يتكرر من جديد؛ تصلب
رأي وعناد لعين..

وسؤال بارد من حورية:

- ممكن أفهم سبب لرفضك.. أنا عارفة كويس أن الاتنين
متعلقين ببعض وبيحبوا بعض.

والجواب صارم قاسي:

- علشان أنا عارف حالة ابنكم كويس!

ومع انقعاد حواجب الثلاثة بعدم فهم أوضح:

- أقصد الحالة الصحية.. الكابتن زيد شخص محترم وما فيش عليه غبار الحقيقة... من يوم ما جه هنا يسأل على ناريمان مرة واتنين وأنا قررت أسأل عنه للاطمئنان، وعلشان كده أنا آسف، الأمانة تحتم عليا أني أرفض.. ما ينفعش أجوزها رجل بحكم ميت.

- ايه اللي أنت بتقوله ده! زيد حالته مستقرة وبتتحسن.

والنظرة المشفقة من عيني عبد العزيز جعلت أحلام تلتفت لمنيرة بغضب:

- قولي لجوزك عيب الكذب وهو راجل كبير ومحترم.. عايز يرفض لأي سبب يرفض لكن ما يفولش على ابني ويقرن اسمه بالموت فاهمة ولا لأ؟.

واندفعت للخارج مسرعة دون تفكير وتابعتها الأختان ومع شهقة خافتة باكية مصدومة رفعت حورية عينها للأعلى لترى ناريمان مصدومة باكية..

صرت على أسنانها وأسرعت بخطواتها للخارج.

ما أن خرجن مسرعات حتى وقفت منيرة تناظر عبد العزيز
وبصراخ عالي مهاجم غاضب:

- أنت ايه؟! ايه!! ما بتتعلمش؟! ما بتتعطش؟!.. ابنك فضلت
وراه بأوامرك وضغطك لحد ما كان حينفجر، شاب تاني غير
ابنك كان بسهولة بقى زي أشرف ولا انهار تحت الضغط زي
باسل.. أجبرته يتجوز واتجوز ولما ما اتجوزش اللي على مزاجك
قلبت له حياته جحيم.. نزلت من قيمة نفسك وسنك بس علشان
تبقي أنت المسيطر لحد ما سابنا وراح

وظلت تتحرك بغضب والكلمات تنهمر:

- مش بس هو، أنا كمان سبتك وما فيش فايده دلوقتِ جاي على
ال بنت الوحيدة في الدنيا لا أب ولا أم ولا قريب بتحرمها من
اللي بتحبه.. ليه؟! وما تقوليش مش مهم ولا ما تعرفش

عندك عين شايقة تعلقها بيه وراحتها معاه، وفي يوم كان لك
قلب حب وعشق لدرجة أنك حرمت نفسك يكون عندك ولاد
تانيين بس علشان ما تخسرش حبيبك اللي كانت حتموت وهي
بتولد ابنك.. فإفكر مشاعرك لما قالوا لك واحد منهم اللي

والله عالم

شخصية ورائحة

حيعيش؟.. فإكر لما الدكتوراة قالت مدام منيرة الحمل في
خطورة مميتة على صحتك؟.. عبد العزيز.. أنت بتغلط غلط كبير
قوي وأنا مش حاسم لك.. مش هاشوفك بتغلط وأقف ساكتة
خلاص.

هتف بقوة:

- عايزاني أعمل ايه؟!!.. بقولك الولد بيموت كل اللي بيحصل
مجرد مسكنات حالته خطيرة.. أرملها بأيدي!!

شحب وجهها.. وصمت للحظات قبل أن تقول بإصرار:

- القرار لناريمان صاحبة الشأن مش ليك ولا ليا

- وأنا أخذت قراري.

نطقها ناريمان بنبرة باكية تحمل عناد افتقدته

واحدة اتخذت قرارها بإصرار، والأخرى حائرة عابسة غاضبة منه
من قراره ومنذ عادت من المشفى يوم استيقاظه وهي تتلظى من

رأيتك حاتم

شغيف ورنج

أين أتى بفكرة الزواج أو شعور بالمسؤولية أو الندم أو حب
الازمات!!

تلك المشاعر التي تستشعرها تجاه من جاورك في أسوأ لحظات
وتظنها حب لتكشف بعدها أنها مجرد امتنان..

تنهدت بسخط ترغب بزيارته بالحديث معه وحده لتفهم.. لا
تستطيع أن تقبل قبل أن تتحدث معه..
ورنين هاتفها برسالة جعلها تشهق هو

"ما جتيش ليه النهاردة؟"

وأنهاها بوجه بنظارة سوداء

ابتسمت ابتسامة واسعة لم تعد ترى ذاك الوجه إلا وتذكرته

"البركة في افتكاساتك"

"؟"

"ايه موضوع الخطوبة ده جبته مينين؟"

"ايه مش موافقة؟"

والصمت وتصلبت أصابعها على الحروف..

ماذا تخبره؟.. ماذا تقول!!

"ليث.. ممكن أفهم إيه سبب الطلب اللي طلع على غفلة ده؟"

"مين قال أنه على غفلة!"

عقدت حاجبيها

"ممكن تبطل ردودك أم كلمة ونص وتفهمني"

وأنها بوجه غاضب نافذ الصبر

"الفكرة من زمان والتأخير من الحادثة"

صمتت وطال صمتها؛ من زمن يفكر بها!.. من زمن!!

"إيه رأيك خطوبة ولا كتب كتاب؟"

"مش لما أوافق الأول!!"

"يبقى كتب كتاب"

ووجه يغمز!

"أنا ممكن أفهم أنتوا إزاي تعملوا كده؟ ردوا عليا.. مين طلب منكم تروحوا تخطبوهالي؟ أنتوا فاكرني عيل صغير رايعين تجيبوا لي هدية ولا مكافاة؟"

صوته يتعالى بمنطقة الاستقبال وأمه منذ عودته تبكي دون توقف وخالته آمال واقفة أمامه تبرر وتشرح:

- يا ابني إحنا عايزين راحتك وسعادتك و...

قاطعتها حورية بصرامة:

- استني يا آمال.. ممكن أفهم أنت داخل بتزقق ليه؟.. لا أول واحد ولا آخر واحد أهله يخطبوا له... وبعدين إحنا روحنا للي بتكلمها ليل نهار.. اللي لو خرجت يبقى معاها أو عشانها.. ما روحناش نقينا واحدة على مزاجنا.. ولا أنت بقى بتلعب شوية وبتسلى وده اللي مزعلك؟

نظرة استنكار أمام عيون حورية المدققة:

- أنا يا حورية بتقوليلي الكلام ده!! ليا أنا؟!!!

- أيوه أنت هو في غيرك قدامي!.. أنت بتحبها ولا لأ؟

- بحبها بس..

- عايز تتجوزها ولا لأ؟

- الموضوع....

- من غير كلام كثير.. آه أو لأ؟

- أيوه بس ما ينفعش.

- ليه بقي ما ينفعش يا ابن أحلام؟ عايزة اعرف ليه ها؟

والصمت وحاول عصام التدخل:

- يا جماعة اهدوا ويعددين يا حورية مش طريقة كلام و..

نظرت له حورية بغضب:

- الكلام مش ليك يبقى تسكت.. هو لسانه طوله وصوته عالي

بأمانة ما بيعليه على اللي خلفته واللي ربه فاهم يا عصام!

صمت عصام وهو ينظر لزيد وهي تعيد السؤال:

-ليه ما ينفعش؟ اقولك أنا ليه.. علشان بتضحك علينا.. بتغشنا..
بتقولنا بتتحسن وأنت حالتك خطر وبتتأخر مش كده؟
والصمت كان دليل إدانته وتعالى بكاء أمه وهي تتمم من بين
شهاقاتها:

-أنا كان قلبي حاسس... بس كنت باكدب ظني وأقول يا رب
أنت خلاف الظنون
تلعثم زيد موضحاً يحاول التهدئة:

-أنا حالتي ثابتة لا باتقدم ولا باتأخر وكل الاحتمالات وارده..
عرفت ليه يا حورية ما أقدرش أربطها بيا.. بحبها؟.. آه.. نفسي
أتجوزها؟.. ايوه.. بس ما أقدرش أربطها بواحد مش باين
لمستقبله ملامح

وغصة تصاعدت بحلقه وهو يكمل:

-حتى شغلي تم نقلي للمكاتب الإدارية وده بفضل الأصدقاء
وعلاقتي.. في الشركة مش حيسمحولي أني أطيّر تاني..
عايزاني بعد كل ده أروح اقولهم جوزوني بنتكم!

الدموع تجمعت بعين حورية تحبسها بقوة إرادة ومدت يدها
تحتضنه بشدة وكلمات عبد العزيز تنخر بقلبها خوفاً عليه وهو
يغمغم بأحضان خالته الكبرى:

- أنا آسف.. سامحوني بس عارفة يعني إيه اللي يمنعني عنها هو
أني بحبها!

- لا مش عارفة ومش مقتنعة يا كابتن.

والتفت الخمسة بسرعة تجاه الباب المفتوح؛

ناريمان بوقفها بعينها اللامعة تشي ببكاء سابق..

ابتعد عن أحضان خالته يواجهها:

- ناريمان.. أنا مقدر اللي عمله أبو إياد.. هو عنده حق ده
لمصلحت... ..

اقتربت أكثر منه بنبرة صوت محذرة:

- اوعي تكمل.. ما حدش حيعرف مصلحتي قدي أنت فاهم؟..
من مدة واحد نصحني وقال لي لو بتحببني اقفي جنبه وواجهي
علشانه مش تهربي منه..

وكتفت يديها فوق صدرها بعناد متممة:

- وأنا أهو بواجبك وبقولك ما يهمنيش أي حاجة لا مرض ولا
شغل ولا لقب ولا فلوس

واقتربت منه أكثر تنظر بعمق عينيه:

- يهمني أنك بتحبني زي ما ب... بحبك.. أني أكون جنبك زي
ما كنت جنبي

واقتربت أكثر حتى أمسكت كفاها يده هامسة:

- ولو مش فاضل في العمر غير يوم واحد أتمنى أعيشه وأنا شايلة
اسمك

شهقات ودموع من حولهما كانت كسيمفونية وعصام رفع صوته
قاطعاً الصمت:

- اااايه! اروح أجيب المأذون ولا إيه!!

واقتربت هي أكثر تهمس لعينيه:

- بيقولك يروح يجيب المأذون؟

وعصام يتحرك ببطء ضاحك وهو يقول بنبرة عالية:

-ها أنا رايح أهو... أنا حاجيب المأذون أهو... أنا خارج من الباب أهو

ناداه زيد:

-عصام..

والتفت الجميع له بترقب، لبيتسم وهو يحتضن وجه ناريمان بكفيه:

-اتفق معاه على ميعاد كمان....

والتفت لها متسائلاً:

-يكفيكِ قد ايه علشان عملي أحلى فرح وتبقي أحلى عروسة؟

-زيد.. أنا مش عايزة لا فرح ولا...

قاطعها بوضع سبابته على شفيتها:

- قد ايه وقت يا ناريمان وعائز فرح لا ينسى
ظلت تنظر لوجهوهم حولها وحوارية تشير لها في الهواء تكتب
رقماً ما..

أيظن أنه يهملها فعلاً فرح أو شكليات!!
ستطيعه فقط إرضاءً له:

10- ايام

- اتفق معاه على ميعاد بعد ١٠ أيام هنا في البيت

مقابلة حورية وليث كانت مقابلة على صفيح ساخن؛ فبسبب
ظروف العريس الصحية ومنعه من الحركة خارج غرفته بأوامر
مشددة من الطبيب قام السيد شوقي بزيارة لمنزل العائلة هو
ومهند لطلب يد مروة رسمياً..

وطلبت حورية مقابلة العريس الغامض الذي استطاع إخراج
ابنتها عن مدارها المرسوم..

هشام أصر على الحضور رغم امتعاض حورية وتمتمتها:

-ليه هو أنا حأكله!!

متبعة جملتها بمصمصة شفاه

ما أن دخلت الغرفة حتى اصطدمت بعينه وكأنه صراع للسيطرة،
للقوة، لاكتساب النفوذ.. جلست حورية وهشام يتبادل مع ليث
الحديث ببشاشة وقرب تعجبت لها ولكن ما أثار دهشتها أن
عينه لم تفارقها رغم انتباهه الكامل مع هشام..

-ممكن تسبنا لوحدنا شوية يا هشام؟

وهشام نظر لها بلوم فهما بينهما اتفاق وهي لا تبالي بنظراته
حتى أتاه صوت ليث:

-معلش يا هشام من فضلك سبنا لوحدنا..

خرج هشام من الغرفة وانتظر ليث وعندما يتصارع الأقوياء تكون
هناك وقفة يتم بها تقييم الخصوم وضربتها الأولى:

-أنت عايز تتجوز بنتي ليه؟

وهو ليس بغر فافلتت ضربتها في الهواء:

- بحبها

والضربة الثانية:

- لحقت تحبها!! أنت تعرفها من امتي؟

وها هي ضربة أخرى تتلاشى هباء:

- وهي عمرها اتحسبت بوقت!! الحب اكتساح ممكن في لحظة

أو نظرة.. وممكن بعد سنين

هي ليست بغرة ستلهيها الأشعار:

- مع أن في ناس ممكن تقول عليها مسترجلة

والتكشيرة الغاضبة اعتلت وجهه وكأنها وجهت له إهانة شخصية:

- المهم أنا شايفها إيه.

- شايفها إيه؟

- شايفها حزن ارتاح فيه،

شايفها قلب افضفض ليه،

شايفها سند لو جت عليا الأيام،

شايفها دفا من برد الوحدة،

شايفها نصي الثاني اللي بدور عليه..

صمت حورية وتلك الجولة فاز بها دون نزاع وعقلها غارق بين الأفكار..

انتشلها صوت ليث وعيناه الثاقبة:

-اللي مطمئني أنك مش رافضاني لشخصي

رفعت حاجبيها باندهاش تسأله بعجب:

-ومين قالك أني رفضاك أصلاً!؟!

-عنيك بتقول.. عقلك بيفكر.. وأنا ملتمس لك العذر؛ إغراء أن

بنتك تكون متجوزة من العيلة، من حد اتربي قدام عينيك أقوى

من جوازها من غريب ما ربتيهوش على إيدك حتى لو هي بتحبه.

رسمياً هذا ال "ليث" مخيف كأنما قرأ أفكارها أو هو فقط جيد

بعمله.. جيد لدرجة مقلقة.. تنهدت وهي تنطق بمخاوفها:

- أنا مش عايزة مروة تتضرر.. مروة حساسة جداً.. القوة دي قشرة من بره من جواها رقة وعقلها مستقيم ما يقبلش انحناءات لدرجة بتخوفني عليها.

- مروة دي هدية.. نعمة من ربنا هداني بيها.. وأنا أبويا علمني إني أحافظ على النعمة.. وحياتها مع اللي بيحبها وشايفها ملكة أفضل بمراحل من أيأ كان اللي بصيرته معمية عن واحدة زيها حوالية

والجولة الثانية والثالثة لصالحه محققاً فوز ساحق وابتسمت حورية وهي تنهض من مقعدها تنتوي الرحيل:

- مبروك يا ابني أنا موافقة.. أول ما تقدر تخرج بالسلامة نتفق على الخطوبة ياذن الله

ولم تكذ تستدير حتى بادرها بصوت قوي واثق النبرات:

- أنا عايز كتب كتاب وفي أقرب وقت.. أسبوع لو تحبي.

وهنا رفعت حورية إحدى حاجبيها هاتفة باستنكار:

- نعم!! أسبوع ده إيه إن شاء الله!
وبدأ بمحاولاته للإقناع مستمتعاً فعلى ما يبدو علاقته بحماية
المستقبل ستكون مثيرة جداً للإهتمام.

عشرة أيام على قدم وساق؛ ناريمان كانت أكثر من سعيدة لتوكيل
أحد المنظمين لحفلة الزفاف وتفرغت هي للعناية بزيد،
للاقتراب منه، الإهتمام بمواعيد دوائه، حفظ نظامه الغذائي
والإنغماس بحرية دون قيود أو أسرار بحياتهم..

لم تهتم بأي تفاصيل سوى تلك التي تشاركها معها زيد؛ فستان
زفافها اختاره هو وملابسها انتقاها معها بعث مدلل إياها..

تستيقظ صباحاً لتكون معه على الهاتف حتى ينقضي اليوم
وجاء اليوم الموعد حفلة الزفاف التي استطاع ليث بمفاجأة
مذهلة إقناع حورية بجعلها حفل كتب كتاب لهما أيضاً وإصراره
وخروجه من المشفى لحضور الحفل وعقد القران رغم رفض

واعترض الأطباء ولم يأخذوا منه سوى وعد بالعودة بعد انتهاء
الحفل لإكمال العلاج

وأمام عناده أصبح اليوم اليوم للاثنين؛
فرحة هشام بالعروس الصغيرة وبزواج زيد جعلهم ساهرين تلك
الليلة بالمنزل كعهدهم القديم:

- حروح تزور مرات عمك في المستشفى؟

والرفض ظل من عيني زيد ورد من بين أسنانه:

- لا.. بس أنا حأتكفل بعلاجها ولحد هنا وكفاية من العيلة دي
يا هشام.

- زيد هو مات حسابه عند ربه والست مصابة بشلل رباعي
محتاجة اللي يقف جنبها

- حصدوا اللي زرعوه؛ ابنهم سرق فلوسهم وأبوه بيتعالج من
ضرب الزفت خالد له وباع كل أملاكهم وسابهم وسافر وما
بصش وراه ولا فرق معاه أن أبوه مات لما سمع الخبر ولا أن أمه
وقعت مشلولة لما عرفت أن ابنها رماها في الشارع.

رأيتك حالي

شغيب وريح

صمت هشام وهو لا يعلم بما يطيب خاطر زيد بما يواسيه فأذى
عمه له ولهم لم يترك له ذرة تشفع له عندهم.

- ليث قالك على الخبر؟؟؟

سأله زيد محاولاً تغيير الموضوع

هز هشام رأسه بصمت وزيد يستطرد:

- يقول أن رصاص شرطة الحدود اتسبب في قتله وهو يحاول
يهرب بره مصر.. صحيح يارا استقبلت خبر موت خالد إزاي؟

عقد هشام حاجبيه لا يستطيع التحكم في غيرته حين يقترب منها
آخر ولو بمجرد حروف اسم..

رد هشام باقتضاب بداية ومع تزايد كلماته وتذكر الموقف تتسع
ابتسامته وتحمّر وجنتيه:

- عكس ما توقعت كان كل همها أني لازم أتأكد أن ما فيش حد
ورايا ولا أنه حيقرب مني.

اتسعت ابتسامه زيد مغمماً بإغظة لهشام:

- إنه اللامور "الحب"

لفت انتباههما صوت عصام يتحدث في الهاتف بضيق بحنق
وأغلق هاتفه وهو غاضب فسأله زيد:

- مالك؟؟

-المجنونة اللي اسمها سهام باكلمها اطمن عليها عادي يعني
لقتها فجأة قلبتها رسمي.. وأستاذ ولو سمحت ما ينفعش
تكلمني بره مواعيد الشغل!

وضرب كفاً بكف وتقطيبة تعلق وجه هشام:

- مش قلنا قبل كده تتلم بعيد عن الشركة وبالأخص سهام.

- يا سيدي بالراحة بس.. أنا ما كلمتهاش إلا لما جنابك اختفيت
وكنت باتقصي الحقائق.

وتعالت ضحكات زيد وهشام وتبادلا الحوار لدقائق قبل أن
يستأذن هشام منهما مغادراً وعصام يقترب من زيد غامزاً بعينه:

- تراهن على كام أنه رايح ليارا؟

- يا ابني اتم لو سمعك أنا ولا أعرفك

مط عصام شفتيه بضيق وسؤال يلح بعقله:

- سيبك من الهزار.. أنا عايز أسألك سؤال بس من غير زعل..

انتبه له زيد وملامح مهمة فأردف:

- هو أنت مقتنع بخطوة جوازك دي؟.. يعني أنت كنت طيار

وشفت كتير وكثير.. وناريمان شكلها يعني غريب شوية.. مش

قلقان في يوم تحس أنك اتسرعت أو أنك نفسك أنها تكون

طبيعية..

وتلجلج قليلاً بحرج:

- أنت فاهمني؟

نظر له زيد بنظرة هادئة مجيباً:

- عارف سؤالك معناه ايه؟ أنك ما عرفتش الحب.. ما

دوقتوش.. أنت لما بتحب بتحب الكل؛ الوحش قبل الحلو،

العيب يبقى في عينيك عشق ما يفهموش غيرك.. قلبك ينتفض

لو حسيت بطيف ممكن يلامسها ولو بعيد.. الدقايق في وجودها
حياة.. الدنيا تفقد ألوانها بغيابها عنك.

وأمام عينيه النظرة الحالمة بعيني زيد جعلته يسرح بخياله

أعاش يوماً هذا الإحساس أو سيعيشه يوماً؟

ليلة الزفاف الحالمة كانت حديث الحضور ليس فخامة الحفل أو
التجهيزات، بل نظرات العشق بين العروسين، الحب الذي
يغلفهما كهالة خاصة بهما دون غيرهما..

وبنهايتها كانت البداية؛

اقترب منها زيد يتلمس وجهها يداعب تلك الخصلتين يتأمل
بتفرد عينها مقبلاً كلاً منهما على حدة هامساً:

- أنا حاسس إنني أخيراً وصلت لحرورية القمر

رفض تمامًا اي اقتراحات بصباغة ولو مؤقتة للخصلتين أو حتى
ارتداء عدسات..

كان يفتخر بها كما هي لتهمس هي بحب:

- أنت أسرت الحورية للأبد وانسى أنك تفكر تبعد تاني.

وكان البعد آخر ما يمكن أن يخطر بباله، بل اقترب مقبلاً طريقه
متلمساً عاشقاً غارقاً بين حنايا ضياء حورية القمر..

يرتشف ويرتشف دون توقف ولا شبع، كل لمسة تشوقه للأخرى،
كل قبلة تدفعه للمزيد وغرقه بها فاق جنون الرغبة وحدود
الاشتهاء؛ إلتقاء روحين، اندماج قلبين، اتحاد حياتين..

وصرخة صغيرة منها بألم انعقد لها حاجباه باندهاش مبتعداً عنها
بسرعة:

- ناريمان أنتِ!! virgin!

نظرت له بخجل، عينان هاربتان ترفض المواجهة

هزت رأسها بايجاب وهو يسألها توضيح:

- طب ليه قولتِ أنك مش...

-لأنني مش حاكذب عليك وادعي براءة جسمي.. قولتلك أن
ليث نجدني منه.

ودموع تجمعت بعينيها للذكرى..

واحتضنها هو يحتوى ألم ويداوي بحضنها ذاك الألم الذي
يتناساه يوم رأى الصور وشبت النيران بعقله وقلبه حتى أعمت
بصره وبصيرته؛

الألم كان أقسى من الاحتمال وكل خطوة من مشيه التائه
بلاهدف حملت له الجواب..

الألم من حب تغلغل بتلافيف قلبه يحمل وسمها غيرة ممن
يمكن أن يكون قد لمسها، وذكرى أخرى قريبة لأخرى مخدوعة
كان يمكن أن تكون أخته الفراشة مكانها فبأي حق يطالب لها
بالحياة بفرصة ثانية بثقة في نبتها ويحرم من عشقها من نفس
الحق!

وحين استقرت الفكرة بعقله استدار وتسارعت خطوات قدميه
عائداً يهديها ويهدي نفسه فرصة جديدة..

تنهد وهو يشعر بأنفاسها تتثاقل وانجرافها للنوم وتبعها هو..

انتهي الحفل ودعت حورية ليث للمكوث قليلاً بالمتزل وبعد دقائق كان ليث ومروة وحدهما بالشرفة..

دقات قلبها العالية المتقافزة - خشيت أن يسمعها - تشي بتوترها وشعرت باقترابه بحرارة جسده التي تشع تبدد برودة الشتاء وأول كلمة منه لها وحدها:

- بحبك

والتفتت هي إليه..

كلمة لم تسمعها من قبل.. كلمة تسللت تدغدغ عذرية أذنيها..

بانسجام يقترب منها وأصابعه تتلمس ملامحها وشفاهها بافتتان.. منذ تلك اللحظة التي رآها بها تسقط بين يديه وسهام فنتها أصابعه وظلت تستنزف دماءه وتستبدلها بأنفاسها وضحكاتها حتى صار بعدها وحدة لا يطيقها..

هو لا ينتظر منها كلمة حب هي سقته إياه برشقات صوتها الذي
صاحب غفوته الطويلة، أصوات كثيرة مرت عليه وصوتها كلما
طل عليه بظلمته كان يمنحه الراحة والاستكانة.. طوق وجهها
بكفيه فغاص وجهها الدقيق بينهما وغاص هو في شفيتها مرتشفاً
أول قبلة برقة وجراءة واقتحام وتصلبها المتفاجئ تحول
لانسجام.. والتالية بتوق لاحتواء طوقت عنقه بيديها..

وبعد رفض الخجل انتظمت الافكار تراصت بانسجام وتيقنت
بداخلها انها ايضاً تهواه

وواحدة تتلو الأخرى وحين ابتعد نطقها هي:

- بحبك

شعور بالانقباض، بعصرة قلب تسرق أنفاسه من صدره.. يشعر
بالاختناق.. يفك قميصه وأزراره العليا طلباً للهواء.. يعاني من
ألم الأنفاس وكل ذلك باللحظة التي رأها بها..

طوال الليلة وهو بمزاج عصبي متفجر لا يعلم لما! والتبرير
الوحيد هو علم السبب حين أخبرته أمه بألا يخرج الآن من غرفته
ليترك الحرية للعروسين..

وجن جنونه كان ينوى أن يبعده عن المنزل بأي طريقة.. أبعد ما
يمكن عنها..

وما أن اقترب حتى سمعه يخبرها بحبه، يلمسها، يقبلها! مروءة
خاصته...!!

لا هي تخصه هو يمتلكها..

وسمع همستها بسكون الليل بحبها له وفاضت به الآلام
لما الآن يكتشف بعد فوات الأوان حين فقدتها للأبد دون أمل
في انتظار علم حقيقة قلبه والآن عليه أن يتجرع تردادده وحده
دونها.

أحمقها يخاصمها بما ما يزيد عن ٣ أسابيع وهي على حافة
الإنفجار خاصة وهي تأكدت من السبب..

لم يكفها صراخها بمرودة ولا محاولة عضها بشراسة..
 الذكية تكتُم أسرار الجميع إلاها، لكن اليوم تلاحظ مزاجه
 المبتسم طوال الحفل ولذا تلك أفضل لحظة للهجوم وليرىها ابن
 الحديدى كيف سيستمر في بروده!
 يعلم أنها تنتوي على شيء؛ ما تلك الابتسامة بعينها تقلقه..
 هو عاقبها بالبرود، بالابتعاد، بالجمود ..

معاقباً نفسه معها، لكن لن يتوقف حتى تتعلم درسها
 هو بكل ما يخصها الأول ويستحيل أن يكون آخر
 وصدق توقعه عادت للغرفة لتنام ترتدي فستاناً أسوداً بأكمام،
 طويل حتى كعبيها بحلية واحدة حمراء وخطوة واحدة خطتها
 وشق الفستان من الأمام يرتفع لأعلى لأعلى حتى قارب خصرها
 بجراءة أو رغبة في التقاء شق فستان من الأعلى كاشفاً نهديها
 بكرم مشعل للأجواء.

ميرا قررت اللعب بجراءة ولآخر المدى وحين قرر أن يتمادى
 بالعقاب رفعت قدمها ياغراء فطري يجري بدماؤها لتريه حذاءه

في قدمها وسرقت أنظاره كان الحذاء رائع لكنه لم يبدو أجمل
إلا بقدميها..

واقتربت هي أكثر وأكثر والإغراء أضحى مقصوداً موجهاً تجاه
قلبه هو

واقتربت أكثر وأكثر وغمغم هو بصوت أجش:

-بتعملي ايه؟

والنبرة المغناجة والخصلات الثائرة والهمس من بين حمرة
شفتيها حار:

-بصالح أبو ابني وحببي.

واكتسحها هو دون هوادة فحروف آخر كلماتها على قلبه أقوى
من أي إغراء..

ألقي نفسه بنيرانها راغباً راضياً ومزیداً إياها توهجاً بالمزيد

شهران مرا بالأسرة والحياة تمر بحلو الأيام بعد الدموع والآهات؛ خبر حمل يارا، وظهور حمل ميرا بوضوح وتشوق الخالات للوافدين الجدد لعائلة الأدريسي..

الأحفاد يستعدون للتدليل والإفساد حياً
- يعني ايه مش عايزين تخلفوا دلوقت؟

اعترضت حورية بقوة على كلمات مروة حينما سألتها إن كان في الأمور أمور فهي تزوجت منذ شهر واحد بعد خروج ليث من المشفى مباشرة ومروة تجيب بحزم:

- احنا مش مستعجلين
فهي لن تعرضه لاسوء كوابيسه المأ منذ صارحها بحقيقة سبب كرهه للمستشفيات وهي قررت طمأنته التفتت حورية لأحلام تطلب المؤازرة والدعم:

- كلميها أنتِ طيب قولي لها حاجة
وانتهبت أحلام من شرودها متلعثمة:

- ها عايزة حاجة يا حورية؟

وانتباه حورية انصب على أختها المتوترة بنظرة عينيها التائهة
وزفرة ارتياح من مروة:

-مالك يا روكا فيك ايه؟

وضعت أحلام يدها على قلبها بتوجس وعيون متوترة مدعورة:

-مش عارفة قلبي مقبوض وخايفة قوي زيد خرج من
الصبح بدري وقال وراه مشوار وما رجعش لحد دلوقت.

نظرت حورية للساعة بتوتر:

-ده الساعة ٨ بالليل! راح فين كل ده؟ .. هو رجع الشغل
تاني؟ .. فين ناريمان؟

تنهدت أحلام:

-نايمة تعبانة واخدة نزلة برد في معدتها ومش قادرة تقوم من
السريـر من امبارح، أنا قلقانة قوي.
وقبل أن يهبوا للتصرف أو حتى التفكير صرخة عالية من غرفة
ناريمان جعلتهم يهرعون إليها جميعاً برعب:

لم يكادوا يتحركون بتعثر من أماكنهم حتى وجدوها أمامهم
ترتدي قميصاً منزلياً من الساتان ترتجف بيدها ورقة وتقبض
يدها الأخرى بشدة:

- مالك يا ناريمان في ايه؟

زيد - سابني ومشي
واختطففت منها حورية الورقة بقوة تحدق بها وتقرأها بصوت
عالي:

"ناريمان

أنا مش عارفة أبدأ كلامي إزاي.. غير بأني بحبك.. أنا آسف
بس الدكتور قال لي أن في آخر أسبوعين حالتني اتأخرت تماماً
والموضوع بقي مسألة وقت مش أكثر..
سامحيني مش حأقدر اشوفكم بتموتوا من الخوف عليا كل يوم..
ولا أشوفكم بتموتوا جنبي بالبطئ..
أنا مسافر.. يمكن أرجع ويمكن ما أرجعش..
أنا باعفيك من الإلتزامات ناحيتي؛ هشام عملت له توكيل لو
حيث تتطلقي مني في أي وقت..

رأيتك دائماً

شغيفت وورقة

أنا عايزك تخلي بالك من نفسك.. تكوني ناريمان اللي حبيتها
وشفتها ملكة بتفردها..

تبقي ساحة القمر..
وماما ويارا أنا عارف أني سايبهم في إيد أمينة.. وأنتِ كمان بين
عيلتك وأهلك واثق أنهم حيشيلوكِ في عنيتهم..
سامحيني قولتلك أنه مستقبل من غير وعود، بس اللي أقدر أوعد
به أني لحد آخر لحظة في حياتي حتفضلي حبي الوحيد "

تمت حورية بغضب وهي تنظر لمروة التي تحيط ناريمان
بذراعيها..

- يعني ايه الكلام ده! فين هشام؟

ظلت ناريمان متجمدة فقط دموع تنهمر على وجنتيها والكل
ساهم متجاهم، يارا بأحضان أمها تتسند الاثنان على بعضهما
بفقدتهما..

وآمال تبكي بصمت وحوارية غاضبة تتحرك دون هوادة تحدث
هذا وذاك؛ تارة ليث وتارة هشام ومرات لا ياد وبالنهاية توقفوا
عن الرد عليها.

هتفت بغضب:

-أجوازكم ما بيردوش عليا ليه؟ مش عارفين يعرفوا راح فين!!
وصوت الباب ودخول الأربعة سوياً بوجوه واجمة صامته أفزع
قلبها فسقطت على مقعدها:

-حصل ايه؟

-مالوش أثر!

والعيون تحولت لليث تناشده التدخل الحل.. فعل سحره الأسود
وإحضاره ولو من الهواء وتقطيبة وجهه وانغلاق جفنية بجمود
ولفظة واحدة مقتضبة:

-آسف

ومع توالي الشهقات واندثار الأمل دون أي بارقة لعودته تعالى
البكاء فأسرع هشام لزوجته وخالته يحتضن كلاهما بقوة مردداً

- ما تخافوش حيبقي كويس وحيرجع ثقوا فيا.

ومع آخر حروف ليث امتقع وجهه ناريمان فاقدًا الدماء لقد تركها
ليموت وحيداً وتموت هي بعده

وانهارت هي فاقدة للوعي ويسقط من بين يديها قطعة بلاستيكية
بيضاء بها خطان ورديان.

الخاتمة

بعد مرور سنتان

مرت الأيام بما حوته

من مشاق وفراق ومآسي وأحزان

من أفراح وسعادة وحب وأحلام

بالنهاية الأيام كلها تمر والحياة لا تتوقف

وعليك أنت أن تتخير الذكرى التي تحملها معك للأمام

وهي لن تتخلى عن ذكراه مهما مرت بها الأيام أو حوته لها

الأقدار

سيظل اسمه هبته لها التي لن تنازل عنها

ستظل تحمل تلك الأيام التي اقتنصتها

بسعادة بين أحضانه كراء يلفها من برد الحياة
كان وسيكون هو زاد الروح حتى الممات

- يلا يا ناريمان بسرعة شوية يا بنتي البنات قربوا يوصلوا.
أسرعت تقبل صورته بقلادتها القلبية الشكل تغلقها وهي تهتف
بنشاط:

- حاضر يا ماما جاية أهو خلاص جهزت.
وأسرعت تفتح باب غرفتها وتهرع للمطبخ،
فالיום الجمعة ويوم الجمعة بالمتزل هو يوم إعلان حالة الطوارئ
القصوى، يوم التجمع العائلي دون إعتذارات أو إستثناءات
-أومال فين عصام؟

سألت آمال وهي منشغلة بتجهيز الحلوى بتركيز
وردت ناريمان بابتسامة مكتومة:

- مع نوري وآدم

ونظرت لأحلام وانفلتت ضحكاتها حين سمعوا صوت رجولي
يصرخ معترضاً:

- أنت يا ولد سيب الورق.. تعال هنا بقولك.. هات الورق
أنتِ تعالي هنا ... لا مش في بقك.. لا اكله.. إلا بقك.. لا.. لا

ودخلت حورية من باب المطبخ الخارجي هاتفة:

-خدوا.. حد يشيل عني الصينية سخنة

أسرعت ناريمان لمساعدتها وحملها عنها لتخبرها حورية:

-روحي حطيتها في الفرن على الهادي لحد ما يوصلوا

وحينما وصلها صراخ من الداخل اتسعت ابتسامتها بتشفي
عابث:

-أحسن أنا فرحانة فيه خليهم يربوه!

التفتت لها أحلام مقطبة:

-حرام عليكِ يا حورية

-ماما.. عايزة ايه تاني مني؟

نطقتها ناريمان وأحلام تقبلها على وجنتها:

- أنتِ عارفة عليكِ تجهيز وتنظيم القعدة بره

وأسرعت ناريمان للخارج وما أن خرجت حتى سألت حورية:

- هشام نزل ولا لسه؟

أجابتها آمال:

- لسه...

قاطعها الصوت الرجولي:

- والله العظيم كده حرام.. حد ياخذ القروود دي بعيد عني..

اااايه!! ماليش أهل يسألوا عني! سينهم يفترسوني!!

- ما تقولش عليهم قروود يا عصام حازعل منك.

- سبيه طول عمره أعمى النظر

رددت حورية وعصام يعاتبها:

- أنتِ ما بقتيش بتحبيني وده مآثر على نفسيتي.

- قال يعني بيحس !

أصوات من الخارج تعالت لطفل صغير بشعر أسود ناعم
الخصلات:

- فوووووووو فوووووووو

ليزمجر عصام:

- اتفضلي.. وأهي كملت القرد الطائر وصل وما فيهاش نوم ولا
راحة طارت خلاص.. آاه!

والصفعة من كف ميرا على ظهر أخيها رافعة حاجبها بتحذير:

- ما تقولش علي ابني قرد وإلا منك لأبوه

فسألها:

- هو أبوه فين؟

أجابت وهي تراقب ابنها بعينها بحب:

- بره مستنيك تروحوا للصلاة سوا.

مال عليها مغيظاً:

- أنا افهم الواد يطلع لأبوه.. لأمه.. لجدته.. أنما يطلع لابن خالة
أمه!!

وابتسامة دافئة ارتسمت على وجهها وعيناها تقابله بحب وهو
يمسك طائرته الصغيرة بين يديه يطيرها بأرجاء المطبخ وجدته
آمال تنهره وجداته الاثنتان تشجعانه بحماس:

- كريم بيعشق الطيارات زي عنيه زي خاله.

- خاله!!.. طيب شيلي بقي ولاد خاله ياختي أنا رايح أصلي.

ورفع آدم المتشبت بقدمه بصعوبة وأعطاه نوري التي قاتلت
وقامت حتى لا تترك رقبته مخرجة بيدها بعض خصلات من
شعره ككل مرة وغادرهم وهو يسب الأطفال.

هزت ميرا رأسها وهي تقبل نوري تداعبها بأنفها وتلك
الخصلات الفضية الكثيرة بين شعرها الأشقر كانت كدمية صغيرة
بعينين زرقاء صافية وآدم نسخة مطابقة لتوأمتة ماعدا لون الشعر
بني كأبيه..

رفعت عينيها للأخوات تسأل:

راية عالم

شخيط ورنج

- فين الباقي؟ .. معقول!! ده يارا قايلة حتىجي من بدري! ومروة
هانم فين؟

- سيبك منهم وتعالى جهزي السلطات وشوفي الأطباق.

لترفع ميرا إحدى حاجبيها باستنكار وهي تنظر لأظافرها المطلية
باعثناء وتراجعت من المطبخ بخطوات بسيطة خفيفة..
أحلام التفتت لها:

- وخدي ده كمان اضربوهولي..

وتلفتت تبحث:

- هي ميرا فين؟

لتضحك آمال:

- اكيد هربت.. ميرا والمطبخ لا يجتمعوا

حين عاد الرجال من الصلاة كانت المائدة مجهزة وعامرة بكل
أصناف الطعام التي يشتهاها ويعشقها الجميع

هشام تقابل مع إياد وعصام وعادوا سوياً بعد أداء الصلاة ليجدوا
حديقة المنزل كعادة كل جمعة زاخرة بالمرح والحديث
والضحكات الطفولية:

- دaaaaاادي

وذو الشعر الأسود والعيون السوداء بالشذرات الرمادية يجرى
فتلقفه إياد بابتسامة واسعة يرفعه للهواء فتتعالى ضحكاته لعدة
مرات ثم احتضنه يسأله بنبرة تأمرية:

- جنت مامي ولا لسه!

ليرفع الصغير إحدى حاجبيه لأبيه ويرد مقلداً نبرة أبيه:

- لسه.. مستنيك!

يد رجولية امتدت لوجنة الصغير الوردية معاتباً محذراً بابتسامة
واسعة:

- بقولك إيه أنت وأبوك لو زعلتوا أختي أنتوا حرين حاخدها
منكم وأخيها بعيد.

اتسعت عين الصغير يسأل أبيه بدهشة:

- داد.. حتسيه ياخذها مننا!!

واندمج إياد باللعة هز كتفيه مجيباً:

- مش أخوها الكبير!

صمت الصغير لدقيقة قبل أن يرد بتحدي:

- لو خدتها حاخذ يارا وتيا وحاخيهم أنا كمان

انطلقت ضحكات الجميع بضخب في حين ضيق هشام عينيه
مواجهاً الصغير:

- واضح أن أنت اللي حتتعبني فيهم يا ابن ميرا

- اسمي ابن الحديدي!

وتعالت ضحكات الثلاث رجال والصغار يتهادون نحوهم؛ تيا
تسير بتؤدة تجاه أبيها الذي إلتهى عن الجميع وهرع ليلتلفها
بين يديه، فجميلته نسخة مصغرة من أمها معشوقته الاثنتين
الصغيرة بأحضانها والكبرى تهرع إليه مسرعة تستقبله بقبلات
ناعمة مشتاقة رغم أن تأخرهم بالنزول صباحاً كان بسبب شوقه
هو لها..

وعصام يحمل الاثنان نوري وآدم كلا بذراع يداهما
ويلاعبهما يعطى لهم حضناً ومداعبة يختصهما هم بها وحدهما..

حملوا الأولاد متجهين للطاولة المتوسطة الحديقة وهشام يسلم
على الفتيات يطمئن على أحوال ناريمان وعينه تبحث سائلاً:

- او مال فين مروة وليث؟؟

- السلام عليكم أنا جيت.

دوى صوت مروة المتعلقة بذراع زوجها وبيديهما حقائب الهدايا
تنبأ بزوجة من الأطفال يطوفون حولها طلباً لهداياهم وهي
تضحك معهم تلاعبهم بانسراح وليث يسلم على الرجال وعيناه
لا تغادر فتاته..

ولم تكن عيناه وحده من تحوم حولها، عيناه هو الآخر أيضاً
تناظرها بشوق يتشعب بضحكاتها بتألق وجهها..

منذ اكتشف قلبه كان يوم فقدتها مستسلماً وهو أسير أمل الغد
فهي على مدار سنة ونصف من زواجها من ليث علم من خالاته
أنها تؤجل الإنجاب، قلبه أخبره أنها ربما ترغب بالإستقرار

رأيتك دائماً

شغيفتي وورثتي

بالتأكيد وربما يوماً ما تعود حرة ووقتها لن يتردد لحظة وظل من
يومها هو أسير ال ربما!

ومع اندفاع كريم القوي موقِعاً إياها وانتفاضة الاثنان باسمها من
على مقاعدهما ليهرع لها صاحب الحق فيها مؤنباً:

- مروة.. اتفقنا براحة على نفسك.

وعيناها تهديه نظرة اعتذار ووجهها المتورد بفرحة جعل حورية
تنظر لأختها وسؤال أسرعته به:

- مروة.. هي إيه مناسبة الهدايا المرة دي؟... ما تقوليش!.. أنتِ
حامل!؟!

ووقف ليث محتضناً زوجته لا بل مبتلعاً إياها بجسده بذراعيه
بحمائية اعتادتها هي، وهما يتشاركان نظرة قبل ان تلتفت لهما
تهز رأسها بحبور..

واندفاع نسائي بمباركات وتهاني من الجميع، وآخر يصارع
حتى يرسم ابتسامة ترتعش على وجهه فحتى ال ربما تسربت من

بين يديه ولم يجد سوى يد أخيه هشام تربت على ركبته تجذب انتباهه ونظرة حنون من أخيه الأكبر يخبره:

- قوم بارك لها وشوف وصل لفين

هز رأسه ب نعم..

هو يحتاج لإلهاء، أي الهاء حتى ينقضى اليوم المشحون ويختلي بنفسه ليلاً وحده كما كان وسيكون..

قام ملقياً مباركة سريعة لها ولليث واعتذر لداخل الفيلا.. الفيلا التي انتقلوا لها منذ سنة مقسمة لأدوار؛ الأرضي للأخوات الثلاث، والأعلى لهشام والآخر لزوجته زيد، ودور أخير يحيا به عصام وحده بعد رفض ليث المكوث معهم.

- ممكن تخفي من الأكل الحامي شوية .. أنا اللي بيطلع عيني من تعب معدتك بالليل

نظرت له بتحفز تشير له بشوكتها التي تحمل إصبع محشي محذرة:

- مش أنت السبب يبقي تستحمل!

- مش لوحدي على فكرة.. البركة في فستانك الأسود!
والجملة العابثة رافقتها قرصة من تحت المائدة جعلت مي
تضحك بصوت عالي مغناج حاولت كتم ضحكاتها قدر الإمكان
ليميل إياد لها مؤكداً:

- كفاية يا مي

- مش باكل لاتنين!!

- لا أنتِ كده بتاكلي لقبيلة جوه!

وهي تضيق عينيها تتوعده وقبل أن تفتح فمها لتهديه وعيدها
قاطعتها مفاجأة من العيار الثقيل

- السلام عليكم..

والصمت ساد على الجميع؛ العيون مفتوحة على وسعها.. فمع
طول الأمل جاء التعود على الغياب على الافتقاد..

رائد صالح

شغيف ورنه

الكل صامت وهشام وإياد وعصام المنضم للمشهد ينظرون
لبعضهم البعض بقلق يخشون من رد فعل النساء..

أسرع هشام تجاه يارا يطوقها بيده يتأملها بعينه وإياد طوق وجه
ميرا بكفيه يتمتم لها:

-ميرا.. خليكى هادية.. بلاش انفعال افتكري ولادنا اللي في
بطنك.. اهدي

وصلت ناريمان العائدة من الداخل بصوت ضاحك تحمل
صغيريها:

- خلاص غيرنا هدومنا للمرة الثالثة النهاردة وجاهزين نكمل
أكل....

صمت وشهقة وخطواتها تتراجع للخلف بعدم تصديق..

أجنت أخيراً أم هو حقيقة!!

الحلم الذي تتشوق للنوم لرؤيته كل يوم؛ لحظة عودته أيلاعبها
عقلها ويهزأ بها !!

نظرت لهم تبحت في أعينهم عن الحقيقة لتجد الابتسامة وهرولة
أحلام له واحتضانه

جعلت يداها الحاملة لأطفالها.. أطفالهما!!

لقد عاد!!

قبلات أمه الباكية الغير مصدقة عودته التي تتفحصه بعينها
ويديها بفرحة وقوفه على قدميه بوجه متورد وصحة كما كان:

-زيد ابني رجع.. رجع يا هشام.. رجع يا ناريمان.. حمد لله
على السلامة يا حبيبي

وهرعت هي لأحضانه تدفن وجهها بتجويف عنقه تستنشق
رائحته التي تحرقت لها شوقاً وهي تتمم دون انقطاع:

-كنت عارفة أنك راجع.. كنت عارفة أنك راجع.. مش
حتسيبني

ظل يمطر خصلاتها بالقبلات يحتضنها بشوق بتوق ارتسم على
وجهه مغمضاً عينه مطلقاً تنهيدة راحة وخالاته يقفن من
خلفهم..

يحتضن أمه الباكية يشاركونها دموع الفرحة.. ينتظرن فرصة
للاقتراب للتحقق من أنه حقيقة أمامهم..

وعيناه حين فتحهما بشوق للصغيرين الواقفين بصمت ورهبة
يبتسم وعيناه تدمع بشوق.. صدق عصام؛ نوري تبدو كالدمية
بجمالها اللافت وآدم يشبه قليلاً لا بل هو أوسم بمراحل منه
بشعره البني.. وقلبه وضلوعه أشتاقت لأطفاله اللذين لم يلمسهما
يوماً وأسرع لهما دون أن يترك زوجته واقترب منهما راعياً
محتضناً مقبلاً باشتياق وفوق رأسه ألقى جسد ناعم يقبل ظهره
وشعره يحتضنه من ظهره بشهقات باكية؛ أخته فراشته نظر إليها
يستقبلها بأحضانها أيضاً..

بعد أن هدأت عاصفة استقبال الغائب وتكشفت الحقائق كان
الغضب من الرجال قد فاق الحد فغياب زيد كان بعلمهم
والاختفاء بتخطيط من إياد حين تدهورت صحته ولم يعد له أمل
سوى زرع للكبد وإياد قام بكل التجهيزات هو وهشام والكتمان
كان رغبة من زيد:

- ما كنتش عارف ممكن نتيجتها تبقي إيه.. أنا رايح وسايبكم
تتأقلموا مع حقيقة أنني مش راجع..

ابتلع ريقه يتذكر تلك الأيام بمشفي لندن باردة وحده وحين سمع
بخبر حمل ناريمان توجع قلبه لم يستطع أن يكلمها ويعيطيها أمل
لا يملكه وظل بالانتظار حتى وجدوا له ما يناسبه..

بعد شهر كان يتابع حالة زوجته والجميع من خلال عصام
وهشام وظل يتعافي لشهور خشية الإنتكاس حتى أصبح آمن له
أن يعود لحياته الطبيعية بسلام..

عاد ليبقي.. عاد ليكتمل جمعهم..

نظر لزوجته بعيون حانية فناريمان فاقت كل التخيلات ورغم
البعد زاد الحب بقلبه لها أضعاف..

اقتربت منه تقبل كفه بشوق ليقبل هو رأسها بافتنان

تمت تفتح قلاذتها القلبية:

- كنت عارفة أنك راجع.. عارف ليه؟ لأن روحي كانت وياك.

واحتضنها بقوة مسترخياً فإن كانت روحها معه فمأواه بين
حناياها

وأياد يواجه غضبها الناري كلمات متبعثرة وكعاداتها أثناء حملها
دوماً تكون مشاعرها على الحافة.. دموع تنهمر على وجهها..

يُنظرها بصمت؛ تعلم منذ زمن وقت ثورة جنونها أن يتركها
تنفجر حتى تهدأ وتتكور بين أحضانه.. تعلم تذوق تفاصيلها في
غضبها.. خصلاتها الراقصة.. فمها المغربي.. وجسدها الذي
يتحرك ياغراء قاتل حتى في غضبها..

وفجأة هدأت صمت متعبة مد يديه لها وهو يجيب على كل ما
تلفظته على مدار الساعة الماضية منذ عادا للمنزل:

- زيد أخويا وما كنش ينفع أعرضكم لوجع الانتظار.. حيعيش،
حيموت.. احنا شيلنا عنكم الحمل

وكما توقع تكورت بداخل أحضانه وهي تتمتم:

- برضه مش حانسها لك يا إياد خليك فاكرها.

ابتسم اياك بعث حتى سمعها:

- بكره حنقضي اليوم في بيت باباك الولاد واحشينهم وأنت
حتيجي

اتسعت ابتسامته فمند زواج ناريمان بدون موافقة أبيه والعلاقة
باردة بينهما لكن منذ ولادة كريم وحرصت ميرا على إعادة
العلاقات وأحياناً بالاجبار والقوة حتى في عاطفتها وقربها
نارية..

وغاص هو متذوقاً دفء نيرانها التي يعشقها قدره الناري
المشتعل على الدوام.

مروة لا تستطيع أن تتوقف عن الابتسام وليث يدخل خلفها يشعر
بدفء مزاجها السعيد يلفه معها

وما أن أغلق باب شفتيها حتى أسرع متعلقة برقبتة تقبله بوله
قبلة طويلة عاصفة واندمج هو يعشق لحظاتها المبادرة بالحب وما
أن ابتعدت عنه لثوان تنظر له بحب سألتها:

- امم عملت ايه استاهل عليه المكافأة دي؟

قبلته من جديد حتى تقطعت أنفاسهما وهو يشدد من احتضانها
لصدره وحين افترقا طلباً للهواء همست أمام شفتيه:

- علشان ما كدبتش عليا ووثقت فيا أنني أحفظ سر حملتهولي..
إني الوحيدة اللي كنت عارفة أن زيد بيتعالج وأنه راجع

فك حجابها وبعثر خصلاتها القصيرة التي يعشق عفويتها هامساً:

- أنا وعدتك يوم فرحنا؛ سري سرك، وفرحك هو فرحي، وحزنك
هو حزني.. إحنا بقينا واحد .

احتضنها بقوة..

لم ينسَ حين طلب منها تأخير الحمل بعد أن فسر لها السبب لم
تعارض فتح لها قلبه أفضى لها بمكنون خشية أن يفقدها كره لأن
يراها بمشفى حتى لو كان لإنجاب طفلهما وهي تفهمت تقبلت
واحتوت..

رؤيتها مع أطفال عائلتها جعلت قلبه يلين جعلته يتجاسر على
خوفه الخاص من أجلها هي وهمست بين أحضانها:

رأيتك دائماً

شغيفتي وورتي

- ليث.. إحنا حنبقى كويسين أنا وأنت والبيبي اللي جاي ولد او بنت أنا عندي ثقة بربنا وراضية وسعيدة بقدري اللي فات منه واللي جاي.

ونظر لها:

- شهد قدري أنتِ

وطالبها بباقي مكافأته بتمهل وتوق وإعادة المطالبة بتكرار

يارا المتجهمه بغضب طفولي بين أحضانه بطابقتها وهو ينثر على كتفها قبلات معتذرة.. يعلم أنها لن تستطيع أن تبقى على خصامه:

- ما تخيلتش أنك ممكن تخبي عليا حاجة زي دي.. أنت أكثر واحد شفت إحنا تعبنا أما اختفى

قبل وجهها إنشأ إنشأ حتى جفونها يمنعها من البكاء يتمتم:

- غصب عني.. فاكرة يومها قولت لك إيه ثقي فيا.. زيد حيكون بخير.. ووفيت بوعدني

وطار غضبها منه بلمح البصر تستقبل أحضانه مبتسمة:

- أقولك على خبر حلو!

وقبلها مجيباً بصوت أجش:

- كل اللي يطلع من الشفايف دي دائماً حلو

ابتسمت تخبره:

- ديما وباسل أخيراً أخيراً حددوا ميعاد الفرح وحتبت لنا

الدعوة بكره

زفر بضحكة عالية:

- أخيراً ده باسل كان قرب ينشف جنبها بس أحسن علشان

يعرف قيمتها ويحافظ عليها

نظرت له بعشق يتلألاً بمقلتيها:

- أنا عملت ايه حلو في حياتي علشان تبقى ليا!

- أنت... قَدْرِي الجميل.

تمت بحمد الله

داليا سالم

17/1/2017

جروب شخايط وردية